معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

الجزء الأول والثاني

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي

المتوفى في عام 963 هـ

حققه ، وعلق على حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد يحيى الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

مكتبة الدكتور مروان العطية

مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ

عَلَى شَوَاهِدِ التَّلْخِيصِ

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى
المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه
محمد محيي الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الأول

عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى إليه مصاير الخلق وعواقب الأمور ، وصلاته وسلامه على أمين وَحْيه ، وخاتم رُسله ، و بشير رحمته ، ونذير نقمته ، سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله أشرف خلق الله وأكرمهم عليه ، وعلى آله وصحبه الذين أقاموا عماد الدين من بعده .

اللهم إنى أحمدك على عظيم إحسانك إلى ، وأشكرك على نوامى فضلك على ، حمداً يكون لحق نعمتك قضاء ، و إلى ثوابك مدنيا ، و إلى حسن مزيدك مؤديا ، وأستعين بك استعانة راج لفضلك ، مؤمل لطولك ، واثق بما عندك ، زاهد فيما عند خلقك ، صنع امرىء أناب إليك مؤمناً ، وخنع لك مذعنا ، وأخلص لك موحداً ، ولاذ بحياطتك راغبا ، فلا تصدنى عن بابك وأنت ذو العز الذى لا يشارك ، والفضل الذى لاتتعاوره زيادة ولا نقصان .

ثم أما بعد ، فقد رويت عن العدد العديد من مشايخنا و إخواننا الذين سبقونا فى طلب العلم أن كتاب « معاهد التنصيص ، على شرح شواهد التلخيص » كان من سُمَّار الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية الأسبق وباعث النهضة العلمية والأدبية فى مصر و بلاد العروبة فى مطلع العصر الحاضر ، وأنه كان كثير القراءة فيه والمعاودة له ، وكان — رحمه الله — إذا أراد أن يختبر بعض ممن يتقدمون إليه لبث شكاية أو رجاء شفاعة أو طلب نوال قدم إليه هذا الكتاب وأمره أن يُسْمعه قطعة منه ثم أمره أن يبين ما قرأ ، فان أجاد القراءة والفهم والابانة تَوَسَّم فيه الخير وقضى حاجته ، و إن قصر دفعه عن ملتمسه ولم يره أهلا لبره ومعونته .

ولست أدرى أكانت هذه القصة سببا فى حبى هذا الكتابَ وحرصى

الشديد على أن أحققه وأخرجه لقراء العربية بريئا مما أصابه من تشويه وتحريف واضطراب ، أم أن هناك باعثا آخر لا أعرف مأتاه ولا أتحقق مصدره ، فانى عندما ندبتنى إدارة الجامع الأزهر للاشتراك فى إنشاء مدرسة عليا للحقوق فى الخرطوم اصطحبت هذا الكتاب فيما اصطحبته من أسفار الثقافة العربية ، واتخذته سميرا لا يمل ، وعلى ما جرت به عادتى فى المطالعة كنت أراجع نصوصه على أصولها ، ولم أترك هذه المراجعات تضيع سدى ، بل كنت أكتب على حواشى النسخة كثيراً من التصويبات بعضها مما سنح لخاطرى وأكثرها مما عثرت عليه فى هذه المراجعات .

ثم لما عدت إلى القاهرة فى أواخر الحرب الضروس التى أتت على الأخضر واليابس من مظاهر المدنية الغربية رأيت أن أتم مراجعة هذا الكتاب بعرضه على ما يوجد من النسخ الخطية منه ، وتيسر لى أن أعرضه على مخطوطتين محفوظتين فى دار الكتب الأزهرية عرضا تاما ، وقد وجدت فيهما من الفائدة ما سترى أثره جليا فى ثنايا الكتاب .

وعرضت ما فى الكتاب من النصوص شعرها ونثرها على أصولها من الدواوين ومجاميع الشعر وأمهات كتب الأدب ، وعرضت ما فيه من التراجم على مصادرها الأولى كالأغانى ووفيات الأعيان ويتيمة الدهر وفوات الوفيات ودمية القصر ، وتيسر لى أن أدل على المكان الذى صدر عنه صاحب الكتاب وبينت فى حواشى هذه المطبوعة أكثر ما كان فى أصول الكتاب من التحريف والموضع الذى أخذت عنه ما أخذت من التصحيح ، ولم أغير كلمة من الكتاب إلا بثلاثة شروط : أولها ألا يكون لما ورد فى الكتاب وجه صحيح ، وثانيها أن يكون من الظاهر أن العبارة الصحيحة تصحفت قراءتها على ناسخ الكتاب أو ناشره ، وثالثها أن يتأكد عندى أن المؤلف نقل هذا الكلام عن الأصل الذى أراجعه ، فان اختل شرط من هذه الشروط الثلاثة تركت العبارة على حالها

وبينت فى الحاشية أن هذه العبارة وردت فى الكتاب الفلانى على الوجه الفلانى وشرحت فى بعض الأحيان ما أظن أن متوسطى القراء فى حاجة إلى شرحه، وأشرت أحيانا إلى بعض المراجع التى يمكن للقارىء أن يرجع إليها ليزداد توسعا فى الموضوع الذى عرض له المؤلف .

ولم تأخذنى العزة بالإثم أن أذكر فى صراحة أن نصًّا من نصوص الكتاب قد التوى أمره على فلم أتبين فيه وجها صحيحا، وفى هذه الحال أترك النص على حاله الذى ورد عليه، وذلك قليل جدا لم يبلغ عدد أصابع اليدين، ولله الحمد والمنة .

وأنا معتزم — إن شاء الله — أن أضع للكتاب فهارس هجائية تظهر مع الجزء الرابع منه، والله ولى التوفيق .

وقبل أن أنتهى من هذه الكلمة أحب أن أذكر بالثناء رجلين كان لهما فضل كبير فى ظهور الكتاب على الوجه الذى تراه : أحدهما الحاج مصطفى بن محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى، فانه ما علم بقيامى بهذا العمل حتى بادر إلى الانفاق على طبعه وتخير له أجود أنواع الورق فى هذه الضائقة التى أخذت على المؤلفات النافعة سبيلها، وثانيهما الشاب النابه على محمد إسماعيل مدير مطبعة السعادة ومعاونوه الذين سمت بهم رغبتهم فى تجويد العمل وإتقانه إلى أن يجددوا جميع أدوات الطباعة التى استعملت فى هذا الكتاب، ثم كان لهم من الفضل فى الاسراع بانجاز الكتاب ما لا نستطيع أن نذكره إلا بالخير، وفقهما الله إلى صالح العمل، وجعلهما من الذين يصدق عليهم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ! ! .

رب وفقنى إلى ما فيه رضاك، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك، يا أرحم الراحمين .

كتبه : المعتز بالله تعالى وحده

أبو أحمد

محمد محيي الدين عبد الحميد

التعريف بمؤلف معاهد التنصيص

قال الشهاب الخفاجي في كتابه « ريحانة الألبا ، وزينة الحياة الدنيا » ما نصه :

السيد عبد الرحيم العباسي — أنا وإن لم أَرَهْ ، فهو لقُرْب العهد سمعتُ خبره . حسيبٌ طرّز كم المجد ، وأعاد برقة شمائله نسمات نجد . أنجبتهُ أمُّ الفضل كريمَ الحسب سعيداً ، فأبى أن يكون على الفضائل إلا مأموناً ورشيداً . وله رايات فضل علية ، تعممت الأقلام بسواد أنقاسها العباسية ، وَكتائبُ ثناء تعطرت الكتب بنفحاته القدسية . طفح سكرا بشَمولها فمُ الكأس ، وابتسم فرحاً بها كل زمان عباس :

وإذا أردتَ مَديح قوم لم تمنْ في مَدْحهمْ فامدح بنْى العباس

فنسبه ناهيك به من نسب ، وعَرْف معارفه إذا رآه الروض نادى عليه : أصبح الورد عجب :

ابن عم النبي واللابس الفخــرين من نوره ومن برهانه

ولما ارتحل إلى الروم وبها بقية من الأعيان ، أجلّه علماؤها لما رأوه به من نوادر الزمان . وَكان المولى عبد الباقي عَيْبة لطفه ، وظرفاً ترشح منه رشحات ظرفه . فانه ممن قدّ من برد الشمال شماله ، وارتضعت أخلاف المزن مع طفل النور خلاله . يقطر منه ماء البراعة ، وتثمر بمآثره أغصان البراعة . وله تآليف وآثار سطورها سيح ، إذا رأتها سبحت الأقلام ، وكثرت عجباً بها ألسنة الخاص والعام ، إذا قدم معناها على الأسماع برزت لاستقباله طلائع الأفهام . وتسجد الأبصار لرُوائه ، وتخضع الرقاب لزهوه وحسن بهائه . ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص ، وسمعت أن له شرحاً على البخاري

ورأيت له شعراً وإنشاء ومدائح فى المولى المحقق سعدى ، فمما رويناه من شعره قوله :

أرعشنى الدهرُ أىَّ رعشٍ ... وكنتُ ذا قوة وبطش
قد كنتُ أمشى ولستُ أُعيا ... فصرت أعيا ولستُ أمشى

وقوله أيضاً :

مالى أرَى أحبابنا فى الناس ... صاروا كمثل حبَابنا فى الكاس
بينا يروقك عند أول نظره ... كاللؤلؤ المتناسق الأجناس
فاذا أعدت الطرف فيهم لم تجد ... شيئاً ، وصار رجاؤهم كالياس

وقوله أيضاً :

من يبغ بالفضل معاشاً يمتْ ... جوعاً ، وإن كان بديعَ الزمان
تبغى الحجى ثم تروم الغنى ... يا قلَّمَا تجتمع الضَّرتان

وَله أيضاً :

ألؤلؤ نظمُ هذا الثغر أم حبَبٌ ... وقرقفٌ طعمُ ذاك الريق أم ضَرَبُ
وما أراهُ بصحنِ الخدّ وردُها ... أم وجنةٌ بدم العشاق تختضبُ

وله أيضاً :

لستُ عن وُدّ صديقى سَائلا ... غيرَ وُدّى فهوَ يدرى وُدّهُ
فكما أعلمُ ما عندى لهُ ... فكذا أعلمُ مالى عندهُ

وله أيضاً :

لو كانَ ذا الكاشح فى بلدتى ... لم يستطعْ يُومِضُنى ومْضاً
وكنتُ فى العز سماءً له ... وكان لى من ذُله أرضا

وله أيضاً :

يعقد النقعُ فوقها سحباً كالليـــل فيه السيوف أضحت نجوماَ
ومتى ما رَأت سواد شياطيـــنِ بغاةِ الحرُوب عادت رجوماَ
وله أيضاً :

رأيتُ لئيمَ قوم فى ممرّ و بين لديه أشخاص لئامُ
فسلّم من جهالته ابتداء فقلت له: متى كَسَدَ السلامُ؟
وله أيضاً :

حالُ المقلّ ناطقٌ عمّا خفى منْ عيبهِ
فإن رَأيتَ عارياً فلا تسلْ عن ثوْبهِ
وهذا كقول الحريرى :

فـكلْ ما حلا حين تؤتى بهِ ولاَ تسألِ الشهدَ عن نحلهِ
وقول الآخر :
كُلِ البقْلَ من حيثُ تؤتىَ بهِ ولاَ تسألَنّ عن المَبْقَلَهْ
وأمثاله كثيرة كما بيناها فى غير هذا الـكتاب .
وله أيضاً :

إذا ما كنتَ فى قوم غريباً فَعَاملهمْ بفعل يُستَطابُ
ولا تحزن إذا فَاهُوا بفُحش غريبٌ الدار تنبحهُ الـكلابُ
وهذا إشارة إلى ما جرت به العادة من نبح الـكلاب على من لم تعرف ، وكذلك أيضاً تنبح على الفقراء . وفى أنس الحكمة « الـكلب ينبح على الفقير دون الغنى ، لأنه من جنسه ، ولأنه يرجو منه المواساة ، بخلاف الفقير ، ولذا قال الشاعر :

حتى الـكلاب إذا رأت ذا ثروة ذَلّتْ لديه وحركت أذنابها

وإذا رأت يوما فقيراً مقدماً　　هرت عليه وكشرت أنيابها

وقوله أيضاً :

أرى الدهر يكرم جهاله　　وأعظم قدراً به الجاهلُ

وأنظر حظى به ناقصا　　أيحسبنى أننى فاضل

ولما سمعه البدر الغزى أجابه بقوله :

أعَبْدَ الرحيم سَليلَ العلا　　ويا فاضلا دونه الفاضل

أتعتب دهراً غدا موقنا　　بأنكَ فى أهله الفاضل

وقرأت فى ديوان الزمخشرى :

فلا ترضَ يا صدر الكفاة بأن ترى　　أعالىَ قوم ألحقوا بالأسافل

وإلا فوقِّع للزمان فانه　　غلامك يجعلنى كبعض الأراذل

وللدباسى البغدادى :

إنى رأيت الدهر فى صَرْفه　　يمنح حظ العاقل الجاهلا

لما رآنى نائلا ثروة　　أظنه يحسبنى عاقلا

ولمجير الدين بن تميم :

الدهر عندى لا مَحالةَ أحْوَلُ　　فاسأل به من كان طَبًّا عاقلا

يرنو ليلحظ فاضلا فيرده　　حَوَلٌ بعينيه فيلحظ جاهلا

وللباخرزى :

كيف لا يمسك عنى برقه　　بعدما أمسك عنى بوله

ساءنى الدهر لأنى عاقل　　ليت أنى مثل غيرى أبْلَهُ

وأجاد القائل :

ومالى لدى دهرى ذنوبٌ أُعدُّها　　سوى تهمة الأعداء لى بالفضائل

وأنىَ منه تبت توبة نادم　　مقراً بأنى اليوم أجهل جاهل

وفى معناه قول المنجنيقى :

إن كان ذنبي أنني شاعرٌ   فاصفح فقد تبت عن الشعر

وقال أبو تمام:

ينال الفتى من دهره وهو جاهل   ويكدى الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تأتى على الحجى   هلكن إذاً من جهلهن البهائم

وما ألطف قول الوزير ابن زيدون ، وقد سجن:

لم يطو بُرد شبابى كبرة ، وأرى   برق المشيب اعترى فى عارض الشعر

قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كثب   وللشبيبة غصن غير مهتصر

أيهنأ الشامت المرتاح خاطره   أنى مُعَنًّى الأمانى ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الأرض عاصفة   أم الكسوف لغير الشمس والقمر

إن طال فى السجن إيداعى فلا عجب   قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

وله أيضاً:

ماترى البدر إن تأملت والشمـــس هما يكسفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك ينحو   بالمصاب العظيم نحو العظيم

انتهى كلام الشهاب الخفاجي ، وفيه كفاية ومقْنع .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العقل مفتاح العلوم ، ومُدرِك معانى المنطوق والمفهوم ، ومنشأ بيان المحقّق والموهوم ، ومُظهِر بديع المنثور والمنظوم .

خطبة المؤلف

أحمَده حمدَ مَنْ بجزيل نعمه اعترف ، وأشكره شكر مَنْ وَرد مناهل فضله واغْتَرف . وأشهد أنه الربُّ الرحمن ، الذى خلق الإنسان وعلّمه البيان. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدُه ورسوله ، وحبيبه وخليـله ، الذى تَلخَّص الدينُ بإرشاده أحسنَ تلخيص ، وتخلص مُتّبِع هَدْيه من الجحيم أعظم تخليص. فكانت بَعثَته مفتاح باب الخيرات ، والطريقَ الموصل إلى منهج المبرّات . صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام ، وصحبه الأئمة الأعلام ، ماأغرب مبتدئ ببديع النظام ، وأعجب مُنْتهٍ بحسن الختام ! !.

وبعد ، فإن الفقير الحقير ، المعترفَ بالعجز والتقصير ، نظر الله إليه بعين العَفو والغُفران ! ورضى عنـه أتمّ الرضوان ! لمّا كان متحلياً بحلية العلماء ، مستشعراً شِعار الفضلاء ، وبُردُ الشبيبة قَشيب[1] وغُصن الصِّبا رطيب ، ومَرْبع الأمانى خصيب[2] والسعادة تَلحظه عيونُها[3] ، وتتوارد عليه أبكارها وعُونُها[4] ، لم يزل فى خدمة العلم وتأليفه ، وترتيبه وتصنيفه ، بقدر ما يَصل إليه

---

(١) البرد ــ بضم الباء ــ الثوب ، والقشيب : الجديد ، وأراد بجدة ثوب الشباب أنه فى مقتبل العمر .

(٢) المربع : المنزل الذى يسكن فى زمن الربيع ، وخصيب : عمه الخصب ونماء الزرع ، وأراد أن آماله عظيمة واسعة المدى كثيرة .

(٣) كأنه لحظ معنى قول الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخـاوف كلهن أمان

(٤) العون ــ بضم العين ــ جمع عوان ــ بفتح العين والواو ــ وهى النصف فى سنها .

علمه القاصر ، وحَسَب ماينفذ فيه فهمه الفاتر ، وكان مِن جُملة ما حفظه من المتون، وعلق بخاطره من الفنون، كتابُ تلخيص المفتاح، الذى هو فى بابه راحةُ الأرواح ، تغمد الله مؤلفه برحمته ورضوانه ! وأسكنه بَحابح[1] جنانه ! وفيه من الشواهد الشعرية مايُعزى[2] للأقدمين ، وما يُنسب للمولَّدين ، إلا أنَّ أكثرها مجهول الأنساب ، مَغفول الأحساب[3] ، وربما عزاه بعضُ شارحى الكتاب لغير قائليه ، ونسبه إلى غير أبيه : إما لاشتباهٍ فى الأوزان ، أو تماثل فى المعان ، ولم أر مَنْ عمل على تلك الشواهد شرحا يشفى العليل ، أو يَروى الغليل[4] غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلالَ السيوطىّ سقى الله من صَوْب الرحمة ثراه ، وأكرم منزله ومثواه ! عمل على بعضها تعليقاً لطيفاً لم يكمله ولم يخرج عن مسودته ، وكثيراً ما كانت نفسى تنازعنى للتصدّى لذلك ، وأقول لها : لست هنالك ، وأعللها بالمواعيد ، وهى تقرب إلىّ البعيد ، وتُسوِّل لى أنه أقرب إلىّ من حبل الوريد ، فيقوى العزم ، ويستعمل الجزم ، ويُهمل الأخذُ بالحزم ، إلى أن آن أوانه ، وحان إبّانه[5] فشمرت عن ساعد الاجتهاد ، واستعملت الجد فى تحصيل ذلك المراد ، وسلكت فيه مَنْهج الاختصار ، ومَدرج الاقتصار ، ونَصيت[6] على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت فى كل شاهد منها ماينا سبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلاّ مالم أطلع عليه بعد

---

(١) بحابح : جمع بحبوحة ، وهى فى الأصل وسط الدار .

(٢) يعزى : ينسب .

(٣) كذا ، والمعروف «مغفل الأحساب» أو «غفل الأحساب» بضم الغين وسكون الفاء فى الأخيرة ، وذلك لأن الفعل الثلاثى لايتعدى بنفسه فلا يؤخذ منه اسم المفعول .

(٤) الغليل . العطش ، أو شدته .

(٥) إبان الشىء ـ بكسر الهمزة وتشديد الباء ـ وقته .

(٦) أصله نصصت ، فقلب أحد الأمثال ياء كما فى تظنيت وتقضى ، والأصل تظننت وتقضض .

التفتيش فى كتب الأدب ، والتحرّى والاستقصاء فى الطلب ، ومزجت فيه الجدّ بالهزل ، والحَزْن بالسهل .

وسميته بـ « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

وصف الكتاب

فجاء بحمد الله غريب الابتداع ، عجيبَ الاختراع ، بديعَ الترتيب ، رائع التركيب ، مفرداً فى فنّ الأدب ، كفيلا لمن تأمّله بالعجب ، وهو و إن كان من جنس الفضول الذى ربما يستملّ ، أو هو بقول الحسود داخلٌ فى قسم المهمل ؛ فهو أمنية كان الخاطرُ يتمناها ، وحاجةٌ فى نفس يَعْقوب قَضاها [١] على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عن مَواطنها شَريدة ، ودُرّة مستخرجة من قاع البحور ، وشَذرة [٢] تُزيّن بها قلائد النحور ، وعجائب تُحلّ لها الْحُبا [٣] وغرائب يقول لها العقل السليم : مرحباً مرحبا ، ولئن خالط هذا القول هوى النفس ، أو ظنّ المغالاة به صادق الحدس

فالمرْء مفتونٌ بتأليفه ونفسهُ فى مَدْحِه غَاويهْ
والفضلُ مِنْ ناظره أن يَرى ماقد حَوى بالمقلة الراضيهْ
وإنْ يجدْ عيباً يَكن ساتراً عَوارهُ بالمنّةِ الْوافيهْ

ومن تأمله بعين الإنصاف والرِّضى ، شهد بِصدقِ هذا الوصف و بِصحته قضى

وحين سهّل الله الوصول ثانيا إلى الممالك الرومية ، لازالت من المكاره محميه ! استوطَن منها قسطنطينية العظمى ، لازالت من الله فى وقاية وحمى !

---

(١) مأخوذ من قوله تعالى : (لا حاجة فى نفس يعقوب قضاها) من الآية ٦٨ من سورة يوسف .

(٢) الشذرة : القطعة من الذهب تقع من المعدن ، أو اللؤلؤة الصغيرة .

(٣) الحبا : جمع حبوة ، وهى أن تجلس و تضع بطون قدميك على الأرض وتمسك ركبتك بثوبك أو بيدك ، ومن كلامهم « بنو فلان إذا عقدوا الحبا أطلقوا الحباء » أى أنهم إذا جلسوا هذه الجلسة أعطوا العطايا .

إذ هي محلُّ الكرم ، ومَوطن النعم ، ومحط الرحال ، ومُنتهى الآمال ، ومَشرق السعادة ، وأفق السيادة ، وموسم الأدباء ، وحَلبة الخطباء ، ودار الإسلام ، ومَقر العلماء الأعلام ، وتخت الملك العظيم الشأن ، ومحلُّ الدولة والسلطان ، لا زالت دارَ الإسلام والإيمان ، ومستقر الأمن والأمان ! ما تعاقب المَلوان ، بدوام حياة سلطان العالم ، وخير ملوك بني آدم ، سليمان الزمان ، وخاقان العصر والأوان ، ومفخر آل عثمان ، لابَرِحت دولته مخلدة خلود الأبرار ، في دار القرار ، وسعادته مؤبدة مسلسلة الأدوار ! مادار الفلك المدار ، بتعاقب الليل والنهار.

وكان من أعظم خبايا السعد ، وعطايا الجَدّ [(١)] ، أن شملته العناية ، وحفته الرعاية ، بنظر فَرد الدهر ، وواحد العصر ، وبِكر عُطارد ، ونادرة الفَلك ، وتاريخ المجد ، وغُرة الزمان ، ويَنبوع الخير والإحسان ، العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، جامع أشتات المفاخر ، والمتفرِّد بغايات المآثر ، سيدنا ومولانا سعدى قاضي القضاة بتخت المُلك قسطنطينية العظمى ، فهو مَولًى تنخفض همم الأقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، ويَقصر جَهدُ الوصف عن أيسر فواضله ومساعيه ، حضرتُه مَطلِع الجود ، ومقصِد الوفود ، وقِبلة الآمال ، ومَحط الرحال ، ومجمع الأدباء ، وحَلبة الشعراء ، ذو همة مقصورة على مجد يُشَيِّده ، وإنعام يُجدِّده ، وفاضل يَصطنعه ، وخامل وضعه الدهر فيرفعه ، فاق الأقران ، وساد الأعيان ، فلا يُدانيه مُدَان ، ولو كان من بني عبد المَدان [(٢)] ، وليس يجاريه في مضمار الجود جواد ، ولا يباريه في ارتياد السيادة مُرتاد .

---

(١) الجد ـ بفتح الجيم ـ الحظ والبخت .

(٢) لحظ في هذه الفقرة قول حسان بن ثابت [من الوافر] :

وقد كنا نقول إذا رأينا ... لذي جسم يعد وذي بيان

كأنك أيها المعطى بيانا ... وجسما من بني عبد المدان

ما كُل مَن طَلَبَ المَعالى نافذاً فيها ، وَلا كلُّ الرِّجال فُحولا

لازالت آيُ مجده بألسُن الأقلام مَتلوَّة ، وأبكار الأفكار بمديح معاليه مجْلوَّة !
وحين أناخ مطايا قصده ، بأفناء سَعده ، صادف مَولى حَفيًّا ، وظلا ضَفيا
ومَرتعاً رحيبا ، ومربعاً خصيباً ، وبشاشة وجه تَسر القلوب ، وطَلاقة مُحيًّا تفرِّج
الكروب ، وتغفر للدهر ماجناه من الذنوب ، مع مايضاف لذلك من مَنظر وسيم ، ومخبر
كريم ، وخلائق رَقت وراقت ، وطرائف علَت وفاقت ، وفضائل ضَفت مَدارعها ،
وشمائل صفت مشارعها ، وسودد تُثْنَى به عُقود الخناصر ، وتُثْني عليه طيب العناصر ،
فحمد من صباح قَصده السُّرى(١) ، وعلم أن كلَّ الصيد فى جوف الفَرا(٢) :

إن الكَريمَ إذا قَصدتَ جَنابه تَلقاه طَلقَ الوَجهِ رَحبَ المنزلِ

وها هو فى ظل عزه رخيّ البال ، متميز الحال ، آمن من صرفان
الدهر ، وحِدثان القهر ، يَرتع فى رياض فضله ، ويَجرع من طَلِّ جوده وَوبْله ،
قد عجز عن الشكر لسانُه ، وكَلَّ عن رَقم الحمد بنانه ، لم يفقد من مغنى رأفته ظِلالا
ولم يَقل لصَيدح آماله انتجعى بلالا(٣) ، وبه حقق قول القائل ، من الأوائل(٤)

ولمّا انْتجعنَا لائذينَ بظلِهِ أعانَ وما عَنَّى ، ومَنَّ وما منَّا
وَرَدنَا عليهِ مُقترِينَ فَراشنَا ورُدنا نَداهُ مُجدبينَ فأخصبنَا(٥)

(١) مأخوذ من قولهم «عند الصباح يحمد القوم السرى» والسرى ــ بضم السين ــ السير ليلا .

(٢) هذه الجملة قالها النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى سفيان بن حرب .

(٣) أخذه من قول ذى الرمة يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى [من الوافر] :

سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وصيدح : اسم ناقته .

(٤) البيتان لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى صاحب الأغانى ، يقولها فى الوزير المهلبى .

(٥) وردنا ــ فى أول البيت ــ فعل ماض من الورود ، والواو فيه من أصل =

وجملة ما يقوله فى العجز عن حمده وشكره ، والثناء على جوده وبرّه :

أما وجميل الصُّنع منه ، وإنها ... أليَّةُ برٍّ مثلها لا يُكفَّرُ
لَو استطعتُ حوَّلتُ البريةَ ألسناً ... وكنتُ بها أثنى عليه وأشكُرُ
ولَستُ أوفِّى حقَّ ذاكَ وإنما ... قياماً بحق الشُّكرِ جهدِى أشمُرُ

وكان من جملة دواعى السعد، وبواعث الجد ، أن شَمل هذا التأليف نظره الشريف، حين وصل إلى حضرة مجده المنيف ، فأظهر به إعجابا رفع من مقامه ، ونصب فوق متن المجرّة خَوافقَ أعلامه ، جَريا على عادته النفيسة فى جَبر القلوب ، وسَترِ العيوب ، فحين طرق السمع ، خبرُ استحسانه لذلك الجمع ، أحبَّ الفقيرُ أن يخدم حضرته العلية ، وسُدَّته السنية ، بنسخة منه لتكون مذكرة بحال الفقير مادام فى قيد الحياة ، وسَببا باعثاً على الترحُّم عليه بعد الممات. وعساه يكون وَسيلة للانتظام فى سلكه ، وذريعة إلى الانحياز إلى ملكه ، وإلا فهو أقل من أن يشاع ذكره ، أو يشاد قصره ، وكيف يُهدَى الوشل[1] إلى البحر ، أو الطل إلى القطر[2] ، غير أن هواجس الفكر وخواطر الأمل،متمسكة فى قَبوله بأذيال عسى ولعل[3]، والذى يقوى فى الظن بشيمه الزاكية ،تلقِّيه بالبشر ولَمْحُه بالمقلة الراضية ، وهو يرجو أن يهبَّ عليه نسيم قبول القلوب ، ويؤمّل أن يُسبل سَتر العفو عما فيه من العيوب، وهاهو يرفع أكف التضرع والابتهال . إلى ذى العظمة والجلال ، أن يُبلغه من ذلك، أقصى غاية الآمال ، بمنِّه ويُمنه .

= الكلمة و « ردنا » فى أول النصف الثانى من البيت من قولهم : راد الكلأ يروده ، بمعنى طلبه ، ومنه الرائد .

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) الطل : أضعف المطر ، والقطر : المطر المتتابع .

(٣) لعل : حرف وضع فى العربية للدلالة على الترجى ، وعسى: فعل جامد معناه الترجى أيضا ، وكأنه قد قال : متمسكة بأذيال الرجاء .

شواهد المقـــدمه

شاهد التنافر

١ — * غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى الْعُلاَ *

قائله امرؤ القيس ، وتمامه :

* تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنًّى وَمُرسَلِ *

وهو من البحر الطويل ، من القصيدة المشهورة التى هى إحدى المعلقات السبع ، وأولها [١] :

مختار من معلقة امرىء القيس

قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكرى حَبيبٍ وَمنْزِلِ ... بِسقطِ اللوى بَينَ الدَّخُولِ فحَومَلِ

فتوضحَ فالمقراةِ لم يَعفُ رَسمها ... لِما نَسجَتها مِنْ جَنوبٍ وَشَمْألِ

وُقوفاً بها صَحبى عَلىَّ مَطيهُمْ ... يقولونَ لا تَهلكْ أسىً وتجمَّلِ

وبَيضَةِ خِدرٍ لايرامُ خِباؤها ... تمتعتُ مِنْ لهوٍ بها غَيرَ مُعجلِ

تجاوزتُ أحْراساً إليها ومَعْشَراً ... عَلىَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقتلى

إذا ما الثريا فى السماءِ تَعرَّضتْ ... تَعرُّضَ أثناءِ الوِشاحِ المْفصلِ

فَجئتُ وقدْ نَضتْ لِنومٍ ثيابها ... لَدى السِّترِ إلاَّ لِبسةَ المتفضلِ

فقالت يَمينُ اللهِ مالَكَ حيلةٌ ... وما إنْ أرى عنكَ الغوايةَ تَنجلى

خَرجتُ بها أمشى تجرُّ وراءنا ... عَلى إثرِنا أذيالَ مِرطٍ مُرحلِ [٢]

فلما أجَزْنا ساحة الحىِّ وانتحى ... بنا بطنُ خَبتٍ ذى حِقاف عقنْقل

هصرتُ بفوْدَىْ رأسِها فتمايلتْ ... عَلىَّ هَضيمَ الكشحِ ريَّا المُخلخلِ

مُهفهفةٌ بيضاءُ غَيرُ مُفاضةٍ ... ترائبُها مَصقولةٌ كالسَّجنجلِ

تَصدُّ وتُبدى عَنْ أسيلٍ وتتقى ... بناظرةٍ مِن وَحْش وَجْرَةَ مُطفلِ

---

(١) هذه الأبيات غير متصلة فى المعلقة ، وهى الأول والثانى ثم الخامس ثم من الثالث والعشرين إلى السادس والثلاثين على التعاقب فى رواية التبريزى.

(٢) فى نسخ المعلقات : * على أثرينا ذيل مرط مرحل *

وجيدٍ كجيدِ الرِّئمِ لَيسَ بفاحشٍ إذا هي نَصَّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ
وفَرْعٍ يَزينُ المَتنَ أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقِنوِ النَّخلةِ المُتعثكلِ

و بعده البيت ، والقصيدة طويلة ، وسيأتى طَرَف منها فى شواهد الإنشاء إن شاء الله تعالى

والغدائر — جمع غَديرة — : الذوائب ، والاستشزار : الرفع والارتفاع جميعاً ، والفعل منه لازم إن كسِرَت زايه ، ومتعدٍّ إن فتحت ، والعُلا : جمع عَلياء تأنيث الأعلى ، وأراد الجهات العلا ، والعِقاص : جمع عقيصة ، وهى الخصلة من الشعر تأخذها المرأة فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها ، والمثنى من الشعر وغيره : ما ثُنى ، والمرسل : ضده .

ومعنى البيت : أن حبيبته لكثرة شعرها بعضُه مرفوع و بعضه مثنى و بعضه مرسل و بعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل .

والشاهد فى البيت : التنافر ، وهو لفظة « مستشزرات » لثقلها على اللسان وعُسر النطق بها .

ترجمة امرىء القيس

وامرؤ القيس (١) اسمه حُنْدُج بن حُجْر بن عمرو المقصور (٢) ، سمى بذلك لأنه اقتُصر به على مُلك أبيه حندج (٣) والحندج فى اللغة : رَملة طيبة تُنبت ألواناً . وأمه فاطمة — وقيل تَملك (٤) — بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومُهَلهل ،

---

(١) لامرىء القيس ترجمة فى الأغاني (٨ — ٦٢) وفى الشعراء لابن قتيبة (٣٧) وطبقات الجمحى (١٥) .

(٢) فى الشعراء لابن قتيبة والأغانى « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور » وفى طبقات الجمحى « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو ابن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة » .

(٣) كذا فى أصول هذا الكتاب ، والصواب « حجر » كما فى الشعراء لابن قتيبة والأغانى .

(٤) وقع فى الأصول « تملل » وهو خطأ تصويبه عن الأغانى (٨ — ٦٣ بلاق) ثم

وكنية امرئ القيس : أبو وهب ، وأبو الحرث[١] ويلقب ذا القروح لقوله [من الطويل] :

وَبُدِّلتُ قَرحاً دامياً بعدَ صِحَّةٍ   لَعَلَّ مَنايانا تَحَوَّلنَ أبؤُسا

ويلقب الذائد أيضاً لقوله [من المتقارب] :

* أذُودُ القوافيَ عَنِّي ذِيادَا *

ويقال له : الملك الضِّلِّيل ، ومعنى امرىء القيس رجل الشدة ، والقيس في اللغة : الشدة ، وقيل : القيس اسم صنم ؛ ولهذا كان الأصمعي يكره أن يروي قوله * يَاامرأ القيسِ فانزِلِ *[٢] ويرويه « ياامرأ الله فانزل » . وهو الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه « أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » وقيل في تأويله : إن المراد شعراء الجاهلية والمشركين .

وهو أول من لطف المعانيَ ، ومن استوقف على الطلول ، وشبَّه النساء بالظباء والمَهَا والبَيْض ، وشبه الخيل بالعقبان والعِصِيّ ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .

وكان من حديثه أن أباه طرده لما قال الشعر ، وإنما طرده من أجل زوجته هِرّ ، وهي أم الحويرث التي كان امرؤ القيس يُشبب بها في شعره[٣] ، وكان

إن من قال إن اسم أمه تملك لم يقل إنها أخت المهاهل ، بل قال : إنها من رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقد وقع في شعر امرىء القيس ما قد يؤخذ منه أنه ابن تملك ، وذلك في قوله [من الطويل] :

ألا هل أتاها والحوادث جمة   بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

(١) ويكنى « أبا زيد » أيضاً .

(٢) هذا بعض بيت من المعلقة ، والبيت بتمامه :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا :   عقرت بعيري ياامرأ القيس فانزل

(٣) قد صرح باسم « هر » في عدة أبيات ، منها قوله [من الطويل] :

أغادي الصبوح عند هر وفرتنا   وليداً ، وهل أفنى شبابي غير هر؟

وقد صرح بأم الحويرث في أبيات منها قوله في المعلقة [من الطويل] :

كدأبك من أم الحويرث قبلها   وجارتها أم الرباب بمأسل

يتنقَّل فى أحياء العرب و يستتبع صعاليكهم وذؤبانهم ، والعرب تطلق على اللصوص الذؤبان تشبيهاً بالذئاب ، وكان يُغير بهم ، وكان أبوه ملك بنى أسد فعسفهم عَسفاً شديداً ، فتمالأوا على قتله ، فلما بلغه قتلُ أبيه وكان يشرب الخمر قال : ضَيَّعنى صغيراً ، وحملنى ثقل الثأرِ كبيراً . اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ . فأرسلها مثلا ، وقيل : بل قال : اليوم قحاف ، و غداً نقاف . والقحاف : من القحف وهو شدة الشرب ، والنقاف : من نَقَفَ الهامَ إذا قطعها .

امرؤ القيس يثأر لأبيه

ثم إنه جمع جمعاً من بنى بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب ، وخرج يريد بنى أسد ، فخبرهم كاهنهم بخروجه إليهم ، فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس ، فأوقع ببنى كنانة ، وكان بنو أسد قد لجأوا إليهم ، ثم ارتحلوا عنهم ، فقتلهم قتلاً ذَريعاً ، وأقبل أصحابه يقولون : يالثارات الهمام ، فقالت عجوز منهم : واللاتِ أيها الملك مانحن بثأرك ، و إنما ثأرك بنوأسد وقد ارتحلوا ، فرفع القتل عنهم وقال [من الوافر] :

ألا يا لَهْفَ نَفسى إثر قَومٍ ... هم كانوا الشفاء فَلَم يُصابوا

وَقاهمْ جَدُّهمُ ببـنى عَلىٍّ ... و بالأشقَينَ ما كانَ العقابُ[١]

و أفلتهن عِلباء جَريضاً ... ولو أدركنهُ صَفِرَ الوِطابُ[٢]

وقيل : إن أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع ببنى كنانةَ ، وقالوا له: أوقعت بقوم بُرآء وظلمتهم ، فخرج إلى اليمن إلى بعض مَقَاولة حمير[٣] واسمه قَرمل ، فاستجاشه

(١) فى الديوان « وقاهم جدهم ببنى أبيهم » وهو الصواب ، لأن أسداً وكنانة ابنا خزيمة ، وجدهم : حظهم وبختهم .

(٢) أراد علباء بن الحارث الأسدى أحد قتلة حجر . وجريضاً : به غصة الخوف ، وصفر الوطاب: خلاجسمه من روحه ، كنى بذلك عن قتله .

(٣) المقاولة والأقيال : الذين يلون الملوك فى المنزلة ، سموا بذلك لأن لهم قولا نافذا ، واحدهم قيل ، بفتح فسكون .

فثبَّطه قرمل ، فذلك حيث يقول [من الطويل] :

وكُنا أُناسا قَبلَ غزوةِ قَرْمل وَرِثنا الغِنَى وَالمجدَ أكبرَ أكبرَا

ثم خرج إلى قَيصر بعد أن أودع أدراعه وكراعه السموءلَ بن عادياء ، فذلك حيث يقول [من الطويل] :

بكى صاحبي لمّا رأى الدَّرْبَ دُونهُ وأيقن أنَّا لاَحِقانِ بِقيصرَا

فقلتُ لهُ : لا تَبكِ عَينكَ ، إنّما نُحاولُ ملكا أو نَموتَ فَنُعذرَا

وصاحبه عمرو بن قميئة الشاعر ، وهو من بنى قيس بن ثعلبة ، وكان قد طوى عنه الخبر حتى جاوز الدرب ، فلما وصل إلى قيصر استغاث به ، فوعده أن يَرْفِدَهُ(١) بجيش .

وكان امرؤ القيس جميلَ الوَجه ، وكان لقيصر ابنة جميلة ، فأشرفت يوما من قصرها فرآها امرؤ القيس فى دخوله إلى أبيها فتعلق بها وراسلها فأجابته إلى ما سأل ، فذلك حيث يقول لما وصل إليها [من الطويل] :

فقلتُ : يمينَ اللهِ أبْرح قاعداً وَلو قَطعُوا رَأسى لَديكِ وأوصالى(٢)

وقيل : إن أباها زوجه إيَّاها ، وقد كان سبق إلى قيصر رجل من بنى أسد يقال له الطَّمَّاح فوشى به إلى قيصر ، فوجه معه جيشاً ، ثم أتبعه رجلا معه حُلة مسمومة ، وقال له : اقرأ عليه السلام ، وقل له : إن الملك قد بعث إليك بحُلة قد لبسها ليكرمك بها ، وأدخله الحمام ، فإذا خرج فألبسه إياها ، فلما فعل تنفط بدنه وكان يُحمل فى محفة فذلك حيث يقول [من الطويل] :

لَقدْ طَمِحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أرضهِ لِيُلبسنى مِنْ دائه ما تَلبَّسَا

---

(١) رفده : أعانه وقواه ، وبابه ضرب .

(٢) يستشهد النحاة بهذا البيت على جواز حذف النفى بعد القسم إذا كان حرف النفى « لا » والمنفى فعلا مضارعا .

وكان الطماح قبل ذلك قد عَبِثَ بامرأةٍ من قومه فسعى به فهرب ، فأراد كما سعى به أن يسعى به .

ثم إن امرأ القيس لما بلغ أنقِرة طُعِن فى إبطه وارْفضّ عنه أصحابه ، وكان نزوله إلى جانب جبل ، وإلى جانبه قبر لابنة بعض الملوك ، فسأل عنه فأخبر ، فقال [من الطويل] :

أجَارتَنا إنَّ الخُطوبَ تَنوبُ ... وإنى مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
أجَارتَنا إنّا غَرِيبانِ هٰهُنا ... وكلُّ غَرِيبٍ لِلغرِيبِ نَسِيبُ
فإنْ تَصِلينى تَسعدى بِمَوَدَّتى ... وإنْ تَقْطَعينى فالغَرِيبُ غَرِيبُ

ثم مات هنالك فدفن بأنقرة . وكان آخر ما تكلم به : (١)

رُبَّ طَعنةٍ مُثْعَنْجِرَه ... وَخُطبةٍ مُسحَنْفِرَه
وَجفنةٍ مُدعثَرَه ... وَقصيدَةٍ مُحبَّرَه
تبقَى غَداً بأنْقِرَهْ

(١) اضطربت الروايات فى هذه الأبيات ، فوقعت فى نسخة من الشعر والشعراء لابن قتيبة هكذا :

رب خطبة مسحنفرة ... وطعنة مثعنجره
وجفنة متحيرة ... تدفن غداً بأنقره

ووقعت فى نسخة أخرى منه هكذا :

وطعنة مسحنفره ... وجفنة مثعنجره ... تبقى غداً بأنقرة

وفى الأغاني :

رب خطبة مسحنفره ... وطعنة مثعنجره
وجفنة متحيرة ... حلت بأرض أنقره

وفى لسان العرب (ثعجر) :

رب جفنة مثعنجرة ... وطعنة مسحنفره ... تبقى غداً بأنقره

والمسحنفرة : الواسعة . والمثعنجرة : السائلة المنسكبة ، وأصل المسحنفر والمثعنجر السيل الكثير ، وتقول : اثعنجرت السحابة بقطرها ، واثعنجر المطر يثعنجر اثعنجاراً .

* * *

٢ — * وفَاحِماً وَمَرْسِناً مُسَرَّجا *

شاهد الغرابة

قائله رُؤبة[١] بن العجاج ، وهو من بحر الرجز ، من أرجوزة طويلة أولها :

ما هَاجَ أَشْجاناً وَشجواً قد شجا ... مِنْ طَلَلٍ كالأَتْحَمِيِّ أنهجا[٢]

أمْسى لِعافى الرَّامسات مَدْرَجَا ... واتخذته النَّائِجاتُ مَنأَجا[٣]

مَنازلٌ هَيَّجْنَ مَن تَهيجا ... مِنْ آلِ لَيلى قد عَفونَ حِجَجَا[٤]

والشحطُ قَطَّاعٌ رَجاء مَن رَجا ... أزمانَ أَبْدتْ وَاضِحاً مُفَلَّجا[٥]

أغَرَّ بَرَّاقاً وَطرفاً أبرجَا ... وَمُقْلةً وحاجِباً مُزَجَّجا

و بعده البيت ، و بعده :

* وَكَفَلا وَعْثاً إذا تَرجرجَا *

الفاحم : الأسوَد ، وأراد شعراً فاحما ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مُقامه ، والمرسن — بفتح السين وكسرها — الأنف الذى يُشدُّ بالرسَن ، ثم استعير لأنف الإنسان ، وُمسَرَّجا : مختلَفٌ فى تخريجه ، فقيل : من سَرَّجه تسريجاً بَهَّجه وحَسَّنه ، وقيل : من قولهم « سُيوف سُرَيْجية » منسوبة إلى قَين[٦] يقال له

---

(١) لا توجد هذه الأرجوزة فى ديوان أراجيز رؤبة ، ولا فى زياداته ، وهى فى ديوان أراجيز أبيه العجاج (ص ٧ ليبسج) .

(٢) فى الديوان «ماهاج أحزانا» والأشجان : جمع شجن — بفتح الشين والجيم — وهو الحزن .

(٣) فى أصول هذا الكتاب «أمسى لها فى الرامسات» وفيها « واتخذته النائحات » وما أثبتناه عن الديوان هو الصواب .

(٤) فى الديوان « منازلا » .

(٥) فى أصل الكتاب « والسخط قطاع » وما أثبتناه عن الديوان، وهو أعرف وأشهر .

(٦) القين — بفتح فسكون — الحداد الذى يصنع السيوف .

سُرَيج ، شبه بها الأنف فى الدقة والاستواء ، وقيل : مِن السِّراج وهو قريب من قولهم « سَرِج وجْهُه » بكسر الراء ـ أى حَسُنَ . والزَّجَجُ : دِقَّة الحاجبين. والمعنى : أن لهذه المرأة الموصوفة مُقلة سوداء ، وحاجباً مدققاً مُقوَّسا ، وشعراً أسود ، وأنفاً كالسيف السريجىِّ فى دقته واستوائه ، أو كالسراج فى بريقه وضيائه.

والشاهد فيه : الغرابة فى « مسرّجا » للاختلاف فى تخريجه .

ورؤبة قائل هذا البيت هو[1] أبو محمد (رؤبة) بنُ العَجَّاج ، (والعجاج لَقَبه) واسمه عبد الله (بنُ رؤبة) البصرىّ التميمىّ السعدىّ ، سُمِّى باسم قِطْعة من الخشب يُشْعَبُ بها الإناء ، وهى بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة و بعدها هاء[2] ساكنة ، وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌّ منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مُجيدان (فى رجزهما) وكان رؤبة هذا بصيراً باللغة قيِّماً بحُوشِيِّها[3] وغريبها .

ترجمة رؤبة بن العجاج

حكى يونس بن حبيب النحوىُّ قال : كنت عند أبى عمرو بن العلاء ، فجاء شبيل بن عروة الضبعىّ ، فقام إليه أبو عمرو وألقى له لبد بغلته ، فجلس عليه ، ثم أقبل عليه يحدثه ، فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، يعنى رؤبة ، قال يونس : فلم أملِك نفسى عند ذكره فقلت: لعلك تظن أن مَعَدّ بن عدنان أفصحُ منه ومن أبيه ، أفتَعْرِف أنت ما الرُّوبَةُ والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة والرُّوبة ؟ وأنا غلام رؤبة ، فلم يُحِر جواباً ، وقام مغضباً ، فأقبل علىّ أبو عمرو وقال : هذا رجلٌ شريف يقْصِد مجالسنا و يقضى حقوقنا ، وقد أسأت فيما

---

(١) انظر هذه الترجمة فى ابن خلكان (١ـ٣٣٣) وكل مافيها من زيادة بين علامتين فهو عنه

(٢) وجد فى هامش النسخة المطبوعة فى بلاق مانصه « قوله و بعدها هاء ساكنة ، يعنى وقفا و إلا فهى كتاء مسلمة تعرض لها الحركات الاعرابية » اهـ.

(٣) فى الأصول « بموحشها » وتصويبه عن ابن خلكان .

فعلت مما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة ، فقال أبو عمرو : أوَ سُلِّطتَ على تقويم الناس ؟ ثم فسر يونس ماقاله فقال: الروبة : خميرة اللبن، والروبة : قطعة من الليل ، والروبة : الحاجة ، يقال : فلان مايقوم بروبةِ أهله : أي بما أسندوا إليه من حوائجهم ، والروبة: جِمام ماء الفحل ، والرؤبة بالهمز: القطعة التي يُشعبُ بها الاناء ، والجميع بضم الراء وسكون الواو إلا رؤبة فانه بالهمز .

وقيل ليونس : مَنْ أشعرُ الناس ؟ فقال : العجاجُ ورؤبة، فقيل له : لم نَعنِ الرُّجاز ، قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنما الشعر كلام وأجوده أشعره ، قال العجاج [من الرجز] :

* قَدْ جَبرَ الدينَ الإلهُ فَجَبرْ *

فهي نحوٌ من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت [1] قوافيها كلها لكانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما .

وعن ابن قتيبة قال : كان رؤبة يأكل الفأر ، فعوتب في ذلك ، فقال : هي والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتي تأكل العذرة ، وهل يأكل الفأر إلا نقيَّ البر ولباب الطعام ؟ !

وحدث أبو زيد الأنصاري النحويّ قال : دخل رؤبة بن العجاج السوقَ وعليه بركانيّ [2] أخضر فجعل الصبيان يعبثون به ويغرزون شوك النخل في بركانه ويصيحون به : يا مردوم ، يا مردوم ، فجاء إلى الوالي فقال : أرسل معي الوَزَعَة فإن الصبيان قد حالوا بيني وبين السوق ، فأرسل معه أعواناً ، فشدّ على الصبيان وهو يقول:

---

(١) موقوفة القوافي : أراد به أنها ساكنة حرف الروي الذي بنيت عليه القافية . و «أطلقت» أراد به تحرك حرف رويها . ومن دلائل تمكن الشاعر من لغته أن يجيء بما ذكر يونس عن أرجوزة العجاج في حين أن ذلك غير لازم .

(٢) في نسخة « برنكان » وهو بزنة زعفران ، وكلاهما صحيح ، يقال بركان ، وبركاني ، وبرنكان ، وبرنكاني . وهو الكساء، أو هو الكساء الأسود خاصة .

أنحى عَلَىَ أمّكَ بالمَردوم أعوَرُ جَعْدٌ مِنْ بنى تميم
شَرابُ ألبان خلايا كُوم

قال : فجعلوا يَعْدون بين يديه حتى دخلوا داراً فى الصيارفة، فقال له الشرطى : أين هم ؟ قال : دخلوا دار الظالمين ، فسميت إلى الآن دار الظالمين لقول رؤبة ، وهى فى صيارفة سوق البصرة .

وعن المدائنى قال : قدم البصرة راجز من رُجاز المدينة ، فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجز العرب ، أنا الذى أقول [من الرجز] :

مَروانُ يُعطِى وسَعيدٌ يَمنعُ مَروانُ نَبعٌ وسَعيدٌ خِرْوَعُ

وددت أنى راهنت من أحب فى الرجز يدابيد ، والله والله لأنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بينى و بينه ، قال : والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه ، فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصفك الرجل ، فأقبل عليه العجاج فقال : ها أنا ذا العجاج فهلمّ ، و زحف إليه ، فقال : وأى العَجّاجِين أنت ؟ قال : ماخلتك تعنى غيرى ، أنا أبو عبدالله الطويل ، وكان يكنى بذلك ، فقال له المدنى : ماعنيتك ولا أردتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمى ! قال : أو مافى الدنيا عجاج سواك ؟ قال : ما علمت ، قال : ولكنى أعلم و إياه عنيت ، قال : فهذا ابنى رؤبة ، قال : اللهم غَفْراً ، مابينى و بينكما عمل ، و إنما مرادى غيركما ، قال : فضحك أهل الحلقة ، و كفا عنه .

وعن عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال : أخرج شاهين بن عبد الله الثقفى رؤبة معه إلى أرضه ، فقعدوا يلعبون بالنرد ، فلما أتوا بالخِوَان قال رؤبة فيه :

يا إخوتى جاء الخِوانُ فارفعوا حنّانةً كعابُها تَقَعْقَعُ
لم أدْرِ ما ثلاثُها والأربعُ

قال : فضحكنا و رفعناها وقُدم الطعام .

وكان رؤبة مقيما بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن على

ابن أبي طالب كرم الله وجهه على المنصور ، وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليجتنب الفتنة ، فلما وصل إلى الناحية التى قصدها أدركه أجله بها فتوفى سنة خمس وأربعين ومائة .

وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود ، قال : لقيت الخليل بن أحمد يوما بالبصرة فقال : يا أبا عبد الله دَفَنَّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم ، فقلت له : كيف ذلك ؟ قال : حين انصرفت من جنازة رؤبة بن العجاج ، وكان قد أسن رحمه الله

وقد سمع أباه ، وأبوه سمع أباهريرة رضى الله عنه ، وقال النسائى : وليس هو بالقوى ، وقد روى رؤبة بن العجاج عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر وحادٍ يحدو [من الرجز] :

طافَ الخيالانِ فهاجا سَقَماَ خَيالُ لُبْنَى وَخيالُ تَكْتَماَ
قَامتْ تُرِيكَ خَشيةً أن تَصْرِما ساقاً بَخنْداةً وكَعباً أدْرَمَا

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر .

وحدّث أبو عبيدة الحداد قال : حدثنا رؤبة بن العجاج قال : سمعت أباهريرة رضى الله عنه يقول : السواك يذهب وَضَرَ الطعام ، وهذا الخبر يدل على أنه سمع من أبى هريرة رضى الله عنه ، والله أعلم .

ومن شعره [من الخفيف] :

أيُّها الشامتُ المُعيِّرُ بالشّيب أقِلَّنَّ بالشّبابِ افْتخارَا
قَدْ لَبستُ الشّبابَ غَضًّا طَرِيًّا فَوجدتُ الشّبابَ ثوبا مُعارَا

* * *

شاهد مخالفة القياس

٣ — * الحمد لله العلى الأجْلَلِ *

قائله أبو النجم ، وهو من بحر الرجز ، من أرجوزة طويلة ، وبعده :

الوَاهبِ الفَضلِ الوَهوبِ المُجزِلِ أعْطَى فَلمْ يَبخلْ ولمْ يُبخَّلِ

والشاهد فيه مخالفة القياس اللغوى فى قوله « الأجلل » إذ القياس الأجلّ بالإدغام

ترجمة أبى النجم العجلى

وأبو النجم اسمه [1] الفضل بن قُدَامة بن عبيد الله العجلى ؛ وهو من رجّاز الاسلام والفحول المتقدمين فى الطبقة الأولى منهم .

وفد على هشام بن عبدالملك وقد طعن فى السن فقال : يا أباالنجم ، حدثنى قال: أعَنِّى أو عن غيرى ؟ قال : بل عنك ، قال : إنى لما كبرت عرض لى البول فوضعت عند رجلى شيئا أبول فيه ؛ فقمت من الليل أبول ؛ فخرج منى صوت ؛ فتشددت ؛ ثم عدت ؛ فخرج منى صوت آخر ؛ فأويت إلى فراشى ؛ وقلت : يا أم الخيار ؛ هل سمعت شيئا ؟ قالت : لا والله ولا واحدة منهما . فضحك هشام

وعن أبى عبيدة قال : مازالت الشعراء تقصّر بالرُّجّاز حتى قال أبو النجم:

* الحمد لله العلى الأجلل *

وقال العجاج :

* قد جبر الدين الاٍلهُ فجبر *

وقال رؤبة :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

فانتصفوا منهم .

وعن أبى عمرو الشيبانى قال : قال فتيانٌ من عِجْلٍ لأبى النجم : هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره، وينشد الناس ويجتمع إليه فتيان بنى تميم ، قال : أو تحبون ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فائتونى بشىء من نبيذ ، فأتوه به فشربه ثم انتفض فقال [من الرجز] :

إذَا اصْطبحتُ أرْبعاً عَرفتنى   ثم تجَشّمتُ الذِى جَشّمتنى

---

(١) ترجمة أبى النجم فى الأغانى (٩ ـ ٧٧) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ ـ ٤٩و٤٠٦) وفى الشعراء (٣٨١) وانظر مع ذلك كامل المبرد (٢ـ٧٠) والموشح للمرزبانى (٢١٣) وطبقات الشعراء للجمحى (١٤٩)

فلما رآه رؤبة أعظمه ، وقام له عن مكانه ، وقال : هذا رَجّاز العرب ، وسألوه أن ينشدهم ، فأنشدهم :

* الحمدُ لله العلىِّ الأجلل *

وكان من أحسن الناس إنشادا ، فلما فرغ منها قال له رؤبة : هذه أمّ الرجز. ثم قال : يا أبا النجم ، قرَّبت مرعاها إذجعلتها بين رجل وابنه ، يوهم عليه أنه حيث قال [من الرجز] :

تبَقَّلَتْ مِنْ أوّلِ التَّبقُّلِ بَينَ رِماحَىْ[1] مالكٍ ونَهْشَلِ

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مَنَاةَ ، فقال له أبو النجم : هيهات. الكمر تتشابه : أى إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس ، ونهشل قبيلة من[2] ربيعة.

وعن أبى برزة المربدى قال : خرج العجاج محتفلا عليه جبة من خز ، وعمامة من خز ، على ناقة له قد أجاد رحلها ، حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون عليه ، وأنشدهم :

* قد جَبرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ *

وذكر فيها ربيعة فهجاهم ، فجاء رجل من بنى بكر بن وائل إلى أبى النجم وهو فى بيته فقال : أنت جالس وهذا العجاج يهجونا فى المربد ، قد اجتمع عليه الناس ، فقال : صف لى حاله وزِيّه الذى هو فيه ، فوصف له ، فقال : ابغنِى جملا طحانا قد أكثر عليه من الهِنَاء ، فجاء بالجمل ، فأخذ سراويل له فجعل إحدى

---

(١) فى الأصول « بين أقاحى » وما أثرناه عن الأغانى

(٢) السبب فى ذكر أبى النجم هاتين القبيلتين — نعنى مالكا ونهشلا — أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروبا فى بلادهم ، فتحامى جميعهم الرعى فيما بين فلج والصمان مخافة أن يعروا بشىء ، حتى عفا كلؤه وطال ، فذكر أن بنى عجل جاءت إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف هاتين القبيلتين ، ففخر أبو النجم بذلك

رجليه فى السراويل واتزر بالأخرى ، وركب الجمل ، ودفع خُطامه إلى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد ، فلما دنا من العجاج قال : اخلع خطامه ، فخلعه وأنشد :

* تذكَّر القلبُ وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ، ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه. ورحله بالقطران ، حتى بلغ قوله :

* شيطانه أنثى وشيطانى ذكر *

فعلق الناس هذا البيت ، وهرب العجاج منه .

وورد أبو النجم على هشام بن عبدالملك فى الشعراء ، فقال لهم هشام :صفوا إبلا فقيظوها وأوردوها وأصدروها حتى كأننى أنظر إليها ، فأنشدوه ، وأنشده أبو النجم :

* الحمدُ لِلّهِ العَلِيِّ الأجْلَلِ *

حتى إذا بلغ إلى ذكر الشمس فقال :

* فَهِىَ عَلى الأُفقِ كَعين .... *

فأراد أن يقول « الأحول » ثم ذكر حَوَلَ هشام فلم يتم البيت وأُرتج عليه ، فقال هشام : أجِزْ ، فقال « كعين الأحول » وأمرّ القصيدة ، فأمر هشام بوجْءِ عنقه وإخراجه من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : يا ربيع إياك وأن أرى هذا . فكلم وجوهُ الناس صاحبَ شرطته أن يُقرّه ، ففعل ، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى المساجد ، قال أبوالنجم : ولم يكن بالرصافة أُحد يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبى ، وعمرو بن بسطام التغلبى ، فكنت آتى سليما فأتغدى عنده ، وآتى عمرا فأتعشى عنده ، وآتى المسجد فأبيت ، قال : فاهتم هشام ليلة وأمسى لَقِسَ النفسِ ، وأراد محدثا يحدثه ، فقال لخادم : ابغنى محدثا أعرابيا أهوج شاعرا يروى الشعر ، فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبى النجم فضربه

برجله وقال : قم أجب أمير المؤمنين ، فقال : إننى رجل أعرابى غريب ، فقال : إياك أبغى ، هل تروى الشعر ؟ قال : نعم وأقوله ، فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن أبو النجم بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق ، والشمع بين يديه يزهر ، فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طريدك ، قال : اجلس ، فسأله وقال له : أين كنت تأوى ؟ وأين منزلك ؟ فأخبره ، قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند الآخر ، قال : فأين كنت تبيت ؟ قال : فى المسجد حيث وجدنى رسولك ، قال : وما لك من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لى ، وأما الولد فلى ثلاثُ بنات وَ بُنى يقال له شيبان ، فقال : هل أخرجت من بناتك أحداً ؟ قال : نعم ، زوجت اثنتين و بقيت واحدة تجمزُ فى أبياتنا كأنها نعامة ، قال : وما أوصيت به الأولى ؟ وكانت تسمى برة بالراء ، فقال [من الرجز] :

أوَصيتُ مِنْ بَرَّةَ قَلباً حرّا ... بِالـكَلبِ خَيراً وَالحماةِ شَرّا
لا تَسأَمى ضَرباً لَها وَجَرّا ... حَتى تَرى حُلوَ الحياةِ مُرّا
وَإنْ كَستكِ ذَهباً وَدرّا ... وَالحىُّ عُمّيهمْ بِشرٍّ طرّا

فضحك هشام وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت [من الرجز] :

سُبِّى الحَماةَ وابْهتِى عَليها ... وَإنْ دَنتْ فازْدَلِفى إليْها (١)
وَأوْجِعِى بالنَّهزِ رُكبتيهَا ... وَمِرفقيهَا واضْربِى جَنبيهَا (٢)

---

(١) رواه فى الكامل (٢-٧٠)
* وإن أبت فازدلفى إليها *
(٢) روى فى الكامل
* ثم اقرعى بالود مرفقيها *
والود - بفتح الواو وتشديد الدال - الوتد . وفى الأغانى «وأوجعى بالفهر»

وَظاهرى البدى لها عليها لا تخبرى الدَّهرَ به ابْنتيها [١]

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه ، وقال : ويحك! ما هذه وصية يعقوب عليه السلام وَلدَه ، فقال : ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين، قال : فما قلت للثالثة ؟ قال : قلت [من الرجز] :

أُوصيكِ يا بنتى فانى ذَاهبُ أُوصيكِ أن تَحْمَدكِ الأقاربُ

وَالجارُ والضَّيفُ الكريمُ السَّاغبُ ويَرجعَ المِسكينُ وهوَ خائبُ [٢]

ولاَ تَنى أظفارُكِ السَّلاهبُ لَهن فى وجهِ الحماة كاتبُ

والزَّوجِ إنَّ الزوجَ بئس الصَّاحبُ

قال : فكيف قلت هذا ولم تتزوج ؟ وأى شىء قلت فى تأخر تزويجها ؟ . قال : قلت [من الرجز] :

كأن ظَلاَّمةَ أُخْتَ شَيبانْ يَتيمةٌ ووالداها حَيَّانْ

الرَّأسُ قملٌ كُلُّهُ وصِئْبان ولَيسَ فى السَّاقين إلاَّ خَيطانْ

تِلكَ التى يَفْزَعُ مِنها الشَّيطانْ [٣]

قال : فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه ، وقال للخصى : كم بقى من نفقتك ؟ قال : ثمانمائة دينـار ، قال : أعطه إياها ليجعلها فى رجل ظلامة ؛ مكان الخيطين .

---

(١) روى فى الكامل :

* وجدى الحلف به عليها *

وروى فى الأغانى (٩-٨٠)

* وظاهرى النذر لها عليها *

(٢) فى الأغانى * لايرجع المسكين *

(٣) فى الكامل * تلك التى يذعر منها . *

ودخل أبو النجم يوماً على هشام وقد مضت له سبعون سنة ، فقال له هشام : ما رأيك فى النساء ؟ قال : إنى لأنظر إليهن شزراً ، وينظرن إلى حذرا ، فوهب له جارية ، وقال له : اغدُ على فأخبرنى ما كان منك ، فلما أصبح غدا عليه فقال له : ما صنعت شيئاً ولا قدرت على شيء ، وقلت فى ذلك أبياتا [من الكامل] : [1]

نَظرتْ فأعجبها الذى فى دِرْعِها ... مِن حُسنه ونظرتُ فى سِرْباليا
ضَيْقاً يَعضُّ بكلِّ عَرْدٍ نَالهُ ... كالصدغ أو صدع يرى متجافيا[2]
فرأت لها كَفلاً ينوء بخَصْرها ... وَعْثاً رَوادفُه وأجْثمَ نابيا[3]
ورأيت منتشر العَجانِ مُقلّصاً ... رخْواً مَفاصلهُ وجلداً باليًا
أُدنِى لهُ الرَّكبَ الحليقَ كأنَّما ... أُدنى إليه عقَارباً وأفاعيًا
إن الندامة والسدامة فاعلمن ... لو قد خبرتك للمواسى حاليا[4]
ما بالُ رأسكَ من ورائى طالعا ... أظَننتَ أنَّ حِرَ الفَتاةِ وَرائِيا
فاذهبْ فإنكَ مَيِّتٌ لا تُرتَجَى ... أبَدَ الأبيد وَلو عمرت لَياليًا
أنْتَ الغرورُ إذا خبرت وربَّما ... كان الغرور لمن رجاه شَافيًا
لَكنّ أيْرِى لا يُرجَّى نَفعُه ... حَتَّى أعُودَ أخا فتَاءٍ نَاشيًا

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى .

وحدث أبو الأزهر ابن بنت أبى النجم عن أبى أمه أنه كان عند عبد الملك ابن مروان — ويقال : عند سليمان بن عبد الملك — يوما ، وعنده جماعة من

(١) الأبيات إلا الثاني في الأغانى (٩-٨١)
(٢) كذا ، ولا يستقيم لى معنى لعجز هذا البيت
(٣) فى الأغانى « يميل بخصرها » وفيه « وأجثم جاثيا »
(٤) كذا فى الأغانى ، وفى أصول هذا الكتاب « لو قد خبرتك للموافى »

الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان — أو عبد الملك — تذبُّ عنه ، فقال : من صبحنى بقصيدة يفتخر فيها وصَدَقَ فى فخره وهبته هذه الجارية ، قال : فقاموا على ذلك ، ثم قالوا إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته ، يعنون الرجز ، فقال : ألا لا أقول إلا قصيدا ، فقال من ليلته قصيدته التى فخر فيها ، وهى [من الكامل] : [١] .

* عَلقَ الفؤاد حَبائل الشَّعثاءِ *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

مِنَّا الذِى رَبعَ الجيوشَ لِصُلبِهِ   عِشرونَ وَهْوَ يُعدُّ فى الأحْياءِ [٢]

قال له عبد الملك — أو سليمان — قف ، إن كنت صدقت فى هذا البيت فلا تزد ما وراءه ، فقال الفرزدق : أنا أعرف منهم ستة عشر ، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد رَبَعَ ، فقال عبد الملك — أو سليمان — : ولد ولده هم ولده ، ادفع إليه الجارية يا غلام ، قال : فغلبهم يومئذ .

وحدث الأصمعى قال : قال أبو النجم للعديل بن الفرخ : أرأيت قولك [من الطويل] :

---

(١) انظر ثمانية أبيات من هذه الكلمة سوى البيت الآتي فى الجمحى (١٥٠) وفيه في هذا المطلع :

* علق الهوى بحبائل الشعثاء *

(٢) ربع الجيوش : أراد أخذ ربع الغنائم ، وكان الرؤساء والسادة يأخذون لأنفسهم ربع ما يغنم قومهم فى الحروب ، ويسمونه المرباع ، وقال الشاعر :

لك المرباع منها والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول

يريد أبو النجم أن من قومه من كان سيداً رئيساً ، وفى الجمحى * عدوا كمن ربع الجيوش * يريد أن من قومه من ساد حتى ربع الجيوش وعاش حتى رأى من أولاده عشرين رجلا كلهم سيد ورئيس .

فإن تكُ مِنْ شَيبانَ أُمّي فانَّني لِأَبْيضَ مجليّ عَريض المَفارِق

أكنت شاكا فى نسبك حتى قلت مثل هذا ؟ فقال العديل : أشككت فى نفسك أو فى شعرك حين قلت [من الرجز] :

أنَا أبُوالنَّجم وَشِعرِى شِعرِى لله دَرّى ما يُجنُّ صَدرِى

فأمسك أبو النجم واستحيا ، وكانت وفاته آخر دولة بنى أمية .

* * *

٤ — * كَرِيمُ الجِرِشّى شَرِيفُ النَّسَبْ *

شاهدالكرامة فى السمع

قاله أبو الطيب المتنبي ، من قصيدة من بحر المتقارب ، وكان سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب قد أنفذ إليه كتابا بخطه إلى الكوفة بأمانٍ وسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه القصيدة :

فَهِمتُ الكِتابَ أبَرَّ الكُتبْ فَسمعاً لأمرِ أميرِ العَرَبْ

وطَوعاً له وابتهاجاً بهِ وإن قَصَّرَ الفِعلُ عمّا وَجبْ

ومَا عاقنِى غيرُ خَوفِ الوُشاة فإن الوشاة طريقُ الكذبْ(١)

وَتكثيرُ قَومٍ وتَقليلهم وتَقريبهُم بيننا والخَببْ

وَقَد كانَ ينصرهم سَمعهُ وينصرُنِى قلبهُ والحسبْ

وَمَا قُلتُ للبدر أنتَ اللجَينُ ولا قلتُ للشمس أنتِ الذّهبْ

فَيَقْلقَ مِنهُ البَعيدُ الأناةِ وَيَغضبَ منه البَطِىء الغضبْ

وَما لاقنِى بَعدكمْ بَلدةٌ وَلا اعتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعماىَ رَبْ(٢)

---

(١) فى الديوان « وإن الوشايات طرق الكذب »

(٢) فى الديوان « وما لاقنى بلد بعدكم »

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الجَوَا ... دِ أَنْكَرَ أَظْلافَهُ وَالغَبَبْ
وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلوكِ البِلادِ ... فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ بِمَنْ فِي حَلَبْ
وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ بِاسْمِهِ ... لَكَانَ الحَدِيدَ وَكَانُوا الخَشَبْ
أَفِي الرَّأْيِ يُشْبَهُ أَمْ فِي السَّخا ... ءِ أَمْ فِي الشَّجاعَةِ أَمْ فِي الأَدَبْ؟
مُبارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ ... كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ
أَخُو الحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى ... قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ
إِذَا حَازَ مالاً فَقَدْ حَازَهُ ... فَتًى لَا يُسَرُّ بِمَا لَا يَهَبْ

وهى طويلة

والجرشى بكسر الجيم والراء مقصورا : النَّفْس ، وأشار بقوله «مبارك الاسم» إلى أن اسم الممدوح على ، وهو اسم مبارك يتبرك به ، لمكان على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولأنه مشتق من العلو والعلو مبارك ، ومعنى «أغر اللقب» مشهور لأنه سيف الدولة ، والأغر من الخيل : الذى فى وجهه غُرَّة ، وهى البياض ، استعير لكل واضح معروف

والشاهد فيه كراهة السمع للفظة تكون فى البيت كالجرشى هنا

ترجمة أبى الطيب المتنبي

وأبو الطيب [1] اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى المتنبي الشاعر المشهور .[2] وإنما قيل له « المتنبى » لأنه ادعى النبوة فى بادية السَّماوة ، وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ

---

(١) له ترجمة فى سرح العيون (١٥) وفى يتيمة الدهر (١-٩٠) وفى تاريخ ابن خلكان (١-٦٢) النيل بمصر . وأكثر ما هنا منقول عن ابن خلكان .

(٢) فى ابن خلكان « وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار » اهـ .

أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه ، وحبسه طويلا، ثم استتابه وأطلقه

وكان قد قرأ على البوادى كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عليه فمنه « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفى أخطار ، أمض على سَنَنِكَ واقْفُ أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامعٌ بك زيغ من ألحد فى الدين وضل عن السبيل »

وكان إذا جلس فى مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويجحده

ولما أطلق من السجن التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان ، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ، ومدح كافوراً الأخشيدى ، وأنوجور بن الأخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفى رجلية خفان وفى وسطه سيف ومنطقة ، ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة ، فوجه كافور خلفه عدة رَوَاحل فلم يُلحق ، وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الدَّيْلَمِىَّ ، فأجزل صلته ، ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبى جهل (١) الأسدى فى عدة من أصحابه ، فقاتله ، فقُتل المتنبى وابنه محسّد (٢) وغلامه مُفلح ، بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد ، ويقال: إنه قال شيئا فى عضد الدولة ، فدس عليه من قتله ، لأنه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسْرجة محلاّة وثياب مفتخرة ، ثم دس عليه مَنْ سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال: هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطى طبعاً . فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز عليه قوما من بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا

---

(١) في ابن خلكان « ابن أبى الجهل »

(٢) فى أصول هذا الكتاب «محشد» وهو تصحيف ، ونص ابن خلكان على انه بالسين مهملة

شديداً ثم انهزم ، فقال له غلامه أين قولك [من البسيط] :

الخَيْلُ واللَّيلُ وَالبَيداءُ تَعرفُنِي وَالطَّعنُ والضَّربُ وَالْقرطاسُ والْقَلَمُ

فقال : قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل فقتل .

ويقال: إن الخفراء جاءوه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه، فمنعه الشح والكبر ، فتقدموه فوقع له ماوقع

وكان قتله يوم الأربعاء لست بقين ، وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة

ومولده كان فى سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة فى محلة تسمى كندة ، وليس هو من كندة التى هى قبيلة ، بل هو جُعْفِىّ

وقيل: إن أباه كان سَقَّاء بالكوفة ، وكان يلقب بعَبْدان ثم انتقل إلى الشام بولده ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء فى هجوه فقال [من الخفيف] :

أىُّ فَضلٍ لِشاعرٍ يَطلُبُ الفَضْـ ـلَ مِنَ النَّاسِ بُكرةً وَعشِيَّا

عَاشَ حِيناً يَبيعُ فِى الكُوفةِ المَا ءَ وَحِيناً يَبيعُ ماءَ المُحَيَّا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه ، حسداً له على فضله ، وتمكنه من الملوك ، ومراعاة لتيهه وتكبره ، وممن أفحش فى ذلك ابن حَجَّاج ، فقال جاريا على عادته فى السخف والمجون [من المجتث] :

يَاديمةَ الصفعِ صُبِّى عَلَى قَفَا المُتنبِّى

وَيَاقَفَاهُ تَقَدَّمْ حَتَّى تَصِيرَ بِجَنْبِى

وَأنتَ يَاريحَ بَطْنِى عَلَى سِبالَيْهِ هُبِّى

ويقول فيها :

إنْ كُنت أنتَ نَبيّاً فَالقِردُ لاشكَّ رَبِّى

وقال فيه أيضا من قصيدة [من السريع] :

قُلْ لِى وَطَرْطوزكَ هذَا الّذى في غَايَةِ الحُسنِ شَوَابيرهْ
مَاضرهُ إذْ جاء فَصلُ الشِّتَا لَوْ أنَّ شَعرَ آستِى سمُّوره

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة ، والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل: إن الشيخ أبا على الفارسى قال له يوما : كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى ؟ فقال المتنبي فى الحال : حِجْلَى [1] وظِرْبَى ، قال الشيخ أبو على: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال عَلَّى أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد ، وحسبك من يقول أبو على فى حقه هذه المقالة

وقال أبو الفتح بن جنى : قرأت ديوان المتنبى عليه ، فلما بلغت إلى قوله فى كافور الأخشيدى [من الطويل]:

أَلاَ لَيتَ شِعرى هَلْ أقُولُ قَصيدَةً فَلاَ أشْتكى فِيها وَلاَ أتَعَتَّبُ؟
وَبِى مَايذُودُ الشِّعرَ عَنىِّ أقَلُّهُ وَلـكنَّ قَلبى ياابْنةَ القَوْمِ قُلبُ

قلت له : يعز على كون هذا الشعر فى غير سيف الدولة ، فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع ، ألست القائل فيه [من الطويل] :

أَخا الجُودِ أعطِ النَّاسَ ماأنتَ مالِكٌ ولا تُعطِينَّ النَّاسَ ماأنَا قَائِلُهْ

فهو الذى أعطانى [كافورا] [2] بسوء تدبيره وقلة تمييزه

والناس فى شعره على طبقات : فمنهم من يرجحه على أبى تمام ومَنْ بعده ، ومنهم من يرجح أبا تمام عليه ، ورُزق فى شعره السعادة ، واعتنى العلماء بديوانه

---

(١) حجلى: جمع حجل ، وهو الطائر الذى يسمى القبج ، وظربى : جمع ظربان — على زنة قطران — وهى دويبة منتنة الرائحة
(٢) الزيادة عن ابن خلكان ، وهى لازمة لإكمال المعنى

فشرحوه حتى قيل : إنه وجد له مايزيد على أربعين شرحا

ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى بسند صحيح متصل بيتان، وهما [من الكامل] :

أبِعَين مُفتقرٍ إليكَ نَظَرْتَنِي فأهنتني وقذفتني مِنْ حالِقٍ؟
لستَ الملومَ أنا الملومُ لأنني أنزلتُ آمالي بغير الخالقِ

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبسى[1] بقوله[من الخفيف] :

لا رعَى اللهُ سِربَ هذَا الزَّمان إذ دَهانَا في مِثلِ ذاكَ اللِّسانِ
ما رأى النّاسُ ثانيَ المُتنبي أيُّ ثانٍ يُرَى لبِكْرِ الزَّمانِ
كانَ مِنْ نفسِهِ الكبيرة في جَيْ شٍ وَفي كِبرياءِ ذي سُلطانِ
هوَ في شِعرِه نبيٌّ ولكنْ ظَهرتْ مُعجزاتُه في المَعاني

ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمى صاحب قرطبة وإشبيليه أنشد يوما فى مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة ؛ وهو[من الطويل][2]:

إذَا ظَفِرَتْ مِنكَ العُيونُ بِنظرةٍ أثابَ بها مُعيِي المَطيِّ وَرازِمُهُ

وجعل يردده استحسانا له ، وفى مجلسه أبو محمد عبدالجليل بن وَهْبون الأندلسى ، فأنشد ارتجالا[من الطويل] :

لئنْ جادَ شِعرُ ابنِ الحُسينِ فإنما تُجيدُ العَطايا واللُّها تَفتحُ اللَّهَا

---

(١) الطبسى — بفتح الطاء والباء — نسبة إلى طبس ، وهى مدينة بين نيسابور وأصبهان وكرمان

(٢) هو من قصيدة مدح بها سيف الدولة وهى أول ما أنشده سنة (٣٣٧هـ) وأولها قوله :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا ، والدمع أشفاه ساجمه

تَنبأ عُجبـاً بالقَريض ، ولو درَى بأنَّكَ تَروِى شِعرهُ لَتَألَّهَا

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار فى جعفر بن يحيي [من مجزوء الخفيف] :

لابْنِ يَحيي مآثرٌ بلغت بى إلى السُّها

جادَ شِعرِى بجودهِ واللُّها تَفتحُ اللَّهـا

واللها بالضم : العطايا ، وبالفتح جمع لهاة الحلق .

ورثاه أيضاً محمد بن عبدالله الكاتب النصيبى بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضى قدمه ومريقى دمه ، فمنها [من البسيط] :

قَرتْ عيُونُ الأعادى يومَ مَصرعهِ وطالما سَخنتْ فيه مِنَ الحَسدِ

ومنها :

أبَا شُجاعٍ فتَى الهَيجا وَفَارسها وَمُشتَرِى الشُّكر بالإنفاقِ والصَّفدِ (١)

هـٰذى بَنو أسدٍ جاءت بمُؤيدةٍ صَماء . نائحة هَـدَّت ذُرَى أحُـد

سَطتْ عَلَى المتنبى مِنْ فَوارسِها سَبعونَ جاءته فى مَوْجٍ مِنَ الزَّردِ

حَتَّى أتتْ وَهوَ فى أمْنٍ وفى دَعةٍ يَسيرُ فى سِتةٍ إنْ تُحصَ لم تَزدِ

كَرَّتْ عليه سِراعاً غيرَ وَانيةٍ فَغَـادرته قرينَ التُّرب والثَّأدِ (٢)

منْ بَعدِ ما أعملت فيهم أسنَّتهُ طَعناً يُفرق بَين الرُّوحِ وَالْجسدِ

فَاطلبْ بثأرِ فتى ما زلتَ تَعضُدُهُ للهِ دَركَ مِنْ كَهفٍ وَمِنْ عَضُدِ (٣)

---

(١) الصفد ـ بفتح الصاد والفاء جميعا ـ العطاء

(٢) الثأد : الثرى ، وهو بفتح الثاء والهمزة ، وقد تسكن همزته ، لـكن فى غير هذا البيت لأن الوزن يستدعى المحرك

(٣) عضده يعضده ـ مثل نصره ينصره ـ أى أعانه . وعاضده : مثله

أزْكِ العيُونَ عليهم أيةً سلكوا ... وضَيِّقِ الأرضَ والأقطارَ بالرَّصَدِ(١)

شَرِّدْهمُ بجيُوش لا قِوامَ لهَا ... تأتِى على سَبَدِ الأقوامِ واللَّبَدِ(٢)

ورثاه أيضاً ثابت بن هارون الرَّقِّىّ النصرانى بقصيدة يستثير فيها عضد الدولة على فاتك وبنى أسد ، يقول فى أولها [من الكامل] :

الدهرُ أنكَى والليالى أنْكَدُ ... مِنْ أنْ تعيشَ لأهلهَا يا أحمدُ

قصدَتْكَ لمَّا أن رأتْكَ نفيسها ... بُخلاً بمثلكَ والنَّفائسُ تُقصدُ

ذُقْتَ الكريهةَ بغتةً وفقدتَها ... وكريهُ فقدِكَ فى الورَى لا يفقدُ

قلْ لى إن استطعْتَ الجوابَ فإننى ... صبُّ الفؤادِ إلى خطابِكَ مُكمَدُ

ومنها :

أتركْتَ بعدكَ شاعراً ؟ والله لاَ ... لمْ يَبْقَ بعدكَ فى الزَّمانِ مُقصِّدُ(٣)

أمَّا العلومُ فإنَّها يا رَبَّها ... تبكى عليكَ بأدمعٍ لا تَجمُدُ

يا أيُّها الملكُ المؤيَّدُ ، دعْوَةً ... مِمَّنْ حشَاهُ بالأسى يتوقَّدُ

هذِى بنو أسد بضيفِكَ أوقعَتْ ... وحوَتْ عطاءكَ إذْ حوَاهُ الفرقَدُ

وَلَهُ عليكَ بقصدِهِ ياذَا العُلاَ ... حَقُّ التحرُّمِ والذِّمامُ الأوكَدُ

فارعَ الذِّمامَ وكُنْ لضيفِكَ طالباً ... إنَّ الذِّمامَ عَلَى الكريمِ مؤبَّدُ

وأخبار المتنبى وما جرى له كثيرة ، وسيأتى طرف منها ومن شعره فى أثناء هذا الكتاب .

---

(١) الرصد ــ بفتح الراء والصاد جميعاً ــ القوم يراقبون الشىء كالحرس . الواحد فيه والجمع والمذكر والمؤنث سواء

(٢) العرب يقولون : ليس لفلان سبد ولا لبد ، وهم يريدون أنه ليس له شىء . والسبد : وبر الابل ، واللبد : الصوف .

(٣) مقصد : يريد شاعرا لأن الشاعر يقصد القصائد

شاهد تنافر الـكلمات

٥ — وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ   وَلَيْسَ قُرْبَ قَبرِ حَرْبٍ قَبر

البيت من الرَّجز ، ولا يُعرف قائله ، ويقال : إنه من شعر الجنّ ، قالوه فى حَرْب بن أميَّة بن عبد شَمس لما قتلوه بثأر حيَّةٍ منهم قتلها القفل الذى كان فيه ، ودُفن ببادية بعيدة ، وكانَ حربٌ المذكور مُصافيا لمرْداس السُّلَمِيِّ أبى العباس الصحابى ، فقتلهما الجنّ جميعا ، وهذا شىء قد ذكرته الرواة فى أخبارها ، والعرب فى أشعارها .

مقتل حرب ابن أمية ومرداس السلمى

ذكر أبو عبيدة وأبو عمرو الشيبانىُّ ، أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عُكاظ هو وإخوته مرّ بالقرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له مرداس بن أبى عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فما له ؟ قال : نِعْمَ المزدرَعُ هو ، فهل لك أن تكون شريكى فيه ونُحْرِق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم ، فأضرما النار فى الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهبُها سُمِع من الغيضة أنينٌ وضجيج كثير ، ثم ظهرت منها حيَّاتٌ بيضٌ تطير حتى قطعتها وخرجت منها ، فقال مرداس فى ذلك [من البسيط] :

إنِّى انْتَخَبْتُ لها حَرْباً وإخوَتَهُ   إنِّى بحبلٍ وَثيقِ العَهْدِ دسَّاسُ
إنى أُقوِّمُ قبل الأمرِ حُجَّتَهُ   كيما يقال وَلِىّ الأمرِ مِرْداسُ

قال : فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة [من مجزوء الرجز] :

وَيلٌ لحرْبٍ فارِسَا   مُطاعِناً مُخالسَا
وَيلٌ لحرْبٍ فارسَا   إذْ لبِسُوا القوانسَا
لنَقْتُلَنْ بقتلِهِ   جَحاجِحاً عَنابِسَا

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادّعاها بعد ذلك كُلَيب بن عمرو السلمِىُّ ثم الظَفَرىّ ، فقال فى ذلك عباسُ بن مرداس [من الكامل] :

أَكُلَيبُ مالك كلَّ يوم ظالماً والظُّلمُ أنكدُ وَجْهُه ملعُونُ
عجباً لقوْمكَ يَحسبونك سيِّداً وَإخالُ أنك سيِّد مغيُونُ[(١)]
فإذا رَجعتَ إلى نسائكَ فادَّهنْ إنَّ المسلمَ رَأسُه مدهونُ
وَافعلْ بقومكَ ما أراد بوائلٍ يومَ الغدير سَميُّكَ المطعونُ[(٢)]
وَإخالُ أنك سَوف تلقى مثلها في جانبيكَ سِنانُها المسنونُ
إنَّ القرِّيةَ قد تبيَّنَ أمرُها إنْ كان ينفعُ عندكَ التبْيِينُ
حِينَ انْطلقتَ تَخُطُّها لي ظَالماً وَأبو يَزِيدَ بِجُوِّهَا مَدفونُ

وقد روى البيتُ بلفظ.

* ومَا بقُربِ قبرِ حَربٍ قبْرُ *

ويقال: إنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات فلا يتتعتع.

و « قرب » وقع خبراً لليس وكان من حقه أن يقول « قرب قبره » فأتى بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع.

والشاهد فيه: التنافر، لما في هذه الألفاظ من ثقل النطق بها، ولذلك هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين إلى الادغام، لانتقال اللسان فيه إليهما انتقالةً واحدةً، وشبَّهوا النطق بالمتقاربين بمشي المقيد.

* * *

من شواهد التنافر

٦ — * كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى *

قائله أبو تمام الطائي، وتمامه:

* مَعِي وَإذا مَالمتهُ لُمتُهُ وَحدِي *

---

(١) في الأصول «مغبون» وفي هذه الكلمة روايتان إحداهما «معيون» أي مصاب بالعين، والثانية « مغيون »

(٢) أراد بسميه: كليب وائل الذي قتله جساس بن مرة، وبسببه قامت حرب البسوس

وهو من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا الغيث موسى بن إبراهيم ويعتذر إليه، وأولها:

شهدتُ لقد أقوتْ معالمكم بعدي ... ومحتْ كما محتْ وشائعُ من بُرد[1]

وأنجدتمُ من بعد إتهام داركم ... فيا دمعُ أنجدْني على ساكني نجدِ

لعمري لقد أخلقتمُ جدّةَ البكا ... بكاءً وجدّدتم على بلى الوجدِ[2]

إلى أن قال في مديحها:

أتاني مع الرُّكبان ظنٌّ ظننتهُ ... نكستُ له رأسي حياءً من المجدِ[3]

لقد نكب الغدرُ الوفاء بساحتي ... إذاً وسرحتُ الذمَّ في مسرح الحمدِ

وهتّكتُ بالقول الخنا حُرمةَ العلا ... وأسلكتُ حرّ الشعر في مسلك العبدِ

نسيتُ إذاً كم من يدٍ لك شاكلتْ ... يدَ القرب أعدتْ مستهاماً على البعدِ

ومنْ زمنٍ ألبستنيهِ كأنهُ ... إذا ذُكرتْ أيامه زمنُ الوردِ

وإنك أحكمتَ الذي بينَ فكرتي ... وبينَ القوافي منْ ذمامٍ ومنْ عهدِ

وأصلتَّ شعري فاعتلى رونقَ الضحى ... ولولاكَ لم يظهرْ زماناً منَ الغمدِ[4]

وكيفَ وما أخللتُ بعدكَ بالحجا ... وأنتَ فلم تُخللْ بمكرمةٍ بعدي[5]

أسَربلُ هُجرَ القولِ مَنْ لوْ هجوتهُ ... إذاً لهجاني عنهُ معروفهُ عندي

---

(١) في الديوان « مغانيكم بعدى » وأقوت: أقفرت، ومحت: انمحت وطمست معالمها. والوشائع: ماالتف من الغزل

(٢) في الديوان « على وجدتم به خلق الوجد »

(٣) في الديوان « لففت له رأسي »

(٤) أصلت: أراد أظهرت وشهرت، وأصله إخراج السيف من غمده، والغمد: قراب السيف

(٥) في الديوان « فكيف »

4

وبعده البيت ، وبعده :

ولوْ لم يَزعنِي عنكَ غيرُكَ وَازعٌ لأعديتني بالحلم ، إنَّ العُلا تُعدِي[1]

ومعنى البيت : هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه فيمدحونه لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه إلى ، ولا أمدحه بشيء إلا صدقني الناس فيه ، أو أن الناس وافقوني على وجود مايوجب المدح للانسان من صفات الكمال فيه ، وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه ، لعدم وجود المقتضى له فيه .

وفي معناه قول الآخرَ [من الكامل] :

وَإذَا شكوتك لم أجد لى مُسعداً وَرُميتُ فيما قُلتُ بالبهتانِ[2]

وقد ناقضَ هذا المعنى ابن أبي طاهر بقوله [من السريع] :

يَشركُني العالم في ذَمِّهِ لَـكنني أمدحهُ وَحدِي

وطاهر العتابى المعروف بالمعتمد البغدادى بقوله [من الطويل] :

مَدَحتهمُ وَحدِي فلمّا هَجوتهمْ هَجوتهمُ وَالناسُ كلهمُ معِي

والشاهد فيه التنافر أيضا ؛ لما في قوله « أمدحه » من الثقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء ، لأن المخارج كلما قربت كانت الألفاظ مكدودة قلقة غير مستقرة في أماكنها ، وإذا بعدت كانت بعكس الأول ، ولهذا لم يوجد في كلام العرب العين مع الغين ، ولا مع الحاء ، ولا مع الخاء ، ولا الطاء مع التاء ، حذراً مما مر . وأيضاً فيه ثقل من جهة التكرار في « أمدحه » و « لمته » .

ومن قبيح التكرار قول الشاعر [من السريع] :

وَازورَّ مَنْ كان لهُ زائراً وَعاف عافى العُرْفِ عرْفانهُ

---

(١) في الديوان « ولو لم يزعنى عنك للحلم وازع » .

(٢) مسعدا : معينا يوافقنى ؛ والبهتان : الكذب ؛ أو أبشعه .

ترجمة أبي تمام

وأبو تمام[١] اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن يحيى ابن مروان ، ينتهى إلى طيء . قال أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى[٢] : والذى عند أكثر الناس فى نسب أبى تمام أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور ، من أعمال دمشق[٣] يقال له تدوس العطار ، فجعلوه أوسا ، وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين ، ونشأ بمصر ، وقيل : إنه كان يسقى الماء بالجرة فى جامع مصر ، وقيل : كان يخدم حائكا و يعمل عنده ، ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار واحدَ عصره فى ديباجة لفظه ، وفصاحة شعره[٤] وحسن أسلوبه ، وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل : إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ، وله كتاب الحماسة الذى دلّ على غزارة فضله ، وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء ، جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، ومَدَحَ الخلفاء وأخذ جوائزهم .

وكان فى لسانه حُبسة وفى ذلك يقول ابن المعذَّل[٥] أو أبو العميثل [من مجزوء الرمل] :

---

(١) قف على ترجمة أبى تمام فى الأغانى (١٥ - ٩٩ - ١٠٨) وفى ابن خلكان (١ - ٢١٤ - ٢١٨) وفى الخزانة (١ - ١٧٢) .

(٢) وقع فى المطبوعتين « الأموى » تحريفا ، والحديث عن ابن خلكان عن الآمدى صاحب الموازنة بين أبى تمام والبحترى .

(٣) فى الأغانى « مولده ومنشؤه بناحية فيج بقرية منها يقال لها جاسم » .

(٤) أحسبه « ونصاعة شعره »

(٥) فى المطبوعتين « ابن المعدل » تحريفا ، وابن المعذل — بالذال المعجمة — هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة (له ترجمه فى الأغانى) وقد نسب البيتين فى أخبار أبى تمام (٢٤١) إلى مخلد .

يا نبيَّ الله في الشِّعرِ وَيا عيسى ابن مريَمْ
أنْتَ منْ أشعرِ خلْقِ الله ما لمْ تتكلَّمْ

شواهد للهجاء في معرض المدح

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء في معرض المدح ، ومن مليح ما جاء فيه قول ابن سناء الملك في قوّاد [من السريع] :

لي صاحبٌ أفْديه من صاحبٍ حلوِ التّأتِّي حسنِ الاحتيَالِ
لو شاء منْ رقَّةِ ألفاظهِ ألَّفَ ما بين الهدَى والضلالِ
يكْفيكَ منهُ أنَّه رُبما قادَ إلَى المهجورِ طيْفَ الخيَالِ

ومنه قول ابن أبي الاصبع يهجو فقيهاً ذا أبنة [من السريع] :

ابنُ فُلانٍ أكرمُ النَّاس لاَ يَمنعُ ذَا الحاجةِ منْ فلْسهِ
وَهوَ فقيهٌ ذُو اجتهادٍ وَقدْ نَصَّ على التَّقليدِ في دَرسهِ
يستحسنُ البحْثَ على وَجهِهِ وَيوجبُ الْفعلَ على نفسهِ

ووفد أبو تمام إلى البصرة وبها عبد الصمد بن المعذل الشاعر ، فلما سمع بوصوله ، وكان في جماعة من أتباعه وغلمانه ، خاف من قدومه أن يميل الناسُ إليه ويعرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد [من الخفيف] :

أنتَ بيْنَ اثنتيْنِ تبْرز للنَّا سِ وتلقاهُم بوجهٍ مُذَالِ
لَستَ تنفكُّ راجياً لوصَالٍ منْ حَبيبٍ أو راغباً في نَوال
أيُّ ماءٍ يَبقَى لوَجهكَ هذَا بَعدَ ذلِّ الهوَى وذلِّ السؤَّالِ [1]

فلما وقف على الأبيات أعرض عن مقصده ورجع وقال : قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه .

وقد تبعه الأمير مجير الدين بن تميم بقوله [من الخفيف] :

(١) في الأصول وابن خلكان * بين ذل الهوى وذل السؤال * وأراه مصحفا عما أثبتناه عن أخبار أبي تمام .

أنتَ بين اثنتَين يا نَجلَ يعقو ... بَ وكِلتاهماَ مَقرُّ السِّيادهْ
لَستَ تنفكُّ را كباً أيْرَ عبدٍ ... مُسبطِرًّا أو حاملاً خُفَّ غادهْ
أىُّ ماءٍ لحرِّ وَجهكَ يَبقى ... بَينَ ذلِّ البغَا وَذل القيادهْ

ولما أنشد أبو تمام أبادلف العجلى قصيدته البائية التى أولها [من الطويل][1] :

عَلَى مِثلهَا مِنْ أرْبُعٍ وَملاعبِ ... أُذيلتْ مَصوناتُ الدُّموعِ السَّواكبِ

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : والله إنها لدون شعرك ، ثم قال : والله مامثل هذا القول فى الحُسن إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسى ، فقال أبو تمام : وأى ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التى أولها[2] [من الطويل] :

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ ... وليس لعينٍ لم يَفضْ ماؤُها عذرُ[3]

وددت والله أنها لك فىَّ ، فقال : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدَّم قبله ، فقال : إنه لم يمت من رثى بهذا الشعر .

وحدَّث الرِّياشى قال : كان خالد الكاتب مغرماً بالغلمان المرد ينفق عليهم كل مايفيد ، فهوِىَ غلاما يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام الطائى يهواه أيضاً ، فقال فيه خالد [من مخلع البسيط] :

قَضيبُ بَانٍ جَناهُ وَرْدُ ... يحمله وَجنَةٌ وَخَدُّ
أثْنِ طَرْفى إلَيهِ إلاَّ ... مَاتَ عَزَاءٌ وَعَاشَ وَجْدُ
مُلِّكَ طَوْعَ النفوسِ حتى ... عَلَمه الزَّهوَ حين يَبْدو
فاجتمع الصدُّ فِيه حتى ... ليس لخلقٍ سواهُ صدُّ

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتا منها قوله [من السريع] :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٠) .

(٢) اقرأها فى الديوان (٣٦٨) .

(٣) وقع فى المطبوعتين « لذا » والقصيدة أشهر من قفا نبك ، وما أثبتناه عن الديوان وعن ابن خلكان الذى أخذ عنه المؤلف أكثر هذه الترجمة .

شعرُكَ هذا كله مُفرِطٌ في بَردِهِ ياخالدُ البارِدُ

فعلقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به : ياخالد يابارد ، حتى وسوس ، وقد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه [من البسيط]:

يامعشر المرْدِ إني ناصحٌ لَكمُ والمرءُ في القول بين الصدق والكذبِ
لاَينكحنَّ حبيباً منكم أحدٌ فداء وَجعْائِه أعدى من الجرَبِ
لاتأمَنوا أن تحولوا بعدَ ثالثةٍ فتركبوا عمُداً لَيستْ من الخَشبِ

بديهة أبي تمام

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التي أولها [من الطويل]:

* أهُنَّ عوادي يوسف وصوَاحبه *

أنكر عليه أبو العميثل وقال له : لم لاتقول مايفْهم ؟ فقال له : لم لاتَفْهم مايقال ؟ فاستحسن منه هذا الجواب على البديهة

وذكر الصولي أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة[1] سينية فلما انتهى إلى قوله فيها [من الكامل]:

إقْدَامُ عمْرٍو في سماحةِ حاتِمٍ في حِلم أحْنفَ في ذكَاءِ إياسِ

قال له الكنديُّ الفيلسوف وكان حاضراً : الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق قليلا ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تُنكروا ضربي له مَنْ دونه مثَلا شَروداً في الندى وَالباسِ
فاللهُ قد ضَرب الأقلَّ لنوره مثلاً مِنَ المِشكاةِ والنِّبراسِ

فعجبوا من سرعة فطنته .

وما ذكر — من أنه أنشد القصيدة للخليفة ، وأن الوزير قال : أيّ شيء طلبه فأعطه فإنه لايعيش أكثر من أربعين يوما لأنه قد ظهر في عينيه الدم من

(١) اقرأها في الديوان (١٧٢).

شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر ، فقال له الخليفة: ما تشتهي؟ فقال : أريد الموصل ، فأعطاه إياها ، فتوجه إليها و بقي هذه المدة ومات — فشيء لا صحة له أصلا ، والصحيح ما ذكرناه ، وأن الحسن بن وهب اعتنى به وولاه بريد الموصل ، فأقام بها أقل من سنتين وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل : ثمان وعشرين ، وقيل : اثنتين وثلاثين ، و بنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة ، خارج باب الميدان على حافة الخندق .

رثاء ابن الزيات لأبي تمام

ورثاه الوزير محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم بقوله ، وهو يومئذ وزير ، وقيل : إنها لأبي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب ، مولى بني أمية [من الكامل] :

نَبأٌ أَتَى من أعظمِ الأنباءِ لمَّا ألمَّ مُقلقِلُ الأحشاءِ
قالوا حَبيبٌ قد ثوى فأجبتُهم ناشدْتُكم لا تجعلوهُ الطائي

وحكى ابن عدلان الموصليّ النحويّ المترجم قال : سألت ابن عنين عن معنى قوله [من الطويل] :

سَقَى اللهُ دوحَ الغُوطتَيْنِ ولا ارتَوت من المَوصلِ الجَدْباءِ إلا قُبورها(١)

ولم حرمها وخص القبور ؟ قال : لأجل أبي تمام .

من محكم شعر أبي تمام

ومن محكم شعره قوله من قصيدة (٢) [من الكامل] :

أَخَرِستَ إذ عايَنتني حتَّى إذا ماغِبتَ عَنْ بصري ظللْتَ تَشدَّقَ
عَيرٌ رَأى أسَدَ العَرينِ فَهالهُ حتَّى إذا وَلَّى تولَّى يَنهقُ

(١) هذا البيت من قصيدة لابن عنين مدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب . وأول هذه القصيدة قوله :

أشاقك من عليا دمشق قصورها وولدان أرض النيرين وحورها

وقد وقع في المطبوعتين « من الموصل الحدباء » محرفا .

(٢) القصيدة في هجاء عتبة بن أبي عاصم (الديوان ٤٩٩) وقد أسقط ناشره بعض أبيات منها . والذي رواه المؤلف هنا أبيات غير متصل بعضها ببعض

هَيْهاتَ غَالكَ أن تَنالَ مآثِرِى ... إستٌ بهَا سَعَةٌ وَباعٌ ضَيِّقُ

قُلْ مابدا لَكَ يا ابْنَ برما فالصَّدَى ... بِمُهَذَّبِ العقيانِ لا يتعلَّقُ

أنعشتَ حتَّى عِبْتَهُمْ ؟ قُلْ لى مَتَى ... فَرْزَنْتَ سُرْعةَ ماأرى يا بَيْدَق[1]

إياكَ يَعنِى القائِلُونَ بِقولهِمْ ... إنَّ الشَّقِى بِكلِّ حَبْلٍ يخْنَقُ

فلتعلمنَّ حَرِيمَ مَنْ وَإهَابَ مَنْ ... وَقَدِيمَ مَنْ وَحَدِيثَ مَنْ يتمزَّقُ

وقوله من قصيدة أخرى [من الكامل] :

أعْوامُ وَصل كادَ يُنسِى طيبَهَا ... ذِكرُ النَّوَى فكأنها أيامُ

ثُمَّ انبَرَتْ أيامُ هَجرٍ أردفَتْ ... نَحوى أسًى فكأنها أعوامُ

ثم انقضتْ تِلكَ السِّنونَ وأهلُها ... فكأنها وكأنَّهُمْ أحلامُ

وقد اختصر معنى هذه الأبيات المتنبى فى قوله [من الخفيف] :

قصُرَتْ مدةُ الليالى المواضى ... فأطالَتْ بِها الليالى البَوَاقِى

ولابن الفارض رحمه الله هذا المعنى بعينه مع الاختصار المعجز وهو [من البسيط]:

أعوامُ إقباله كاليوم فى قِصَر ... ويومُ إعراضِه فى الطول كالحِجَج

وديوانُ نظمه مشهور ، وقد نثرت من لآلئه فى أثناء هذا المؤلف مافيه غنى إن شاء الله تعالى .

* * *

شاهد التعقيد اللفظى

٧ — وَمَا مِثْلُهُ فى النَّاسِ إلاَّ مُمَلَّكاً * أبُو أُمِّهِ حَىٌّ أبُوهُ يُقَارِبُهْ

البيت للفرزدق ، من قصيدة من الطويل يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان .

والشاهد فيه التعقيد ، وهو : أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد

(١) فى الديوان « أفعشت حتى عبتهم » وفيه « ساعة ما أرى »

إما لخلل فى نظم الكلام فلا يتوصل منه إلى معناه ، أو لانتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهراً ، والأول هو الشاهد فى البيت

والمعنى فيه : وما مثله يعنى الممدوح ، فى الناس حىٌّ يقاربه ، أى أحد يشبهه فى الفضائل ، إلا مملكا ، يعنى هشاماً ، أبو أمه أى أبو أمّ هشام أبوه ، أى أبو الممدوح فالضمير فى أمه للملك ، وفى أبوه للممدوح ، ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبره ، بأجنبىّ وهو حىٌّ ، وكذا فصل بين حىّ و يقاربه وهو نعته بأجنبىّ وهو أبوه ، وقدَّم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما تراه فى غاية التعقيد ، وكان من حق الناظم أن يقول : وما مثله فى الناس أحد يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه

شواهد أخرى للتعقيد

ومن التعقيد قول الفرزق أيضاً [من الطويل] :

إلى مَلِكٍ ما أُمُّه مِن مُحارب أَبُوه وَلا كانَتْ كُلَيْبٌ تُصاهِرُهْ

أى : إلى ملك أبوه ما أمه من مُحارب أى ما أمُّه منهم

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

فَما مِنْ فَتًى كُنا مِنَ النَّاسِ وَاحداً بهِ نَبتغى مِنْهُمْ عَدِيلاً نُبادلُهُ

أى : فما من فتى من الناس كنا نبتغى واحداً منهم عديلا نبادله به .

وقول الآخر [من الطويل] :

وما كُنتُ أخشَى الدَّهرَ إحلاسَ مُسلماً مِنَ الناسِ ديناً جاءهُ وهومُسلم(١)

أى : وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم مسلما من الناس دينا جاءه وهو ، أى جاءه معا .

---

(١) فى الأصول « إحلاس مسلم » وهو لا يتفق مع ما ذكره فى بيان معناه و « مسلم » فى آخر البيت مخفوض بإضافة إحلاس إليه ، والكلام ينتهى عند « وهو » .

ومثله قول أبي تمام [من الكامل] :

كاثْنينِ فى كَبِدِ السماءِ ولم يَكُنْ كاثْنينِ ثانٍ إذ هما فى الغَارِ

ترجمة الفرزدق

والفَرَزْدَق رحمه الله اسمه [١] همام بن غالب بن صعصعة التميمى ، أبو فراس صاحب جرير ، وكان أبوه غالبٌ من جِلَّةِ قومه ومن سَرَاتِهم ، وكنيته أبو الأخطل ، لولد كان له اسمه الأخطل ، وهو شاعر أيضاً ، ووهم بعضهم فيه فظنه الأخطل التغلبى النصرانى ، وجعله أخا للفرزدق ، وهذا من أعجب العجب ، إذ الفرزدق مسلم وأبوه وجده صعصعة صحابى رضى الله تعالى عنه ، فكيف يُتصور أن يكون الأخطل النصرانى أخا له ، وصعصعة رضى الله عنه له صحبة لكنه لم يهاجر ، وهو الذى أحيا الوئيدة ، وبه افتخر الفرزدق فى قوله [من المتقارب]:

وجَدِّى الَّذِى مَنَعَ الوَائداتِ فأحيا الوئيدَ فلم تُوأدِ [٢]

قيل : إنه رضى الله عنه أحيا ألف موءودة وحمل على ألف فرس .

وأم الفرزدق ليلى بنت حابس [٣] أخت الأقرع بن حابس رضى الله عنه !

روى الفرزدق رحمه الله عن على بن أبى طالب ، وأبى هريرة ، والحسين ،

---

(١) تجد ترجمة الفرزدق فى الأغانى (٨ – ١٨٦ – ١٩٧) وفيه أيضا (١٩ – ٢ – ٥٣) . وفى ابن خلكان (٣ – ١٣٦ – ١٤٦) . وفى ابن قتيبة (٢٨٩ – ٣٠١) .

(٢) فى المطبوعتين « ولم يوئد » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن الأغانى وعن ابن خلكان .

(٣) كذا ، والصواب أن أم الفرزدق لبنة بنت قرظة الضبية ، نص عليه أبو الفرج فى الأغانى (١٩ – ٢) وقال ابن قتيبة (٢٩٦) : « وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبي ، وكان شاعرا » وأما ليلى بنت حابس فهى أم غالب أبى الفرزدق . نص عليه أبو الفرج وابن خلكان الذى أخذ عنه المؤلف أكثر ما فى هذه الترجمة ، وكذلك نص عليه ابن قتيبة .

وابن عمر ، وأبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهم أجمعين! .

ووفد على الوليد وسليمان ابنى عبدالملك ومدحهما . قال ابن النجار : ولم أر له وفادة على عبدالملك بن مروان ، وقال الكلبي رضى الله عنه : وفد على معاوية ، ولم يصح . روى معاوية بن عبدالكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق فتحرك فاذا فى رجليه قيد ، قلت : ما هذا يا أبا فراس ؟ قال : حلفت أن لا أخرجه من رجلى حتى أحفظ القرآن . وكان كثير التعظيم لقبر أبيه ، فما جاءه أحد واستجار به إلا قام معه وساعده على بلوغ غرضه .

وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفى جرير فى المفاضلة بينهما ، والأكثرون على أن جريراً أشعرُ منه ، وقد أنصف الاصفهانى فقال : أما من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدة أسْرِهِ فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح الغزَل فيقدم جريراً .

وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها [من الوافر] :

وكُنتَ إذا نَزَلتَ بدار قوم　　رحَلْتَ بخَزْيَةٍ وتَركتَ عارا

فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة ، وجرى له معها قصة يطول شرحها ، وملخص الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن كانت أضافته وأحسنت إليه ، فامتنعت عليه ، و بلغ الخبرُ عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو يومئذ والى المدينة المنورة ، فأمر بإخراجه منها ، فأركب على ناقة ليُنفى ، فقال: قاتل الله ابن المراغة - يعنى جريراً - كأنه شاهد هذا الحال حين قال ، وذكر البيت السابق .

ومن شعره لما كان فى المدينة المنورة [من الطويل] :

هُمَا دلَّتانى مِنْ ثمانين قامةً　　كما انْقَضَّ بازٍ أقتم الرِّيش كاسرُه

فلما استوَت رِجلاىَ فى الأرض قالتا　　أحَىٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نحاذره

فقُلتُ ارفعوا الأسْبابَ لا يَشعُروا بنا　　وأقْبلتُ فى أعجاز ليلٍ أبادرُه

أحاذر بوّابَيْنِ قد وكّلا بنا وأسْوَدَ مِن ساجٍ تَصر مسامره(١)

فقال جرير لما بلغه ذلك [من الطويل] :

لقد وَلدَتْ أمُّ الفَرَزدقِ فاجراً فجاءت بوَزْوَازٍ(٢) قصير القوادمِ

يُوصِّلُ حبْلَيهِ إذا جَنَّ ليلُهُ ليرْقى إلى جارَاته بالسلَالمِ

تدلّيتَ تَزْنِي منْ ثمانين قامةً وَقصّرْت عن باعِ العُلاوالمكارمِ

هُو الرِّجسُ ياأهلَ المدينة فاحذرُوا مداخلَ رجسٍ بالخبيثاتِ عالمِ

لقدْ كانَ إخراجُ الفَرَزدق عنكمُ طَهوراً لما بين المصلَّى وَوَاقمِ

فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها [من الطويل] :

وَإنَّ حراماً أن أسبَّ مقاعساً بآبائَ الشُّم الكِرام الخَضارمِ

وَلكنّ نَصفاً لو سببْتُ وسبّنى بنُوعبدِ شمسٍ منمنافٍ وَهاشمِ

أُولئك آبائى فجِئنى بمثلهمْ وأعتدُّ أن أهجو كُليباً بِدَارمِ

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الأول جاؤا إلى مروان بن الحكم وهو والى المدينة من قِبل معاوية ، فقالوا : مايصلُح هذا الشعر بينأزواج رسول الله صلىالله عليه وسلم ، وقد أوْجب علىنفسه الحدّ ! فقال مروان : لست أَحُدّه ولكن أكتب إلى من يحدّه ، وأمره بأن يخرج من المدينة ، وأجّله ثلاثة أيام لذلك ، فقال الفرزدق [من الوافر]:

توَعّدنِى وأجّلنى ثلاثاً كما وُعِدَتْ لمُهلكِها ثمودُ

---

(١) هكذا ورد هذا البيت فى أصول هذا الكتاب وفى ابن خلكان . وقد ورد فى الأغانى هكذا :

أحاذر بوابين لايشعروا بنا وأحمر من ساج تلوح مسامره

(٢) الوزواز : الرجل الخفيف الطياش . ووقع فى ابن خلكان « بوزاز » وهى تؤدى معنى حسنا .

ثم كتب مروان إلى عامله كتاباً يأمره أن يحدّه ويسجنه ، وأوهمه أنه كتب له بجائزة ، ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجَّه سفيراً وقال للفرزدق : إني قد قلت شعراً فاسمعه [من الكامل] :

قُلْ للفرزدق والسَّفَاهةُ كاسْمِهَا ... إنْ كُنتَ تَارِكَ ما أمرْتك فاجلس [1]

وَدَعِ المدينةَ إنها مَرهوبة ... واقصدْ لِمكَّةَ أوْ لبيتِ المقدسِ

وَإنِ اجْتَنيْتَ من الأمورِ عظيمةً ... فخذنْ لِنفسك بالعظيم الأكْيسِ

فلما وقف الفرزدق عليها فطن لما أراد مروان فرمى الصحيفة وقال :

يا مَرْوُ إنَّ مَطيّتِي محبوسَةٌ ... تَرجو الحِباء وَرَبُّها لم ييأسِ

وَحبوتني بِصحيفةٍ مَختُومةٍ ... يُخشى عليَّ بها حِباء النقرسِ

ألقِ الصحيفةَ يافَرزدقُ لاتكنْ ... نكداءَ مِثلَ صَحيفةِ المُتلمِّسِ [2]

وأتى سعيد بن العاص الأموى ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل واحد بمائة دينار وراحلة ، وتوجه إلى البصرة ، فقيل لمروان : أخطأت فيما فعلت ، فانك عرضت عرضك

---

(١) اجلس : ائت الجلساء ، وهى بلاد نجد .

(٢) صحيفة المتلمس : مضرب المثل ، وكان الملك عمرو بن هند قد أوهم المتلمس — واسمه جرير بن عبد المسيح — وطرفة بن العبد البكرى أنه أمر لهما بحباء وعطية ، وكتب لكل واحد منهما كتابا إلى عامله يأمره بقتله إذا ورد عليه ، أما المتلمس فأقرأ صبياً كتابه فعلم ما فيه ، فرمى به فى اليم ، والتمس النجاء ، وأما طرفة فمضى لطيته حتى إذا ورد على عامل الملك ، أخذه فقتله ، وفى قذف المتلمس صحيفته يقال ذلك الشعر المشهور :

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

واقرأ ترجمة المتلمس فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٨٥) واقرأ ترجمة طرفة بن العبد فيه أيضا تالية لترجمة المتلمس .

لشاعر مضر ، فوجه إليه رسولا ومعه مائة دينار ، وأرحله[1] خوفا من هجائه .

ونزل يوما فى بنى منقر والحى خلوف ، فجاءت أفعى فدخلت مع جارية فراشها ، فصاحت ، فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ، ثم ضم الجارية إليه فزبرته ونحته عنها فقال [من الطويل] :

وأهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّةِ أنها ... شَديدٌ ببَطنِ الحنظلىّ لُصُوقها

رأت مِنقراً سوداً قِصاراً وأبْصرَت ... فَتى دارِمِيًّا كالهلالِ يَرُوقُها

وما أنا هجْتُ المِنقريةَ للصِّبا ... ولكنها استَعصتْ علىَّ عُرُوقُها

فلما هجاها استعدتْ عليه زياداً فهرب إلى مكة المشرفة ، فأظهر زياد أنه لو أتاه لحباه فقال الفرزدق [من الطويل] :

دَعانِى زِيادٌ لِلعطاء ولم أكن ... لِأقربَهُ ما ساقَ ذُو حَسبٍ وَفْرَا

وَعندَ زِيادٍ لو يُرِيدُ عَطاءَهمْ ... رِجالٌ كَثيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمُ فَقْرَا

وَإِنِّى لأخشى أنْ يَكون عَطاؤه ... إذا هَمَّ سُوداً أو مُحدرجةً سُمرَا

قال ابن قتيبة : سوداً يعنى السياط ، والمحدرجة: القيود ، وهذه الجارية يقال لها ظمياء ، وهى عمة اللعين الشاعر المنقرى .

ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهاب فى بركة يتبردون فيها ، ومعهم ابن أبى علقمة الماجن ، فجعل يتفلت إلى الفرزدق ويقول : دعونى أنكحه فلا يهجونا أبداً ، وكان الفرزدق من أجبن الناس ، فجعل يستغيث ويقول : لا يمس جلده جلدى ، فيبلغ ذلك جريرا فيوجب علىّ أنه قد كان منه إلىّ الذى يقول ، فلم يزل يناشدهم حتى كفُّوه عنه .

وركب يوما بغلته ومر بنسوة ، فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضُراطا ، فضحكن منه فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن فما حملتنى أنثى إلا ضرطت ، فقالت إحداهن : ما حملك أكثر من أمك ، فأراها قد قاست منك ضراطا عظيما ، فحرك بغلته وهرب .

(١) فى نسخة « وراحلة »

ويقال : إنه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلَّم عليهم ، فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول [من الوافر] :

مَررتُ بهم على سكك البريدِ فما ردَّ السَّلامَ شيوخُ قَوْمٍ

قطيفة أرجُوَانٍ في القعودِ وَلاَ سِيَّمَا الذِى كَانتْ عَلَيهِ

وقال: ما أعياني جوابٌ قط إلا جواب دهقان مرّة ، قال لى : أنت الفرزدق الشاعر ؟ قلت : نعم ، قال : إن هجوتنى تخرب ضيعتى ؟ قلت : لا ، قال : فتموت عيشونة ابنتى ؟ قلت : لا ، قال : فرجلى إلى عنقى فى حر أمك ، فقلت : ويحك ، لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أى شيء تصنع يا ابن الزانية .

وَكان الفرزدق يقول : خير السَّرقة ما لا يقطع فيه ، يعنى بذلك سرقة الشعر.

وقال : قد علم الناس أنى أفحل الشعراء ، وربما أتت على الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون على من قول بيت .

ومن جيد شعره قوله [من الكامل] :

قالت وكيف يميلُ مِثلكَ لِلصِّبا وعَليكَ مِنْ سِمَةِ الحَليم وقارُ

والشَّيبُ يَنهضُ فى الشَّبابِ كأنهُ لَيلٌ يَصيحُ بجَانبيهِ نهارُ

وقيل للعين المنقرى : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الوافر] :

سأقضى بين كلب بَنِى كليْبٍ وبينَ القَينِ قَينِ بنى عقال

فانّ الكلبَ مَطعمُهُ خَبيثٌ وإنَّ القَينَ يَعملُ فى سِفال

فما بُقْيَا عَلَىَّ تركْتمانى ولكنْ خِفتُمَا صرد النِّبال

وقال أبو عمرو بن العلاء : حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه ، فما رأيت أحسن ثقة منه بالله تعالى .

توفى سنة عشر ومائة ، وقيل: سنة اثنتى عشرة ، وقيل : سنة أربع عشرة .

ورثاه جرير بأبيات منها قوله [من الطويل] :

فَلاَ وَلدتْ بَعدَ الفَرزدقِ حامِلٌ ولا ذاتُ بَعلٍ من نفاس تعلت
هو الوَافدُ الميمونُ والراتِقُ الثَّأَى إذا النَّعلُ يوماً بالعشيرةِ زلَّتِ

ورثاه أيضاً بغير ذلك .

وقال ابنه لبطة : رأيت أبى فى المنام ، فقلت: مافعل الله بك ؟ قال : نفعتنى الـكلمة التى نازعت فيها الحسن عند القبر ، وذلك أن الحسن البصرى لما وقف على قبر النوار زوجة الفرزدق، والفرزدق واقف معه والناس ينظرون ، فقال الحسن: ما للناس ؟ فقال الفرزدق : ينظرون خير الناس ، وشر الناس ، فقال : إنى لست بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولـكن ما أعددت لهذا المضطجع ؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة .

ورؤى فى النوم فقيل له: مافعل الله بك ؟ قال: غفر لى بإخلاصى يوم الحسن وقال : لولا شيبتك لعذبتك بالنار .

وقصته فى تزوُّجه بالنَّوار ابنة عمه شهيرةٌ ، ورزق منها أولاداً ، وهم : لبطه وسبطة وكلطة ، وليس لواحد منهم عقب .

*

* *

٨ — سَأطلُبُ بُعدَ الدَّارِ عنكُم لِتقرُبوا وَتَسْكُبُ عَيْناىَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

شاهد التعقيد المعنوى

البيت للعباس بن الأحنفِ (١) من أبياتٍ من الطويل

والشاهد فيـه السببُ الثانى الحاصلُ به التعقيدُ ، وهو : الانتقال ، فإن معنى البيت: أطلب وأريد البعدَ عنكم أيها الأحِبَّةُ لتقربُوا ، إذ من عادة الزمان الإتيانُ بضـدّ المراد ، فإذا أريد البعدُ يأتى الزمان بالقرب . وأريد وأطلب الحزنَ الذى هو لازمُ البكاء ليحصلَ السُّرورُ بما هو من عادة الزمان ، فأراد

(١) اشتهرت نسبة هذا البيت إلى العباس بن الأحنف ، وهو لا يوجد فى ديوانه المطبوع فى استامبول ١٢٩٨ .

أن يكني عما يوجبه دوامُ التلاقي من السرور بالجمودِ ، لظنه أن الجمود هو خلوُّ العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ، وأخطأ في مراده ، إذ الجمود هو خلوّ العين من البكاء حالةَ إرادة البكاء منها ، كقول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة [من الطويل] :

أَلاَ إنَّ عَيْناً لم تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بجَارِى دَمْعِهَا لَجَمُودُ

وقول كُثَيِّر عزة [من الطويل] :

ولم أدْرِ أنَّ الْعَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا غداة الشبا مِنْ لاَعِجِ الْوَجْدِ تَجْمُدُ

فلا يكون الجمود كناية عن السرور ، بل عن البخل ، فيكون الانتقال من جمود العين إلى بخلها بالدموع ، لا إلى ماقصده من السرور ، ولو كان في الجمود صلاحيةٌ لأن يراد به عدم البكاء حال المسرة ، لجاز أن يقال في الدعاء « لاَ زَالَتْ عَيْنُكَ جَامِدَة » كما يقال « لا أبكى الله عينك » وهذا غير مشكوك في بطلانه وعليه قول أهل اللغة « سنةٌ جماد » أي لامطر فيها و « ناقةٌ جماد » أي لا لبن فيها.

وقد فسر المبرد في الكامل هذا البيت بغير هذا ، فقال : هذا رجل فقير يبعد عن أهله و يسافر ليحصِّل مايوجب لهم القربَ ، وتسكب عيناه الدموع في بعده عنهم لتجمدا عند وصوله إليهم . وأنشد [من الطويل] (١)

تَقولُ سُلَيْمى لو أقمتَ بأرضنا ولم تَدْرِ أنى لِلمُقَامِ أُطَوِّفُ

ومنه قول الربيع بن خيثم — وقد صلى طول ليلته حتى أصبح وقال له رجل : أتعبت نفسك — فقال : راحتَهَا أطلب ، ومثله قول روح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب — ونظر إليه رجل واقفاً بباب المنصور في الشمس ، فقال له الرجل: قد طال وقوفك في الشمس — فقال روح : ليطول قعودى في الظل .

وقال الزجاج في أماليه : أخبرنا أبو الحسن الأخفش ، قال: كنت يوماً بحضرة

(١) البيت لعروة بن الورد ، وانظر الموازنة (ص ٦١ بتحقيقنا)

ثعلب ، فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس ، فقال لى : إلى أين ؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلدى ! يعنى المبرد ، فقلت له : لى حاجة ، فقال لى : إنى أراه يُقدِّم البحتريَّ على أبى تمام ، فاذا أتيتَه فقل له : ما معنى قول أبى تمام [من الوافر] :

أآلِفةَ النَّحيبِ كم افْتِراقٍ أظلَّ فـكانَ داعيةَ اجْتماعِ

قال أبو الحسن : فلما صرت إلى أبى العباس المبرد سألته عنه ، فقال : معنى هذا أن المتحابين والمتعاشقين قد يتصارمان و يتهاجران دلالا ، لا عزما على القطيعة ، فاذا حان الرحيل وأحسَّا بالفراق ، تراجعا إلى الوداد ، وتلاقيا خوف الفراق ، وأن يطول العهد بالالتقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع كما قال الآخر [من الخفيف] :

متِّعا بالفِراقِ يومَ الفراقِ مُستجيرَيْنِ بالبُكا والعناقِ
وأظَلَّ الفِراقُ فالتقَيا فيـ ـهِ فِراقٌ أتاهُما باتِّفاقِ
كيفَ أدعو على الفراقِ بحَتْفٍ وَغَدَاةَ الفِراقِ كان التَّلاقى ؟

قال : فلما عدت إلى مجلس ثعلب سألنى عنه ، فأعدت عليـه الجواب والأبيات ، فقال : ما أشد تمويهه ! ما صنع شيئاً ! إنما معنى البيت : أن الإنسان قد يفارق محبوبه رجاء أن يغنم فى سفره فيعود إلى محبوبه مستغنياً عن التصرف فيطول اجتماعه معه ، ألا تراه يقول فى البيت الثانى :

ولَيستْ فَرحةُ الأوْباتِ إلاَّ لِمَوقوفٍ على تَرحِ الوَدَاعِ

وهذا نظير قول الآخر ، بل منه أخذ أبو تمام :

سأطلبُ بُعدَ الدَّارِ عنكم لِتَقربوا وتَسكبُ عَيناى الدُّموعَ لِتجمُدَا

هذا ذاك بعينه .

، وذكرتُ بما تقدم آنفا من أن عادة الزمان الاتيان بضد المراد ، أى : و إن كان على وفق الارادة الالهية قولَ الباخَرْزى [من الـكامل] :

ولَطالَمَا اخترتُ الفراقَ مُغالِطاً واحتْلتُ فى استثمارِ غَرسِ ودادى

وَرَغِبتُ عن ذِكرِ الوِصَالِ لأنها تُبنَى الأمورُ على خِلافِ مُرادى

ترجمة العباس لاحنف

والعباس(١) بن الأحنف هو خال إبراهيم بن العباس الصولى، وهو حنفى يمامى، وكان رقيق الحاشية، لطيف الطباع، وله مع الرشيد أخبار، قال بشار: ما زال غلام من بنى حنيفة يُدخل نفسَه فينا ويخرجها حتى قال [من البسيط](٢):

أبكِى الذينَ أذاقونى مودّتَهم حتى إذا أيقظونى للهوى رقدُوا
وَاستنهضونى فلما قمتُ مُنتصباً بثقل ما حمّلونى مِنهمُ قعدُوا
لأخرُجنّ مِن الدُّنيا وحبُّهمُ بين الجوانح لم يَشعرْ به أحدُ

وكان فى العبـاس آلات الظَّرف: كان جميل المنظر، نظيف الثوب، فارهَ المركب، حسن الألفاظ، كثير النوادر، شديد الاحتمال، طويل المساعدة.

طلبه يحيي بن خالد البرمكى يوما فقـال: إن مارية هى الغالبـة على أمير المؤمنين، وإنه جرى بينهما عتب، فهى بعزة دالّة المعشوق تأبى أن تعتـذر، وهو بعزِّ الخلافة وشرف الملك والبيت يأبى ذلك، وقد رُمْتُ الأمر من قبلها فأعيانى، وهو أحرى أن تستفزه الصبابة، فقل شعرا تسهِّل به عليه هذه القضية وأعطاه دواة وقرطاسا، فطلبه الرشـيد فتوجه إليه، ونظم العباس قوله [من الكامل](٣):

العاشقان كِلاهما مُتغضّبُ وكِلاهما مُتوجِّدٌ مُتجنّبُ

(١) تجد للعباس بن الأحنف ترجمة فى ابن خلـكان (١ ـــ ٤٣٨) وفى الأغانى (٨ : ١٥ ـ ٢٥).

(٢) فى الديوان (٥٠) أول وثانى ورابع ستة أبيات، وفيه فى عجز الثانى « بثقل ما حملوا من ودهم . . . ».

(٣) فى الديوان (١٨) وفيه فى عجز الأول * وكلاهما متشوق متطرب * وفى الثانى « مراغمة » و« مراغما » و « مما يعالج يتعب » وفيه فى الرابع « إن تمـكن منكما ».

صَدَّتْ مُغاضِبةً وصَدَّ مُغاضِباً ... وكلاهما مما يُعالج مُتعَبُ

رَاجعْ أحبتَّكَ الذين هجرتهمْ ... إنّ المُتيَّم قلما يتجنَّبُ

إنّ التجنُّبَ إنْ تَطاولَ منكما ... دبّ السُّلُوُّ له فَعزَّ المطلبُ

ثم قال لأحد الرسل : أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات ، فان كان فيها مقنع وجهت بها إليه ، فعاد الرسول ، وقال : هاتها ففي أقل منها مقنع ، فكتب الأبيات وكتب تحتها أيضاً [من السريع] (١) :

لاَ بدَّ لِلعاشقِ مِنْ وَقفةٍ ... تكونُ بين الوَصلِ وَالصَّرْمِ

حتى إذَا الهجرُ تمادَى بهِ ... رَاجعَ مَنْ يَهوَى على رَغمِ

فدفع يحيى الرقعة إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر ، والله لكأني قُصِدت بهذا ، فقال : والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به ، فقال الرشيد : يا غلام ، هات نعلي فانني والله أراجعها على رغم ، فنهض ، وأذهله السرور أن يأمر للعباس بشيء ، ثم إن مارية لما علمت بمجيء الرشيد إليها تلقته ، وقالت : كيف ذلك ياأمير المؤمنين ؟ فأعطاها الشعر ، وقال: هذا الذي جاء بي إليك ، قالت : فمن قاله ؟ قال : العباس بن الأحنف ، قالت: فبم كوفيء ؟ قال : ما فعلت بعدُ شيئا ، فقالت : والله لا أجلس حتى يكافأ ، فأمر له بمال كثير ، وأمرت هي له بدون ذلك ، وأمر له يحيى بدون ما أمرت به ، وحمل على برذون ، ثم قال له الوزير : من تمام النعمة عندك أن لاتخرج من الدار حتى نُؤَثل لك بهذا المال ضيعة ، فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع إليه بقيته .

وحدّث أبو بكر الصولي عن أبي زكريا البصري قال : حدثني رجل من قريش قال : خرجت حاجًّا مع رفقة لي ، فعرَّجنا عن الطريق لنصلي ، فجاءنا غلام

---

(١) في الديوان (١٤٥) أول ورابع أربعة أبيات ، وفيه صدر ثاني هذين
* حتى إذا ما مضه شوقه *

فقال لنا : هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ فقلنا : كلنا من أهل البصرة ، فقال : إن مولاى من أهلها و يدعوكم إليه ، فقمنا إليه ، فاذا هو نازل على عين ماء ، فجلسنا حوله ، فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا ، وأنشأ يقول [من الرمل][(١)] :

يَا بَعِيدَ الدَّارِ عَنْ وَطَنِهْ مُفْرَداً يَبْكِى على شَجَنِهْ
كُلَّمَا جَدَّ الرَّحِيلُ به زادتِ الأسْقَامُ فى بَدَنِهْ

ثم أغمى عليه طويلا ونحن جلوس حوله إذ أقبل طائر فوقع على أعالى شجرة كان تحتها ، وجعل يغرّد ، ففتح عينيه وجعل يسمع تغريدَ الطائر ، ثم أنشأ يقول :

ولَقَدْ زادَ الفُؤادَ شَجًى طائرٌ يَبْكِى على فَنَنِهْ
شَفَّهُ ما شَفَّنِى فَبَكى كُلُّنا يَبْكِى على سَكَنِهْ

ثم تنفس نفساً فاضت معه نفسه ، فلم نبرح عنده حتى غسلناه وكفّنّاه وتولينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف .

وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين ، وما ذكر من أنه مات هو والكسائى و إبراهيم الموصلى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد ، وأن الرشيد أمر المأمون أن يصلى عليهم ، وأنه قدم العباس بن الأحنف رحمه الله لقوله [من الكامل] : [(٢)]

وسَعَى بِهَا قَوْمٌ وقالوا إنَّها لَهِىَ التى تَشْقَى بِها وتُكابِدُ
فَجَحَدْتُهُمْ لِيَكونَ غَيرَكَ ظَنُّهم إنى لَيُعْجِبُنى المُحِبُّ الجاحِدُ

---

(١) فى الديوان (١٦٢) أربعة أبيات ، غير متعاقبة على هذا الترتيب وفيه فى أولها « ياغريب الدار » وفى ثانى هذه « جد البكاء » و « دبت الأسقام » وأربعة الأبيات فى ابن خلكان مع القصة بترتيبها هنا ، لكن بالألفاظ التى فى الديوان .

(٢) فى الديوان (٤٨) ضمن قصيدة ، وفيه فى صدر الأول « سماك لى قوم وقالوا » .

ففيه نظر ، لأن الكسائى مات سنة تسع وثمانين ومائة ، على خلاف فيه ، وما كان المأمون ممن يقدم العباس على مثل الكسائى ، وأيضا فقد روى الصولى أنه رأى العباس بن الأحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام ، والله أعلم أى ذلك كان .

ومن شعره [من الطويل] (١) :

وحَدَّثْتَنِى يا سَعْدُ عنهم فَزِدتَنِى ... جُنوناً فَزِدْنِى من حَدِيثكَ ياسَعْدُ

هَواهاهَوًى لم يَعرِفِ القَلبُ غَيرَه ... فَلَيسَ له قَبلٌ ولَيسَ له بَعْدُ

ومنه أيضاً [من الطويل] (٢) :

إذا أنتَ لم تَعطِفْكَ إلا شَفَاعةٌ ... فلا خيرَ فى وُدٍّ يكونُ بِشافعِ

وأُقسِمُ ماتركى عِتابَكَ عَنْ قِلًى ... وَلَـكنْ لِعلمى أنه غيرُ نافعِ

وإنّىَ إن لم ألزَمِ الصبرَ طائعاً ... فلا بدَّ منه مُكرهاً غير طائعِ

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة [من الكامل] (٣) :

يا أيها الرَّجلُ المُعذِّب نَفسهُ ... أقْصِر فإن شِفاءكَ الإقصارُ

نَزفَ البكاءُ دُموعَ عَينكَ فاستَعِرْ ... عَينا يُعِينكَ دَمعُها المِدرارُ

من ذا يُعيرك عَينه تبكى بها ... أرأيت عَينًا للبكاء تُعارُ ؟!

وشعره كله جيد ، وجميعه فى الغزل لا يكاد يوجد فيه مديح . رحمه الله تعالى! .

---

(١) فى الديوان (٥٨) أول وثالث ثلاثة أبيات ، وفيه فى ثانى هذين « لم يعلم القلب » .

(٢) فى الديوان (٩٨) خامس وثانى وثالث خمسة أبيات ، وفيه فى ثالث هذه « وأنى إذا لم ألزم »

(٣) فى الديوان (٦٨) ضمن قصيدة ، وفيه فى أول هذه « المعذب قلبه » وفى ثانيها « عينا لغيرك دمعها مدرار » .

شاهد كثرة التكرار

٩ — * سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ *

قائله أبو الطيب المتنبي، من قصيدة من الطويل، يمدح بها سيف الدولة بن حمدان أولها [١]:

عَوَاذِلُ ذات الخالِ فِيَّ حواسِدُ ... وإنَّ ضَجِيعَ الخودِ مِنِّي لَمَاجِدُ
يَرُدُّ يداً عنْ ثوبها وهْو قادرٌ ... ويعصى الهوَى فى طيفها وهْو رَاقدُ
متى يَشتفى من لاعجِ الشَّوقِ فى الحشا ... مُحبٌّ لها فى قُرْبِهِ مُتباعدُ
إذا كُنت تخشى العارَ فى كلِّ خلوةٍ ... فَلِمْ تَتَصبَّاكَ الحِسانُ الخرائدُ
ألحَّ عليَّ السُّقْمُ حتى ألِفْتُهُ ... وَملَّ طَبيبي جانبى وَالعوائدُ
أهُمُّ بشيءٍ والليالى كأنها ... تُطاردنى عن كَوْنِهِ وأطَارِدُ
وحِيدٌ منَ الخِلَّانِ فى كل بَلْدَة ... إذا عَظُمَ المطْلوبُ قَلَّ المسَاعدُ
وتُسعدُنى فى غَمرة بَعْدَ غَمرة ... سَبوحٌ لها مِنْها عَليها شَواهدُ

ومنها قوله فى المديح:

خَليلَيَّ إنى لا أرى غَيْرَ شاعرٍ ... فَكم مِنهمُ الدَّعوى ومنى القَصائدُ [٢]
فَلا تَعجبا إن السُّيوفَ كَثيرةٌ ... ولكنَّ سَيْفَ الدولةِ اليومَ واحِدُ

وهى طويلة.

والسبوح: الفرس الحسن الجرى، يقال: فرسٌ سابح وسبوح، وخيل سوابح

---

(١) فى الديوان (١ — ٢٦٨).

(٢) فى الديوان «فلم منهم الدعوى» وقال العكبرى فى شرحه: «قال أبو الفتح: لو قال * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد * لكان أحسن وأشد مبالغة، لأنها تدل على كثرة فعلهم» اهـ. وأبو الفتح بن جنى أعرف الناس بما قال أبو الطيب، فلعل ماهنا إصلاح للكلام على وفق مارغب فيه أبو الفتح.

لسبحها بيديها فى مسيرها . وسبوح : اسم فرس لربيعة بن جُشَم ، وهو مرفوع على أنه فاعل « تسعدنى » .

والمعنى : وتعيننى على توارد الغمرات فى الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هى لها منها أدلة عليها .

والشاهد فيه كثرة التكرار وتتابع الاضافات[1] وهى قوله « لها منها عليها » والله تعالى أعلم .

* * *

١٠ — * حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجَعِى *

شاهد تتابع الاضافات

قائله ابن بابك الشاعر المشهور ، من قصيدة من الطويل ، وتمامه :

* فأنْتِ بِمَرأى من سُعَادَ ومَسمع *

والجرعاء : هى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أو الدِّعْص لا ينبت ، أو الكثيب جانبٌ منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال : معظمه ، وكذلك من الماء والرمل وغيره ، والجندل : الحجارة ، والسجع : هدير الحمام ونحوه .

والمعنى : ياحمامة جرعاء هذا الموضع اسجعى وترنمى طرباً فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع ، فجدير لك أن تطربى إذ لا مانع لك منه .

والشاهد فيه : تتابع الاضافات ، فانه أضاف « حمامة » إلى « جرعا » و « حومة » إلى « الجندل » وهو من عيوب الكلام .

قال القزوينى : وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، أى بقوله «من تنافر الكلمات مع فصاحتها» وإلا فلا يُخل بالفصاحة ، كيف وقد جاء فى التنزيل (مثل دأب قوم نوح) وقد

---

(١) فى البيت كثرة التكرار ليس غير

قال صلى الله عليه وسلم « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

قيل : لانسلم وجود تتابع الاضافات فى الحديث الشريف ، إذ لفظة الابن صفة لما قبلها ، وليس ما قبلها مضافا إليها .

وعن الصاحب بن عباد « إياك والاضافات المتداخلة فانها لا تحسن »

وذكر الشيخ عبد القاهر أنها تستعمل فى الهجاء كقول القائل [من الخفيف] :

يا علىَّ بن حمزة بن عُمارهْ أنتَ والله ثَلجةٌ فى خِيارهْ

قال : ولا شك فى ثقل ذلك ، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح وظرف ، ومما حسن فيه قول ابن المعتز [من الطويل] :

وظَلَّتْ تُديرُ الراحَ أيدى جآذرٍ عِتاقِ دَنانيرِ الوجُوهِ مِلاحِ

وقول الخالدى [من المنسرح] :

ويَعرفُ الشِّعرَ مِثلَ مَعْرِفتى وهْوَ على أن يَزِيدَ مُجتهِدُ

وصَيرِفىُّ القَرِيضِ وزَّانُ دِيـ ـنَارِ المعانى الدِّقاقِ مُنتقِدُ

وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدى(١) الشاعر المشهور من قصيدة يصف فيها غلاماً له ، وهى بديعة فأحببت ذكرها ، وهى :

مَا هـو عَبدٌ لٰكنَّهُ وَلدُ خَـوَّلَنيهِ الْمهيْمنُ الصَّـمدُ

وَشَـدَّ أزرى بحُسنِ خِدمتهِ فَهْوَ يَدِى وَالذراعُ وَالعضُـدُ

صَـغيرُ سِنٍّ كَبـيرُ مَنفعةٍ تَمازجَ الضعفُ فيه وَالْجلَدُ

فِى سنِّ بَدرِ الدُّجا وَصُورَتِه فَمِثـلهُ يُصـطفَى وَيُعتقَدُ

---

(١) هكذا وقع فى أصول الكتاب ، ووقع فى فوات الوفيات (١ ــ ٢١٨) « سعد بن هاشم » وفى اليتيمة (٢ ــ ١٨٣ بتحقيقنا) « سعيد بن هاشم » وهو الصواب ، وهو أبو عثمان الخـالدى ، شاعر من شعراء سيف الدولة ، وحافظ خزانة كتبه، وأخوه أبو بكر كذلك ، وهما الخالديان .

مُعشَّقُ الطرْفِ كُحله كَحَلٌ مُعَطَّلُ الجيدِ حَلْيهُ الجَيَدُ
وَوردُ خدَّيْهِ وَالشقائقُ وَالـــتفاحُ وَالجُلّنــارُ مُنتضــدُ
رِياضُ حُسنٍ زَواهرٌ أبداً فِيهِنَّ ماء النَّعـيم مُطَّردُ
وَغصنُ بَانٍ إذا بَدا وإذا شَـدَا فقُمْرِىٌّ بَانةٍ غَرِدُ
مُبارك الوجهِ مُذْ حَظيتُ بهِ بَالى رَخِىٌّ وَعيشَتى رَغدُ
أُنْسى وَلهـوِى وَكلٌّ مَأرَبتى مجتمعٌ فِيـه لِى وَمُنفـرِدُ
مُسامِرِى إنْ دَجَا الظَّلامُ فَلى مِنهُ حَـديثٌ كأَنهُ الشَّهدُ
ظَريفُ مَزْحٍ مَلِيحُ نَادرَةٍ جَوْهرُ حسنٍ شَرارهُ يَقِدُ
خَازنُ مَا فِى دارى وَحافظهُ فَليسَ شىءٌ لَدىَّ مُفتقَدُ
وَمنفقٌ مُشفقٌ إذا أنَا أَسْـــرَفتُ وَبذّرْتُ فهْو مُقتصدُ
يَصون كُتبى فكلُّها حسنٌ يَطوى ثِيابى فَكلُّها جُدُد
وَأبصرُ الناسِ بالطبيخِ فَكالـــمسكِ القلايَا وَالعنبرُ الثرِدُ
وهْو يُدير المدامَ إنْ جُلِيتْ عَروسُ دَنٍّ نِقابها الزَّبدُ(١)
يَمنح كأسى يداً أناملُها تَنْحلُّ منْ لِينها وَتنعقدُ
ثَقَّفهُ كَيسهُ فلا عِوجٌ فى بعض أخلاقهِ ولا أَود

و بعده البيتان ، و بعدهما أيضاً :

وَكاتبٌ توجدُ البلاغةُ فى ألفاظِهِ وَالصوابُ وَالرشَدُ
وَواجدٌ بى من المحبة وَالـــرأفةِ أضعافَ ما به أجِدُ
إذا تَبسَّمتُ فَهوَ مُبتهجٌ وَإن تَنمردتُ(٢) فَهوَ مُرتعِدُ

---

(١) فى الأصول « عروس بكر » وما أثبتناه عن فوات الوفيات .
(٢) فى الفوات « وإن تنمرت » .

ذَا بعضُ أوْصافه وَقدْ بَقيتْ لهُ صِفاتٌ لمْ يحوها أحدُ

وقد عارضها الشهاب محمود بقصيدة يذم فيها غلاما له، وهى [من المنسرح] :

ما هو عَبدٌ كلاًّ ولاَ ولدُ إلاَّ عناءٌ تَضنى به الْكبِدُ
وَفرطُ سقمٍ أعيْا الأساةَ فلاَ جِلْدٌ عليهِ يَبقى ولاَ جَلَدُ
أقبحُ ما فيه كلُّهُ وَلقدْ تَساوتِ الروحُ منه والجسدُ
أشبهُ شيءٍ بالقردِ فهوَ لهُ إنْ كان لِلقرد فى الْورَى ولدُ
ذُو مُقلةٍ حشوُ جفنها عَمَصٌ تَسيلُ دَمعاً وَمابها رَمدُ
وَوجنةٍ مِثلِ صبغةِ الوَرْسِ لـكنْ ذاكَ صافٍ وَلونها كَمِدُ
كأنما الخدُّ فى نَظافته قدْ أكِلَتْ فوق صحنه غُدَدُ
يقطرُ سمًّا فَضحكُهُ أبداً شرٌّ بُكاءٍ وَبِشرُهُ حَرَدُ
يجمعُ كَفيْهِ مِنْ مَهانتهِ كأنه فى الْهجيرِ مُرتعِدُ
يُطرِقُ لاَ مِنْ حياً وَلا خَجلٍ كأنهُ لِلترابِ مُنتقِدُ
ألْكنُ إلاَّ فِى الشتمِ يَنبحُ كالْـكلبِ وَلوْ أنَّ خَصمهُ الأسدُ
يَشتمنى الناسُ حِينَ يَشتمهمْ إذْ لَيسَ يَرضى بِشتمهِ أحدُ
كَسلانُ إلاَّ فِى الأكل فهو إذا مَاحضرَ الأكلُ جمرَةٌ تقِدُ
كالنارِ يَوْمَ الرِّياح فِى الْحطبِ الْـيابسِ تأتِى على الَّذى تَجدُ
يَرفُلُ فِى حُلةٍ منبتة من قمله رقم طرزها طرد
أجملُ أوْصافهِ النميمةُ وَالْـكذْبُ وَنقلُ الْحديثِ وَالحسدُ
كُلُّ عُيوبِ الورَى به اجتمعتْ وَهو بأضعافِ ذَاكَ مُنفردُ
إنْ قلتُ لَمْ يدرِ مَاأقولُ وَإنْ قالَ كلانا فى الفهم متحد
كأنَّ مَا لِى إذا تَسلَّمَهُ مَاءٌ قَرَاحٌ وَكفُّهُ سرد

حملته لى دويّة حسنت كنت عليها فى الظرف أعتمد
كمثل زهر الرياض ما وجدت عينى لها مشبهاً ولا تجد
فمرّ يوماً بها على رجل لديه علم اللصوص يستند
أودعها عنده ففرّ بها وما حواه من بعدها البلد
فجاء يبكى فظلت أضحك من فعلى وقلبى بالغيظ يتقد
وقال لى لا تخف فحليته مشهورة الشكل حين يفتقد
عليه ثوب وعمة وله ذقن ووجه وساعد ويد
وقائل بعه قلت خذه ولا وزن تجازى به ولا عدد
ففى الذى قد أضاعه عوض وهو على أن يزيد مجتهد

ومثله قول راشد الكاتب فى غلام له قد باعه ، وكان اسمه نفيسا فسماه خسيسا [من البسيط] :

بعنا خسيساً فلم يحزن له أحد وغاب عنا فغاب الهم والنكد
أهون به خارجا من بين أظهرنا لم نفتقده وكاب الدار يفتقد
قد عريت من صنوف الخير خلقته فلا رواء ولا عقل ولا جلد
يدعو الفحول إلى ما تحت مئزره دعاء من فى استه النيران تتقد

وقال فيه أيضاً [من الطويل] :

عرضنا خسيساً فاحتمى كل تاجر شراه وأعيا بيعه كل دلال
وما بات فى قوم يحبون قربه فأصبح إلا والمحب له قالى (١)
فما فى يديه خدمة يشتهى لها ولا عنده معنى يراد على حال
بلى ليس يخلو من معايب أهله وإن أصبحوا فى ذروة الشرف العالى

(١) قال : مبغض كاره ؛ قلاه يقلوه ، وقلاه يقليه : أبغضه .

إذا لم يجدْ فيهمْ مقالاً رَماهمُ ... ببعضِ عيوبِ الناسِ فى الزَّمنِ الخالى

ويحتالُ فى استخراجِ ما فى بيوتِهمْ ... بما قصرتْ عنهُ يدَا كلِّ مُحتال

وإنْ حمَّلوهُ سِرَّ أمرٍ أذاعَهُ ... وكادَهُمُ فيه كِيادةَ مُغتالِ

ويعبثُ بالجيرانِ حتى يُملَّهمْ ... ويُبرِمُ أهلَ الدار بالقِيلِ والقَال[1]

يُريهمْ صُروفَ الدهرِ من حَمقَاتِه ... أعاجيبَ لم تخطر بوَهمٍ ولا بال

أقولُ وقدْ مَرّوا به يَعرِضونَهُ ... إلى النَّار فاذهبْ لا رَجَعْتَ ولا مالى

وقال العلامة ابن الوردى رحمه الله يهجو عبداً له اسمه بهادر [من الطويل] :

بَهادرُ عَبدٌ لا بَهاءٌ ولا دُرٌّ ... فما أنا حرٌّ يومَ قولى له حُرُّ

وأما ابن بابك فهو عبد الصمد[2] بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور، أحد الشعراء المجيدين المكثرين ، وهو بغدادى، وله ديوان كبير وأسلوب رائق فى نظم الشعر ، طاف البلاد ، ومدح الأكابر كعضد الدولة والصاحب بن عباد وغيرهما ، وأجزلوا له الجوائز ، وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يَشْتُو فى حضرة الصاحب بن عباد ويصيف فى وطنه ، وقد ذكر ذلك فى بعض قصائده[3] ، قال: وقرأت للصاحب فصلا فى ذكره فاستملحته ، وهو «أما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك ، فإنما تُغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام»

ومن شعره فى وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) يبرم أهل الدار : يملهم ويورثهم السآمة .

(٢) لابن بابك ترجمة فى ابن خلكان (١-٣٣٢) وفى يتيمة الدهر للثعالبى (٣-٣٤٣ مصر)

(٣) ذلك قوله :

وحادث بالسراج أخا اشتياق ... يلاعب ظله جسد نحيف

له بالريف من جرجان مشتى ... وبالنخلات من غمى مصيف

عُقارٌ عليها من دَم الصَّبِّ نُقطةٌ ... ومن عبرات المستهام فواقع[1]
معوّدةٌ غصبَ العقولِ كأنما ... لها عند ألبابِ الرِّجال ودائعُ
تحيَّرَ دَمعُ المزنِ فى كأسها كما ... تحيرُ فى وَردِ الخدودِ المدامعُ

وله من أخرى فى وصف إضرام النار فى بعض غياض طريقه إلى الصاحب [من البسيط] :

ومقلةٍ فى مجرِّ الشمس مسحبها ... أرعيتها فى شباب السُّدفة الشهبا
حتى أرتنى وعينُ الشمس فاترةٌ ... وجهَ الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلةٍ بتُّ أشكو الهمَّ أولها ... وعدتُ آخرها أستنجد الطَّربا[2]
فى غيضةٍ من غياضِ الحسن دانيةٍ ... مدَّ الظلامُ على أرواقها طُنُبا[3]
يهدِى إليها مجاج الخمرِ ساكنُها ... وكلَّما دبَّ فيها أثمرت لهبا
حتى إذا النار طاشت فى ذوائبها ... عادَ الزُّمردُ من عيدانها ذهبا
مرقتُ منها وثغرُ الصُّبح مبتسم ... إلى أغرَّ يرى المذخورَ ما وهبا

وله أيضاً [من البسيط] :

أحببته أسودَ العينين والشَّعرهْ ... فى عينه عدةٌ للوصلِ منتظَرهْ
لدنَ المقلَّد مخطوف الحشا ثملاً ... رخصَ العظام أشمَّ الأنفِ والقصَرهْ
للظبى لفتتهُ والغصنِ قامتُه ... والرَّوضِ ما بثَّه والرَّمل ما سترهْ
تكادُ عينى إذا خاضتْ محاسنَهُ ... إليه تشربهُ من رقة البشرهْ
حتى إذا قلتُ قد أمللتُها شرهتْ ... شوقاً إليه وفى عين المحبِّ شرهْ

(١) فى اليتيمة « من دم الصب نفضة » .
(٢) فى الأصول « بت سلواهم » ولعله محرف عن « بت شلوالهم »
(٣) فى اليتيمة « من رياض الحزن » وفى الأصول « على أوراقها » وما أثبتناه فى هذه العبارة عن اليتيمة .

ومنه [من البسيط] :

زَمرُ الغروبِ وأصواتُ النَّواعيرِ والشُّربُ فى ظلِّ أكواخِ المناظيرِ
وَصرعَةٌ بينَ إبريقٍ وَباطيةٍ ونقرةٌ بينَ مِزمارٍ وَطنبورِ
أشهى إلىَّ مِنَ البَيْدَاء أعسِفُها ومِنْ طُلوعِ الثَّنايا الشُّهبِ والقورِ
يا رُبَّ يَوْمٍ على القاطُولِ جاذبنى صُبحَ الزُّجاجةِ فيهِ فَضلةُ النُّورِ
صدَعْتُ طُرتهُ والشَّمسُ قاصِدَةٌ فى يَلمقٍ مِنْ ضَبابِ الدجْنِ مَزرُورِ
كأنَّ ما انْهلَّ مِنْ أهْدَابِ مُزْنتهِ دَمعٌ تَساقطَ مِن أجفانِ مَهجورِ
فَمِنْ رشاشٍ على الرَّيحانِ مُقتحمٍ ومِنْ رَذاذٍ على المنثُور مَنثورِ

ومن شعره أيضا [من الكامل] :

وغَديرِ ماءٍ أُفعِمَتْ أطْرَافهُ كالدَّمعِ لما ضَاقَ عنهُ مَجالُ
قَمرُ الرياضِ. إذا الغُصُونُ تَعدَّلت وإذا الغُصونُ تَهدَّلت فَهِلالُ

ومنه وهو غريب التشبيه [من البسيط] :

وافى الشِّتاءُ فبزَّ النَّوْرُ بهجته فِعلَ المشيبِ بشَعرِ اللِّمَّةِ الرجِلِ
وَرْدٌ تفتَّحَ ثُمَّ ارتدَّ مُجتمِعاً كما تجمَّعَتِ الأفوَاه لِلقُبَلِ

وقد أخذه الأمير مجير الدين بن تميم مع زيادة التضمين فقال [من الكامل] :

سِيقَتْ إليْكَ مِنَ الحَدَائقِ وَرْدَةٌ وأتتْكَ قَبلَ أوانِها تَطفيلاَ
طَمعت بِلثمِكَ إذْ رأتك فَجمَّعت فَمَها إليكَ كطالبٍ تقبيلاَ

وهذا التضمين من بيت للمتنبي فى وصف الناقة وهو [من الكامل] :

وَيُغيرُنى جذْبُ الزِّمام لقلبها فَمها إليكِ كطالبٍ تقبيلاَ

فنقله ابن تميم إلى وصف زر الورد فأحسن غاية الإحسان ، وهو من قول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

وَالعيسُ عاطفةُ الرؤسِ كأنما يَطلبنَ سرّ محدثٍ فى المجلسِ

وفى مثل قول ابن تميم قول الخباز البلدى دو بيت :

ووردة تحكى بسبق الورد طليعةً تسرعتْ من جُند
قد ضمَّها فى الغصن قرص البرد ضم فمٍ لقُبلةٍ من بُعْدِ

وذكرت بهذا ما قاله صاعد اللغوى [1] صاحب كتاب الفصوص يصفه باكورة ورد حملت إلى أبى عامر محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور [من المتقارب] :

أتَتـكَ أبا عامرٍ وَردةٌ يُحاكى لكَ المسكُ أنْفاسها
كَعذراء أبْصرها مُبصرٌ فَغطَّتْ بأكمامِها رَاسها

فاستحسن المنصور ما جاء به ، فحسده الحسين بن العريف فقال : هى لعباس ابن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتا وأثبتها فى صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس ، وهى [من المتقارب] :

عَشوتُ إلى قَصرِ عَبَّاسةٍ وَقدْ جَدَّلَ النَّومُ حُراسَها
فألفيتها وَهىَ فى خِدْرِها وَقدْ صَدَعَ السكر أُنّاسها [2]
فَقالتْ : أسارٍ على هَجعةٍ ؟ فَقلتُ : بَلى ، فَرمتْ كاسها
ومدَّت إلى وردةٍ كَفَّها يُحاكى لك المسكُ أنفاسها
كَعذراء أبصرها مُبصرٌ فَغطَّتْ بأكمامِها رَاسها
وقالَتْ خَفِ الله لاتفضحــنَّ فى ابنةِ عَمك عبّاسَها
فَوليت عَنها على غَفلةٍ ولاخُنتُ ناسى ولا ناسَها

قال : فخجل صاعد ، وحلف فلم يُقبل منه ، وافترق المجلس على أنه سرقها

(١) له ترجمة فى نفح الطيب (٢ - ٢٧٦ بولاق) وفى الذخيرة لابن بسام (ق٤ ج ١ ص ٢) وقد رويت هنالك القصة والأبيات كلها .

(٢) فى المطبوعتين « إيناسها » وما أثبتناه موافق لما فى الذخيرة والنفح

وتمكنت فى صاعد لأنه كان يوصف بغير الثقة فيما ينقله .

ومن شعر ابن بابك يصف زمام الناقة وهو معنى جيد [من الكامل] :

وَلَقَدْ أَتَيتُ إِلَيكَ تحمل بُزَّتِى حَرفٌ يُسَكِّنُ طَيشَهَا الذألانُ
يَنفِى الزَّفيرُ خُطامهَا فكأنهُ غَارٌ يُحاول نَقبه ثُعبانُ

وقد زاد فيه على المتنبي وقد ذكر الخيل [من الطويل] :

يجاذبُ فِيهَا لِلصباحِ أعِنَّةً كأنَّ على الأعناقِ منها أفاعيَا

وهو من قول ذى الرمة [من الطويل] :

رَجيعة أسْفَارٍ كأنَّ زِمامَها شُجاعٌ على يُسرَى الذِّراعَيْنِ مُطرِقُ

على أن ذا الرمة لم يزد على التشبيه شيئا ، والمتنبى أتى به فى عرض بيته ، وزاد مقصداً آخر ، وهو أن الخيل لاتترك الأعنةَ تستقر فى أيدى فرسانها لما فيها من سَورة المرح وحسن البقية بعد طول السرى ، فكأنما الأعنة أفاعٍ تلدغ أعناقها إذا باشرتها ، فتجاذبها الفرسان الأعنة وهى تجاذبهم إياها ، وهذا لم يقصده ذو الرمة ولا يؤخذ من بيته .

ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة فى غاية الرقة ، وهو [من الوافر] :

وَمرَّ بِىَ النَّسيمُ فَرقَّ حتَّى كأنى قد شكوتُ إليهِ مابى

ونقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على الصاحب بن عباد وأنشده مدائحه فيه طعن عليه بعض الحاضرين ، وذكر أنه منتحل ، وأنه ينشد قصائد قد قالها ابن نباتة السعدى ، فأراد الصاحب ابن عباد أن يمتحنه فاقترح عليه أن يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معدى كرب [من الكامل] :

أعْدَدتُ لِلْحدثانِ سا بِغَةً وعدَّاءً عَلَنْدَى

فقال [من الكامل] :

قَسماً لَقَدْ نشر الحيا بِمَناكب العَلَمَيْنِ بُرْدا

وتنفست، يمنيـــةٌ تستضحك الزهر المندّى
وجريحة اللبّاتِ تنثـــرُ من سقيطِ الدمعِ عقدا
نازعتُها حلبَ الشؤو ن وقلّما استعبرتُ وجدا
ومساجلٍ لى قدْ شققْــتُ لِدائهِ فى فىّ لحدا
لا ترم بى فأنا الّذِى صيّرتُ حرّ الشّعرِ عبدا
بِشواردٍ شمْسِ القيا دِ يزدن عِندَ القربِ بعدا
وممسكِ البردينِ فى شبهِ النقا شية وقدّا
وكأنما نسجتْ عليــــه يدُ الغمام الجون جلدا
وإذا لوتْكَ صفاته أعطاك نسّ الروم نقدا
فكأنّ معصم غادةٍ فى ماضغيْهِ إذا تصدّى
وكأنّ عودا عاطلاً فى صفحتيهِ إذا تبدّى
يحدو قوائمَ أربعـــاً يتركنَ بالتلعاتِ وهدا
جأبُ المطوّقِ قدْ تفرّ دَ بالكراهةِ واستبدّا
فإذا تجللَ هضبةً فكأنّ ظلّ اللّيلِ مدّا
وإذا هوى فكأنّ ركـــنا من عمانٍ قدْ تردّى
وإذا استقلّ رأيتَ فى أعطافهِ هزلاً وجدا
متقرطاً أذناً تعى زجرَ العسوف إذا تعدّى
خرقاء لا يجد السّرا رُ إذا تولّجها مردّا
أوطأتهُ صرعى إسيـ فى واجتنيت وصال سعدى
ملك رأى الإحسانَ منْ عددِ النّوائبِ فاستعدّا
كافى الكفاةِ إذا انثنتْ مقلُ القنا الخطّارِ رمدا

تكسوه نشرَ العرفِ كـفٌّ من جفونِ الطَّلِّ أندى
لا زلتَ يا أملَ العفا ةِ لفارطِ الإملاقِ وردا
فالقَ الليالي لا بساً عيشاً بَرودَ الظلِّ رغدا

فاستحسنها الصاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه أنه انتحل شعر غيره ، فقال : يا مولانا هذا والله معه ستون فيلية كلها على هذا الوزن لابن نباتة فضحك منه .

وكان الصاحب قد برز أمره لابن بابك وغيره من الشعراء الذين بحضرته أن يصفوا الفيل على هذا الوزن ، فمن قصيدة لأبي الحسن الجوهري :

يزهو بخرطومٍ كمثـ ـلِ الصولجانِ يردّ ردّا
متمددٍ كالأفعوا ن تمدّهُ الرمضاء مدّا
أو كمِّ راقصةٍ تشـ ـيرُ بهِ إلى الندمانِ وجدا
وكأنهُ بوقٌ يحـ ـركهُ لينفخَ فيهِ جدّا
يسطو بصارمتي لحـ ـىّ يحطمان الصخر هدّا
أذناهُ مروحتانِ أسـ ـندتا إلى الفودينِ عمدا
عيناه غائرتانِ ضيـ ـقتا لجمع الضوء عمدا

ومن قصيدة لأبي محمد الخازن :

وكأنما خرطومهُ راووق خمر مدّ مدّا
أو مثلُ كمٍّ مسبلٍ أرخته للتوديع سعدى
وإذا التوى فكأنه الـ ـثعبانُ من جبلٍ تردّى
وكأنما انقلبت عصا موسى غداة بها تحدّى

وكانت وفاته في سنة عشر وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى !

شواهد الفن الأول، وهو علم المعاني

تنزيل غير المنكر منزلة المنكر

١١ — جاءَ شَقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ * إنَّ بَنِي عَمكَ فيهمْ رِماحْ

البيت لحجل بن نَضلةَ ، من السريع ، وبعده :

هَلْ أَحْدَثَ الدَّهرُ لَنا ذِلَّةً أَمْ هَلْ رَمتْ أُمُّ شَقيقٍ سِلاحْ

شقيق هنا : اسم رجل .

والمعنى : جاء هذا الرجلُ واضعاً رمحه عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مُدلاًّ بشجاعته ، دالاًّ ذلك على إعجاب شديد منه واعتقادٍ بأنه لا يقوم إليه أحد من بنى أعمامه كأنهم كلهم عُزْلٌ ليس مع أحد منهم رمح فقيل له : تَنكبْ وخَلِّ لهم طريقهم لئلا تتزاحم عليك رماحُهم وتتراكم عليك أسنتها ، إن بنى عمك فيهم رماح كثيرة

والشاهد فيه : تنزيلُ غير المنكرِ للشيء منزلةَ المنكر له إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار ، وقد تقدم معناه

وما أحسن قولَ ابن جابر الأندلسيّ مشيراً إلى شطر البيت الأول [من السريع] :

سَامحَ بالْوَصلِ عَلى بُخلهِ وَقالَ لِي أَنْتَ بوصلِي حَقيقْ
فَقلتُ مَا رَأيكَ فِي نُزهةٍ مَا بَينَ كاسَاتٍ وَروضٍ أَنيقْ
فَقـالَ يَعنى خَدَّه وَاللَّما هٰذا هُوَ الرَّوضُ وَهذا الرَّحيقْ
فَبتُّ مِنْ دَمْعى وَمِنْ خَدِّه مَابينَ نُعمانَ وَبَينَ الْعقيقْ
وَإذْ تَدللْتُ عَلى حُبِّـهِ فَقال مَا تخشى أَمَا تَستفيقْ
قَدِّى وَخَدِّى خَفْهمَا يَا فتى هٰذا هُوَ الرُّمحُ وَهٰذا شَقيقْ

وَقد ضمنه أبُو جعفر الأندلسى أيضاً فقال [من السريع] :

أبدَتْ لنا الصُّدْغَ على خدِّها فأَطْلَعَ الليلُ لنا صبحَـهُ
فخَدُّها مَـعْ قدِّها قائل هذا شقيق عارض رُمحَـهُ

وقد ضمنه ابن الورديّ أيضاً فقال [من السريع] :

لما رأى الزَّهرُ الشقيقَ انثنى مُنهزماً لم يَستطعْ لَمْحَهُ

وقال : مَنْ جاء ؟ فقُلنا لهُ : جاءَ شقيقٌ عارضاً رُمْحهُ

وأما حجل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

* * *

شواهد الاسناد

١٢ — أشَابَ الصغيرَ وأفْنَى الكبيرَ كَرُّ الغَدَاةِ ومَرُّ العَشِيّ

البيت للصّلتان العبدى الحماسى [١] من قصيدة من المتقارب . ونسب الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه الأبيات للصلتان السعدى ، وقال : هو غير الصلتان العبدى ، و بعد البيت :

إذا لَيلةٌ أهرَمت يَوْمها أتى بعدَ ذلكَ يوم فتى [٢]

نرُوحُ ونغدُو لِحاجاتنا وحاجةُ مَنْ عاشَ لاتنقضى

تموتُ معَ المرْء حاجاتُهُ وتَبْقَى له حاجةٌ مابقى

إذا قُلتَ يوما لمنْ قدْ تَرَى أرُونى السَّرىَّ أرَوكَ الغنى

بُنَيَّ بداخِبٌّ نجْوَى الرِّجال فكنْ عندَ سرِّكَ خبَّ النجى [٣]

فسرُّكَ ما كان عِندَ امرئ وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفى

---

(١) الحماسى : أحد شعراء ديوان الحماسة الذى اختاره أبو تمام حبيب ابن أوس الطائى من شعر العرب ، وانظر شرح التبريزى بتحقيقنا (٣-١٩١) آخر باب الأدب .

(٢) فى الحماسة « إذا ليلة هرمت »

(٣) فى الأصول « خبء » بالهمز ، فى صدر البيت وعجزه ، وما أثبتناه عن الحماسة ، والخب — بكسر الخاء — المكر والخديعة ، والخب — بفتح الخاء — الوصف منه ، أى الماكر المخادع . وقبل هذا البيت فى الحماسة قوله :

ألم تر لقمان أوصى ابنــه وأوصيت عمراً فنعم الوصى

فكُنْ كابن لَيلٍ على أسْودٍ إذا ما سَوادٌ بلَيْلٍ خشى [1]
فكلُّ سوادٍ وإن هِبْتَه من الليل يُخْشى كما تختشى
أرد مُحكم الشّعر إن قُلْتَه فانّ الكلام كثيرُ الروى
كما الصَّمْتُ أدنى لبعض اللِّسان وَ بعض التكلّم أدنى لِعِيْ

ومعنى البيت : أن كرور الأيام ومرور الليالى يجعل الصغير كبيراً والطفل شائبا [2] والشيخ فانيا .

والشاهد فيه : حمل إسناد الافناء إلى كرور الأيام ومرور الليالى على الحقيقة لكون إسناده إلى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر .

والصلتان العبدى هو قُثَم بن خَبَيَّة [3] بن عبدالقيس [4] .وهو شاعر مشهور قيل له : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال[من الطويل] [5]:

---

(١) هذا البيت والبيتان بعده لا توجد فى الحماسة .

(٢) هذا استعمال ردىء ، والجيد أن يقال : شاب يشيب فهو أشيب .

(٣) وقع فى الأصول « بن حبيبة » محرفا ، والتصويب عن الخزانة (١ ـ ٣٠٨) . قال : « خبية بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية وأصلها الهمز » اهـ .

(٤) هو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن عبد القيس ، فنسبه هنا إلى جده الأعلى ، أو الصواب « من عبد القيس » بدل « بن عبد القيس »

(٥) وردت هذه القصيدة فى خزانة الأدب للبغدادى (١ ـ ٣٠٥) وقال قبل إيرادها : « عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتا ، أوردها المبرد فى كتاب الاعتناء ، والقالى فى أماليه ، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتا » اهـ . وانظر أمالى القالى (٢ ـ ١٤١ دار الكتب) .

أنا الصِّلتانُ الَّذْ بهِ قَدْ عَلِمْتُمو ... متى ما يُحكَّمْ فهو بالْحَقِّ صادعُ(١)

أتَنْفى تميم حِينَ هابَتْ قُضاتُها ... وإنى لبِالفَصل المُبِيِّن قاطعُ

كما أنفَذَ الأعشى قَضيّةَ عامِر ... وما لتميم فى قَضائى رَواجعُ(٢)

سَأقضى قَضاءً بَينهُمْ غيْرَ جائر ... فَهلْ أنْتَ للحكم المُبيِّن سامعُ

قضاءَ امرئٍ لايتَّقى الشتْمَ منهمُ ... وليْسَ له فى المدْح منهم منافعُ(٣)

فإن كُنتما حكَّمتُمانى فأنصتَا ... ولا تَجزعا وليَرضَ بالحقِّ قانعُ(٤)

فإن يَكُ بحْرُ الحنظليين واحداً ... فما تَستوى حيتانُهُ والضفادعُ

وما يَستوى صَدرُ القناةِ وَزُجُّها ... وما يَستوى شُمُّ الذُّرَى والأجارعُ(٥)

ولَيْسَ الذُّنابَى كالقُدَامى وَريشِهِ ... وماتَستوى فى الكفِّ منك الأصابع(٦)

ألاَ إنما تحظى كليبٌ بِشعرها ... وَبالمجدِ تحظى دَارمٌ والأقارعُ

---

(١) فى الخزانة « أنا الصلتان والذى قد » وفيه « فهو بالحكم صادع » وفى الأمالى « أنا الصلتانى الذى قد»

(٢) فى الخزانة « وما لتميم من قضائى » والبيت يشير إلى قصة المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ودخول الأعشى ميمون بن قيس بينهما وقوله من قصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

(٣) فى الخزانة « وليس له فى الحمد منهم » .

(٤) فى الخزانة « فان كنتما حكمتمانى فاصمتا » وفيها وفى الأمالى «وليرض بالحكم قانع » وفيها بيتان بين هذا البيت والذى بعده .

(٥) فى أصول هذا الكتاب «والأكارع» محرفا ، وما أثبتناه عن الخزانة والأمالى .

(٦) فى أصول هذا الكتاب « وليس الذنابى كالغداف » وهو تحريف صوابه عن الأمالى .

أرى الخطَفَى بذَّ الفرزدقَ شِعره ... وَلـكنْ خيراً منْ كليبٍ مُجاشعُ(١)

فَيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثلهُ ... جَرِيرٌ وَلـكنْ فى كليبٍ تواضعُ

وَيرفعُ منْ شِعرِ الفرزدقِ أنه ... له باذخٌ لِذى الخسيسةِ رافعُ(٢)

وَقدْ يُحمدُ السّيفُ الرَّدىءُ بغمدهِ ... وَتلقاهُ رَثًّا جَفنُهُ وَهوَ قاطعُ(٣)

يُناشِدنى النصرَ الفرزدقُ بعدما ... أناختْ عليهِ منْ جَرِيرٍ صَوَاقعُ

فَقلتُ له إنى وَنصرَكَ كالذِى ... يُثبِّتُ أنفاً كَشَّمَتهُ الجوادعُ

وفى ذلك يقول جرير رحمه الله تعالى [من الطويل] :

أقولُ وَلم أملك سَوابقَ عَبرةٍ ... مَتى كانَ حكمُ الله فى كَرَبِ النَّخْلِ (٤)

---

(١) فى أصول الـكتاب « أرى الحظ فى بذ الفرزدق شأوه » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأمالى والخزانة .

(٢) فى الأصول « له باذخ لدن الخسيسة رافع » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأمالى والخزانة .

(٣) فى الخزانة والأمالى « يحمد السيف الردىء بجفنه »

(٤) هذا البيت — على ما ذكر البغدادى عن المبرد — ملفق من بيتين وإليك عبارته (١—٣٠٦) : «قال المبرد : قال أبو عبيدة : فأما الفرزدق فرضى حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة من لا مروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير فغضب من المنزلة التى أنزله إياها ، فقال يهجوه — وهو أحد بنى هجرس —

أقول ولم أملك سوابق عبرة ... متى كان حكم فى بيوت الهجارس

فلو كنت من رهط المعلى وطارق ... قضيت قضاء واضحا غير لابس

قال : والمعلى أبو الجارود أو جده ، وطارق بن النعمان من بنى الحارث ابن خزيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان ، وقال جرير أيضاً :

أقول لعين قد تحـدر ماؤها ... متى كان حكم الله فى كرب النخل

فلم يجبه الصلتان ، فسقط » . اهـ

١٣ — مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عَنْ قُنْزُعِ * جَذْبُ اللَّيَالِى أَبْطِئِى أَوْ أَسْرِعِى

* أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ لِلشَّمْسِ اطْلُعِى *

هذه الأبيات لأبى النجم العجلى ، من قصيدة من الرجز ، أولها (١) :

قدْ أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدّعى عليّ ذَنباً كله لم أصنعِ

* منْ أنْ رأتْ رأسى كرأسِ الأصلعِ *

وبعده الأبيات ، وبعدها :

* حتى إذَا وَاراكِ أفقٌ فارجعى *

والقنزعة : الخصلة من الشَّعر تترك على رأس الصبى ، أوهى ما ارتفع من الشعر وطال ، أو الشعر حوالى الرأس ، وجمعها قنازع وقنزعات ، وجذب الليالى هو مُضيها واختلافها ، ويقال : جذب الشهر ، إذا مضى عامته ، وأبطئى أو أسرعى: صفة الليالى ، أى : المقول فيها أبطئى أوأسرعى ، وقيل : حال منها ، أى الليالى مقولاً فيها أبطئى أو أسرعى ، والصَّلَعُ : انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر فى تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها(٢) ولتطامن الدماغ عما يماسه من القحف فلا يسقيه سقيه إياه وهو ملاق له ، والمواراة : الستر .

ومعنى الأبيات : أن هذه الحبيبة — يعنى أم الخيار زوجته — أصبحت تدعى على ذنوبا لم أرتكب شيئا منها ؛ لرؤيتها رأسى كرأس الأصلع لكبرى وشيخوختى ، ميزو فصل مَرُّ الأيام ومضى الليالى الشعرَ الذى بقى حوالى الرأس وجوانبه ، ثم قال : أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب .

---

(١) الكلمة مذكورة فى خزانة الأدب (١ — ١٧٦ بولاق) .

(٢) قال ابن سينا « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهن ، ولا للخصيان لقرب أمزجتهم من أمزجة النساء » اهـ .

والشاهد فيها : هو أن حمل إسناد تمييز الشعر إلى جذب الليالى مجاز بقرينة قوله « أفناه ـ إلى آخره »

وأبو النجم : تقدم التعريف به فى شواهد المقدمة .(١)

* * *

١٤ — يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً إذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

البيت لأبى نُواسٍ ، من قصيدة من الوافر يهجو فيها الأعراب والأعرابيات ويذم عيشهم ، وأولها :(٢)

دَعِ الرَّسْمَ الذى دَثَرَا يُقاسى الرِّيحَ والمطرَا
وكُن رجلاً أضَاعَ العِرْ ضَ فى اللذَّاتِ والخَطَرَا(٣)
ألمْ تَرَ ما بَنَى كِسرَى وسابُورٌ لمن غَبرَا
مَنازل بين دِجْلة والفُـــرَاتِ أحفَّهَا شَجرا(٤)
بأرضٍ باعَدَ الرحمْـــنُ عَنها الطَّلحَ والعُشَرَا(٥)
ولم يَجعلْ مَصايِدَهَا يَرابِيعاً ولا وَحَرَا(٦)

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم ٣ .

(٢) اقرأها فى الديوان (١٦٤) .

(٣) فى الديوان « أضاع العلم » وهو تحريف ، وأحسب ما هنا تحريف أيضا ، وأن الأصل « أضاع العمر » .

(٤) فى الديوان « منازه بين دجلة » وفيه « أخصها الشجرا » .

(٥) الطلح — بفتح فسكون — والعشر — بضم العين وفتح الشين — من شجر البادية .

(٦) فى أصل الكتاب « ولا وجرا » محرفا ، واليرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان كالفأر . والوحر — بفتح الواو والحاء المهملة — جمع وحرة ، وهى وزغة كسام أبرص ، أو ضرب من العظاء لا تطأ شيئا إلا سمته ، أو القصيرة من الإبل والمراد هنا ما عدا الأخير .

ولكن حُورَ غِزلانٍ ... تُراعى بالملَا بقرَا
وإن شئنا أحَشنا الطيرَ ... من حافاتِها زُمرَا(١)

إلى أن قال :

أما والله لا أشَرَا ... حلفتُ بهِ ولا بطرَا
لو ان مُرقّشاً حيٌّ ... تعلقَ قلبُهُ ذكرَا(٢)
كأن ثيابهُ أطلعـ ... ـنَ من أزرارِه قمَرا
ومرّ بهِ بديوانِ الْـ ... ـخَراجِ مُضمخاً عطرا
بوجهٍ سابريٍّ لو ... تَصوّبَ ماؤُه قَطرا
وقَدْ خطّتْ حواضنه ... له من عنبرٍ طرَرا
بعينٍ خالطَ التفتيرُ ... فى أجفانِها حَوَرا
يزيدُكَ وجهُهُ حُسناً ... إذا ما زدتَهُ نَظرا
لأيقَنَ أن حُبّ الْمرْ ... ءِ يُلفى سَهلهُ وَعرا

(١) فى الديوان « حشنا الطير » محرفا ، وأحشنا الطير : أى جئناه من حواليه لنصرفه إلى الحبالة .

(٢) المرقش : لقب لشاعرين أحدهما الأكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة ، وثانيهما الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وكلاهما من عشاق العرب ومتيميهم وفرسانهم ، فأما الأكبر فقد عشق ابنة عمه عوف بن مالك واسمها أسماء ، وأما الأصغر فقد عشق فاطمة بنت المنذر ، ولكل منهم شعر يدل على ما أشرنا إليه من الصبابة وفى المفضليات شىء منه ، وكذا فى تزيين الأسواق .

(٣) فى الديوان « ومن يريد ديوان الخراج ».

ولا سِيَمَا وبَعضهُم إذا حَمِيتهُ انتهرا (١)

والمعنى فى البيت : أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال ، كلما كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا وبهاء ، مع أن تكرار النظر إلى الشىء قلما يحلو.

وفى معناه قول الآخر [من الرمل] :

كُلَّمَا زِدتَ إليــهِ نَظراً زاد حُسْناً عِندَ تَكرارِ النَّظَرْ

وقول ابن الرومى [من المنسرح] :

لا شىءَ إلاَّ وفيه أحسَنُهُ فالْعيْن مِنهُ إليه تَنتقلُ

فَوَائد العين فيهِ طارفةٌ كأنمــا أُخرياتُهــا أُوَلُ

وقول المتنبى [من الكامل] (٢)

وهو المُضاعَفُ حُسنُهُ إن كُرِّرا

وقول عبدوس المغربىّ [من مجزوء الرمل] :

يا غــزالاً وهِلالاَ خُلِقَا خَلْقاً عجيبا

وقَضِـيبا وكثيباً جَمَعا قدًّا غريبا

قَدْغَضِضنادونكَ الأَ لْحاظ خوفاً أن تذوبا

كُلما زدْناكَ لَحْظاً زِدتنَا حُسناً وطيبا

(١) « لاسيما » بتخفيف الياء ، وهو لغة فى هذه الكلمة ، و « انتهر » ههنا معناه أبطأ فى سيره ، والسياق يبعد أن يكون معناه زجر كما هو المشهور

(٢) هو عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها ابن العميد وصدره قوله :

* فهو المشيع بالمسامع إن مضى *

ارجع إلى الديوان (٢ ــ ١٦٧)

وقول ابن الخيمى [من البسيط] :(١)

ما يَنتهى نَظرى مِنهم إلى رُتَبٍ في الحسنِ إلاّ ولاَحتْ فَوقها رُتبُ

وقول قوام الدين المعروف بابن الطرّاح [من المنسرح] :

وَعْدُكَ لاَ يَنقضى لهُ أَمَدُ وَلاَ لليلِ الْمِطالِ مِنكَ غَدُ

عَلّلتني بِالْمنا غداً فغداً إنَّ غداً سَرمدا هُوَ الأَبدُ

تَضحكُ عَنْ وَاضحٍ مُقبَّلُهُ عَذْبٌ بَرودٌ كأنَّهُ الْبرَدُ

أحومُ مِنْ حَوْلهِ وَبى ظَمأ إلى جَنَى رِيقهِ وَلاَ أَرِدُ

وَكلما زِدتُ وَجهُهُ نَظراً بَدَتْ عَليهِ مَحاسنٌ جُدُدُ

وقريب منه قول ابن المطرز [من المديد] :

يَاحبيباً كلهُ حَسنٌ لمحبٍّ كلهُ نَظرُ

وَجهُهُ مِنْ كلِّ ناحيةٍ حَيثما قابلتهُ قَمرُ

ومن ظريف ما يذكر هنا أن يعقوب بن الدقاق مستملى أبى نصر صاحب الأصمعى قال : كنا يوم جمعة بقبة الشعراء فى رحبة مسجد المنصور نتناشد ، وكنت أعلاهم صوتا ، إذ صاح بى صائح من ورائى يا منتوف ، فتغافلت كأنى لم أسمع شيئاً ، فقال : ويلك يا أعمى يا أعمى لم لا تتكلم ؟ فقلت : مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو دانق الموسوس ، فالتفت إليه ، فقال : ويلك ! هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله ، وهو [من المنسرح] :

---

(١) ابن الخيمى : هو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمي ، يمنى الأصل ، مصرى الدار ، وتوفى فى القاهرة سنة خمس وثمانين وثمانمائة والبيت المذكور من قصيدة مطلعها :

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب إليك آل التقصى وانتهى الطلب

وهذه القصيدة قصة ذكرت فى ترجمته فى فوات الوفيات (٢ — ٣٨٨).

ما تَنظرُ العَيْنُ مِنهُ ناحيةً إلا أقامتْ مِنهُ على حَسَنِ

فقلت كالمحاجر له : لا، فقال: لا أم لك ! هلا قلت نعم قوله[من مجزوء الوافر] :

يَزيدكَ وَجههُ حُسناً إذَا مازِدتهُ نَظرَا

ثم وثب وثبة فجلس إلى جانبي ، وأقبل على ، وقال لى : يا أعمى، صف لى صورتك الساعة ، و إلا أخرجتك من بزتك ، ثم أقبل على من كان حاضراً فقال : ظلمناه ظلمناه ، وهو ضرير لم ير وجهه ، فمَنْ أحسَنَ منا أن يصفه فليصفه ، وكان على الحقيقة أقبح الناس وجهاً ، وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه و يدهن قال : فلم يتكلم أحد ، فقال : اكتبوا صفته فى رأسه ، وأنشد [من الوافر] :

أُشَبِّهُ رَأسَهُ لَولاَ وجارٌ بعينيهِ وَنَضْنَضَةُ اللِّسانِ

بأضخم قَرعةٍ عَظمتْ وَتمتْ فَليسَ لها لدى التمييز ثانِ

إذا عليت أسافلها أمالتْ دَعائمَ رَأسِها نحو اللَّبانِ

فكانَ لها مكانَ الجيدِ مِنْها إذا اتَّصلتْ بمُمسِكةَ الجرانِ

لهـا فى كل شَارِقَةٍ وَبيصٌ كأن بريقَها لمع الدِّهانِ

فلا سُلِّمْتَ من حَذَرى وخوفى متى سَلِمَتْ صَفاتُكَ من بنانى

ووثب إلى ، فحالت الأيدى بينى و بينه .

والشاهد فى البيت : معرفة حقيقة المجاز العقلى الخفيةِ التى لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل .

ومثاله قول محمد اليزيدى[من مجزوء الوافر] [1] :

أتَيتُكَ عائذاً بكَ منـ ـك لَمّا ضَاقَتِ الحِيَلُ

وصَيَّرنى هواكَ وبى لِحَيْنى يُضرَبُ المَثَلُ

---

(١) هو محمد بن أبى محمد اليزيدى، أحد شعراء بنى تميم المحدثين

فان سَلِمَتْ لكم نفسى فما لاقيتُهُ جَلَلُ
وإن قتَلَ الهوى رجلاً فإنى ذلك الرجلُ

أى: صيرنى الله بهواك وحالى هذه، وهى أن يُضرب المثلُ بى لحينى، أى أهلكنى الله ابتلاءً بسبب هواك.

والبيت الأخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد [من الوافر]:

متى ما تَسمعى بِقتيلِ أرض أُصيبَ فانى ذاك القتيلُ

ترجمة أبى نواس

وأبو نواس (١) هو: أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمى، الشاعر المشهور، كان جدُّه مولى الجراح بن عبد الله الحكمى والى خُراسان ونسبته إليه، قيل: إنه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد، وقيل: إنه ولد بالأهواز، وقيل: إنه ولد بكورة من كورخوزستان فى سنة إحدى وأربعين ومائة، ونقل إلى البصرة فنشأ بها ثم انتقل إلى بغداد، وقد زاد سنه على الثلاثين، ولم يلحق بها أحداً من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي قوله [من المقتضب]:

حامِلُ الهَوى تَعِبُ يَستخِفُّهُ الطَّربُ
إنْ بَكَى يحقَ لَهُ لَيسَ مابهِ لَعِبُ (٢)
تَضحكينَ لاهيةً وَالمحبُّ يَنتحِبُ
كُلَّما انقَضَى سَبَبٌ منكِ جاءنى سَبَبُ (٣)

---

(١) لأبى نواس ترجمة فى الخزانة (١-١٦٨) وفى ابن خلكان (١-٢٤٠) وأخباره مع جنان خاصة فى الأغانى (١٨-٣٥٤)

(٢) «إن بكى يحق له» رواية، ومثل ما هنا فى ابن خلكان

(٣) «منك عاذلى سبب» رواية، وهذا البيت ليس فى ابن خلكان

تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمى صِحَّتِي هِيَ العجبُ

وهى أبيات مشهورة

وَرُوى أن الخصيب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه ، فقال : أغنانى أدبى عن نسبى

وما زال العلماء والأشراف يَرْوُون شعر أبى نواس ، ويتفكهون به ، ويفضلونه على أشعار القدماء

قال محمد بن داود الجراح : كان أبو نواس من أجود النـاس بديهةً ، وأرقهم حاشية ، لسِناً بالشعر يقوله فى كل حال ، والردىء من شعره ماحفظ عنه فى سكره

قال الجاحظ : لا أعرف بعد بشار مُوَلَّدا أشعر من أبى نواس ، وقال الأصمعى : ما أروى لأحد من أهل الزمان ماأرويه لأبى نواس . وقال أبو عبيدة : أبو نواس للمُحْدَثين كامرىء القيس للأولين ، لأنه الذى فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعانى ، وقال : ذهبَتِ اليمنُ بجد الشعر وهزله ، فامرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وقال أبو الحسن الطوسىّ : شعراء اليمن ثلاثة : امرؤ القيس ، وحسان وأبو نواس

وكان خلف الأحمر ولاء فى اليمن فى الأشاعرة ، وكان عصبيا ، وكان من أميل خلق الله إلى أبى نواس ، وهو الذى كَنَاه بهذه الكنية ، لأنه قال له : أنت من أهل اليمن فتكنَّ باسم من أسامى الذوِينَ ، ثم أحصى له أسماءهم ، وخيره ، فقال : ذوجَدَن ، وذو كلال ، وذو يزن ، وذو كلاع ، وذو نواس ، فاختار ذا نواس فكناه أبا نواس ، فسارت له وغلبت على « أبى على » كنيتِهِ الأولى .

وكان أبو نواس يعجبه شعر النابغة ، ويفضله على زهير تفضيلا شديداً ، ثم يقول : الأعشى ليس مثلهما ، وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ، ويقول : هو أشعر ، ويأتم ببشار ويقول : هو غزير الشعر كثير الافتنان ، ويقول أدمنت قراءة شعر الكميت فوجدت قشعريرة ، ثم قرأت شعر الخريمى فتشققت علىّ حُمّى مبردة

ثم قال يوما : شعرى أشبه بشعر جرير ، فقيل له : فما تقول فى الأخطل ؟ قال : إمامى فى الخمر ، فقيل : الفرزدق ؟ قال : ذاك الأب الاكبر

وقال ابن الأعرابى : قد ختمت بشعر أبى نواس ، فما رويت لشاعر بعده

وقال أبوعمرو الشيبانى : لولا ماأخذ فيه أبو نواس من الارفاث لاحتججنا بشعره ، لأنه كان محكم القول لايخلط

وقال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن أبى نواس فقال : إن جد حسن ، و إن هزل ظرف ، و إن وصف بالغ ، يلقى الكلام على عواهنه لايبالى من حيث أخذه

وقال أبو الغيث بن البحترى: سألت أبى لما حضرته الوفاة: مَنْ أشعر الناس؟ فقال : أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين ؟ فقلت: عن المحدثين ، فقال: يابُنىَّ لو قسم إحسان أبى نواس على جميع الناس لوسعهم ، و إن لأشجع السلمى لاحسانا وما علَّمَ الشعراءَ أكلَ الخبز بالشعر إلا أبو تمام ، فقلت له : أنت أشعر أم أبو تمام؟ فقال : سألت عما لايزال يسأل عنه : جَيِّدُ أبى تمام خير من جيدى وردِيىء خير من رديئه .

وقال ابن الأعرابى : بعث إلىَّ المأمونُ فسرت إليه وهو مع يحيى بن أكثم يطوفان فى حديقة فلما نظرانى وليانى ظهورهما ، فجلست ، فلما أقبلا قمت ، فقال المأمون : يامحمد بن زياد ، من أشعر الشعراء فى نعت الخمر ؟ فجعلت أنشده للأعشى وقلت هو الذى يقول [من الطويل] :

تريك القَذَى من دونها وهى فوقهُ إذا ذَاقها من ذاقَها يتمطَّقُ

ثم أنشدته للأخطل ، فلم يحفل بشىء مما أنشدته ، ثم قال : يا ابن زياد ، أشعر الناس فى نعتها الذى يقول [من المديد] :

فتمشَّتْ فى مَفاصِلهمْ كَتمشِّى البُرء فى السَّقَمِ

فَعلتْ فى البَيت إذ مزجت مِثلَ فعلِ النار فى الظلمِ

فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السَّفْرِ بالعَلَمِ

وعن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى قال : جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواس إلى أبى فأنشده أبو العتاهية [من الكامل] :

وَعظَتْكَ أجْداثٌ صُمُتْ ونَعتْك أزمنة خُفُتْ
وأرتك قَبرَكَ فى القُبـــــور وأنْتَ حىّ لم تمت
وتكلّمت عن أعين تبْلى وعن صُوَر شتت
وحكَتْ لك الساعاتُ سا عاتٍ أتيّاتٍ بغتْ

وأنشده شعراً آخر يقول فيه [من المتقارب] :

على سُرعَة الشمس فى مرِّها دبيب الخُلُوقَة فى الجِدَّة

قال : وانصرفوا ، فلما كان بعد أيام عاد إليه مسلم وأبو نواس ، فأنشده مسلم : [من البسيط] :

* أجْررتَ حَبْلَ خليعٍ فى الصّبا غَزِلِ *

حتى بلغ قوله :

ينالُ بالرفقِ ما يَعيا الرِّجالُ به كالمْوتِ مُستعجلاً يأتى على مَهَل

فقال أبو عمرو : أحسنت ، إلا أنك أخذت قول أبى العتاهية :

وحكتْ لك السّاعات سا عات أتيــات بغت

قال : ثم أنشده أبو نواس قوله [من المديد] :

* ياشَقيقَ النَّفسِ مِنْ حَكم *

إلى أن بلغ إلى قوله :

فَتمشتْ فى مَفاصلهمْ كَتمشىِّ البرءِ فى السَّقَم

قال له : أحسنت ، إلا أنك أخذته أيضاً من قول أبى العتاهية :

على سُرعةِ الشّمسِ فى مَرِّها دَبيبُ الخلوقةِ فى الجِدة

وقــد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبى نواس هــذا مأخوذ من قول بعض

الهذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشى [من المديد] :

فَتَمشَّى لاَ يُحسُّ بِهِ كَتَمشِّى النّارِ فى الضَّرَمِ

ويقال : إن أبا نواس أنشد بيته هذا بعض الشعراء فقال له : أما كفاك أن سَرَقْتَ حتى أحلْتَ ، فقال : ومن أين سرقت ؟ فأنشده بيت الهذلى ، فقال : كيف أحلت ؟ فقال : بقولك « كتمشى البرء فى السقم » وهما جميعا عرضان ، والعرض لا يدخل على العرض ، فانقطع أبو نواس ثم غير بيته بعد ذلك بأن قال:

* كتمشِّى النّارِ فى الفَحَمِ *

وهذا بيت الهذلى بعينه ومعناه

وعن الأصمعى أن أبا نواس سرق بيته من قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

تجرى مَحبّتها فى قَلبِ وَامقها جَرْيَ السَّلاَمَةِ فى أعضاء مُنتكسِ

وهو أخذه من قول عمر بن أبى ربيعة حيث يقول [من الوافر] :

لَقدْ دَبَّ الهوَى لك فى فؤادِى دَبيبَ دَمِ الحياةِ إلى العروقِ

وهو أخذه من قول بعض العدويين حيث يقول [من الطويل] :

وأُشْربَ قَلبى حُبها وَمشى به كَمشيِ حُمَيَّا الكأسِ فى عَقلِ شَارب

وَدبَّ هَواها فى عِظامى وَحُبُّهَا كما دَبَّ فى الْملسوعِ سُم العَقاربِ

وهو أخذه من أسقف نجران حيث يقول [من الكامل] :

منع البقاء تَقَلُّبُ الشمس وَطلوعها منْ حَيثُ لاَ تُمسى

وَطلوعها حَمراء صافيةً وَغروبها صَفراء كالْورسِ

تجرِى على كَبد السماء كما يَجرى حمامُ الموتِ فى النَّفسِ

يذكرت بهذه الأبيات ما قال الأعشى وهو أعشى قيس فى سكران [من المتقارب] :

فَراحَ ملسا كأنَّ الذُّبابَ يَدِبُّ على كلِّ عُضوٍ دَبيبا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمر بن أبي ربيعة فقال [من المجتث] :

لَقَدْ جَرَى الحبُّ مِنّي مَجْرَى دَمِي في عُرُوقِي

وأخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

جَرَى حُبُّها مَجْرَى دَمِي في مَفاصِلي فأصبحَ لي عَنْ كلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ

وقال أبو الفرج بن هندو [من الخفيف](١)

فَتَمشتْ في قَلْبيَ المَهْمومِ كتَمشّي الدِّرْياقِ في المَسْمومِ

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال [من الطويل]:

فَبِتُّ أُسَقَّاها سُلافاً مُدامةً لَهافي عِظامِ الشّاربين دَبيبُ

وما أحسن قول بعضهم [من البسيط] :

وَفي الظّعائنِ مَهْضومُ الحَشا غَنِجٌ يَخطو بأعْطافِ كَسْلانِ الخُطا ثَمِلِ

ظَبْيٌ مَشَى الوردُ مِنْ لحظي بوجنته مَشْيَ اللواحظِ مِنْ عينيهِ في أَجَلي

وقال أبو حاتم: لولا أن العامة ابتذلت هذين البيتين وهما لأبي نواس لكتبتهما بالذهب ، وهما قوله [من الوافر] :

وَلوْ أنيِّ استزدتُكَ فَوقَ مابي مِنَ البلوى لأَعْجزَكَ المزيدُ(٢)

وَلو عُرِضَتْ عَلَى المَوْتَى حَياةٌ بِعيشٍ مِثْلِ عيشي لَمْ يُريدُوا

وكان المأمون يقول : لو وَصَفتِ الدنيا نفسها لماوصفت بمثل قول أبي نواس [من الطويل] :

ألاَ كلُّ حيٍّ هالكٌ وابْنُ هالكٍ وَذو نسبٍ في الهالكين عَريقِ

---

(١) في المطبوعتين «ابن عبدو» محرفا ، وفي يتيمة الدهر ترجمة لأبي الفرج الحسين بن محمد بن هندو ، أحد أصحاب الصاحب بن عباد ، وممن تخرجوا بمجاورته وصحبته (٣ـ ٣٦٢ مصر) وفي فوات الوفيات ترجمة لأبي الفرج علي ابن الحسين بن هندو أحد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة (٢ـ٥٧ بولاق)

(٢) قوله «لأعجزك» في بعض النسخ « لأعوزك»

إذا امتحنَ الدُّنيا لَبيبٌ تكشَّفَتْ ... لهُ عَنْ عَدُوٍّ فى ثِيابِ صَدِيقِ

والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس [من الوافر]:

فَبعضَ اللَّوْمِ عَاذِلتى فإنِّى ... سَيَكفينى التَّجاربُ وَانْتِسَابى

إلىَ عِرْقِ الثرى وَشجتْ عرُوقى ... وَهٰذا الموتُ يَسلبنى شَبَابى

وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة: أنشدنى لأبى نواسكم، فأنشده [من المديد]:

ما هَوًى إلاَّ لهُ سَبَبُ ... يَبتدِى مِنهُ وَيَنشعبُ

فقال سفيان: آمنت بالله الذى خلقه.

واجتمع أبو نواس مع العباس بن الأحنف فى مجلس، فقام العباس فى حاجة فسئل أبو نواس عن رأيه فيه وفى شعره، فقال: لهو أرق من الوهم، وأنفذ من الفهم، وأمضى من السهم، ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك، فسئل العباس عنه وعن رأيه فيه وفى شعره، فقال: إنه لأقر للعين من وصل بعد هجر، ووفاء بعد غدر، وإنجاز وعد بعد يأس. فلما صارا إلى النبيذ أعلم كل واحد قول الآخر فيه، فقال أبو نواس [من الهزج]:

إذَا ارْتدتَ فَتى الكاس ... فَلا تَعدِلْ بِعبَّاس

فَنعمَ المرْءُ إنْ أرْضعتَ يَوما دِرةَ الكاس

فقال العباس [من الوافر]:

إذَا نَازعتَ صَفوَ الكاسِ يوما ... أخاثقةٍ فَمثلَ أبى نُواس

فَتى يَشتدُّ حَبلُ الوُدّ مِنهُ ... إذَا ما خُلَّةٌ رَثتْ لِناس

فتناول أبو نواس قدحا وقال [من الهزج]:

أبا الفضلِ اشربنْ كاسكْ ... فإنى شاربٌ كاسى

فقال العباس:

نَعمْ يا أوْحد النَّاسِ ... على العينينِ والراس

فقال أبو نواس :

فَقَدْ حُفَّ لنا المجلـــسُ بالنَّسرين والآسِ

فقال العباس :

وَإخوانٍ بَهاليلَ سَراةٍ سادة الناسِ

فقال أبو نواس :

وَخَوْدٍ لذةِ المسْمُو ع مِثْلِ الغُصُنِ الكاسِي [1]

فقال العباس :

وقَدْ ألبَسها الرحْمَـنُ من أحْسنِ إلباس

فقال أبو نواس :

وقد زِينَتْ بأكاليلِ يَواقيتَ على الراس

فقال العباس :

فلا تحْبِسْ أخي كاسي فإني غَيرُ حبَّاس

فكان ما نسى من معارضتهما فى ذلك المجلس أكثر مما حفظ ، إلا أنه انصرف العباس وبقي أبو نواس ، فسئل عن العتابى والعباس فقال : العتابى يتكلف والعباس يتدفق طبعاً ، وكلام هذا سهل عذب ، وكلام ذاك متدقق كزٌّ ، وفى شعر هذا ماء ورقة وحلاوة ، وفى شعر ذاك جساوة وفظاظه .

وكان لأبى نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات يطول شرحها ، فنورد

(١) فى الأصول « مثل العض للكاس » محرفا ، وما أثبتناه عن الديوان .

منها ماخف ذكره [١] .

حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر ، وكان سليمان ابن أبى سهل فى عينه سوء ، فقام أبو نواس بإزائه ، ثم قال : يا أبا أيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا ترانى من قرب ؟ فقال له سليمان : قد رأيتك تمشى القهقرى حتى تدخل فى رحم جلبان — يعنى أمه — فأحفظ ذلك أبا نواس ، فقال فى سليمان [من السريع] :

قُلْ لِسُلَيمانَ وما شِيمتى ... أن أُهْدِىَ النُّصحَ له مُخْلِصا
ما أنت بالحر فأَلْحَى ولا ... بالعَبْدِ أَستَعْتِبُهُ بالعَصا
فَرَحْمَةُ الله عَلَى آدم ... رَحمةَ من عَمَّ ومن خَصَّصا
لو كان يدرى أنه خارجٌ ... مِثلُكَ من إحْلِيله لاخْتَصَى

فأجابه سليمان فقال :

إن ابن هانى سِفْلَةٌ خالص ... ما وَحَّدَ الله ولا أَخْلَصا
أغلى بِذِكرى شِعره فاغْتَدى ... بالقرض فى أشباهه مُرْخِصا [٢]
وكان فى شِعرى وتَغْريده ... بِخَوْفِ مَنْ يأتيه قد قَلَّصا [٣]
كالكلب هرَّ الليثَ حتى إذا ... أهدى إليه مِخْلباً بصصا

---

(١) روى المؤلف فى هذه المناقضات كثيرا من المجون الذى ينسب إلى أبى نواس ؛ ونحن لا نستبيح لأنفسنا ولا لمن يقوم على تحقيق كتاب من مصنفات السلف أن يتصرف فيه بالحذف أو بالتغيير ، ولو كنا نصنف كتابا لنزهناه عن هذا المجون ، فنحن نثبت ما أثبته المؤلف ، ونستغفر الله لناوله .

(٢) فى الأصول «بالعرض فى أشباهه» وما أثبتناه عن الديوان

(٣) وقع هذا البيت فى المطبوعتين هكذا :

وكان فى شعرى وتغريره ... للخوف من ثوبيه قد قلصا

وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

وكان لأبى الشمقمق ضريبة على الشعراء ، فجاء يوما إلى أبى نواس فقال : هاتِ ضريبتك ، فدخل المنزل وأخرج إليه رقعة فيها [من الوافر] :

أخَذْت بأيرِ بَغلٍ حِينَ أدْلى فُوَيقَ الباعِ كالجذْعِ المطوّقْ
فما إنْ زِلتُ أمرسُهُ بكفى إلى أنْ صارَ كالسَّهم المفوقْ
فلما أن طَمى ونما وأنْدى جَلَدْتُ به حِرَامِّ أبى الشَّمْقَمَقْ

فوقعت هذه الأبيات فى أفواه الصبيان ، وأجابه أبو الشمقمق بأبيات فلم تَسِرْ له .

وحدث الجماز قال : اجتمعتُ أنا وأبو نواس والرقاشى فى بعض متنزهات البصرة ، فنفد شرابنا ، فقلنا : هلم فليقل كل واحد منا بيتا فى السقيا لنبعث به إلى عبد الملك بن إبراهيم ، فابتدأ أبو نواس فقال [من الرمل] :

يا ابن إبراهيمَ يا عَبْدَ الملكْ واثِقاً أَقبلتُ بالله وبِكْ
أنت للمال إذا أصلَحتهُ فاذا أنفَقتهُ فالمال لك

وقال الرقاشى :

اسْقِنى الخمَر ودع من لامَنى فى هوَى نَفْسى فغَيْرى مَنْ نَسَكْ
وَنِكِ المُرْدَ فما من لذّةٍ نِلتَها إن لم تَنكهم وتُنَكْ

فوقع البيت الرابع بموافقته ، وبعث إلينا بما كفانا .

واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشى فى مجلس ، فتذاكرا الشعر ، فقال له أبو نواس : لقد سبقتنى إلى أبيات وددت أنها لى بجميع شعرى ، قال : وما هى ؟ قال : قولك [من البسيط] :

نَبَّهْتُ نَدْمانِىَ الموفى بذمّتهِ من بَعدِ إيعَابِ طاساتٍ وأقْدَاحِ [1]

---

(١) فى الديوان (٢٦٢) * من بعد إتعاب كاسات وأقداح *
وفيه (٣٥) * من بعد إيعاب . . *

فقال خُذْ واسقني واشرب وغَنِّ لنا «يا دارَ مَثْواى بالقاعين فالساح»
فما حَسَا ثانياً أو بعض ثالثةٍ حتى استَدارَ وردَّ الراح بالراح
فقال له الرقاشي : لكنك أنت سبقتني ببيتين وددت أنهما لى بكل شعرى،
فقال أبو نواس : وما هما ؟ قال قولك [من البسيط] :

ومُستطيلٍ على الصَّهباء باكَرها في فِتيةٍ باصْطِباحِ الرَّاحِ حُذَّاقِ
فَكلُّ شيء رآه ظَنَّهُ قَدحا وكلُّ شَخصٍ رآه قال : ذا ساقى

واجتمع يوما أبو نواس مع عنان ، فأقبل عليها ، وقال [من مجزوء الرمل] :

إنَّ لى أَيْراً خبيثا عارِمَ الرأس فلوتا
لوْ رَأى فى الجوِّ فَرْجاً لَـنزَا حتى يَمـوتا
أورأى فى السقف دبراً لتحول عنكبوتا
أوْ رآه جَوْف بحرٍ صار للإنعاظِ حُوتا

فقالت عنان :

زَوِّجوا هذا بألفٍ وأُظنُّ الألفَ قوتا
إننى أخشى عَلَيـه داء سُوء أن يَمـوتا
قَبْلَ أن ينقلبَ الدا ء فلا يأتِى ويُوتَى

فقال أبو نواس [من المجتث]:

ألَمْ تَرِقِّى لِـصبٍّ يكفيه مِنكِ قُطَيْره

فقالت عنان :

إيَّاىَ تَعنى بِهـذَا عَليكَ فَاجلدْ عُمَيره

فقال أبو نواس :

أخافُ إن رُمتُ هذَا عَلى يَدى مِنكِ غَيره

فقالت عنان :

عَليكَ أمَّكَ نِكْها فإنها كندفيرة

ودخل أبو نواس يوما على الناطفى ، وعنان جالسة تبكى وخدُّهَا على رزة باب ، فقال [من السريع] :

بَكَتْ عنانُ فجَرى دَمعُها كاللؤلؤ المرفَضِّ من خَيطهِ

فقالت عنان والعَبْرَةُ تخنقها :

فَليتَ مَنْ يَضربُها ظالماً تجفُّ يُمناهُ على سَوطهِ

وكان الرشيد قدهم بشراء عنان جارية الناطفى ، فقيل له : إن أبا نواس قد هجاها بقوله [من المنسرح] :

إنَّ عِنانَ النطاف جاريةٌ قَدْ صارَ حرها للأير مَيْدانا

لا يَشتريها إلاَّ ابْنُ زانيةٍ أو قُلْطُبان يكونُ مَنْ كانا

فقال : لعنه الله ! لاحاجة لنا فيها . فأجابته عنان عن هذين البيتين فقالت [من مجزوء الرمل] :

عجباً مِنْ حَلقيٍّ يَدَّعى أصلَ اللواط

فاذا صار إلى البيـــت وخسف عن تواطى

فالذى يَعلم يَدْرى مَنْ يلى وَجهَ البساطِ

فقال أبو نواس [من مجزوء الرمل] :

فتحت حرها عِنانٌ ثم نَادَت مَنْ ينيك

ثمَّ أبدَتْ عن مشق مِثْلِ صَحراء العتيك

فيهِ درَّاجٌ وَبطٌّ ودَجاجات وَدِيكْ

فقالت عنان [من المنسرح] :

إنَّ ابْنَ هانى بِدَائهِ كَلفٌ يَبيتُ عن نفسه يخادِعُها

أمسى بروس الحملان يُعرَف فى النـــاس و مِضْمارُه كـوارعُها

ووجّهت عنان مرة إلى أبى نواس بوصيفة لها مع رقعة فيها [من المجتث]:

زرنا لتأكلَ معْنا ولاَ تَغيبَنّ عنّا
فَقَدْ عزمنا على الشّرْ ب صُبْحَةً واجتمعنا

فلما وردت الوصيفة على أبى نواس قرأ رقعتها ثم تأملها فاستحلاها فخدعها وقضى وطره منها ، ثم كتب فى جواب الرقعة [من المجتث] :

نكنا رسولَ عنانٍ والرأىُ فيما فعلنا
فكان خبزاً بملحٍ قبل الشّواء أكلْنا
جذبْتها فتجافَتْ كالغُصْن لما تَثَنّى
فقلتُ ليس على ذا الفعـال كنا افترقنا
قالت فكم تتجنّى طوّأتَ نكنا وَدَعْنا

فلما قرأت عنان الرقعة قالت : إن كان صادقا فقد زنى ، وهجرته .

ولقد ظرف ابن الأبّار بمتابعته أبا نواس فى هذا المعنى حيث قال [من الخفيف]:

زَارنى خِيفةَ الرقيب مريباً يتَشكّى القضيبُ منه الكثيبا
رَشأٌ رَاش لى سهام المنايا من جُفونٍ يُصمِين بهن القلوبا
قال لى ما ترَى الرقيبَ مُطلاًّ قُلْتُ ذَرْهُ أتى الجنابَ الرحيبا
عاطِهِ أكؤس المدَامِ دِراكاً وأدِرها عليه كوباً فكوبا
واسقْنيها بخَمرِ عينيكَ صِرفاً واجعَلِ الكأس منك ثغراً شَنيبا
ثم لما نامَ الرقيبُ سَريعاً وتَلَتّى الكرى سَميعاً مُجيبا
قالَ لا بُدَّ أن تَدِبَّ إليه قُلتُ أبغى رَشاً وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثَنِّ عليه قلت كلا لقد دَفعت قريبا

فوثبنا على الغزال ركوباً ودَبَبْنا إلى الرقيب دبيبا
فهلَ ابْصَرت أو سمعت بصَبّ نَاكَ محبوبه وناك الرقيبا

قال ابن بسّام : ولقد ظرف ابن الأبار ، واستهتر ما شاء ، وأظنه لو قدر على إبليس الذى تولى له نظم هذا المسلك لدب إليه ، ووثب أيضاً عليه . ثم قال : وأبو نواس سَبّل للناس هذا السبيل حيث يقول ، وذكر الأبيات ، انتهى.

ومن أناشيد الثعالبى فى هذا المعنى [من الخفيف] :

لىَ أير أرَاحنى الله منه صَار همى به عَريضاً طويلا
نام إذ زارنى الحبيبُ عناداً ولعَهْدِى به ينيك الرسولا
حسبت زورةً لشِقْوَةٍ جَدى فافترقنا وما شَفَيْنَا غليلا

رجع إلى أخبار أبى نواس .

وأشرف يوماً أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجنان جارية عبدالوهاب واقفة مع النساء تلطم ، وفى يديها خضاب ، وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة ، وكان أبو نواس يهواها فقال [من السريع] :

يا قمَراً أبرَزَه مأتم يَنْدُبُ شَجواً بين أتراب
يبكى فيذرى الدمعَ من نرجسٍ ويلطم الورد بعُناب
لاتبْكِ ميتاً حلّ فى حُفرةٍ وابك قتيلاً لكِ بالبابِ
أبرَزَه المأتم لى كارهاً برَغم دايات وحُجّاب
لا زالَ دَأباً موتُ أصحابه ودأبُ أن أُبصِرهُ دَابى(١)

وذكرت بالبيت الأول والثانى ما عكسه بعضهم منهما فى هجاء أعور ، وهو [من السريع] :

(١) فى الأغانى (١٨-٦) رواية عجز هذا البيت « ولا تزل رؤيته دابى »

يا أعوَراً أبرزه مأتم ينْدُب شَجواً بتخاليط
يَبكى فَيذرى الدمع من كُوةٍ ويلطم الشوكَ ببلُّوطِ

وحدث أبو نواس قال : رأيت النابغة الذبيانىّ فى منامى ، فقال لى : بماذا حَبَسك الرشيد ؟ فقلت له : بقولى [من المنسرح] :

اهْجُ نزاراً وَأفرِ جِلْدَتها وَهتِّكِ السِّترَ عَنْ مَثالِبها

فقال لى : أهل ذاك أنت يابن الزانية فقد استوجبت من كل نزارى عقوبة مثلها بما ارتكبت منها ، فقلت : وأنت بماذا حبسك النعمان ؟ قال : ببيت قلته ستره النعمان عن الناس ، قلت : بقولك [من الكامل] :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلم تُرِدْ إسقَاطهُ فَتناولتــهُ وَاتَّقتنــا بالْيــدِ

فقال : أو هذا مستور ؟ قلت : فبقولك [من الكامل] :

وَإذا لَمستَ لَمستَ أضخمَ جاثماً مُتحيزاً بِمكانهِ مِلء الْيدِ

قال : اللهم غفرا ، قلت : فبماذا ؟ قال بقولى [من الكامل] :

فملكت عُلياها وَأسفلها مَعاً وَأخذتها قَسراً وَقلتُ لها اقعدِى

فحدثت بهذا الحديث اليزيدى ، فألحق البيت بقصيدة النابغة .

وحكى الأصمعى قال : رأيت أبا نواس بعد موته فى المنام فقلت : هل نسى من خمرياتك شئ ؟ قال : أجودها ، قلت فاذكره ، فقال [من البسيط] :

اذكى سراجا وساقى الشرب يمزجها فَلاَحَ فى الْبيتِ كالمصباحِ مِصباحُ
كِدْنا على عِلمنا ء بالشك نَسأله أرَاحنــا نارُنا أمْ نارُنا الرَّاح

وحكى عن عبد الله بن المعتز أنه قال : رأيت أبا نواس فى المنام ، فقلت له : لقد أحسنت فى قولك [من البسيط] :

جاءتْ بابريقها مِنْ بَيتِ تاجرها رُوحاً مِنَ الخمرِ فى جِسمٍ مِنَ النّارِ

فقال : لا ، بل أحسنتُ فى قولى [من البسيط] :

ياقابضَ الرُّوحِ مِنْ جسم أسى زمنا   وَغافرَ الذنبِ زَحزحنى عَنَ النَّارِ

وقد أحسن أبو نواس ظنه بربه حيث يقول :[من الوافر]

تَكثَّرْ مااستْطعْتَ مِنَ الخطايا   فانَّكَ بالِغٌ رَبًّا غَفُورا

سَتُبْصر إن وَرَدْتَ عليه عَفواً   وَتلْقى سيِّدًا مَلِكاً كبيراً

تَعضُّ نَدامة كَفّيكَ مِمَّا   تَركتَ مخافةَ النَّارِ السُّرُورا

ومن شعره [من الكامل] :

سُبحانَ ذى المْلكوتِ أيّة ليلةٍ   مخضَتْ صَبيحتَهابيومِ الموقفِ

لوْ أنَّ عيناً وهمّتها نفسها   ما فى المعادِ مُحَصلاً لم تَطرف

ومنه [من مجزوء الرمل] :

خلِّ جَنبيك لرامٍ   وامْضِ عنه بسلامِ

مُتْ بداءِ الصمتِ خيرٌ   لكَ من داءِ الكلامِ

إنما العاقلُ مَنْ ألْـ   ـجَمَ فاهُ بِلجامِ

شِبْتَ يا هذا وَما تَتْـ   ـركُ أخلاقَ الغلامِ

والمْنَايا آكِلاتٌ   شارِباتٌ للأنَامِ

وأخباره كثيرة ، وديوان شعره مختلف الترتيب لاختلاف جامعيه

وكانت وفاته سنة خمسٍ ـ وقيل : ستٍ ، وقيل : ثمانٍ ـ وتسعين ومائة ببغداد ، ودفن فى مقابر الشونيزى ، رحمه الله تعالى !

شواهد المسند إليه

١٥ — * قَالَ لِى كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ *

شاهد حذف المسند إليه احتراز عن العبث

هو من الخفيف ، ولا أعرف قائله ، وتمامه :

* سَهَرٌ دَائِمٌ وَحزْنٌ طَوِيلُ *

ومعناه ظاهر ، والشاهد فيه حذف المسند إليه للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام ، وهو قوله « عليل » أى أنا عليل ، فحذف المبتدأ لما مرّ

ومثله قول أبى الطَّمَحَان الْقَيْنى الشاعر الجاهلى ، وقال ابن قتيبة : الصحيح أنه للقيط بن زُرارة [من الطويل] :

أَضاءت لهم أحسابُهم وَوجوهُهُمْ دُجى اللَّيلِ حتىَّ نظَّمَ الجزعَ ثاقِبهْ
نُجومُ سماءٍ كلما انقضَّ كوكبٌ بَدا كوكبٌ تأوِى إليه كواكِبهْ

أى : هم نجوم سماء ، فحذف المسند إليه .

***

شاهد تنبيه المخاطب على خطأ ظنه

١٦ — إنَّ الَّذينَ ترونَهم إخوانكمْ يَشفِى غليلَ صُدُورِهم أن تُصرعوا

البيت لعَبْدَةَ بن الطبيب ، من قصيدة من الكامل يعظ فيها بنيه و يوصيهم بما هو المرضى شرعا ، وأولها :

أَبنىّ إنى قد كبِرتُ وَرابَنى بصرى وَفىَّ لمُصلحٍ مستمتَعُ(١)
فَلَئنْ هَلكتُ لقد بنَيتُ مَساعيا تَبقى لكمْ منها مآثِرُ أربعُ
ذِكرٌ إذا ذُكِرَ الكرامُ يَزينكمْ وَوِراثة الحسبِ المُقدَّمِ تنفعُ
وَمقامُ أيامٍ لهُنَّ فَضيلةٌ عِندَ الحفيظةِ والمجامعُ تَجمعُ
وَلهًا مِنَ الكسبِ الذى يُغنيكمُ يوما إذا احتضرَ النفوسَ المطمعُ
أُوصِيكمْ بتقَى الإِلهِ فإنَّهُ يُعطى الرَّغائبَ مَنْ يشاءُ ويمنعُ

(١) فى المطبوعتين « وفى لمنظرٍ مستمتع » وما أثبتناه عن المفضليات

وَبِبِرِّ وَالِدِكُمْ وَطاعةِ أمْرِهِ ... إنَّ الأَبَرَّ منَ البنينَ الأطوعُ
إنَّ الكبيرَ إذا عصاهُ أهلُهُ ... ضاقتْ يداهُ بأمرهِ مايَصنعُ
وَدَعوا الضغائنَ لاتكنْ مِنْ شأنكمْ ... إنَّ الضغائنَ للقرابةِ توضعُ[١]
يُزجي عقاربَهُ ليبعثَ بينكمْ ... حرباً كما بَعَثَ العروقَ الأخدعُ[٢]
وَإذا مَضيتُ إلى سبيلي فابعثوا ... رَجُلاً لهُ قلبٌ حديدٌ أصمعُ
إنَّ الحوادثَ تخترِمْنَ وَإنَّما ... عمرُ الفتى فى أهْلِهِ مُستودَعُ
يَسْعَى وَيَجمعُ جاهِداً مُستهتراً ... جِدًّا وَليسَ بآكِلٍ مايَجْمعُ

وترونهم : من الاراءة المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل [٣] ، وجرى مجرى الظن لبنائه للمفعول ، وانتصب « إخوانكم » على أنه مفعول ثان لترونهم ، والغليل بالمعجمة : الحقد والضغن ، و « أن تصرعوا » فى محل رفع على أنه فاعل يشفى ، والصرع : الطرح على الأرض كالمصرع [٤] ، وهو موضعه

والمعنى: يابنى إن القوم الذين تظنونهم إخوانكم وتعتمدون عليهم فى الشدائد بما ظننتم يشفى مافى صدورهم من غليل العداوة وحرقتها أن تصرعوا وتصابوا بالحوادث ، فاياكم واستئمانهم والاعتماد عليهم ، وفيه إشعار بقولهم : الحزم سوء الظن ، والثقة بكل أحد عجز .

---

(١) فى المفضليات «ودعوا الضغينة» وفيها بين هذا البيت والذى بعده بيت يحتاج إليه البيت التالى ، وهو قوله :

واعصوا الذى يزجى النمائم بينكم ... متنصحا ، ذاك السمام المنقع

(٢) بين هذا البيت والذى بعده فى المفضليات ثلاثة عشر بيتا منها البيت المستشهد به

(٣) ليس ذلك بلازم ، ولا التزمه أحد من الذين كتبوا على التلخيص ، بل يجوز أن يكون مضارع رأى بمعنى ظن

(٤) فى المطبوعتين « كالمصروع »

والشاهد فيه: تنبيه المخاطب على الخطأ فى ظنه ، إذ فى قوله «إن الذين» من التنبيه على الخطأ ماليس فى قولك إن القوم الفلانيين

ترجمة عبدة بن الطبيب

وَعَبَدَةُ بن الطبيب(١) شاعر مجيد ، ليس بالمكثر ، والطبيب: لقب لأبيه ، واسمه يزيد بن عمرو ، وينتهى نسبه لتميم ، وهو مخضرم أدرك الاسلام فأسلم، وكان فى جيش النعمان بن مقرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن ، وقد ذكر ذلك فى قصيدته التى أولها [من البسيط] :

هلِ حَبلُ خُولةَ بعدَ الهجرِ موصولُ ... أم أنتَ عنها بَعيدُ الدَّارِ مشغولُ

حَلتْ خُويلة فى دَارِ مُجاورةً ... أهل المدينة فِيها الديكُ والفيلُ (٢)

يقارِعونَ رؤس العجمِ ضاحيةً ... منهمْ فوارس لا عُزْلٌ ولا ميلُ(٣)

وقال الأصمعى : أرثى بيت قالته العرب(٤) بيت عبدة بن الطبيب [من الطويل] :

وَما كانَ قيسٌ هلكُهُ هلكُ وَاحدٍ ... ولكنهُ بنيانُ قوم تهدمَا

وقال رجل لخالد بن صفوان : كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو ، فقال : لاتقل ذلك ، فوالله ما تركه من عىٍّ ، ولكنه كان يترفّع عن الهجاء ويراه ضَعَة كما يرى تركه مُروءة وشرفاً ، وأنشد [من الوافر] :

---

(١) لعبدة بن الطبيب ترجمة مختصرة فى الأغانى ، وقد وقع فى المطبوعتين فى جميع المواضع « عبدة بن الطيب » وهو تحريف بنقص الباء

(٢) فى المفضليات «أهل المدائن»

(٣) أراد بهذا الاشارة إلى الموقعة التى دارت بين العرب والفرس فى أعقاب القادسية ، ويقارعون : يضاربون ، والعجم ـ بضم فسكون ـ الفرس هنا ، والعزل: جمع أعزل، وهو من لاسلاح معه ،والميل: جمع أميل ، وهو الذى ينحرف فى ركوبه ، وأراد به السيء الركبة

(٤) وقال أبو عمرو بن العلاء فى هذا البيت : هذا البيت أرثى بيت قيل، وقال ابن الأعرابى : هو قائم بنفسه ، ماله نظير فى الجاهلية والاسلام .

وأجرأُ منْ رَأيتُ بظهرِ غَيْبٍ على عيبِ الرجالِ أخو العيوبِ

وعن(١) ابن الأعرابى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه : أى المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غِرْقِئ البيض (٢) وقال آخرون: مناديل اليمن كأنها نَوْرُ الربيع ، فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سعد عبَدَة بن الطبيب حيث يقول [من البسيط] :

لما نزَلنا ضربنَا ظِلّ أخبيةٍ وفار للقومِ باللحمِ المراجيلُ(٣)

وَرْد وأشقرُ ما يؤنيـهِ طابخهُ ماغيرَ الغلىُ منه فهو مأكولُ(٤)

ثُمّتَ قمنا إلىَ جُرْدٍ مسوّمَةٍ أعرافُهنّ لأيدينا مناديلُ (٥)

يعنى بالمراجيل المراجل ، فزاد فيها الياء ضرورة .

* * *

١٧ — إن الّذى سمكَ السماء بنىَ لنَا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

شاهد الايماء إلى وجه بناء الخبر

البيت للفرزدق ، وهو أول قصيدة طويلة من الكامل (٦) تزيد على مائة بيت ، و بعده:

بيتاً بناهُ لنَا المليكُ وما بنىَ ملكُ السماءِ فانه لا ينقلُ(٧)

---

(١) وردت هذه القصة فى العقد الفريد(١-١٩٢ اللجنة)

(٢) غرقىء البيض : قشرته الرقيقة اللاصقة ببياضه

(٣) فى المفضليات * لما وردنا رفعنا ظل أردية * وفى العقد كما هنا ، وفى المفضليات والعقد جميعا * وفار باللحم للقوم *

(٤) فى المفضليات والعقد جميعا * وردا وأشقر لم ينهئه طابخه * وفى العقد وحده * ماقارب النضج منها *

(٥) فى العقد * وقد وثبنا على عوج مسومة *

(٦) اقرأها فى الديوان (٧١٤)

(٧) فى الديوان «حكم السماء»

بيتاً زُرَارةُ محتبٍ بفنائهِ وَمجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ
يلجون بيتَ مجاشع فاذا احتبوْا برزوا كأنهمُ الجبالُ المُثَّلُ

يقال : سَمَكَ الشيء سَمْكاً إذا رفعه . ومعنى البيت ظاهر.

والمراد بالبيت فيه الكعبة ، أو بيت المجد والشرف .

والشاهد فيه : جعل الايماء إلى وجه الخبر وسيلة إلى التعريض بالتعظيم لشأنه، وذلك لقوله « إن الذي سمك السماء » ففيه إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة والبناء ، بخلاف ما لو قيل إن الله أو الرحمن أو غير ذلك . ثم فيه تعريض بتعظيم بناءِ بيته لكونه فعلَ من رفع السماء التى لا بناء أرفع منها ولا أعظم .

بعض أخبار الفرزدق

حدث سلمة بن عباس[1] مولى بنى عامر بن لؤى قال : دخلت على الفرزدق فى السجن وهو محبوس ، وقد قال قصيدته :

إنّ الذى سمكَ السماء بنى لنَا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

وقد أفحم وأجْبَلَ[2]، فقلت له : ألا أرفدك؟ فقال: وهل ذاك عندك ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت :

بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائهِ ومُجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

فاستجاد البيت ، وغاظه قولى ، فقال لى : ممن أنت ؟ قلت : من قريش ، قال :من أيها ؟ قلت : من بنى عامر بن لؤى ، فقال : لئام ، والله رَضَعَةٌ ، جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم. فقلت: ألأم والله منهم وأوضع قومُكَ ، جاءك رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم ، فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك فما اعترضه أحد ولا نصرك . فقال : قاتلك الله ! ما أمكرك ؟ وأخذ البيت وأدخله فى قصيدته

ذكرت بقوله : « بيتا زرارة محتب بفنائه » البيت ، ما ذكره بعض أهل الأدب قال : ماشبهت تأويل الرافضة فى قبح مذهبهم إلا بتأويل بعض مجانين

(١) فى بعض النسخ « سلمة بن عياش » .
(٢) فى المطبوعتين « وأحيل » .

أهل مكة فى الشعر، فانه قال يوماً : ما سمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

أن هذه أسماء رجال منهم ، قلت : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت بيت الله ، والزرارة الحجر زرت حول البيت، ومجاشع زمزم جشعت بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت له : فنهشل ؟ ففكر فيه ساعة ثم قال : قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود ، فذاك النهشل .

وذكرت أيضاً هنا ما حدثه أبو مالك الراوية قال : سمعت الفرزدق يقول : أبَقَ غلامان لرجل منا يقال له النضر ، فحدثنى قال : خرجت فى طلبهما وأنا على ناقة لى عَيْساء كَوْماء أريد اليمامة ، فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرخَتْ عزاليها، فعدلتُ إلى بعض ديارهم وسألت القِرَى ، فأجابوا ، فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظُلة لهم من جريد النخل ، وفى الدار لهم جويرية سوداء، إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة، وكأن عينيها كوكبان دُرِّيَّان، فسألت الجارية: لمن هذه العيساء؟ تعنى ناقتى ، فقيل : لضيفكم هذا، فعدلت إلى فقالت : السلام عليكم، فرددت عليها السلام، فقالت: ممن الرجل ؟ فقلت: من بنى حنظلة ، فقالت : من أيهم ؟ قلت : من بنى نهشل ، فتبسمت وقالت : أنت إذا ممن عناه الفرزدق بقوله ، وذكرت الأبيات السابقة ، قال : فقلت : نعم جُعلتُ فِداكِ ! وأعجبنى ما سمعت منها ، فضحكت وقالت : إن ابن الخطفَى ، تعنى جريراً ، قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى قد فخرتم به ، حيث يقول[1] :

أخزَى الَّذِى رَفعَ السماء مجاشعاً وَبنىَ بِناهُ بِالحضيضِ الأسفل

(١) انظرهما فى الديوان (٤٤٤) ضمن قصيدة أولها :

لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس وبين طلح الأعزل

بيتاً يُحمِّمُ قينكم بفنائه دنساً مقاعده خبيث المدخلِ(١)

قال : فوجمت ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت : لا بأس عليك ، فان الناس يُقال فيهم ويَقولون ، ثم قالت : أين تؤم ؟ قلت : اليمامة . فتنفست الصعداء ثم أنشأت تقول [من الوافر] :

تُذكرنى بلاداً خيرُ أهلى بها أهلُ المروءة والكرامهْ

ألاَ فسقى الالهُ أجشَّ صوبٍ يَسحُّ بدرِّه بلدَ اليمامهْ

قال : فأنست بها ثم قلت : أذات خِدرٍ أم ذات بعل ؟ فأنشأت تقول [من الوافر] :

إذا رقدَ النيامُ فانّ عمراً تُؤرقهُ الهمومُ إلىَ الصباح

تُقطعُ قلبهُ الذكرى وقلبى فلاَ هوَ بالخلىِّ ولا بِصاحى

سَقىَ الله اليمامةَ دارَ قوم بها عمرٌو يحنُّ إلىَ الرواح

قال : فقلت لها : مَن عمرو هذا ؟ فانشأت تقول [من الوافر]:

سألتَ ولوْ علمتَ كففتَ عنهُ ومَنْ لك بالجواب سوى الخبيرِ

فانْ تكُ ذا قبول إنَّ عمْرًا لكالقمرِ المُضىء المستنيرِ

ومالى بالتَّبعُّلِ مُستَراحٌ ولوْ رَدَّ التبعُّلُ لى أسيرِى

قال : ثم سكتَتْ سكتةً كأنها تسمع إلى كلامه، ثم تهافتت وأنشأت تقول :

يُخيَّلُ لى أيا عمْرَو بن كعبٍ بأنكَ قد حُملْتَ على سَريرِ

يَسيرُ بكَ الهوَيْنا القومُ لمَّا رماكَ الحبُّ بالقلقِ اليَسيرِ

فانْ تَكُ هكذا ياعمْرُو إنىِّ مُبكِّرةٌ عليك إلى القُبورِ

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة ، فقلت لهم : مَنْ هذه ؟ فقالوا : هذه عقيلة بنت

---

(١) يحمم : أراد أنه يدخن فيه فيلطخه بسواد الدخان

الضحاك بن عمرو بن محرّق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، فقلت لهم : فمن عمرو هذا ؟ فقالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلتُ من عندهم ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ماقالت

والفرزدق قد تقدم ذكره فى شواهد المقدمة (١)

* * *

شاهد تعريف المسند إليه بالاشارة

١٨ — * هٰذَا أبوالصَّقْرِ فرْداً فى مَحاسِنِهِ *

قائله ابن الرومى ، وتمامه :

* مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ وَالسَّلَمِ *

وهذا البيت من قصيدة من البسيط ، وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة قبيلتان ، والضال والسلم : شجرتان من شجر البادية، وفردا : منصوب على المدح أو الحال

والمعنى : هذا المشار إليه صاحبُ الاسم المشهور إذا ذكر رجلا فردا فى محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية ، والاقامة بها مما تتمدح به العرب-لأن فقد العز فى الحضر .

والشاهدفيه :تعريف المسند إليه بايراده اسم إشارة متى صلح المقامله واتصل به غرض ، وصلاحيته بأن يصح إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة إليه حساً ، ثم الغرضُ الموجِب له أو المرجِّح تفصيل يأتى ضمن الشواهد إن شاء الله تعالى ، وتعريفه بالاشارة هنا لتمييزه أكمل تمييز، وذلك فى قوله «هذا أبوالصقر» لصحة إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة حساً .

---

(١) انظر ترجمته فى أواخر شرح الشاهد رقم ٧

ومثله قول المتنبي [من الطويل] :

أولئكَ قَوْم إن بَنوْا أحْسَنوا البِنا و إن عاهَدوا أوْفَوْا وإن عَقَدوا شَدُّوا

وقول مادح حاتم الطائى [من الكامل] :

وَ إذا تأمَّل شَخْصَ ضَيفٍ مقْبلٍ مُتسربلٍ سِربالَ لَيلٍ أغْبرِ

أوْمَا إلى الكَوماءِ هذا طارِقٌ نَحرَتْنيَ الأعداءُ إن لم تُنْحَرى

ترجمة ابن الرومي

وابن الرومى [1] هو : أبو الحسن على بن العباس بن جُرَيج ، وقيل : هو أبو جرجيس [2] الشاعر المشهور ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكانها ويُبرزها فى أحسن قالب ، وكان إذا أخذ المعنى لايزال يستقصى فيه حتى لايدع فيه فضلة ولابقية ، ومعانيه غريبة جيدة .

وحكى ابن دُرُستُوَيْهِ وغيره أن لائماً لامه فقال له : لم لاتشبِّه كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ فقال له : أنشدنى شيئاً من قوله الذى استعجزتنى عن مثله ، فأنشده قوله فى الهلال [من الكامل] :

انْظُر إليهِ كَزورقٍ من فِضَّةٍ قد أثقَلتهُ حُمُولة من عَنبرِ

فقال له : زدنى ، فأنشده قوله فى الآذريون ، وهو زهر أصفر فى وسطه خمل أسود ، وليس بطيب الرائحة ، والفُرْسُ تعظمه بالنظر إليه وفرشه فى المنزل [من مجزوء الرجز] :

كأن آذَرْيونَها والشمسُ فيهِ كالِيَهْ

مَدَاهِنٌ من ذهبٍ فيهِ بقَايا غالِيه

فصاح : واغوثاه ! تالله لايكلف الله نفساً إلاوسعها ، ذاك إنمايصف ماعون

---

(١) لابن الرومى ترجمة فى ابن خلكان (٢-٤١)

(٢) الذى فى ابن خلكان «وقيل جورجيس»

بيته لأنه ابن خليفة ، وأنا أيّ شيء أصف ، ولكن انظر إذا أنا وصفت ما أعرف أين يقع قولى من الناس ، هل لأحد قط قول مثل قولى فى قوس [١] الغمام وأنشد [من الطويل] :

وَسَاقٍ صَبِيحٍ للصَّبُوحِ دَعَوْتُهُ فقَامَ وفى أجفانِهِ سِنَةَ الغَمْضِ
يطوفُ بكاساتِ العُقَارِ كأنجمٍ فمِن بين مُنْقَضٍّ علينا ومُنفضِ
وقد نَشَرت أيدى الجَنوبِ مَطارِفاً على الجوِّ دكنا والحواشى على الأرض
يطرِّزُها قَوسُ السحابِ بأخضرٍ على أحمرٍ فى أصفرٍ إثرَ مبيضِ
كأذيالِ خَوْدٍ أقبلَتْ فى غلائِلٍ مُصبَّغة والبَعضُ أقصرُ من بَعض

وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان ، منهم صاحب اليتيمة . وقولى فى صانع الرقاق [من البسيط] :

إن أنسَ لا أنسَ خبّازاً مررتُ به يَدْحو الرُّقاقةَ مِثْلَ اللمحِ بالبصر [٢]
ما بين رُؤيتها فى كَفهِ كُرةً وبين رؤيتها قَوراءَ كالقَمرِ
إلا بمقدارِ ما تَنْداحُ دائِرةٌ فى لُجَّةِ الماءِ يُلْقَى فيه بالحجر

وقولى فى قالى الزلابية [من البسيط]:

وَمُستقِرٍّ على كرسيِّهِ تَعِبٍ رُوحى الفداءُ له من منصبٍ نصبِ
رَأيتهُ سَحَراً يَقلى زَلابيةً فى رقةِ القشر والتجويف كالقصب
كأنما زَيتُهُ المقلىُّ حينَ بدَا كالكيمياءِ التى قالوا ولم تصبِ

---

(١) هو قوس قزح الذى يظهر فى السماء عقب المطر ، وقد روى صاحب يتيمة الدهر هذه الأبيات ونسبها إلى سيف الدولة الحمدانى (١-٢٤) وقد ذكر المؤلف ذلك هنا .

(٢) فى أصول الكتاب «لا أنس لا أنس» وهو غير المعروف .

يلقى العجينَ لُجَيْنًا من أناملِهِ   فيستحيلُ شبابيكاً منَ الذهبِ

ومن معانيه البديعة قوله [من الكامل] :

وَإذا امْرؤٌ مدح امرءًا لنوالِهِ   وَأطالَ فيه فقد أرادَ هِجاءهُ

لوْ لم يُقدّرْ فيه بُعدَ المستقَى   عِندَ الورودِ لما أطالَ رِشاءهُ

وقد كرر ابن الرومى هذا المعنى فى نظمه فقال [من المتقارب] :

إذا عَزّ رِفدٌ لُمسترْفِدٍ   أطالَ المديحَ له المادحُ

وَقِدْماً إذا استبعدَ المُستقِي   أطالَ الرشاءَ لهُ الْماتحُ

وقد أخذه السراج الوراق فقال [من المجتث] :

سامِحْ بِفضلك عبداً   مُقصراً فى الثّناءِ

رَأى قَليباً قريباً   فلمْ يُطِلْ فى الرِّشاءِ

وعلى ذكر أبياته المارة فى صانع الرقاق ذكرت ماحكى عن الأديب أبى عمرو النميرى أن هذه الأبيات أنشدت فى حلقته فقال بعض تلامذته : ماأظن أن يُقْدَر على الزيادة فيها ، فقال :

فَكدتُ أضرُطُ إعجاباً لرؤيتها   وَمَنْ رأى مثلَ ماأبصرتُ منهُ خَرِى

فضحك من حضر ، وقالوا : البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع ، فقال :

نْ كانَ بَيتىَ هذا لَيسَ يُعجبكم   فَعجلوا محوهُ أوْ فالْعقوهُ طرِى

ومن معانى ابن الرومى البديعة قوله يهجو [من السريع] :

لِخَالدٍ شاعرِنا زَوجةٌ   لها حرٌ يَبلغُ مِثليها

قوّامة باللّيلِ لٰكنها   تَستغفرُ الله برِجليها

وقوله فى هذا المعنى[١] أيضاً [من الرجز] :

مَرفوعة تحتَ الدُّجا رِجلاها كأنما يَستغفران اللّه

وقد أخذ هذا المعنى أبو محمد البصرى فقال من أبيات [من الوافر] :

وَلا تَتزوجنَّ لهمْ ببنتٍ فَلسودانِ عِندهمُ مراحُ

بأرْجلهنَّ يَستغفرنَ دأبا فأرْجلهنَّ للدعواتِ رَاحُ

رجع إلى شعر ابن الرومى ، فمنه قوله [من الكامل] :

طامن حَشَاكَ فلا محالة واقع بِكَ ما تُحبُّ منَ الأمورِ وَتَكرهُ

وَإذا أتاكَ منَ الأمورِ مُقدَّرٌ وَهربتَ منهُ فَنحوهُ تتوجهُ

ومنه قوله يهجو [من الوافر] :

غَضبت وَظلْتَ منْ سَفهٍ وَطيشٍ تُهزهزُ لحيةً فى قَدر رقش

فَما افترقتْ لِغضبتكَ الثريا وَلا اجتمعتْ لِذاكَ بناتُ نَعشَ

ومنه قوله أيضاً [من البسيط] :

إنْ كُنتَ من جهلِ حقى غيرَ معتذرٍ وكنتَ عنْ ردِّ مدحى غيرَ مُنقلب

فأعطِنى ثمنَ الطِّرسِ الذى كُتبتْ فيهِ القصيدةُ أوْ كفارةَ الكذبِ

وقد تبعه الفاضل على بن مليك الحموى وأخذ غالب ألفاظه فقال [من البسيط] :

مَدحتكمْ طمعاً فِيما أؤمِلهُ فلم أنلْ غيرَ حظ الاثم والوصبِ

إن لم تكن صِلةٌ منكم لذى أدبِ فأجرةُ الخط أو كفارةُ الكذبِ

ولابن الرومى فى مثله [من الكامل] :

رُدوا على صَحائفاً سوَّدْتها فيكم بِلا حقٍ ولا استحقاق

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو تمام بقوله فى المطلب الخزاعى [من السريع] :

أقولُ عدْلا فيكَ فيما أرى إنكَ لا تقبلُ قولَ الكذبْ

---

(١) فى المطبوعتين « وقوله فيها هذا المعنى »

مَدحتكمْ كذباً فجَازيتني ... بُخلا لقد أنصفتَ يا مطلبْ

وقال ابن زيدون [من الكامل] :

قُل للوزيرِ وقد قطعتُ بمدحه ... عُمرى فكانَ السجنُ منهُ ثوابِى

لا تخشَ لائمتى بِما قدْ جئتهُ ... مِنْ ذاكَ فىَّ ولا توَقَّ عتابِى

لَم تُخْطِ فى أمرِى الصَّوابَ موفقاً ... هذا جزاءُ الشَّاعرِ الكذابِ

ولابن مليك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقوبلت بالحرمان [من البسيط] :

قَالوا قَصيدكَ بالحرمانِ لِمْ رَجعَتْ ... باللهِ باللهِ خَبرنا عَنِ السببِ

فقلتُ ما قُوبلتْ بالمنعِ عنْ خَطإٍ ... إلا لِكثرةِ ما فيها منَ الكذبِ

ومن شعر ابن الرومى يهجو إبراهيم بن المهدى ، وهو قريب من هذا المعنى [من الوافر] :

رَددتَ إلىَّ شِعرى بَعدَ مَطلٍ ... وَقدْ دنَّست مَلبسهُ الجديدَا

وَقلتَ امدحْ بهِ منْ شئتَ بَعدِى ... وَمنْ ذا يَقبلُ المدْحَ الرديدَا

وَلا سِيَمَا وَقدْ أعلقت فيهِ ... مَخازيكَ اللواتى لنْ تَبيدَا

وَهلْ للحَىِّ فى أثوابِ مَيتٍ ... لَبوسٌ بَعدَ ما امتلأت صَديدَا

وقال أبو جعفر بن وضاح فى أبى الوليد بن مالك وقد قصد عن بره [من الكامل] :

أبلغْ لديْكَ المالِكىَّ رسالةً ... مَشحوذةً مِثلَ السِّنانِ اللهْذمِ

ألبِستَ أمدَاحِى كأزهارِ الرُّبا ... وَجزيتنى بقطيعةٍ وتجهُّمِ

فارْددْ علىَّ مَدائحى مَوفورةً ... هذَا السوَار لِغير ذاكَ المِعصَمِ

ولطيف قول أبى المظفر الأبيوردى [من الكامل] :

وَمدائحٍ تحكى الرِّياضَ أضعتُها ... فى باخلٍ أعْيتْ بهِ الأحسابُ

فإذا تَناشدها الرُّواةُ وأبْصرُوا الممدوحَ قالوا : ساحرٌ كذَّابُ

وقول أبى بكر بن مجير الأندلسى [من الوافر] :

وَقائلةٍ تقُول وَقدْ رَأتنى ‏ ‏ أقاسى الجدْبَ فى المرْعى الخصيبِ

أماعَطف الفقيهُ وَأنتَ تشكوُ ‏ ‏ لهُ شكوى العليل إلى الطَّبيب

وقدْ مَرَّ الثناءُ بمعطفيه ‏ ‏ كما مر النسيمُ على القضيبِ

فقلتُ : علىَّ شكرٌ وامتداحٌ ‏ ‏ وليسَ علىَّ تقليبُ القلوبِ

وما أحسن قول بشار ، وكان قد مدح المهدى بقصيدة فحرمه الثواب ، فقيل له : حرمك أمير المؤمنين ، فقال: والله لقد مدَحته بشعر لو مُدح به الدهر ماخشى صرفه على أحد ، ولكننى كذبت فى العمل فكذبت فى الأمل

ولطيف قول ابن جكينا البغدادى [من البسيط] : (١)

تفضلوا وَاعذروهُ فى مُماطلتى ‏ ‏ أنا أحقُّ وحقِّ اللهِ مَنْ عتبا

وَلاَ تلوموهُ فى وَعدٍ يردّدهُ ‏ ‏ فى وَقتِ مدحى لهعلّمتُهُ الكذبا

ولابن جكينا المذكور يعتذر عن بخل الممدوحين لغرض عرض له[من الكامل]:

قدْ بانَ لى عذْرُ الكرام فصدّهم ‏ ‏ عَنْ أكثر الشعرَاء ليسَ بعارِ

لم يسأموا بَذْلَ النوال وإنما ‏ ‏ جمَدَ الندى لبرُودَةِ الأشعارِ

وقال بعضهم فى تمهيد عذر الهجائين [من الهزج] :

تدانتْ طُرُقُ اليأسِ ‏ ‏ فطالتْ طُرُقُ النُّجْح

وأجدى مكسبُ الغشِّ ‏ ‏ فأكدى مكسبُ النصح

---

(١) ابن جكينا : هو الحسن بن أحمد بن محمد بن جكيناء الشاعر البغدادى، كان شاعراً ظريفاً خليعاً ، وأكثر أشعاره مقطعات ، توفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وله ترجمة فى فوات الوفيات (١-١٤٨)

وكانَ الاثمُ فى الهجوِ فصارَ الاثمُ فى المدح

ومن هذا المعنى قول ابن جحظة [من الوافر]:

تساوى الناسُ فى فعْلِ المساوى فما يستحسنونَ سوى القبيح

وصارَ الجودُ عندهمُ جُنوناً فما يستعقلونَ سوى الشحيح

وكانوا يهربونَ منَ الأهاجى فصاروا يهربونَ منَ المديح

ومنه قول الآخر [من البسيط]:

كانَ الكرامُ وأبناء الكرام إذا تسامعُوا بكريم مسَّهُ عدمُ

تسابقوا فيواسيهِ أخو كرم منهمْ ويرجعُ باقيهمْ وقدْ ندموا

واليومَ لاشكَ قدْ صارَ النَّدَى سفهاً وينكرونَ على المعطى إذا علموا

ومدح أبو الحسين بن الفضل أحدَ الوزراء بمراكش ، وكان أقرع ، فلم يُثِبْهُ ، فقال [من السريع] :

أهديتُ مَدحى للوزير الَّذِى دعا به المجدُ فلمْ يسمعِ

فحاملُ الشعرِ إليهِ كمنْ يُهدِى بهِ مُشطاً إلى أقرعِ

وما أحذقَ قول أبى رياش فى الوزير المهلبى وقد مدحه وتأخرت صلته وطال تردُّده إليه [من المتقارب]:

وقائلةٍ قدْ مدحتَ الوزيرَ وهوَّ المؤملُ والمستماحُ(١)

فماذا أفادكَ ذاكَ المديح وهذا الغدوُّ وهذا الرواحُ

فقلت لها ليسَ يدرى امرؤ بأى الأمورِ يكونُ الصلاحُ

---

(١) «وهو» بتشديد الواو لاقامة وزن البيت ، وقد جاء ذلك فى الشعر العربى المحتج به ، وذلك قول الشاعر :

وإن لسانى شهدة يشتفى بها وهـو على من صبه الله علقم

عَلَىَّ التقلُّب وَالاضطرابُ بجهدِى وَليسَ عَلَى النجاحِ(١)

وهو قريب من معنى أبيات ابن مجير السابقة قريباً .

ولابن الرومى فى ذم الخضاب ، وهو من معانيه المخترعة (٢)[من الطويل] :

إذا رَيَّمَ المرءُ الشبابَ وَأخلقتْ شَبيبته ظَنَّ السوادَ خِضابَا(٣)

وَكيفَ يَظنُّ الشيْخُ أنَّ خِضابَه يُظن سَواداً أويخالُ شبابَا(٤)

وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالحوزى عن الخضاب، وهو أحسن شىء رأيته فى معناه [من الخفيف] :

فى مَشيبِي شماتةٌ لِعِداتى وَهوَ ناعٍ مُنغِّصٌ لِحَياتى

وَيعيبُ الخضابَ قومٌ وَفيه لىَ أُنْسٌ إلى حُضورِ وَفاتِى

لا وَمنْ يَعلمُ السَّرائرَ مِنِّى ما بهِ رُمتُ خُلَّةَ الغانياتِ

إنما رُمتُ أنْ أغيِّبَ عنى ما تُرينيهِ كلّ يَومٍ مرَاتِى

هُوَ ناعٍ إلىّ نَفسى وَمنْ ذا سَرّه أنْ يَرَى وُجوهَ النُّعاةِ

وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وجزالة شعره خفيفَ الحال متكلِّف المعيشة قاعدا تحت قول أبى الشيص [من الكامل] :

* لَيسَ المقلُّ عنْ الزَّمانِ بِراضٍ *

---

(١) «الاضطراب» بقطع همزة الوصل لاقامة الوزن أيضا ، وقد جاء ذلك فى شعر العرب المحتج به عند الضرورة ، فمن ذلك قول الشاعر :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة على حدثان الدهر منى ومن جمل .

(٢) البيتان فى ابن خلكان (٢-٤٢) مع بعض تغيير سنذكره

(٣) ورد صدر هذا البيت فى ابن خلكان * إذا دام للمرء السواد وأخلقت *

(٤) وقع فى ابن خلكان «فكيف يظن» وقد وقع فى أصول الكتاب «أو يحال» ـ بالحاء المهملة ـ محرفا

وهو القائل [من الخفيف] :

قُلتُ للدَّهر مِنْ فُضولىَ قَوْلاً ... وَحدانى عَليهِ طيبُ الأمانى

أترانى بخلعةٍ أنا أُحبى ... ذات يَوم وَفاخِرِ الحُملانِ

قالَ هيهاتَ أنتَ والنَّحسُ تِرْبا ... نِ وَقدْ كنتما رَضيعَىْ لِبانِ

لا تؤملْ رُكوبَ شئٍ سوَى النعـ ... ـشِ ولاَ خلعةً سِوى الأكفان

وله من أبيات [من الوافر] :

يُكلفنى التَّصبر والتَّسلى ... وَهلْ يُسطاعُ إلاّ المُستطاعُ

وَقالوا قِسمة نَزلتْ بعدلٍ ... فقلنا لَيتهُ جَوْرٌ مُشاعُ

وكان أبو العلاء الأسدى عرضة لأهاجيه ، فمن ملحه فيه قوله [من السريع]:

أبَا العلاء اسْكتْ وَلاَ تُؤذِنا ... بشينِ هَذا النسبِ الباردِ

وَتدَّعى مِنْ أســدٍ نسبةً ... لا تثبُت الدعوى بِلاَ شاهدِ

أقمْ لـــنا والدةً أولاً ... وَأنتَ فِى حِل مِن الوالد

وقوله أيضاً [من الكامل] :

قابلْ هُدِيتَ أبا العلاء نصيحتى ... بقبولها وبواجب الشكر

لا تهجونَّ أسنَّ منك فربما ... تهجو أباكَ وَأنتَ لا تدرِى

وقوله [من الكامل] :

أضحىَ الملومُ أبَا العلاءِ يَسبنىِ ... وأنا أبوهُ يعقنى وَيعادِى[1]

وَالمنتمونَ إليــهِ مِنْ أولادهِ ... الله يَعـلمُ أنهْم أولادى

ولنرجع إلى شعر ابن الرومى

قال فى بغداد وقد غاب عنها فى بعض أسفاره ، وهو معنى جيد [من الكامل]:

بَلدٌ صَحبتُ بهَا الشبيبةَ والصبَا ... وَلبستُ ثوبَ اللهو وَهوَ جَديدُ

(١) كذا ، وصوابه عندنا * أضحى الملوم أبو العلاء يسبنى *

فَاذا تَمثَّلَ فى الضميرِ رَأيتهُ وَعليه أغصانُ الشبابِ تميدُ

ومحاسنه كثيرة ، وديوان شعره رتَّبه الصولى على الحروف ، وكان كثير التطير جداً ، وله فيه أخبار غريبة ، وكان أصحابه يعبثون به فيرسلون إليه مَنْ يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته أصلا ويمتنع من التصرف سائر يومه ، وأرسل إليه بعض أصحابه يوما بغلام حسن الصورة اسمه حسن ، فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال: حسن ، فتفاءل به وخرج ، وإذا على باب داره حانوت خياط قد صلب عليها درفتين كهيئة اللام ألف ، ورأى تحتها نوى تمر ، فتطير وقال : هذا يشير بأن لا تمر ، ورجع ولم يذهب معه .

وكان الأخفش على بن سليمان قد تولع به، فكان يقرع عليه الباب إذا أصبح فاذا قال : مَنِ القارع ؟ قال: مرة بن حنظلة ، ونحو ذلك من الأسماء التى يتطير بذكرها ، فيحبس نفسه فى بيته ولا يخرج يومه أجمع ، فكتب إليه ينهاه ويتوعده بالهجاء ، فقال [من المنسرح]:

قُولوا لِنحويِّنَا أبى حَسَنٍ إنّ حُسامى متى ضَربتُ مَضى
وَإنّ نَبلِى إذا هَممتُ به أرْمى غدا نَصلها بجمر غَضا
لاتحسبنَّ الهجاء يَخمده الــرفعُ ولاَ خَفضُ خافضٍ خَفضا

ومنها :

عِندى له السَّوْطُ إن تَلاءمَ فى السـير وَعندِى اللِّجامُ إنْ رَكضا

وكان الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان[1] بن وهب وزير المعتضد يخاف

---

(١) فى الأصول «القاسم بن عبدالله بن سليمان» وما أثبتناه موافق لما فى ابن خلكان

هجوه وفلتات لسانه ، فدس عليه ابن فراس ، فأطعمه خشكنانجة (١) مسمومة ، فلما أكلها أحس بالسم ، فقام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الموضع الذى بعثت بى إليه ، فقال له : سلم على والدى ، فقال : ليس طريقى على النار ، وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات .

وكان الطبيب يتردد إليه و يعالجه بالأدوية النافعة للسم ، فزعم أنه غلط عليه فى بعض العقاقير ، قال نفطويه النحوى : رأيت ابن الرومى وهو يجود بنفسه فقلت : ما حالك ؟ فأنشد [من الكامل] :

غَلِطَ الطَّبيبُ علىَّ غَلْطةَ مُوردٍ عَجزتْ مَوارِدُهُ عن الإِصدارِ
والناسُ يَلْحَوْنَ الطبيبَ وإنما غَلَطُ الطبيبِ إصابَةُ الأقدارِ

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومى أعوده فوجدته يجود بنفسه ، فلما قمت من عنده قال [من الوافر] :

أَبا عثمان أنتَ حَمِيدُ قَومِكْ وَجُودُكَ للعشيرة دون لُؤمِكْ
تَزود من أخيكَ فلا أراه يَراكَ ولا تراه بَعْدَ يومِكْ

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع فجر يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفى فى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : أربع وثمانين ، وقيل: وسبعين ومائتين ، ودفن فى مقبرة باب البستان ، رحمه الله !

---

(١) الخشكنان : دقيق الحنطة يعجن بالشيرج ويبسط ويملأ بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد ثم يضم ويخبز ، وأهل الشام يسمونه المكفن قاله داود فى التذكرة . وقد تكلمت به العرب ، قال الراجز :

ياحبذا الكعك بلحم مثرود وخشكنان وسويق مقنود

شاهد الاتيان بالمسند إليه اسم إشارة للتعريض

١٩ — أولَئِكَ آبائى فَجِئْنِى بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعتنا يا جَريرُ المَجامِعُ

البيت للفرزدق، من قصيدة(١) من الطويل، يفتخر بها على جرير، أولها :

مِنَّا الذى اختيرَ الرِّجالَ سماحةً وخيراً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزعازع

ومنا الذى أَعْطَى الرَّسولُ عَطِيَّةً أسارى تميم والعُيون دَوامعُ (٢)

ومنا الذى يُعطِى المِئِينَ ويَشْترى الـــغَوالى ويَعلو فضلَهُ مَنْ يُدافِعُ

ومنا خَطيبٌ لا يعابُ وحاملٌ أَغَرُّ إذا التفَّتْ عليه المجامِعُ (٣)

ومنا الذى أحْـيا الوَئيدَ وغالِبٌ وعمرو ومنا حاجِبٌ والأقارع (٤)

ومنا غَداةَ الرَّوعِ فتيانُ غارةٍ إذا امْتَنعتْ بَعدَ الزِّجاجِ الأشاجِعُ (٥)

ومنا الذى قاد الجِيَاد على الوجى لِنَجران حتى صبَّحتهُ التَّرائِعُ

وبعده البيت، وهى طويلة.

ومعنى البيت التعجيز لأنه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه.

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٥١٦) وهى نقيضة لقصيدة لجرير بن عطية مطلعها :

ذكرت وصال البيض والشيب وازع ودار الصبا من عهدهن بـلاقع

(٢) يقصد الأقـرع بن حابس، وكان قد خاطب الرسول فى بنى عمـرو بن جندب بن العنبر، فرد سبيهم

(٣) أراد بالخطيب شبة بن عقال، وأراد بالحامل عبد الله بن حكيم

(٤) الذى أحيا الوئيد هو جده صعصعة، وغالب هو أبوه، وعمرو هو ابن عمرو بن عدس، والأقارع : الأقرع بن حابس وأخوه فراس

(٥) فى الديوان « إذا منعت تحت الزجاج » ومنعت : ارتفعت، وأراد بالأشاجع الأيدى، وأصلها عصب ظاهر الكف، يعنى إذا ارتفعت الأيدى بالسيوف بعد أن عملت بالرماح

والشاهد فيه : إيراد المسند إليه اسم إشارة للتعريض بغباوة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس ، وذلك ظاهر فى البيت .

* * *

شاهد المجىء بالمسند اليه معرفا بالاضافه

٢٠ — * هَوَاىَ مَعَ الركبِ اليمانينَ مُصعِدُ *

قائله جعفر بن عُلْبة ، من أبيات من الطويل(١) قالها وهو مسجون ، وتمامه :

* جَنِيبٌ وَجُثْمانى بِمَكة مُوثَقُ *

والأبيات :

عَجبتُ لِمسراها وأنَّى تخلصتْ	إلىَّ وبابُ السجن بالقُفْلِ مُغلقُ(٢)
أَلمتْ فحيّتْ ثم ولت فودعتْ	فلما تولَّتْ كادت النفسُ تَزهقُ(٣)
فلا تحسبِى أنِّى تخشَّعتُ بَعدكمْ	لِشىء ولا أنِّى مِنَ الموتِ أفرقُ
وَلا أنَّ قلبى يَزدهيه وَعيدُكمْ	وَلا أننى بالمشى فى القَيد أخرقُ(٤)
وَلكنْ عَرَتْنى من هواكِ ضمانة	كما كنتُ ألقى منكِ إذ أنا مطلقُ(٥)

والركب : ركبان الابل ، اسم جمع ، أو جمع ، وهم العشرة فصاعدا ، وقد يكون

---

(١) رواها أبو تمام فى أوائل ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا ١ — ٥١) ورواها أبو الفرج فى الأغانى (١١ — ١٤٩) بزيادة بيتين مع حذف بيت الشاهد ، ورواها صاحب الخزانة (٤ — ٣٢١)

(٢) هكذا فى الأصول والأغانى ، وفى الحماسة والخزانة « وباب السجن دونى مغلق »

(٣) فى الحماسة والأغانى والخزانة «ثم قامت فودعت».

(٤) فى الأغانى «ولا أن قلبى يزدهيه وعيدهم » وفى الحماسة «ولا أن نفسى يزدهيها وعيدكم» وكذا فى الخزانة، وفيها رواية «ولا أنا ممن يزدهيه وعيدكم»

(٥) كذا فى الأصول والخزانة ، وفى الحماسة والأغانى «عرتنى من هواك صبابة »

للخيل، ويجمع على أرْكُب ورُكوب، والأُركوب بالضم أكثر من الركب، والرَّكبة محركة أقل، ومصعد: من أصعد أي ذهب في الأرض وأبعد. وجنيب: أي مجنوب مستتبع، والجثمان: الجسم والشخص، والجسمان: جماعة البدن والأعضاء من الناس وسائر الأنواع العظيمة الخلق، وذكر الخليل أنهما بمعنى واحد، والموثق: المقيد

والمعنى فيه: هواى منضم إلى ركبان الابل القاصدين إلى اليمن لكون الحبيب معهم، وبدني مأسور مقيد بمكة

والشاهد فيه: تعريف المسند إليه باضافته إلى شيء من المعارف إذ هي أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع، وهو في البيت قوله « هواى » أي مَهْوِيِّي وهو أخصر من قولهم « الذي أهواه » أو غير ذلك، والاختصار مطلوب لضيق المقام وفرط السآمة لكونه في السجن وحبيبُه على الرحيل

ترجمة جعفر بن علبة الحارثي

وجعفر بن علبة [1] هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاة بن المعقل بن كعب بن الحرث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم: ابن له، وقد ذكره في شعره، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور في فوارس قومه، وكان أبوه عُلْبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، ومات جعفر هذا مقتولا في قصاص اختلف في سببه

فقيل: إن جعفر بن عُلْبة وعلى بن جعدب الحارثي القناني [2] والنضر بن مضارب المعاوي خرجوا فأغاروا على بني عقيل، وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطرق، ووضعوا عليهم الأرصاد في المضايق، فكانوا كلما

---

(١) له ترجمة في الأغاني (١١-١٤٦) وفي الخزانة (٤-٣٢٢) وخبره في شرح الحماسة (١-٥٦)

(٢) في الأصول «العيابى» وما أثبتناه عن الأغاني، وسماه في شرح الحماسة «على بن جعدب بن عتى»

أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بنى نَهْد[١] فرجعت عنهم بنو عقيل ، وقد كانوا قتلوا فيهم ، فاستَعْدَتْ عليهم بنو عقيل السرىَّ بن عبد الله الهاشمى عاملَ مكة لأبى جعفر المنصور ، فأرسل إلى أبيه عُلْبة بن ربيعة ، فأخذه بهم وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه ، فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما على بن جعدب فأفلت من السجن ، وأما جعفر بن علْبة فأقامت عليه بنو عقيل قَسَامة أنه قتل صاحبهم فقُتل به

وذكر ابن الكلبي أن الذى أثار الحرب بين جعفر بن علبة و بنى عقيل أن إياس بن يزيد الحارثى وإسماعيل بن أحمد[٢] العقيلى اجتمعا عند أمة لشعيب ابن صامت الحارثى ، وهى فى إبل لمولاها فى موضع يقال له صمعر من بلاد بلحرث[٣] فتحدثا عندها ، فمالت إلى العقيلى فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم ، فانقطعت عمامة الحارثى ، وخنقه العقيلى حتى صرعه ، ثم تفرقا ، وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم ، فوهبوا لهم ، ثم بلغهم بيت قيل وهو [من الطويل] :

ألم تَسأَلِ العبدَ الزِّيادى ما رأى بِصَمْعَرَ والعبدُ الزيادى قائم

فغضب إياس من ذلك ، فلقى هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلى وهو إسماعيل بن أحمد[٢] فشجه شجتين وخنقه ، فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم ، فوهبوا لهم ، ثم لقى العقيليون جعفر بن علبة الحارثى ، فأخذوه فضربوه وخنقوه وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه ، فبلغ ذلك إياس بن زيد فقال يتوجع لجعفر [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « بنى نمر » وما أثبتناه عن الأغانى وبعض الأصول
(٢) فى الأغانى « إسماعيل بن أحمر »
(٣) بلحرث : أى بنى الحرث

أبا عارِمٍ كيف اغْترَرتَ ولم تَكن ... تغرُّ إذا ما كان أمرٌ تحاذره

فلا صُلْحَ حتى يخفِقَ السيفُ خفقةً ... بكفِّ فتى جرَّت عليه جرائِره

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم هو وابن أخيه جحدب والنضر بن مضارب، و إياس بن يزيد، فلقوا المهدى بن عاصم وكعب بن محمد بجبرة[1] وهو موضع بالقاعة فضربوهما ضربا مبرحا ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق، فوجدوا العقيليين وهم تسعة نفر فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل جعفر بن علبة رجلا من عقيل يقال له خشينة[2]، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومى عامل مكة، فرفع الحارثيين وهم أربعة من نجران حتى حبسهم بمكة، ثم أفلت منهم رجل فخرج هارباً، فأحضرت عقيل قَسَامة حلفوا أن جعفراً قتل صاحبهم، فأقاده إبراهيم بن هشام، وقال إياس وهو محبوس الأبيات السابقة، وقال لأخيه يحرضه [من الطويل]:

قلْ لأبى عَوْنٍ إذا ما لقيتهُ ... ومِن دونه عَرْضُ الفلاةِ يحولُ

تَعلَّم وَعَدِّ الشكَّ أنِّى تشفُّنى ... ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكُبولُ[3]

إذا رُمتُ مشياً أوتبوأتُ مَضجعاً ... تَبيتُ لها فوقَ الكعاب صَليلُ

ولَوْ بِكَ كانت لابْتعثْتُ مطيتى ... يَعودُ الحفا أخْفافَها ويجولُ

إلى العدلِ حتى يَصدُرَ الأمر مَصدراً ... وتَبرأَ مِنكُمْ قالةٌ وعُدولُ

وفى رواية أن جعفر بن عُلْبة كان يزور نساء من عقيل بن كعب، وكانوا

---

(١) فى الأصول «بخيرة» وما أثبتناه عن الأغانى، والحديث كله منقول منه بالحرف

(٢) فى الأصول «حسينة» وما أثبتناه عن الأغانى

(٣) عد الشك: أى تجاوزه، يريد اترك الشك وكن على يقين، وفى أصول هذا الكتاب «وعد الشط» محرفا عما أثبتناه عن الأغانى، والكبول: جمع كبل، وهو القيد

متجاورين هم وبنو الحرث بن كعب ، فأخذته عقيل فكشفوا دبر قميصه وربطوه إلى جُمّته ، وضربوه بالسياط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتى كان يتحدث إليهن على تلك السبيل ليغيظوهن ويفضحوه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فان هذا الفعل مُثْلة ، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم أن لا أزور بيوتكم أبداً ولا ألجها ، فلم يقبلوا منه ، فقال لهم : فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ومُنّوا على بالكف عنى ، فانى أعده نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلونى وأريحونى فأكون رجلا آذى قومه فى دارهم فقتلوه ، فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدى النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله ، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى ، فلما كان فى نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عقيل أقفى [1] خلق الله للأثر ، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه ، وكان العقيليون مغترين [2] ليس مع أحد منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر وافترقوا ، فاستعدت عليهم عقيل السريَّ بن عبد الله الهاشمى عاملَ المنصور على مكة ، فأحضرهم وحبسهم وأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤلة السفاح فى بنى الحرث ، ولأن أخت جعفر كانت تحت السرى بن عبد الله ، وكانت حَظِيّةً عنده ، إلى أن أقاموا عنده قَسامةً أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبى جعفر المنصور والتظلم إليه ، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه ، وأفلت على بن جعدب من السجن فهرب ، فلما أخرج جعفر للقود قال

---

(١) القيافة : تتبع أثر السائر حتى يهتدى إلى مكانه ، وهو من علوم العرب التى امتازت بها ولا يزال فى بعضهم إلى اليوم

(٢) مغترين : مأخوذين على غرة

له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال: اسكت لا أم لك ، إني إذاً لمهياف ، وانقطع شسع نعله ، فوقف فأصلحه فقال له رجل: أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال [من الوافر] :

أشدُّ قِبالَ نعلي أن يراني عدُوى للحوادثِ مُستكينا

وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نخبة بن كليب أخو المجنون ، وهو أحد بني عامر بن عقيل ، فقال في ذلك [من الطويل] :

شفى النفسَ ماقال ابنُ عُلْبةَ جعفرٌ وقَوْلي له اصبر ليسَ ينفعكَ الصبر
هَوى رأسُهُ من حيثُ كان كما هَوى عقابٌ تدلَّى طالباً خانهُ الوكرُ(١)
أبَا عَارم فينَا عُرامٌ وشِدَّةٌ وبَسْطةُ أيمانٍ سَواعدها شُمْرُ
همُو ضَربوا بالسيفِ هَامَةَ جَعفرٍ ولم يُنْجهِ برٌّ عَرِيضٌ ولا بَحْرُ
وَقُدْناه قَود الْبكر قَسراً وَعنوةً إلى الْقبر حتى ضمّ أثوابه الْقبرْ

وقال علبة يرثى ابنه جعفرا [من الطويل] :

لَعمركَ إني يَومَ أسلمتُ جَعفراً وَأصحابهُ لِلموت لمَّا أقاتِل
لمجتنبٌ حُبَّ المْنايا وَإنما يَهيجُ المْنايا كلُّ حقٍ وَباطل
فَراحَ بهِمْ قَوْمٌ ولا قَومَ عِندهمْ مغُللــة أيديهمُ فى السَّلاَسل
وَربَّ أخٍ لي غابَ لو كانَ شاهداً رآهُ التّباليونَ لي غير خاذل

وقال علبة أيضاً لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر [من الطويل] :

لَعمركِ إنَّ اللَّيلَ يا أمَّ جعفرٍ عليَّ وَإنْ عَلَلتِني لَطويلُ

---

(١) في الأغاني « تدلى طالبا جانب الوكر »

أحاذرُ أخباراً منَ القومِ قدْ دَنتْ   ورجعةَ أنقاضٍ لهنَّ دَليلُ (١)

فأجابته امرأته فقالت :

أبا جعفرٍ سلّمتَ للقومِ جعفراً   فمُتْ كمداً أوْ عِشْ وأنتَ ذليلُ

وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتا ليحيي بن زياد الحارثى حضرت الموسم فى ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندُبنه بأبياته التى قالها قبل قتله ، وهى [من الطويل] :

أحقًّا عبادَ اللهِ أنْ لستُ رائياً   صحارى بنجدٍ والرِّياحَ الذواريا (٢)

ولا زائراً شم العرانينِ أنتمى   إلى عامرٍ يحلُلْنَ رَملاً معاليا (٣)

إذا ما أتيتَ الحارثيات فانْعنى   لهُنَّ وخبِّرهُنَّ أن لا تلاقيا

وقوِّد قلوصى بينهن فإنها   ستبرد أكباداً وتُبكى بواكيا

أوصيكم إن مُتُّ يوماً بعارم   ليُغنى شيئا أو يكون مكانيا

ولم أترِكْ لى ريبةً غيرَ أننى   وددتُ معاذاً كان فيمن أتانيا

أراد وددت أن معاذاً كان أتانى معهم فقتلته .

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حتى قتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه ، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه [من الطويل] :

أبا جعفرٍ سلِّم بنجرانَ واحتسب   أبا عارم والمسنَماتِ العواليا (٤)

---

(١) هكذا فى أصول هذا الكتاب وفى الأغانى . وورد فى شرح الحماسة « أحاذر أنباء » و « لهن زليل »

(٢) فى الأغانى « صحارى نجد »

(٣) فى الأصول « رمل معاليا » وما أثبتناه من الأغانى

(٤) فى الأغانى « والمسمنات العواليا »

وقود قَلُوصاً أتلف السيفُ ربها ... بِغير دم فى القَوم إلا تمارِبا
إذا ذَكرتهُ مُعصِرٌ حارثية ... جَرى دَمعُ عينيهاعلى الخدِّ صافيا
فلا تَحْسبن الدَّين ياعلْبَ مَنْسأ ... ولاالثَّائرَ الحران يَنْسى التقاضيا
سَنَقتلُ منكم بالقَتيلِ ثلاثةً ... ونُغلى و إن كانت دمانا غَواليا (١)
تمنَّيتَ أن تَلْقى مُعاذاً سَفاهة ... سَتَلقى مُعاذاً والقضيبَ اليمانيا

وعن أبى عبيدة قال : لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحى يبكين عليه ، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق ترغو والشياه تثغو والنساء يصحن و يبكين وهو يبكى معهن ، فما رؤى يوم أوجع وأحرق مأتماً فى العرب من يومئذ .

***

شاهد تنكير المسند إليه للتعظيم والتحقير

٣١ — لهحاجبٌ عَنْ كلِّ أمرٍ يَشينهُ ... وَليسَ له عَن طالبِ العُرفِ حاجبُ

البيت لابن أبى (٢)السمط ، من أبيات من الطويل، منها :

فتىً لايُبالى المدْلجونَ بنورهِ ... إلى بابِهِ أن لاتُضىءَ الكواكبُ
يصمّ عن الفحشاء حتى كأنه ... إذا ذُكِرَتْ فى مَجلسِ القومِ غائبُ

والحاجب المانع ، والشين: العيب ، والعرف والمعروف: الاحسان :

والشاهد فيه : تنكير الحاجب الأول للتعظيم والثانى للتحقير ، أى ليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم ، ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

وللهِ مِنِى جانبٌ لا أضيعهُ ... وللّهوِ منى والخلاعَةِ جانِبُ

وابن أبى السمط(٣) :

---

(١) فى الأغانى «و إن كانت دماء غواليا» وما هنا خير

(٢) نسبه أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى (١—٢٣) إلى أبى الطمحان مولى ابن أبى السمط، وروى قبله أول البيتين اللذين ذكرهما المؤلف «فتى لا يبالى»

(٣) فى المخطوطتين والمطبوعتين بياض ، ويظهر أن المؤلف تركه حتى يجد له ترجمة ، ثم لم يعثر له على ترجمة

٣٢ — الألمعىُّ الذى يَظُنُّ بك الـــظنَّ كأنْ قد رأى وقد سمِعا

البيت لأوس بن حَجَر من قصيدة من المنسرح [١] قالها فى فضالة بن كلدة يمدحه بها فى حياته [٢] ويرثيه بعد وفاته ، أولها :

أيَّتها النَّفسُ أجمِلى جزَعا إنّ الذى تحذرينَ قَدْ وَقعا
إنّ الذى جَمَّع السَّماحةَ والـــنَّجدةَ وَالبرَّ وَالتُّقى جُمَعا[٣]

و بعد البيت ، و بعده :

اُلمخلفَ اُلمتلفَ اُلمرزَّأَ لمْ يَمتعْ بِضعفٍ وَلم يَمتْ طَبَعا[٤]
وَالحافظَ النَّاسَ فى تحوطَ إذا لمْ يُرسلوا تحتَ عائذ رُبعا[٥]
وَعزتِ الشمألُ الرِّياحَ وَقدْ أمسى كَميعُ الفتـاةِ مُلتفعا[٦]

الألمعى واليلمعى : الذكى المتوقد ذكاء ، وسئل الأصمعى عن معنى الألمعى فأنشد

---

(١) اقرأها فى ذيل الأمالى (٣٤)
(٢) الأدباء على أن هذه القصيدة مرثية قيلت بعد وفاة فضالة بن كلدة
(٣) فى الأمالى « والحزم والقوى جمعا »
(٤) فى الأصول « ولم يمن طبعا » محرفا ، وما أثبتناه عن ذيل الأمالى
(٥) فى الأصول « والحافظ الناس من قحوط » وفيها « لم يرسلوا خلف رائد » وكلاهمـا تحريف عما أثبتناه عن ذيل الأمالى . وتحـوط : هى السنة الشديدة المجدبة ، والعائذ من الابل : هى الناقة التى ولدت حديثاً ، والربع : الذى ولد فى الربيع ، يريد لم يتركوا ولد الناقة يرضعها لشدة حاجتهم إلى اللبن ، وهذا تأكيد لوصف الجدب
(٦) عزت : غلبت ، والشمأل : ريح الشمال ، والكميع : الضجيع ، يريد اشتداد البرودة ، وذلك وقت الشدة والجدب عندهم ، وفي ذيل الأمالى « بات كميع الفتاة »

البيت ، ولم يزد عليه ، وهو إما مرفوع خبر إنَّ ، أو منصوب صفة لاسمها ، أو بتقدير أعنى ، وخبرها فى قوله بعد أبيات :

أَوْدَى فما تَنفعُ الإشاحةُ مِنْ أمْرٍ لمنْ قَدْ يُحاولُ البِدَعا[1]

والشاهد فيه كون جملة قوله « الذى يظن بك الظن » وصفاً كاشفا عن معنى الألمعى ، لا كونه وصفا للمسند إليه

أشعار فى معنى دلالة الظاهر على الباطن

و بيت أوس هذا تداول معناه الشعراء ، قال أبو تمام [من الكامل] :

ولذاكَ قيل مِنَ الظنونِ جِبلةً عِلْمٌ ، وفى بعض القلوبِ عُيونُ

وقال المتنبى [من البسيط] :

ماضى الْجَنَانِ يُرِيهِ الحزمُ قبلَ غدٍ بِقلبِهِ ماترى عَيناهُ بعد غدِ

وقال أيضا [من الطويل] :

ذكىٌّ تظنِّيهِ طليعةُ عينهِ يَرى قلبُهُ فى يومِهِ مايَرى غدَا

وقال أيضا [من المنسرح] :

وَيعرِفُ الأمرَ قَبلَ موقعهِ فمالهُ بعْد فِعلِهِ ندمُ

وقال أيضا [من الكامل] :

مُستنبطٌ من علمه مافى غدٍ فكأنَّ ماسيكونُ فيه دُوِّنا

وهذا المعنى يقرب منه قول أبى نواس [من الكامل] :

ماتنطوى عنه القلوبُ بنجوةٍ إلاَّ تُحدِّثهُ بِهِ العينانِ

وقول على بن الخليل [من السريع] :

كَلَّمنى لحظُكَ عن كلِّ ما أضمرهُ قلبُكَ من غدرِ

وقول الخليع [من الهزج] :

---

(١) الاشاحة : الجد فى الأمور

أما تقرأُ في عينيَّ عنوانَ الذي عندي

وقد سبق إليه المتقدمون ، قال الثقفي [من الطويل] :

تُخَبِّرُني العينانِ ما القلبُ كاتمٌ ولا حُبَّ بالبغضاءِ والنظرِ الشَّزْرِ

وقال يزيد بن الحكم الثقفي [من الطويل] :

تُكاشِرُني كُرْهاً كأنك ناصح وعينكَ تُبدي أنَّ قلبكَ لي دَوِي

وما أحسنُ قوله بعده :

عَدُوِّيَ يخشى صَولتي إن لقيتَهُ وأنتَ عَدُوِّي ليس هذا بمُستوى

تُصافحُ مَنْ لاقيتَه ذا عداوةٍ صِفاحاً وعَنِّي بين عينيكَ مُنْزَوِي(١)

وقال المتنبي في معناه [من الكامل] :

تُخفِي العداوةَ وهي غيرُ خفيةٍ نَظَرُ العدوِّ بما أسرَّ يبوحُ

وقال غيره [من البسيط] :

عيناكَ قد دلَّتا عينيَّ منك على أشياء لولاهُما ما كنتُ أدْرِيها

والعينُ تعلمُ من عَينَيْ محدِّثِها إن كان من حزبِها أو من أعاديها

ولمؤلفه من أبيات [من الطويل] :

وَيُظهِرُ وُدّاً تشهدُ العينُ زُورَهُ ويقضي بذاكَ القلبُ والقلبُ أخبرُ

وله في معناه [من الكامل] :

من كانَ في لُقياهُ لا يتودَّدُ فأنا الذي في وُدِّهِ أتَردَّدُ

فالقلبُ عما قد أجنَّ ضميرُهُ لصديقهِ عندَ التلاقي يُرشدُ

وإذا خفي حالٌ وأشكلَ أمرُهُ فالعينُ تُخبر بالخفي وتشهدُ

(١) في الأصول «وعيني بين عينيك» وهو محرف عما قد أثبتناه

وما أحسن قول أبي نصر بن نُباتة [من الطويل] :

ألا إنّ عينَ المرء عنُوانُ قلبهِ ... تُخَبِّرُ عن أسرارِه شاءَ أم أبَى

و بديع قول عمارة بن عقيل [من البسيط] :

تُبدى لك العينُ ما فى نَفسِ صاحبها ... مِن الشَّناءةِ والوُدّ الذّى كانا

إنّ البغيضَ لهُ عينٌ يَصُدُّ بها ... لا يستطيعُ لِما فى القلبِ كِتْمَانا

وعينُ ذى الوُدّ لاتنفكُّ مقبلةً ... تَرى لها مَحجراً بَشّاً وإنسانا(١)

والعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ ... حتى ترى من ضمير القلب تِبيانا

وقول الآخر [من البسيط] :

تُريكَ أعينُهم ما فى صدورهم ... إن الصُّدور يؤدى غَيبَها البصرُ

وقول المعتمد بن عباد صاحب الأندلس [من البسيط] :

تَمَيَّزُ البغضَ فى الألفاظِ إن نطقوا ... وتعرفُ الحقدَ فى الألحاظِ إن نظروا

وقول الآخر [من الطويل] :

ستُبدى لك العينان فى اللحظ ما الذى ... يُجِنُّ ضميرُ المرءِ والعينُ تَصدُقُ

وقول محمد بن أيدمر صاحب كتاب الدر الفريد [من الوافر] :

صديقُك من عدوك ليس يخفى ... وعنوانُ الدعاوَى فى العيون

تُخبرُك العيونُ بما أجَنّتْ ... ضمائرها من السر المصُونِ

وقول محمد بن شبل من قصيدة [من الكامل] :

فالعينُ تقرأ من لِحاظِ جليسها ... ما خُطَّ منه فى ضمير الخاطرِ

ولكم قُطوبٍ عن وِدادِ خالصٍ ... وتبسم عن غل صدرٍ واغرِ

(١) محجر العين ـ بفتح الميم وكسر الجيم ـ ما أحاط بها

وما أحسن قوله فيها :

ما إن أريدُ بصدقِ قولي شاهداً حسبي بِسِرِّك عالماً بسرائري

وإذا تعارفَتِ القلوبُ تألفت ويصدّ منها نافرٌ عن نافرِ

فتَوَقّ مَنْ يأباه قلبُك إنّهُ سيَبِينُ باطنُه بأمرٍ ظاهرِ

وقول العيني [من المتقارب] :

كأنكَ مُطّلعٌ في القلوبِ إذا ما تناجتْ بأسرارِها

فكرّاتُ طرْفِكَ مرتدّةٌ إليك بغامضِ أخبارِها

ومثله قول المتنبي [من الوافر] :

كأنكَ ناظرٌ في كل قلبٍ فما يخفى عليك محلُّ غاش

وقد قال مُضَرِّس بن رِبْعِيٍّ في عكس ذلك [من الطويل] :

كأن على ذي الظن عيناً بصيرة بمنطقهِ أو منظرٍ هو ناظرُه

يحاذِرُ حتى يحسَبَ الناسَ كلهُمْ من الخوفِ لا تخفى عليهم سرائرُه

وبديع قول المتنبي في معنى ما سبق [من البسيط] :

ووكل الظنّ بالأسرارِ فانكشفت له ضمائرُ أهلِ السهلِ والجبلِ

وهذا المعنى هو الأول ، وإنما فرق بينهما أن ذلك في العواقب وهذا في الأسرار والضمائر ، والمراد منهما صحة الْحَدْسِ وجودة الظن

وبديع قول الآخر في معناه [من البسيط] :

كأنما رأيُه في كل مُشْكلة عينٌ على كل ما يخْفَى ويستتِرُ

ترجمة أوس ابن حجر

وأوس[1] بن حَجَرٍ هذا هو : ابن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير

(١) لأوس بن حجر ترجمة في الأغاني (١٠ : ٦–٨) وفي الشعر والشعراء (٩٩) وفي خزانة الأدب للبغدادي (٢ : ٢٣٥)

ينتهى نسبه لتميم بن مرة مع اختلاف فيه ، وكان من شعراء الجاهلية وفحولها ،
وعن أبى عمرو قال : كان أوس بن حجر شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغة وزهير ،
فهو شاعر بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع ، وقال الأصمعى : أوس أشعر من زهير
ولكن النابغة طأطأ منه ، قال أوس [من الطويل] :

ترى الأرضَ مِنَّا بالفضاءِ مريضةً مُعَضِّلَةً مِنَّا بجمعٍ عَرَمْرَمِ (١)

وقال النابغة [من الكامل] :

جيشٌ يظلُّ به الفضاءُ مُعضِّلاً يَدَعُ الإكامَ كأنهنّ صحارى

فجاء بمعناه وزاد ، وقالت الشعراء فى نِفَارِ الناقة وفزعها فأكثرت ولم تَعْدُ
ذكر الهر المقرون بها وابنِ آوى ، وقال أوس [من الطويل] :

كأنَّ هِرًّا جنيباً عند غُرْضَتِها والتفَّ ديكٌ برجليها وخِنْزِيرُ (٢)

قالوا : وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية فى بيت واحد ، فقال :

وقارَفَت وهْىَ لم تَجْرَبْ وباع لها من الفَصَافِصِ بالنُّمِّىِّ سِفْسِيرُ (٣)

الفصافص : الرطبة ، وهى بالفارسية أسپست ، والنمى : الفلوس بالرومية ،
والسفسير : السمسار

وعن أبى عبيدة قال : كان أوس بن حجر غَزِلاً مغرما بالنساء ، فخرج فى سفر

---

(١) فى الأصول « ترى الأرض منا بالعطايا » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن اللسان والشعراء ، ومعضلة : ضيقة بهم لكثرتهم

(٢) الغرضة ـ بضم فسكون ـ حزام الرحل ، ووقع فى الأصول «عرضتها» بالعين مهملة

(٣) قارفت : قاربت ودنت ، يريد أنها قاربت أن تجرب ، وقد وقع فى أصول هذا الكتاب «وفارقت وهى لم تحزن» وهو تحريف فى مواضع ، وما أثبتناه عن لسان العرب فى أكثر من موضع وعن الشعراء لابن قتيبة .

حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شرج وناظرة ، فبينا هو يسير ظلاما إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذه(١) فبات مكانه ، حتى إذا أصبح غدت جوارى الحى يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الأرض والناسُ فى ربيع ، فبينما هن كذلك إذ أبصرن ناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة ، وأبصرنه ملقى ، ففزعن منه وهربن ، فدعا بجارية منهن ، فقال لها : من أنتِ ؟ قالت : أنا حليمة بنت فضالة بن كلدة ، وكانت أصغرهن ، فأعطاها حجراً وقال لها : اذهبى إلى أبيك فقولى : إن ابن هذا يقرئك السلام ، فأتته فأخبرته ، فقال : يا بنية ، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ، ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا حيث صرع ، وقال : لا أتحول أبداً حتى تبرأ ، وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل ، فقال أوس فى ذلك [من المتقارب] :

خذلت على ليلة ساهرة ... بصحراء شَرْجٍ إلى ناظرَهْ

تُزَادُ ليالىَّ مِنْ طولها ... فليستْ بِطَلْقٍ ولا شاكرَهْ

أُنوءُ بِرِجلٍ بها وهْيُها ... وأعيتْ بها أختُها العاثره

وقال فى حليمة [من الطويل] :

لَعَمْرُكَ ماملّتْ ثواء ثويها ... حليمة إذ ألقت فراشى ومقعدى

وَلكنْ تلقتْ باليدينِ ضمانتى ... وَحلّ بشَرْجٍ مِالقَبَائِلِ عُوَّدِى

ولم تُلهها تلك التكاليفُ إنّها ... كما شِئتَ من أكرومةٍ وتخرد

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوّب ... وقصرك أن يثنى عليك وتحمدى

ثم مات فضالة بن كلدة ، وكان يكنى أبا دليجة ، فقال فيه أوس يرثيه [من البسيط] :

ياعينُ لابدَّ منْ سكبٍ وتهمالِ ... على فضالةَ ، جَلّ الرُّزءِ والعالى

---

(١) فى الأغانى «فخذاه» بالتثنية

وهى طويلة ، وله فيه عدة قصائد ؛ ومما يستجاد من شعره قوله [من الطويل] :

وإنى رأيتُ الناسَ إلا أقلهمْ خفافَ العهود يُكثرون التنقلا
بَنى أُمّ ذى المال الكثير يَرونهُ وإن كان عبداً سيدَ الأمر جحفلا[1]
وهم لِمُقلّ المالِ أولادُ عَلّةٍ وإن كان مَحْضاً فى العمومةِ مُخْوَلا
وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى يَسوءك إن ولّى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوكَ النّاءِ ما كنتَ آمناً وصاحبُكَ الأدنى إذا الأمرُ أعضلا

ويستجاد له من هذه القصيدة قوله فى السيف :

كأن مَدَبَّ النمل تَتّبعُ الرُّبا ومَدْرَجَ ذَرٍّ خاف بَرْداً فأسهَلا

***

٢٣ — وَالّذى حارَتِ البريةُ فيه حَيَوانٌ مُسْتَحدَثٌ من جَمادِ

شاهد تقديم المسند إليه

البيت لأبى العلاء المعرّى ، من قصيدة من الخفيف يرثى بها فقيهاً حنفياً أولها :

غَيرُ مُجْدٍ فى ملّتى واعتقادى نَوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادى
وَشبيهٌ صَوْتُ النَّعيِّ إذا قيـ ـسَ بصوتِ البَشير فى كل نادى
أبكَتْ تلكُمُ الحمامةُ أم غَنّـ ـتْ على فرعِ غُصْنها المَيّادِ
صاحِ هذى قُبورُنا تَملأُ الرحْـ ـبَ فأين القُبورُ من عَهدِ عادِ
خَفّفِ الوطءَ ما أظُنُّ أديمَ الـ أرضِ إلا من هذه الأجسادِ
وقَبيحٌ بنا وإن قَدُمَ العَهْـ ـدُ هَوانُ الآباءِ والأجدادِ
سِرْ إنِ اسطَعْتَ فى الهواءِ رُوَيداً لا اختيالاً على رفاتِ العبادِ
رُبَّ لحدٍ قد صارَ لحداً مراراً ضاحِكٍ من تَزاحُمِ الأضدادِ
وَدفينٍ على بقايا دفينٍ فى طويلِ الأزمانِ والآبادِ
فاسألِ الفَرقَدينِ عمن أحسّاً من قَبيلٍ وآنسا من بلادِ

(١) فى الأصول * بلى أمر ذى المال * محرفا عما اثرناه عن ابن قتيبة

كم أقاما على زَوالِ نَهارٍ ... وَأنارَا لِمُدلجٍ فى سَوادِ
تَعبٌ كلُّها الحياةُ وما أعْــجبُ إلاّ مِنْ رَاغبٍ فى ازْدياد
إنّ حُزناً فى ساعةِ الموْتِ أضْعا ... فُ سُرورٍ فى ساعةِ الميلاد
خُلِقَ النَّاسُ لِلبقاءِ فَضلَّتْ ... أمةٌ يَحسبونَهمْ لِلنفــاد
إنما يُنقلونَ مِنْ دَارِ أعْما ... لٍ إلى دَارِ شِقوةٍ أوْ رَشاد

وهى طويلة ، ومنها :

بانَ أمْرُ الإلٰهِ وَاختلفَ النّا ... سُ فَدَاعٍ إلى ضَلاَلٍ وَهادِى

و بعده البيت ، و بعده :

فاللّبيبُ اللّبيبُ مَنْ لَيسَ يَغتــرُّ ... بِكونٍ مَصيرُهُ لِلفسادِ

يقول : تحيرت البرية فى المعاد الجسمانى والنشور الذى ليس بنفسانى ، وفى أن أبدان الأموات كيف تحيا من الرفات ، و بعضهم يقول به ، و بعضهم ينكره ، وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجماد ليس آدم عليه السلام ، ولا ناقة صالح ، ولا ثعبان موسى ، عليهما السلام ، إذ لا يناسب السياق ، وقال الامام أبو محمد بن السيِّد البَطَلْيَوْسى حين شرح سقط الزند فى هـذا البيت : يريد أن الجسم مَوَاتٌ بطبعه ، و إنما يصير حسّاسا متحركا باتصال النفس به ، فاذا فارقته عند الموت عاد إلى طبعه ، فالحياة للنفس جوهرية ، وللجسم عَرَضية ، فلذلك يعدم الجسم الحياة إذا فارقته النفس ولا تعدمها النفس .

والشاهد فيه : تقديم المسند إليه على المسند لتمكن الخبر فى ذهن السامع لأن فى المبتدإ تشويقاً إليه .

ترجمة أبي العلاء المعرى

وأبو العلاء : هو أحمد[١] بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخى ، من أهل

(١) تجد لأبى العلاء المعرى ترجمة فى ابن خلكان (١–٥٨) وفى « نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى » .

مَعَرَّة النعمان ، العالم المشهور ، صاحب التصانيف المشهورة ، ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة ، وجُدِرَ(١) فى السنة الثالثة من عمره فعمى منه ، وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلا الأحمر ، لأنى ألبست فى الجدرى ثوبا مصبوغاً بالعصفر ، لا أعقل غير ذلك .

وعن ابن غريب الايادى أنه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره ، فوجده قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ فانٍ ، قال : فدعا لى ومسح على رأسى ، قال : وكأنى أنظر إليه الساعةَ وإلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جداً (٢) وهو مجدور الوجه ، نحيف الجسم .

وعن المصيصى الشاعر قال : لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب ، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل فى كل فن من الهزل والجد ، يكنى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر

وهو من بيت علم وفضل ورياسة ، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، أو اثنتى عشرة سنة ، ورحل إلى بغداد ، ثم رجع إلى المعرة ، وكان رحيله إليها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ودخل على المرتضى أبى القاسم فعثر برجلٍ فقال : من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ، وسمعه المرتضى وأدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالا كثيراً ، وله معه نكتة تأتى فى التلميح إن شاء الله تعالى .

---

(١) جدر — بالبناء للمجهول — أصيب بمرض الجدرى

(٢) نادرة : بارزة ، وغائرة : منخسفة داخلة

ولما رجع المعرى إلى بلده لزم بيته وسمى نفسه رَهِينَ المحبسين[1] يعنى حبس نفسه فى منزله، وحبس بصره بالعمى.

وكان عجيبا فى الذكاء المفرط والحافظة. ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزى أنه كان قاعداً فى مسجده بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه، قال: وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحدا من أهل بلدى، فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصلاة، فرأيته فعرفته وتغيرت من الفرح، فقال لى أبو العلاء: أى شىء أصابك؟ فحكيت له أنى رأيت جاراً لى بعد أن لم ألق أحدا من أهل بلدى سنين، فقال لى: قم فكلمه، فقلت: حتى أتمم النسق، فقال لى: قم وأنا انتظر لك، فقمت وكلمته بلسان الأذربيجانية شيئاً كثيراً، إلى أن سألت عن كل ما أردت، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لى: أى لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أذربيجان، فقال لى: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير أنى حفظت ما قلتما، ثم أعاد علىّ اللفظَ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه، بل جميع ما قلت وما قال جارى، فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ مالم يفهمه.

وللناس حكايات يضعونها فى عجائب ذكائه، وهى مشهورة، وغالبها مستحيل، وكان قد رحل أولا إلى طرابلس، وكان بها خزائن كتب موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم، واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة، فسمع كلامه، فحصل له شكوك، وكان اطلاعه على اللغة وشواهدها أمرا باهرا.

اختلاف الناس فى أبى العلاء

والناس مختلفون فى أمره، والأكثرون على إلحاده وإكفاره، وأورد له الرازى فى الأربعين قوله [من مخلع البسيط]:

قُلْتُمْ لَنَا صَانِعٌ قَدِيم قُلنا صَدَقتمْ كَذَا نَقولُ
ثُمَّ زَعمتمْ بِلاَ مَكَانٍ وَلاَ زَمانٍ، أَلاَ فَقولوا

(١) فى المطبوعتين «رهين الحبسين» ناقص الميم

هـذا كلامٌ له خَبِىءٌ   مَعناهُ لَيستْ لَنا عقولُ

ثم قال الرازى : وقد هذى هذا فى شعره . وقال ياقوت : كان متهما فى دينه يرى رأى البراهمة ، لايرى إفساد الصورة ، ولا يأكل لحما ، ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور . انتهى

ومكث مدة خمس وأربعين سنة لايأكل اللحم تدينا ولا ماتولد من الحيوان رحمة له وخوفا من إزهاق النفوس ، وإلى ذلك أشار علىّ بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة [من الكامل] :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدماء زَهادةً   فلقد أرقْتَ اليومَ مِن عَينى دَما

سَيرتَ ذِكرَكَ فى البلاد كأنهُ   مِسكٌ فسامِعةً يُضَمِّخُ أو فما(١)

وَأرى الحجيجَ إذا أرادُوا ليلةً   ذِكراكَ أوْجبَ فِديةً من أحرما(٢)

ولقيه رجل فقال له: لِم لم تأكل اللحم؟ فقال: أرحم الحيوان ، قال : فما تقول فى السباع التى لاطعام لها إلا لحوم الحيوان ، فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع المحدِثَةَ لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن ، فسكت

وقال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى : قال لى المعرى : لم أهج أحدا قط ، قلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ! فتغير لونه ، أو قال وجهه

ودخل عليه القاضى المنازى ، فذكر له مايسمعه عن الناس من الطعن عليه ثم قال : مالى وللناس وقد تركت دنياهم ؟ فقال له القاضى : وأخراهم ، فقال :

---

(١) فى الأصول وفى ابن خلكان «فسامعه» بدون نقط الهاء ، واضطر مصحح نسخة ابن خلكان أن يكتب على هامشها ما صورته «قوله مسك إلخ فى بعض النسخ * مسك يضمخ منه سمعا أو فما * ولعل ذلك أوفق ، تأمل» وما قرأنا عليه ما هنا صحيح مستقيم

(٢) فى ابن خلكان « أخرج فدية من أحرما»

ياقاضى وأخراهم ، وجعل يكررها

وعن أبى زكريا الرازى قال : قال لى المعرى: ماالذى تعتقد ؟ فقلت فى نفسى : اليوم يتبين لى اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلا شاك ، فقال لى : وهكذا شيخك

وحكى عن الشيخ كمال الدين الزملكانى أنه قال فى حقه : هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت

وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان يقول فى حقه : هو فى حيرة

قال الصلاح الصفدى : وهذا أحسن مايقال فى أمره ، لأنه قال [من الخفيف]:

خُلقَ الناسُ للبقاءِ فَضلَّتْ أُمّةٌ يَحسبونَهم للنفادِ
إنّما يُنقلونَ من دارِ أعما لٍ إلى دارِ شقوة أو رَشاد

ثم قال [من الطويل] :

ضَحِكنا وكان الضِّحكُ مِنا سفاهةً وحُقّ لِسكانِ البسيطةِ أن يَبكوا
تُحطِّمنا الأيامُ حتّى كأنّنا زُجاجٌ ولكنْ لا يُعادُ لنا سبكُ

وهذه الأشياء كثيرة فى كلامه ، وهو تناقض منه ، و إلى الله ترجع الأمور

قال السِّلفى : ومما يدل على صحة عقيدته ماسمعت الحافظ الخطيب حامد ابن بختيار النميرى يحدث بالسمسانية ــ مدينة بالخابور ــ قال : سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجى يقول : سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول : دخلت على أبى العلاء التَّنوخى بالمعرة ذات يوم فى وقت خلوة بغير علم منه ، وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه ، فسمعته ينشد من قيله [من مخلع البسيط] :

كم بُودرتْ غادةٌ كَعابٌ وعُمِّرتْ أُمُّها العجوزُ[1]

(١) بودرت : أعجلت ، يريد أنها ماتت فى اقتبال عمرها وميعة شبابها . والكعاب : الجارية حين يكعب ثديها ، بزنة سحاب ، وفى المطبوعتين « كعوب » وأحسبه محرفا

أَحْرَزَها الْوَالِدانِ خَوفًا   والقبرُ حِرزٌ لها حَريزٌ
يَجوزُ أنْ تُبْطِئَ المنايا   وَالْخُلْدُ فى الدَّهرِ لايَجوزُ

ثم تأوّه مرات ، وتلا (إنّ فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يومٌ مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره إلا لأجل معدود ، يوم يأتى لاتكلم نفسٌ إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد) ثم صاح ، وبكى بكاء شديدا ، وطرح وجهه ، وقال : سبحان من تكلم بهذا فى القدم ! سبحان من هذا كلامه! فصبرت ساعة ثم سلمت عليه ، فرد على وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة ، ثم قلت : ياسيدى أرى فى وجهك أثر غيظ ، فقال : لا ياأبا الفتح ، بل أنشدت شيئا من كلام المخلوق وتلوْتُ شيئاً من كلام الخالق ، فلحقنى ماترى ، فتحققت صحة دينه وقوّة يقينه

وقال السلفى أيضا : سمعت أبا المكارم بأبهر — وكان من أفراد الزمان ثقة مالكى المذهب — قال : لما توفى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً ، وختم عند قبره فى أسبوع واحد مائتا ختْمة

وعن أبى اليسر المعرى أن أبا العلاء كان يُرْمَى من أهل الحسد له بالتعطيل، ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعارَ يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لاتلاف نفسه ، وفى ذلك يقول [من السريع] :

حاوَلَ إهوانِىَ قَوْمٌ فما   وَاجَهْتُهُمْ إلا بأهْوَان
يحرّشونى بسعَاياتِهمْ   فَغَيَّروا نِيَّةَ إخوانِى
لواستطاعواالوَشْوَابِى إلى المرِّيخِ والشُّهبِ وكيوانِ

قال الصلاح الصفدى : أما الموضوع على لسانه ، فلعله لايخفى على ذى لب وأما الأشياء التى دَوّنها وقالها فى «لزوم مايلزم» وفى «استغفر واستغفرى » فما فيه حيلة ، وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ، ويحتمل أنه ارعوى

وتاب بعد ذلك كله ، وكان أكله العدس ، وحلاوته التين ، ولباسه القطن ، وفراشه اللباد ، وحصيره برديه ، وتصانيفه كثيرة جداً ، وشعره كثير إلى الغاية ، وأحسنه « سقط الزند »

من غزل أبى العلاء

ومن نظمه فى الغزل [من البسيط] :

يا ظبية علمتنى فى تصيدها ... أشراكها وهى لم تعلق بأشراكى
رَعيتِ قلبي وما رَاعيتِ حُرمتهُ ... فلِمْ رَعيتِ وَما رَاعيت مَرعاكِ
أتحرقينَ فُؤاداً قَدْ حَلَلتِ بهِ ... بِنار حُبكِ عمداً وَهْوَ مأواكِ
أسكنتهِ حَيثُ لمْ يَسكنْ بهِ سَكنٌ ... وَليسَ يُحسنُ أنْ تَسخَىْ بِسكناكِ
مابالُ داعى غَرامى حِينَ يأمُرنى ... بأنْ أكابدَ حرَّ الوجدِ يَنهاكِ
وَكم غدَا القلبُ ذَا يأسٍ وَذَا طَمعٍ ... يَرجوكِ أنْ تَرحميهِ وَهْوَ يَخشاكِ

ومن شعره قوله [من الطويل] :

إلى الله أشكُو أننى كلَّ لَيلةٍ ... إذَا نِمتُ لمْ أعدم خَواطرَ أوْهامِ
فإنْ كانَ شَرًّا فهوَ لاَ شَكَّ وَاقعٌ ... وإنْ كانَ خَيراً فَهوَ أضغاثُ أحلاَمِ

ومنه قوله [من البسيط] :

اضربْ وَليدكَ تأديباً على رَشدٍ ... ولاَ تَقُلْ هُوَ طِفلٌ غيرُ مُحتلمِ
فَربَّ شقٍّ برأسٍ جَرَّ مَنفعةً ... وَقسْ على شقِّ رأسِ السهم وَالقلمِ

ومن شعره وقد أهدى كتابا من تصانيفه [من الطويل] :

قَبولُ الهدايا سُنةٌ مستحبةٌ ... إذَا هىَ لمْ تَسلكْ طَريقَ تحابى
وَما أنا إلاَّ قَطرةٌ منْ سَحابةٍ ... وَلو أننى صنَّفتُ ألفَ كِتابِ

مما أخذ على أبي العلاء

ومن شعره المؤاخذ به قوله [من الطويل] :

إذَا ما ذَكرنا آدما وفِعالهُ ... وَتزويجهُ بِنتيْهِ لابنيهِ فى الخنا

عَلمنا بأنَّ الخلقَ مِنْ نَسلِ فاجرٍ وَأنَّ جميعَ الخلقِ منْ عُنصرِ الزِّنى

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن اليمنى بقوله [من الطويل] :

لَعَمْرِىَ أمَّا فِيكَ فالْقولُ صادقٌ وَتكذبُ فى الباقِينَ منْ شطَّ أوْ دنا

كَذلكَ إقرارُ الفتى لازمٌ لهُ وَفى غيرِهِ لَغْوٌ ، كَذا جاء شَرعُنَا

ومنه قوله [من البسيط] :

يَدٌ بخمس مِئينٍ عَسجدٍ وُدِيَتْ ما بالُهَا قُطعتْ فى رُبعِ دِينارِ

تَحكُّمٌ مالنا إلاَّ السُّكوتُ لهُ وَأنْ نَعوذَ بِمولانا منَ النَّار

فأجابه علم الدين السخاوى بقوله [من البسيط] :

عِزُّ الأمانةِ أغلاها ، وَأرْخصها ذُلُّ الخيانةِ ، فافهمْ حِكمةَ البارى

ومنه قوله [من الكامل] :

هَفَت الحنيفةُ ، وَالنَّصارَى ما اهتَدتْ ، وَمجوسُ حارتْ ، وَاليهودُ مُضَلَّلهْ

اثنانِ أهْلُ الأرض : ذُو عقَلٍ بِلاَ دينٍ ، وَآخرُ دَيِّنٌ لاَ عقَل لهْ

فقال ذو الفضائل الاخسيكتى رادًّا عليه [من الكامل] :

الدِّين آخذهُ وَتاركهُ لمْ يَخفَ رُشدُهما وَغيهما

اثنَانِ أهلُ الأرض قُلتَ ، فقلْ يا شَيخَ سُوءِ أنْتَ أيُّهما

ومنه أيضا قوله [من البسيط] :

دِينٌ وَكفرٌ وأنْباء تُقالُ وَفُرْ قانٌ يُنصُّ وَتوراة وَإنجيلُ

فى كل جيلٍ أباطيلٌ يُدَانُ بها فَهلْ تفَردَ يوْماً بالهدَى جِيلُ

فأجابه شيخ الاسلام الحافظ الذهبي بقوله [من البسيط] :

نعمْ أبو القاسمِ الهادى وأمتهُ فَزَادكَ الله ذُلاًّ يادُجَيْجِيلُ

ومنه أيضا قوله ، وهو الطامة الكبرى [من الوافر] :

قِرانُ المشترى زُحَلاً يُرَجىّ لايقاظ النَّواظِرِ من كَرَاها
تَقَضَّى الناسُ جيلاً بعدَ جيلٍ وخُلِفتِ النجومُ كما تَرَاها
تَقدمَ صاحبُ التوراةِ موسى وأوقعَ فى الخسارِ مَن اقْتَراها
فقالَ رِجالُه وحىٌ أتاهُ وقالَ الآخرونَ بل افتراها
ومَا حَجِّى إلى أحجار بيتٍ كؤوسُ الخمرِ تُشربُ فى ذَرَاهَا
إذا رَجعَ الحكيمُ إلى حِجاهُ تَهاوَن بالشرائع وازْدَرَاهَا

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! اللهم إنى أستغفرك من نظير هذه الأباطيل التى تشمئز منها القلوب ، وتنفر عنها الخواطر ، وأسألك التوفيق لى ولسائر المسلمين

من جيد شعر أبي العلاء

ومن جيد شعره قوله [من الوافر] :

رَدَدْتُ إلى مليكِ الخلق أمرى فلم أسألْ متى يقعُ الكسوفُ
وكم سلم الجهولُ مِنَ المُنايا وعُوجِلَ بالحِمامِ الفيلسوفُ

وهو أخذه من قول أبي الطيب المتنبي [من السريع] :

يَموتُ راعى الضأنِ فى جهلِه ميتةَ جالينوسَ فى طِبِّـهِ
ورُبَّما زَادَ على عُمْرِهِ وزاد فى الأمْنِ على سِرْبِهِ

وقد تلاعب الشعراء بهجائه ، وممن هجاه أبو جعفر البجائى الزوزنى بقصيدة أوّلها [من الكامل] :

كلبٌ عوَى بمعرَّةِ النعمانِ لما خلا عَنْ ربقةِ الْايمانِ
أمعرةَ النُّعمانِ ما انْجبتِ إذْ أخْرجْتِ مِنْكِ معرةَ العُميانِ

وقصته مع وزير محمود بن صالح صاحب حلب شهيرة فلا حاجة إلى التطويل بذكرها

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث ، وقيل : ثانى شهر ربيع الأول ، وقيل : ثالث عشره ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة

قال ابن غرس النعمة : وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلحاده ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والعفة ، فلما كان من الغد حكى لنا قال : رأيت فى منامى البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيَانِ متدلِّيان إلى فخذيه ، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحما يزدرده ، وهو يستغيث فقلت وقد هالنىَ : مَنْ هذا ؟ فقيل لى : هذا المعرى الملحد

وقال القفطى : أتيت قبره سنة خمسين وستمائة ، فاذا هو فى ساحة من دور أهله وعليه باب ، فدخلت فاذا القبر لااحتفال به ، ورأيت عليه خبَّازى يابسة والموضع على غاية مايكون من الشعث والاهمال

قال الذهبىّ : وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطى فرأيت نحوا مما حكى ، انتهى

ويقال : إنه أوصى أن يكتب على قبره [من مجزوء الكامل] :

هذا جَناهُ أبى علـــىَّ وما جَنَيتُ على أحدْ

وهو أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى العالم جناية عليه ، لأنه يعرض للحوادث والآفات ، والله تعالى أعلم بأمره

* * *

شاهد ما إذا تأخرت « كل » عن أداة النفى

٣٤ — ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المرْءُ يُدْرِكُهُ

قائله المتنبى ، من قصيدة من البسيط يمدح بها كافورا الاخشيدى صاحب مصر ولم ينشدها له ، وكان اتصل به أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة ، وأولها (١)

بِمَ التعلّلُ لا أهلٌ ولا وطنُ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

(١) انظرها فى الديوان (٤ — ٢٣٣)

أُريدُ من زمنى ذا أن يبلغنى ما ليسَ يبلغهُ فى نفسه الزمنُ
لاتلقَ دهرَكَ إلاغيرَ مكترثٍ مادام يَصْحَبُ فيه رُوحَكَ البدنُ
فما يدوم سرورُ ما سُرِرْتَ به ولا يَرُدُّ عليكَ الفائتَ الحزَنُ
مما أضرَّ بأهل العشقِ أنهمُ هَوَوْا وما عرَفوا الدنيا ومافطِنوا
تفنى عيونُهُم دمعاً وأنفُسُهم فى إثر كلِّ قبيح وجهُهُ حسَنُ
تحمّلوا حملتكم كل ناجيةٍ فكلُّ بَيْنٍ علىَّ اليومَ مؤتمنُ
مافى هَوادجِكم من مُهجتى عِوَض إن مُتُّ شوقاً ولا فيها لها ثمنُ
يا من نُعيتُ على بعدٍ بمجلسِه كلٌّ بما زعم الناعونَ مرتَهَنُ
كم قد قُتِلت وكم قد مُتُّ عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفنُ
قد كان شاهدَ دفنى قبل قولهم جماعةٌ ثم ماتوا قبل مَنْ دَفنوا
ما كلّ مايتمنىَّ المرءُ يدركهُ تجرى الرِّياحُ بِمالا تشتهى السفنُ

وهى طويلة بديعة

والشاهد فى البيت : أن « كل » إذا تأخرت عن أداة النفى سواء كانت معمولة لها أولا ، وسواء كان الخبر فعلا كما فى البيت أو غير فعل ، توجّه النفى إلى الشمول خاصة ، لا إلى أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف إليه « كل » إن كانت فى المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذى حمل عليها ، أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض إن كانت « كل » فى المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها

ومعنى شطر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكرى [من الطويل] :

فيالكَ مِنْ ذى حاجةٍ حِيلَ دونها وما كُلّ ما يهوى امرؤ هو نائلهْ

وقد أخذه بعضهم وضمنه فى قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم فخرج إليه وهو بمصر ليأخذ جائزته فوجده قد مات ، فقال [من الطويل] :

لَئن مِصرُ فاتتنى بما كنتُ أرتجى ... وأخلفنى منها الذى كُنتُ آمُلُ
فيالك مِنْ ذى حاجةٍ حِيلَ دونها ... وما كل مايَهوَى امرُؤٌ هو نائِل
وما كان بَينى لوْ لَقيتُكَ سالمًا ... وبينَ الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ

وهذا البيت بعينه للحطيئة فى علقمة بن عُلاثة [1] والظاهر أنه ضمنه أيضاً

وقد تقدم ذكر أبى الطيب المتنبى فى شواهد المقدمة[2]

* * *

شاهد ما إذا تقدمت كل على أداة النفى

٢٥ — قد أصبحتْ أمُّ الخيار تَدعى * علىّ ذنباً كلهُ لم أصنع

البيت لأبى النجم العجلى المتقدم ذكره ، وهو أول أرجوزته السابقة[3] وأم الخيار هذه زوجته

والشاهد فيه أن « كل » إذا تقدمت على النفى لفظا ولم تقع معمولة للفعل المنفى عم النفى كل فرد مما أضيف إليه كل ، وأفاد نفى أصل الفعل عن كل فرد ، ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلا عن نصبها الغير المحتاج إلى تقدير ضمير ، لأنه لايفيد نفى عموم ما ادعته أم الخيار عليه ، والله أعلم

* * *

شاهد وضع المظهر موضع المضمر

٣٦ — كم عاقل عاقل أعْيتْ مذاهبهُ * وجاهل جاهل تلقاهُ مَرْزوقا
هذا الذى تركَ الأوهامَ حائرةً * وصَّير العالم النِّحريرَ زِنديقا

البيتان لابن الراوندى ، من البسيط ، وقبلهما

---

(١) البيت الذى يشير إليه هو قول الحطيئة :

فما كان بين الخير لو جاء سالما ... أبو حجر إلا ليال قلائل

أراد فما كان بين الخير وبينى ، فحذف الواو وما عطف بها .

(٢) انظر شرح الشاهد (رقم ٤)

(٣) انظر شرح الشاهد (رقم ٣)

سُبحان مَنْ وضع الأشياء مَوْضِعَها وفَرّقَ العزَّ والاذْلال تفريقا

وعاقل الثانى صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل مُتناهٍ فيه ، كما يقال مررت برجل رجل ، أى كامل فى الرجولية ، ومعنى « أعيتْ مذاهبه » أعجزته وصعبت عليه طرق معايشه ، والنحرير ــ بكسر النون ــ الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شىء لأنه ينحر العلم نحراً ، والزنديق ــ بكسر الزاى ــ من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة ، أو مَنْ لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية ، أو مَنْ يُبطن الكفر ويظهر الايمان ، أو هو معرب « زن دين » أى دين المرأة

والشاهد فيه : وضع المظهر الذى هو اسم الاشارة موضع المضمر لكمال العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشأن ، وهو هنا جعل الأوهام حائرة والعالم المتقن زنديقا

وما أحسن قول الغزى فى معنى البيتين [من البسيط] :

كم عالم لم يلج بالقرعِ بابَ مُنًى وجاهلٍ قبل قرع الباب قد ولجا

وما أحسن قول الحكيم أبى بكر الخسروىّ السرخسى ، وهو كالرد على قول ابن الراوندى [من السريع] :

عجبت من ربّى وربّى حكيم أن يَحرِم العاقل فضل النعيمْ
ما ظلَمَ البارى ولكنه أراد أن يُظْهِرَ عجز الحكيمْ

وقول أبى الطيب غاية فى هذا الباب ، وهو [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدٍ بأصْعَبَ من أن أجمع الجدّ والفَهْمَا

وهو ينظر إلى قول أبى تمام [من الطويل] :

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصدٍ ولا المجد فى كف امرئٍ والدراهمُ

وما أحسن قول أبى تمام أيضا [من الطويل] :

ينال الفتى من دهره وَهْوَ جاهلٌ ويُكْدِى الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تأتى على الحِجَا إذَنْ هلكتْ من جهلهن البهائم

ومثله قول أبى الخير المروزى الضرير [من الهزج] :

تنافى العقلُ والمالُ فما بينهما شكلُ

هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل

فعقلٌ حيث لا مالٌ ومالٌ حيث لا عقل

ومثله قول أبى إسحاق الصابى [من الطويل] : 11

إذا جَمعتْ بين امرأيْنِ صِناعةٌ فأحببتَ أن تدرى الذى هو أحْذَقُ

فلا تتفقَّدْ منهما غيرَ ما جرَتْ به لهُما الأرزاق حين تُفرَّقُ

فحيثُ يكون الجهلُ فالرزق واسعٌ وحيثُ يكونُ العلم فالرزق ضيِّقُ

ومثله قول عبد الجليل بن وَهْبون المرسى [من الطويل] :

يَعِزُّ على العَلياءِ أنىَ خاملٌ وأن أبصَرَت منى خُمُودَ شِهابى

وَحيثُ ترى زَندَ النجابةِ وارِياً فَثَمَّ ترى زند السعادة كابى

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من المجتث] :

كم من غَبيٍّ غَنىٌّ ومن فَقيهٍ فقيرٌ

و بديع قول أبى بكر بن محمد المازنى [من الكامل] :

ثِنتَانِ من سِيَرِ الزمان تحيرتْ لهُما عُقُول ذوى التَّفلسُفِ والنهى

مُثْرٍ من الأموال مَبخوس الحِجا ومُوَفَّر الآدابِ منقُوص الغنى

وما أحسن قول ابن لنكك [من المنسرح] :

فعاقلٌ ما تُبَلُّ أنملُهُ وجاهلٌ باليدين يغترفُ

وقول الآخر [من المتقارب] :

زمان تَحيرتُ في أمره كثيرُ التعدى على حُرهِ
فَلِلوَغْدِ ماشئتَ من نفعهِ وللحرُ ما شئت من ضُرهِ
وأعجبُ ما في تصاريفه صيالُ البعوضِ على صَقْرهِ

وقول الآخر [من المنسرح] :

وَغْدٌ له نِعمةٌ مُؤثَّلة وَسيدٌ لا يزالُ يقترِضُ

ومدار ذلك جميعه على الحظّ وعدمِهِ ، وما أحسَنَ قولَ ابن الخياط الدمشقى فيه أيضاً [من الطويل] :

وَمازَال شُؤمُ الحظِّ مِنْ كل طَالبٍ كَفيلاً بِبعدِ المَطلبِ المتَدَانى
وَقد يُحرَمُ الجَلْدُ الحريصُ مَرامهُ وَيُعطَى مُناهُ العاجِزُ المُتَوانى

وقول الآخر [من البسيط] :

قَد يُرزقُ المرءُ لا مِنْ حُسنِ حِيلتهِ وَيُصرَفُ المالُ عَنْ ذِى الحيلةِ الدَّاهِى

وقول الآخر أيضاً [من السريع] :

إنَّ المقاديرَ إذا ساعَدَتْ أَلحَقَتِ العاجِزَ بالقادِر

وما أحسن قولَ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر [من المجتث] :

يامِحْنَةَ الدَّهْرِ كُفِّى إنْ لَمْ تَكُفِّى فَخُفِّى
ما آنَ أَنْ تَرحَمِينَا مِنْ طُولِ هٰذا التَّشَفِّى ؟
فلا عُلومِىَ تُجدِى وَلاَ صناعة كفِّى
ثَورٌ ينالُ الثريَّا وعَالِمٌ متخفِّى
ذَهَبْتُ أُطلُبُ بختى فقيل لى قد توفِّى

ومن الغايات فى هذا الباب قول الإمام الشافعى رحمه الله تعالى [من الكامل] :

لو أنَّ بالحيلِ الغنى لوجدتنِى بنجومِ أفلاكِ السماء تعلُّقى
لكنَّ مَن رُزِقَ الحِجا حُرِمَ الغِنى ضدّان مفترقان أىّ تفرُّقِ

فاذا سمعتَ بأنّ محروماً أتى ماءً ليشربه فغاضَ فصدِّق
أو أنّ محظوظاً غدا فى كفه عودٌ فأورَقَ فى يديه فحقِّق
ومنَ الدليل على القضاء وكونه بؤسُ اللبيب وطيبُ عيشِ الأحمق

ولبعضهم فى معناه [من الخفيف] :

لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماء جفّ عند الورود ماءُ البحارِ
أو رُمى باسمى النجومُ الدرارى لانزوى ضوؤها عن الأبصار
أو لمستُ العودَ النضيرَ بكفى لذَوى بعدَ نعمةٍ واخضرارِ
ولو أنى بعتُ القناديلَ يوماً أُدْغِمَ الليلُ فى بياضِ النهارِ

ومثله قولُ بعضهم [من الطويل] :

ولما لمستُ الرزق فانجذ حبلهُ ولم يصفُ لى من بحره العذبِ مشربُ
خطبت إلى الاعدام إحدى بناته فزوّجنيها الفقرُ إذ جئتُ أخطبُ
فأولدتها الحزنَ الشقىّ فماله على الأرضِ غيرى والدٌ حين ينسبُ
فلو تهتُ فى البيداء والليلُ مسبلٌ علىّ جناحيه لما لاح كوكبُ
ولو خفتُ ثيراً فاستترتُ بظلمة لأقبلَ ضوءُ الشمس من حيث تغربُ
ولو جادَ إنسانٌ علىّ بدرهمٍ لرُحْتُ إلى رحلى وفى الكف عقربُ
ولو يُمْطِرِ الناسُ الدنانير لم يكنْ بشىءٍ سوى الحصباء رأسىَ يُحْصَبُ
وإن يَقْترف ذنباً ببرقةَ مذنبٌ فانّ برأسى ذلك الذنبَ يُعْصَبُ
وإن أرَ خيراً فى المنام فنازحٌ وإن أرَ شراً فهْوَ منّى مقرّبُ
أمامى من الحرمان جيشٌ عرمرَمٌ ومنه ورائى جحفل حينَ أركبُ

وقول الآخر [من الخفيف] :

لو ركبتُ البحارَ صارت فجاجاً لا ترَى فى متونها أمواجَا
ولو أنى وضعتُ ياقوتةً حمراءَ فى راحتى لصارت زجاجَا

ولو أنى وردْتُ عذباً فراتاً عاد لاَ شكَّ فيه ملحاً أجاجَا

وما أحسن قول أبى الأسود الدؤلى [من الكامل] :

المرء يحمد سعيه من جده حتى يُزَيَّن بالذى لم يَعمل

وترى الشقى اذا تكامَلَ جده يرمى ويقذفُ بالذى لم يفعَل

وبديعٌ قولُ أبى العلاء المعرّى [من الطويل] :

سيطلبنى رزقى الذى لو طلبته لَمَا زادَ والدنيا حظوظ و إقبالُ

إذا صدقَ الجدُّ افترى العمُّ للفتى مكارم لا تكرى و إن كذب الخالُ

الجدُّ هنا : الحظ ، والعمُّ : الجماعة ، وتكرى : من كرى الزاد إذا نقص ، إفترى : كذب ، والخال : المخيلة .

وظريف هنا قولُ ابن شرف القيروانى [من الوافر] :

إذا صحبَ الفتى سعدٌ وجَدٌّ تحامته المكاره والخطوبُ

ووافاه الحبيبُ بغيرِ وعدٍ طُفَيْلِيًّا وقادَ له الرقيبُ

وعدّ الناس ضرطته غناء وقالوا إن فسا قد فاح طيب

وقد أخذه ابن النقيب فقال [من السريع] :

لو لَحَنَ الموسر فى مجلس لقيل عنه إنه يُعْرِب

ولو فَسَا يوماً لقالوا له من أينَ هذا النَّفَسُ الطيبُ

وقول أبى العلاء المعرى غاية هنا ، وهو [من الكامل] :

لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبةً قلم البليغ بغيرِ حظٍّ مغزَل

سكن السِّما كانِ السماء كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وقد أخذ أبو إسحاق الغزى هذا المعنى ، فقال [من البسيط] :

الحسن والقبح . قد تحويهما صفةٌ شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظُبَا الْمُحَارَفِ أقلامٌ مكسرةٌ رؤوسهنّ وأقلام السعيدِ ظبا[١]

وله أيضاً [من المنسرح] :

لا تعتبنّ الزمان إن ذهبت نيوب ليث الْعَرِين منْ نُوَبه
فالحول لولا الجدود ماقصرت أيْدِي جمُاداه عن علا رَجبه

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى ، فقال [من الطويل] :

لئنْ رُحْتُ مَعْ فضلى منَ الحظ خالياً وغيرِى على نقصٍ به قد غدا حالى
فإنى كشهر الصوم أصبح عاطلا وطَوْقُ هلال العيد فى جيد شوال

بل ربما أخذه من قول ابن قلاقس فانه أصرح منه حيث قال [من الخفيف] :

إن تأخَّرْتُ فالمحرم عطل من حُلى العيدِ وهى فى شوَّالِ

وقال ابن قلاقس أيضا [من الكامل] :

لولا الجُدودُ لما نمت لمسافر كفُّ الغنَى وتَعلقت بمُقيم
والحظُّ حتى فى الحرُوف مؤثر يُختصُّ بالترقيق والتفخيم

وقال مهيار الديلمى [من البسيط] :

لا تحسَبِ الهمَّةَ العَلياءَ موجبةً رزقاً على قِسمةِ الأرزاق لم يجب
لو كانَ أفضَلُ ما فى الناس أسعَدَهم ما انحطَّتِ الشمس عن عالٍ من الشهب
أو كان أيسرُ ما فى الأفق أسلَمَه دامَ الهلالُ فلم يُمحق ولم يَغب

وقال الطغرائى [من الطويل] :

وأعْظَم ما بى أنَّنى بفضائلى حُرِمتُ ومالى غيرهنَّ ذَرائع
إذا لم يزدنى مَوردِى غيْرَ عِلَّةٍ فَلا صَدَرتْ بالوارِدين مَشارِعُ

---

(١) الظبا : جمع ظبة ــ بضم الظاء وتخفيف الباء ــ وهى حد السيف . والمحارف ــ بفتح الراء المهملة ــ الذى انحرف الحظ والرزق عنه

وقال القاضي الفاضل [من مجزوء الكامل] :

ما ضرَّ جهلُ الجاهلينَ ولا انتفعتُ أنا بحِذْقي
وزيادتي في الحِذقِ فَهْيَ زيادةٌ في نقص رزقي

وقال ابن دانيال [من الخفيف] :

قد عقَلنا والعقلُ أيُّ وثاقِ وصَبَرنا والصبرُ مرُّ المذَاقِ
كل من كانَ فاضِلاً كان مثلي فاضلا عندَ قسمة الأرزاقِ

وقال ابن عنين [من الوافر] :

كأنّي في الزمان اسم صَحيحٌ جرَى فتحكمتْ فيهِ العواملْ
مَزيدٌ في بَنيهِ كواو عمرو ومُلْغَى الحظّ فيه كراءِ واصِلْ[1]

وقال السراج الوراق [من مخلع البسيط] :

يمنَعُني باخِلٌ وسمحٌ وليسَ لي منهما نَصير
وغايتي أن ألومَ حظي وحظّيَ الحائطُ القصير

وقال ابن سناء الملك [من الطويل] :

وربَّ مليحٍ لايُحَبُّ وضدُّه تُقَبِّلُ منه العَينُ والخد والفَمُ
هوَ الجَدُّ خذه إن أردتَ مسَلّماً ولا تَطلب التعليلَ فالأمرُ مبهم

وما أرشق قول ابن رشيق [من الكامل] :

أشْقى لعقلك أن تكون أديباً أو أن يرى فيكَ الوَرى تهذيبا
ما دمتَ مُستوياً ففعلُكَ كلُّه عِوَجٌ وإن أخطأتَ كنت مصيبا

---

(١) يريد واصل بن عطاء ، أحد الالسن المقاويل ، وكان ألثغ بالراء فكان يتجنبها في كلامه

كالنَّقْشِ ليسَ يصحُّ معنى ختمه حتى يكونَ بناؤُهُ مقلوبا [١]

وما ألطف قول السراج الوراق [من البسيط] :

الباءُ والخاءُ من بختى قد اقترَنا بالباءِ والخاءِ من بخلٍ لانْسانِ

واللامُ والتاءُ من هذا وَذاكَ هما لتّ المسائلِ عن أسبابِ حِرمانى

وهذا الباب واسع جدا ، والاختصار فيه أولى .

ترجمة ابن الراوندى الزنديق

وابن الراوندى [٢] : هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين من أهل مرو الروذ ، وراوند بفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون وبعدها دال مهملة ، قرية من قرى قاسان — بالسين المهملة — بنواحى أصبهان ، وهى غير قاشان التى بالمعجمة المجاورة لقُمّ . سكن المذكور بغداد ، وكان من متكلمى المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً ، وقال القاضى أبو على التنوخى : كان أبو الحسين ابن الراوندى يلازم أهل الالحاد ، فاذا عوتب فى ذلك قال : إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ، ثم إنه كاشف وناظر ، ويقال : إن أباه كان يهودياً فأسلم ، وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين : ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا ، ويقال : إن أبا الحسين قال لليهود : قولوا إن موسى قال لا نبى بعدى .

وذكر أبو العباس الطبرى أن ابن الراوندى كان لا يستقر على مذهب ، ولا يثبت على حال ، حتى إنه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الاسلام لأربعمائة درهم أخذها فيما بلغنى من يهود سامُرّا ، فلما قبض المال رام نقضها حتى أعطوه مائة درهم أخرى ، فأمسك عن النقض .

---

(١) فى الأصل «معنا» وهو خطأ كتابى ، يريد أن من أراد أن ينقش كلاما على ختم كتبه مقلوبا ليكون عند الختم به صحيحا مستقيما

(٢) تجد لابن الراوندى ترجمة فى ابن خلكان

وحكى البلخى فى كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندى هذا كان من المتكلمين، ولم يكن فى زمانه أحذق منه بالكلام ، ولا أعرف بدقيقه وجليله ، وكان فى أول أمره حسن السيرة ، حميد المذهب ، كثير الحياء ، ثم انسلخ من ذلك كله لأسباب عرضت له ، وكان علمه أكثر من عقله ، فكان مثله كما قال الشاعر [من البسيط] :

ومن يُطيقُ مُزَكى عند صَبوته   ومن يَقومُ لَمستورٍ إذا خَلعا

قال : وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه ، وأظهر الندم ، واعترف بأنه إنما صار إليه حميةً وأنفةً من جفاء أصحابه له وتنحيتهم إياه من مجالسهم

وأكثر كتبه الكفريات ألفها لأبى عيسى اليهودى الأهوازى ، وفى منزله هلك ، ومما ألفه من كتبه الملعونة كتاب «التاج» يحتج فيه لقدم العالم ، وكتاب «الزمردة» [1] يحتج فيه على الرسل ويبرهن على إبطال الرسالة ، وكتاب «الفريد» فى الطعن على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اللؤلؤة فى تناهى الحركات ، وقد نقض هو أكثرها وغيره . ولأبى على الجبائى وغيره ردود عليه كثيرة : فمما قاله فى كتاب الزمردة أنه إنما سماه بالزمردة لأن من خاصية الزمرد أن الحيات إذا نظرت إليه ذابت وسالت أعينها ، فكذلك هذا الكتاب إذا طالعه الخصم ذاب ، وهذا الكتاب يشتمل على إبطال الشريعة الشريفة ، والازدراء على النبوات المنيفة ؛ فمما قاله فيه لعنه الله وأبعده «إنا نجد فى كلام أكثم بن صيفى شيئا أحسن من إنا أعطيناك الكوثر ، وإن الأنبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم» وقال « قوله — يعنى نبينا عليه الصلاة والسلام — لعمار رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية ، كل المنجمين يقولون مثل هذا » ولقد كذب لعنه الله وأخزاه !

---

(١) سماه ابن خلكان «كتاب الزمرد» بغير تاء الوحدة

وجعل النار مستقره ومثواه ، فان المنجم إن لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ، ويعرف طالعه ،لايقدر أن يتكلم على أحواله،ولايخبره بشيء من متجدداته ، وخطأه أكثر من صوابه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمغيبات من غير أن يعرف طالعاً أو يسأل عن اسم أو نسب،ولم يعهدعنهغيرماذكر، صلى اللهعليه وسلم فبان الفرق . وقال فى كتاب الدامغ « إن الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء إلا القتل ، فِعْل العدو الحنقِ الغضوب ، فما حاجته إلى كتاب ورسول » قال « و يزعم أنه يعلم الغيب فيقول : وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ثم يقول : وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم . وقال فى وصف الجنة: فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وهو الحليب ، ولا يكاد يشتهيه إلا الجائع ، وذكر العسل ، ولا يُطلب صِرْفا ، والزنجبيل وليس من لذيذ الأشربة ، والسندس يفترش ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج ، وَمَن تخايل أنه فى الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الأكراد والنبط » ولعمرى لقد أعمى الله بصره و بصيرته عن قوله تعالى (وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين) وعن قوله عز وجلّ (ولحم طير مما يشتهون) ومع ذلك ففيها اللبن والعسل ، وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها ، وغليظ الحرير يريد به الصفيق الملتحم النسج ، وهو أفخر ما يلبس ، ولو ذهبْتُ أورد ما ذكره هـذا الملعون وتفوه به من الكفر والزندقة والإلحاد لطال الأمر ، والاشتغال بغيره أولى ، والله تعالى منزه سبحانه عما يقول الكافرون والملحدون علواً كبيرا ، وكذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد سرد ابن الجوزيّ من زندقته أكثر من ثلاث ورقات ، وأنا أعوذ بالله من هـذا القول ، وأستغفره مما جرى به قلمى مما لا يرضاه ولا يليق بجنابه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام وكتابه الحكيم

واجتمع ابن الراونديّ هو وأبو عليّ الجبائى يوما على جسر بغداد فقال له :

يا أبا عليّ ألا تسمعُ شيئاً منْ معارضتى للقرآن ونَقْضِى له ، فقال له : أنا أعلم بمخازى علومك ، وعلوم أهل دهرك ، ولكن أحاكمك إلى نفسك ، فهل تجد فى معارضتك له عذوبةً وهشاشةً وتشاكلاً وتلازماً ، ونظماً كنظمه ، وحلاوةً كحلاوته ؟ قال لا : والله ، قال : قد كفيتنى ، فانصرفْ حَيثُ شئت .

ومن شعره [من الكامل] :

مِحَنُ الزمانِ كثيرةٌ لا تنقضى ... وَسرورُهُ يأتيكَ كالأعيادِ

مَلَكَ الأكارمَ فاسترقَّ رقابَهُمْ ... وَتراه رِقًّا فى يدِ الأوغادِ

ومنْهُ ، وقيل : أنشده لغيره [من المتقارب] :

أليسَ عجيباً بأنّ امرءاً ... لطيفَ الخصامِ دقيقَ الكلمْ

يموتُ وما حصَّلتْ نفسُهُ ... سِوَى عِلمِهِ أنهُ ما علِمْ

وذكر أبو على الجبائى أن السلطان طلب ابن الراوندىّ ، وأبا عيسى الوراق ؟ فأما أبو عيسى فحبس حتى ماتَ ، وأما ابن الراوندىّ فهرب إلى ابن لاوى اليهودىّ ، ووضع له كتاب « الدامغ » فى الطعنِ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى القرآنِ الكريمِ ، ثم لم يلبث إلا أياماً يسيرةً ، حتى مرض ومات .

وذكر أبو الوفاء بن عقيلٍ : أن بعض السلاطين طلبه ، وأنه هلك وله ست وثلاثون سنة مع ما انتهى إليه من المخازى .

وذكر ابن خلكان أنه هلك فى سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك ابن طوقٍ ، وقيل : ببغداد ، وتقدير عمره : أربعون سنة ، ويقال : إنه عاش أكثر من ثمانين سنة ، وَقيلَ : إنه هلك سنة خمسين ومائتين ، وقال ابن النجار : بلغنى أنه هلك سنة ثمان وتسعين ومائتين ، لعنه الله وأخزاه إن كان مات على اعتقاده هذا ! .

* * *

٢٧ — تعاللتِ كي أشجى وما بكِ علةٌ   تُريدينَ قتلي قد ظفرتِ بذلكِ

البيت لابن الدُّمَيْنَةِ ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

من وضع اسم الاشارة موضع الظاهر

قِفِي يا أُميمَ القلبِ نقضِ لُبانةً   ونشكُو الهوى ثمَّ افعلِي ما بدالكِ

سَلِي البانةَ الغنّاء بالأجرَعِ الذي   به الماء هلْ حَيَّيتُ أطلالَ داركِ

وهلْ قمتُ في أطلالهنَّ عشيَّةً   مقامَ أخي البأساء واخترتُ ذلكِ

وهل كَفكفتْ عيناي بالدار عَبرةً   فُرادى كنظم اللؤلؤ المتسالكِ

ويروى أن أولها :

قفي قبلَ وَشْكِ البين يا ابنةَ مالكِ   ولا تحرمينا نظرةً من جمالكِ

وبعده البيت ، وبعده :

وقولكِ للعوّاد كيفَ ترونَه   فقالوا قتيلاً قلتِ أيسرُ هالكِ

لئن ساءني أن نلتِني بمساءةٍ   لقد سرَّني أني خطرتُ ببالكِ

ليهنكِ إمساكي بكفيّ على الحشا   ورقراق دمعي رَهبةً من مطالكِ

فلو قلتِ طأ في النارِ أعلمُ أنه   رِضًا لكِ أو مُدنٍ لنا من وِصالكِ

لقدَّمتُ رجلي نحوها فوطئتها   هُدًى منكِ لي أو ضلّةً من ضلالكِ

أرى الناسَ يرجونَ الربيعَ وإنما   رَجائي الذي أرجوهُ خيرُ نوالكِ

أبيني أفي يُمنى يديكِ جعلتني   فأفرحَ أمْ صيَّرتني في شمالكِ

ومعنى أشجى : أحزن ، من شَجِيَ يَشْجَى ، وأما شجا يشجو فهو متعدّ ، وإنما قال : قد ظفرت بذلك ، ولم يقل بقتلي ، لادّعائه أن قتله ظهرَ ظهور المحسوس بالبصر المشار إليه باسم الاشارة .

والشاهد فيه : وضعُ اسم الاشارة موضع المضمر ، لادّعاء كمال ظهوره ، وإن كان من غير باب المسند إليه .

ترجمة ابن الدمينة

وابن الدمينة[1] : اسمه عبد الله بن عبيد الله ، أحد بنى عامر بن تَيْم الله ، والدمينة : أمه ، وهى[2] سلولية ، ويكنى ابن الدمينة أبا السَّرِى ، وهو شاعر مشهور ، له غزل رقيق الألفاظ ، دقيق المعانى . وكان الناسُ فى الصدر الأول يستَحْلُونَ شعره ويتغنون به . حدَّث إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ ؛ قال : كان العباسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطْرَفنى به ، وأنا أفعل مثل ذلك ، فجاءنى يوماً فوقف بين الناس ، وأنشدَ لابن الدمينة[3] [من الطويل] :

ألاَ يا صبَا نَجْدٍ متى هِجْتِ من نجدِ لقدْ زادنى مَسْرَاكِ وجداً على وجد

أإن هتفتْ ورقاء فى رونق الضحى على فَنَنٍ غضّ النبات من الرّندِ[4]

بكيتَ كما يبكي الوليدُ ولم تكُنْ جزُوعاً وأبديتَ الذى لم تكن تبْدِى[5]

وقدْ زعموا أنّ المحبّ إذا دنا يملُّ وأن النأى يشفى من الوجدِ

بكلّ تَدَاوينا فلم يُشْفَ ما بنا على أنّ قربَ الدّار خيرٌ من البعد[6]

على أن قربَ الدار لَيسَ بنافعٍ إذا كان منْ تهواهُ ليسَ بذى وُدّ

ثم ترنح ساعة ترنح النشوان ودَبَّح أخرى[7] ، ثم قال: أنطح العمود برأسى من

---

(١) تجد لابن الدمينة ترجمة فى الأغانى (١٥-١٥١) وقد اختار له أبو تمام فى باب الغزل من الحماسة ست قطع فانظرها فى الجزء الثالث من شرح التبريزى بتحقيقنا (٢٠٢ ر ٢٣١ ر ٢٥٦ ر ٣٠٥ ر ٣١٧ ر ٣٢٠)

(٢) هى الدمينة بنت حنيفة السلولية

(٣) هى من مختار أبى تمام فى الحماسة (٣-٢٥٦ من شرح التبريزى) وفى الأغانى (١٥-١٥٦) بزيادة بيت

(٤) فى المطبوعتين «لئن هتفت» محرفا وما أثبتناه عن الحماسة والأغانى

(٥) فى المطبوعتين «ولم أكن جزوعا» وأثبتناما يلتئم مع سابقه ولاحقه عن الحماسة والأغانى

(٦) فى الحماسة وحده «على ذاك قرب الدار خير من البعد»

(٧) دبح تدبيحا . طأطأ رأسه وذل

حسن هذا ، فقلت : لا ، ارْفُقْ بنفسك .

وحدث ابن ربيح[١] راوية ابن هَرْمَة قال : لقى ابن هَرْمَة بعض أصحابه بالبلاط ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من المسجد ، فقال: فأى شىء صنعت هناك ؟ قال : كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد المخزومى ، قال : فأى شىء قال ؟ قال : أمرنى أن أطلق امرأتى ، قال : فأى شىء قلت له ؟ قال : ما قلتُ شيئاً ، قال : فوالله ما قال لك هذا إلا لأمر أظهرْتَه عليه وكتمتنيه ، أفرأيتَ لو أمرته بطلاق امرأته أ كان يطلقها ؟ قال : لا والله ، قال : فابنُ الدمينة كان أنصفَ منك ، كانَ يَهوى امرأة من قومه ، فأرسلت إليــه إن أهلى قد نَهونى عن لقائك ومراسلتك ، فأرسل إليها يقول [من الوافر] :

أَرَيْتِ الآمِرِيكِ بقطع حبلِى مُرِيهم فى أَحِبَّتِهم بذاكِ[٢]
فإن هم طاوعوكِ فطاوعِيهم وإنْ عاصَوْكِ فاعصِى من عَصاكِ
أَما وَالرَّاقصــات بكل فجٍّ وَمَنْ صلى بنُعْمانِ الأَرَاكِ
لقد أَضمرْتُ حبَّكِ فى فؤادى وَما أَضمرْتُ حبّاً مِن سواكِ

ومثل هذا الخبر ما حكاه الأصمعى قال : مررت بالـكوفة وإذا أنا بجارية تطلع من جدار إلى الطريق وفتى واقف وظهره إلى ، وهويقول : أسهر فيــك وتنامين عنى ، وتضحكين منى وأبكى ، وتستريحين وأتعب ، وأَمْحَضُك المحبــة وتمذقينها[٣] وأصدقك وتنافقينى[٤] ، ويأمرك عدوى بهجرى فتطيعينه ويأمرنى

(١) فى الأغانى «ابن زبنج» محرفا

(٢) فى الأغانى «أطعت الآمريك»

(٣) أمحضك المحبة : يريد أحبك حبا لا أخلطه بشىء من الصدود والهجران والتدلل وغير ذلك من عوارض الحب

(٤) كذا بحذف نون الرفع ، وهو أحد ثلاث لغات فى كل فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وقد اتصلت به نون الوقاية ، وثانيها إثبات النون من غير إدغام ، وثالثها إثباتها مع إدغام إحداهما فى الأخرى ، ووردت اللغــات الثلاث فى التنزيل الـكريم

نصيحى بذلك فأعصيه ، ثم تنفس وأجهش باكياً ، فقالت له : إن أهلى يمنعوننى منك[١] وينهوننى عنك ، فكيف أصنع ؟ فقال لها [من الوافر] :

أريتِ الآمريكِ بقطع حَبْلِي   مُرِيهِمْ فى أَحِبَّتِهِمْ بِذاكِ
فانْ هُمْ طاوعوكِ فطاوِعيهِمْ   وإنْ عاصَوْكِ فاعصى مَنْ عصاكِ

ثم التفت فرآنى ، فقال : يافتى ماتقول أنت فيما قلت ؟ فقلت له : والله لوعاش ابن أبى ليلى[٢] ماحكم إلا بمثل حكمك

وحدّث ابن أبى السرى عن هشام قال : هَوِىَ ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة فهاج بها مدة ، فلما وصلته تجنى عليها ، وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، ثم أقبلت عليه فقالت والشعر لها[٣] [من الطويل] :

وأنتَ الذى أخلفتنى ما وَعَدتَنى   وأشمتَّ بى من كان فيكَ يلومُ
وأبرزتنى للناس ثم تركتَنى   لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سليمُ
فلوْأنّ قَوْلاً يَكْلِمُ الجسمَ قدبَدَا   بجسمىَ من قولِ الوُشاة كُلُومُ

قال : فأجابها ابن الدمينة فقال [من الطويل] :[٤]

وأنتِ التى كَلَّفْتِنِى دَلَجَ السُّرى   وَجُونُ القَطا بالجَلْهَتَين جُثُومُ

---

(١) فى المطبوعتين «يمنعونى» بحذف نون الرفع كما ذكرناه فى الكلمة السابقة ، وأثبتنا هنا ماجاء فى الأغانى ، إذكانت القصة بطولها منقولةعنه

(٢) ابن أبى ليلى : فقيه عالم قاض ورع فى العصر العباسى الأول

(٣) ثلاثة الأبيات فى الحماسة (٣-٣١٨من شرح التبريزى) وفى الأغانى (١٥-١٥٤) منسوبة إلى أمامة فى الحماسة وإلى أميمة فى الأغانى

(٤) الأبيات فى الحماسة على ترتيبها هنا ، وهى فى الأغانى بتقديم الثانى على الأول

وأنْتِ التى قَطَّعتِ قلبي حَزَارةً ومزقت جُرْحَ القلب فهوَ كليمُ (١)
وأنت التى أحفَظت قومى فكلُّهم بعيد الرضا دانى الصُّدودِ كظيمُ

قال : ثم تزوجها بعد ذلك ، وقتل وهى عنده كما سيأتى .

وحدث أبو الحسن الينبعى قال : بينا أنا وصديق لى من قريش نمشى بالبلاط ليلا فاذا بظل نسوة فى القمر ، فالتقينا فاذا بجماعة نسوة ، فسمعت واحدة منهن تقول : أهو هو ؟ (٢) ، فقالت الأخرى : نعم والله إنه لهو هو ، فدنت منى ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذى معك [من البسيط] :

ليسَتْ لياليكَ فى خاخ بِعَائدةٍ كما عَهِدتَ ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فقلتُ له : أجب فقد سمعت ، فقال : قد والله قطع بى وأُرْتِجَ على فأجب عنى ، فالتفت إليها ثم قلت [من الطويل] :

فقلتُ لها ياعزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنت يوماً لها النفسُ ذلتِ

فقالت المرأة : أواه ، ثم مضت ومضينا ، حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلى ، فاذا بجارية تجذب طرف ردائى ، فالتفت إليها فقالت : المرأة التى كلمتك تدعوك ، فمضيت معها حتى دخلت داراً ثم صرت إلى بيت فيه حصير ، وثنيت لى وسادة فجلست ، ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها ، ثم جاءت المرأة فجلست عليها وقالت لى : أأنت المجيب ؟ قلت : نعم ، قالت : ما كان أفَظَّ جوابَكَ وأغلظه ! قلت : والله ماحضرنى غيره ، فبكت ثم قالت لى : والله ماخلق الله خلقاً أحب إلى من إنسان كان معك ، قلت : وأنا الضامن عنه ،

---

(١) فى الحماسة «قطعت قلبى حزازة» وفى الأغاني «ومزقت قرح القلب» وفي الحماسة «وقرفت قرح القلب» وقرفت : قشرت ولم يكن قد برأ

(٢) في المطبوعتين «أهو أهو» وأثبتنا ما في الأغانى .

لك ماتحبين، قالت : أوتفعل ؟ قلت : نعم ، فوعدتها أن آتيها به فى الليلة القابلة ، وانصرفت فاذا الفتى ببابي ، فقلت: ماجاء بك ؟ قال : علمت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أجدك ، فعلمت أنك عندها ، فجلست أنتظرك ، فقلت له : قد كان كل ماظننت ، ووعدتها أن آتيها بك فى الليلة القابلة ، فمضى ، ثم أصبحنا فتهيأنا ورحنا، فاذا الجارية تنتظرنا ، فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار ، فاذا برائحة الطيب ، وجاءت فجلست مَلِيًّا ، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلا ثم ذكرت الأبيات التى أنشدتها امرأة ابن الدمينة ، ثم سكتت، فسكت الفتى هنيهة ثم قال [من الطويل] :

غَدَرتِ ولم أغدر وخُنْتِ ولم أخُنْ ... وفى دونِ هٰذا للمُحِبِّ عزاءُ
جَزَيتُكِ ضِعفَ الوُد ثم صَرَمتِنى ... فحبكِ فى قلبي إليك أداءُ[1]

فالتفتت إلى وقالت : ألا تسمع ما يقول ، قد أخبرتك ، قال : فغمزته ، فكفَّ ، ثم قالت [من الطويل] :

تجاهَلْتَ وَصْلى حين لجَّتْ عَمايتى ... فهلا صَرَمْتَ الحبْلَ إذ أنا مُبصِرُ
ولى من قُوَى الحبْلِ الذى قد قَطعتهُ ... نَصيبٌ وإذ رأيى جَميع مُوَفَّرُ
وَلٰكنَّما آذنْتَ بالصبر بغتةً ... ولستُ على مثل الذى جئْتَ أقدِر

فقال الفتى مجيباً لها [من الطويل] :

لقد جَعلَتْ نفسى وأنت اجترَمتِه ... وكنْتِ أحَبَّ الناس عنكِ تَطيبُ

فبكت ثم قالت : أو قد طابت نفسك ؟ لا والله ما فيك خير بعدها ، فعليك السلام ، ثم التفتت إلى وقالت : قد علمتُ أنك لاتفى بضمانك عنه ، وانصرفنا

مقتل ابن الدمينه

وكان السبب فى قتل ابن الدمينة أن رجلا من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة ، وكان اسمها حماء — وقيل حمادة — فكان

---

(١) في المطبوعتين «أذاء» محرفا ، وما أثبتناه عن الأغاني

يأتيها و يتحدث إليها ، حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدمينة من إتيانها ، واشتد عليها ، فقال مزاحم يذكر ذلك [من البسيط] :

يا ابن الدُّمَيْنَةِ والأخبارُ يرفعها ... وَخْدُ النَّجائبِ والمحقُورُ يخفيها

يا ابن الدمينة إن تغضب لما فَعَلَتْ ... فَطالَ خِزْيُكَ أو تغضبْ مَواليها

أو تُبغضوني فكم من طعنةٍ نَفَذَتْ ... يَغذو خِلالَ اختلاجِ الجوفِ غاذيها(١)

جاهَدْتُ فيها لكُم إني لكم أبداً ... أبغي معايبَكم عَمْداً فآتيها

فَذَاكَ عندي لكم حتى تغيِّبَني ... غَبراءُ مظلمةٌ هارٍ نواحيها

أغْشى نِساءَ بني تَيْمٍ إذا هَجَعَتْ ... عنِّي العُيُونُ ولا أبغي مقاريها

كم كاعِبٍ من بني تيم قَعَدْتُ لها ... وعانسٍ حين ذاق النومَ حاميها

كقعدةِ الأعسرِ العُلفوف منتحياً ... مَتِينةً مِنْ متين النبلِ يَرميها(٢)

علامةٌ كَيَّةٌ مابينَ عانَتِها ... وَبينَ سُبَّتِها لاشلَّ كاويها(٣)

وَشهقةٌ عِندَ حِسِّ الماءِ تشهقُها ... وَقولُ رُكبتِها قِضْ حين تثنيها(٤)

---

(١) في المطبوعتين «يغدو . . . غاديها» بإهمال الدال ، وهو تحريف . وتقول : غذا الماء ، أي سال ، وغذا العرق يغذو غذوا ، أي سال منه الدم .

(٢) فى المطبوعتين « الحلصوق » وكتب مصحح الأميرية يقول «هكذا فى بعض النسخ ، وفى بعضها الأعسر العلصوف ، وفى بعضها الأعسر القلصوف ، ولم يظهر لى معناه بعد المراجعة ، وليحرر اهـ» وما أثبتناه عن الأغانى ، والعلفوف : الضخم الكثير اللحم والشعر ، وشيخ علفوف : أى كبير السن ، ومنه قول الشاعر

مأوى اليتيم ومأوى كل نهبلة ... تأوى إلى نهبل كالنسر علفوف

(٣) السبة — بضم السين وتشديد الباء — الدبر

(٤) قض — بكسر القاف وسكون الضاد — اسم صوت يحكى به صوت الركبة

وَتعدلُ الأيرَ إنْ زَاغَتْ فتبعثهُ ... حتىَّ يُقيمَ برفقٍ صدْرَهُ فِيها
بين الصفوقين فى مُستهدفٍ وَمِدٍ ... ذى حَرّة ذاق طعمَ الموتِ صاليها(١)
ماذا تَرى ياعُبيدَ الله فى امْرَأةٍ ... ليستْ بمُحصنةٍ عَذراء حاويها
أيامَ أنتَ طَريدٌ لا تُقاربُها ... وَصادفَ القوسَ فى الغرَّاتِ باريها
تَرَى عَجوزَ بَنى تَيْمٍ مُلفعةً ... شُمطاً عوارضُها رُبْداً دَواهيها
إذ تجعل الدفنس الورهاء عذرتها ... قشارة من أديم الأرضِ تفريها
حتىَّ يظلَّ هدانُ القوم يَحسبها ... بكرًا وقبل هوى فى الدّار هاويها

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ماقال، وقد بلغك ، قالت : والله مارأى منى ذلك قط ، قال : فمن أين له العلامات؟ قالت : وصفتهن له النساء ، قال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك ، ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحما قد نسى القصة ، ثم أعاد عليها القول ، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء ، فقال لها : والله لئن لم تمكنينى منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك ، فبعثت إليه وواعدته ليلا، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له ، فجاءها للموعد ، فجعل يكلمها وهى مكانها فلم تكلمه ، فقال لها : ياحماء ، ماهذا الجفاء الليلة ؟ قال : فتقول له هى بصوت ضعيف : ادخل ، فدخل ، فأهوى بيده ليضعها عليها ، فوضعها على ابن الدمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصًا فى ثوب ، فضرب به كبده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميتاً ، فجاء أهله فاحتملوه ، ولم يجدوا به أثر السلاح ، فعلموا أن ابن الدمينة قتله ، وقد قال ابن الدمينة فى تحقيق ذلك [من البسيط] :

---

(١) « الصفوقين » كذا فى الأصول جميعاء وفى الأغانى «الصفوفين» والمستهدف : المرتفع ، والومد ـ بفتح فكسر ـ الشديد الحر

قالوا هَجتك سَلولُ اليومَ مُخفيةً | فاليومَ أهجو سَلولاً لاأخافيها(١)
قالوا هَجاكَ سَلولىٌّ فقلتُ لهمْ | قد أنصفَ الصخرةالصماءرامِيها
رجالهم شرُّ مَنْ يمشى ونسوتُهم | شرُّ البريَّةِ استَذلّ حامِيها(٢)
يَحككْنَ بالصخرأستاهاً لها نَبَبٌ | كما يَحك نقابَ الجرْبِ طالِيها(٣)

وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه [من الطويل] :

لكَ الخيرُ إن وَاعدت حماء فالقها | نَهاراً ولا تُدْلج إذا الليلُ أظلما
فانَّكَ لاتدرى أبيْضاء طَفْلَةً | تُعانقُ أمْ ليثاً مِنَ القوم قَشْعَما
فلما سرى عن ساعِدىَّ ولحيتى | وَأيقنَ أنِّى لستُ حماء جَمْجَمَا

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها ، فلما ماتت قال [من البسيط]:

إذا قعدْتُ على عِرْنينِ جاريةٍ | فوقَ القطيفةِ فادعوا لىَ بحفارِ

فبكت بنتٌ له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها أيضاً ، وقال متمثلا :

* لاتَغذوا مِنْ كلْبِ سَوْء جَرْوَا *(٤)

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل ، فاستعداه على ابن الدمينة فبعث إليه فحبسه ، وقالت أم أبان والدة مزاحم المقتول ، وهى من بنى خثعم ترثى ابنها وتحرض(٥) مصعبا وجناحا أخويه [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى « هجتك سلول اللؤم » وهى خير مما هنا
(٢) فى الأغانى «شر البرية واستذل حاميها»
(٣) فى الأغانى «بها نقب»
(٤) فى الأغانى «لاتتخذن من كلب سوء جروا»
(٥) فى الأغانى «وتحضض» وهما بمعنى

بأهلى ومالى بَل بِجُلِّ عَشِيرتى قتيلُ بَنى تيم بِغيرِ سِلاحِ [(١)]
فهلاَّ قتلتُمْ بالسلاح ابْنَ أختِكم فتظهرَ فيهِ للشهودِ جِراحُ
فلا تطمعوا فى الصلح ما دُمتُ حيةً وما دام حيًّا مُصعبٌ وَجَناحُ
ألمْ تعلموا أنَّ الدوَائِرَ بيننا تدور ، وأن الطالبينَ شحاحُ

ولما طال حبس ابن الدمينة ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلاَّه ، وقتلت بنو سلول من خثعم (٢) رجلا مكان المقتول ، وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ، ولهم قصص وأخبار كثيرة ، ثم إن ابن الدمينة أقبل حاجا بعد مدة فنزل بتَبَالَةَ فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه ، وكانت أمه حرضته وقالت له : اقتل ابن الدمينة فانه قتل أخاك وهجا قومك وذم أُختك ، وقد كنت أعذرك قبل هذا لأنك كنت صغيرا ، والآن قد كبرت ، فلما أكثرت عليه خرج من عندها و بصر بابن الدمينة واقفا يُنشد النـاسَ ، فغدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه بها جراحتين ، فقيل : إنه مات لوقته ، وقيل: بل سلم من تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو فى سوق العبلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله ، وعدا ، وتبعه الناس حتى اقتحم داراً وأغلقها عليه ، فجاءه رجل من قومه فصاح به : يامصعب ، إن لم تضع يدك فى يد السلطان قتلتك العامة ، فاخرج ، فلما عرفه قال له : أنا فى ذمتك حتى تسلمنى إلى السلطان ، فقذفه السلطان فى سجن تَبَالَةَ ، قال : ومكث ابن الدمينة جريحا ليلة ثم مات فى غد ، وقال فى تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم [من الوافر] :

---

(١) هكذا فى جميع أصول الكتاب وفى نسخ الأغانى بكسر روى هذا البيت ورفع مابعده ، وهو عيب من عيوب القافية

(٢) هكذا فى الأصول والأغانى ، ولعله محرف عن تيم ، وكذلك قوله وقتلت خثعم لعل صوابه تيم كما يؤخذ من سياق القصة

هتفتَ بأكلبٍ ودعوتَ قيساً فلا خُذُلاً دَعوْتَ ولا قليلاً (١)
ثأرْتَ مُزاحِماً وَسررت قيساً وَكنتَ لِما همَمْتَ به فَعولاَ
فلا تَشْلَلْ يداكَ وَلا تَزَالا تُفيدانِ الغنـائِمَ وَالجزيلا
فلوْ كان ابن عبدِ اللهِ حياً لَصبَّحَ فى منازِلها سَلولاَ

و بلغ مصعباً أخا المقتول أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه ، فقال يحرض قومه [من الوافر] :

لقِيتُ أبا السَّرِىّ وَقد تكالا لهُ حقٌّ العداوةِ فى فؤادى
فكادَ الغيظُ يفْرِطُنى إليهِ بطعنٍ دُونهُ طعنُ الشدادِ (٢)
إذا نبحَتْ كِلابُ السجنِ حولى طمعت هَشاشةً وَهفا فؤادى
طماعا أنْ يدُقّ السجنَ قومى وَخوفاً أنْ تُبَيِّتَنى الأعادى (٣)
فما ظنى بِقومى شرّ ظنّ وَلا أن يُسلمونى فى البـلادِ
وَقـدْ جدَّلتُ قاتِلَهمْ فأمسى يَمجُّ دَمَ الوتين على الوساد

فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه، فهرب إلى صنعاء
ومن شعر ابن الدمينة الأبيات المشهورة(٤) [من الطويل] :

---

(١) في المطبوعتين «ولا قتيلا» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وأكلب : جد من جدود ابن الدمينة

(٢) يفرطنى : يتقدمنى ويسبقنى ، وبابه ضرب ، وفى الأغاني «دونه طعن السداد » بالسين المهملة

(٣) فى الأغانى «طماعة أن يدق»

(٤) نسب أبو الفرج هـذه الأبيات الثلاثة إلى ابن الدمينة ، وعنه نقل المؤلف كل ماهنا فى ترجمة ابن الدمينة، وقد روى ثلاثتها أبو على القالى فى الأمالى (٢ ـ ٣١٤ دار الكتب) ضمن قصيدة طويلة نسبها لقيس بن ذريح ؟ وروى هذه القصيدة وفيها أول هذه الأبيات وثانيها في تزيين الأسواق (١ ـ ٦٠) منسوبة إلى قيس أيضاً

أقضى نهارى بالحديثِ وبالمنى ويَجْمعُنى وَالهمَّ بالليل جامعُ
نهارى نهارُ الناس حتى إذا بدا لىَ الليلُ شاقتنى إليكِ المضاجعُ(١)
لَقدْ ثبتَتْ فى القلبِ منكِ محبة كما ثبتت فى الراحتينِ الأصابع(٢)

وهى من قصيدة طويلة يخلطها النـاس كثيراً بقصيدة لمجنون ليلى ، لأنها توافقها فى الوزن والقافية .

* * *

٢٨ — * إلٰهى عَبْدُكَ العَاصى أتَاكَا *

من وضع الظاهر موضع المضمر

هو من الوافر ، ولا أعلم قائله ، وتمـامهُ :

* مُقرًّا بالذنُوبِ وقدْ دَعاكاَ *

فانْ تغفرْ فأنتَ لِذاكَ أهلٌ وَإنْ تطرُدْ فمنْ يَرْحَمْ سِوَاكاَ

والطرد : الابعاد .

والشاهد فيه : وضع المظهر ــ وهو « عبدك » ــ موضع المضمر ، وهو أنا للاستعطاف ، وهو : طلب العطف والرحمـة ، إذ ليس فيـه ما فى المظهر من استحقاق الرحمة وترقب الرأفة ، وإن كان من غير باب المسند إليه أيضاً .

* * *

٢٩ — * تَطَاوَلَ لَيلكَ بِالأثمُدِ *

شاهد الالتفات

قائله امرؤ القيس الكندى(٣) الصحابىّ رضى الله تعالى عنهُ ، وهو أولُ

(١) حفظى *هزتنى إليك المضاجع * وهو كذلك فى رواية الأمالى
(٢) يروى * لقد نبتت . . . كما نبتت * بالنون في الموضعين مكان الثاء
(٣) يختلف الرواة فى نسبة هذا الشعر ، فالأصمعى وأبو عمرو وأبو عبيدة وابن الأعـرابى ينسبونه إلى امرىء القيس بن حجر الـكندى ، وابن دريد ينسبه إلى امرىء القيس بن عابس ، وهو كندى أيضا ، يمت بالنسب إلى امرىء القيس الأول ، وقد استشهد صاحب الـكشاف بثلاثة الأبيات الأولى

قصيدة من المتقارب ، وتمامه :

* ونامَ الخليُّ ولمْ تَرْقُدِ *

وبعده :

وباتَ وَباتَتْ لهُ لَيلةٌ كلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأرْمَدِ

وذلكَ مِنْ نبأ جاءني وأُنبئتُهُ عن أبي الأسوَدِ

ولوْ عنْ نَثًا غيرهِ جاءني وَجُرْحُ اللسانِ كَجُرْحِ اليد

لَقُلْتُ مِنَ القولِ مَالاَ يَزَا لُ يُؤْثَرُ عنى يَدَ المسنَدِ[1]

بأى عَلاقتنَا ترْغبونَ أعَنْ دَمِ عَمْرٍو على مَرْثَدِ

فانْ تَدْفنوا الداء لا نُخفهِ وإنْ تَبْعَثوا الداء لا نَقْعُدِ

وإن تقتُلونَا نُقَاتِلْكُمْو وإنْ تقصدوا لدمٍ نَقْصدِ

مَتى عَهِدْتُنَا بِطعَانِ الْكُمَا ةِ والمجدِ والحمدِ والسودَدِ

وَبَنْيِ القِبَابِ ومَلْءِ الجِفَا نِ والنَّارِ وَالْحَطَبِ الْمُوقَدِ[2]

والأثمُد ـ بفتح الهمزة وضم الميم ، وروى بكسرهما ـ اسم موضع . والعائر ـ بالمهملة ـ هو القذى يقع فى العين ، وقيل : هو نفس الرمد .

والشاهد فيه : الالتفات ، وهو فى قوله « ليلك » لأنه خطاب لنفسه ، ومقتضى الظاهر « ليلى » بالتكلم .

---

(١) فى الأصول « لقلبت فى القول » محرفا ، ولا يستقيم معه الوزن ، وما أثبتناه عن شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي ، ويد المسند : يد الدهر يريد طول الدهر

(٢) فى الديوان (٩٢) « والحطب المفأد »

ترجمة امرىء القيس بن عانس

وامرُؤ القيس هو ابن عانس ــ بنون[١] وسين مهملة ــ ابن المنذر، ابن امرىء القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية بن الحرث ، ينتهى نسبه لكندة، الكندى الشاعر ، له صحبة ، وشهد رضى الله عنه فتح النجير باليمن، وهو حصن قرب حضرموت ، ثم حضر الكنديين حين ارتدوا ، فثبت على إسلامه ، ولم يكن فيمن ارتد ، ثم نزل الكوفة ، ولما خرجوا ليقتتلوا وثَبَ على عمه فقال له : ويحك يا امرأ القيس! أتقتل عمك ؟ فقال له: أنت عمى ، والله عز وجل ربى ، وهو الذى خاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عِيدان ــ بكسر العين والياء التحتية ، ويقال فيه : عبدان ، بالباء الموحدة مكسورة مع تشديد الدال ، ويقال : بفتح العين وسكون الباء ــ وكانت المخاصمة فى أرض ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَيِّنَتَكَ » قال : ليس لى بينة ، فقال صلى الله عليه وسلم « يمينه » وهو القائل رضى الله عنه [من مجزوء الكامل] :

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ حَابِسْ ... وَتَأَنَّ إِنَّكَ غَيرُ آيِسْ[٢]

لَعِبتْ بِهِنَّ العَاصِفَا ... تُ الرَّائِحَاتُ إلى الروامِسْ[٣]

ما ذَا عليكَ مِنَ الوقو ... فِ بِهَامِدِ الطَّلَلينِ دَارِسْ

يا رُبَّ باكيةٍ عَلَيَّ ... وَمُنْشِدٍ لِى فى المجالِسْ

أوْ قَائِلٍ يا فارساً ... ماذَا رُزِئتَ مِنَ الفوارِسْ

لاَ تَعجبوا أَنْ تسمعُوا ... هَلكَ امرؤُ القيسِ بنُ عانِسْ[٤]

---

(١) ويقال « عابس » بالباء فى مكان النون

(٢) فى الأصول «غير آنس» بالنون، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

(٣) فى الديوان «الغاديات الرائحات من الروامس»

(٤) فى الديوان «بن عابس»

وفى الصحابة أيضاً امرؤ القيس بن أبى الأصبع الكلابى ، وامرؤ القيس ابن الفاخر بن الطماح الخولانى .

* * *

٣٠ — طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِى الْحِسَانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ

من شواهد الالتفات

يُكَلِّفُنِى لَيْلَى وقدْ شطَّ ولْيُهَا وعَادَتْ عَوَادٍ بيننَا وخُطُوبُ

البيتان لعَلْقمة بن عَبَدَة الفحل ، من قصيدة(١) من الطويل ، يمدح بها الحارث بن جبلة بن أبى شمر ، الغسانى ، وكان أسرأخاهُ شاساً ، فرحل إليه يطلب فكه ، وبعد البيتين :

منعَّمةٌ لا يستطَاعُ كلامهَا على بابهَا من أن تزارَ رَقيبُ
إذا غابَ عنهَا البعْلُ لم تفشِ سره وتُرْضى إيابَ البعل حين يؤبُ
فلا تعْدلِى بينى و بين مُغَمَّرٍ سقتك روايَا المزن حين تصوبُ(٢)
سقاكِ يمانٍ ذو حنينٍ وعارضٍ تروحُ به جنْحَ العشى جَنوبُ(٣)
وما أنتَ أمْ ماذكرُها ربَعيةً يخط لها من ثرمدَاء قليبُ(٤)
فانْ تسألونى بالنساءِ فاننى خبيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ

---

(١) عدتها فى الديوان تسعة وعشرون بيتا ، فانظرها ثمة (ص١٧ — ٣٩ طبع باريس) وانظرها فى المفضليات

(٢) فى الديوان «حيث تصوب»

(٣) فى الديوان «ذوحبى» وقال الأعلم فى شرحه «والحبى : سحاب اتصل بعضه ببعض»

(٤) القليب : البئر ، وخطه : حفره ، وكنى بذلك عن إقامتها فى ثرمداء ، وبروى صدر هذا البيت * أبى القلب إلا ذكرها ربعية *

إذا شابَ رأسُ المرء أوقل مالُهُ فليسَ له منْ وُدِهِنَّ نصيبُ
يُرِدْنَ ثراء المـال حيثُ علمنهُ وشَرْخُ شبابٍ عندهن عجيبُ

وهى طويلة ، يقول فى غرضه منها :

وفى كل حى قد خبَطْتَ بنعمة فحق لشَاسٍ من ندَاكَ ذَنوبُ

فلما سمع الحارث هذا البيت ، قال « نعم وأذْنِبَه » ، ولما سمع قوله فى وصف النساء ، قال: صدق فوك ، للهأبوكَ ، أنتَ طبيبهن، والخبير بأدوائهن .وقد أخذه من قول امرىء القيس[من الطويل] :

أراهن لا يحببن من قل مالهُ ولا من رأين الشيب فيه وقوَّسَا

ومن لطيف ما يذكر من كراهة النساء للشيب قول محمد بن عيسى المخزومى [من الكامل] :

قالتْ أحبك قلتُ كاذبة غُرى بذا مَنْ ليس ينتقدُ
لو قلتِ لى أشناكَ قلتُ نعمْ الشيب ليس يحبُّـهُ أحدُ

ومعنى « طحابك » أى اتسع وذهب بك كل مذهب ، و « طروب » : مأخوذ من الطرب ، وهو استخفاف القلب فى الفرح ، أى له طرب فى طلب الحسان ونشاط فى مراودتهن ، ومعنى « بعيد الشباب » حين ولى وكاد ينصرم، ومعنى « عصر حان مشيب » أى زمان قرب المشيب و إقباله على الهجوم ، ومعنى « شط » بعد ، والوَلْىُ : القرب ، والعـوادى : الصوارف ، وعوادى الدهر : عوائقه ، والخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر العظيم .

والشاهد فيه : الالتفات من الخطاب فى «طحابك» إلى التكلم فى«يكلفنى» وفاعله ضمير القلب ،و « ليلى » مفعوله الثانى ، وروى بالتاء الفوقانية على أنه مسند إلى ليلى ، والمفعول محذوف ، أى تكلفنى شدائدفراقها ، أوعلى أنه خطاب للقلب ففيه التفات آخر من الغيبة إلى الخطاب ، وفى « طحابك » التفات آخر عند السكاكى ، لا عند الجمهور .

وأشار علقمة بصدر البيت الذى قبل الأخير هنا إلى أن المال يستر شَيْنَ الشيب ويحسن قبيحه كما قال بعضهم [من المتقارب] :

وخودٌ دعَتنى إلى وصْلِها وعصرُ الشَّبيبةِ منى ذَهَبْ
فقلتُ مَشيبىَ ما يَنطلى فقالت بَلَى يَنْطَلى بالذَّهبْ

وذكرت بهذين البيتين واقعة ظريفة ، وهى أنهما أنشدا فى مجلس كان فيه بعض ظرفاء الأدباء فقال : ما أعرف القافية فى هذين البيتين إلا بحرف الراء ، فقال له المنشد : كيف ؟ فقال « وعصر الشبيبة منى سَرَى » فقال : وكيف تصنع فى البيت الثانى ؟ فقال « فقالت بلى ينطلى بالخرا » فاستحى المنشد وانصرف من المجلس خجلا

ترجمة علقمة الفحل

وعلقمة بن عَبَدَةَ (١) بن عبد المنعم النعمانى (٢) ينتهى نسبه إلى نزار ، وكان يقال له الفحل ، لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه أشعر منه ، وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال : كان تحت امرئ القيس امرأة من طيئ تزوجها حين جاور فيهم ، فنزل بهم علقمة الفحل التميمى ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحا كما إليها ، فأنشدها امرؤ القيس قوله [من الطويل] :

---

(١) تجد ترجمة علقمة فى خزانة الأدب (١-٥٦٥) وفى الأغانى (٢١-١٧٢ الساسي) وفى الاشتقاق لابن دريد (١٤٣) وفى الاصابة لابن حجر (٣-١١١) وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٧)

(٢) فى الخزانة نقلا عن الجمهرة لابن الكلبى والمؤتلف والمختلف للآمدى : علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . وفى الأغانى : علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بنى عبيد ابن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم »

خَليلى مُرَّا بى على أم جُنْدبِ لنَقضى لُباناتِ الفؤاد المعَذَّب(١)

حتى مر بقوله منها :

فللسوطِ أُلْهُوبٌ وللساقِ درَّةٌ وَللزَّجْرِ مِنهُ وَقْعُ أهوجَ مِنْعَبِ (٢)

وأنشدها علقمة قوله [من الطويل] :

* ذَهبتَ مِنَ الهجرانِ فى غير مَذْهَبِ *

حتى انتهى إلى قوله :

فأدركهنَّ ثانياً مِن عِنانهِ يَمُرُّ كغيثٍ رائحٍ مُتَحَلِّبِ

فقالت له: علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك ، و إنه جاء هذا للصيد ثانياً من عنانه ، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت ، ولكنك هَوِيتِهِ ، فطلقها ، فتزوجها علقمة بعد ذلك ، فسمى علقمة الفحل ، ومازالت العرب تسميه بذلك ، قال الفرزدق [من الكامل] :

والفحلُ علقمةُ الذى كانتْ لهُ حُلَلُ الملوكِ كلامُهُ تتنحَّلُ(٣)

وعن حماد الراوية قال : كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوا

---

(١) يروى «لنقضى حاجات الفؤاد» ويروى « نقض لبانات الفؤاد » وكلتاهما خير مماهنا ، والظاهر أنما هنا تلفيق من الروايتين ويروى «لتقضى لبانات » ببناء تقضى للمجهول

(٢) فى الأصول « أهوج متعب »بالتاء ، وهو تحريف ، وما أثبتناه عن اللسان (ن ع ب) وعن ديوان امرىء القيس ، وعن الخزانة ، والمنعب ـ بزنة المنبر ـ الأحمق المصوت . وفى الشعراء « وقع أخرج مهذب » والأخرج : ذكر النعام ، والمهذب كالمسرع وزنا ومعنى

(٣) يروى « كلامه يتنخل» برفع كلامه وبناء يتنحل للمجهول

منه كان مقبولا وما ردوا منه كان مردوداً ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة ، فأنشدهم قصيدته التي أولها [من البسيط] :

هل ماعَلمتَ وما استُودعتَ مكتوم أمْ حَبلها إذ نأتْكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا : هذا سِمْطُ الدهر ، ثم عاد إليهم فى العام القابل فأنشدهم قوله [من الطويل] :

طَحا بكَ قلبٌ فى الحسان طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبُ

فقالوا : هذان سمطا الدهر

وعن حماد بن إسحاق قال : سمعت أبى يقول : سرق ذو الرمة قوله [من البسيط] :

* يَطفو إذا ماتلقتْهُ الجراثيمُ(١) *

من قول العجاج [من الرجز] :

* إذا تلقتهُ العقاقيلُ طفَا *

وسرقه العجاج أيضا من علقمة بن عبدة حيث يقول [من البسيط] :

* يَطفو إذا ما تَلَقتهُ العَرانينُ *(٢)

وحدث العمرى عن لقيط قال : تحاكم علقمة بن عبدة التميمى والزبرقان ابن بدر السعدي والمخَبَّل وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن جدّان الأسدى فقال : أما أنت يازبرقان فشعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا تُرك فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو فشعرك كبرد حبرة يتلألأ فيه البصر فكلما أعدته نقص ، وأما أنت

---

(١) يطفو : يعدو ويسرع ، وأراد بالجراثيم أصول الرمل والتراب المجتمعة ، يصف ثوراً وحشيا ، وصدر البيت قوله :

ذو سفعة كشهاب القذف منصلت

(٢) الذى فى ديوان علقمة وفى عدة مصادر رواية هذا العجز هكذا :
* يطفو إذا ما تلقته العقاقيل * والعقاقيل : جمع عقنقل ، وهو ما عظم واتسع من الأودية

يامخبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الاسلام ، وأما أنت يا علقمة فان شعوك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء .

* * *

شاهد القلب

٣١ — ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

البيت لرؤبة بن العجاج ، من الرجز .

والمهمه: المفازة البعيدة والبلد المقفر ، والجمع مهامه . والمغبرة : المتلونة بالغبرة . والأرجاء : الأطراف والنواحى ، جمع رجًا مقصوراً .

والشاهد فيه : القلب ، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه ، وهو هنا فى المصراع الثانى ، ومعناه كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، وفيه من الاستعارة ما ليس فى تركه ، لاشعاره بأن لون السماء قد بلغ من الغبرة إلى حيث يشبه به لون الأرض فيها .

ومن القلب قول الشاعر [من الكامل] : (١)

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

ومنه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح [من الطويل] :

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وقول الآخر [من الوافر] :

* فديت بنفسه نفسى ومالى *

وقول الآخر [من الكامل] :

* يمشى فيقعس أو يكب فيعثر *

ورؤبة بن العجاج تقدم ذكره فى شواهد المقدمة .

---

(١) نسبه فى اللسان (زن ا) للجعدى

٣٢ — * كما طَيَّنْتَ بالفَدَنِ السِّياعا *

قائله القطامى من قصيدة(١) ، من الوافر ، يمدح بها زُفر بن الحارث الكلابى حين أحاطت به قيس بنواحى الجزيرة وأرادوا قتله فحال زفر بينه و بينهم وحماه ومنعه ، وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلّى سبيله ، فقال يمدحه ، وأول القصيدة :

من شواهد المغني

قفى قَبلَ التَّفرق يا ضُباعا ولا يَكُ موْقِفٌ منكِ الوَداعا

قفى فافْدى أسيرَكِ إن قومى وقومَكِ لا أرَى لهُم اجتماعا(٢)

إلى أن قال يمدح زفر بن الحارث :

ومن يَكُنِ استَلَام إلى ثَوِيٍّ فقَدْ أحسنْتَ يا زُفَرُ المتاعا(٣)

أ كُفراً بعد ردِّ الموتِ عنى وبعْدَ عَطائكَ المائةَ الرِّتاعا(٤)

فلما أن جرَى سِمَنٌ عليها كما طينت بالفدن السياعا(٥)

أمَرْتُ بها الرجال ليأخُذُوها ونحْنُ نظُن أن لن تُستَطاعا

فَلأْياً بعد لأيٍ أدرَكوها على ما كان إذ طَرَحُوا الرِّقاعا

فلو بِيدَىْ سِواكَ غَدَاةَ زلَّتْ بِيَ القدمانِ لم أرجُ اطِّلاعا(٦)

---

(١) انظرها فى الديوان (٣٧ ليدن)

(٢) فى الديوان « قفى فادى »

(٣) استلام : فعل ما يوجب اللوم ، والثوى : الضعيف ، والمتاع : الزاد

(٤) الرتاع : التى ترتع وترعى ، ويروى «الوباعا» وهي التى تنتج فى زمن الربيع . وبين هذا البيت وما ذكره المؤلف بعده ثمانية عشر بيتا

(٥) فى الديوان « كما بطنت »

(٦) فى الديوان «فلو بيدى سواك وجهوها» وهذا البيت والثلاثة بعده تقع فى الديوان تالية لقوله «أ كفرا»

إذن لهلكتُ لو كانت صغاراً من الأخلاق تُبْتَدعُ ابتداعا[١]

فلم أرَ مُنْعِمِينَ أقلَّ منا وأكرمَ عندما اصطنعوا اصطناعا

مِنَ البيضِ الوجوهِ بنى نُفَيْلٍ أبَتْ أخْلاَقُهُمْ إلا اتساعَا

وَهى طويلة .

والفدن محركة : القَصْر المشيد ، والسياع بفتح السين المهملة : الطين بالتبن ، يُطينُ بهِ .

والشاهد فيه : القلب أيضاً ، ومعناه كما طينت الفدنَ بالسياع ، وهذا من قبيل القلب المردود ، لأن العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروجٌ عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال .

ترجمة القطامي

والقطامى[٢] بفتح القاف وضمها — اسمه عُمَير بن شُيَيْم ، والقطامى : لقب غلب عليه ، وكان نصرانياً وأسلم ، قاله ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، وهو شاعر إسلامى مقل فحل مُجيد .

وعن الشعبي رحمه الله قال : قال عبد الملك وأنا حاضر للأخطل : يا أبا مالك ، أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب ؟ قال : اللهم لا إلا شاعراً منّا ، مغدف القناع ، خامل الذكر ، حديث السن ، إن يكن فى أحد خير فسيكون فيه ، ولَودِدْتُ أنى سبقته إلى قوله[٣] [من البسيط] :

---

(١) فى الأصول «من الأخلاف» مكان «من الأخلاق» وما أثبتناه عن الديوان والأغانى ، وفى الأغانى «تنتزع انتزاعا» وأحسبه محرفا عما هنا ، مماثلا لما فى الديوان

(٢) تجد ترجمة القطامى فى الأغانى (٢٠ — ١١٨) وفى خزانة الأدب (١ — ٣٩٢)

(٣) انظرهما فى الديوان (٨)

يقتلننى بحديثٍ ليسَ يعلمهُ مَنْ يتقين ولا مكنونهُ بادى(١)

فهنَّ ينبذنَ من قول يُصبنَ بهِ مواقعَ الماء من ذى الغُلَّةِ الصادِى

وحدّث محمد بن صالح بن النطاح قال : القطامى أولُ من لقبَ صريعَ الغوانى بقوله [من الطويل] :

صريعُ غَوَانٍ راقَهنّ ورُقنَهُ لَدُنْ شبّ حتى شَابَ سُودُ الذوائبِ

ونزل القطامىّ فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها ، فقالت : أنا من قوم يشتوون القدّ من الجوع ، قال : ومَن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب ولم تَقْره ، فبات عندها بأسوإ ليلة ، فقال فيها قصيدة ، أولها(٢) [من الطويل] :

تَأتكَ بليلى نيـةٌ لم تقاربِ وماحُبُّ ليلى من فُؤادى بذَاهبِ

إلى أن قال فيها :

ولا بدّ أن الضيفَ يُخبرُ مارأى مُخَبِّرُ أهلٍ أو مخبرُ صاحبِ(٣)

سأخبرُكَ الأنباء عن أمّ منزلٍ تَضيفتُها بين العُذَيْبِ فرَاسِبِ(٤)

تَلفّفْتُ فى طلّ وريح تلفنى وفى طِرْمِساءٍ غيرِ ذاتِ كواكِبِ(٥)

إلى حَيزَبونٍ تُوقدُ النارَ بعدمَا تلفّعَتِ الظلماء من كل جانبِ

تصلى بهَا بردَ العشاءِ ولم تكن تخالُ وميض النار يبدو لراكبِ(٦)

---

(١) فى الديوان «يقتلننا»

(٢) انظرها فى الديوان (٤٩)

(٣) فى الديوان «مخبر رأى»

(٤) فى الديوان « سأخبر بالأنباء »

(٥) فى الديوان « تلفعت فى طل » والطرمساء : الليلة المظلمة

(٦) فى الديوان «وبيص النار» ووبيص النار :ضوؤها

فَمَا راعهَا إلا بُغَامُ مطيــةٍ تريح بمحسورمن الصوت لاغبِ

تقولُ وقد قرَّبتُ كُورى وناقتى إليكَ فلا تَذْعَرْ علىَّ ركائبي

فلمَّا تنازعنا الحـديثَ سألتُهَا مَنِ الحىّ قالتْ مَعشرٌ من محَاربِ

مِنَ المشتَوِينَ القِدَّ ممــا تراهُمُ جياعاً وريفُ الناس ليس بعَازبِ [(١)]

فلما بدا حرمانُهَا الضيفَ لم يكن علىَّ مناخُ السوء ضربة لازبِ

ألا إنما نيرانُ قيس إذا اشتَوَوْا لطارق ليل مثل نار الحبَاحِبِ [(٢)]

وَ إلى هذه العجوز ، أشار عبد الصمد بن المعــذل فى هجاء أخيه أحمــد ، إذ يقول [من مجزوء الخفيف] :

لَيْتَ لى منكَ يا أخى جَارةً من محَاربِ

نارُهــا كلَّ شَتْوَةٍ مثــلُ نار الحبَاحِبِ

وسيأتى ذكر عبد الصمد بن المعذل وأخيه عنــد ترجمة أبيهما المعذل فى شواهد الاطناب إن شاء الله تعالى .

قال أبو عمرو رحمــه الله : أول ماحرك من القطامى فرفع ذكره ، أنه قدم فى خلافة الوليــد بن عبد الملك دمشق ليمدحه ، فقيــل له : إنه بخيل لا يعطى الشعراء ، وقيل : بل قدمها فى خلافة عمر بن عبــد العزيز ؛ فقيل له : إن الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطى عليه شيئاً ، وهذا عبد الواحد بن سليمان فامدحه ،

---

(١) عازب : بعيد ، يعنى أنهم معدمون ليس عندهم خير ، وإن يكن الريف قريبا منهم . وفى الديوان « وريف الناس ليس بناضب » .

(٢) فى الديوان « إذا شتوا » اى صاروا فى الشتاء ، وهو أوفق بما قاله ابن المعذل

فمدَحه بقصيدته التى أولها[١] [من البسيط] :

إنّا محيُّوكَ فاسلمْ أيها الطللُ　　و إن بليتَ وإن طالت بك الطِّيَلُ

فقال له : كم أملتَ من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يعطينى ثلاثين ناقة ، قال : قد أمرت لك بثلاثين ناقة موقورة براً وتمراً وثياباً ، ثم أمر بدفع ذلك إليه .

وَقال أبو عمرو الشيبانى : لو قال القطامى بيته [من البسيط] :

يمشينَ زهواً فلا الأعجاز خاذلةُ　　ولا الصدورُ على الأعجاز تتكل[٢]

فى صفة النساء[٣] لكان أشعرَ الناس ، ولو قال كثير عزّةَ [من الطويل] :

فقلت لها يا عزَ كل مصيبة　　إذا وطِّنَتْ يوماً لها النفس ذلتِ

فى مرثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس .

وقال رجل كان يديم الأسفار : سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ، فجعلت أتمثل بقول القطامى [من البسيط] :

قدْ يدرك المتأنى بعض حاجته　　وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعى أعرابى قد استأجرت منه مركبى ، فقال : ما زاد قائل هـذا الشعر على أن ثبط الناسَ عن الحزم ، فهلا قال بعد قوله هذا :

وربما ضرَّ بعضَ الناس حزمُهمُ　　وَكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

---

(١) انظرها فى مطلع ديوانه ، وفى جمهرة أشعار العرب (١٥١)
(٢) فى الديوان والجمهرة « يمشين رهوا » بالراء المهملة ، ومعناه أنهن يمشين فى سكون يتبع بعضهن بعضا . ويروى « يمشين هونا » وهو بمعناه ، ولما هنا وجه صحيح
(٣) البيت فى وصف النوق

والقطامى أخذ معنى بيته هـذا من قول عدى بن زيد العبادى [من السريع] :

قد يدركُ المبطىء من حظِّهِ والخير قد يسبق جهد الحريص(١)

وعدىّ نظر إلى قول جمانة الجعفىّ [من الطويل] :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدرِ فى استعجاله ما يبادرُ

وما أحسن قولَ ابن هند [و] رحمه الله [من مخلع البسيط] :

تأنَّ فالمرء إنْ تأنىَّ أدْركَ لاشكَّ ماتمنى

وما لمستوفزٍ عَجُولٍ حظّ سوى أنه تعَنَّى

ومن أحسن ماقيل فى عيب الأناة قولُ ابن الرومى [من البسيط] :

عيبُ الأناة وإن سرَّت عواقبُها أن لا خلودَ وأن ليس الفتى حجرَا

وللقطامى عدة قصائد فى مدح زفر بن الحرث الكلابى ، سيأتى منها شىء فى أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى .

(١) هكذا ورد فى أصول الكتاب ، وفى الشعراء لابن قتيبة (١١٦) . والذى أحفظه « والحين قد يسبق جهد الحريص »

شواهد المسند

شاهد ترك المسند

٣٣ — * فانى وقيَّارٌ بهَا لغرِيبُ *

قائله ضابىء بن الحارث البرْجمى ، وهو من قصيدة من الطويل ، قالها وهو محبوس فى المدينة المنورة ، فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهى[1] :

ومن يَكُ أمْسى بالمدينةِ رحلُهُ فانى وقَيَّارٌ بها لَغريبُ
وربَّ أمور لاتَضيرُكَ ضَيرَةً وللقلب من مَخْشاتهن وجيب
وماعاجلاتُ الطير تُدنى من الفتى نجاحاً ، ولا عن رَيْثِهِنَّ يخيب
ولاخَيرَ فيمن لا يُوَطن نَفسهُ على نائبات الدَّهرِ حين تَنوب
وفى الشك تَفْريطٌ وفى الحزْم قُتْرَةٌ ويُخطىءُ فى الْحَدْس الفتى ويُصيب[2]
ولَسْتَ بِمستبْقٍ صَديقاً ولا أخاً إذا لم تُعِدَّ الشيءَ وهو مُريب[3]

ومعنى البيت : التحسر على الغربة . والرحل : السكن وما يستصحبه من الأثاث . وقيار : جمل ضابىء أو فرسه .

والشاهد فيه : ترك المسند وهو « غريب » — والمعنى : إنى لغريب وقيار أيضاً — لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث فى الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن .

ولا يجوز أن يكون « غريب » خبراً عنهما بانفراده ، لامتناع العطف على

---

(١) روى هذه الأبيات كلها البغدادى فى الخزانة (٤ — ٢٢٧) والبيت الأول منها وهو بيت الشاهد من شواهد سيبويه ، وروى الثلاثة بعده بتقديم ثانيها المبرد فى الكامل ، وروى ابن قتيبة فى الشعراء ماعدا الأخير منها

(٢) في الخزانة نقلا عن الشعراء « وفى الحزم قوة » و « يخطى الفتى في حدسه »

(٣) في الخزانة نقلا عن أبى تمام فى مختار أشعار القبائل « وهو يريب »

محل اسم إن قبل مضى الخبر ، وقيار : مرفوع إما عطفاً على محل اسم [١] إن ، أو بالابتداء والمحذوف خبره ، والسر فى تقديم « قيار » على خبر إن قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب ، كأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضاً ، إذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه فى التأثر عن الغربة ، لأن ثبوت الحكم أولا أقوى

ترجمة ضابىء البرجمى

وضابىء ـ بالضاد المعجمة ، وبعد الألف باء موحدة ثم همزة ـ ابن الحرث البرجمى [٢] ينتهى نسبه إلى تميم ، وذكر فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه جنى جناية فى زمن عثمان رضى الله عنه ، فحبسه ، فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضى الله عنه ، ثم جبن عنه ، وفى ذلك يقول [من الطويل] :

هَمَمتُ ولم أفعل وكِدتُ وليتنى ... تَرَكْتُ على عثمانَ تبكى حَلاَئِلُهْ [٣]

ويقول فيها أيضاً :

وقائلةٍ لا يُبعِدِ الله ضابِئاً ... ولا تَبعَدَنْ أخلاقه وشمائله [٤]

إلى أن يقول فيها أيضاً :

---

(١) هذا هو الذى قرر امتناعه من قبل ، وخلاصة القول فى تخريج هذا البيت عربية ، أن الفراء والكسائى جعلا « وقيار » معطوفا على اسم إن ، وأجازا أن يعطف المرفوع على المنصوب بأن باعتبار أن أصله مبتدأ ، وأطلق هذا الجواز فلم يقيده ، وأن سيبويه والمبرد أجازا أن تعطف المرفوع على المنصوب بأن بشرط أن تكون إن قد استكملت خبرها قبل العطف ، ورويا هذا البيت بنصب قيار ، ويخرج على مذهبهما فى رواية الرفع بأنه مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر إن الآتى بعده

(٢) روى له الأصمعى قصيدة لامية فى الأصمعيات (ص ٥٦) وسماه ضابىء بن الحارث بن أرطاة البرجمي

(٣) هكذا فى الأصول وكامل المبرد (١ـ٢٢٩) وفى حماسة البحترى (٩١ بيروت) « فعلت فكان المعولات حلائله » وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى شرح الشاهد (رقم ٦٣)

(٤) فى الكامل للمبرد « وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى »

ولا تَقرَبَنْ أمرَ الصَّريمَة بامرئٍ إذا رَام أمراً عوَّقَتْهُ عواذِلُهْ(١)
فلاالفَتْكُ ما أمّرتَ فيه ولاالذى تُحَدِّث مَنْ لاقيتَ أنك قاتله
وما الفتك إلالامرئٍ ذى حَفيظةٍ إذا همَّ لم تُرْعَدْ عليه مفاصِلُهْ

ثم لما قتل عثمان رضى الله عنه ، وثب عليه عمير المذكور فكسر ضلعين من أضلاعه ، ثم إن الحجاج قتله كما سيأتى مشروحا فى شواهد الايجاز عند قوله « أنا ابن جلا » إن شاء الله تعالى .

وكان السبب فى حبس عثمان لضابئ أنه كان استعار من بعض بنى حنظلة كلبا يصيد به ، فطالبوه به ، فامتنع من إعطائه ، فأخذوه منه قهراً ، فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله [من الطويل] : (٢)

تجَشَّمَ نحوى وفْدُ قُرحانَ شُقَّة تَظَلَّ به الوَجناء وهى حَسيرُ(٣)
فأردَفتهُم كلباً فراحوا كأنما حَباهُمْ بتاج الهُرمزانِ أميرُ
وقلّدتهم ما لو رميْت متَالِعاً به وَهْوَ مُغْبر لكاد يَطير
فيا رَاكباً إما عَرضْتَ فبلِّغَنْ أمامَةَ عنى والأمورُ تدورُ
فأمُّكُم لاتترُكوها وكلبَكم فان عقوقَ الوالدين كَبير(٤)
فانك كلبٌ قد ضَريتَ بما ترى سَميع بما فوقَ الفِراشِ بصير
إذا عَبَقَتْ من آخر الليل دُخْنةٌ يَبيت له فوْقَ الفِراش هَرير

فاستعدَوْا عليه أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه فحبسه ، وقال : والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً لنزلت فيك آية ، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك .

---

(١) فى حماسة البحترى «فما القتل ما شاورت فيه ولا الذى * تخبر - إلخ»
(٢) أنشد هذه الأبيات ابن قتيبة فى الشعراء (٢٠٣)
(٣) فى الأصول «سربخا» مكان «شقة» وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء
(٤) روى هذا البيت المبرد فى الكامل (١ - ٢٣٨)

وحدث أبو بكر بن عياش قال : كان عثمان رضى الله عنه يحبس فى الهجاء فهجا ضابئ قوماً فحبسه عثمان رضى الله عنه ، ثم استعرضه ، فأخذ سكيناً فجعلها فى أسفل نعله ، فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى الحبس .

***

من شواهد ترك المسند

٣٤ — نَحنُ بما عِندَنا وأنتَ بما عِندَكَ راضٍ والرأى مُختَلِفُ

البيت لقيس بن الخطيم ، من قصيدة (١) من المنسرح ، أولها :

رَدَّ الخليطُ الجِمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنَّهم وَقفوا

لو وقفوا ساعةً نُسائِلُهم رَيْثَ يُضحِّى جِمالَه السلَفُ

فيهم لَعوبٌ لَعْساءُ آنسةُ الـدَّلّ عَروبٌ يَسوءها الخُلُفُ (٢)

بين شُكولِ النساءِ خِلقَتُها قَصْدٌ فلا جَبْلة ولا قَضَفُ (٣)

تَنامُ عن كُبْرِ شأنِها فإذا قامت رُوَيْدًا تَكاد تنعطفُ (٤)

---

(١) قد خلط المؤلف فى هذه الأبيات بين ثلاث كلمات على هذا الروى : إحداها لمالك بن العجلان ، وثانيتها لدرهم بن زيد الأوسى ، وثالثتها لقيس بن الخطيم ، وهذه الكلمات قيلت فى حادث واحد وإن يكن قيس قال كلمته بعد الحادث بزمان ولم يكن حاضره ، فانظر الأغانى (٢ — ١٦٨) يظهر لك هذا الخلط وقد روى أبو زيد فى جمهرة أشعار العرب (ص ١٢٧) قصيدة فيها بيت الشاهد وكثير من الأبيات التى رواها المؤلف هاهنا ونسبها إلى عمرو بن امرئ القيس . وخمسة الأبيات الأولى من مطلع قصيدة فى ديوان قيس بن الخطيم برواية وشرح ابن السكيت (١٦) وهى الأول والثانى والثالث والرابع والسابع منها ، وفيها من الأبيات التى بعدها الثلاثة الأول منها على غير ترتيبها هنا ، وألحق ناشره من الأبيات الأخيرة بزيادات الديوان على نحو ما يروى هنا

(٢) فى الأغانى « فيهم لعوب العشاء »

(٣) شكول النساء : ضروبها ، وفى الأصول «خلقها خدوا» محرفا ، وما أثبتناه من الأغانى والديوان واللسان ، والجثلة — بالمثلثة — الضخمة الغليظة ، وفى الأغانى «فلاجبلة» بالباء الموحدة — وهى الغليظة . والقضف : الدقة وقلة اللحم

(٤) حفظى « تكاد تنقصف » وفى الأغانى والديوان « تكاد تنفرف »

إلى أن قال منها أيضا :

أَبْلِغْ بنى مَذْحِجٍ وقومَهمُ خَطِيم أنا وَراءَهم أُنُفُ(١)

إنا وإن قَلَّ نَصْرُنا لهُم أكبادُنا من وَرائِهم تَجِفُ(٢)

وإننا دون ما يَسومُهُمُ الـ أعداء من ضيم خُطةٍ نُكُفُ

الحافظو عورَةَ العشيرة لا يأتيهم من ورائنا وَكَفُ

يامالِ والسيد المعَمَّم قد يَطرأ فى بعض رأيه السَّرَفُ

نحنُ المكيثونَ حيثُ يحمَدُ بالمُكثِ ونحن المصالِتُ الأُنفُ

يا مال والحقُّ إن قنعت به فالحق فيه لأمرنا نَصَفُ

خالفْتَ فى الرأى كلَّ ذى فَخَرٍ والبَغْىُ يا مال غير ما تَصِفُ

إنّ بُجيراً مولًى لقومكم والحقّ نوفى به ونعترف(٣)

والرأى : الاعتقاد ، ويجمع على آراء وأرآء.

والشاهد فيه : ترك المسند — وهو راضون — فقوله « راض » خبر المبتدأ الثانى ، وخبر الأول محذوف ، على عكس البيت السابق.

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريًّا ، ومن أجل الطوى رمانى

وقول المتنبي [من الكامل] :

قالت وقد رأت اصفرارى مَن به وتنهدت ، فأجبتها المتنهد

---

(١) فى الأغانى « بنى جحجبى وإخوتهم زيد » وفى الخزانة (٢-١٩٢) « أبلغ بنى جحجبى وقومهم خطمة » وكذلك هو فى الديوان

(٢) صدر هذا البيت فى الديوان * إنا ولو قدموا التى علموا *

(٣) فى الأغانى « إن بجيرا عبد نخذ منا » وفيه فى عجزه « يوفى به ويعترف » على البناء للمجهول ، والبيت فيه من كلمة درهم بن زيد

أى : المتنهد هو المطالب به .

ترجمة قيس بن الخطيم

وقيس بن الخطيم [١] بالخاء المعجمة شاعر جاهلى ، وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور فى الصحابة رضى الله عنهم ، وشهد مع على كرم الله وجهه صفين والجمل والنهروان .

وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير ، فلما بَلَغَ قتل قاتل أبيه ، ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه و بين الخزرج ، فى خبر يطول ذكره .

وكان قيسُ بن الخطيم مقرونَ الحاجبين ، أدعج العينين ، أحمر الشفتين ، برّاق الثنايا كأن بينها برقاً ، ما رأته حليلة رجلٍ قط إلا ذهب عقلها .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء : اهجى قيسَ بن الخطيم ، فقالت : لا أهجو أحداً حتى أراه ، فجاءته يوماً فرأته فى مَشْرُبة ملتفاً بكساء له فنخسته برجلها ، وقالت : قم ، فقام ، فقالت : أقبل ، فأقبل ، ثم قالت : أدبر ، فأدبر ، ثم قالت : أقبل ، فأقبل ، قال : والله لكأنها والية تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد إلى حاله نائماً ، فولت ، وقالت : والله لا أهجو هذا أبداً

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدم النابغة السوق ، فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

عرَفتُ منازلا بعُريتناتٍ فأعلى الجزعِ للحَىِّ المُبِنِّ [٢]

فقلتُ : هلك الشيخ ، ورأيته تبع قافية منكرة ، قال : ويقال : إنه

---

(١) اقرأ ترجمة قيس بن الخطيم فى الأغانى (٢ — ١٥٩)

(٢) وقع فى الأصول « بمرنتنات » محرفا ، ووقع فيها « للحي المبين » محرفا أيضا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (٢ — ١٦٢) وديوان النابغة ، وعريتنات : موضع ، والمبن : المقيم ، وفعله أبن على مثال أكرم ، والبيت مطلع قصيدة رواها الطوسى ولم يروها الأصمعى فى شعر النابغة

قالها فى موضعه ، فما زال ينشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجل ينشد ؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشد [من الطويل] :

* أَتَعْرِفُ رسماً كاطِّرادِ المذاهبِ(١) *

حتى فرغ منها ، فقال له : أنت أشعر النـاس يا ابن أخى ؟ قال حسان رضى الله عنـه : فدخلنى منه من ذلك ، وإنى مع ذلك لأجِدُ القوة فى نفسى عليهما ، ثم تقدمت فجلست بين يديه ، فقال : أنشد ، فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، قال : وكان يعرفنى قبـل ذلك ، فأنشـدته ، فقال : أنت أشعر الناس .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنـه ، قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه إلا خزرجىّ ، فاستنشدهم صلى الله عليه وسـلم قصيدةَ قيسِ بن الخطيم ، وهى :

أتعرفُ رسماً كاطراد المذاهبِ لِعَمْرَةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ

فأنشده بعضهم إياها ، فلما وصل إلى قوله منها :

أجالِدُهمْ يوم الحديقـةِ حاسراً كأنَّ يدى بالسيفِ مِخْرَاقُ لاعبِ

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد ثابت بن قيس بن شماس ، وقال : والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج إلينا يوم سابع عُرْسه ، عليه غِلالة وملحفة مُوَرَّسـة(٢) فجالدَنا كما ذكر هذا فى هذه الرواية .

وهذه القصيدة من غرر القصائد ، وبينها هو قوله :

---

(١) هكذا ورد فى الأصول موافقا لما فى الأغانى والديوان (١٠) وروى أبوزيد هذه القصيدة فى جمهرة أشعار العرب (١٢٣) وفيه «كالطراز المذهب»

(٢) مورسة : مصبوغة بالورس ، وهو الزعفران

تبدّتْ لنَا كالشمس تحتَ غمَامةٍ بدَا حاجبٌ منها وضَنَّتْ بحاجبِ

وعن المفضل : أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت تذكرت الخزرج قيسَ بن الخطيم ونكايته فيهم فتآمروا وتواعدوا على قتله ، فخرج عشية من منزله فى مُلاءتين[١] يريد مالا له بالشوط — قالت : وهو حائط عند جبل أحد — فلما مر بأطُم بنى حارثة رُمى من الأطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها فى صدره ، فصاح صيحة سمعها رهطه ، فجاؤه فحملوه إلى منزله ، فلم يروا له كفوًا إلا أبا صَعْصَعَةَ يزيد بن عوف بن ميدول[٢] النجّارى ، فاندسّ إليه رجل حتى اغتاله فى منزله ، فقتله بأن ضرب عنقه ، واحتمل رأسه ، وأتى به قيسا ، وهو بآخر رَمَق ، فألقاه بين يديه ، وقال : يا قيسُ ، قد أدركت بثأرك ، فقال : عضضت بأير أبيك إن كان غير أبى صعصعة ، قال : هو أبو صعصعة ، وأراهُ الرأسَ ، فلم يلبث قيسٌ بعد ذلك أن مات ، وكان موته على كفره قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة المنورَة .

ومن شعره من قصيدة[٣] [من الوافر] :

ومَا بعضُ الاقَامةِ فى ديارٍ يُهَانُ بهَا الفتى إلا عناءُ
و بعضُ خلائقِ الأقوامِ داءٌ كداء الموت ليسَ له دواء
يريد المرء أن يُعْطَى مُناهُ ويأبى الله إلا ما يشاء
وكلّ شديدة نزلتْ بقومٍ سيأتى بعد شدّتها رخاء
ولا يُعطى الحريص غنًى بحِرْصٍ وقَدْ ينمى على الجود الثراء

---

(١) فى الأصول «بين ملاءتين» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٢) فى الأغانى «يزيد بن عوف بن مدرك النجارى»
(٣) ليست هذه الأبيات فى الديوان ، وألحق ناشره به ثلاثة أبيات منها تاسع هذه الأبيات فسابعها

غَنَاء النفسِ مَا عمرتْ غناءٌ ... وفقرُ النفس ما عُمِرَتْ شقَاء
وليس بِنافعٍ ذا البخل مالٌ ... ولاَ مُزْرٍ بصاحبه السخَاء
و بعضُ القول ليسَ لهُ عنَاجٌ ... كَمَخض الماء ليس له إتاء (١)
و بعضُ الداء مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ ... وداء النَّوْكِ ليس له دواء

***

شاهد حذف المسند

٣٥ — * إنّ محلاً وإنّ مُرْتَحَلاَ *

قائله الأعشى الأكبر ، من قصيدة من المنسرح (٢) يمدحُ بها سَلاَمةَ ذا فايش ، واسمه : سلامة بن يزيد اليحصبي ، وكان يظهر للناس فى العام مرّة مبرقعا (٣)

حـدّث سماك بن حرب قال : قال الأعشى : أتيتُ سـلامة ذا فايش ، فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه بعد مدة طويلة ، فأنشدته :

إنّ محـلا وإنّ مرتحـلا ... وإن فى شِعرٍ مَنْ مضى مَثَلاَ (٤)

---

(١) فى المطبوعتين «ليس له عياج» وأثبتنا ما أنشده فى اللسان عن الليث ويقال : ليس لهذا القول عناج ، والمراد أنه أرسل على غير روية ، ويقال : ليس لعهد هؤلاء القوم عناج ، والمعنى أنه لاوفاء لعهدهم ، والأصل فى هـذا عناج الدلو ـ بكسر العين ـ وهو عروة تجعـل فى أسفل الدلو من باطن تشد بوثاق إلى أعلى الـكرب فاذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر وفى اللسان مرة «كسيل الماء» ومرة كما هنا ، والمراد بالاناء الزبد

(٢) انظرها فى ديوان الأعشى (ص ١٥٥ طبع بيانه)

(٣) فى شرح ديوان الأعشى لثعلب «وكان يظهر لقـومه فى كل سنـة مترفعا» وأحسبه محرفا عما هنا

(٤) رواية سيبويه «وإن فى السفر إذ مضـوا مهـلا» ورواية الديوان «وإن فى السفر إذ مضى مهلا»

استأثرَ اللهُ بالوفاء وبالعـــدلِ وأوْلى الملامةَ الرجلاَ(١)
والأرضُ حمالة لما حملَ اللـــهُ وما إنْ يُردُّ ما فعلا (٢)
يوماً تراهَا كشبه أرديةِ الـــعَصبِ ويوماً أديمُهَا نَغِلاَ(٣)
الشعرُ قلدتُهُ سلامةَ ذَا فايشَ والشيء حيثما جُعلاَ(٤)

فقال : صدقت الشيء حيثما جعل ، وأمرَ لى بمائة من الابل ، وكسانى حللا ، وأعطانى كرشا مدبوغة مملوءة عنبراً ، وقال لى : إياك أن تخدع عما فيها ، قال : فأتيتُ الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء .

والمحل ـ بفتح الحاء المهملة : المنزل(٥) ، والمرتحل ـ بالفتح أيضا : المكان المرتحل عنه .

والشاهد فيه : حذف المسند الذى هو هنا ظرف .

والمعنى : إن لنا فى الدنيا حلولا ، ولنا عنها إلى الآخرة ارتحالا .

وقد اختلف فى حذف خبر إن ، فأجازه سيبويه إذا عُلم ، سواء كان الاسم معرفة أو نكرة ، وهو الصحيح ، وأجازه الكوفيون إن كان الاسم نكرة . وقال الفراء : لا يجوز ، معرفة كان أو نكرة ، إلا إذا كان بالتكرير كهذا البيت .

---

(١) فى الديوان « وولى الملامة »
(٢) فى الديوان «وما إن ترد »
(٣) فى الديوان «أردية الخمس» وذكر فى شرحه عن أبى عبيدة «القصب»
(٤) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان ثلاثة عشر بيتا ، ورواية هذا البيت هناك :

قلدتك الشعر ياسلامة ذا التـــفضال والشيء حيثما جعلا

(٥) لا يتفق هذا مع ما يذكره فى بيان معنى البيت ، والصواب أن المحل مصدر ميمي بمعنى الحلول والمرتحل مصدر بمعنى الارتحال

ترجمة الأعشى ميمون

والأعشى [١] اسمه ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شراحيل ، ينتهى نسبه لنزار ، وكان يقال لأبيه قتيل الجوع ، سمى بذلك لأنه دخل غاراً ليستظل فيه من الحر ، فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً . وفيه يقول جهنام ، واسمه عمرو ، وكان يتهاجى هو والأعشى [من الطويل] :

أبوكَ قتيلُ الجوعِ قيسُ بنُ جَنْدَلٍ وخالك عبدٌ من خماعة راضعُ

وكان الأعشى يكنى أبا بَصِيرٍ ، وهو : أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها .

وسئل يونس [٢] النحوى : من أشعر الناس ؟ فقال : لا أومىء إلى رجل بعينه ، ولكنى أقول : امرؤ القيس إذا ركب [٣] ، والنابغة إذا رَهِبَ ، وزهير إذا رغبَ ، والأعشى إذا طرب .

وقال أبو عبيدة : من قَدَّمَ الأعشى احتج بكثرة طِواله الجياد ، وتصرفه فى المديح والهجاء ، وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغيره ، ويقول [٤] : هو أول من سأل بشعره ، وانتجع به أقاصى البلاد ، وكان يغنى بشعره ، فكانت العرب تسميه صَنَّاجَةَ العرب [٥] .

---

(١) تجد ترجمة الأعشى ميمون فى الأغانى (٨ - ٧٧) وفى الشعراء لابن قتيبة (١٣٥) وخزانة الأدب (١ - ٨٣)

(٢) يونس بن حبيب شيخ سيبويه

(٣) « فى الأغانى « امرؤ القيس إذا غضب » والمحفوظ هو ما هنا . ويراد بهذا الكلام أن امرأ القيس أجود الشعراء شعرا فى وصف الخيل والصيد ، وأن النابغة أشعرهم فى الاعتذار ، وأن زهيرا أجودهم شعرا فى المديح ، وأن الأعشى أشعرهم في وصف الخمر

(٤) فى الأغانى « ويقال »

(٥) فى اللسان : « وكان أعشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره »

وحدث يحيي بن سليم الكاتب قال : بعثني أبو جعفر المنصور بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله مَنْ أشعر الناس؟ قال : فأتيت حماداً ، فاستأذنت وقلت : ياغلام ، فأجابني إنسان من أقصى بيتٍ في الدار ، فقال : من أنت؟ فقلت : يحيي ابن سليم رسول أمير المؤمنين ، فقال: ادخل رحمك الله ، فدخلت أتسمَّتُ الصوت حتى وقفت على باب البيت ، فاذا حماد عريان وعلى سوءتيه شاهشفرم [١] ــ قلت: وهو الريحان — فقلت له : إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس ، قال : نعم ذلك الأعشى صنَّاجها .

وحدث رجل من أهل البصرة أنه حَجَّ فقال : إني لأسير في ليلة أضحيانة إذ نظرت إلى رجل شاب راكب على ظليم [٢] قد زمَّه وخَطمه [٣] ، وهو يذهب عليه ويجيء ، قال : وهو مع ذلك يرتجز ويقول [من الرجز] :

هل يُبْلِغَنِّيهم إلى الصَّباحْ هِقلٌ [٤] كأن رأسهُ جُمَّاح

فعلمت أنه ليس بانسي ، فاستوحشت منه ، فتردد علي ذاهباً وراجعاً حتى أنست به ، فقلت : من أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول [٥] [من الطويل] :

= اه ، وذلك مأخوذ من الصنج — بفتح الصاد وسكون النون — وهو آلة من آلات اللهو ذات قطعتين تتخذان من صفر تضرب إحداهما بالأخرى

(١) في الأغاني (على فرجه دستجة شاهسفره »

(٢) الظليم : ذكر النعام

(٣) في الأغاني « قد زمه بخطامه »

(٤) البيت في اللسان (ج م ح) وفيه «هيق » مكان « هقل » والهقل ـ بكسر الهاء وسكون القاف ـ الفتي من النعام ، وقيل : هو الظليم ، والجماح بضم الجيم وتشديد الميم — سهم صغير بلا نصــل ، مدور الرأس ، يتعلم به الصبيان الرمى . ويقال له جباح أيضا. والهيق — بفتح الهاء — الظليم أيضا سمى بذلك لطوله

(٥) البيت لامرىء القيس بن حجر ، من قصيدته المعلقة

وما ذَرفَتْ عيناكِ إلا لتضربى ... بِسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقتلِ

فقلت : ومن هو ؟ قال : امرؤ القيس ، قلت : ومن الثانى ؟ قال : الذى يقول [من الرمل] :

تَطرِدُ القُرّ بحرٍّ ساخنٍ ... وعَكيكَ القَيْظِ إن جاء بِقُرْ (١)

قلت : ومن يقوله ؟ قال [طَرَفَة ، قلت : ومن الثالث ؟ قال الذى يقول [من المتقارب] :

وَتبْرُدُ بَرْدَ رداء العرو ... س بالصيف رَقْرَقْتَ فيه العَبِيرا

قلت : ومَنْ يقوله ؟ قال](٢) : الأعشى ، ثم ذهب .

وقال الشعبي رحمه الله : الأعشى أغزل الناس فى بيت واحد ، وأخنث الناس فى بيت واحد ، وأشجع الناس فى بيت واحد : فأما أغزل بيت فقوله [من البسيط] :

غَرّاء فَرعاء مصقولٌ عوارضها ... تمشى الهُوَينا كما يمشى الوجى الوَجِل (٣)

وأما أخنث بيت فقوله [من البسيط]:

قالت هُريرة لما جِئتُ زائِرها ... ويلى عَليكَ وويلى منك يارَجُلُ

وأما أشجع بيت فقوله [من البسيط] :

قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادَتُنا ... أو تَنْزلونَ فانا مَعْشر نُزُلُ

---

(١) القيظ : شدة الحر ، ويقال : حر عكيك ، أى شديد ، والبيت فى اللسان (ع ك ك) منسوبا إلى طرفة بن العبد

(٢) هذه الزيادة من الأغانى الذى نقل عنه المؤلف هنا كل ما ذكره عن الأعشى ، ولا يستقيم الكلام إلا بهذه الزيادة

(٣) فى شرح القصائد العشر للتبريزى « كما يمشى الوجي الوحل » بالحاء المهملة فى « الوحل » وقال التبريزى فى شرحه « والوجى : الذى يشتكى حافره ولم يحف وهو — على ذلك — وحل فهو أشد عليه » اه .

وهذه الأبيات من قصيدة للأعشى طنانة مطلعها :

وَدِّعْ هريرةَ إن الرَّكب مُرتحلُ وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرَّجلُ

وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق (١) مداعباً لشخص يدعى النجم وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيد لها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن عثمان ، فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الأول [من البسيط] :

ذَابتْ زُبَيدةُ من شَوقٍ لسَيِّدها عثمانَ والنَّجم بالنيرانِ مشتعلُ
وما تُلام ونيْلُ الفخْرِ يُعجبها وبالزيارة لم يبرَح لها شُغُلُ
فقلْ لطائر عقْل قد أتاهُ بها ويلى عليك وويلى منك يا رجل
لوكنتَ ياسَطْلُ ذا أذْنٍ تُصيخ إلى عَذْلٍ عذلتُك لو يجدى لك العَذَلُ
تَقود ظبيةَ آرام إلى أسَدٍ لو التقى لَمضَتْ أنيابهُ العُصلُ
ومن يرى ذلك الوجهَ الجميلَ ولا يَوَدُّ من قُبحكَ المشهور ينفَصلُ
هذى بُثينةُ والمجنون قائدُها إلى جميلٍ أجاد المح ياجمل
وهبهُ عَفَّ أما تبقى محاسنها فى قلبه يا لَكَاع الوقت ياز حَل
أفٍّ لعقالكَ يامَتبوعُ إنك ذو رأس خفيفٍ وذاك الطوْدُ والجبل
والويلُ ويلك إن ذاقتْ عُسَيلته وبات يجتمعان الزبدُ والعَسلُ
لأنشدَنك إن ودعتها سفَهاً ودِّع هريرة إن الركب مرتحل
وإن يكن ذاك أعشى كُنتَ أنت إذاً أعمى فلا اتَّضحت يوماً لك السُّبلُ

رجع إلى أخبار الأعشى :

قدم الأخطل الكوفة ، فأتاه الشعبي يسمع من شعره ، قال : فوجدته يتغدى

---

(١) لسراج الدين الوراق ترجمة فى فوات الوفيات (٢ - ١٤٥) وصف فيها ديوان شعره بأنه فى سبعة أجزاء كبار ضخمة .

فدعانى إلى الغداءِ فأبيت ، فقال : ما حاجتك ؟ قلت : أحب أن أسمع من شعرك فأنشدنى [من الكامل] :

* صرمت أُمامة حبلها ورعوم * [١] .

فلما انتهى إلى قوله :

وإذا تَعاوَرت الأكُفُّ خِتامَها   نفحت فَنالَ رياحَها المزكُومُ [٢]

قال لى : ياشعبى ، ناكَ الأخطلُ أمهاتِ الشعراء بهذا البيت ، فقلت : الأعشى فى هذا أشعر منك يا أبا مالك ، قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال [من الكامل] :

من خَمْرِ عانةَ قد أتى لختامهِ   حَوْلٌ تَسُلُ غمامةَ المزكومِ [٣]

فقال ، وضرب بالكأس الأرضَ : هو والمسيح أشعر منى ، ناك والله أمهات الشعراء إلا أنا .

وحدث هشام بن القاسم الغزى [٤] ، وكان علامة بأسر الأعشى ، أنه وفد

---

(١) هذا صدر مطلع قصيدة للأخطل (الديوان — ٨٢) وعجزه قوله :

* وبدا المجمجم منهما المكتوم *

ويروى الصدر :

* صرمت حبالك زينب ورعوم *

و « رعوم » ـ بالراء المهملة ـ كما فى الديوان ، ويروى بالزاى — وهو اسم امرأة .

(٢) أنشد فى الأغانى هذا البيت:

فاذا تعاورت الأكف زجاجها   نفحت فشم رياحها المزكوم

وكذلك هو فى الديوان . وقد أخذ ابن الفارض معنى هذا البيت فى قوله :

ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها   وفى الغرب مزكوم لعاد له الشم

(٣) فى الأغانى وشرح ديوان الأخطل « قد أتي لختامها » والبيت ثانى بيتين فى فائت شعر الأعشى (٢٥٨).

(٤) فى الأغانى « هشام بن القاسم الغنوى » .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها [من الطويل] :

ألم تَكتحلْ عيناك ليلةَ أرمدَا وعادَكَ ما عادَ السليمَ المسهَّدا
وما ذاكَ من عِشق النساءِ و إنما تَناسيت قبلَ اليوم خُلّةَ مَهْدَدا

وفيها أيضا يقول لناقته :

فآليتُ لا أرثى لها من كلالةٍ ولا من حَفىً حتى تزورَ محمدا
نبيٌّ يرى ما لا ترَوْن وذكرُه أغارَ لعمري في البلاد وأنجدَا
متى ما تُناخي عندباب ابن هاشم تُراحِي وتَلْقَىْ من فواضِلِهِ نَدَى(١)

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ، ما يمدح أحدا قط إلا رفع من قدره (٢) فلما ورد عليهم قالوا : أين أردت يا أبا بصير؟ قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه ، قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك ، وكلها بك رافق (٣) ولك موافق ، قال : وما هن ؟ قال أبو سفيان بن حرب : الزنى ، قال : لقد تركني الزنى وما تركته ، قال : ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلي إن لقيته أصبت منه عوضاً من القمار ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الربا ، قال : ما دِنْتُ وما آدَّنْتُ قط ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمر ، قال : أوه أرجع إلى صُبَابة بقيت لي في المهراس فأشربها ، فقال له أبو سفيان : فهل لك في شيء خير لك مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن في هُدْنة ، فتأخذ مائة من الابل وترجع إلى بلدك سنتَكَ هذه حتى تنظر مايصير إليه أمرنا ، فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيته ، قال : ما أكره ذاك ، قال :

---

(١) رواية الأغاني « تراحي وتلقى من فواضله يدا » ورواية الديوان (١٠٣) « تريحى وتلقى » .
(٢) في الأغاني « إلا رفع في قدره »
(٣) في الأغاني « وكلها بك رفق » .

أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشى ، فوالله لئن أتى محمدا واتبعه ليُضْرِمَنَّ عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ، ففعلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده ، فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله .

وحدث محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال : قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيته ، فاذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصبُّوا عليه فضلات الأقداح ، انتهى والله أعلم .

***

شاهد حذف المسند لوقوع الكلام بعد استفهام

٣٦ — * لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ *

قائله ضِرَار بن نَهْشَل [١] يرثى أخاه يزيد ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

لَعَمرِى لَئنْ أمْسَى يَزِيدُ بنُ نَهشَلٍ ... حَشَا جَدَثٍ تَسفِى عَلَيهِ الرَّوائحُ
لَقَد كانَ ممنْ يَبسُطُ الكفَّ بالنَّدى ... إذَا ضَنَّ بالخيرِ الأكفُّ الشَّحائحُ
فَبعدكَ أبْدَى ذُو الضَّغينةِ ضِغنهُ ... وسَدَّدلى الطَّرفَ العيونُ الكواشحُ [٢]
ذَكرتُ الذِى ماتَ النَّدَى عِندَ مَوْتهِ ... بِعافيةٍ إذْ صَالحُ القومِ صَالحُ [٣]

---

(١) نسبت بعض هـذه الأبيات إلى الحارث بن نهيك ، وإلى لبيد بن ربيعة ، وإلى مزرد بن ضرار ، وإلى الحارث بن ضرار ، وإلى نهشل بن حرى ، وانظر شرحنا على الأشموني (٢ — ١٥٥)

وستة الأبيات الأولى فى الخزانة (١ — ١٥٠) بترتيبها هنا ، وهناك سابع غير سابع هذه الأبيات ونسبه إلى نهشل به حرى

(٢) فى الخزانة « وسد » بدال واحدة ، وفى مطبوعتى هذا الكتاب « وشد » بالشين معجمة ، وما أثبتناه أدق ، وهو رواية ذكرها صاحب الخزانة .

(٣) فى الخزانة « بعاقبة إذ صالح العيش طالح »

إذَا أرَقِي أفْنَى مِنَ اللَّيلِ ما مَضى ... تَمطَّى بهِ ثِنْىٌ مِنَ اللَّيلِ رَاجح[١]
لِيبكَ يَزيدُ ضَارعٌ لخصومةٍ ... ومُختبطٌ مما تُطيحُ الطَّوائحُ
عَرَى بَعد ما جَفَّ الثَّرَى عَنْ نِقابهِ ... بعصماء تدْرى كَيفَ تَمشى المنَائحُ

والضارع : الخاضع المستكن[٢] من الضراعة وهى الخضوع والتذلل، والجار والمجرور متعلق بضارع ، و إن لم يعتمد على شىء لأن الجار والمجرور تكفيه رائحة الفعل[٣] أى يبكيه من يذل لأجل خصومة لأنه كان ملجأ وظهيراً للأذلاء والضعفاء ، وتعليقه بيبكى ليس بقوى . والمختبط : الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة ، وأصله من الخبط ، وهو ضرب الشجر ليسقط ورقها للابل . والطوائح : جمع مطيحة[٤] وهى القواذف[٥] على غير قياس كلواقح جمع مُلْقِحة ، يقال : طوحته الطوائح : أى نزلت به المهالك ، ولا يقال المطوحات وهو نادر .

والشاهد فيه : وقوع الكلام جوابا لسؤال مقدر مشتمل على المسند ، وعدل عن بنائه للمفعول لتكرير الاسناد إجمالا وتفصيلا ، إذ هو أوكد وأقوى فى النفس ، والله أعلم .

---

(١) فى الخزانة « إذا أرق » بدون ياء المتكلم

(٢) هكذا فى المطبوعتين ، وأحسبه « المستكين »

(٣) إنما يشترط اعتماد اسم الفاعل على نفي أو استفهام عند جمهور النحاة لأجل نصبه المفعول به ، أما رفعه الفاعل وتعليق الجار والمجرور والظرف به فلا يشترط له شىء من ذلك باجماع النحاة ، وهذا ما يشير إليه المؤلف

(٤) هذا قول أبى على الفارسى . ونقل ابن خلف عن الأصمعي أنه يقال: طاح الشىء ، وطاحه غيره ، وعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتعدى ويكون الوصف والجمع جاريين على القياس ولا شذوذ فيهما .

(٥) فى المطبوعتين « وهى القواذق »

شاهد مجيء المسند فعلا ليفيد التجدد

٣٧ — أَوَ كلما وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

البيت لطريف بن تميم العنبرى[1] من أبيات من الكامل ، و بعده :

فَتَوَسَّمونى إننى أنا ذَلِكُمْ شَاكِى سِلاَحى فى الحوادثِ مُعْلَمُ
تَحتِى الأغرُّ وَفوقَ جِلدِى نَثْرةٌ زَغفٌ تَرُدُّ السيفَ وَهوَ مُثَلَّمُ[2]
حَوْلى أسَيِّدُ والهجيمُ وَمازنٌ وَإذا حلَلتُ فَحَوْلَ بَيتى خَضَّمُ[3]

وعكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلالَ ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب ، فيتعا كظون : أى يتفاخرون و يتناشدون ، ومنه الأديم العُكَاظىّ . والقبيلة : بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم ، لأنه عرف بذلك ، أو النقيب وهو دون الرئيس ، والتوسم : التخيل والتفرس .

والمعنى : إن لى على كل قبيلة جناية ، فمتى وردوا عكاظ طلبنى النيم بأمرهم. وكانت فرسان العرب إذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمِنَ بعضهم

---

(١) سماه فى اللسان عن ابن برى (خ ض م) طريف بن مالك المنبرى وقال مرة أخرى (ع رف) : « وقال طريف بن مالك العنبرى ، وقيل: طريف ابن عمرو * أوكلما وردت عكاظ ... البيت » وقد روى الأصمعى هذه الأبيات الأربعة وزاد خامسا (أنظر الأصمعيات ٦٧) .

(٢) الأغر : أسم فرس له ، والنثرة : الدرع ، وزغف : لينة واسعة محكمة ، أو دقيقة حسنة السلاسل .

(٣) يروى صدر هذا البيت :

* حولى فوارس من أسيد شجعة *

ويروى فى عجزه «وإذا غضبت» كما يروى «وإذا نزلت» ويروى البيت

حولى فوارس من أسيد جمة وبنى الهجيم وحول بيتى خضم

وانظر لسان العرب (خ ض م) .

بعضا تقنعوا ، حتى لا يعرفوا ، وذكر عن طريف هذا — وكان من الشجعان — أنه كان لا يتقنع كما يتقنعون ، فوافى عكاظ سنةً ، وقد حشدت بكر بن وائل ، وكان طريف هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيبانى ، فقال حصيصة[1] بن شراحيل : أرونى طريفا ، فأروه إياه ، فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر إليه ، حتى فطن له طريف ، فقال له : مالك تنظر إلى مرة بعد مرة ؟ فقال : أتوسمك لأعرفك فلله على لئن لقيتك فى حرب لأقتلنك أو لتقتلنى ، فقال طريف عند ذلك الأبيات المارة

والشاهد فيه : مجىء المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حال ، وهو هنا « يتوسم » أى يتفرس الوجوه ويتصفحها ، يحدث منه ذلك شيئا فشيئا ولحظة فلحظة .

مقتل طريف العنبرى

ثم إن بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان ، خرج منها رجلان يصيدانِ ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان فذَعَر عليهما صيدهما ، فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما ، فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هانىء بن مسعود — وهو رئيسهم — : يا بنى ربيعة ، إن إخوانكم قد أرادوا ظلمكم فانحازوا عنهم ، ففارقوهم ، فساروا حتى نزلوا بمبايض[2] ماء لهم ، فأبَقَ عبد لرجل من بنى ربيعة وسار إلى بلاد تميم فأخبرهم أن حيا جريدا من بنى بكر بن وائل نزل على مبايض وهم بنو ربيعة ، والحى الجريد : المنتقى من قومه ، فقال طريف بن

(١) فى معجم البكرى « حمصيصة » بزيادة ميم بعد الحاء .

(٢) مبايض : ماء من مياه بنى تميم ، وانظر حديثه فى كامل ابن الأثير (١ — ٣٦٨) وفى العقد الفريد وفى معجم البكرى ومعجم ياقوت وكان فى الأصول « منابض » محرفة عما ذكرناه ، قال ياقوت فى ترجمة « مبايض » ما نصه « مبايض بالضم وآخره معجمة : موضع كان فيه يوم للعرب قتل فيه طريف بن تميم فارس بنى تميم ، قتله حمصيصة بن جندل ، وقتل فيه أبو جدعاء الطهوى وكان من فرسان تميم » اهـ

العنبرى : هؤلاء ثأرى يا آل تميم ، إنما هم أكلة رأس ، وأقبل فى بنى عمرو بن تميم فأنذرت بهم بنو ربيعة ، فانحاز بهم هانىء بن مسعود رئيسهم إلى علم مبايض ، وأقاموا عليه وسرحوا بالأموال والسرح وصبحتهم تميم ، فقال لهم طريف: افرغوا من هؤلاء الأكلب يصفُ لكم ما وراءهم ، فقال له بعض رؤساء قومه : أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم ونترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ، وأبوا عليه ، وقال هانىء لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، فلحقت تميم بالنَّعم والعيال فأغاروا عليهما ، فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة ، قال هانىء لأصحابه : احملوا عليهم ، فهزموهم ، وقتل يومئذ طريف بن العنبرى ، قتله حصيصة الشيبانى بن شراحيل ، وقال فى ذلك (١)

وَلقدْ دَعوتَ طَريفُ دَعوةَ جاهلٍ ... سَفَهًا وَأَنت بِمعلمٍ قدْ تَعلم

وَأتيتَ حَيًّا فى الحروبِ مَحلهمْ ... وَالجيشُ باسمِ أبيهمُ يُستهزمُ (٢)

فوجدتَ قَومًا يمنعونَ ذِمارهمْ ... بُسْلاً إذَا هابَ الفوارسُ أقدموا

وإذا دَعوْا بِبنى رَبيعةَ شمرُوا ... بِكتائبٍ دُونَ النِّساءِ تَلَمْلَمُ (٣)

حَشدُوا عَليك وَعجلوا بِقراهمُ ... وَحموْا ذِمارَ أبيهمُ أنْ يُشتمُوا

سَلبوكَ دِرعكَ وَالأغرَّ كليهما ... وَبنُو أُسَيِّدٍ أسْلموكَ وخَضَّمُ

* * *

(١) نسبها الأصمعى فى الأصمعيات (٦٨) إلى عمرو بن حى التغلبى وروى اها خمسة أبيات تتفق فى أربعة من هذه الستة .

(٢) فى الأصمعيات « ولقيت حيا فى الحروب »

(٣) فى الأصمعيات « وإذا دعوا بأبى ربيعة » وفى أصول هذا الكتاب « دون السماء تاملم » وهو محرف عما أثبتناه موافقا لما فى الأصمعيات وأصل تلملم تتململم فحذف إحدى التاءين تخفيفا

شاهد مجيء المسند اسما ليفيد الثبوت

٣٨ — لاَ يألفُ الدِّرْهمُ المضْرُوبُ صُرَّتَنَا
لـكِنْ يَمُرُّ عَلَيهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

البيت للنضر بن جؤية [أوجؤية][1] بن النضر، من أبيات من البسيط، وقبله:

قالتْ طَرِيفةُ ما تبقى دَراهِمنا وَما بِنا سَرَفٌ فِيها ولا خُرقُ
إنا إذا اجتمعتْ يوْماً دَراهِمنا ظَلّتْ إلى طُرُقِ المعروفِ تَستبقُ

و بعدهما البيت، و بعده:

حتى يَصيرَ إلى نَذْلٍ يُخلِّدهُ يَكادُ مِنْ صَرِّهِ إيَّاهُ يَنمزقُ

ونسبه صاحب المغرب لملك إفريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي والشاهد فيه: مجيء المسند اسما لافادة الثبوت والدوام لا التقييد والتجدد، يعني أن الانطلاق[2] ثابت له من غير اعتبار تجدد.

وفى معنى البيت قول المتنبي[3] [من البسيط]:

وكلّما لقيَ الدينارُ صاحبهُ في ملكهِ افترقَا من قبلِ يصطحبَا
مالٌ كأنَّ غرابَ البينِ يرقبهُ فكلما قيلَ هذا مجتدٍ نعبَا

وما أحسن قول ابن النقيب في معناه [من الطويل]:

ومَا بين كفي والدراهم عامرٌ ولستُ لهـا دونَ الورى بخليل
وما استوْطنَتْهَا قطُّ يوماً وإنما تمرُّ عليهـا عابراتِ سبيلِ

(١) هذه الزيادة فى اوحدها وقد خلت منها جميع النسخ، ويؤيد هذه الزيادة أن العكبرى روى فى شرح ديوان المتنبى قوله «إنا إذا اجتمعت — البيت» ونسبه إلى جؤية بن النضر! وذكر بيت الشاهد غير منسوب انظره «١-١٩٦».

(٢) فى المطبوعتين «يعنى أن الاطلاق» وليس بشىء، إنما الانطلاق الذى أخذ منه قول الشاعر «منطلق»

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المغيث بن على بن بشير العجلى (الديوان ١-١٠٩ - بشرح العكبرى).

وما ألطفَ قولَ السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

إنّ الدراهمَ مسَّها ... ألمٌ يشق على الكرام
الضربُ أول أمرهَا ... والحبسُ في أيدي اللئام
ما ذا على شؤمِ الدرَا ... هِمِ من مقاساةِ الأنامِ
ونجوْفِها مِنْ ذَا وذَا ... كَ تفرُّ من أيدي الكرامِ

ولطيفٌ قولُ بعضهم [من المتقارب] :

رأيتُ الدراهِمَ أبغَضْنَني ... كأني قتلتُ أبا الدِّرهَمِ

***

شاهد تقديم المسند

٣٩ — * لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهى لِكبَارِهَا *

قائله حسان بن ثابت الأنصاري[١] رضي الله عنه ، يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، من قصيدة من الطويل ، وتمامُهُ :

* وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أجلُّ من الدهرِ *

وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح في أبي دُلَف العجلي ، ولعل الحامل له على هذا ما حكى أن أبا دُلَف لحق أكرادا قطعوا الطريق في عمله ، وقد أردفَ فارسٌ منهم رفيقاً له خلفهُ ، فطعنهما جميعاً ، فأنفذها ، فتحدث الناس أنه أنفذ بطعنة واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح ، فأنشده قوله فيه[٢] [من الكامل] :

قالوا وينظمُ فارسين بطعنةٍ ... يومَ اللقاء ولا يراهُ جليلاَ
لاتعجبُوا فلوَ آن طولَ قناتهِ ... مِيلٌ إذَن نظم الفوارسَ مِيلاَ

---

(١) لا يوجد في ديوان حسان ، ولا له كلمة على هذا الروى .
(٢) انظر هذه القصة والأبيات التي رواها المؤلف في الأغاني

فأمر له أبو دُلَفٍ بعشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه أيضاً [من الطويل]:

لهُ راحةٌ لو أن معشارَ جودِها على البر كان البرُّ أندى من البحرِ
ولو أن خالقَ اللهِ في جسمِ فارسٍ وبارَزَهُ كان الخليُّ من العُمْرِ
أبا دُلَفٍ بورِكْتَ في كل بلدةٍ كما بورِكَتْ في شهرها ليلةُ القدرِ

فلما كانت هذه الأبيات موافقة لذلك البيت في الوزن والقافية، نسب لبكر بن النطاح المذكور، والذي يقوى أنه ليس لبكر بن النطاح أنه لم يوجد في أخباره إلا الأبيات الثلاثة المذكورة، وهذا البيت جليل بالنسبة إليها، فلو كان منها لنص عليه بالذكر. ونقل بعضهم أن أعرابياً دخل على أمير فقال يمدحه [من الطويل]:

فتى تهربُ الأموالُ من جود كفِّهِ كما يهربُ الشيطانُ من ليلة القدرِ
لهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَى لكبارِهَا وهِمَّتُهُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
لهُ راحة لو أن معشار جودِهَا على البرّ كان البرُّ أندى من البحرِ

فقال له الأمير: احتكم، أو فوِّض إلىّ الحكم، فقال الأعرابي: بل أحتكم بكل بيت ألف درهم، فقال الممدوح: لو فوضت إلينا الحكم لكان خيراً لك، فقال: لم يكن في الدنيا ما يسع حكمك، فقال: أنت في كلامك أشعر من شعرك، وأمر مكان كل ألف بأربعة آلاف.

والهمم: واحدها همة، بالكسر وتفتح، وهي ماهمّ به من أمر ليفعل.

والشاهد فيه: تقديم المسند، وهو «له» للتنبيه من أول وَهْلة على أنه خبر لهمم، لانعت له، إذ لو تأخر لتوهم أنه نعت له لاخبر.

ترجمة حسان ابن ثابت

وحسان (١) بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي رضي الله عنه، وأمُّه

(١) تجد ترجمة حسان بن ثابت في الأغاني (٤ : ٢ - ١٧) وفي تاريخ دمشق (٤ : ١٢٥).

الفريعة[١] . ويكنى أبا الوليد ، وهو من فحول الشعراء ، وقد قيل : إنه أشعر أهل المدن[٢] ، وكان أحد المعمرين المخضرمين ، عُمِّرَ مائة وعشرين سنة : منها ستون فى الجاهلية ، وستون فى الاسلام .

وعن سليمان بن يسار قال : رأيت حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وله ناصية قد سدلها بين عينيه .

وعن محمد النوفلى رحمه الله قال : كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته ، فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبت لم تفعل هذا ؟ قال : لأكون كأنى أسد ولغَ فى دم .

وعن أبى عبادة قال : فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الاسلام .

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : جاء حسان رضى الله عنه إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : أنشدك اللهَ أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عنى ، ثم قال : اللهم أيده بروح القدس ! قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وحدث سماك بن حرب قال : قام حسان فقال : يا رسول الله ، إيذن لى فيه ، يعنى أبا سفيان بن حرب[٣] . وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرج له لساناً أسود ، وقال : يا رسول الله ؛ لو شئت لفريت به المزاد ؛

(١) هى الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان ، خزرجية أيضا .

(٢) فى الأغانى « وقد قيل إنه أشعر أهل المدر » . وما هنا فى جملته منقول عنه .

(٣) الذى كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبى صلوات الله وسلامه عليه .

إيذن لى فيه ، قال : اذهب إلى أبى بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم ، وأحسابهم ، ثم اهجهم وجبريل معك ، فأتى أبا بكر ، فأعلمه بما قال النبى صلى الله عليه وسلم، فقال : كف عن فلانة ، واذكرْ فلانة ، وكف عن فلان، واذكر فلانا ، فقال [من الوافر] :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ وعند الله فى ذاكَ الجزاء

فان أبى ووالدتى وعرضى لعرضِ محمدٍ منكم وقاء[1]

أتهجوهُ ولستَ لهُ بند فشركما لخيركما الفداء

وحدث جويرية بن أسماء قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرتُ عبد الله بنَ رواحةَ فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرتُ حسان بن ثابت فشفى وأشفى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لما كان عام الأحزاب وردّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَحْمِي أعراضَ المسلمين ؟ فقال كعب رضى الله عنه : أنا يارسول الله ، وقال عبد الله ابن رواحةَ : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يارسول الله ، قال عليه السلام : نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس .

وعن سعيد بن جُبَيْر رحمه الله قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : قد جاء اللعينُ حسانُ من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد نَصَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه وَنفسه .

وعن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان ، وهو يقول [من الطويل] :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بريبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحومِ الغَوَافِلِ

(١) فى الأغانى والديوان وتاريخ دمشق « فان أبى ووالده » .

فقالتْ له عائشة رضى الله عنها : لـكن أنت لست كذلك ، فقلتُ لها : أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل (والذى تولى كِبرَهُ منهمْ لهُ عذابٌ عظيمٌ) فقالت : أما تراه فى عذاب عظيم وقد ذهب بصره .

وحدث مالك بن عامر قال : بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان مضطجعٌ مسندٌ رجليه إلى فارع[1] قد رفعهما عليه إذ قال : مَهْ ، ما رأيتم ؟ ما مر بكم الساعة ؟ قال مالك : فقلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فاختة[2] مرت بكم الساعة بينى وبين فارع ، فصدمتنى ، أو قال فزحمتنى ، قال : فقلنا وما هى ؟ قال[3] [من الطويل] :

ستأتيكُمُ غداً أحاديثُ جمةٌ   فأصغوا لها آذانَكمْ وَتسَمَّعوا

قال مالك بن عامر : فصبَّحنا من الغد حديثُ صفين .

وحدث العلاء بن جزء العنبرى قال : بينا حسان بن ثابت بالخيف ، وهو مكفوفٌ إذ زفرَ زفرةً ، ثم قال [من الـكامل] :

وكأنَّ حافرها بكل خميـلة   صاع يكيلُ به شحيحٌ معدمُ
عارى الأشاجع من ثقيف أصله   عبدٌ ويزعمُ أنهُ من يقدمُ

قال : والمغيرة بن شعبة الثقفى جالس قريباً ، فسمع ما يقول ، فبعث إليه

---

(١) فارع : حصن حسان .
(٢) الفاختة : طائر .
(٣) وقع هذا فى المطبوعتين كأنه كلام منثور ، وهو بيت من الشعر من الطويل . وفي الأغانى « ستأتيكم غدوا » وهو الأصل في غد ، ومنه قول الراجز :

* إن مع اليوم أخاه غدوا *

وقول لبيد بن ربيعة العامرى :

وما الناس إلا كالديار وأهلها   بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

بخمسة آلاف درهم ، فقال : من بعث إلى بهذه ؟ فقالوا: المغيرة بن شعبة سمع ماقلت ، فقال : واسوأتاه ، وقبلها .

وحدث الأصمعي قال: جاء الحارث بن عوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أجرني من شعر حسان ، فلو مزج البحر بشعره لمزجه ، وكان السبب في ذلك أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ابعث معي من يدعو إلى دينك فاني له جار ، فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الأنصار فغدرت بالحارث عشيرته ، فقتلوا الأنصاريّ ، فقدم الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم لايؤنب أحدا في وجهه ، فقال : ادعوا لي حسان ، فلما رأى الحارث أنشده [من الكامل] :

يا حارِ مَنْ يَغدرْ بذمّةِ جارِه مِنكمْ فإن محمداً لمْ يَغدِرِ
إنْ تَغدرُوا فالغدرُ منكم شيمة والغدرُ يَنبتُ في أصُولِ السَّخبرِ

فقال الحارث : اكففه عني يا محمد وأؤدي إليك دية الخفارة ، فأدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَرَاء ، وكذلك كانت دية الخفارة ، وقال : يا محمد إني عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه .

وحدث يوسف بن ماهك عن أمه قالت : كنت أطوف مع عائشة رضي الله عنها ، فذكرت حسان فسببته ، فقالت : بئس ما قلت تسبينه وهو الذي يقول [من الوافر] :

فانّ أبي وَوالدِي وَعرضِي لِعرضِ محمدٍ مِنكمْ وِقاء

فقالت : أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئا ولكنه الذي قال [من الطويل] :

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ وتصبحُ غَرْثَى مِنْ لحومِ الغوافلِ
فإنْ كانَ ما قدْ جاءَ عنيّ قلتهُ فلاَ رَفعتْ سوطِي إليَّ أناملِي

وكان حسان رضي الله عنه جبانا ، حدث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق. قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمر بنا رجل من اليهود، فجعل يطوف بالحصن ، وقد حاربَتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا ، إن أتانا آت ، قالت فقلت : يا حسانُ إن هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدلَّ على عوراتنا مَن وراءَنا من يهود ، وقد شُغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزلْ إليه فاقتله ، فقال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً اعتجَرْتُ ثم أخذت عموداً ونزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلتُ : يا حسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى إلى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب .

وروى أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم [من البسيط] :

لَقَدْ غدَوْتُ أمامَ القَوْمِ مُنْتَطِقاً بِصَارِمٍ مثلِ لونِ الْمِلْحِ قطّاعِ[1]

تحفِزُ عنى نجادَ السيفِ سابغةٌ فَضْفَاضةٌ مثلُ لونِ النِّهى بالقاعِ[2]

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظن حسان أنه ضحكَ من صفته نفسه مع جبنه .

---

(١) «منتطقا بصارم» أراد أنه شد سيفه إلى وسطه مكان النطاق وأراد أنه أبيض كلون الملح

(٢) تحفز : تدفع ، ونجاد السيف : حمائله ، وأراد بالسابغة الدرع ، والفضفاضة : الواسعة ، والنهي ــ بكسر النون وسكون الهاء ــ الغدير ، ووقع فى المطبوعتين «مثل لون النهر» وأثبتنا ما فى الديوان والأغانى ، وفى تاريخ دمشق «مثل لون الهى» محرفا

وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة، رضى الله عنه !

* * *

٤٠ — ثَلاثَةٌ تُشرقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضحَى وأبو إسْحاقَ والقَمَرُ

شاهد تقديم المسند للتشويق

البيتُ لمحمد بن وهيب ، من البسيط يمدح المعتصم ، وأبو إسحاق : كُنيته ، واسمه محمد .

حدث أبو محلم قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصم ، فبعث إليهم محمد ابن عبد الملك الزيات ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النميرى فى الرشيد [من البسيط] :

خليفةَ الله إن الجودَ أودية أحلَّكَ الله منها حيثُ تجتمعُ

من لم يكن ببنى العباسِ معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ(١)

إن أخلفَ القَطْرُ لم تخلف مخايلهُ أو ضاق أمر ذكرناهُ فيتسعُ

فليدخل وإلا فلينصرف ، فقام محمد بن وهيب ، فقال : فينا من يقول مثله ، قال : وأى شىء قلت ؟ فقال [من البسيط] :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

فالشمس تحكيه فى الاشراق طالعةً إذا تقطَّعَ عن إدراكها النظرُ

والبدرُ يحكيه فى الظلماء منبلجاً إذَا استنارت لياليـه به الغررُ

يحكى أفاعيلَهُ فى كل نائبـة الغيثُ والليث والصمصامةُ الذَّكَرُ

فالغيث يحكى نَدَى كفَّيْه منهمراً إذا استهلَّ بصَوْب الديمةِ المطرُ

وربما صالَ أحيـاناً على حنقٍ شبيهُ صولتهِ الضرغامة الهصر

والهندُوانىُّ يحكى من عزائمه صريمةَ الرأى منهُ النقضُ والمرَرُ

---

(١) فى الأغانى (١٧ – ١٤٢) « من لم يكن بأمين الله معتصما »

وكلُّهما مشبهٌ شيئاً على حِدَةٍ   وقد تخالف فيها الفعلُ والصُّوَرُ
وأنتَ جامعُ مافيهنّ من حسنٍ   فقد تكامل فيك النفعُ والضررُ
فالخلْقُ جسمٌ له رأسٌ يدبِّرُهُ   وأنتَ جارحتاهُ السمعُ والبصرُ

فأمر بادخاله وأحسن جائزته .

ومما يشبه ذلك قولُ القاسم بن هانىء يمدح جعفراً صاحب (١) المسيلة [من الكامل] :

المدنَفانِ من البريَّة كلها   جسمي وطَرفٌ بابليٌّ أحْوَرُ
والمُشرقاتُ النَّيرات ثلاثة   الشمس والقمرُ المنيرُ وجَعْفَرُ

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة [من الكامل] :

شيئانِ حَدِّث بالقَساوة عنهما   قلْبُ الفتى يهواهُ قلبى والحجر
وثلاثةٌ بالجود حدِّث عنهُمُ   البحرُ والملك المعظم والمطرْ

ويقرب منه قول ابن مطروح فى الناصر داود [من السريع] :

ثلاثة ليسَ لهم رَابعٌ   عليهمُ مُعتمَدُ الجودِ
الغيْثُ والبحر وعَزَّزْهما   بالمَلِكِ الناصر داود

وقول أبى محمد اليافى [من المنسرح]:

ثلاثةٌ ما اجتمعْنَ فى رَجُلٍ   إلاَّ وأسلمنهُ إلى الأجَلِ
ذُلُّ اغترابٍ وفاقَة وهوىً   وكُلُّها سائقٌ على عجلِ

---

(١) ذكرا فى الديوان (٦١ بولاق) وذكر أنهما فى وصف سيف يحيى بن على ولا يظهر ذلك فيهما ، وقد أنشدهما ابن خلكان فى ترجمة أبى على جعفر بن على ابن أحمد بن حمدان الأندلسى صاحب المسيلة وأمر الزاب من أعمال إفريقية (١ـ ١٩٩ النيل)

يا عاذِلَ العاشِقين إنك لو عذَرتهم كنْتَ تبتَ من عذَل

وقول ابن سكرة [من المنسرح] :

فى وجهِ إنسانةٍ كلِفْتُ بها أربعةٌ ما اجتمعن فى أحَدِ

الوَجهُ بَدرٌ والصدْغُ غاليةٌ والرِّيقُ خمرٌ والثغرُ من برَدِ

وما أصدق قول السراج الوراق [من الرجز] :

ثلاثةَ إن صحبتَ ثلاثةً أعيتْ علاجَ بدوها والحضَرِ

عداوةٌ معْ حسَدٍ ، وفاقةٌ مع كَسَلٍ ، وعلة معْ كبرِ

و بديع قول ابن نباتة المصرى [من السريع] :

تناسَبَتْ فيمن تعشقتُهُ ثلاثةٌ تُعجب كل البَشَرْ

من مُقلةٍ سهمٌ ومن حاجِبٍ قَوْسٌ ومن نَغْمة صَوْتٍ وَتَرْ

ومما يناسب هذا المقام ما حكاه المداينى قال : بينا سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما تسير ذات ليلة إذ سمعت حاديا يحدو و يقول [من الرجز] :

* لولا ثلاثٌ هُنَّ عيشُ الدهرِ *

فقالت لقائد قطارها (١) : الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه الثلاثة ، فطال طلبه لذلك حتى أتعبها ، فقالت لغلام لها : سر أنت حتى تسمع منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

* الماءُ والنومُ وأمّ عمرو *

فقالت : قبحه الله ! أتعبنى منذ الليلة .

(١) القطار - بكسر القاف - الجماعة من الابل على نسق واحد ، ويجمع على قطر ، بزنة كتاب وكتب ، وقد تجمع القطر على قطرات

ومما يجرى من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل فى كتاب العين ، وهو [من الخفيف] :

إن فى دارنا ثلاث حبالى فوددنا لو قد وضعن جميعا
جارتى ، ثم هرتى ، ثم شاتى فاذا ما ولدن كن ربيعا
جارتى للرضاع ، والهر للفا ر ، وشاتى إذا اشتهينا مجيعا[1]

ومن هذا الباب قول جرجيس يهجو طبيبا [من السريع] :

عليله المسكين من شؤمه فى بحر هلك ما له ساحل
ثلاثة تدخل فى دفعة طلعته والنعش والغاسل

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة طاب بها المجلس الورد والتفاح والنرجس

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة طاب بها العمر وجهك والبستان والخمر

وقول الآخر [من السريع] :

ثلاثة عن غيرها كافية هى المنا والأمن والعافية[2]

وقول أبى بكر البلخى [من مخلع البسيط] :

ثلاثة فقدها كبير الخبز واللحم والشعير
والبيت من كلها خلاء تجد بها أيها الأمير

---

(١) المجيع : التمر يعجن باللبن ، أو اللبن يشرب على التمر
(٢) فى هامش مطبوعة بولاق ما نصه «قوله هى المنى إلخ هكذا فى النسخ والمحفوظ * الأمن والاسلام والعافية * » اه

وقول الآخر [من الرجز] :

ثلاثة ليسَ بها اشتراكُ المُشْطُ والمرأة والسِّواكُ

وقول أبي الحسن العلوى [من الرجز] :

ثلاثة مَوْصوفَةٌ تجلو البَصرْ الماء والوجهُ الجميلُ والخُضَرْ

وقول الآخر [من الرجز] :

ثلاثة تُذْهِبُ عن قلبي الحزَنْ الماء والخضرةُ والوجهُ الحسَنْ

وقول ابن لنكك بديع هنا [من الطويل] :

أعدَّ الورى للبَرْدِ جُنْداً من الصِّلا ولاقيتُهُ من بينهم بجنودْ

ثلاثةُ نيرانٍ فنارُ مُدامةٍ ونارُ صَبَاباتٍ ونار وَقُود

وفى معناه قول الصنوبرى [من الخفيف] :

نار راحٍ ونار خَدٍّ ونار لحشا الصّبِّ بينهنَّ استعارُ

ما أبالى ما كانَ ذا الصَّيْفُ عندى كيف كان الشِّتاء والأمطار

وظريف قول بعضهم [من مخلع البسيط] :

ثلاثة يَمْنَةً تدور الطَّستُ والكأس والبَخور

وقولُ غانم المالقى [من السريع] :

ثلاثة يُجهَلُ مقدارُها الأمن والصِّحَّةُ والقوتُ

فلا تَثِقْ بالمال من غيرِها لو أنه درٌّ وياقوتُ

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطى [من الكامل] :

ما العيشُ إلا خمسةٌ لا سادس لهُمُ وإن قَصرت بها الأعمارُ

زمَنُ الرَّبيع وشَرْخُ أيام الصبا والكأس والمعشوقُ والدينارُ

وأنشد ثعلب النحوى [من الطويل] :

ثلاث خلال للصديق جعلتها مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كل زلة وترك ابتذال السر فى الخلوات

والشاهد فى البيت : تقديم المسند وهو « ثلاثة » للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، وهو « شمس الضحى » وما عطف عليه .

ومثله قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

وكالنـارِ الحياةُ فمِنْ رَمادٍ أواخرُها وأوَّلُها دُخانُ

فتقديم « كالنار » و « من رماد » كلاهما للتشويق .

ترجمة محمد بن وهيب الحميري

ومحمد بن وهيب [1] حميرى شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة ، وكان يستميح الناس بشعره ويتكسب بالمديح ، ثم توصل إلى الحسن بن سهل برجاء بن أبى الضحاك ومدحه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ، ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات ، وكان يتشيع ، وله مراثٍ فى أهل البيت رضوان الله عليهم وهو متوسط بين شعراء طبقته .

حدث عن نفسه قال : لما تولى الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك الجبل قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على الخزاعى وأبا سعيد المخزومى وأبا تمام الطائى فاستحسنوا الشعر ، وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى تلقى بها الملوك ، فخرجت إلى الجبل فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى [من الطويل] :

أجارَتنا إنَّ التَّعفُّفَ باليأسِ وَصبراً على استدرارِ دُنيا بإبساسِ [2]

---

(١) له ترجمة فى الأغانى (١٧ — ١٤٢)

(٢) فى المطبوعتين « وصبرا على استدرار دنياى بالباس » وقد أثبتنا ما فى الأغانى إذ كان لا يتجه لما فى الأصل معنى مستقيم ، والابساس : أن تدعو الناقة للحلب

حَرَّيَاتٍ أَنْ لا يَقْذفا بِمذلة كَرِيماً وأَنْ لا يُحوجاهُ إلى النَّاسِ (١)

أجارَتنا إنَّ القِدَاحَ كَوَاذبٌ وَأَكثرأسبابِ النَّجاحِ مَعَ الياسِ

فأمر حاجبه باضافتي ، فأقمت بحضرته ، كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحملان وخلعة وجائزة حتى انصرم الصيف فقال لى : يا محمد ، إن الشتاء عندنا علج فأعد يوماً للوداع ، فقلت : خدمة الأمير أحب إلى ، فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لى : هذا يوم الوداع ، فأنشدنى الثلاثة الأبيات فلقد فهمت الشعر كله فلما أنشدته :

أجارَتنا إنَّ القِداحَ كَوَاذبٌ وَأَكثرُ أسبابِ النَّجاحِ مَعَ الياس

قال : صدقت ، ثم قال : عدوا أبيات القصيدة وأعطوه بكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم ، وكان فيما أنشدته فى مقامى واستحسنه قولى [من المتقارب] :

دِمَاءُ المحِبِّينَ ما تَعقِلُ أما فى الهوَى حَكَمٌ يَعدِلُ

تَعبَّدَنى حَوَرُ الغانياتِ وَدانَ الشَّبابُ لهُ الأخضلُ

وَنظرة عينٍ تَملَّتها غِراراً كما ينظرُ الأحولُ

مُقَسَّمة بَينَ وَجهِ الحبيبِ وَطرفِ الرَّقيبِ مَتى يَغفلُ

وحدث خالُ أبى هفان قال : كنت عند أبى دلف فدخل عليه محمد بن وُهَيب الشاعر فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال معقل أخوه : يا أخى ، فعلت بهذا مالم يستأهله ، ما هو فى بيت من الشرف ولا فى كمال من الأدب ولا بموضع من السلطان ، فقال : بلى يا أخى إنه لحقيق بذلك ، أولا يستحقه وهو القائل [من المتقارب] :

---

(١) فى الأغانى «حريان ألا يقذيا»

يَدُلُّ على أنــهُ عاشقٌ مِنَ الدَّمعِ مُستشهدٌ ناطقُ

وَلى مالكٌ أنا عبــدٌ لهُ مُقــرٌّ بأنى لهُ وامقُ

إذا ما سَموتُ إلى وَصلهِ تَعرضَ لى دُونهُ عائقُ

وَحاربنى فيهِ رَيبُ الزَّمانِ كأنَّ الزمانَ لهُ عاشقُ

وحدث الحسن بن رجاء قال : كان محمد بن وهيب الحميرى لما قدم المأمون من خراسان مضاعا مطرحا إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم ويحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوثقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنسه ، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبى حتى أوصله إليه مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القول استأذنه فى الانشاد ، فأذن له ، فأنشد قصيدته التى أولها [من الطويل]:

وَدائعُ أسْرارٍ طَوَتها السَّرائرُ وَباحتْ بمكتوماتهنَّ النَّواظرُ

تمكنَ فى طَىِّ الضَّميرِ وتحته شبا لوْعةٍ عَضبُ الغِرارين باترُ(١)

فأعجمَ عنها ناطقٌ وَهوَ مُعربٌ وَأعربتِ العجمُ الجفونُ النَّواظرُ

إلى أن قال فيها :

تُعَظِّمهُ الأوهامُ قبلَ عِيانهِ وَيصدرُ عَنهُ الطَّرفُ وَالطرفُ حاسرُ(٢)

بهِ تجتدَى النُّعمَا وَيستدركُ المُنى وَتستكملُ الحسنى وَتُرْعَى الأواصرُ

أصات بنا دَاعى نَوالكَ مُؤذناً بِجودكَ إلاَّ أنَّهُ لاَ يحاوِرُ(٣)

---

(١) فى الأغانى «ملكت لها طي الضمير»

(٢) فى الأغانى «تعطفه الأوهام» وما هنا أتم معنى

(٣) فى الأغانى «أهاب بنا» وفيه «بدونك» مكان «بجودك» وهو محرف عما هنا

قَسمتَ صُروفَ الدَّهر بأساً وَنائلاً فمَالُكَ مَوتورٌ وَسيفُكَ وَاترُ

إلى أن قال فى آخرها :

وَلوْ لم تَـكنْ إلاَّ بنفسِكَ فاخراً لما انْتسبتْ إلاَّ إليكَ المفاخرُ

قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال أحسنت : والله وأجملت ، ولو لم تقل قط ولا قلت فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول . وأمر له بخمسة آلاف دينار ، فأحضرت ، واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل فى كنفه أيام ولايته و بعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره .

وحدث ميمون بن هارون قال : كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح على بن هشام وتردد إلى بابه دفعات ، فحجبه ، ولقيه يوماً فى طريق فسلم عليه فلم يرجع إليه طرفه ، وكان فيه تيه شديد ، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها ، فلما وصلت إليه مزقها وقال : أى شىء يريد هذا الثقيل السيء الأدب ، فقيل له ذلك ، فانصرف مغضبا وقال : والله ما أردت ماله ، و إنما أردت التوسل بجاهه وسيغنى الله عنه ، والله ليندمن مغبة فعله ، وقال يهجوه [من البسيط] :

أزْرَتْ عليه بجود خيفةَ العدمِ فصدَّ منهزماً عن شأوِ ذى الهممِ(١)

لوكان من فارسٍ فى بيتِ مكرُمةٍ أو كان من ولد الأملاكِ والعجمِ

أو كان أولهُ أهْلَ البطاح أو الـــــركبَ الملبِّين إهلالا إلى الحرمِ

أيامَ تتخذُ الأصنـام آلهـةً فلا ترى عاكفاً إلا على صنمِ

لشجعتهُ على فعلِ المـلوكِ لهمْ طبائعٌ لمْ ترُعها خيفةُ العدمِ

لمْ تندَ كفاكَ من بذلِ النوالِ كما لمْ ينْدَ سيفكَ مذْ قلدْتَهُ بدمِ

كنت امرأً رفعته فتنة فعلاَ أيامها غادراً بالعهـد والذممِ

(١) فى الأغانى «أزرت بجود على» .

حتى إذا انـكشفَتْ عنا عمايتها ورتب الناسُ بالأحساب والقدمِ(١)
ماتَ التخلق وارتادتك مرتجعاً طبيعةٌ نذلةُ الأخلاق والشيمِ(٢)
كذاكَ من كانَ لا رأساً ولا ذنباً كدُّ اليدين حديثَ العهدِ بالنعمِ(٣)
هيهاتَ ليسَ بحمال الدياتِ ولا معطى الجزيل ولا الموهوب ذى النقمِ(٤)

فلما بلغت الأبياتُ على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها ، وقال : لعن الله اللجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام وقال : الله يعلم إنى لأدخل على الخليفة وعلىّ السيف وأنا مستحى منه أذكر قولَ محمد بن وهيب فىّ :

لم تندَ كفَّاكَ من بذل النوالِ كما لم يندَ سيفُكَ مذ قُلِّدتهُ بدمِ

وسمعَ ابن الأعرابى وهو يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد ابن وهيب ، وأنشد البيت .

وحدث الحسن بن رجاء عن أبيه قال : لما قدم المأمون ، ولقيه أبو محمد الحسن [ابن سهل (٥)] دخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب فقال [من البسيط] :

اليومَ جُدِّدتِ النعماء والمِننُ فالحمدُ لله حلّ العقدةَ الزمنُ(٦)

---

(١) فى الأغانى «حتى إذا انكشفت عنا غيابتها»
(٢) فى الأغانى «وارتدتك مرتجعا» وهو خير مما هنا
(٣) فى المطبوعتين « لارأس ولا ذنب » وأثبتنا الصواب والموافق لما فى الأغانى
(٤) فى المطبوعتين «ولا الموهوب ذى النعم» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى
(٥) زيادة عن الأغاني ، والخبر منقول عنه
(٦) فى الأغانى «اليوم جردت النعماء»

اليومَ أظهرتِ الدنيا محاسنَهَا　　للناس لما التقى المأمونُ والحسنُ

قال : فلما جلسا سأله المأمون عنه ، فقال : هذا رجل من حِمْير شاعر مطبوع اتصل بى متوسلا إلى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نظرائه ، فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشد قوله [من الكامل] :

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ　　دَثَرا فلا عَلَمٌ ولا نضدُ

لبسَا البلَى فكأنما وجدَا　　بعدَ الأحبةِ مثلَ ما أجدُ

حُيِّيتما طَللين حالُهما　　بعدَ الأحبَّة غيرُ ما عهدُوا

إمَّا طواكَ سُلوّ غانيةٍ　　فهواكَ لا مللٌ ولا فندُ(١)

إنْ كنتِ صادقةَ الهوى فَرِدِى　　فى الحبِّ منهلَهُ الذى أردُ

أدمى أرقتِ وأنتِ آمنة　　أن ليسَ لى عَقْلٌ ولا قودُ(٢)

إنْ كنت فتّ وخاننى نشب　　فلربما لم يحظ مجتهدُ(٣)

حتى انتهى إلى مدح المأمون ، فقال :

يا خيرَ منتسب لمكرمةٍ　　فى المجد حيث تنحنح العددُ(٤)

فى كل أنملةٍ لراحتهِ　　نَوْء يَسحُّ وعارضٌ حشدُ

---

(١) فى الأصول « إن ما طلوك » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى «أدمى هرقت» بابدال الهمزة هاء ، والعقل هاهنا : الدية وهى الابل التى يأخذها أهل القتيل ، سميت بذلك لأنهم كانوا يعقلون الابل بساحة أهل القتيل

(٣) فى الأغانى «وخاننى سبب» وفيه «فلربما يخطىء مجتهد».

(٤) فى الأغانى « حتى تنتج العدد»

وإذا القنا رَعفت أسنَّتها علقاً وصمٌ كعوبها قِصَدُ(١)
فكأن ضوء جبينه قمرٌ وكأنه في صولةٍ أسدُ
وكأنهُ روحٌ تُدَبرنا حرَكاتهُ وكأننا جسدُ

فاستحسنها المأمون ، وقال لأبي محمد : احتكم له ، فقال : أمير المؤمنين أولى بالحكم ، ولكن إن أذن لي في المسألة سألت ، فأما الحكم فلا ، فقال : سَلْ ، فقال : تُلحقه بجوائز مروان بن أبي حَفْصَةَ ، فقال : ذلك والله أردت ، وأمر أن تعد الأبيات ، فكانت خمسين ، فأعطاه خمسين ألف درهم .

وعن أحمد بن أبي كامل قال : كان محمد بن وُهيب تياهاً شديد الزهاء بنفسه ، فلما قدم الأفشينُ ، وقد قتل بابك ، مدحه بقصيدته التي أولها ، [من الهزج] :

طُلُولٌ ومغانيها تناجيها وتَبْكيها

يقول فيها :

بعثتُ الخيلَ والخيرُ عقيدٌ بنواصيها (٢)

وهي من جيد شعره ، فأنشدنا إياها ، ثم قال : ما بها عيب سوى أنها لا أخت لها ، قال : وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلثمائة ألف درهم جرَتْ تفرقتها على يد ابن أبي دُوَادٍ ، فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً ، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف ، قال ابن أبي كامل : فقلت لعلي بن يحيى ابن المنجم : أو لا تعجب من هذا الحظ ، يُعْطَى أبو تمام عشرة آلاف درهم وابن وهيب ثلاثين ألفاً ، وبينهما كما بين السماء والأرض ، فقال : لذلك علة

(١) في الأغاني «رعفت أسنته» وفيه «وصم كعوبه»
(٢) مأخوذ من الحديث «الخيل معقود بنواصيها الخير»

لا تعرفها . كان ابن وهيب مؤدبَ الفتح بن خاقان ، فلذلك وصل إلى هذا الحال .

وحدث أحمد بن أبي كامل أيضاً قال : كنا فى مجلس ومعنا أبو يوسف الكندى ، وأحمد بن أبي فنن ، فتذا كرنا شعر محمد بن وهيب ، فطعن عليه ابن أبي فنن وقال : هو متكلف حسود ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرّظه ووصفه فى نصف يوم ، وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ ، وأنه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال ، و إذا أُنشد شعر غيره حسد ، و إن كان على نبيذ عربَدَ عليه ، و إن كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه ، فقلت له : كلاكما لى صديق ، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر ، فأخبرنى عما أسألك عنه إخبارَ منصف ، أيعدّ متكلفاً منْ يقول [من الطويل] :

أبى لىَ إغضاء الجفُونِ على القذَى ... يقينِيَ أنْ لاَ عُسْرَ إلا مُفَرَّجُ
ألاَ ربَمَا ضَاقَ الفضَاءُ بأهله ... فيظهرُ ما بينَ الأسنةِ مخرجُ

أو يعدّ متكلفا من يقول [من الطويل] :

رأت واضحاً فى مفرق الرأسِ راعها ... شَرِيجَيْنِ مبيضّ به وبهيم

فأمسك ابن أبي فنن ، واندفع الكندى فقال : كان ابن وهيب ثَنَوِيًّا ، فقلت له : من أين علمت ذلك ؟ أكلمكَ على مذهب الثنويه قط؟ قال : لا ، ولكنى استدللت من شعره على مذهبه ، فقلت : ما ذا ؟ قال : حيث يقول :

* طَلَلاَنِ طالَ عليهمَا الأمَدُ *

وحيثُ يقولُ :

* تَفتَرُّ عنْ سِمْطينِ منْ ذَهبٍ *

إلى غير ذلك مما يستعمله فى شعره ، من ذكر الاثنين ، فشغلنى والله

الضحك عن جوابه ، وقلت له : يا أبا يوسف مثلكَ لا ينبغى أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمهُ .

ودخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلمانا روقة مرْدًا ، وخدما بيضا فُرَّهًا ، فى غاية الحسن والجمال والنظافة ، فدُهشَ لما رأى وبقى متحيراً متبلبلاً لا ينطق حرفا واحداً ، فضحك أحمد منه ، وقال له : ويحك ! مالك ؟ تكلم بما تريدُ ، فقال [من الكامل] :

قدْ كانتِ الأصنامُ وهى قديمةٌ كسرَتْ وجدَّعهُنَّ إبراهيمُ
ولذيكَ أصنامٌ سلمنَ منَ الأذى وُصفَتْ لهُنَّ نضارةٌ ونعيمُ
وَبنَا إلى صنمٍ نلوذُ بركنــهِ فقرٌ وأنتَ إذا هُززتَ كريمُ

فقال له : اختر من شئتَ ، فاختار واحداً منهم ، فأعطاه إياه ، وقال يمدحه [من الكامل] :

فضلَتْ مكارمُهُ علَى الأقوامِ وعلَا فحازَ مكارمَ الأيامِ
وعلتهُ أبهةُ الجمَالِ كأنهُ قمرٌ بدَا لكَ منْ خِلاَلِ غمَامِ
إنَّ الأميرَ على البريةِ كلهَا بعدَ الخليفةِ أحمدُ بنُ هشَامِ

وحدثَ محمدُ بنُ وهيب ، قال : جلستُ بالبصرة إلى عطار ، فإذا أعرابية سوداء قد جاءت ، فاشتريتْ من العطار(١) خَلُوقا ، فقلت له : تجدها اشترته لابنتها ، وما ابنتها إلا خنفساء ، فالتفتت إلى متضاحكة وقالت : لا ، والله إلا مَهَاةٌ جيْدَاء ، إن قامَتْ فقَنَاة ، وإنْ قعَدَتْ فحَصَاة ،

---

(١) الخلوق ـ بفتح الخاء بزنة صبور ـ ضرب من الطيب

وإنْ مشَتْ فقَطَاة ، أسفلهَا كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كفتياتكم اللواتى تسمنونهن بالقَتُوت(١) ، ثم انصرفت وهى تقول [من الرجز] :

إن القَتوتَ للفَتاةِ مَضْرطه ... يَكربُها فى البطنِ حتى تَسْلُطَه(٢)

فلا أعلم أنى ذكرتها إلا أضحكنى ذكرها .

و بلغ محمد بن وهيب أن دعبلا الخزاعى قال : أنا ابن قولى [من الكامل] :

لا تعجبى يا سلْم من رجل ... ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

وأن أبا تمام قال : أنا ابن قولى [من الكامل] :

نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ

كم منزلٍ فى الأرض يألفُه الفتى ... وحنينُهُ أبداً لأول منزلِ

فقال ابن وهب : وأنا ابن قولى [من المديد] :

ما لمن تمّتْ محاسنُهُ ... أن يعادى طَرْفَ من رَمَقا

لك أن تُبدى لنا حُسُناً ... ولنا أن نُعملَ الحدَقا

وحدث أبو ذكوان قال : حدثنى من دخل إلى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل ، قال : فسألته عن خبره ، فتشكى ما به ثم قال [من الطويل] :

نفوس المنايا بالنفوس تَشَعَّبَتْ ... وكلٌّ له من مذهبِ الموتِ مذهبُ

نُراع لذكرِ الموْتِ ساعةَ ذكرِهِ ... وتَعترضُ الدنيا فنلهو ونلعبُ

وآجالُنا فى كلِّ يوم وليلةٍ ... إلينا على غرّاتنا تتقرب

---

(١) القتوت : الأفاويه

(٢) فى الأغانى «يكز بها بالليل»

أأيقن أن الشيب ينفى حياته ... وهوّ لأخلاق الخطيئة يذهب[1]
يقين كأن الشك أغلب أمره ... عليه وعِرفانٌ إلى الجهل يُنسبُ
وقد ذمّتِ الدنيا إلىّ نعيمها ... وخاطبنى إعجامُها وهو مُعْرِبُ
ولكننى منها خُلِقْتُ لغيرها ... وما كنتُ منهُ فهو عندى مُحَبَّبُ

وسأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها ، فوقف عليه ثم قال له [من الكامل] :

طُبِعَ الكريمُ على وفائِه ... وعلى التَّفضلِ فى إخائه
تغنى عنايتُهُ الصديـ ... ـقَ عن التَّعرُّضِ لاقتِضائه
حَسْبُ الكريم حياؤه ... فَكِلِ الكريمَ إلى حيائه

فقال له : حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت والحاجة تسبقك إلى منزلك .

ومن شعره الجيد قوله [من الخفيف]:

أىُّ خير يرجو بَنُو الدَّهرِ فى الدهـ ... ـرِ وما زالَ قاتلاً لبنيه
من يُعمَّرْ يُفجع بفقدِ الأحبّا ... ءِ ومن مات فالمصيبة فيه

ومثله قول الآخر [من السريع] :

من يتمَنَّ العمرَ فليدَّرعْ ... صبراً على فَقْدِ أحبائهِ
ومن يُعمَّرْ يلْقَ فى نفسِهِ ... ما يتمنَّاهُ لأعدائهِ

---

(١) أتى بالواو من « هو » مشددة كما جاء بها الذى يقول :

وإن لسانى شهدة يشتفى بها ... وهـو على من صبه الله علقم

وهو مما يجىء فى ضرورات الشعر .

مكتبة الدكتور مروان العطية

شواهد أحوال متعلقات الفعل

شاهد تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم

٤١ — شَجوُ حُسَّادِهِ وغَيْظُ عِدَاهُ أنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ واعِي

البيت للبحترى، من قصيدة(١) من الخفيف، يمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله، ويعرض بالمستعين بالله أحمد بن المعتصم، أولها [من الخفيف] :

لَكِ عهْدٌ لَدَىَّ غيرُ مُضَاعِ باتَ شوقى طَوعاً له ونزاعى(٢)

وهوًى كلما جرى منه دَمعٌ أيِسَ العاذِلونَ من إقلاعى(٣)

لو تولَّيتُ عنهُ خيفَ رُجوعى أو تجوَّزتُ فيه خيفَ ارتجاعى

إلى أن يقول فى مديحها :

يبهت الوفدُ فى أسرة وَجْهٍ ساطع الضوءِ مُستنيرِ الشُّعاع

من جَهِير الخطاب يُضعف فَضلاً عندَ حالَىْ تأمُّلٍ واستماع

وبعده البيت، وهى طويلة.

والشاهد فيه : جعل الفعل مطلقاً كناية عنه متعلقاً بمفعول مخصوص، وهو هنا « يرى ويسمع » فانه كما قال التفتازانى رحمه الله تعالى نزلهما منزلة اللازم : أى تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص، ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص، هو محاسنه وأخبـاره، بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه، وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره، للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الـكثرة والاشتهار إلى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعها كل واع، بل لا يبصر الرائى

---

(١) انظرها فى الديوان (٢ : ٨٠ — ٨٢ طبع هندية)

(٢) فى الأصول «بات شـوقى طـوعا له ويراعى» وما أثبتناه موافق لمـا فى الديوان

(٣) فى الديوان « جرى عنه دمع آيس العاذلين »

إلا آثاره، ولا يسمع الواعي إلا أخباره، فذكر الملزوم وأراد اللازم، على ما هو طريق الكناية، ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره، لما في التغافل عن ذكره والاعراض عنه من الابذان بأن فضائله يكفي فيها أن يكون ذو بصر وسمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضل.

ومثله قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي (١) [من الطويل]:

فلو أنّ قومي أنطَقَتني رماحُهُم نَطَقتُ ولكنّ الرِّماح أجَرَّتِ

يريد أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه، وهي أنها أجَرَّته أي شَقَّتْ لسانه.

ومثله قول طفيل الغنوي (٢) [من الطويل]:

جزى الله خيراً أجيرة حين أزلقت بنا نعلُنا في الواطئينَ فزَلّتِ (٣)

أبَوا أن يملّونا ولو أن أمّنا تُلاقي الذي يلقَوْن منا لمَلّت

هُم خلَطونا بالنفوس وألجأوا إلى حجراتٍ أدفأتْ وأظَلَّتِ (٤)

---

(١) استشهد بهذا البيت الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز (١٢٢) ونسبه أيضا إلى عمرو بن معديكرب، ومثل هذا البيت والأبيات التي بعده قول جرير بن عطية بن الخطفى:

أمنيت المنى وخلبت حتى تركت ضمير قلبي مستهاما

(٢) في الأصول «العنزي» محرفا، وما أثبتناه موافق لما في دلائل الإعجاز والأبيات لطفيل الغنوي يقولها في بني جعفر بن كلاب

(٣) في دلائل الاعجاز «جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت» وهو الموافق للغرض الذي قيلت فيه الأبيات

(٤) يروى «أدفأت وأكنت»

أراد لملتنا وأدفأتنا وأظلتنا ، إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية .

ترجمة البحترى

والبحترى [١] هو الوليد بن عبيد [٢] بن يحيى ، ينتهى نسبه إلى طيىء ، ويكنى أبا عبادة ، وهو شاعر فصيح فاضل ، حسن المشرب والمذهب ، نقى الكلام مطبوع ، وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة ، وجيده منه قليل . وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن ، أنه لما حضره الموت دعا به وقال له : اجمع كل شيء قلته فى الهجاء ، ففعل ، فأمره باحراقه . [٣]

وكان البحترى يتشبه بأبى تمام فى شعره ، ويحذو حذو مذهبه ، وينحو نحوه فى البدائع التى كان أبو تمام يستعملها ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويقدمه على نفسه ، ويقول فى الفرق بينه وبينه قولَ منصفٍ : إن جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه ، وكذا هو حكم لنفسه .

وسئل أبو العلاء المعرى : أى الثلاثة أشعر : أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فقال : هما حكيمان ، والشاعر البحترى .

---

(١) للبحترى ترجمة فى الأغانى (١٨ — ١٦٧ — ١٧٥) وفى تاريخ ابن خلكان (٣ — ٩٦)

(٢) فى الأغانى «بن عبيد الله»

(٣) فى الأغانى زيادة على ذلك «ثم قال له : يابنى ، هذا شيء قلته فى وقت فشفيت به غيظى ، وكافأت به قبيحا فعل بى ، وقد انقضى أربى فى ذلك ، وإن بقى وروى وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة ، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء فى نفسك أو معاشك ، لا فائدة لك ولا لى فيه . قال : فعلمت أنه قد نصحنى واشفق على ، فأحرقته»

وقد شرح المعرى[١] دواوين الثلاثة ، فسمى شرح ديوان أبى تمام «ذكر[٢] حبيب» وشرح ديوان البحترى «عبث الوليد» وشرح ديوان المتنبي «معجز أحمد».

وحدث محمد بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحترى — وقد اجتمعا فى دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرد ، وذلك فى سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أنشد شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله — : أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر ، قال : كلا والله ، إن أبا تمام الرئيسُ والأستاذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، فقال له المبرد : لله درك يا أبا الحسن — وكان يكنى به أيضاً — فانك تأبى إلا شرفاً من جميع جوانبك .

وحدث البحترى قال : كان أول أمرى فى الشعر ونباهتى أن صرت إلى أبى تمام ، وهو بحمص ، فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل على وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لى : أنت أشعر مَنْ أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خَلّة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : امتدحهم ، فسرت إليهم ، فأكرمونى بكتابه ، ووظفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وحدث البحترى قال : أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقصيدتى التى مطلعها[٣]

---

(١) لم يشرح أبو العلاء ثلاثة الدواوين ، وإنما اختار من كل ديوان منها كلمات أو أبياتا من كلمات وتكلم عنها ، وقد ينقدها ، وقد طبع من هذه الكتب الثلاثة كتابه عن البحترى المسمى «عبث الوليد»

(٢) المعروف أن اسم الكتاب «ذكرى حبيب»

(٣) انظرها فى الديوان (٢ — ١٤٥) ثم انظر هذه القصة فى الأغانى أثناء ترجمته وفى الموازنة (٦ بتحقيقنا) وفى ابن خلكان (٣ — ٩٧)

أأفاق صَبٌّ من هوى فأفيقا أوخانَ عهداً أو أطاع شفيقَا

فسرَّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يافتى ! وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر فى مجلسه ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على وقال : يا فتى ، أما تستحي منى ؟ هذا شعرى وتنتحله وتنشده بحضرتى ، فقال له أبو سعيد: أحقاً ما تقول ؟ قال: نعم ، وإنما علقه منى فسبقنى به إليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى علمُ الله فى نفسى وبقيت متحيراً ، فأقبل على أبو سعيد فقال لى : يا فتى لقد كان فى قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا ، فجعلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان ، أن الشعر لى ، وما سبقنى إليه أحد ، ولا سمعته ، ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئاً وأطرق أبوسعيد ، وقطع بى حتى تمنيت أنى سختُ فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجرّ رجلى ، فخرجت ، فما هو إلا أن بلغت باب الدار ، حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل علَى الرجل ، فقال: الشعرُ لك يا بنى ، والله ماقلته قط ، ولا سمعت به إلامنك ، ولكننى ظننت أنك تهاونت بموضعى ، فأقدمت على الانشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتى ومكاثرتى ، حتى عرّفنى الأمير نسبك وموضعك ، ولوددت أن لاتلد طائية إلامثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وعانقنى ، وأقبل يقرظنى ، ولزمته بعد ذلك ، وأخذتُ عنه ، واقتديت به .

ثم إن البحترىّ اختص بأبى سعيد ، وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه من بعده ، ورثاهما بعد مقتلهما وأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه . وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح ، لا كما قال الآخر ـ وقد سئل عن ضَعْفِ مراثيه ـ فقال: كنا نعمَل للرجاء ، ونحن الآن نعمل

للوفاء ، و بينهما بعد [١] .

وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة ، وأبخلهم على كل شىء . وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً ، فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى إليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ، ويقول : كُلاَ ، أجاع الله أكبادكما ، وأعرى أجلادكما ، وأطال اجتهادكما .

وحدث محمد بن بحر الأصبهانى الكاتب ، قال: دخلت على البحترى يوماً فاحتبسنى عنده ، ودعا بطعام له ، ودعانى إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخ شامىٌّ لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام فتقدم ، فأكل معه أكلا عنيفا ، فغاظه ذلك ، ثم إنه التفت إلى ، فقال لى : أتعرف هذا الشيخ ؟ قلت : لا ، قال : هذا شيخ من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر [من الكامل] :

وبَنُو الهُجيم قبيلةٌ ملعونةٌ حُمْرُ اللحى متناسبو الألوانِ [٢]
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أضحى جمعهم بعمان

قال : فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

ومن شعره يهجو إنسانا فى لسانه حبسة [من المنسرح] :

أنت كما قد علمت مضطرب الـــهيئة والقدّ ظاهرُ الخلف [٣]

---

(١) روى أن محمد بن يوسف سأل الخريمي أبا يعقوب الشاعر : مابال مدائحك فى منصور بن زياد خيرا من مراثيه ؟ فقال الخريمى : لأن المدح للرجاء والمراثى للوفاء ، وبينهما بون بعيد (انظر الوزراء والكتاب للجهشيارى ٢٦٨) وستأتى هذه القصة فى ترجمة الخريمى صاحب الشاهد رقم ٤٢ الذى يلى هذا

(٢) فى الأغانى «حص اللحى»

(٣) فى الديوان (٢ - ١١٩) «ظاهر الجلف»

ورنة تحت غنة قدرتْ من هالك الراء ذامر الألفِ
كأن فى فيه لقمة عقلتْ لسانه فالتوى على حنفِ
محـركٌ رأسَـهُ توهمـهُ قدْ قامَ من عطسة على شرفِ

وهو بليغ التشبيه فى معناه .

وأنشد البحترىّ شيئاً من شعر أبى سهل بن نوبخت ، فجعل يحرك رأسه، فقيل له : ما تقول فيه ؟ فقال: هو يشبه مضغ المـاء ليس له طعم ولا معنى .

وقد نظمت هذا لغرض عرض لى فقلت [من المديد] :

ربّ خُذ للشعر من زُمَرٍ أسمعونا منـه ما أضنى
مثلُ طعم المـاء ليس لهُ فى فمٍ طعمٌ ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتاً آخر فى المعنى ، وهو [من الوافر] :

حديثٌ مثلُ لعق الماء بحتاً وليس للعق بحت الماء طعمُ

والبحتُ ـ بالمثناة فوقـ الصِّرْفُ .

وذكرتُ بأبيات البحترى فى الحبسة ما نظمته قديما ، وهو [من الرجز] :

إن قالَ شعرا خلته علكا قوياً يعلك
وإنَ شدا فصوتهُ صوت دجاج يمسكُ

واجتازت جاريةٌ بالمتوكل معها كوز ماء ، وهى أحسن من القمر ، فقال : ما اسمك؟ قالت :برهان ، قال : ولمن هذا الماء ؟ قالت: لستى قبيحة ، قال: صبيه فى حلقى ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحترى : قل فى هـذا شيئاً ، فقـال [من البسيط] .

ماقهوةٌ من رحيق كأسهاذهبٌ جاءت بها الحور من جنات رضوانِ
يوماً بأطيب من ماء بلا عطشٍ شربته عبثاً من كف برهانِ

وحدث أبو الغوث ابن البحترى قال : كتبت إلى أبى يوما أطلب منه تبيذاً ، فبعث إلى بنصف قنينة دردى وكتب إلىّ : دونكها يا بنى فانها تكشف القحط وتقوت الرهط .

وحدث جحظة قال : سمعت البحترى يقول : كنت أتعشق غلاما من أهل منبج ، يقال له شقران ، فاتفق لى سفر فخرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى ، فقلت فيه ـ وكان أول شعر قلته ـ [من مجزوء الرمل] :

نبتت لحيـة شـقرا ... نَ شقيق النفس بَعْدِى

حُلِقت كيف أتته ... قبل أن ينجز وعدى

وحدث جحظة قال : كان نسيمٌ غلامُ البحترىِّ الذى يقول فيه : [من الطويل] :

دعا عَبْرتِى تجرى على الجور والقصد ... أظنُّ نسيا فارقَ الهجر من بعدى

خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه ... فوا عجباً للدهر فقداً على فقدِ (١)

غلاماً رومياً (٢) ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه و يعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره .

وقد قال ابن نباتة المصرى مشيراً إلى ذلك [من الوافر] :

وغانِيَةٍ توافقنى إذا ما ... صَبَوْتُ لها بِذا العقلِ السليم

وأعذرُ إن بَكَيْتُ على رياضٍ ... بكاء البُحترِىِّ على نَسِيمِ

---

(١) فى الأغانى « فقد على فقد »

(٢) « غلاما روميا » هذا خبر كان فى قوله « كان نسيم إلخ »

وحدث الأخفش قال : كتب البحترى إلى محمد بن القاسم (١) القمى يستهديه نبيذاً ، فبعث إليه مع غلام له أمرد ، فخمّشه البحترى ، فغضب الغلام غضباً شديداً ظن البحترى أنه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه [من المتقارب] :

أبا جعفرٍ كان تَخْميشُنا ... غلامَكَ إحدى الهَنَاتِ الدَّنِيهْ

بَعَثْتَ إلينا بشمس المُدَام ... تُضيء لنا مع شمس البرِيَّهْ

فلَيْتَ الهديّةَ كان الرسولَ ... وليت الرسولَ إلينا الهديهْ

فبعث محمد بن القاسم بالغلام إليه هدية ، فانقطع البحترى بعد ذلك عنه مدة خَجَلاً مما جرى ، فكتب إليه محمد بن القاسم [من الطويل] :

هجَرت كأن البِرَّ أعقَبَ حشْمَةً ... ولم أرَ بِرًّا قبلَ ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدة يمدحه [من الكامل] :

إنى هجرتُكَ إذْ هجرتك حشمةً ... لا العَوْدُ يُذهِبُها ولا الإبداء

أخجلتنى بندَى يديكَ فسوَّدت ... ما بيننا تلك اليدُ البيضاء

وَقَطَعتنى بالبر حتى إننى ... مُتوهِّمٌ أن لا يكونَ لقاء

صلةٌ غدَتْ فى الناس وهى قطيعةٌ ... عجَبٌ وبر راحَ وهو جَفاء (٢)

ليُوَاصلنَّكَ رَكْب شعرٍ سائرٍ ... يَرويه فيك لحسنه الأعداء (٣)

---

(١) فى المطبوعتين « البقمى » وكتب بهامش مطبوعة بولاق « فى نسخة القمرى » وكلاهما تصحيف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وهو فيه « محمد بن على القمى » وهو الموافق لما فى الديوان (١ - ٦)

(٢) فى الأغانى «عجبا» وهى فى الديوان بالرفع كما هنا ، وكلاهما صحيح فى العربية

(٣) فى المطبوعتين «يرويك فيه» وأثبتنا ما يوافق الديوان ، ووقع فى الأغانى رواية البيت هكذا :

لأوصينك ركب شعرى سائر ... تهذى به فى مدحك الأعداء

حتى يتم لك الثناء مُخَلداً ... أبداً كما تمت لك النعْماء[١]
فتظل تحسدكَ الملوكُ الصيدُ بى ... وأظل تحسدُنى بكَ الشعراء

وحدث البحترى قال : أنشدت أبا تمام شيئاً من شعرى فتمثل ببيت أوس ابن حجر [من الطويل] :

إذا مقْرِمٌ منا ذَرَى حدُّ نابِهِ ... تخمَّطَ منا نابُ آخَرَ مُقْرِمِ[٢]

ثم قال لى : نعيت والله إلىَّ نفسى ، فقلت : أعيذك بالله من هذا القول ، فقال : إن عمرى لن يطول ، وقد نشأ فى طيئ مثلك ، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو بين رهطه يتكلم ، فقال : يابنى لقد نعى إلىَّ نفسى إحسانُكَ فى كلامك ، لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات الذى من قبله ، قلت : بل يبقيك الله ويجعلنى فداك ، قال : ومات أبو تمام رحمه الله بعد سنة

وحدث أبو عنبس[٣] الصيمرى قال : كنت عند المتوكل والبحترى ينشده قوله [من مجزوء الكامل] :

عن أى ثغر تَبْتَسم ... وبأى طرف تحتكم

حتى بلغ إلى قوله فيه :

قل للخليفةِ جعفرِ الـــــمُتوكل بن المُعتصم
والمجتَدَى ابن المجتدَى ... والمُنعِم ابن المنْتقم
أسلم لدين محمد ... فاذا سلمتَ فقد سلم

(١) فى الديوان «كما تمت لى النعماء»

(٢) وقع هذا البيت فى المطبوعتين :

إذا مقدم منا ذوى حد نابه ... تخمط منا ناب آخر مقدم

وهو تحريف فى عدة مواضع ، وفى الأغانى « مقدم » فى الموضعين

(٣) فى الأغانى « أبو العنبس » بالألف واللام

قال : وكان البحترى من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق و يتزاور فى مشيته مرة جائيا ، ومرة القهقرى ، ويهز رأسه مرة ، ومنكبه أخرى ، و يشير بكمه ويقف عند كل بيت ، و يقول : أحسنتُ والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول : مالكم لاتقولون لى أحسنت ؟ هذا والله مما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك ، وأقبل علىّ فقال : أما تسمع ما يقول يا صيمرى ؟ فقلت : بلى ياسيدى ، فمرنى فيه بما أحببت ، فقال : بحياتى أهجه على هذا الروى الذى أنشدنيه ، فقلت : تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة [من مجزوء الكامل] :

أدخلت رأسكَ فى الرَّحِمْ وعلمتَ أنك تنهزم[1]
يابحترِىُّ حذار ويْحكَ من قَضاقضة ضغم
فلقد أسَلْتَ بوالديْك من الهجَا سَيْلَ العرِمْ
فبأى عرْضٍ تَعتصم وبهتكه جَفَّ القلم
والله حلفةَ صادقٍ وبقبرِ أحمد والحرم
وبحق جعفرٍ الاما م ابن الامام المُعْتَصِمْ
لأصيرنك شهرة بين المَسِيل إلى العلَم

فى أبيات أخر من هذا النمط[2] ، قال : فخرج مغضباً يعدو ، وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك فى الرحم وعلمت أنك تنهزم

---

(١) فى المطبوعتين «أدخلت رأسك فى الحرم» محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) اقرأ تمامها فى الأغانى (١٨ - ١٧٣)

والمتوكل يضحك ويصفق بيديه حتى غاب عنه، وأمر لى بالصلة التى أُعدت للبحترى .

وقال أحمد بن يزيد[(١)] : حدثنى أبى، قال : جاءنى البحترى فقال لى : يا أبا خالد، أنت عشيرى وابن عمى وصديقى، وقد رأيت ما جرى على، أفترى أنى أخرج الى منبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب، فقلت له : لا تفعل من هذا شيئاً فان لى علماً بأن الملوك تمزح بأكثر من هذا، ومضيت معه إلى الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك، فقال له نحوا من قولى، ووصله وخلع عليه، وسكّن منه، فسكن إلى ذلك .

وقد ذكرت بحال البحترى فى إنشاده فصلا ذكره الصاحب بن عباد فى وصف أبى الحسن المنجم الشاعر فأحببت إثباته وهو[(٢)] .

لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمرى يرثيه [من السريع] :

يا وَحشة الدنيا على جعفر على الهمام الملك الأزهر
على قتيل من بنى هاشم بين سرير الملك والمنبر
والله ربِّ البيت والمشعَر والله لو أن قتل البُحترى
لثارَ بالشام له ثائرٌ فى ألف بغل من بنى عضخرى[(٣)]
يَقْدُمُهُمْ كلُّ أخى ذلة على حمارٍ دِبرٍ أعور

---

(١) فى الأغانى «أحمد بن زياد»

(٢) سقط هذا الفصل من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) فى المطبوعتين « من بنى عصخر » وقال مصحح مطبوعة بولاق فى هامش النسخة :« قوله عصخر كذا فى النسخ التى بأيدينا ولم أقف عليه » وقد أثبتنا ما فى الأغانى

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحترى فضحك ثم قال : هذا الأحمق الأعوريرى أنى أجيبه عن مثل هذا ، ولو عاش امرؤ القيس فقال مثل هذا القول لم أجبه .

وقال أبو العباس بن طومار : كنت أنادم المتوكل ومعنا البحترىّ وبين يديه غلام اسمه راح ، حسن الوجه ، فقال المتوكل : يا فتح إن البحترى يعشق راحا ، فنظر إليه الفتح وأدمن النظر فلم يره ينظر إليه ، فقال الفتح : ياأميرالمؤمنين أرى البحترى فى شغل عنه ، فقال : ذاك دليل عليه ، يا راح خذ قدحاً بلوراً ، واملأه شراباً وناوله إياه ، فلما ناوله بُهت البحترى ينظر إليه ، فقال المتوكل : كيف ترى ؟ ثم قال : يابحترى ، قل فى راح شعراً ، ولا تصرح باسمه ، فقال : [من مجزوء الرمل] :

جَازِ بالودّ فتًى أمسى رهيناً بك مُدْنَفْ
اسمُ من أهواهُ فى شعرىَ مقلوبٌ مُصحَّفْ

وقال الصولىّ : سمعت عبد الله بن المعتز يقول : لولم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته فى وصف البركة ــ لكان أشعر الناس فى زمانه ، وَالقصيدة السينية أولها [من الخفيف] (١) :

صنتُ نفسى عما يدنِّسُ نفسى وَتَرفعتُ عن جَدَا كل رِجْبس (٢)

إلى أن قال فيها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٢ ــ ٥٥ مصر ١ ، ١ ــ ١٠٨ الجوائب)

(٢) فى المطبوعتين « وترفعت عن جـدا كل جنس » محـرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى نسختى الديوان

وَكأن الايوان من عجب الصنـــعة جوبٌ فى جنب أرعن جلس (١)
يتظنى من الـكآبة أن يبـــدو لعينى مصبـح أو ممسى (٢)
مزعجاً بالفراق عن أُنس إلفٍ عزَّ أو مرهقاً بتطليق عرس
عكست حظه الليالى وباتَ الـــمشترى فيه وَهو كوكب نحسِ
فهو يُبْدى تجلداً وَعليـهِ كلكلٌ من كلاكلِ الدهرِ مرْسى
لم يعبهُ أنْ بُزّمِنْ بُسُطِ الديـــباج واستلّ من ستور الدمقس
مُشْمَخِرّاً تعـلو له شرُفاتٌ رُفعت فى رؤوس رضـوى وقدسِ (٣)
ليسَ يُدْرَى أصنعُ إنسٍ لجنٍّ سكنوه أم صنع جنّ لانسِ (٤)
غـيرَ أنى أراهُ يشهد أنْ لمْ يكُ بانيه فى الملوك بنِكسِ

وحدث الأخفش قال : سألنى القاسم بن عبيد الله عن خبر البحترىّ ، وقد كان أسكت ومات بتلك العلة ، فأخبرته بوفاته ، وأنه مات بالسكتة ، فقال : ويحه رمى فى أحسنه .

وقد جمع الصولىّ ديوانهُ ورتبه على الحروف ، وجمعه ابن حمزة ، ورتبه على الأنواع ، وقد جمع البحترى كتاب الحماسة ، كما فعل أبو تمام ، وله كتاب معانى الشعر ، وعاش ثمانين سنة ، وانتقل فى آخر عمره إلى الشأم ، وَتوفى بمنبج

(١) فى الأصول «من أعجب الصنعة» وما أثبتناه موافق لنسختى الديوان والجوب ـ بفتح فسكون ـ الترس ، والأرعن : الجبل ، والجلس : العالى الطويل
(٢) فى الأصول «يتضنى» وأثبتنا مافى نسختى الديوان
(٣) فى نسختى الديوان «مشمخر» بالرفع
(٤) فى الأصول « ليس تدرى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى نسختى الديوان

سنة ثلاث ـ وقيل : سنة أربع ، وقيل : خمس ــ وثمانين ومائتين ، رحمه الله تعالى ! .

***

شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة

٤٢ ــ ولوشئتُ أنأبكىدماًلبكيتهُ   عليه ولكن ساحةُ الصبرأوسعُ

البيت للخريمىّ (١) من قصيدة من الطويل يرثى بها أبا الهيذام ، وأولها :

قضىوَطراً منك الحبيب المودّعُ   وحلَّ الذى لا يستطاع فيُدْفَعُ

إلى أن قال فيها :

وأعددتهُ ذخرا لكل ملمّةٍ   وسهمُ الرزايا بالذخائر مُولَعُ(٢)

وإنى وإن أظهرتُ منى جلادة   وصانعتُ أعدائى عليه لموجعُ

ملكتُ دموعَ العين حتى رددتها   إلى ناظرى إذ أعينُ القلب تدمعُ

و بعده البيت .

والساحة : الفضاء بين الدور .

والشاهد فيه : ذكرُ المفعول ـ وهو « دماً » ـ لكون تعلق فعل المشيئة به غريباً .

أشعار فى بكاء الدم

وقد تفنّن الشعراء فى بكاء الدم ، وتشعبت مسالكهم فى إيراده ، فمن ذلك قول أبى القاسم بن كيكس [من الطويل] :

بكيتُ دماً حتى بقيتُ بلا دمٍ   بكاءَ فتى فردٍ على سكنٍ فردِ

---

(١) وهو من شواهد دلائل الاعجاز (ص ١٢٦) وفى الأصول «الخزيمي» بالزاى محرفا

(٢) هذا البيت وحده فى الأغانى (١٨ - ١١٤) منسوبا للخريمى فى رثاء أبى الهيذام

أأبكى الذى أهواه بالدمع وحده لقد جلَّ قدر الدمع فيه إذاً عندى

وقول الشريف الرضى [من الطويل] :

ويوم وقفنا للوداع فكلنا يَعُدُّ مطيعَ الشوق مَنْ كان أحزما

فصرتُ بقلب لا يعنفُ فى الهوى وعينٍ متى استمطرتها أمطرَتْ دَمَا

ومثله قول مهيار الديلمىّ [من الطويل] :

بكيتُ على الوادى فحرَّمتُ ماءه وكيف يَحِلُّ الماء أكثرهُ دمُ

وقولُ أبى الحسين الباخرزى [من مخلع البسيط] :

عجبتُ من دَمْعَتى وعينى من قبل بَيْنٍ وبعدِ بَيْنٍ

قد كان عينى بغير دمع فصار دمعى بغير عين

ومثله قول مؤلفه فى مطلع قصيدة [من السريع] :

أوّاهُ من دمع بلا عينٍ يجرى على الخدين من عينى

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :

ولما التقينا للوداع عشية وقد راعها صبرى لدى موقف البينِ

أتت بصِحَاح الجوهرىّ دموعها نعارَضْتُ من دمعى بمختصر العين(1)

ولأبى الفتح البكتمرى [من مجزوء الكامل] :

قالوا بكيتَ دماً فقلـــت مسحت من خدى خَلُوقاً

أبصرتُ لؤلؤ ثغرهِ فنثرتُ من جفنى عقيقاً

لو لا التمسك بالهوى لحملتُ من دمعى غريقاً

ولابن حمديس [من الخفيف] :

---

(1) صحاح الجوهرى: فيه تشبيه الدمع باللؤلؤ، والتورية بكتاب الصحاح الذى ألفه الجوهرى، كما أن فى قوله «مختصر العين» تورية أخرى بمؤلف للزبيدى اختصر فيه كتاب العين للخليل بن أحمد

غشيت حجرها دموعي حمراً ... وهي من لوعة الهوى تتحدر
فانزوت بالشهيق خوفاً وظنت ... حب رمان صدرها قد تنثر
قلت عند اختبارها بيديها ... ثمراً صانهن جيب مزرر
لم يكن ما ظننت حقاً ولكن ... صبغة الوجد صبغ دمعي أحمر

وهو ينظر إلى قول المنازى يصف وادياً [من الوافر] :

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالاً ... أرق من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

أردت البيت الأخير .

وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الأبيات هجواً فى حمام فقال [من الوافر] :

وحمام قليل الماء داج ... وفيه ألف شيطان رجيم
ولا غير المزاحم من رفيق ... ولا غير المدافع من حميم
طلبنا ماءه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
ونقطنا برشح بعد رشح ... كمص من أباريق النديم
يصد الحر عنا فى شتاء ... فيحجبه ويأذن للنسيم
يروع بهوله من حل فيه ... فيحسب أنه هول الجحيم

رجع إلى وصف الدمع .

ولأبى بكر الخالدى فيه [من البسيط] :

بكى إلىَّ غداةَ البين حين رأى دمعي يفيض وحالي حالُ مبهوت
فدمعتي ذَوْبُ ياقوت على ذهب ودمعُهُ ذَوْبُ دُرّ فوق ياقوتِ

وللوَأْوَاء الدمشقي في معناه [من الخفيف] :

كلُّ دمع فبالتكلف يَجْرِي غيرَ دمع المحبِّ والمهجور
وَرَّدَ البينُ دمع عيني فأضحى كعقيق أذيب في بَلّور

وله أيضاً في مثل ذلك [من الكامل] :

فامزج بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجتُ مدامعي بدمائي

ولابن نباتةَ المصري [من الخفيف] :

يا غزالا رنا وغصناً تثني وهلالا سما وصبحاً أنارا
كان دمعي على هواك لجيناً فأحالَتْهُ نارُ قلبي نُضارا

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين :

حِليةٌ لا أُعيرُها لمحِبّ شَغَلَ الحَلْيُ أهلَهُ أن يعارا

ولابن قلاقس [من الطويل] :

مضى معهم قلبي فلله دَرُّهُ لقد سَرَّني إذ مر مع من يَسُرُّهُ
وأطولُ من هجرِ الحبيبِ وصَبْوتي ويومِ النَّوَى ليلي وهمِّي وشَعْرُهُ
وليس دَماً ماء الجفونِ وإنما فؤادي بماء الدَّمع قد ذابَ جَمْرُهُ

وما أحسن قول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من المنسرح] :

ظَلْتُ به والدموعُ جارية أُقَبِّلُ الخدَّ منه والليِّتا
تقطرُ دُراً حتى إذا وَرَدَتْ روْضَةَ خديه عُدْنَ ياقوتا

وقوله أيضاً [من السريع] :

ليسَ ليوم البيْنِ عندي سوى مدامعٍ تجيعُها سَكْبُ

كأنما فَضَّ بأجفانها رُمَّانةً فانتثر الْحَبُّ

وللمطوعى أيضاً [من البسيط] :

لما استقلَّتْ بهم عيرُ النوى أُصُلاً وشتَّتَهم صُروف البين تشتيتا

جعلْتُ أنظم في وصف النوى درراً والعينُ تنثر من دمعى يواقيتا

وما أحسن قول المسعودى [من المجتث] :

قالت عهدتك تبكى دماً حِذَارَ التنائى

فما لعينك جادتْ بعد الدماء بماء

فقلت : ما ذاك منى لسَلْوَةٍ وَعَزَاء

لكن دموعىَ شابت من طول عمْرِ بكائى

وَهو يشبه قول القائل أيضاً [من الكامل] :

قالوا ودمعى قد صفا لفراقهم إنا عَهِدْنَا منك دمعاً أحمرا

فأجبتهم إن الصبابة عُمِّرَتْ فيكم وشاب الدمع لما عُمِّرا

وأحسن منه قول الآخر [من الطويل] :

وقائلةٍ ما بالُ دمعك أبيضا فقلت لها يامىُّ هذا الذى بَقِى

ألم تعلمى أن النَّوَى طال عمرُه فشابت دموعى مثل ماشاب مَفْرِقِى

ومثله أيضا قول ابن الغويرة [من البسيط] :

كانت دموعىَ حمراً قبل بينهمُ فمذ نَأَوْا قَصَّرَتْهَا لوعةُ الحرق

قطفت للحظ ورداً من خدودهم فاستقطر البعدُ ماء الورد من حدقى

ومثله قول محمد بن هبة الله الشهير بأبى دلف الكاتب ويروى لعبد الكافى اليهودى الهارونى [من البسيط] :

يا من يقرِّب وَصْلى منه موعدُهُ لولا عوائق من خُلْفٍ تُباعدهُ

لا تحسبن دموعي البيضَ غيرَ دَمِي ... وإنما نَفَسي الحامي يُصَعِّدُه

وقول أبي القاسم بن العطار بديع، وهو [من الكامل]:

ما أدمُعي تنهلُّ سحًّا إنما ... هي مُهجتي سالتْ من الآماق

وهذا الباب واسع جداً، وفيما أوردناه مقنع.

ترجمة أبي الهيذام

وأبو الهيذام (١) المرثيُّ هنا: هو عامر بن عمارة بن خريم، وهو والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوي كتبه، وكان أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور، وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى الكائنة بدمشق بين القيسية واليمانية في دولة الرشيد، وهي التي من أجلها قال الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي: ليس لهذا الأمر إلا أنا وأنت، فاما أن تتوجه أو أتوجه أنا، فمضى جعفر إلى الشام، وأخمد الفتن، وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه، فظفر به وحُمل إليه مقيداً، فلما مثل بين يديه أنشده أبياتا يستعطفه بها، منها [من الطويل]:

فأحسن أميرَ المؤمنينَ فانهُ ... أبى اللهُ إلّا أن يكونَ لك الفضلُ

فمنَّ عليه وعفا عنه.

ومن شعره في أخيه [من الطويل]:

سأبكيك بالبيض الرِّقاق وبالقَنا ... فانَّ بها مايطلُبُ الماجِدُ الوِّترا (٢)

ولستُ كمن يبكي أخاهُ بعبرةٍ ... يُعَصِّرها في جَفْنِ مُقلتِه عَصَرًا (٣)

---

(١) لأبي الهيذام عامر بن عمارة بن خريم الناعم ترجمة في تاريخ دمشق (٧–١٧٦) وفيها الأبيات التي يذكرها المؤلف هنا، وفيه حديث الفتنة مفصلا

(٢) في تاريخ دمشق * فان بها مايدرك الطالب الوترا *

(٣) في تاريخ دمشق * يعصرها من ماء مقلته عصرا * وذكر بيتا بين هذا والذي بعده، وهو:

ولكنني أشفي الفؤاد بغارة ... أُلهب في قطري كتائبها جمرا

و إنا أناسٌ ما تفيضُ دموعُنا على هالكٍ منا و إن قَصَمَ الظهرا

وقيل : إنه توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة .

ترجمة الخريمى الشاعر

والخريمى هو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبى يعقوب ، وهومن العجم ، وكان مولى ابن خريم[1] ، الذى يقال لأبيه خريم الناعم ، وهو خريم بن عمرو من بنى مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان ، وكان لخريم ابن يقال له عمارة ، ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهيذام ؛ وفى عثمان هـذا يقول الخريمى [من الطويل] :

جَزَى اللهُ عثمانَ الُخريمىّ خَيْرَما جزَى صاحباً جَزْلَ المواهب مُفْضِلاَ
كَفَى جَفوةَ الإِخوان طُولَ حَياته وَأَوْرثَ مِمّا كانَ أَعْطى وأَخْوَلا

وكان عظيم القدر ، وأحد القواد . وعمى الخريمى بعدما أسن ، وكان يقول فى ذلك ، فمنه قوله [من المتقارب] :

فإنْ تَكُ عَيْنى خَبا نورُها فَكم قَبلها نورُ عينٍ خَبا[2]
فَلَمْ يَعمَ قَلبي وَلكنَّما أرَى نورَ عَيْنى إليهِ سرَى
فأَسْرَجَ فيهِ إلى نورِهِ سِراجاً مِنَ العلمِ يَشْفى العَمى

وأخذ هذا من قول حبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان عمى فقال [من البسيط] :

إنْ يأخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنَىَّ نورَهُما فَفى لِسانِى وقَلبى مِنهما نورُ
قَلبى ذَكىٌّ وعَقْلى غَيرُ ذِى دَخلٍ وَفى فَمى صارمٌ كالسَّيفِ مأثورُ

---

(١) ابن خريم هذا هو عمارة والد أبى الهيذام ، وخريم الناعم جد أبى الهيذام المرى ، والخريمي منسوب إليه . وفى الأصول «خزيم» بالزاى فى جميع المواطن ، وهو تحريف

(٢) فى الأصول «نور عينى خبا» محرفا بزيادة الياء

وكان أبو يعقوب الخريمي متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياد ، ثم رثاه بعد موته ، فقيل له : يا أبا يعقوب ، مراثيك لآل منصور بن زياد أحسن من مدائحك وأجود ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء[1] ونحن الآن نعمل على الوفاء ، و بينهما بون بعيد .

وهو القائل فى عمى عينيه [من المنسرح] :

أُصغى إلى قائِدِى لِيُخْبِرَنى . إذا ٱلتقينا عَمَّنْ يُحَيينى
أريدُ أن أعدل السَّلام وأن أفْصِلَ بين الشريفِ والدونِ
أسمعُ مالاَ أرَى فأكرهُ أن أخطىءَ والسمعُ غيرُ مأمونِ
لله عينى التى فُجِعتُ بهَا لو أنَّ دَهرًا بها يواتينى
لو كنتُ خُيِّرْت ماأخذتُ بها تَعْمِير نوح فى ملك قارونِ
حقٌّ أخِلاَّىَ أن يعودونى وأن يُعزُّوا عينى ويبكونى

وهو القائل أيضاً [من الوافر] :

إذامَا مات بعضُكَ فابْكِ بعضاً فإنَّ البعضَ منْ بعضٍ قريبُ
يمنِّينى الطبيبُ شفاء عيْنى وهلْ غير الالهِ لها طبيبُ

ومن جيد شعره قوله [من البسيط] :

الناس أحلامُهم شتى و إن جُبِلوُا عَلى تشابهِ أرواحٍ وأجسادِ
للخيرِ والشرِّ أهلٌ وكُلوُا بهمَا كلٌّ لهُ من دوَاعى نفسه هادِى
منهمْ خليلُ صفاء ذو مُحافظةٍ أرْسى الوفاء أوَاخيهِ بأوتادِ
ومُشعرُ الغدرِ مَحنىٌّ أضالعهُ علَى سَرِيرَةِ غمرٍ غلُّها بادِى
مُشاكسٌ خدع جمٌّ غوائلهُ يبدى الصفاءَويُخفى ضَربةالهادى
يأتيكَ بالبغيِ فى أهل الصفاء ولا ينفكُّ يسعىَ باصلاحٍ لافسادِ

(١) أحسب فى العبارة قلبا

ومن جيِّدِ شعره أيضاً قوله [من الطويل] :

أُضاحكُ ضيفى قبل إنزالِ رَحلهِ ... وَيُخصبُ عندى والمحلُّ جديبُ
وَماالخصبُ للأضيافِ أنْ يكثرَ القرى ... وَلكنّما وَجهُ الكريمِ خصيبُ

وهو القائل [من الطويل] :

وَإنَّ أشدَّ النَّاسِ فى الحشرِ حَسرةً ... لُمورثُ مالٍ غيرَهُ وَهوَ كاسِبُهْ
كَفى سَفهاً بالكهلِ أنْ يتبعَ الصِّبا ... وَأن يأتِىَ الأمرَ الذِى هُوَ عائِبُهْ

وهو القائل أيضاً [من السريع] :

ما أحسَنَ الغيرةَ فى حِينِها ... وَأقبحَ الغيرةَ فى كلِّ حِينْ
مَنْ لمْ يزَلْ مُتهماً عرسهُ ... مناصبا فيها لِريبِ الظُّنونْ
أوْشك أنْ يُغريها بالذِى ... يَخافُ أنْ يُبرزها لِلعيونْ
حَسبكَ مِنْ تحصينِها وَضعُها ... مِنكَ إلى عِرضٍ صَحيحٍ وَدِينْ
لاَ تَطَّلعْ مِنكَ على رِيبةٍ ... فيتبعَ المقرونُ حبلَ القَرِينْ

* * *

شاهد ذكر مفعول المشيئة لعدم القرينة

٤٣ — وَلمْ يُبقِ مِنِّى الشَّوْقُ غيرَ تفَكُّرِى
فلَوْ شئْتُ أنْ أبْكِى بَكيْتُ تفَكُّرا

البيت لأبى الحسن على بن أحمد الجوهرى ، من قصيدة من الطويل .

والشوق : نزاع النفس وحركة الهوى

والشاهد فيه: أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول ، لأن المراد بالبكاء الأول فى البيت البكاء الحقيقى ، لا الفكرى ، فكأنه يقول : أفنانى الشوق فلم يبق منى غير التفكر ، فلو شئت البكاء وعصرت عينى ليسيل دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكر ، فالبكاء الذى أراد إيقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير مُعَدًّى إلى الفكر البتة ، والبكاء الثانى مقيد مُعَدًّى إلى

التفكر فلا يصلح تفسيرا للأول وبيانا ، كذا قاله التفتازانى نقلا عن دلائل الأعجاز [١] .

والجوهرى هو [٢] .

***

شاهد حذف المفعول لدفع توهم غير المراد

٤٤ — وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّى مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ
وَسَوْرَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ

البيت للبحترى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح أبا الصقر [٣] ، وأولها :

أعَنْ سَفهٍ يومَ الأبيْرِقِ أمْ حلمِ ... وُقوفٌ بربعٍ أو بكاءٌ على رسمِ

وما يُنْذرُ الموسومُ بالشَّيبِ أن يُرَى ... مُعارَ لباسٍ للتصابى وَلا وَسْمِ

تخبِّرُ أيامى الحديثاتُ أننى ... تركتُ السرُورَ عندَ أيامِىَ القُدْمِ [٤]

وَأولعتُ بالكتمانِ حتى كأننى ... طُويتُ على ضغنٍ من الدِّيْنِ أو وغمِ

فإنْ تلقنى نِضوَ العظامِ فإنها ... جريرَةُ قلبى مذ كنتُ على جسمى

وهى طويلة ، فمنها فى المديح :

كأنك من جذمٍ من الناسِ مُفْرَدٍ ... وسائرُ من يأتى الدَّنيَّاتِ من جِذمِ

كأنا عدُوًّا مُلْتَقى ما تقاربتْ ... بنا الدارُ إلا زادَ غرمكَ فى غُنمى

وبعده البيت ، وبعده :

أحاربُ قوماً لا أُسَرُّ بسوئهم ... ولكننى أرمى من الناسِ من ترْمى

---

(١) اقرأ عبارة الشيخ فى دلائل الاعجاز (١٢٨) عن بيت الشاهد

(٢) سقطت ترجمة الجوهرى من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) ارجع إليها فى الديوان (٢ — ٢٣٦ مصر)

(٤) فى الديوان * تخبرنى أيامى الحدث *

والذود : الطرد والدفع . والتخامل : تكليف الأمر المشق[١] ، يقال : تخامل على فلان ، إذا كلفه مالا يطاق . وسورة الأيام : شدتها وصولتها واعتداؤها . والحز : القطع

والشاهد فيه : حذف المفعول لدفع توهم إرادة غير المراد من الكلام ابتداء وهو هنا « اللحم » إذ لو ذكر لتوهم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته إليه ، فترك دفعاً لهذا الوهم .

وتقدم ذكر البحترى قريباً .

* * *

٤٥ — قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نجد لك فى السُّؤْ دَدِ وَالمجد والمكارِم مِثْلا

البيت للبحترى ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها المعتز لدين الله[٢] وأولها :

إن سير الخليطِ حين استَقَلاَّ كانَ عَوْناً للدمع لما استَهلا

فالنَّوى خُطَّةٌ من الهجر ما يَنْـ ـفَكُّ يَشْجَى بها المُحِبُّ ويَبْلَى[٣]

فأقلَّا فى غُلْوَةِ اللوم إنى زائدٌ فى الغرام إن لم تُقِلاَّ

وهى طويلة ، فمنها فى المديح :

لم يزَلْ حقُّكَ المُقَدَّم يمحو باطِلَ المستعارِ حتى اضْمَحَلا

وبعده البيت ، وبعده :

أنتَ أندى كَفًّا ، وأشرفُ أخلا قاً ، وأزكى قولاً ، وأكرم فِعلاَ

يعرض بذم المستعين .

---

(١) الصواب أن يقول « تكليف الأمر الشاق »

(٢) اقرأها فى الديوان (٢ — ١٧٩ مصر)

(٣) فى الديوان « والنوى خطة »

والسؤدد، بالهمز: السيادة. والمجد: نيل الشرف والكرم، أولا يكون إلا بالآباء، والمكارم: فعل الكرم، والمِثْل: الشبه.

والشاهد فيه: حذف المفعول لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول، إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه وترفعا عن إيقاعه على ضميره، وإن كان كناية عنه، لأنه لو قال «قد طلبنا لك مثلا» لناسب أن يقول فلم نجده، وفيه تفويت غرض إيقاع نفى الوُجْدان على صريح لفظ المثل، لكمال العناية بعدم وجدانه، ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله [من الوافر]:

ولم أمدح لأرْضِيَهُ بشِعْرى لئيما أن يكون أصاب مالا

فانه أُعمل الفعل الأول الذى هو «أمدح» فى صريح لفظ اللئيم، لا الثانى الذي هو «أرضى»، إذ كان غرضه إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحاً، دون الارضاء

ويجوز أن يكون سبب حذف المفعول: ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له مبالغةً فى التأدب، إذ التصريح بطلب المثل يُجَوِّز وجوده، لأن طلب العاقل مبنىٌّ عليه.

شواهد القصر

٤٥ — أَنَا الذَّائدُ الحامى الذِّمارَ وإنما يدافع عن أحسابهم أنَا أو مثلى

البيت للفرزدق ، من قصيدة من الطويل ، وسببها أن نساء بنى مجاشع بلغهن فُحشُ جرير بهنّ ، فأتَيْنَ الفرزدقَ وَهو مقيد ، وقد تقدم فى ترجمته أنه قيد نفسه لحفظ القرآن ، فقلن : قبح الله قيدك ، وقد هتك جرير عورات نسائك فلُحيتَ شاعرَ قومٍ ، فأحفَظْنَه ، ففك القيد ، وقال[1] :

ألا استهزأت منى سُوَيدة إذ رأتْ أسيراً يدانى خطوه حلقُ الحجل[2]

ولو علمتْ أن الْوَثَاقَ أشدُّهُ إلى النار قالت لى مقالة ذى عقل

لعمرى لئن قَيَّدْتُ نفسى لطالما سعيت وأَوْضَعْتُ المطية فى الجهل[3]

ثلاثين عاماً ما أرى من عَمَاية إذا برقت إلا أشُدُّ لها رَحْلى[4]

أتتنى أحاديثُ البَعِيثِ ودونهُ زرود فشاماتُ العقيق من الرمل[5]

فقلت : أظنّ ابنُ الخبيثة أننى غفلتُ عن الرامى الكنانةَ بالنبل[6]

فانْ يكُ قيدى كان نذراً نذرتهُ فمالىَ عن أحساب قومىَ من شغلِ[7]

و بعده البيت ، و بعده :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٧١١ مصر)

(٢) يروى «ألا هزئت منى هنيدة» وهنيدة : اسم امرأة ، وفى الديوان «أن رأت»

(٣) فى الديوان « وأوضعت المطية للجهل »

(٤) فى الديوان « إلا شددت لها رحلى »

(٥) فى الديوان « فشامات الشقيق إلى الرمل »

(٦) فى الديوان « شغلت عن الرامى »

(٧) فى الديوان « فما بى عن أحساب قومى »

ولوْ ضاعَ ماقالوا ارْعَ منّا وجدتُهمْ شِحَاحاً على الغالى من الحسب الجزلِ

وهى طويلة .

والذمار - بكسر المعجمة — ما يلزمك حفظه وحمايته . والأحساب : جمع حَسَب ، وهو ما يُعد من مفاخر الآباء ، أو هو المال أو الدين ، أو الكرم أو الشرف فى الفعل ، أو الشرف الثابت فى الآباء ؛ وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء له شُرفَاء ، بخلاف المجد كما تقدم .

ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب [من السريع] :

قدْ علمَتْ سلمى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا

والشاهد فيه : صحة انفصال الضمير مع « إنما » إلا أنه لما كان غرضه أن يخص المدافِعَ لا المدافَعَ عنه فصل الضمير ، وهو « أنا » ، وأخّره إذ لو قال وإنما أدافع عن أحسابهم ، لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهم دون غيرها ، وليس هذا معناه ، بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره .

1

شواهد الانشاء

٤٦ — * ألاَ أيُّها الليلُ الطويلُ ألاَ انجلى *

قائله امرؤ القيس بن حُجْرٍ الكندى ، من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة ، وقبله :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدولهُ   علىَّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلتُ لهُ لما تمطَّى بصُلبهِ   وأردفَ أعجازاً وناء بكلكل
ألاَ أيُّها الليلُ الطويلُ ألاَ انجلى   بصبحٍ وما الاصباحُ منكَ بأمثلِ
فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومه   بكل مُغار الفَتْل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

والاصباح : الصبح ، وهو الفجر أو أول النهار . والانجلاء : الانكشاف ، ومعناه أنه تمنى زوالَ ظلام الليل بضياء الصبح ، ثم قال : وليس الصبح بأمثل منك عندى ، لاستوائهما فى مقاساة الهموم ، أو لأن نهاره يُظْلم فى عينه لتوارد الهموم ، فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل ، لأنه لا يقدر عليه ، لكنه يتمناه تخلصا مما يعرض له فيه ولاستطالته تلك الليلةَ كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه ، فلهذا يحمل على التمنى دون الترجى .

والشاهد فيه : استعمال صيغة الأمر للتمنى .

وقد أخذ الطِّرِمَّاح هذا البيت وغير قافيته ، فقال [من الطويل] :

ألاَ أيها الليل الطويلُ ألاَ اصبحِ   بيومٍ وما الاصباحُ منكَ بأروَحِ

أشعار فى طول الليل

وَما أحسن قول أبى العلاء المعرى فى طول الليل [من الطويل] :

وليْلين حالٍ بالكواكب جَوْزُهُ   وآخرُ من حَلْىِ الكواكب عاطلُ
كأنَّ دجاهُ الهجرُ والفجرُ موعدٌ   بوصلٍ وضوءُ الصبح حِبٌّ مماطلُ
قطعْتُ به بحراً يعبُّ عُبابُهُ   وليسَ لهُ إلا التبلُّجَ ساحلُ

وللوأواء الدمشقى فيه أيضاً [من مخلع البسيط] :

أطالَ لَيلُ الصُّدودِ حتى أيستُ مِنْ غُرةِ الصَّباحِ
كأنهُ إذْ دَجا غُرابٌ قَدْ حَضَنَ الأرضَ بالجناحِ

وما أحسن قول الخطيرى [من البسيط] :

شابتْ ذَوائبُ صَبْرِى يا مُعذِّبتى في لَيلتى وَعِذارُ اللَّيلِ لمْ يَشبِ
وَدونَ صُبحى سِترٌ مِنْ زُمردَةٍ مُسمرٌ بِمساميرٍ مِنَ الذَّهبِ

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ما شاء [من الطويل] :

تَراهُ كَمَلْكِ الزَّنجِ مِنْ فَرطِ كِبْرِهِ إذا رَامَ مَشياً فى تَبختُرِهِ أبْطا
مُطِلاً على الآفاقِ والْبدرُ تاجهُ وَقدْ علَّقَ الجَوزاء فى أذْنهِ قُرطا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضاً [من الكامل] :

ولرُبَّ لَيلٍ تاهَ فِيهِ نَجمهُ فَقطعتهُ سَهراً فَطالَ وعَسْعسا
وَسألتهُ عَنْ صُبحِهِ فأجابنى لوْ كانَ فى قَيدِ الحياةِ تنفَّسا

ومثله قول الآخر [من المجتث] :

ماتَ الصَّباحُ بِلَيْلٍ أحْيَيتهُ حِينَ عَسعسْ
لوْ كانَ لِلَّيلِ صُبحٌ يَعيشُ كانَ تَنفَّسْ

ولابن منقذ أيضاً [من الكامل] :

لما رَأيتُ النَّجمَ ساهٍ طَرْفُهُ والْقطبُ قَدْ ألقى عَليهِ سُباتا
وَبناتُ نَعْشٍ فى الحِدادِ سَوافِراً أيقنتُ أنَّ صَباحهمْ قَدْ ماتا

وللوأواء الدمشقى [من الوافر] :

وليلٍ مثل يوم البينِ طولاً إذا أفَلَتْ كواكبُه تعودُ
بدائعُ نومِها فيه انتباهٌ فأعيُنُهـا مفتَّحةٌ رُقودُ

وله أيضاً [من الوافر] :

وليلٍ مثل يومِ الحشرِ طولاً كأنَّ ظلامَهُ لونُ الصدُودِ
بياضُ هلالهِ فيهِ سوادٌ كأثرِ اللطمِ فى يَقَقِ الخدودِ

وما أحسن اعتذار الأرَّجانىّ عن طول الليل [من الكامل] :

لا أدَّعى جَوْر الزَّمان ولا أرَى لَيْلِى يزيدُ على الليالى طُولا
لكنَّ مرآةَ الصباحِ تنفُّسى للهمِّ أصدأ وَجْهَها المصقولا

وقد أخذه من قول علىّ بن هشام [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعى أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تغورْ
ليلى كما شاءتْ ، فان لم تَجُدْ طالَ ، و إنْ جادَت فليلى قَصيرْ

وهو من قول علىّ بن الخليل [من السريع] :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدَّعى أنّ نجومَ الليلِ ليستْ تَزُولْ
ليلى كما شاءتْ قصيرٌ إذا جادتْ ، فان صدَّت فليلى يطولْ

وأورد ابن الصولىّ لابن الخليل أيضاً قوله [من الطويل] :

يقولونَ طالَ الليلُ واللَّيلُ لم يَطُلْ وَلكنَّ مَنْ يَهوَى مِنَ الشَّوقِ يَسهرُ
أنامُ إذَا ما اللَّيلُ مهّدَ مَضجعى وَأفقدُ نومى حِينَ أجفَى وأهجَرُ
فَكم لَيلةٍ طالتْ علىَّ لِصدِّها وَأخرَى ألاقيها بِوصلٍ فتقْصُرُ

وفى معناه قول الأديب الحرَّانى [من البسيط] :

جاءتْ تُسائلُ عَنْ لَيلى فقلتُ لها وَسورةُ الهمِّ تمحو سِيرةَ الجذلِ
لَيلى بكفَّيكِ فاغنَىْ عَنْ سُؤالكِ لى إنْ بِنتِ طالَ وَإنْ وَاصلتِ لمْ يَطُلِ

وقول بعض المتأخرين [من البسيط] :

لَيلِى ولَيلَى نَفى نومى خِلافُهما حتى لَقَدْ صيَّرَانى فى الهوَى مَثلاَ
يَجودُ بالطُّولِ لَيلى كلَّما بَخلتْ بالطُّول لَيلَى وَإنْ جادتْ به بَخلاَ

وقول ابن أبي حصينة [من البسيط] :

يا لَيلُ ما طُلتَ عمَّا كُنتُ أعْرِفهُ   وَإنما طالَ بي فِيكَ الذي أجِدُ

وما أحسن قول بعضهم فيه [من البسيط] :

سَهِرتُ لَيلاتِ وَصلى فَرحةً بِهِمُ   وَليلةُ الهجرِ كَمْ قَضَّيتها سَهَرا

إذَا تَقَضّى زَماني كلُّهُ سَهَراً   فمَا أبالى أطالَ اللَّيلُ أمْ قَصُرَا

ومثله قول الآخر [من المنسرح] :

فى الهجْرِ وَالوصلِ ما تَذوقُ كَرًى   عَينى فمَا يَنقضى تَسهُّدُهَا

فَليلةُ الهجرِ لاَ رُقادَ بِهَا   وَليلة الْوصلِ كَيفَ أرْقُدُهَا

وقول أبي الحسن البصرى [من المتقارب] :

ولما تعرَّضَ لى زائراً   وما كانَ عِندِى له مَوْعِدُ

سَهِرت اغتناماً لِلَيل الوِصالِ   لعلمى به أنه يَنفَدُ

فقالَ وقد رقَّ لى قلبُهُ   وأيقن أنى به مكمد

إذا كنتَ تَسهرُ ليلَ الوِصالِ   ولَيْلَ النَّوى فمتى ترقُدُ

وقد أكثر الشعراء فى هذا المعنى ، وفيما أوردته مقنع.

شواهد الوصل والفصل

مما أخذ على أبي تمام

٤٧ — لا والذى هوَ عالم أنَّ النّوى صَبرٌ وأن أبا الحُسَين كَرِيمُ

البيت لأبى تمام[١] الطائى ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، وأولها[٢] :

أسْقَى طُلولَهُمُ أجَشُّ هَزِيمُ وغَدَتْ عليهم نَضْرَةٌ ونَعِيمُ
جادت معاهدَهم عِهَادُ سحابةٍ ما عهدُها عند الديارِ ذَمِيمُ
سَفِهَ الفراقُ عليك يوم تحمَّلوا رُبَّمَا أراه وهو عنك حَلِيمُ[٣]
ظَلَمَتْكَ ظالمةُ البرىء ظَلُومُ والظلم من ذى قُدْرة مذموم
زَعمَتْ هواكَ عفا الغداةَ كما عفَا منها طُلُولٌ باللوى ورسوم[٤]

لا والذى هو عالم . . . . . . البيت ، و بعده :

ما حُلْتُ عن سنن الوفاءِ ولا غدت نفسى على إلفٍ سواكِ تَحُومُ[٥]

والنوى : الفراق .

والشاهد فيه : أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة[٦] ولا كذلك فى هذا البيت ، إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ، سواء كان نواه أو نوى غيره ، فهذا العطف غير مقبول ، سواء جعل عطفَ مفرد على مفرد كما هو الظاهر ، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولى العلم لأن وجود الجامع شرط فيهما ، ولهذا عيب على أبى تمام كما سيأتى فى حسن التخلص إن شاء الله تعالى .

---

(١) وهو من شواهد الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (ص١٧٣)
(٢) اقرأها فى الديوان (٢٩٩)
(٣) فى الديوان «يوم رحيلهم» فى مكان «يوم تحملوا»
(٤) فى الديوان « كما عفت »
(٥) فى الديوان « مازلت عن سنن الوداد »
(٦) كذا فى الأصول ، ولعل الأحسن « جهة جامعة »

شاهد امتناع العطف لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاء

٤٨ — * وَقَالَ رَائِدُهم أَرْسُوا نُزَاوِلُهَا *

هو من البسيط، وقائله الأخطل، كذا ذكره سيبويه، وليس هو في[1] ديوانه، وتمامه:

* وكل حَتْفِ امرئ يجرى بمقدارِ *

وبعده:

إما نموتُ كراماً أو نفوز بها فواحد الدهر من كدٍّ وأسفار

والرائد: المرسَلُ في طلب الكلأ. وأرسوا — بقطع الهمزة — من رست السفينة تَرْسُو رَسْواً ورُسُوًّا إذا وقفت على الأنجر مُعَرَّبَ لنكر، وهو مِرْساة السفينة، وهى خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة إذا رست السفينة، أو هو من «رست أقدامهم في الحرب» أى ثبتت. ونزاولها: من المزاولة وهى المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء، والضمير للسفينة، وقيل: للحرب، وقيل: للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذى بعده.

والشاهد في قوله «نزاولها» فانه فصله عن قوله «أرسوا» لأن الأول أمر والثاني خبر، فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبراً وطلباً، لفظاً ومعنى.

ومن هذا الضرب قول اليزيدى أو إبراهيم بن المدبر[2] [من السريع]:

ملكته حبلى ولكنه ألقاه من زُهْدٍ على غاربى

---

(١) بحثت ديوان الأخطل المطبوع في بيروت فلم أجد هذين البيتين فيه

(٢) في المطبوعتين «ابن المدايني» وقد نسب الشيخ عبدالقاهر في دلائل الاعجاز (١٨٣) هذين البيتين إلى اليزيدى، ويوجد بهامش مطبوعة بولاق مانصه «قوله إبراهيم بن المدايني، هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها إبراهيم ابن المدبر، وفي بعضها المدبر بن إبراهيم» اهـ، وهما في الأغاني (١٩-١١٩) منسوبان إلى إبراهيم بن المدبر في قصة

وقالَ : إنى فى الهوى كاذبٌ ، انتقمَ اللهُ من الكاذبِ !

وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت ، قال الشيرازى : وهو أنسب بالمقام .

والأخطل [١] هو : غياث [٢] بن غوث بن الصلت [٣] بن الطارقة ، ينتهى نسبه لتغلب ، و يكنى أبا مالك ، والأخطل لقبه ، عن أبى عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلا من قومه ، فقال له : ياغلام ، إنك لأخطل ، والأخطل : السفيه ، وكان نصرانياً من أهل الجزيرة، ومحله فى الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف ، وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ، ولم يقع إجماعٌ على أحدهم أنه أفضلهم ، ولكل واحد منهم عصبة تفضله على الجماعة .

وقال أبو عمرو : لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدّمتُ عليه أحداً .

وقال الأصمعى : إنما أدرك جرير الأخطل ، وهو شيخ قد تحطم ، وكان الأخطل أسنّ من جرير ، وكان أبو عبيدة يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره، وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق : إنما تفضله لأنه فاسق مثلك ، فقال : لو فضلته بالفسق لفضلتك ، وقال الأخطل لعبدالملك ابن مروان : ياأمير المؤمنين ، زعم ابن المراغة — يعنى جريراً — أنه يبلغ مدحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مدحتك :

---

(١) تجد ترجمة الأخطل فى الأغانى (٧ — ١٦٩) وفى الشعراء لابن قتيبة (٣٠١ — ٣١٢) وفي خزانة الأدب للبغدادى

(٢) ويقال : اسمه غويث بن غوث

(٣) قال المدائنى : غياث بن غوث بن مسلمة بن طارقة ، وذكره فى الأغانى

* خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكرُوا (١)

سنةً فما بلغتُ ما أردت ، فقال عبد الملك : أسْمِعْنَاها يا أخطل ، فلما أنشدها قال له عبد الملك : أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال : أكتفى بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بجفنة كانت بين يديه ، فملئت له دراهم ، وألقيت عليه خلع ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرَب .

وأنشد لعبد الملك قول كثير فيه [من الطويل] :

فما تركوها عنوةً عن مودّةٍ ولكنْ بحدِّ المشرفى استقالها(٢)

فأعجب به ، فقال له الأخطل : ماقلت لك والله ياأميرَ المؤمنين أحسنُ منه ، قال : وما قلت؟ قال : قلت [من الطويل] :

أهَلّوامن الشهرِ الحرامِ فأصبحوا مَوَالىَ مُلْكٍ لاطَرِيفٍ ولاغصب(٣)

جعلته لك حقا ، وجعله لك غصباً ، قال : صدقت .

وأصبح عبد الملك يوماً فى غداة باردة ، فتمثل بقول الأخطل ، [من الوافر] :

---

(١) هذا صدر المطلع ، وعجزه قوله : *وأزعجتهم نوى فى صرفهاغير* وعدتها أربعة وثمانون بيتا ، واقرأها إن شئت فى الديوان (٩٨)

(٢) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب وفى الأغانى ، ووقع فى الديوان (٢ – ٥٣) « فما أسلموها عنوة » وعنوة ههنا بمعنى الطواعية ، قال ابن السكيت : العنوة بلغة أهل الحجاز وهم خزاعة وهذيل : الطوع . اهـ .

(٣) أهلوا من الشهر الحرام : معناه أنهم خرجوا فى استهلاله ، وموالى ملك : يريد به أنهم يوالونه ، ولا طريف : ليس بمستحدث ولكنه موروث عن الآباء ، ولا غصب : معناه أنه لم يأخذ الخلافة اغتصابا ، وإنما أخذها بالاستحقاق . وانظر هذا البيت فى الديوان (٢٤) أثناء قصيدة عدتها أربعة وخمسون بيتا ، ومطلعها قوله :

لعمرى لقد أسريت لاليل عاجز بساهمة الخدين طاوية القرب

(١٨ – معاهد ١)

إذا اصطَبحَ الفتى منها ثلاثاً بغيرِ المـاء حاولَ أن يطولاَ
مشى قرشيَّةً لا شكَّ فيها وأرْخَى من مآزرِهِ فُضُولاَ

ثم قال : كأني أنظر إليه الساعة محلل الازار ، مستقبلا للشمس فى حانوت من حوانيت دمشق ، ثم بعثَ رجلا يطلبه ، فوجده كذلك .

وقدم الأخطل مرة على عبد الملك بن مروَان ، فنزل على سرجون[١] كاتبه، فقال له : على من نزلت ؟ فأخبره ، فقالَ له : قاتلك الله ! ما أخبرك بصالح المنازل ، فما تريد أن ننزلك ؟ قال : فى درمك من درمككم هذا ، ولحم وخمر من بيت رأس ، فضحك عبد الملك وقال : ويلك ! وعلى أى شىء اقتتلنا إلا على هذا ؟ ثم قال له : ألا تسلم فنفرض لك ألفين فى عطائك وتوصل بعشرة آلاف درهم ؟ قال: فكيف بالخمر ؟ قال: وما تصنع بها و إن أولها لمرّ و إن آخرها لسكر، قال: أما إن قلت ذاك فان بينهما لمنزلة ما مُلْكُك فيها إلا كلعقة من ماء الفرات بالاصبع ، فضحك عبد الملك ، ثم قال : ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيرك ؟ فقال : أطائع أم كاره ؟ قال : بل طائع ، قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك ، ولا قو به على قربك ، إنى إذاً لكما قال الشاعر [من الوافر] :

كَمُبتاعٍ لمركبهِ حِماراً يُغيرهُ مِنَ الفرسِ الكريمِ[٢]

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمره أن يمدح الحجاج ، فمدحه بقوله [من الكامل] :

---

(١) فى الأصول «ابن سرجون» وفي الأغانى «ابن سرحون» بالحاء المهملة والذين عدهم الجهشيارى من كتاب عبد الملك: روح بن زنباع، وربيعة الجرشى، وسرجون بن منصور النصرانى ، وهذا هو المقصود فى القصة ، لا جرم أسقطنا كلمة «ابن»

(٢) روى هذا البيت في الأغانى :

كمبتاع ليركبه حمارا تخيره عن الفرس الكريم

صَرَمَتْ حِبالَكَ زَيْنبٌ وَرَعومُ وَبدَا الُمجمجمُ مِنهما المكتومُ

ووَجَّه بالقصيدة مع ابنه إليه .

ودخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعى الشاعر ، فقال له بشر : أأنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعى: ماتقول ؟ فقال: أما أشعر منى فعسى، وأما أكرم منى فان كان فى أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم، فلما خرج الأخطل قال له رجل : أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ فقال : ويحك ! إن أبا نسطوس قد وضع فى رأسى أكؤسا ثلاثا ، والله لاأعقل معها .

وحدث قحافة المرى (١) قال : دخل الأخطل على عبد الملك ، فاستنشده ، فقال : قد يبس حلقى فمر مَنْ يسقينى ، فقال : اسقوه ماء ، فقال : هو شراب الحمار ، وهو عندنا كثير ، قال : فاسقوه لبنا ، قال : عن اللبن فُطِمْتُ ، قال : فاسقوه عسلا ، قال : شراب المريض ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : خمرا يا أمير المؤمنين ، قال : أو عهدتنى أسقى الخمر ؟ لا أم لك ! لولا حُرْمتك بنا لفعلت وفعلت ، فخرج فلقى فراشا لعبد الملك ، فقال : ويلك ! إن أمير المؤمنين استنشدنى وقد صحل (٢) صوتى فاسقنى شربة خمر ، فسقاه رطلا ، فقال : اعدله بآخر ، فسقاه رطلا آخر ، فقال : تركتهما يعتركان فى بطنى ، فاسقنى ثالثا ، فسقاه ثالثا ، فقال : تركتنى أمشى على واحدة ، اعدل ميلى برابع ، فسقاه رابعا ، فدخل على عبد الملك فأنشده :

* خفَّ القطينُ فَراحوا مِنكَ أوْ بَكرُوا *

فقال : لا ، بل منك ، وتَطَيَّرَ من قوله ، قال : ومر فى القصيدة حتى بلغ إلى قوله [من البسيط] :

---

(١) فى الأغانى « أبو قحافة المرى »

(٢) صحل يصحل — من باب طرب — أى بح

شُمْسُ العداوة حتى يُسْتَقَادَ لهم   وأعظَمُ الناس أحلاماإذا قَدَرُوا

فقال عبد الملك: خذ بيديه يا غلام فأخرجه ، ثم ألق عليه من الخلع مايغمره وأحسن جائزته ، ثم قال : إن لكل قوم شاعراً ، و إن شاعر بنى أمية الأخطل

وقال أبو عبد الملك : كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت فى شىء رضيت بالأخطل ، وكان يدخل المسجد فيقومون إليه ، ورأيته بالجزيرة وقد شكى إلى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصىء كما يصىء الفرخ ، فقلت له : أين هذا مما كنت عليه بالكوفة ؟ فقال : يا ابن أخى إذا جاء الدين ذللنا

وحدث إسحاق بن عبد الله المطلبى[١] قال : قدمت الشام وأنا شاب مع أبى فكنت أطوف فى كنائسها ومساجدها ، فدخلت كنيسة دمشق فاذا الأخطل فيها محبوس ، فسأل عنى ، فأخبر بنسبى ، فقال : يافتى إنك رجل شريف وأنا أسألك حاجة ، فقلت : حاجتك مقضية ، فقال : إن القس قدحبسنى هنا فتكلمه ليخلى عنى ، فأتيت القس فانتسبت له فرحب بى وعظَّم ، فقلت : إن لى إليك حاجة ، قال : وماحاجتك ؟ فقلت : الأخطل تخلى عنه ، فقال : أعيذك بالله من هذا ، فان مثلك لايتكلم فيه فانه فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم ، فلم أزل أطلب إليه حتى مضى متكئا على عصاه فوقف عليه ورفع عصاه وقال له : يا عدو الله ، أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات ؟ وهو يقول : لست بعائد ، ولا أفعل ، و يستخزى له ، فقلت : يا أبا مالك ، الناس يهابونك ، والخليفة يكرمك ، وقدرك فى الناس رفيع ، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخزى له قال : فجعل يقول لى : إنه الدين .

وحدث الهيثم قال : كانت امرأة الأخطل حاملا ، وكان متمسكا بدينه ، فمر

---

(١) ذكر فى الأغانى نسبه وأنه: إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب

به الأسقف يوما فقال لها: الحقيه فتمسحي به ، فعَدَتْ وراءه فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به، ورجعت فأخبرته ، فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

وسمع هشام الأخطل ، وهو يقول [من الكامل] :

و إذا افتقرتَ إلى الذَّخائرِ لم تجد ذُخْراً يكون كصالح الأعمال

فقال له : هنيئا لك يا أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما زلت مسلما فى دينى .

وحدث أبو محمد اليزيدى قال : خرج الفرزدق يوما يؤم [1] بعض ملوك بنى أمية ، فرُفع له فى طريقه بيت أحمر من أدَم، فدنا منه وسأل ، فقيل له : الأخطل، فاستقرى [2] فقيل له : انزل ، فقام إليه الأخطل وهو لا يعرف إلا أنه ضيف ، فجلسا يتحادثان ، فقال له الأخطل : ممن الرجل ؟ قال : من تميم ، قال : فأنت إذن من رهط أخى الفرزدق ، فهل تحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم كثيراً ، فما زالا يتناشدان و يتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق ، إلى أن عمل فيه الشراب ، وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك : أنتم معشر الحنيفية لاترون أن تشربوا من شرابنا ، فقال الفرزدق [من المجتث] :

خَفِّضْ عليك قليلاً وهاتِ لى من شرابك

فلما عملت الراح فيه قال : والله أنا الذى أقول فى جرير، وأنشده ، فقام الأخطل وقبّل رأسه وقال: لاجزاك الله عنى خيراً ! لم كتمتنى نفسك منذ اليوم؟ وأخذا فى شرابهما ، وتناشدا إلى أن قال له الأخطل : والله إنك و إياى لأشعر من جرير، ولـكنه أوتى من سَيْرِ الشعر ما لم نُؤْتَه ، قلت أنا بيتاً ما أعلم أحداً

---

(١) فى الأصول «مع بعض ملوك بنى أمية» وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغاني ، وبه تستقيم القصة

(٢) استقرى : طلب القرى ، وهو ما يقدم للضيف

قال أهجى منه ، قلت : وما هو ؟ قال الأخطل : قلتُ [من البسيط] :

قَومٌ إذا استَنْبَحَ الأضيافُ كلبهُم قالوا لأمهِّم بولى على النار[١]

فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر ، وقال هو [من الكامل] :

والتَّغْلَبِيُّ إذا تنحنَحَ للقِرى حكَّ استَهُ وتمثل الأمثالا

فلم تبق سفلة ولا أمثالها إلا رَوَوْه ، قال : فقضوا له أنه أسْيَر شعراً منهما .

وعن محمد بن سلاَّم قال : قيل إنه لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له : يا أبا مالك ، ألا توصى ، قال : بلى ، ثم قال [من المتقارب] :

أُوَصِّى الفَرَزدقَ عند المماتِ بأم جَرِيرٍ وأعْيارِها

وزارَ القبورَ أبو مالكٍ برغم العُداة وأوْتَارِها

* * *

شاهد كمال الاتصال

٤٩ — أقولُ له ارحَلْ لا تُقيمَنَّ عندنا وإلا فكُنْ فى السِّر والجهرِ مُسْلِما

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله ، وكذلك ذكر العينى فى شواهده .

ومعناه : إن لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين فى السر والجهر .

والشاهد فيه : كون الجملتين بينهما كمال الاتصال ، لكون الثانية أوفى بتأدية المراد من الأولى ، فنزلت منزلة بدل الأشتمال فلم تعطف عليها ، وهما ههنا قوله « ارحل » وقوله « لا تقيمن عندنا » لأن فى قوله « ارحل » كمال إظهار الكراهة لاقامة المخاطب ، وقوله « لا تقيمن عندنا » أوفى بتأدية المراد لدلالته على إظهار الكراهة لاقامته بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين .

---

(١) فى هذا البيت من أوصاف الهجاء : رميهم بالبخل ، واستصغار نارهم حتى إنها لتنطفىء ببولة ، وامتهان أمهم حتى إنهم ليكلفونها حقائر الأمور

شاهد
عطف البيان
فى المفردات

٥٠ — * أقسمَ بالله أبو حَفْصٍ عمر *

هو من الرجز ، قائله أعرابى [١] ، و بعده :

ما إن بها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ   اغفر له اللهم إن كانَ فَجَرْ

يروى أن هذا الأعرابى جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إن أهلى ببادية بعيدة ، و إنى على ناقة دَبْراء عَجْفاء نَقْباء ، واستحمله [٢] ، فظنه كاذبا ، فلم يحمله ، فانطلق الأعرابى فحل [٣] ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الأبيات ، وعمر رضى الله عنه مقبل من أعلى الوادى ، فجعل إذا قال «اغفر له اللهم إن كان فجر» قال : اللهم صدِّقْ ، حتى التقيا ، فأخذ بيده ، وقال له : ضع عن راحلتك ، فوضع فاذا هى كما وصف ، فحمله على بعير ، وزوده وكساه

والنَّقَبُ : رقّة الأخفاف . والدبر : قرحة الدابة .

والشاهد فيه : جعل « عمر » بيانا وتوضيحا لأبى حفص .

* * *

شاهد
الاستئناف

٥١ — وتَظُنُّ سَلمى أننى أبغى بها   بَدَلاً أراها فى الضلال تهيمُ

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله ، وكذلك ذكر العينى أيضاً .

والضلال : ضد الهدى .

---

(١) ذكر صاحب الخزانة (٢ ـ ٣٥٢) نقلا عن ابن حجر فى الاصابة وعن المرزبانى فى معجم الشعراء أن اسم هذا الأعرابى عبد الله بن كيسبة ، ويقال : اسمه عمرو بن كيسبة ـ بكسر الكاف وسكون الياء بعدها سين مهملة مفتوحة ـ وهاك الرجز بتمامه مع بعض اختلاف فى ألفاظه :

أقسم بالله أبو حفص عمر   ما مسها من نقب ولا دبر

حفا ولا أجهدها طول السفر   وأنت لو أبصرت نضوى ياعمر

ومابها ـ عمرك ـ من سوء الأثر   عددتنى كابن سبيل قد حضر

(٢) استحمله : طلب منه أن يحمله ، أى يعطيه دابة يركبها

(٣) فى المطبوعتين « فحمل ناقته » بزيادة ميم

والشاهد فيه : عدم عطف الجملة الثانية لـكونه موهما له على غيرها [١] لأن بين الجملتين الخبريتين ، وهما « وتظن سلمى » و« أراها » مناسبة ظاهرة لاتحادهما في المسند ، لأن معنى أراها أظنها ، والمسند إليه في الأولى محبوب ، وفي الثانية محب ، فلو عطف أراها على تظن لتوهم أنه عطف على أبغي وهو أقرب إليه ، فيكون من مظنونات سلمى ، وليس كذلك .

* * *

قال لي كيف أنتَ قلتُ عَليلُ سَهَرٌ دائم وحُزْنٌ طويلُ

البيت من الخفيف ، وتقدم في شواهد المسند إليه [٢] .

والشاهد فيه هنا : وقوع الجملة الثانية مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق : أي ما بال علتك ؟ فقال : سهر ، وذلك لأن العادة جرت بأنه إذا قيل « فلان عليل » أن يسأل عن سبب علته ، لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا ، لا سيما السهر والحزن ، فانه قلما يقال هل سبب مرضه السهر والحزن ، لأنه أبعد أسبابه ، فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص ، وعدم التوكيد يشعر به .

ومثله قول أبي العلاء المعري [من البسيط] :

وقد غَرِضْتُ من الدنيا فهل زمني مُعْطٍ حياتي لغِرٍّ بعدما غَرِضَا
جرَّبتُ دهري وأهليه فما تَرَكَتْ لِيَ التجاربُ في وُدِّ امرىءٍ غَرَضَا

---

(١) يريد أن الاتيان بواو العطف يوهم أن المعطوف عليه غير ما قصد إليه الشاعر ، فانه لو عطفه لـكان مقصوده العطف على جملة « وتظن سلمى » ولـكن واو العطف توهم إيهاما قريبا أن المعطوف عليه هو جملة « أبغي بها » لما ذكره المؤلف

(٢) هو الشاهد رقم ١٥ فانظره في (ص ١٠٠ من هذا الجزء) وقد استشهد به الشيخ عبد القاهر في باب الفصل والوصل من دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

أى : لم تقول هذا وما ألجأك إليه ؟ فقال : جربت إلخ .

* * *

يقع الاستئناف جوابا لسؤال عن غير سبب

٥٢ — زعمَ العَواذلُ أننى فى غَمْرَةٍ صَدَقوا ولكن غمْرَتى لا تَنْجَلى

البيت من الكامل ، ولا أعرف [١] قائله .

والعواذل : جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة ، لا امرأة عاذلة ، بدليل قوله « صدقوا » وغمرة الشيء : شدته ومُزْدَحَمُه .

والشاهد فيه : وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص ، كأنه قيل : أصدقوا فى هذا الزعم أم كذبوا ؟ فقال : صدقوا ، وفَصَلَه عما قبله لكونه استئنافا .

ومنه قول جندب بن عمار [٢] [من الكامل] :

زعمَ العواذِلُ أن ناقةَ جُنْدَبٍ بجنوب خَبْتَ عُرِّيَتْ وأُجِمَّتِ [٣]

كذبَ العواذل لو رأينَ مُناخَنَا بالقادسيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وذلت

ومثله قول لبيد [٤] [من الهزج] :

عَرَفْتُ المنزل الخالى عفَا من بعْدِ أحوالِ

---

(١) استشهد به الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (١٨٢) ولم ينسبه أيضا

(٢) هما من شعر الحماسة غير منسوبين (انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة بتحقيقنا ١ — ٢٩٤) وقد أنشد الشيخ عبد القاهر البيتين فى دلائل الاعجاز (ص١٨٢) ونسبهما إلى الحماسة من غير تعيين قائل

(٣) فى المطبوعتين «غربت» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الحماسة ودلائل الاعجاز. وخبت: موضع بالشام ، وهو المناسب هنا . وهو اسم موضع آخر بزبيد ، وعريت : رفعت عنها أداتها ورحلها ، وأجمت — بالبناء للمجهول — طلبت لها الراحة ، وذلك كناية عن تركها بغير ركوب

(٤) أنشدهما فى دلائل الاعجاز (١٨٤)

عفاه كل هَتّانٍ عَسوف الوبْلِ هَطّالِ [1]

وقول أبي الطيب المتنبي [من الوافر] [2] :

وما عفتِ الرياحُ لهم مَحلاً عفاه مَن حدا بهمُ وساقا

* * *

قيام شيء مقام الاستئناف

٥٣ — زَعمتُمْ أنَّ إخوتَكُمْ قُرَيْشٌ لهُمْ إلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلافُ

البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير [3] ، من الوافر يهجو بني أسد ، وبعده :

أولئك أومِنُوا جُوعاً وخَوْفاً وقد جاعتْ بنو أسدٍ وخافُوا

والزعم : ادّعاء العلم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « زَعَمُوا مَطِيَّةُ الْكَذِبِ » وعن شريح رحمه الله : لكل شيء كُنْية ، وكنية الكذب زعموا . لكن سيبويه رحمه الله يكثر في كتابه من قول « زعم الخليل » لا يريد بذلك إبطال قوله ، وقال أبو طالب للنبيّ صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

ودعوتَني وزعمْتَ أنك صادقٌ ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينَا

وقريش : هي القبيلة المشهورة ، سموا بذلك لتجمُّعهم في الحرم ، أو لأنهم كانوا يتقرّشون المبتاعات فيشترونها ، أو لأنّ النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه فقيل تقرّش ، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جملٌ قريش : أي شديد ، أو سموا بمصغر القرشْ [3] وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها ، والإلف

(١) في دلائل الاعجاز « كل حنان »

(٢) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

(٣) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٣) من غير نسبة إلى قائل

(٤) القرش — بكسر القاف — دابة تكون في البحر الملح . والذي ذكره علماء الاشتقاق أن قريشا سميت بدابة تكون في البحر اسمها القريش على صورة =

والإيلاف: العهد، وشبه الاجازة بالخفارة، وأول من أخذها هاشم من ملك الشام، فكان هاشم يولف إلى الشام، وعبد شمس إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكان تجار قريش يختلفون إلى هـذه الأمصار بحبال هذه الإخوة فلا يتعرض لهم أحد، وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلا من ملك ناحيةِ سفرهِ أماناً له.

والشاهد فيه: حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه، فكأنهم قالوا: أصدقنا فى هذا الزعم أم كذبنا؟ فقيل: كذبتم، فحذف هـذا الاستئناف وأقيم قوله «لهم إلف وليس لكم إلاف» مقامه لدلالته عليه.

ترجمة مساور بن هند

ومساور [١] بن هند بن قيس بن زهـير العبسى شاعر، وكان جـده قيس مشهوراً فى الجاهلية، ولا سيما فى حرب داحس والغـبراء، وذكر الأصمعى ما يدل على أن له إدراكا للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: وكان نحو أبى عمرو بن العلاء رحمهما الله فى السن، وقال: حدثنى من رأى مساور بن هنـد أنه ولد فى حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاما. وذكره المرزبانى فى معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان. وفى حكاية الأصمعى أنه لما عمر صغرت عيناه وكبرت أذناه، فجعلوه فى بيت صغير ووكلوا به امرأة، فرأى ذات

= المصغر» وفي اللسان« وقريش دابة فى البحر لاتدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها. وقريش قبيلة سيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى، دون ولد كنانة ومن فوقه، قيل: سموا بقريش مشتق من الدابة التى ذكرناها التى تخافها جميع الدواب» اهـ وقد قال الشاعر:

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشـا

(١) انظر نسبه واشتقاق اسمه واسم أبيه في شرح التبريزى على الحماسة (٣ ـ ٤) وانظر شعرا له فى شرح الحماسة (٣ ـ ٤ و ٣٠)

يوم غفلة فخرج فجلس فى وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فقال هذه فلانة ، وهذه فلانة ، ثم أحس بالمرأة فقام وهرب . وقال الأصمعى : بلغنى أنه أتى به إلى الحجاج فقال له : ما تصنع بقولك الشعر وقد كبرت ؟ فقال: أسقى به الماء ، وأرعى به الكلأ ، وتقضى لى به الحاجة ، فان كفيتنى ذلك تركته . وقال المرزبانى : كان أعور (١) وهو من المتقدمين فى الاسلام ، هو وأبوه وجده أشراف من بنى عبس شعراء فرسان ، وهو القائل [من الطويل] :

جزى الله خيراً غالباً من قبيلةٍ إذا حدثانُ الدهر نابت نوائبُه (٢)

إذا أخذت بُزْلُ المخاض سلاحها تجرد فيهم متْلفَ المالِ كاسبه

يقال : أخذت الابل سلاحها ، إذا استحياها صاحبها فلم يذبحها .

* * *

شاهد الجامع الوهمى

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

هو من البسيط ، وتمامه :

* شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ *

وقد تقدم الكلام عليه فى شواهد المسند (٣) .

والشاهد فيه هنا : بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمىّ ، وهو ما بينها من شبه التماثل حمل الوهم على أن يحتال فى اجتماعها فى المفكرة وإبرازها فى معرض الأمثال متوهمًا أنها من نوع واحد ، وإنما اختلفت بالعوارض والمشخِّصات ، بخلاف العقل ، فإنه إذا خلى ونفسَه حكم بأن كلا منها من نوع

(١) في شعره فى الحماسة (٢ – ٣٠) ما يؤيد أنه كان أعور ، فانه يقول :

وأرى الغوانى بعد ما أوجهننى أعرضن ثمت قلن شيخ أعور

(٢) يروى « جزى الله خيرا غالبا من عشيرة »

(٣) هو الشاهد رقم (٤٠) فانظره فى (ص ٢١٥ من هذا الجزء)

آخر ، و إنما اشتركت فى عارض هو إشراق الدنيا ببهجتها ، على أن ذلك فى أبى إسحاق مجاز .

ونظيره قول الآخر [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرءِ فى الخلق مطمعٌ   فذو التاج والسقّاء والذّرّ واحدُ

* * *

دخول واو الحال على المضارع المثبت

٥٤ — فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ   نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا

البيت لعبد الله بن همّام السلولىّ [١] ، من المتقارب ، و بعده :

عريفاً مقيماً بدَارِ الهوا   نِ أهونْ علىَّ بِهِ هالكَا

وهذان البيتان من جملة أبيات ، منها :

فقلتُ أجِرْنى أبا خالدٍ   و إلاّ تجدنى امْرَأً هالكا[٢]

يريد بأبى خالد هنا يزيد بن معاوية ، والذى خشيه عبيدُ الله بن زياد ، وكان قد توعّده ، فهرب إلى الشام ، واستجار بيزيد فأمّنهُ ، وكتب إلى عُبَيْد الله يأمرهُ بالصفح عنه ، ومالك المذكور هو : عريفه . والأظافير : جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضاً على أظفار .

والمعنى: لما خشيتُ حملته و إنشابَ أظفاره نجوت وخلّيت بينه و بين مالك.

والشاهد فيه : دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه فى الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها الغير الخالية منه ، إذ قد قيل إنه على حذف المبتدأ ، أى وأنا أرهنهم ، فتكون اسمية ، فيصح دخولها، وعليه

---

(١) وأنشده الشيخ عبد القاهر فى مبحث الجملة الحالية بالواو وغيره من دلائل الاعجاز (١٥٩)

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة وهم يروونه «و إلا فهبنى امرأ» وانظره فى شرح الشواهد للعينى (٢ ـ ٣٧٨ بهامش الخزانة)

قوله تعالى : (لِمَ تؤذونني وقد تعلمون أني رسولُ الله إليكم) أى : وأنتم قد تعلمون ، وقيل : ضرورة . وقال عبد القاهر[١] هي فيه للعطف ، والأصل ورهنتهم عدل إلى المضارع لحكاية حال ماضية ، ومعناهُ : أنه يفرض ما كان في الزمن الماضي واقعاً في هذا الزمان ، فعبر عنه بلفظ المضارع ، كما في قول الشاعر [من الكامل]:

* ولقد أمرّ على اللئيم يسبني[٢] *

أي : مررت . وروى « وَأرهنتهم » . والأول رواية الأصمعي ، واستحسنه ثعلب .

ترجمة عبد الله السلولي

وعبد الله : هو أبو عبد الرحمن[٣] السلولي الكوفي ، من بني مرة بن صعصعة

---

(١) قال الشيخ عبد القاهر في (دلائل الاعجاز ١٥٩) : « فأما قول ابن همام السلولي * . . . نجوت وأرهنهم مالكا * في رواية من روى وأرهنهم ، وما شبهوه به من قولهم : قمت وأصك وجهه ـ فليست الواو فيها للحال ، وليس المعنى : نجوت راهنا مالكا ، وقمت صاكا وجهه ـ ولكن أرهن وأصك حكاية حال مثل قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

فكما أن « أمر » هاهنا في معنى مررت ، كذلك أرهن وأصك هناك في معنى رهنت وصككت » اهـ . ونرى لك أن ترجع في بحث هذه المسألة إلى شرحنا على شرح الأشموني (في مباحث الحال)

(٢) هذا صدر بيت وعجزه قوله :

* فمضيت ثمت قلت لا يعنيني *

وقد سمعته في عبارة دلائل الاعجاز ، والنحاة ينسبون هذا البيت إلى رجل من بني سلول ولم يعينوه (انظر الخزانة ١ ـ ١٧٣) وقد أنشده الأصمعي في الأصمعيات ثالث خمسة أبيات ونسبها إلى شمر بن عمرو الحنفي (انظر الأصمعيات ص ٧٤)

(٣) له ترجمة في شرح الحماسة للتبريزي (٣ ـ ١٤٢) وفيها أبيات له يحمل فيها يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد ، وله شعر في حماسة البحتري (ص ١٤٥ ـ ١٧٥)

من قيس عيلان ، و بنو مرة يعرفون ببني سلول ، وهي أمهم ، وهي بنت ذهل ابن شيبان بن ثعلبة ، وهم رهط أبي مريم السلولي ، وكانت له صحبة ، وعبد الله هو القائل في الفلاقس[1] :

أقلّي علىَّ اللومَ يا ابنـة مالكٍ وذُمِّي زماناً سادَ فيـه الفلاقسُ

وساعٍ مِن السلطانِ ليسَ بناصحٍ ومحترسٍ من مثلهِ وهو حارسُ

شاهد مجيء الحال بغير واو

وهو القائل[2] ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضي الله عنه [من البسيط] :

اصبرْ يزيدُ فقدْ فارقتَ ذا مِقَةٍ واشكرْ حِباءَ الذي بالملكِ ردّاكا[3]

لا رُزْءَ أعظمُ بالأقوامِ إذْ عَلِمُوا ممَّا رُزِئْتَ ولا عُقبَى كعقباكا[4]

أصبحتَ راعِيَ أهلِ الدين كلهمُ فأنتَ ترعاهمُ والله يرعاكا[5]

وفي معاويةَ الباقي لنا خلفٌ إذا نُعيتَ ولا نَسْمَعْ بمنعاكا[6]

* * *

٥٥ — * خَرَجْتُ مَعَ البَازِي عَلَيَّ سَوَادُ *

قائله بشار بن[7] برد ، من أبيات من الطويل ، قالها في خالد بن برمك

(١) أصل الفلاقس جمع فلقس بزنة جعفر أو فلنقس بزنة سفرجل ، وهو البخيل اللئيم ، وهو أيضا الذي أبوه مولى وأمه مولاة

(٢) رواها في العقد الفريد في كتاب الدرة في النوادب والتعازي والمراثي (٣ ــ ٣٠٨ اللجنة)

(٣) في العقد « واشكر حباء الذي بالملك حاباكا »

(٤) في العقد « لا رزء أعظم في الأقوام قد علموا »

(٥) في العقد « أصبحت راعي أهل الأرض كلهم »

(٦) في العقد « إذا بقيت فلن نسمع بمنعاكا »

(٧) أنشده الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز (١٥٧) وأنشد الأبيات كلها في الأغاني (٣ ــ ٥٠) وفي خزانة الأدب (١ ــ ٥٤٠) وليست في المختار من شعر بشار، ولا واحد منها

وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأنشده قوله :

بشار وخالد البرمكي

أَخَالِدُ لَمْ أَهبِطْ عليكَ بِذِمَّةٍ ... سِوَى أنني عَافٍ وأنْتَ جَوَادُ

أَخَالِدُ إنَّ الأجرَ والحمدَ حاجتي ... فأيّهما تأتي فأنْتَ عِمَادُ

فإنْ تعطني أُفرغْ عليكَ مدائحي ... وإنْ تأبَ لم تُضرَبْ عليَّ سِدادُ

رِكَابي على حرْفٍ وقلبي مُشَيَّعٌ ... ومَالي بأرْضِ البَاخلِينَ بلادُ

إذَا أنْكرَتني بَلدةٌ أوْ نكِرتُهَا ... خَرَجْتُ مَعَ البَازِي عليَّ سَوَادُ

فدعا خالدٌ بأربعة آلاف ، في أربعة أكياس ، فوضع واحداً منها عن يمينه ، وآخر عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخرَ من ورائه ، وقال : يا أبا معاذ هل استقلَّ العماد ؟ فلمس الأكياس بيديه ، ثم قال : استقل والله أيها الأمير .

ومعنى البيت : إذا لم يعرف قدري أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متنكراً مصاحباً للبازي ، الذي هو أبكر الطيور[1] مشتملا على شيء من ظلمة الليل ، غير منتظر لاسفار الصبح ، فقوله « على سواد » أي : بقية من الليل .

والشاهد فيه : كونه حالا ترك فيه الواو .

ومثلُه قول [أمية[2] بن] أبي الصلت يمدح ابن ذي يَزَن [من البسيط] :

اشرَبْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً ... في رَأس غمْدَانَ داراً منكَ محلالا[3]

---

(١) في الأصول « أنكر الطيور » وأحسبه محرفا عما أثبتناه

(٢) زيادة لابد منها ، فالبيت لأمية بن أبي الصلت من قصيدة له مشهورة يمدح فيها ابن ذي يزن ، وأولها قوله :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزنْ ... في البحر خيم للاعداء أحوالا

والبيت قد أنشده الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز (١٥٧) ونسبه إلى أبيه وانظر مع ذلك الأغاني (١٦ - ٧١ وما بعدها)

(٣) في المطبوعتين « عليك التاج مرتفعا » محرفا عما أثبتناه

والشاهد فى قوله « عليك التاج » . وغمدان : اسم قصر باليمن ، مبنى على أربعة أوجـه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وفى داخله قصر مبنى بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، ويرى ظله إذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال ، والمحلال : بمعنى المنزل صيغة مبالغة .

ومثله قولُ الآخر يهجو خطيباً(١) [من الطويل] :

لَقَدْ صبَرَتْ للذُّلّ أعوادُ مِنبْرٍ   تَقُومُ عَلَيها فى يَديكَ قَضيبُ

ترجمة بشار ابن برد

و بشار (٢) بن برد بن يرجوخ ، ينتهى نسبه للهراسف (٣) . وكان يرجوخ من طخارستان ، من سبي المهلّب بن أبي صفرة ، و يكنى بشارٌ أبا معاذ ، ومحله فى الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلكَ يغْنِي عن وصفه والاطالة بذكره .

وهو من شعراء مُخَضْرَمِي الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد اشتهر فيهما ومدح وهجا ، وأخذ سَنِيَّ الجوائز مع الشعراء .

وعن يحيى بن الجـون العبدىّ راوية بشار بن برد قال : [قال بشار] : لما دخلت على المهدى قال لى : فيمن تعتد يا بشار ؟ فقلت : أما اللسان والزىّ فعـربى ، وأما الأصـل فعجمى (٤) كما قلت فى شـعرى يا أمـير المؤمنين [من المتقارب] :

ونُبِّئتُ قوماً بهمْ جِنَّةٌ   يقولونَ منْ ذا وكنتُ العَلَمْ

---

(١) انظره فى دلائل الاعجاز (١٥٧) أيضا

(٢) لبشار ترجمة فى الأغانى (٣ : ١٩ ـ ٧٣) وفى خزانة الأدب (١ـ١ ٥٤) وفى ابن خلكان (١ ـ١٥٦) وسرح العيون (١٦٥) والشعراء لابن قتيبة (٤٧٦)

(٣) كذا ، وآخر نسبه فى الأغانى « يستاسب »

(٤) فى الأصول «أما على اللسان والرأى فعربى وأما على الأصل فعجمى» وفيه تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى الذى أخذ عنه

ألاَ أيها السائلي جاهلاً ... ليعرفني أنا أنفُ الكرمْ

نمتْ في الكِرام بني عامرٍ ... فُرُوعي وأصلي قُريشُ العجمْ

وإني لأغنى مقامَ الفتى ... وأصبي الفتاةَ فما تعتصِمْ

قال : وكان أبودُلامةَ حاضراً ، فقال : كلا ! لوجهُكَ أقبح من ذلك ، ووجهى مع وجهك ، فقلت : كلا ! والله مارأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله إنى لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، أسجح الخدين [ولربَّ][1] مسترخي المذروين للعين منه مَرَاد مثلك ، قد جلس[2] من الفتاة حُجزةً ، وجلست منها حيث أريد ، فأنت مثلي يامرقعان[3] . قال : فسكت عني ، ثم قال لى المهدىّ : فمن أىّ العجم أصلك؟ قلت : من أكثرها في الفرسان ، وأشدها على الأقران ، أهل طخارستان ، فقال بعض القوم : أولئك الصُّغد ، فقلت : لا ، الصغد[4] تجار ، فلم يردد ذلك المهدى[5] .

وكان يلقب بالمرعَّث لقوله [من مجزوء الخفيف] :

قالَ ريمٌ مُرَعَّثٌ ... ساحرُ الطرْفِ والنظرْ

لستَ والله نائلي ... قلت أو يغلبَ القَدَرْ

(١) زيادة عن الأغانى ، وبها يتم المعنى وأراد بمسترخي المذروين السمين العبل الأليتين ، وأراد بقوله « للعين فيه مراد » أنه مونق الظاهر تتجه إليه العيون

(٢) فى الأصول « ومثلك قد جلس » بزيادة الواو ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) كذا ، وفى الأغانى « فأنت مثلي يا مرضعان »

(٤) فى الأغانى « أولئك الصغر ، فقلت : لا الصغر تجار » وفى الأصول أولئك السند ، فقلت : لا ، السند تجار » وكلاهما تحريف ما أثبتناه

(٥) فى الأصول « فلم يزل يردد ذلك المهدى » وفيه زيادة كلمة « يزل » عما فى الأغانى

أنْتَ إن رمْتَ وصلَنَا فانْجُ هلْ يدرَكُ القمرْ

وقيل: لقّبَ به لأنه كان لقميصه جيبان ، جيب عن يمينه وجيب عن شماله ، فاذا أراد لبسه ضمه عليه من غـير أن يدخل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعه حلّ أزراره وخرج منه ، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدلّيها . وقال أبو عبيدة : لقب بالمرعث لأنه كانت فى آذانه وهو صغير رِعَاثٌ ، واحدها رعثَة وهى القرط ، ورعثة الديك : اللحم المتدلى تحت حنكه .

وقال الأصمعى : كان بشار ضخما ، عظيم الخلق والوجه ، مجدوراً ، طويلا ، جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عَمًى ، وأفظعهم منظراً ، وكان إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح و بصق عن يمينه وشماله ثم ينشـد فيأتى بالعجب .

وقال : ولد بشار أعمى ، فما نظر إلى الدنيا قط ، وكان يُشَبِّه الأشياء فى شعره بعضَها ببعض ، فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله .

وقال أبو عبيدة : قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرَّة اللسان ، قال : وكان بشار يقول : هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لـكنت أشعر الناس .

وكان بشار وهو صغير إذا هجا قوما جاؤا إلى أبيـه فشكوه إليه ، فيضربه ضرباً مبرحا ، فـكانت أمه تقول : كم تضرب هذا الصبي الصغير الضرير ؟ أما ترحمه ؟ فيقول : بلى والله إنى لأرحمه ، ولـكنه يتعرض للناس فيشكونه إلى ، فسمعه بشار فطمع فيه ، فقال : يا أبت ، إن هذا الذى يشكونه إليك منى هو قولى الشعر و إنى إن أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلى ، فاذا شكونى فقل لهم : أليس الله عز وجل يقول (ليس على الأعمى حرج) . فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك ، فانصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ برد أغيظُ لنا من شعر بشار .

وحكى الأصمعى أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس ، وكان يقول :

الحمد لله الذى حجب بصرى ، فقيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ قال : لئلا أرى من أبغض.

وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط ، فاتخذ جاماً لانسان ، وكان بشار عنده ، فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صورة طير يطير ، فاتخذه له وجاء به إليه فقال له : مافى هذا الجام؟ قال: صورة طير يطير ، فقال له : قد كان ينبغى أن تتخذ فوق هذا الطير طيرا من الجوارح كأنه يريد صيده ، فإنه كان أحسن . قال : لم أعلم ، قال : بلى قد علمت ولكنك قد علمت أننى أعمى لا أبصر شيئاً ، وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان : لاتفعل فانك تندم ، قال : أو تهددنى أيضا ؟ قال : نعم ، قال : وأى شىء تصنع بى إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى فى صورتك هذه ، وأجعل من خلفك قرداً ينكحك حتى يمر بك الصادر والوارد ، فقال بشار : اللهم أخزه ، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد .

وحدث محمد بن الحجاج السوادى [1] قال : كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية إذ أذّن المؤذن ، فقال له بشار : رويداً تفهم قوله ، فلما قال المؤذن « أشهد أن محمداً رسول الله » قال له بشار : أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير؟! فسكت الرجل.

وحدث حماد عن أبيه قال : كان بشار جالساً فى دار المهدى والناس ينتظرون الاذن ، فقال بعض موالى المهدى لمن حضر : ما عندكم فى قول الله عز وجل : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا) فقال له بشار : النحل التى يعرفها الناس ، قال : هيهات يا أبا معاذ ! النحل بنو هاشم ، وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) يعنى العلم ، فقال له بشار : أرانى الله شرابك وطعامك [وشفاءك] [2] مما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعتنا

(١) فى الأغانى « محمد بن الحجاج السرادانى » .
(٢) زيادة عن الأغانى .

غثاثة ، فغضب وشتم بشارا ، فبلغ المهدى الخبر ، فدعا بهما وسألهما عن القصة ، فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فانك بارد غث .

ودخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور — وكانت فيه غفلة — فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟ فقال له : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى ، ثم قال لبشار : اعزب ويلك أتتنادر(١) على خالى ، قال : وما أصنع به يرى شيخاً أعمى قائماً ينشد الخليفة شعراً يسأله عن صناعته .

ووقف بعض المُجّان على بشار وهو ينشد شعرا ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب وقال له : من أنت ويلك ؟ قال : أنا أعزك الله رجلٌ من باهلة ، وأخوالى من سَلول ، وأصهارى من عُكْل ، واسمى كَلْب ، ومولدى بأُضاخ (٢) ومنزلى بنهر بلال (٣) ، فضحك بشار وقال : اذهب ويلك ، فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت منى بحصون من حديد .

وحدث رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج النهاريات ، قال : تزوجت امرأة

---

(١) فى الأصول « أتتنادب على خالى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى .

(٢) فى الأصول « بأحاح » وقال مصحح مطبوعة بولاق « قوله باحاح ، هكذا بمهملتين ، وفى بعض النسخ بأجاج ، وكلاهما لم أقف عليه اسم مكان » اه قال أبو رجاء : وكلاهما تحريف عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى ، وأضاخ — بضم الهمزة — اسم موضع ذكره المجد فى القاموس .

(٣) فى الأغانى « ومنزلى بظفر بلال » وفى أسماء الأماكن عدة كل منها يحمل اسم ظفر .

منهن فاجتمعت معها فى علو بيت و بشار تحتنا ، أو كنا فى أسفل بيت و بشار فى علوه مع امرأة ، فنهق حمار فى الطريق فجاوبه حمار آخر فى بيت الجيران وحمار فى الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذى فى الدار برجله الأرض ، وجعل يدقها دقاً شديداً ، فسمعت بشاراً يقول للمرأة : نُفِخ - يعلم الله - فى الصُّور وقامت القيامة ، أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ، ولم تلبث أن فزعت شاة كانت فى السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً من نحاس فيه غضارة(١) إلى الدار فانكسرت فتطاير حمام ودجاج كان فى الدار لصوت الغضارة والطبق ، وبكى من ذلك صبى فى الدار ، فقال بشار : صحّ يعلم الله الخبر ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، أزفت - يشهد الله - الآزفة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، فعجبت من كلامه وغاظنى ، فسألت : من المتكلم ؟ فقيل لى : بشار ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره .

ومر بشار برجل قد رمحته بغلته وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشار : استزده يزدك .

ومر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها ، فقال : مالهم مسرعين ، أتراهم قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم .

ورفع غلامه إليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدأت عين الشمس حتى بقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

وعن خلاد قال : قلت لبشار : إنك لتجىء بالشىء المهجر المتفاوت(٢) قال :

---

(١) الغضارة - بفتح الغين بزنة سحابة - ومثله الغضار : الطين اللازب الأخضر الحر .

(٢) فى الأغانى « إنك لتجىء بالشىء الهجين المتفاوت » .

وما ذاك ؟ قلتَ له : تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك [من الطويل] :

إذا ما غَضِبنا غَضبةً مُضَريَّةً هتكنا حجابَ الشمس أو قطرَت دما

إذا ما أعَرنا سيداً من قبيلةٍ ذُرى منبرٍ صلَّى علينا وسلَّما(١)

[إلى أن](٢) تقول [من الوافر المجزوء] :

ربابَةُ ربَّةُ البيتِ تصبُّ الخلَّ في الزيت

لها عَشرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسَنُ الصوت

فقال : لكل شيء وجهٌ وموضع ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في جاريتي ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع البيض وتحفظه ، فهذا عندها أحسن من قول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * عندك .

وقال هلال لبشار (٣) وكان صديقاً له يمازحه : إن الله عز وجل لم يذهب بصر أحد إلا عوضه منه شيئاً ، فما الذى عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له : يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحميرَ زماناً ثم تُبْتَ وصرت رافضيًّا فعُدْ إلى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرَّفْضِ .

وعن أبي دهمان العلائي (٤) قال : مررت ببشار يوما وهو جالس على باب

---

(١) في الأصول « إذا ما أعدنا » محرفا عما أثبتناه ، وهو على الصحة في الأغاني (٣ - ٣١) .

(٢) هذه الزيادة ليست في الأغاني وهي في عامة أصول هذا الكتاب .

(٣) في الأغاني أنه هلال بن عطية المشهور بهلال الرأي .

(٤) في الأغاني « عن أبي دهمان الغلال » .

داره وحده وليس معه أحد وبيده مِخْصرة يلعب بها وقدّامَه طبق فيه تفاح وأترج ، فلما رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسى إلى أن أسرق مما بين يديه ، فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كافٌّ يدَه حتى مددت يدى لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدى ضربة كاد يكسرها فقلت له : قطع الله يدك يا ابن الفاعلة ! أنت الآن أعمى ، فقال : يا أحمق ، فأين الحس ؟

وقعد إلى بشارٍ رجلٌ فاستثقله ، فضرط عليه بشار ضرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم ضرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضرط ثالثة ، فقال له : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ فقال : مه ، أرأيت أم سمعت ؟ قال : لا ، بل سمعت صوتاً قبيحًا ، فقال له : لا تُصَدّق حتى ترى .

وحدث محمد بن الحجاج قال : جاءنا بشار يوما وهو مغتمّ ، فقلنا له : ما لك مغتما ؟ فقال : مات حمارى فرأيته في النوم فقلت له : لم مت ؟ ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال [من مجزوء الرمل] :

سيدى خذ بى أتانا عند باب الإصبهانى(١)

تيمتنى ببنانٍ وبِدَلٍّ قد شجانى

تيَّمتنى يوم رحنا بثناياها الحسان

وبِغَنْجٍ ودلالٍ سلَّ جسمى وبرانى

ولها خدٌّ أسيلٌ مثلُ خدِّ الشَّنْفَرَانِى(٢)

فلذا مُتُّ ولو عِشْتُ إذاً طال هَوَانى

---

(١) فى الأصول « خذ لى أتانا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (٣ – ٦٤) وقد روى صاحب تزيين الأسواق هذه القصة (٢ – ٣٤) وروى معها الأبيات وذكر أنها تنسب إلى بشار .

(٢) فى الأغانى وتزيين الأسواق « مثل خد الشيفرانى » .

فقلت له : ما الشنفرانى ؟ قال : ما يُدْرِينى ، هـذا من غريب الحمار فإذا لقيته فاسأله عنه

وقال الجاحظ : كان بشارٌ يَدينُ بالرّجعة ، ويكفِّر جميع الأمم ، ويصوّب رأى إبليس عليه اللعنة فى تقـديم عنصر النار على الطين ، وذكر ذلك فى شعره فقال [من البسيط] :

الأرضُ مظلمةٌ والنـارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

(١) وكان الشرّ قـد نشب بين بشار وحماد عَجْرد لأمورٍ يطول ذكرها ، فـكانا يتقارضان الهجاء ، فأجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار شىء جيد إلا أربعين بيتاً معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحـد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حماد عَجْرد وتهتَّك ، بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقى بشار على حاله لم يسقط ، وعُرف مذهبه فى الزندقة فقتل به

وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد و بشار على اتفاق منهما ، ورضى بأن ينقل إلى كل واحد منهما ما يقول الآخر من الشعر ، فدخل يوماً على بشار فقال له بشار : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فىّ من الشعر ؟ فأنشده [من السريع] :

إن تاه بَشَّار عليـكم فقد أمكنتُ بَشَّاراً من التِّيهِ

فقال بشار : بأىّ شىء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سميتُه باسمِهِ ولم يكن حرٌّ يُسمِّيهِ

فقال : سَخِنت عينهُ ! فبأى شىء كنت أعرف ؟ إيه . فقال :

فصار إنساناً بِذِكْرِى لهُ ما يبتغى من بعدِ ذِكْرِيه(٢)

---

(١) من هنا مأخوذ من ترجمة حماد عجرد فى الأغانى (١٣ ـ ٧٣ ـ ١٠٢)
(٢) فى الأغانى « ما ينبغي » وهو تحريف

فقال : ما صنع شيئاً . إيه ويحك ! فقال :

لم أهْجُ بَشَّاراً ولكننى هجوْتُ نفسى بهجائِيه

فقال : على هذا المعنى دار ، وحَوْله حَامَ ، إيه أيضاً وأى شىء ؟ قال : فأنشده [من الكامل المجزوء]

أنت ابنَ بُرْدٍ مثلُ بُرْ دٍ فى النذالةِ والرَّذالَهْ
مَن كان مثلَ أبيكَ يا أعمى أبوهُ فلا أبَا لَهْ

وحدّث خالدٌ الأرقط قال: أنشد بشاراً راويتُه قولَ حمادِ عجردٍ فيه [من الطويل] :

دُعِيتَ إلى بُرْدٍ وأنت لغيرِه فَهَبْكَ لِبُرْدٍ نكت أمّك من بُرْدِ (١)

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ماشاء ابن الزانية

وقال بشار يوماً لراوية حماد : ما هجانى به اليوم حماد ؟ فأنشده [من الهزج] :

ألاَ مَنْ مُبْلِغٌ عنى الـــذى والِدُهُ بُرْدُ

قال : صدق ابن الفاعلة ، فما قال بعده ؟ فأنشده :

إذَا مانُسِبَ الناسُ فلا قبلٌ ولا بعدُ

فقال: كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرصات من عقيل، فما قال ؟ فأنشده :

وأعمى قلْطُبَانٌ ما على قاذِفِهِ حَدٌّ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ، بل ثمانون جلدةً عليه ، هيهِ ، فقال :

وأعمى يُشْبِهُ القِرْدَ إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

---

(١) فى الأغانى « فهبك ابن برد »

فقال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبَّهني بقرد ، حسبُك حسبك ، ثم صفَّق بيديه وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه

وفي حمادِ عجردٍ يقول بشار [من السريع] :

ما لُمْتُ حمّاداً على فسقِهِ   يلومُهُ الجاهلُ والمائقُ

وما هُمَا مِنْ أيره واسته   ملَّكَهُ إيّاهُمَا الخالقُ(١)

ما بات إلا فوْقَهُ فاسقٌ   يَنيكه أو تَحتَهُ فاسقُ

قال ابن أبي سعيد : وأبلغُ ما هجا به حمادُ عجرد بشاراً قوله [من السريع] :

نَهارُه أخبثُ من ليلهِ   ويومُهُ أخبثُ من أمسِهِ

وليس بالْمُقْلِعِ عن غَيِّهِ   حتى يُوارَى في ثَرَى رمسِهِ

قال : وكان أغلظ على بشار من ذلك كله ، وأوجعه له قوله فيه [من السريع] :

لوْ طُلِيَتْ جِلدَتُهُ عَنبراً   لأفْسَدَتْ جِلدَتُهُ العنبرا

أوْ طُلِيَتْ مِسكاً ذَكِيًّا إذًا   تحوّلَ المسكُ عليهِ خرَا

قال : وكان حمادُ عجردٍ قد اتصل بالربيع يؤدب ولده ، فكتب إليه بشار رقعة، فأوصلت إلى الربيع فاذا فيها مكتوب [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا الفضلِ لا تنمْ   وقعَ الذئبُ في الغنمْ

إنَّ حمّادَ عجرَدٍ   إن رأى غفلةً هجمْ

بينَ فخذَيهِ حربةٌ   في غلافٍ منَ الأدمْ

إنْ خلاَ البيْتُ ساعةً   مجْمَجَ الميمَ بالقلَمْ

فلما قرأها الرَّبيعُ قال : صيرني حمَّادٌ دريئةَ الشعراء ، أخرجوا عني حمّاداً ، فأخرج .

(١) في الأغاني « وماهم » في مكان « وما هما »

وقد فعل مثل هذا بعينه حمادُ عجرد بقُطْرُب حين اتخذ مؤدّباً لبعض ولد المهدىّ وكان هو يطمع فى ذلك ، فلم يتم له لشهرته فى الناس بما قاله فيه بشار ، فلما تمكن قطرب فى موضعه ، صار حماد كالملقى على الرصد ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب فى الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها [من البسيط] :

قُلْ لِلإمام جزَاكَ اللهُ صالحةً لاتجْمَعِ الدهرَ بينَ السَّخْلِ والذّيبِ
السَّخْلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ فرْصته والذئبُ يعلمُ مافى السخل من طيبِ

فلما قرأ المهدى هذين البيتين قال : انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطياً ، ثم قال : انفوه عن الدار ، فأخرج عنها ، وجىء بمؤدّب غيره ، ووكل بولده تسعون خادماً بنوابها يحفظونه ، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى الكرج فأقام هنالك إلى أن مات .

وكان بشار بلغه أن حمّاداً[1] عليلٌ ، ثم نعى إليه قبل موته ، فقال بشار [منَ السريع] :

لوْ عَاشَ حَمّادٌ لهَوْنَا بهِ لَكنهُ صارَ إلى النَّارِ

فبلغَ هذا البيتُ حمّاداً قبل موتهِ ، وَهو فى السياق ، فقال يرد عليه [من السريع] :

نُبئتُ بشاراً نعانى وللـمـوْتِ برَانى الخَالقُ البارِى
يا ليتنى مِتُّ ولم أهْجُهُ نَعمْ ولوْ صرتُ إلى النّارِ
وأىُّ خِزْىٍ هُوَ أخْزَى منَ انْ يُقَالَ لى يا سِبّ بشارِ

وكان حمّاد قد نزل بالأهواز على سليم بن سالم ، فأقام عنده مدة مستتراً من

---

(١) فى الأصول «أن حماداً عليل المأنة » وكلمة المأنة لاتفيد معنى ، وليست فى الأغانى وهو الذى نقل عنه جميع مافى هذه الترجمة

محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البصرة ، فمرّ بشيراز[١] فى طريقه ، فمرض بها ، فاضطر إلى المقام بها بسبب علته ، واشتدّ مرضه ، فمات هناك ، ودفن على تَلْعة .

ثم إن المهدى لما قتل بشاراً بالبطيحة اتفق أنه حُمل إلى منزله ميتاً ، فدفن مع حماد على تلك التلعة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهلىّ الشاعر البصرىّ الذى كان يهاجى بشاراً ، فوقف على قبريهما وقال [من السريع] :

قدْ تبعَ الأعمى قَفَا عجْرَدٍ ... فأصبحَا جارَين فى دَارِ

قالتْ بقَاعُ الأرْضِ لا مَرْحباً ... بقُرْبِ حَمّـادٍ وبشارِ

تجاوَرَا بعـــدَ تنائيهمَا ... ما أبغضَ الجارَ إلى الجارِ

صارَا جميعاً فى يدى مالكٍ ... فى النارِ ، والكافِرُ فى النّارِ

وكان السبب فى قتل المهدى بشارا أنه كان نهاه عن التشبيب ، فمدحه بقصيدة[٢] ، فلم يحظ منه بشىء ، فهجاه ، فقال من قصيدة [من السريع] :

خليفةٌ يَزْنى بعمّاتِهِ ... يَلْعَبُ بالدَّبُّوقِ والصَّوْلجَانْ[٣]

أبدَلنَا اللهُ بِهِ غـــيرَهُ ... ودسَّ موسى فى حِرِ الخيزُرَانْ

وأنشدها فى حلقة يونس النحوىّ ، فسعى به إلى يعقوب بن داود الوزير ، وكان بشار قد هجاهُ بقوله [من البسيط] :

---

(١) فى الأصول « بشيراز إذ أن فى طريقه » وكلمتاه « إذ أن » لا محل لهما هنا ، وليستا فى الأغانى

(٢) ذكر فى الأغاني فى ترجمة بشار (٣ ـ ٦٩) القصائد التى مدح بهـا بشار الخليفة المهدى ولم يحظ منه عليها بشىء ، فارجع إليها ثمة إن شئت

(٣) فى الأصول « بالدابوق » وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الموافق لما فى الأغانى . وفى القاموس « والدبوق كتنور لعبة معروفة »

بني أميةَ هُبّوا طالَ نومُكُمُ   إنّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ
ضاعتْ خلافتُكُم ياقومُ فالتمسوا   خليفةَ الله بين الزّقّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهدىّ ، فقالَ : ياأمير المؤمنين ، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاكَ ، قال : بأى شيء ؟ قال : بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكرى ، فقال : بحياتى أنشدنى إياه ، فقال : والله لو خيرتنى بين إنشادى إياهُ وضرْب عنقى لاخترتُ ضرب عنقى ، فحلف عليه المهدىّ بالأيمان التى لا فسحة له فيها ، فقال : أما لفظاً فلا ، ولكننى أكتب ذلك ، فكتبه ودفعه ، فكاد ينشق غيظا ، وعمل على الانحدار إلى البصرة ، لينظر فى أمرها ، وما فى فكره غيرُ بشار ، فانحدر ، فلما بلغ إلى البطيحة سمع أذاناً فى وقت إضحاء النهار[1] ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ، فاذا بشار سكران ؟ فقال له : يا زنديق يا عاض بظر أمه ، عجبتُ أن يكون هذا من غيرك ، أتلهو بالأذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ، ثم دعا بابن نهيك ، فأمره بضربه بالسوط ، فضربه بين يديه على صدر الحرّاقة سبعين سوطا أتلفه فيها ، فكان إذا أصابه السوط يقول : حس ، وهى كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع ، فقال : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول حس ، ولا يقول بسم الله ، فقال : ويلك أطعام هو فأسمى عليه ؟ فقال له آخر : أفلا قلت الحمد لله ، فقال : أو نعمة هى فأحمد الله عليها ؟ فلما استوفى السبعين بان الموتُ فيه ، فألقى فى سفينة حتى مات ، ثم رمى به فى البطيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة ، فدفنوه إلى جانب حماد عجرد كما قدمناه .

وقال أبو هشام الباهلى فيه [من المنسرح] :

يا بؤس ميتٍ لم يبكه أحدُ   أجلْ ولم يفتقدهُ مفتقِدُ

---

(١) فى الأغانى « فى وقت ضحى النهار »

لا أمٌّ أولاده بكته ولم يَبْكِ عليه لفُرقةٍ أحَدُ (١)
ولا ابنُ أختٍ يبكى ولا ابن أخ ولا حميمٌ رَقَّتْ له كبِدُ
بَلْ زعموا أن أهلَهُ فرحاً لما أتاهم نَعِيُّه سجدوا

وكان بشار يعطى أبا الشمقمق فى كل سنة مائتى درهم ، فأتاه فى بعض السنين فقال له : هلم الجزية يا أبا معاذ ، فقال : ويحك أوجزية هى أيضاً ؟ قال : هو ما تسمع ، فقال له بشار يمازحه : أنت أفصح منى ؟ قال : لا ، قال : فأعلم منى بمثالب الناس ؟ قال : لا ، قال : فأشعر منى ؟ قال : لا ، قال : فلم أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك ، فقال له : إن هجوتنى هجوتك ، فقال له أبو الشمقمق : أوهكذا هو ؟ قال : نعم فقل ما بدالك ، فقال أبو الشمقمق [من الرجز] :

إنى إذا ما شاعِرٌ هَجانيهْ ولَجَّ فى القَوْلِ له لِسانيهْ
أدخَلْتُه فى استِ أمه علانيهْ بشارُ يا بشار . . . .

وأراد أن يقول « يا ابن الزانية » فوثب بشار فأمسك فاه ، وقال : أراد والله أن يشتمنى ، ثم دفع إليه مائتى درهم ، وقال : لا يسمعن منك هذا الصبيان .

وحدث الأصمعى قال : أمر عقبة بن سلم لبشار بعشرة آلاف درهم ، فأخبر أبو الشمقمق بذلك ، فوافى بشاراً فقال له : يا أبا معاذ إنى مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون [من مجزوء الرمل] :

هللينه هللينه طعْنَ قِثّاةٍ لتينَهْ
إن بَشارَ بن بُردٍ تيسٌ اعمى فى سفينهْ

فأخرج له بشار مائتى درهم وقال : خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان يا أبا الشمقمق .

---

(١) فى الأغانى « يبك عليه لفرقة ولد »

ولما ضرب بشار وطرح فى السفينة قال : ليت عين أبى الشمقمق ترانى حيث يقول :

إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينة

وكان قتله سنة ثمان وستين ومائة ، وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة .

ومن شعره قوله [من السريع] :

طالَبْتُها دَيْناً فَضَنّت به وأمسكت قَلبي مع الدين
فَرُحتُ كالعَيْرِ غدا يبتغى قَرْناً فلم يرجع بأذنين
أعتقتُ ماأملِكُ إن لم أكُنْ أحب أن ألقاكِ فالقَيْنى
والله لو نِلْتُكِ لا أتّقى عيناً لقَبَّلْتُكِ ألفين

قوله « فرحت كالعير - البيت » مثل قول بعضهم [من الكامل] :

ذهبَ الحمارُ ليَستفيدَ لنفسهِ قرنا فآب وماله أذُنان

ومن شعره قوله [من الخفيف] :

خيرُ إخوانِكَ المُشارك فى المـرّ وأينَ الشّريكُ فى المر أينا
الذى إن شَهِدْتَ سَرّكَ فى الحـىّ و إن غبتَ كانَ أذناً وعَينا
مثلُ سرّ الياقوتِ إن مسّهُ النّـار جلاهُ البلاء فازدادَ زَينا
أنت فى مَعشرٍ إذا غبتَ عنهم بَدّلوا كل ما يزينكَ شيْنا
وإذا ما رأوْكَ قالوا جميعاً أنت من أكْرَم البرَايا علَينا
ما أرَى للأنام وُدًّا صحيحاً عادَ كل الوِداد زوراً ومَيْنا

* * *

٥٦ — فَقُلْتُ عَسى أن تُبْصِرِينى كأنّما بَنِيَّ حوالَيَّ الأسودُ الحوارِدُ

البيت من الطويل ، قائله الفرزدق ، من جملة أبيات قالها مخاطباً لزوجته النوار

وكان قد مكث زمانا لا يولد له فعيرته بذلك ، وأول الأبيات [١] :

وقالت أراهُ واحداً لا أخا له يؤمِّلُهُ يوماً ولا هو والِدُ

و بعده البيت ، و بعده :

فإن تميماً قبلَ أن يلد الحصا أقامَ زمانا وهو فى الناس واحدُ

والحوارد : من حَرَدَ إذا غَضِب .

والشاهد فيه: ترك الواو فى الجملة الاسمية الحالية لدخول حرفٍ على المبتدأ يحصل به نوع من الارتباط وهو هنا « كأن » إذ لو لم تدخل لما حسن الكلام إلا بالواو ، و « بنىّ إلخ » جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصر بنى ، ومعنى « حوالى » فى أكنافى وجوانبى ، وهو حال من بنىّ لما فى حرف التشبيه من معنى الفعل .

***

٥٧ — والله يُبقيكَ لنَا سالماً بُرْدَاكَ تبجيلٌ وتعظيمُ

البيت لابن الرومى ، من قصيدة من السريع ، منها قبل البيت :

قَلَّ له الملْكُ ولو أنه مجموعةٌ فيه الأقاليمُ

والتبجيل: التعظيم.

والشاهد فيه : ترك الواو فى الجملة الاسمية الحالية وهى « برداك إلخ » لوقوعها بعقب حال مفرد وهو « سالما » إذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو ، والحالان أعنى الجملة وسالما يجوز أن يكونا من الأحوال المترادفة ، وهى: أن تكون أحوال متعددة وصاحبها واحد كالكاف من يبقيك هاهنا ، ويجوز أن يكونا من الأحوال المتداخلة ، وهى: أن يكون صاحبُ الحال المتأخرة الاسمَ الذى يشتمل عليه الحال السابقة ، مثل أن يجعل قوله « برداك تعظيم » حالا من الضمير فى سالما .

وابن الرومى تقدم ذكره فى شواهد المسند إليه [٢] .

(١) اقرأها فى الديوان

(٢) اقرأ ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ١٨)

مكتبة
الدكتور مروان العطية

شواهد الايجاز والاطناب والمساواة

٥٨ — والعَيْشُ خَيْرٌ فى ظِلَا لِ النُّوكِ ممن عاشَ كَداً

البيت للحارث بن حِلِّزة اليشكرى ، من الكامل المضمر المرفّل ، وقبله (١) :

فَعِش بِجَدٍّ لا يَضِرْ كَ النَّوْكُ ما أُوليتَ جَدًّا (٢)

شاهد إخلال اللفظ بالمعنى المراد

والنوك — بضم النون وفتحها — الحمق ، ومعنى « كداً » مكدوداً متعوبا (٣) .

والشاهد فيه : الاخلال ، لكونه غير واف بالمراد ، إذ أصل مراده أن العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ، ولفظه غير واف بذلك .

وما أحسن قول ابن المعتز [من الكامل] :

وحَلاوَةُ الدنيا لِجَاهِلِها ومَرَارة الدنيا لمن عَقَلا

ولأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى [من الكامل] :

عابوا الجَهالَةَ وازدَروا بحُقوقِها وتَهاوَنوا بحديثها فى المجلسِ

وهى التى يَنْقادُ فى يَدِها الغنى وتجيئُها الدنيا برَغم المعطسِ

إنّ الجهالة للغِنى جَذّابَةٌ جَذْبَ الحديدِ حِجارَةَ المغنيطِسِ

ولأبى محمد اليزيدىّ من أبيات [من الخفيف] :

عِشْ بجد ولا يَضُرُّكَ نوكٌ إنما عيش من ترى بالجُدُودِ

عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ العَبْـسِيَّ نوكاً أو شيبَةَ بن الوليدِ

وما أحسن قول بعضهم [من السريع] :

---

(١) اقرأ الأبيات التى منها الشاهد والبيت الذى ذكره المؤلف فى الأغانى (٩ — ١٨١)

(٢) فى الأصول « عيش بجد » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى .

(٣) الصواب أن يقال « متعبا »

إنَّ المقاديرَ إذا ساعَدَتْ ... أَلحقَتِ العاجزَ بالقادرِ

وبديع قول بعضهم [من مخلع البسيط] :

بالجد يَسعى الفتَى وإلاَّ ... فلَيْسَ يُغنى أبٌ وجدٌّ

وليس يُجدى علَيك كَدٌّ ... مادام يُكْدِى عليك جَدٌّ

وما أحذق قول ابن لنكك [من البسيط] :

دنياكَ باتَتْ على الأحرارِ غاضبَةً ... وطاوَعت كل صفْعانٍ وضَرَّاطِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

كن ساعياً ومُصافعاً ومُضارطاً ... تَنَلِ الرغائبَ فى الزَّمان وتَنفُقِ

ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :

من يَبغ بالفَضل معاشاً يمت ... جوعاً ولو كانَ بَديعَ الزمانِ

ومن يَقُدْ أو يتَمسخرْ يَعِشْ ... عيشاً رَخِيًّا فى ظلال الأمانِ

تبغى الحجا ثم تروم الغنى ... يا قلما تجتمعُ الضَّرَّتانِ

ولطيف قول بعضهم [من الخفيف] :

قد يُحَدُّ اللَّبيبُ عن سعة الرِّزْ ... قِ وقد يَسعدُ الضعيفُ بجده (١)

رُبَّ مال أتى بأهوَنِ سَعى ... وكَدُودٍ لم يُغنِهِ طول كَدِّه

ولابن نباتة السعدى [من الكامل] :

ما بالُ طَعْم العيش عند مَعاشرٍ ... حُلو وعند معاشر كالعَلْقَم

من لى بعيش الأغبياءِ فانه ... لا عيشَ إلا عيشُ مَنْ لم يعلم

---

(١) فى الأصول « قد يجد » وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه ، ويحد — بالحاء المهملة مبنيا للمجهول — يحرم ويمنع

والحارث(١) بن حِلِّزة هو من بنى يَشْكر من بكر بن وائل ، وكان أبرص ، وهو القائل [من الخفيف] :

آذنَتنا بِبَيْنِها أسماء ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء

ويقال : إنه ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ارتجالا فى شىء كان بين بكر وتغلب فى الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذى كان به ، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً له ، وكان الحارث متوكئا على عنزة فأثرت فى جسده وهو لا يشعر ، وكان له ابن يقال له مذعور ، ولمذعور ابن يقال له شهاب ابن مذعور ، وكان ناسبا وفيه يقول مسكين الدارمى [من الوافر] :

هَلُم إلى ابن مَذْعورٍ شِهابٍ ... يُنَبِّئْ بالسِّفالِ وبالمعالى

قال الأصمعى : قد أقوى الحارث بن حلزة فى قصيدته التى ارتجلها :

فَمَلَكْنا بذلك الناس إذ ما ... مَلَكَ المنذرُ بن ماءِ السماءِ(٢)

قال أبو محمد : ولن يضر ذلك فى هذه القصيدة ، لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة .

* * *

شاهد التطويل

٥٩ — وألْفى قَولَها كَذِباً وَمَيْنا

هو من الوافر ، وصدره :

---

(١) للحارث بن حلزة ترجمة فى الأغاني (٩ : ١٧٧ — ١٨١)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه :

« قوله فملكنا إلخ ، لم أقف على هذا البيت فى القصيدة بعد مراجعتها فى شرح المعلقات فلينظر »

وعبارة الأصمعى ورواية البيت بصورته هنا مأخوذة عن الشعراء لابن قتيبة والتعليق عليه تعليقته (انظره ٩٦)

* وقدَّدَت الأديم لراهشيه (١) *

وقائله عدى بن زيد العبادى ، من قصيدة طويلة أولها :

كلمة لعدى بن زيد العبادى

أبُدِّلَتِ المنازلُ أم عنينا بقادم عهدِهِنَّ فقد بَلِينَا

يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر بن ماء السماء :

ألا يا أيها المُثْرِى المرَجَّى ألم تَسمع بخَطْبِ الأوَّليتا

ومنها و يذكر غدر الزباء بجذيمة الأبرش :

دعا بالبَقَّةِ الأمراءَ يوماً جَذِيمةُ عَصْرَ يَنجوهُمْ ثُبِينا (٢)

فطاوَع أمرَهم وعَصَى قَصيراً وكانَ يقولُ لو تَبِع اليقينا

ودسَّتْ فى صحيفتِها إليه ليَمْلِكَ بُضْعَها ولأن تَدِينا

ففاجأها وقد جَمَعت فيوجاً على أبوابِ حِصْنٍ مُصْلِتِينا (٣)

فأرْدَتْهُ ورُغْبُ النفس يُرْدِى ويبدى للفتى الحينَ المُبِينا

وحَدَّثتِ العَصا الأنباءَ عنه ولم أرَ مثلَ فارِسها هَجِينا

و بعده البيت المستشهد بعجزه ، و بعده :

---

(١) اقرأ هذه الأبيات فى الشعراء لابن قتيبة (١١٢-١١٣) وقد روى هناك « وقدمت الأديم » وفى لسان العرب (م ى ن) كما هنا « فقددت »

(٢) فى الأصول « ينحوهم بنينا » وماأثبتناه موافق للشعراء ، وينجوهم: من النجوى ، يريد يناجيهم ، وثبينا : جمع ثبة بمعنى الجماعة ، وهو حال من المفعول

(٣) هذا البيت والبيت الذى ذكر أنه المطلع لا يوجدان فى الشعراء لابن قتيبة . والفيوج : جمع فيج - بفتح وسكون - وهو رسول السلطان ، وهو أيضا الذى يدخل السجن ويخرج للحراسة ، فارسى معرب ، قاله فى اللسان (ف ى ج)

ومن حَذَر الملاوم والمخازى ... وهنَّ المُنْدِيَاتُ لمن منينا
أطَفَّ لأنفه الموسَى قَصيرٌ ... لِيَجْدعهُ وكان به ضنينا
فأهواهُ لما رِنِهِ فأضحى ... طِلابَ الوِتْرِ مُجْدوعاً مَشِينا
وصادَفت امرأ لم تخشَ منه ... غوائِلهُ وما أمِنَت أمينا
فلما ارتد منها ارتَدَّ صُلباً ... يجُرُّ المالَ والصدرَ الضَّغينا
أتتها العِيسُ تحملُ ما دهاها ... وقنَّعَ فى المسُوح الدارِعينا
ودسَّ لها على الأنفاق عَمراً ... بِشَكَّته وما خَشيت كَمينا
فَجَلَّلها قديمَ الأثْرِ عَضْبا ... يَصكُّ به الحواجبَ والجَبينا
فأضحَتْ من خزائنها كأنْ لم ... تكن زبَّاء حاملةً جنينا
وأبرزها الحوادث والمنايا ... وأى معمر لا يبتلينا
إذا أمهلْنَ ذا جدٍّ عظيم ... عطفن عليه ولو فرَّطن حينا
ولم أجد الفتى يلهو بشىء ... ولو أثرى ولو ولد البنينا

خبر جذيمة الأبرش

وكان من (١) خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الأولى من بنى إياد كما ذكره ابن الكلبي ، وكنيته أبو مالك ، وكان فى أيام ملوك الطوائف ، وقال أبو عبيدة : كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة ، وكان قد ملك شاطىء الفرات إلى ما والى ذلك إلى السواد ، ستين سنة ، وكان به برص ، فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا : الأبرش ، والوضاح ، وقيل : سمى بذلك لأنه أصابه حرق نار فبقى أثره نقطا سودا وحمرا ، وكان الملك قبله أباه ، وهو أول من ملك الحيرة ، وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم

---

(١) انظر سرح العيون (٣٩ و ٤٢) وانظر مجمع الأمثال للميدانى (١ ـ ١٥٧ الخيرية)

على كثير مما فى أيديهم ، وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب ، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق ، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها ، وكانت عاقلة أريبة فبعثت إليه تخطبه لنفسها ليتصل ملكه بملكها ، فدعته نفسه إلى ذلك ، وقيل: هو الذى بعث إليها يخطبها، فكتبت إليه : إنى فاعلة ومثلك يُرْغَبُ فيه ، فاذا شئت فاشخص إلىّ ، فشاور وزراءه فكلٌّ أشار عليه أن يفعل ، إلا قصير بن سعد فانه قال له : أيها الملك لا تفعل فان هذه خديعة ومكر . فعصاه وأجابها إلى ما سألت ، فقال قصير عند ذلك : لا يُطَاع لقصير رأى ، وقيل : أمر ، فأرسلها مثلا ، ولم يكن قصيراً ، ولكن كان اسماً له ، ثم إنه قال له : أيها الملك أما إذ عصيتنى فاذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فان ترجلوا وحيَّوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظنى ، وإن رأيتهم إذا حيَّوك طافوا بك فانى معرض لك العصا — وهى فرس لجذيمة لا تدرك — فاركبها وانج ، فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا ، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال : ماذَلَّ من جرَتْ به العصا ، فأرسلها مثلا ، وأُدخل جذيمة على الزباء ، وكانت قد ربت شعر عانتها حولا ، فلما دخل تكشفت له وقالت : أمتاعَ عروسٍ ترى يا جذيمة ؟ فقال : بل متاع أمة بظراء ، فقالت : إنه ليس من عدم المواسى ، ولا من قلة الأواسى ، ولكنها شيمة ما أقاسى ، (١) وأمرت فأجلس على نطع ، ثم أمرت برواهشه فقطعت ، وكان قد قيل لها : احتفظى بدمه فانه إن أصاب الأرضَ قطرةٌ من دمه طُلب بثأره ، فقطرت قطرة من دمه فى الأرض ، فقالت :

---

(١) فى مجمع الأمثال « لا من عدم مواس ، ولا من قلة أواس ، ولكن شيمة من أناس »

لا تضيعوا دم الملك ، فقال جذيمة : دعوا دما ضيعه أهله ، فلم يزل الدم يسيل إلى أن مات .

ثم إن قصيراً أتى عمراً ابنَ أختِ جذيمة وأخبره الخبر ، وحرضه على أخذ الثأر ، واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ، ولحق بالزباء ، وزعم أن عمراً فعل به ذلك ، وأنه اتهمه بممالأته لها على خاله ، ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله إلى العراق بمال فيأتى إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشترى به ما تطلبه ويأتى إليها به ، إلى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له : خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمراً فانتخب من عسكره فرساناً وألبسهم السلاح وأتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ، ثم حمل على كل بعير رجلين معهما سلاحهما وجعل يسير النهار حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق ، فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة ، فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلا ، وعرف أنه مصبّحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم ، وقال : هذه العيرُ تأتيك الساعة بما لم يأتك قط مثله ، فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العيرَ وهى تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول [من الرجز]:

ما للجِمَالِ مشيُها وئيدا أجَندلاً يحملن أم حَديدا
أم صَرَفانا بارداً شديدا أمَ الرِّجالَ جثَّماً قُعودا

فلما توافت العيرُ المدينةَ حلوا أشراجهم وخرجوا فى الحديد ، وأتى قصير بعمرو فأقامه على سِرْبٍ كان لها إذا خشيت خرجت منه ، فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمص خاتما وفيه سم وتقول : بيدى لا بيد عمرو ، وفارقت الدنيا . والراهشان : عرقان فى باطن الذراعين .

والشاهد فيه : التطويل ، وهو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين فى البيت لا فائدة فيه

لأنهما بمعنى واحد .

ترجمة عدى بن زيد العبادي

وعدى (١) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب (٢) ينتهى نسبه لنزار ، وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الأنبارى أول من سمى من العرب أيوب ، وكان عدى شاعرا فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانيا ، وكذلك كان أبوه وأهله ، وليس ممن يعد من الفحول ، إذ هو قروى ، وقد أخذ عنه أشياء عيب بها ، وكان أبو عبيدة والأصمعى يقولان : عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها ، وكذلك عندهم أمية بن أبى الصَّلْتِ الثقفى ، ومثلهما عندهم من الاسلاميين الكميت والطِّرِمَّاح . وقال ابن قتيبة : كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه واحتُمِلَ عنه شىء كثير جدا ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة .

وله أربع قصائد غرر : إحداهن أولها [من الخفيف] :

أَرَوَاحٌ مودِّعٌ أم بكُورُ ... لك فاعمِد لأى حالٍ تَصيرُ

وفيها يقول :

أيها الشَّامتُ المُعير بالدَّهـ ... ـرِ أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ

أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيَّـ ... ـام أم أنتَ جاهلٌ مغرورُ

من رأيتَ المنونَ جازَتْهُ أم من ... ذا عليه من أن يُضامَ خَفيرُ (٣)

أين كِسرَى كسرى الملوكِ أنوشِرْ ... وانُ أم أين قبلَهُ سابورُ (٤)

---

(١) لعدى بن زيد ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (١١١) وفى الأغانى (٢ - ١٨) وفى خزانة الأدب (١ - ١٨٤)

(٢) فى الأغانى « عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب »

(٣) فى الشعراء « من رأيت المنون خلدن »

(٤) فى الشعراء « كسرى الملوك أبو ساسان »

وبنو الأصفرِ الكِرام ملوكُ الرُّ ... ومِ ، لم يبقَ منهمُ مذكورُ
وأخو الحضرِ إذ بناهُ وإذ دجـــلةُ تُجبَى إليه والخابورُ
شادَهُ مرمراً وجلّلهُ كلْــساً فللطّيرِ فى ذُراهُ وُكورُ
وتبيَّنَ ربَّ الخوَرْنقِ إذ أشْـــرفَ يوماً وللهدى تفكيرُ
سرَّه حالُهُ وكثرةُ ما يمْــلكُ والبحرُ مُعرِضاً والسديرُ (١)
فارعَوَى قلبُهُ وقالَ وما غِبْــطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثم بعدَ الفلاحِ والملكِ والأمّـــةِ وارتهم هناكَ القبورُ
ثم أضحَوْا كأنهم ورَقٌ جَـــفَّ فألوَتْ به الصَّبا والدَّبورُ (٢)

والثانية أولها [من الطويل] :

أتعرف رسمَ الدَّارِ من أمِّ معبدِ ... نعم فرَماكَ الشوقُ قبل التجلّدِ
أعاذلَ ما يُدريكِ أن منيّتى ... إلى ساعةٍ فى اليوم أو فى ضُحَى الغد
ذرينى فإنى إنما لِيَ ما مضى ... أمامِىَ من مالى إذا خفَّ عُوَّدى
وحُمَّت لميقاتٍ إلىَّ منيتى ... وغُودِرتُ قد وُسِّدتُ أو لم أوسَّد
وللوارثِ الباقى من المالِ فاتركى ... عتابى فإنى مُصلحٌ غيرُ مفسد

والثالثة أولها [من المنسرح] :

لم أرَ مثلَ الفتيانِ فى غَبَنِ الـ ... أيام يَنسَوْنَ ما عواقبُها

والرابعة أولها [من الخفيف] :

طالَ ليلى أُراقبُ التنويرا ... أرقُبُ الليْلَ بالصباح بصيرا

انتهى ما قاله ابن قتيبة .

---

(١) فى الأغانى « سره ماله » وفى الشعراء مثل ما هنا
(٢) فى الأغانى « ثم صاروا » وفى الشعراء مثل ما هنا

وكان جده أيوب منزله باليمامة فأصاب دما فى قومه فهرب فلحق بأوس ابن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسب من قبل النساء ، فأقام بالحيرة واتصل بالملوك الذين كانوا بها ، وعرفوا حقه وحق بنيه . ولما ولد عدى وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب ، حتى إذا حذق أرسله مرزبان الحيرة مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمى بالنشاب ، فخرج من الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ، ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى يجعل كل واحد منهما منقاره فى منقار الآخر ، فغضب كسرى من ذلك ، ولحقته غيرة شديدة ، فقال للمرزبان وابنه : ليرم كل واحد منكما واحداً من هذين الطائرين فان قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ، ومن أخطأ منكما عاقبته ، فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا فقتلاهما جميعا ، فبعث بهما إلى بيت المال فملئت أفواههما جوهراً ، وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان فى صحابته ، فقال عند ذلك للملك : إن عندى غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته ، وهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله ، فان رأى الملك أن يثبته فى ولدى فعل ، فقال : ادعه ، فأرسل إلى عدى بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، فرغب أهل الحيرة إلى عدى ورهبوه ، فلم يزل بالمدائن فى ديوان

كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة ، وهو معجب به[١] قريب منه ، وأبوه زيد بن حماد حىّ إلا أن ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه[٢]، فكان عدى إذا دخل على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدىّ ، فعلا له بذلك صيت عظيم ، وكان إذا أراد المقام فى الحيرة مع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقل ، ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية من طُرَف ما عنده ، فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون ، فمن ثم وقع عدى بدمشق وقال بها الشعر ، فمما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيما ذُكر [من الخفيف] :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ من دُو ... مَةَ أشهى إلىّ من جيرُون

ونَدامَى لا يفرَحونَ بِمَا نَا ... لوا ولاَ يتّقُونَ صرفَ المنُونِ[٣]

قد سُقِيتُ الشمُولَ فى دار بشرٍ ... قَهْوَةً مُرّةً بِمَاء سَخِينِ[٤]

ثم إنّ عديًا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذى رباه قد هلكا جميعا ، فاستأذن كسرى فى المقام[٥] بالحيرة ، فتوجه إليها وبلغ المنذر خبره ، فخرج فتلقاه ورجع معه ، وعدىّ أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يملّكوه لملّكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، فمكث سنين يبدو فى فصلى السنة ، فيقيم فى البر[٦] صيفا ويشتو

(١) في الأصول « وهو معجب له » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى القصة أن المرزبان قال لكسرى « إن عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته »

(٣) في الأغانى « ولا يرهبون صرف المنون »

(٤) هكذا فى أصول هذا الكتاب وفى الأغانى ، وأحسبه «قهوة مزة» بالزاى

(٥) فى الأغانى «في الالمام بالحيرة» فأذن له ،

(٦) كذا والذى فى الأغاني ، « فيقيم فى جفير ويشتو بالحيرة »

بالحيرة ، و يأتى المدائن فى خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، فمكث بذلك سنين . ثم إن المنذر هلك وقام ابنه النعمانُ مقامه بمعاونة عدى فى خبر طويل ، ثم لم يزل الحسدة يوقعون بينه و بين عدىّ إلى أن حبسه ، فقال فى ذلك أشعاراً كثيرة منها [من الرمل] :

طالَ ذا الليلُ علينا واعتَكَرْ وكأنى بادرُ الصبحِ سَمَرْ(١)

مِنْ نَجِىّ الهمّ عِندِى ثاوياً فوقَ ما أعلنُ منهُ وأسرّ

وكأنّ الليلَ فيه مثلهُ ولَقِدْماً ظُنّ بالليل القصر(٢)

لَمْ أغمّضْ طولَهُ حتى انقضى أتمنىّ لو أرَى الصبحَ جَشَرْ(٣)

غيرَ ما عشق ولكنْ طارقٌ خَلَسَ النومَ وأجدانى السهَرْ

وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضاً [من الرمل] :

أبلغ النعمانَ عنى مَألُكاً أنهُ قدْ طالَ حبسى وانتظارْ

لوْ بغير الماء حلقى شرِقٌ كنت كالغَصّانِ بالماءاعتصارْ

ليتَ شعرى مَنْ دخيلٌ يعترى حيثما أدركَ ليلى ونهارْ(٤)

قاعداً يكربُ نفسى بثها وحرام كانَ سجنى واختصارْ(٥)

---

(١) فى الأصول « وكأين بادر الصبح سحر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني

(٢) في الأصول « ولقد أبطن با لليل القصر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٣) فى الأصول « جشر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٤) رواية هذا الشعر فى الأغانى :

ليت شعرى عن دخيل يفترى حيثما أدرى ليلى ونهار

(٥) فى الأغانى « وحرا ما كان سجنى » وهو أصح عربية

فى قصائد كثيرة كان يقولها ، و يكتب بها إليه ، فلا تجدى عنده شيئاً

ولقد تداولَ الشعراء معنى بيت عدى « لو بغير المـاء حلقى شرق إلخ »
بعد عدىّ ، فقال أبو نواس [من البسيط] :

غصصْتُ منكَ بما لا يدفعُ المـاء   وصحّ حبكَ حتى ما به داء

وقال الآخر [من البسيط] :

من غصّ داوَى بشرب الماء غُصتَهُ   فـكيفَ يصنعُ من قدْ غُصّ بالماء

وقال الخبزأرزى [من البسيط] :

بالماء أدفعُ شيئاً إن غصصتُ بهِ   فما احتيالى وغصّى منكَ بالماء

ثم لما طال سجن عدىّ كتب إلى أخيه أبىّ ، وهو مع كسرى ، يعلمه بحاله . فلما قرأ كتابه قام إلى كسرى فـكلمه فى أمره وعَرّفه بخبره ، فـكتب إلى النعمان يأمره باطلاقه ، و بعث معه رجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه ، إنه قد كتب إليك فى أمره ، فأتى النعمانَ أعداء عدىّ ، وقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عدىّ تقدم إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدى فيدخل عليه وهو محبوس بالصنين ، فقال له : ادخل عليه ، وانظر ماذا يأمرك به ، فامتثله ، فدخل الرسول على عدى ، فقال له : إنى قد جئت بارسالك فما عندك ؟ قال : عندي الذى تحب ، ووعده عدة سنية ، وقال له : لا تخرجن من عندى ، وأعطنى الكتاب حتى أرسله إليه ، فانك والله لئن خرجت من عندى لأقتلنّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله إليه ، فانطلق بعض مَنْ كان هناك من أعداء عدى ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهب به ، و إن فعل والله لم يستبق منا أحدا ، أنت ولا غيرك ، فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغموه حتى مات ، ثم دفنوه ، ودخل الرسول إلى النعمان ، فأوصل الكتاب إليه ، فقال : حباً وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف

مثقال ذهب وجارية حسناء ، وقال له : إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك الحبس فأخرجه ، فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأخبره الحارس أنه قد مات منذ أيام ، ولم نجترئ على إخبار الملك بذلك خوفا منه ، وقد عرفنا كراهيته لموته ، فرجع إلى النعمان فقال : إنى قد كنت أمس دخلت على عدىّ وهو حىّ ، وجئت اليوم فجحدنى السجان وبهتنى ، وذكر لى أنه قد مات منذ أيام ، فقال له النعمان : أيبعث بك الملك إلىّ فتدخل إليه قبلى ؟ كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث ، وتهدده ، ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثّقَ منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إنى قد وجدت عديّا قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندم النعمان على قتله ، وعلم أنه قد احتيل عليه فى قتله ، واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبة شديدة .

وكان لعدىّ ولد اسمه زيد ، فسيره النعمان إلى كسرى ، ووصفه بأوصاف جميلة ، فوقع من كسرى الموقع ، فما زال يعمل الحيلة إلى أن غير كسرى على النعمان وأرسل إليه أن أقبل علينا ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ، ثم لحق بجبل طيىء ، ثم بعث إلى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف ، فقبلها كسرى وأظهر له الرضا ، وأمره بالقدوم ، فعاد الرسول وأخبره بذلك ، وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوءاً ، فمضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدىّ عند قنطرة ساباط ، فقال له : انج نعيم إن استطعت النجاة ، فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله إن عشت لك لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربىّ قط ولألحقنك بأبيك ، فقال له زيد : امض لشأنك نعيم فقد والله أخّيْتُ لك أخيّة[1] لا يقطعها المهر

(١) الأخية — بفتح الهمزة وتشديد الياء — أن تدفن طرف حبل فى الأرض فتظهر منه مثل عروة تشد فيها الدابة ، وأخيتها : صنعتها ، وأراد أنه حبك له حيلة لا يستطيع الفكاك منها .

الأرن[١] ، فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده ، وبعث به إلى سجن له بخانقين ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه . وقال ابن الكلبى : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات ؛ وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين ؛ وقالوا : لم يزل محبوساً مدة طويلة ، وإنما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام . وغضبت له العرب حينئذ ، وكان قتله سبب وَقعة ذى قار .

وكان عدىّ يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول [من الرمل] :

عَلِقَ الأحشاء مِنْ هندَ عَلَقْ ... مُستَسِرّ فيهِ نَصْبٌ وَأَرَقْ[٢]

وفيها يقول أيضاً [من الرمل] :

مَنْ لِقلبٍ دَنِفٍ أوْ مُعتمِدْ ... قَدْ عَصَى كلَّ نَصيحٍ ومُفَدْ[٣]

وفيها يقول أيضاً [من الخفيف] :

يا خَليلَىَّ يَسِّرَا التّعسِيرَا ... ثمَّ رُوحا فَهَجِّرَا تَهجيرَا

عَرِّجا بى على دِيارٍ لِهندٍ ... لَيسَ أن تُعجِما المطى كَبيرا[٤]

وقد تزوجها عدى فى خبر طويل ، فمكثت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة ، وكان هلاكها بعد الاسلام بزمن طويل فى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردته ،

---

(١) المهر الأرن — بفتح الهمزة وكسر الراء — المرح النشيط ، وفعله أرن يأرن أرنا — على وزن مرح يمرح مرحا — وإرانا ، وأرينا ، مثل عناق وذميل

(٢) مستسر : مختف مكتتم ، والنصب — بفتح النون أو ضمها مع سكون الصاد — الداء والبلاء والشر

(٣) فى الأغانى « قد عصى كل نصوح »

(٤) فى الأغانى « ليس أن عجتما المطى كثيرا »

وقالت : والصليب لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فى لأجبتك ولكنك أردت أن تقول فى المواسم : ملكت مملكة النعمان بن المنذر وتزوجت ابنته ، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إى والله ، قالت : فلا سبيل إليه

* * *

شاهد المثو الحسن

٦٠ — وَلاَ فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ

البيت لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان و يعزيه بغلامه يماك التركى ، وأولها (١) وفيه الخرم وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع :

لاَ يُحزِنِ اللهُ الأميرَ فإننى ... لآخُذُ مِنْ حالاتِهِ بنصيبِ
وَمَنْ سَرَّ أهْلَ الأرض ثم بكى أسًى ... بَكى بعُيونٍ سَرَّها وَقلوبِ
وَإنى وَإنْ كانَ الدَّفينُ حَبيبهُ ... حَبيبٌ إلى قلبي حَبيبُ حَبيبي
وقَدْ فارَقَ النَّاسُ الأحبةَ قبلنا ... وَأعيا دَواءُ الموْت كلَّ طَبيبِ
سُبِقنا إلى الدُّنيا فلَوْ عاشَ أهْلها ... مُنِعنا بِها مِنْ جَيْئةٍ وذُهوبِ
تَملكها الآتِى تَملُّكَ سالبٍ ... وَفارقها الماضى فِرَاقَ سَليبِ

و بعده البيت ، و بعده :

وَأوْفى حَياةِ الغابرينَ لِصاحبٍ ... حَياةُ امرىء خانتهُ بعدَ مَشيبِ
لأبقى يَماكُ فى حَشَايَ صَبابة ... إلى كلِّ تركيٍّ النِّجارِ جَليبِ
وما كلُّ وَجهٍ أبيضٍ بِمباركٍ ... ولاَ كلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٍ بنجيبِ
لئنْ ظَهرتْ فِينا عَليهِ كآبةٌ ... لقدْ ظَهرتْ فى حَدِّ كلِّ قَضيبِ

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٤٩)

وَفى كلِّ قَوْسٍ كلَّ يَوْمٍ تَناضُلٍ وَفى كلِّ طِرفٍ كلَّ يَوْمٍ رُكوبُ
يَعِزُّ عَليه أنْ يُخلَّ بِعادةٍ وَتدعو لِأمرٍ وَهوَ غيرُ مُجيبِ
وَكنتُ إذَا أبصرتُهُ لكَ قائماً نَظرتُ إلى ذِى لِبدَتينِ أريب(١)
فإنْ يكن العلق النفيسَ فَقدتَهُ فمن كَفِّ مِتلافٍ أغرَّ وَهوب(٢)
لِأنَّ الردَى عادٍ على كلِ ماجدٍ إذَا لمْ يُعوِّذْ مَجدهُ بعيوب(٣)
وَلوْلاَ أيادِى الدَّهرِ فى الجمع بَيننا غَفلنا فَلمْ نَشعرْ لهُ بِذنوب

وهي طويلة

وشَعوب : اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث ، وصرفه للضرورة ، سميت المنية بذلك لأنها تشعب : أى تفرق .

والشاهد فيه : الحشو الزائد المفسد ، وهو هنا لفظة « الندى » لأن المعنى أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت ، وهذا إنما يصح فى الشجاعة والصبر دون العطاء ، فان الشجاع إذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام فى الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن فى ذلك فضل ، وكذلك الصابر إذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه ، بل بمجرد طول العمر يهون على النفوس الصبر على المكاره ، ولهذا يقال : هب أن لى صبر أيوب فمن أين لى عمر نوح ؟ بخلاف الباذل ماله ، فانه إذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه إليه فيكون بذله حينئذ أفضل ، أما إذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ، ولهذا قال طرفة [من الطويل]:

---

(١) فى الديوان « أديب »
(٢) فى الأصل « أعز » وأثبتنا ما فى الديوان
(٣) فى الديوان « كأن الردى عاد »

فإنْ كُنتُ لا أسْطيعُ دَفعَ منيتي فذرنى أبادِرْها بما ملكتْ يدِى (١)

ومثله قول مهيار الديلمى [من المتقارب] :

فَكلْ إنْ أكلْتَ وأطعمْ أخاكَ فلاَ الزَّادُ يبقي ولا الآكِلُ

وقيل : المراد بالندى بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد [من البسيط] :

يَجودُ بالنَّفس إنْ ضنَّ الجوادُ بها والجُودُ بالنفس أقْصى غايةِ الجُودِ

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس ، وإن استعمل فعلى وجه الاضافة ، والأقرب ما ذكره ابن جنى ، وهو أن فى الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ، و يسهل البؤس ، فلا يظهر لبذل المال كثير فضل

* * *

شاهد الحشو غير المفسد

٦١ — * وَأعلَم عِلْمَ اليَوْم وَالأمْس قَبْلَهُ *

هو من البحر الطويل ، وتمامه :

* وَلـكننى عَنْ عِلم ما فى غدٍ عَمِ *

وقائله زهير بن أبى سلمى ، وهو من آخر قصيدة (٢) قالها فى الصلح الواقع بين عبس وذبيان ، وأولها :

أمِنْ أمِّ أوْفى دِمنةٌ لم تَكلم بحوْمانةِ الدَّرَّاج فالمُتثلم

(١) فى نسخ المعلقات « فان كنت لا تسطيع » و « فدعنى أبادرها » انظر شرح التبريزى على القصائد العشر (٨١)

(٢) هى إحدى السبع المعلقات واقرأها فى شرح القصائد العشر للتبريزى (١٠٠) وفى جمهرة أشعار العرب (٤٧) وفى الديوان (٤ ـ ٣٢)

وَدارٌ لها بِالرَّقمتين كأنها مَراجِيعُ وَشمٍ في نَواشر مِعصم[1]
بها العِينُ والآرامُ يَمشينَ خِلفةً وَأطلاؤها يَنهضنَ من كل مَجثِم

ومعنى البيت : إن علمى قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر ، ولكننى عمى القلب عن الاحاطة بما هو منتظَر متوقَّع ، يريد لا أدرى ماذا يكون غدا

والشاهد فيه : الحشو الغير مفسد[2] للمعنى ، وهو لفظة « قبله »

ومثله قول عدى المتقدم [من الكامل] :

نَحنُ الرؤسُ وَما الرؤسُ إذا سمتْ في المَجدِ لِلأقوام كالأذنابِ

فقوله « للأقوام » حشو ، وفيه نظر ، لأن استعمال الرأس فى المقدم والرائس مجاز ، وذكر الأقوام كالقرينة

وقول الآخر [من مجزوء الوافر] :

ذكَرْتُ أخى فَعاودنى صُدَاعُ الرَّأس وَالْوصب

فلفظة « الرأس » حشو ، فان الصداع لا يستعمل إلا فى الرأس

ومن الحشو المفسد قول ديك الجن [من الكامل] :

فَتنفَّسَتْ فى البيت إذْ مُزجتْ بالماء وَاستَلبتْ سَنا اللهب
كتنفُّسِ الريحانِ خالطهُ منْ وردِ جور نَاضر الشعَب

فذكره المزاج يغنى ، والماء فضل لا يحتاج إليه ، وقد قصر عن قول أبى نواس[3] [من الكامل] :

---

(١) رواية الخطيب « ديار لها بالرقمتين » و « مراجع وشم » وفى كامل المبرد (١ : ٥١) « ودار لها » و « مراجع وشم »
(٢) الصواب أن يقال « غير المفسد للمعنى »
(٣) هما فى الديوان (٣٠٣) ضمن قصيدة

سلوا قناعَ الطينِ عن رَمَقٍ حيّ الحياةِ مُشارفِ الحتفِ
فتنفستْ في البيت إذ مُزِجتْ كتنفس الريحانِ في الأنفِ

ترجمة زهير بن أبي سلمى

وزهير بن أبي سلمى[١] هو أبو كعب وبُجَير ، واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة ، ينتهي نسبه لنزار ، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وإنما الخلاف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم ، وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبياني .

وعن عمر بن عبد الله الليثي قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ قال : فأتيته[٢] ، فشكا إليّ تخلف عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ، فقلت : أو لم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : هو ما اعتذر به . ثم قال : إن أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر رضي الله عنه ، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ، ثم ذكر رضي الله عنه قصة طويلة . قال : ثم قال لي : هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول [من الطويل] :

ولو أنّ حمداً يخلدُ الناسَ خُلّدوا ولكنّ حمدَ الناس ليس بمخلدِ[٣]

قلت : ذاك زهير بن أبي سلمى ، قال : هو شاعر الشعراء ، قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشيّ الشعر ، وكان لا يمدح أحداً إلا بما هو فيه .

---

(١) تجد ترجمة زهير في الأغاني (٩ : ١٤٦ — ١٥٨) وفي الشعر والشعراء (٥٧) وفي خزانة الأدب (١ — ٣٧٥)

(٢) في الأغاني « فأتاه » وكذلك في كل الضمائر وهي أنسب لأن راوي القصة ليس هو ابن عباس

(٣) في الأغاني « ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا » وهي أنسب بقوله « يخلد الناس » وبقوله « بمخلد »

وفى رواية أنه قال له : أنشدنى له ، فأنشدته حتى بَرَقَ الفجر ، فقال : حسبك ، الآن اقرأ القرآن ، قلت : وما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونزل فأذن وصلى .

وسأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ذاك ؟ قال : كفَّ عن المادحين فضولَ الكلام ، قال: بما ذا ؟ قال : بقوله [من الطويل] :

فما يَكُ من خيرٍ أتوْهُ فإنما توارثه آباء آبائهم قبلُ

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير بن أبى سلمى ، وله مائة سنة . فقال : اللهم أعذنى من شيطانه ، فما لاك بيتا حتى مات .

وعن الأصمعى قال : قال عمر رضى الله عنه لبعض ولد هَرِم بن سنان : أنشدنى مدح زهير أباك ، فأنشده ، فقال عمر : إنْ كان لَيُحْسن القول فيكم ، فقال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء ، فقال : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

قال : وبلغنى أن هرم بن سنان كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، غرة عبداً أو وليدة أو فرسا ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه فى ملأ قال : انعموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وعن عمر بن شيبة قال : قال عمر رضى الله عنه لابن زهير : مافعلت بالحلل التى كساها هرم أباك ؟ قال: أبلاها الدهر ، قال: لكن الحلل التى كساها أبوك هرماً لم يُبلها الدهر .

وقال أبو زيد الطائى(١) : أنشد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قول زهير [من الطويل] .

---

(١) فى بعض النسخ « أبو زبيد الطائى »

ومهما يكنْ عندَ امرىء منْ خَليقةٍ وإنْ خالها تخفى على الناسِ تُعلمِ

فقال : أحسن زهير وصدق ، ولو أن الرجل دخل بيتاً فى جوف بيت لتحدث به الناس ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تعمل عملا تكره أن يتحدث الناسُ به عنك » ، ومنه قول عمرو بن الأهتم [من الطويل] :

إذا المرء لم يُحْبِبكَ إلا تكرهاً بدَالك من أخلاقه ما يغالبُ

وقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

وللنفسِ أخلاقٌ تدلّ على الفتى أكَانَ سخاءً ماأتى أم تساخيًا

وعن المدائنيّ أن عروة بن الزبير رضى الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان رضى الله عنهما ، فكان إذا دخل عليه منفردا أكرمه ، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخفّ به ، فقال له يوما : يا أمير المؤمنين ، بئس المزور أنت تكرم ضيفك فى الخلا وتهينه فى الملا ، ثم قال: لله در زهير حيث يقول [من الوافر] :

فَحُلِى من ديارك إنّ قوماً متى يَدَعُوا ديارهمُ يهونوا

ثم استأذنه فى الرجوع إلى المدينة المنورة ، فقضى حوائجه وأذن له .

وقال ابن الأعرابي : كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ، وهو شاعر ، وخاله شاعر ، وابناه كعبٌ وبجيرٌ شاعران ، وأخته سلمى شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة ، وهى القائلة ترثيه [من الوافر] :

وما يغنى توَقّى المرءِ شيئاً ولا عقدُ التميم ولا الغضارُ

إذا لاقى منيتــهُ فأمسى يساقُ به وقد حق الحذارُ

ولاقاهُ من الأيامِ يــومٌ كما من قبــلُ لم يخلد قدارُ

وكان زهيرٌ يضرب به المثل فى التنقيح ، فيقال « حوليات زهير » ، لأنه كان يعمل القصيدة فى ليلة ثم يبقى حولا ينقحها .

ومما يعدّ من محاسنه قوله [من الطويل] :

وأبيض فياض نداهُ غمامةٌ ... على معتفيه ما تُغِبّ فواضله

تَرَاهُ إذا ما جئته متهللا ... كأنكَ تعطيه الذى أنت سائله

وقوله أيضاً [من البسيط] :

كمْ زرتهُ وظلامُ الليلَ منسدلٌ ... مسهم راقَ إعجاباً بأنجمه

وأبتُ والصبحُ منحور بكوكبهِ ... وسائق الشفق المحمر من دمهِ

ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة ، وغرتها قصيدة كعب ، وهى :

* بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ *

المشرفة بمن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

شاهد مساواة اللفظ المعنى

٦٢ — فإنكَ كالليل الذى هو مُدْرِكى ... وَإنْ خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ

البيت للنابغة الذبيانى ، من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس ، وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأولها[1] :

عَفَا ذُو حسًا من فَرْتَنَى فالفوارعُ ... فجنبا أريك فالتلاع الدوافعُ[2]

فمجتمعُ الأشراج غيَّرَ رسمها ... مصايفُ قد مرتْ بنا ومرابع[3]

توهمْتُ آيات لهـا فعرفتها ... لستةِ أعوامٍ وذا العامُ سابعُ

إلى أن قال فيها :

وَقد حال همٌّ دون ذلك شاغلٌ ... مكان الشغاف تبتغيه الأصابعُ

وَعيدُ أبى قابوسَ فى غير كنهه ... أتانى ودونى راكسٌ فالضواجعُ

(١) ارجع إليها فى الديوان (٣٧)

(٢) فى المطبوعتين « الروافع » محرفا عما أثبتناه عن الديوان والأغانى.

(٣) في الديوان « مصايف مرت بعدنا ومرابع » وكذلك في الأغانى.

فَبِتُّ كأنى ساوَرتنى ضَئيلةٌ من الرُّقْش فى أنيابها السُّمُّ ناقِعُ
يُسهَّدُ من ليل التِّمام سليمها لِحَلْى النساء فى يديه قَعاقِعُ (١)
تَناذَرها الراقونَ من سوءِ سمها تُطَلِّقُهُ طَوْراً وطَوْراً تراجِعُ (٢)
أتانى أَبَيْتَ اللعنَ أنكَ لُمْتَنِى وتلكَ التى تَسْتَكُّ منها المسامعُ (٣)
مقالةُ أن قد قلت سوف أنالُهُ وذلكَ من تلقاءِ مثلكَ رائعُ

إلى أن قال فيها :

فإن كنتَ لا ذو الضِّغنِ عنى مُكَذَّب ولا حَالِفِى على البراءةِ نافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشىءٍ أقولُهُ وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقعُ

و بعده البيت ، و بعده :

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينة تمدُّ بها أيدٍ إليكَ نوازعُ
سَتَبلغُ عذراً أونجاحاً من امرىءٍ إلى رَبِّهِ ربِّ البريةِ راكع (٤)
أتوعِدُ عبداً لم يخُنْكَ أمانةً ويُتْرَكُ عبدٌ ظالم وهو ظالعُ (٥)
وأنت رَبيعٌ يُنعش الناسَ سَيْبُهُ وسَيفٌ أُعيرَتْهُ المنيةُ قاطعُ
أبى اللهُ إلا عَدْلَهُ ووفاءَهُ فلا النكر معروفٌ ولا العرف ضائع

---

(١) فى الأصول « فقاقع » محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٢) فى الأصول « تبادرها » وهى رواية ، و « مطلقة طورا » وهو تحريف ما أثبتناه عن الديوان

(٣) فى الأصول « وتلك التى تستد »

(٤) هذا البيت لا يوجد فى الديوان ، وليس بملتئم مع بقية أبيات القصيدة

(٥) يروى « وهو ضالع » والضالع : الجائر المذنب. والظالع : الجائر عن الحق

وتُسقى إذا ما شئت غيرَ مُصَرَّد بزَوراءَ فى حافاتها المسكُ كانعُ (١)

والمنتأى : اسم موضع من انتأى عنه أى بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه فى حال سخطه وهوله

والمعنى : أنه لايفوت الممدوحَ وإن أبعد فى الهرب وصار إلى أقصى الأرض لسعة ملكه وطول يده ، ولأن له فى جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه

وقد اعترض الأصمعى على النابغة فقال : أما تشبيهه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتى بما لا قسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد . فلو قال قائل إن قول النميرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغاً إلى ذلك حيث يقول [من الطويل] :

فلو كنتُ كالعَنقاءِ أو كسموها لَخِلْتُكَ إلا أن تَصدَّ ترانى

والشاهد فيه : مساواة اللفظ للمعنى المراد .

وفى معنى بيت النابغة قول على بن جبلة [من الطويل] :

وما لامرىء حاوَلْتَهُ منكَ مَهرَبٌ ولو رَفَعتهُ فى السماء المطالعُ

بَلى هاربٌ لا يَهْتَدِى لمكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح ساطعُ

وأكثر الأدباء يرجحه على بيت النابغة . وفى هذا المعنى أيضاً قول سَلْم الخاسر [من البسيط] :

فأنْتَ كالدهر مَبثوثاً حبائلُهُ والدهرُ لا ملجأ منهُ ولا هربُ

ولو مَلَكتُ عنانَ الريح أصْرِفها فى كل ناحية ما فاتَكَ الطلَبُ

وتناوله البحترى أيضاً فقال [من الكامل] :

ولو أنهم رَكبوا الكواكبَ لم يكن ينجيهمُ من خوفِ بأسِكَ مهربُ

---

(١) كانع : دان بعضه من بعض

وما أبدع قول أبي القاسم بن هانىء فيه [من الكامل] :

أين المفر ولا مَفَرَّ لهاربٍ ولكَ البسيطانِ الثرَى والماء

وقول الآخر [من الطويل] :

فلو كُنْتُ فوقَ الريح ثم طَلَبتني لكنتُ كمن ضاقت عليه المذاهبُ

و بديع قول أبي العرب الصقلي [من الطويل] :

كأن بلادَ الله كفَّاكَ إن يَسِرْ بها هاربٌ تجمعْ عليه الأناملُ

وأين يَفِرُّ المرء عنك بجرمهِ إذا كان تُطْوَى في يديكَ المراحلُ

ترجمة النابغة الذبياني

والنابغة (١) : اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ، ينتهى نسبه إلى ذبيان ثم لمضر ، ويكنى أبا أمامة ، و إنما سمى النابغة لقوله :

* وقد نَبغَتْ لهم منَّا شؤون *

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ منهم الشعر ، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .

عن ربعى بن خراش (٢) قال : قال لنا عمر رضى الله عنه : يا معشر غطفان من الذى يقول [من الوافر] :

أتيتكَ عارياً خَلَقاً ثيابى على خوفٍ تُظن بىَ الظنونُ

قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم .

وعن جرير بن يزيد (٣) بن جرير بن عبد الله البجلى ، قال : كنا عند الجنيد

---

(١) تجد ترجمة النابغة في الأغانى (٩ - ١٦٢) وفى الشعراء لابن قتيبة (٧٠)

(٢) في الأغانى «ابن حراش» مهملا

(٣) في الأغانى « جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلى »

ابن عبد الرحمن بخراسان ، وعنده بنو مرة وجلساؤه [من الناس] (١) فتذاكروا شعر النابغة ، حتى أنشدوا قوله * فانك كالليل الذى هو مدركى * البيت ، فقال شيخ من بنى مرة : وما الذى رأى فى النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان إلا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية أيضاً فأكثرت فنظر إلىّ الجنيدُ فقال: يا أبا خالد ، لا يهولنك قولُ هؤلاء الأعاريب (٢) وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .

وقال عمر (٣) بن المنتشر المرادى : وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر إليه من أمر وحلف عليه ، فقال له عبد الملك : ما كنت حرِيًّا أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى من اعتذار النابغة إلى النعمان [من الطويل] :

حَلفتُ فلم أترك لنفسكَ ريبةً وليسَ وراءَ الله للمرء مذهَبُ

فلم يجد فيهم من يرويه ، فأقبل على فقال : أترويه ؟ قلت : نعم ، فأنشدته القصيدة كلها ، فقال : هذا أشعر العرب .

وعن أبى عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصًّا بالنعمان ، وكان من ندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجردة يوماً وقد غشيها شىء شبيه بالفجاءة ، فسقط نَصِيفُها فاستترت بيديها وذراعيها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لعَبَالتها

---

(١) زيادة عن الأغانى
(٢) فى الأغانى « هؤلاء الأعاريض »
(٣) فى الأغانى « عمرو بن المنتشر »

وغلطها، فقال قصيدته التى أولها (١) [من الكامل]:

من آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتدى عجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ
زعم البوارحُ أن رحلتَنا غداً وبذاك تَنْعابُ الغرابِ الأسودِ (٢)
لا مرحباً بغد ولا أهلاً بهِ إن كانَ تفريقُ الأحبةِ فى غدِ
أزفَ الترحُّلُ غيرَ أن ركابَنا لما تزل برحالِنا وكأن قَدِ
فى إثْرِ غانيةٍ رَمَتْك بسهمِها فأصاب قلبَكَ غيرَ أن لم تقصِدِ
بالدُّر والياقوت زُيِّنَ نحرُها ومفصَّلٍ من لؤلؤٍ وزبرجَدِ
سقط النَّصيفُ ولم ترد إسقاطَهُ فتناولَتْهُ واتَّقتنا باليَدِ
بمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأن بَنَانَهُ عنمٌ على أغصانه لم يُعْقَدِ (٣)
وبفاحمٍ رَجْلٍ أثيثٍ نَبْتُهُ كالكرم مالَ على الدِّعام المسنَدِ
نَظرتْ إليكَ لحاجةٍ لم تَقضِها نَظَرَ السقيم إلى وُجوهِ العودِ

وهى طويلة، فأنشدها النابغة مُرة بن سعد القُريعى، فأنشدهامُرة النعمانَ، فامتلأ غضبا وأوعد النابغة وتهدده، فهرب، فأتى قومه، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام فامتدحهم.

وقد اعترض الأصمعى على البيت الأخير من هذه الأبيات فقال: أما تشبيهه مرض الطرف فحسن إلا أنه هجنه بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل،

---

(١) اقرأها فى الديوان (٦٣) وستة الأبيات الأولى منها فى الأغانى (٩ – ١٦٤) والأربعة بعدها فى (٩ – ١٦٥ منه) وفيها غناء

(٢) زعموا أن أصل الرواية فى عجز هذا البيت * وبذاك خبرنا الغراب الأسود * وأن النابغة أقوى فى هذا البيت، ثم سمع جارية تغنى فيه فأصلحه

(٣) وزعموا أن أصل الرواية فى عجز هذا البيت:

* عنم يكاد من اللطافة يعقد *

وأحسن منه قول عدى بن الرقاع العاملى [من الكامل] :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

وأما قوله « سقط النصيف ـ البيت » فيروى أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه : أتعلمون أن النابغة كان مخنثا ؟ قالوا : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : أو ما سمعتم قوله ، يعنى هذا البيت ، والله ما عرف هذه الاشارة إلا مخنث

وقد أخذ هذا المعنى أبو حية النميرى فقال [من الطويل] :

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم (١)

ثم أخذه الشماخ فقال [من الطويل] :

إذا مر من تخشى اتقته بكفها وسب بنضح الزعفران مضرج

وأظرف ما يعرف من هذا المعنى ما أنشده القاضى التنوخى لنفسه [من المنسرح] :

لم أنس شمس الضحى تطالعنى ونحن فى روضة على فرق
وجفن عينى بمائه شرق وقد بدت فى معصفر شرق
كأنه دمعتى ووجنتها حين رمتنا العيون بالحدق
ثم تغطت بكمها خجلاً كالشمس غابت فى حمرة الشفق

رجع إلى أخبار النابغة

عن المفضل أن مرة الذى وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجودته ، فذكره النابغة للنعمان ، فاضطغن من ذلك مرة حتى وشى به إلى النعمان وحرضه عليه .

وقيل : إن الذى من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان هو والمنخل بن عبيد ابن عامر اليشكرى جالسين عنده ، وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر ، وكان

(١) فى المطبوعتين « كفا ومعصما »

المنخَّل من أجمل العرب ، وكان يُرمى بالمتجردة زوجة النعمان ، وتتحدث العرب أن ابنى النعمان منها كانا من المنخَّل ، فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صف المتجردة فى شعرك ، فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها ، فلحق المنخلَ من ذلك غيرةٌ ، فقال للنعمان : مايستطيع أن يقول هذا الشعر إلا مَنْ جَرَّب ، فوقر ذلك فى نفس النعمان ، وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار إلى غسان فنزل بعمرو بن الحارث الأصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ، ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه ، إلى أن استعطفه النعمان فعاد إليه .

وعن أبى بكر الهذلى قال : قال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته ، فأتيت حاجبه عصام بن شهبر ، فجلست إليه فقال : إنى أرى عربيا ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فكن قحطانيا ، قلت : فأنى قحطانى ، قال : فكن يَثْرِبيا ، قلت : فأنى يثربى ، قال : فكن خَزْرَجيا ، قلت : فأنى خزرجى ، قال : فكن حسان بن ثابت ، قلت : فأنا هو ، قال : أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم ، قال: فانى سأرشدك ، إذا دخلت عليه فانه سيسألك عن جَبَلَةَ بن الأيهم ويسبه ، فاياك أن تساعده على ذلك ، ولكن أمرِرْ ذكره إمرارا لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثلى أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه ؟ فان دعاك إلى الطعام فلا تواكله ، فان أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابة مُبِرٍّ قَسَمَه متشرف بمواكلته ، لا أكل جائع سَغِب ، ولا تبدأه باخبار عن شىء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تطل الاقامة فى مجلسه ، فقلت: أحسن الله رِفْدك ، قد أوصيت واعيا ، ودخل ثم خرج إلى فقال: ادخل ، فدخلت وحييت بتحية الملك ، فجارانى فى أمر جبلة ما قاله لى عصام كأنه كان حاضرا ، فأجبت بما أمرنى ، ثم استأذنته فى الانشاد ، فأذن لى ، فأنشدته ، ثم دعا بالطعام ، ففعلت مثل ذلك ، فأمر لى بجائزة سَنِية ، وخرجت فقال لى عصام : بقيت عليك واحدة لم أوصك بها ، بلغنى أن النابغة الذبيانى

قادم عليه ، و إذا قدم عليه فليس لأحد منه حظ سواه ، فاستأذِنْ حينئذ وانصرف مكرما خير من أن تنصرف مُجْفُوا . قال : فأقمت ببابه شهراً ، ثم قدم عليه خارجة ابن سنان ومنظور بن زبان (١) الفزاريان ، وكان بينهما وبين النعمان دخللٌ – أي خاصة – وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه ، فضرب عليهما قبة ولم يشعر أن النابغة معهما ، فدسّ النابغة قينة تغنية بشعره

* يا دَارَ مَيّةَ بالْعلياء فالسَّندِ *

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين ، وكلماه فيه فأمّنه ، ثم خرج في غِبٍّ سماء فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضب بحناء وأقنى خضابه . فلما رآه النعمان قال : هي بدم كانت أحْرَى أن تخضب ، فقال الفزاريان : أبيت اللعن لا تثريب قد أجرناه ، والعفو أجمل . قال : فأمّنه واستنشده أشعاره ، فعند ذلك قال حسان بن ثابت : فحسدته على ثلاث لا أدرى على أيتهن كنت أشد له حسدا : على إدناء النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له و إصغائه إليه ، أم على جودة شعره ، أم على مائة بعير من عصافيره أمر له بها .

قال : وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده ، لا يستعمل غير ذلك .

وقيل : إن السبب في رجوع النابغة إليه بعد هربه منه أنه بلغه أنه عليل لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه ، وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه فألفاه محمولا على سرير ينقل ما بين الغمران وقصور الحيرة فقال لعصام حاجبه [من الوافر] :

---

(١) في نسخة «منظور بن زياد» ولم يذكر أبو الفرج اسم الفزاريين وإن كان قد ذكر هذه القصة

ألم أُقسمْ عليكَ لتخبرنّي أمحمولٌ على النَّعْش الهمامُ
فإني لاَ أُلامُ على دُخولي ولكنْ ما وَراءكَ ياعِصامُ(١)
فإنْ يَهلكْ أبوقابوسَ يَهلك رَبيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحرامُ
ونُمْسِكْ بَعدهُ بذناب عَيش أجبِّ الظَّهرِ لَيسَ لهُ سَنامُ

ومات النابغة الذبيانى على جاهليته ، ولم يدرك الاسلام .

* * *

٦٣ — * أنَا ابْنُ جلاَ . . . . *

شاهد إيجاز الحذف

هو أول بيت لسحيم بن وثيل الرياحى ، ولفظه :

أنا ابنُ جلاَ وَطلاَّعُ الثنايا متى أضعِ العِمامةَ تَعرفونى

وهذا البيت من قصيدة(٢) من الوافر أولها :

أفاطِمَ قبلَ بينِكِ متِّعيني ومنعُكِ ما سألتُ كأنْ تبيني

يقول فيها أيضاً :

فانَّ عُلالتى وجرَاء حولِي لذُو شقٍّ على الضرع الظَّنونِ
أنا ابنُ الغرّ من سلفى رِياحٍ كنصلِ السيفِ وضاح الجبينِ

وبعده البيت ، وبعده :

وإنِّ مكانَنا من حِمْيَرِيّ مكانُ الليثِ من وسَطِ العرينِ

---

(١) فى الأغانى * فانى لا ألومك فى دخولى * وكان فى الأصل * لا ألام على دخول *

(٢) ارجع إلى خزانة الأدب (١ – ١٢٣) و (٣ – ٤١٤) وكامل المبرد (١ – ١٣٢ و ٣٢٤) والعقد الفريد (٤ – ١٣٠) والأغانى (١٢ – ١٤)

وإن قَناتنا مَشِظٌ شَظاها شديدٌ مدُّها عنقَ القرين[١]

وإني لا يعودُ إليَّ قِرنى غداةَ الغبِّ إلا فى قَرين[٢]

بذى لِبَدٍ يَصُدُّ الرَّكبَ عنهُ ولا تُؤتى فريستهُ لحين

عذرتُ البُزلَ إذ هيَ صاوَلتنى فما بالى وبالُ ابنىْ لَبون[٣]

وماذا يبتغى الشعراء منى وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين[٤]

أخو الخمسين مجتمعٌ أشُدّى ونَجّذَنى مُداوَرَةُ الشؤونِ[٥]

سأجنى ما جنيتُ وإنَّ ظهرى لذُوسندٍ إلى نضدٍ أمين

وكان السبب فى قوله هذه الأبيات أن رجلا أتى الأَبيْرِدَ الرِّياحىّ وابن عمه الأحوص ـ وهما من رِدْف الملوك من بنى رياح ـ يطلب منهما قطرانا لإبله ، فقالا له : إن أنت أبلغتَ سُحيم بن وُثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك قطراناً ، فقال : قولا ، فقالا : اذهب فقل له :

---

(١) أنشد صاحب اللسان هذا البيت (م ش ظ) عن ابن السكيت ثم قال: قوله مشظ شظاها مثل لامتناع جنابه : أى لا تمس قناتنا فينالك منها أذى .

(٢) غداة الغب ـ بغين مكسورة ـ هكذا فى الأصول ، ومثله فى خزانة الأدب ، ونص البغدادى على ضبطه وشرحه بقوله « وغداة الغب : اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه » اهـ . ووقع فى الأغانى «غداة العبء» بعين مهملة وآخره همزة ـ ويمكن أن يفسر بأحد تفسيرين : الأول أن يكون أراد بالعبء الحمل الذى يثقل عليك ويبهظك ، وكنى بذلك عن الحرب ، لما فيها من التبعات الجسام ، والآخر أن يكون أخذ من تعبئة الجيوش وتهيئة أماكن الفرسان والأبطال فيها

(٣) فى الخزانة « إن هى خاطرتنى »

(٤) فى اللسان (نج ذ) « وماذا يدرى » بتشديد الدال ومعناه يختل

(٥) فى الخزانة « أخو خمسين » وكذا فى العقد

فان يُداهنى وجراءَ حَوْلى   لذو شقٍّ على الحطمِ الحَرُون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادى يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب فقل لهما ، وأنشد الأبيات ، قال : فأتياه فاعتذرا فقال : إن أحد كما لا يرى أنه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وحَسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأزب[1] فقالا له : فهل إلى النزع من سبيل ؟ فقال : إنا لم نبلغ أنسابنا

وذكر ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء[2] مطلع هذه القصيدة فى أبيات أخر ، ونسبها للمثقّب العَبْدىّ ، وقال : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه ، وصورة ما أورده ابن قتيبة :

أفاطمَ قبلَ بينكِ متّعينى   ومنعُكِ ما سألتُ كأن تبينى

ولا تُبدى مواعدَ كاذبات   تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دونى[3]

فانى لو تُخالفنى شِمالى   بنصرٍ لم تصاحبْها يمينى[4]

إذاً لقطعتُها ولقلتُ بينى   كذلك أجتوِى من يجتوينى

فإما أن تكون أخى بحق   فأعرف منك غثّى من سَمينى

وإلا فاطّرِحْنى واتَّخِذْنى   عدوًّا أتّقيك وتتقينى[5]

(١) فى الخزانة « استطافة البعير الأزب »

(٢) انظره (ص ٢٣٤)

(٣) فى الشعراء « ولا تعدى »

(٤) فى الشعراء فى ترجمة المثقب العبدى رواية البيت هكذا :

فانى لو تعاندنى شمالى   عنادك ما وصلت بها يمينى

ورواه فى ترجمة النابغة الذبيانى :

ولو أنى تخالفنى شمالى   بنصر لم تصاحبها يمينى

(٥) فى الشعراء « وإلا فاطرحنى واتخذنى »

وَما أدرى إذا يَمَّمت أرضاً أريد الخير أيُّهما يليني
أألخير الذى أنا أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يبتغيني

والأبيات المارّة تُقوّى أنها لسُحيم المذكور ، فلعل اتفاقهما فى المطلع من باب توارد الخواطر ، والله أعلم .

و« جلا » هنا غير منوّن لأنه أراد الفعل فحكاه مقدراً فيه الضمير الذى هو فاعل ، والفعل إذا سمى به غيرَ منتزع عنه الفاعل لم يكن إلا حكاية ، كقول تأبط شرّاً [من الطويل] :

كذبتم و بيتِ الله لا تأخذونها بنى شابَ قرناها تُصَرُّ وتُحْلَبُ(١)

وكقول الشاعر [من الرجز] :

وَالله مازيدٌ بنامَ صاحِبُهْ ولا مخالطِ النِّيام جانبه(٢)

و إنما أراد أنا ابنُ الذى جَلا ، و بنى التى يقال لها شاب قرناها ، ووالله مازيد بالذى يقال فيه نام صاحبه

وابن جلا يقال للرجل المشهور : أى ابن رجل قد انكشفَ أمرُه ، أو جلا الأمور أى كشفها . والثنايا : جمع ثَنيَّة ، وهى العقبة ، يقال : فلان طلاّعُ الثنايا ، أى ركّاب لصعاب الأمور

والشاهد فيه : إيجاز الحذف ، والمحذوف موصوف ، وهو هنا « رجل » من قوله أنا ابن جلا

وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميراً . حدث

(١) يروى « لا تنكحونها » مبنيا للمعلوم ، وبضم تاء المضارعة من المزيد بالهمزة ، وبفتح تاء المضارعة من المجرد ، والبيت فى كامل المبرد (١ - ٢٣٦)
(٢) يروى « والله ما ليلى » و «ولا مخالط الليان » والبيت فى كامل المبرد (١ - ٢٣٦)

عبد الملك بن عمير الليثي(١) قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه ، إذ أتانا آت فقال : هذا الحجاج قدم أميراً على العراق ، وإذا به قد دخل المسجد معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر ، فمال الناس نحوه حتى صعد المنبر ، فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال بعض الناس لبعض : قبح الله بني أمية ! كيف تستعمل مثل هذا على العراق ؟ حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي : ألا أحصبه لكم ، فقالوا : أمهل حتى ننظر ، فلما رأى الحجاج أعين الناس تدور إليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال : أنا ابن جلا ، وأنشد البيت ، وقال : يا أهل الكوفة ، إني لأرى رؤوساً قد أينعت ، وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى :

تدوم الحجاج أميرا على العراق

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم(٢)

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال :

قد لفها الليل بعصلبي أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي معاود للطعن بالخطي

ثم قال أيضاً :

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد

إني والله يا أهل العراق لا يقعقع لي بالشنان ، ولا يغمز جانبي كتغماز التنين(٣)

(١) انظر هذه الخطبة في كامل المبرد (١ — ٢٢٣) وفي العقد الفريد (٤— ١٢٠)

(٢) في الاصول « الشر »

(٣) المحفوظ « كتغماز التين »

ولقد فُرِرت عن ذكاء وفُتِّشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين نَثَل كنانته بين يديه فعجم عيدانها عوداً عوداً فرآنى أمرها عوداً وأصلبها مكسراً وأبعدها مرمى فرماكم بى ، لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ، والله لأحزمنّكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب[1] الابل ، فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإنى والله ما أقول إلا وفيت ، ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت[2] ، وإن أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم ، وأن أجهزكم إلى عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة ، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ، يا غلام ، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم ، فلم يقل أحد منهم شيئا ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس فقال : أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ؟ هذا أدب ابن سمية[3] ، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب ، أولتستقيمُنّ

---

(١) فى الأصول « ضرب غرابيب الابل » محرفا عما أثبتناه

(٢) فى الأصول « احلق » بحاء مهملة ، وكتب مصحح مطبوعة بولاق « فى بعض النسخ ولا أحلف إلا بريت » وكلاهما تحريف ما أثبتناه عن المبرد والأصل فى هذه العبارة قول زهير بن أبى سلمى المزنى

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ومعناه ينفذ مايعزم عليه ويؤيد بالعمل ما يقدره بالظن

(٣) فى كامل المبرد « هذا أدب ابن نهية » بكسر النون وسكون الهاء — وكتب أبو الحسن فى تعليقاته عليه ما نصه : « زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » اهـ . قلت : والذين يروون « ابن سمية » يزعمون أنه أراد زياد بن أبيه

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل ، فوضع للناس أعطياتهم ، فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش كبراً ، فقال : أيها الأمير ، إنى من الضعف على ما ترى ، ولى ابن هو أقوى على الأسفار منى ، أفتقبله منى بدلا ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولى قال له قائل : أتدرى من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضابىء البرجمى الذى يقول أبوه:

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتنى تركتُ على عثمان تبكى حلائلُهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه يوم الدار ، وهو مقتول ، فوطىء بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول : أين تركت ضابئاً [1] يا نعثل ؟ فقال : ردوه ، فلما ردوه قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ، إن فى قتلك لصلاحاً للمسلمين ، يا حَرَسِىُّ اضرب عنقه ، فسمع الحجاج ضوضاء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت ، فقال : أتحِفُوهم برأسه ، فرموهم برأسه ، فولوا هاربين ، وجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل و يأمر وليه أن يلحقه بزاده ، وازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب بن أبى صفرة ، وفى ذلك يقول عبد الله بن الزَّبير الأسدى [2] [من الطويل]:

أقولُ لابراهيم لما رأيتهُ أرى الأمر أمسى داهياً متشعباً
تخير فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً وإما أن تزور المهلبا

---

(١) نعثل : رجل من أهل مصر قريب الشبه من عثمان رضى الله عنه ، وكانوا إذا أرادوا أن ينالوا من عثمان أطلقوا عليه اسم هذا الرجل

(٢) روى هذه الأبيات ماعدا الأول منها : الكامل فى المبرد (١ ـ ٣٢٦) وروى ابن قتيبة فى الشعراء (٢٤٠) ثانيها ومايليه

هما خطتا خسف نجاؤك منهما ... ركوبك حولياً من الثلج أشهبا(١)
فأضحى ولو كانت خراسانُ دونهُ ... رآها مكان السوق أو هى أقربا

* * *

٦٤ — وإنّ صخراً لتأتمّ الهداةُ بهِ ... كأنهُ عَلَمٌ فى رأسهِ نارُ

شاهد الايغال

البيت للخنساء، من مرثية فى أخيها صخر ، وهى قصيدة (٢) من البسيط، أولها:

قذًى بعينكِ أم بالعين عوّارُ ... أم ذرّفت إذخلتْ من أهلها الدارُ
كأنّ عينى لذكراهُ إذا خطرَتْ ... فيضٌ يسيل على الخدين مدرارُ
تبكى خناسُ على صخر وحُق لها ... إذ رابها الدهرُ إنّ الدهر ضرّارُ
تبكى لصخر هى العبرى وقد ثكلت ... ودونهُ من جديد الترب أستارُ(٣)
لا بدّ من ميتةٍ فى صرفها غيرٌ ... والدهرُ فى صرفهِ حولٌ وأطوارُ
يا صخرُ وَاردَ ماء قدْ تنَاذرهُ ... أهلُ المواردِ ما فى وردهِ عارُ(٤)
مشى السبنتىَ إلى هيجاء معضلة ... لهُ سِلاحانِ أنياب وأظفار(٥)
فما عجول على بوٍّ تُطيفُ بهِ ... لهَا حَنينانِ إصغار وإكبارُ
ترْعى إذا نَسِيت حتى إذا ذكرتْ ... فإنما هىَ إقبال وَإدبارُ(٦)

(١) فى الأصول «من البلج أشهبا» وما أثبتناه موافق لما فى الكامل والشعراء

(٢) ارجع إليها فى شرح الديوان (٧٣ بيروت) والأغانى (١٣ — ١٣٨) (٣٧٩) ومنها ثمانية أبيات فى الكامل للمبرد (٢ — ٣٩)

(٣) فى الديوان «وقد ولهت» مكان «وقد ثكلت»

(٤) فى الديوان «وراد ماء» بصيغة المبالغة ، «وتبادره» كذا فى الأصول موافقا لما فى الشريشى (٢ — ٢٥٤) وفى الديوان «تناذره»

(٥) السبنتى : النمر ، و«هيجاء معضلة» موافق لما فى الأغانى وكامل المبرد ، وفى الديوان مضلعة

(٦) فى الديوان « ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت »

لا تسمنُ الدهرَ فى أرضٍ وإن رُبعتْ ... فإنما هِىَ تحنانٌ وتسجارُ(١)
يوماً بأوجدَ منى حينَ فارقنى ... صخر، وللدهرِ إحلاء وإمرار
وإنّ صخراً لوالينا وسيدُنا ... وإنَّ صخراً إذا نشتو لنحارُ(٢)

وبعده البيت، وبعده:

لم تَرَهُ جارة يمشى بساحتها ... لريبةٍ حينَ يُخلِى بيتَهُ الجارُ(٣)
وَلا تَرَاهُ وما فى البيت يأكلهُ ... لكنهُ بارز بالصحن مِهمارُ(٤)
مِثلُ الرُّدَينِىّ لم تنفد شبيبتهُ ... كأنه تحتَ طىِّ البرْدِ أسوارُ(٥)
فى جوف رمسٍ مقيم قد تضمنهُ ... فى رمسهِ مقمطرّات وأحجارُ
طلقُ اليدين بفعلِ الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمّارُ(٦)

والعلم: الجبل الطويل، وقيل: هو عام فى كل جبل.

والشاهد فيه: زيادة المبالغة فى الايغال، وهو قولها «فى رأسه نار»،

---

(١) فى الأصول «وإن رتمت» محرفا عما أثبتناه عن الديوان، وربعت: أصابها مطر الربيع

(٢) روى هذا البيت فى الأغانى (١٣ – ١٣٨) وفى الشريشى (٢ – ٢٥٢) كما هنا، وروى فى الديوان «وإن صخرا لكافينا»

(٣) فى الأصول «ولم تره» والواو زائدة عن الوزن

(٤) فى الديوان «وما تراه» وبارز: ظاهر فى خارج البيت، والصحن: الجفنة الضخمة، والمهمار: الذى يكثر لأضيافه من القرى، يعنى أنه لا يأكل طعامه فى داخل البيت مختفيا، ولكنه يبرز طعامه ليدعو إليه الضيفان ويكثر من قراهم.

(٥) فى الأصل «لم تنفذ» محرفا عما أثبتناه عن الديوان، والأسوار بضم الهمزة

(٦) ذو فجر: يتفجر بالمعروف، ووقع فى الأصول «ذو نخر» وأثبتنا ما فى الأغانى والديوان، والدسيعة: المطية

فان قولها « علم » واف بالمقصود ، وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية ، لكنها أتت بالتتمة إيغالا وزيادة للمبالغة .

وقد ضمن عز الدين الموصلى عجز البيت فى سامرى اسمه نجم ، فقال [من البسيط] :

وسامرىّ أعارَ البدرَ فضلَ سنًا　　سَمَّوْهُ نجماً وذاكَ النجْمُ غرَّارُ
تهتز قامته من تحت عِمّتهِ　　كأنهُ علم فى رأسهِ نارُ

ترجمة الخنساء

والخنساء[1] اسمها تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد ، ينتهى نسبها لمضر ، والخنساء : لقب غلب عليها ، وفيها يقول دريد بن الصِّمة ، وكان خطبها فردته وكان رآها تهْنأ بعيراً[2] [من الكامل] :

حيُّوا تماضرَ وارْبَعُوا صحبى　　وقفوا فإنّ وقوفكم حسبى
أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم　　وأصابه تَبلٌ من الحبِّ
ما إنْ رأيتُ ولاسمعتُ بهِ　　كاليوم طالىَ أينقٍ جُرْبِ
متبذلا تبدو محاسنهُ　　يضعُ الهناء مواضع النقبِ

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام : لما خطبها دُرَيد بعثت خادماً لها ، وقالت : انظرى إليه إذا بال ، فان كان بولُه يخرق الأرض ويخدّ فيها ففيه بقية ، وإن كان بوله يسيح على الأرض فلا بقية فيه ، فرجعت إليها وأخبرتها أن بوله ساحَ على وَجه الأرض ، فقالت : لا بقية فى هذا ، وأرسلت إليه : ما كنتُ لأدع

(١) للخنساء ترجمة في الأغانى (١٣-١٣٦) والشعراء لابن قتيبة (١٩٧) وخزانة الأدب (١ - ٢٠٧) وفى مقدمة شرح ديوانها المطبوع في بيروت
(٢) الأبيات الأربعة في الأغانى والشعراء ، وزاد عليها فى مقدمة الديوان بيتين

بنى عمى وهم مثل عوالى الرماح ، وأتزوج شيخاً ، فقال[١] [من الوافر] :

وقاكِ اللهُ يا ابنة آل عمرو   من الفتيان أشباهى ونفسى[٢]

وقالتْ إننى شيخٌ كبيرٌ   وما نبأتها أنى ابنُ أمسِ[٣]

فلا تلدى ولا ينكحكِ مثلى   إذا ما ليلةٌ طرقتْ بنحس

تريد شرنبث القدمين شثناً   يباشرُ بالعشية كل كرسِ

فقالت الخنساء [من الوافر]:

مُعاذَ الله ينكحنى حبركى   يقالُ أبوه من جُشَم بن بكرِ

ولوْ أصبحتُ فى جُشَم هديًا   إذًا أصبحتُ فى دنس وفقرِ

وكانت الخنساء فى أول أمرها تقول البيتين والثلاثة ، حتى قتل أخواها معاوية وصخر . وكان صخر أخاها لأبيها ، وكان أحبهما إليها ، لأنه كان حليما جواداً محبوباً فى العشيرة .

مقتل صخر أخى الخنساء

وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة قال : غزا صخر بن عمرو وأنس ابن عباس الرعلىّ بنى أسد بن خزيمة فأصابوا غنائم وسبْياً ، وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة من بنى أسد ، وأصابته يومئذ طعنة طعنه بها رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عليه حتى شق عليه بعد سنين وكان ذلك سبب موته . وروى أن صخرا مرض من تلك الطعنة قريباً من حول

(١) الأبيات الأربعة فى الأغانى (١٣-١٣٦) وهى فيه ضمن قصيدة لدريد ابن الصمة (٩ - ١٢)

(٢) فى الأصول «من الفتيات» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ومقدمة الديوان ، ويروى « عن الأزواج أشباهي »

(٣) كذا فى الأغانى فى ترجمة الخنساء ، ورواه فى ترجمة دريد بن الصمة:

وتزعم أننى شيخ كبير   وهل أخبرتها أنى ابن أمس

حتى مله أهله ، فسمع صخر امرأة تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ فقالت : لا حيٌّ فيرجى ، ولا ميت فيسلى ، وقد لقينا منه الأمرين ، فقال صخر فى ذلك [من الطويل] :

أرى أمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتى ... وملَّت سُلَيمى مضجَعى ومكانى

وما كنتُ أخشَى أن أكونَ جنازةً ... عليكِ ومن يغترُّ بالحدَثان

أهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حِيلَ بينَ العيْرِ والنَّزَوان

لعمرى لقد نبَّهْتَ من كان نائماً ... وأسمعت من كانت له أُذُنان

والموتُ خيرٌ من حياة كأنها ... محلة يَعسوبٍ برأس سِنان

وأىُّ امرىء ساوى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاش إلا فى شقاً وهوان

وزعم قوم أن التى قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التى كان سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه ، وأنشد مكان البيت الأول :

ألا تلكُمُ عرسى بديلةُ أوْجَسَتْ ... فراقى وملت مضجعى ومكانى (١)

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء ، وقد نتأت قطعة مثل اليد (٢) فى جنبه من موضع الطعنة فتدلت واسترخت ـ قالوا له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ ، فقال : شأنكم وهى ، فأشفق عليه بعضهم فنهاهم ، فأبى صخر وقال : الموت أهون على مما أنا فيه ، فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه ، قال : وسمع صخر أخته الخنساء وهى تقول : كيف كان صبره ؟ فقال صخر فى ذلك [من الطويل] :

أجارتنــا إن الخطوبَ تنوبُ ... على الناس، كلُّ المخطئين تُصيبُ

---

(١) فى الأغانى «أوحشت فراقى» محرفا عما هنا ، وأوجست : توقعت وارتقبت.

(٢) فى الأغانى « مثل الكبد فى جنبه »

فان تسأليني هل صبرتُ فانني صبورٌ على ريب الزمان أريبُ[1]

كأني وقد أدنَوْا إليَّ شفارهم من الصبر دامي الصفحتين ركوب

أجارتنا لستُ الغداةَ بظاعنٍ ولكن مقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب ، وهو جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة المنورة .

وروى أنه لما طعن ودخلت حلق الدرع في جوفه ضجر منها زماناً ، وبعث إلى ربيعة الأسدي الذي طعنه: إنك أخذت حلقاً من درعي بسِنَانِكَ . فقال له ربيعة : اطلبها في جوفك ، فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه ، فملّته امرأته وكان يكرمها ويعينها على أهله ، فمر بها رجل وهي قائمة ، وكانت ذات كفل وأوراك فقال لها : أيباع هذا الكفل ؟ فقالت : عما قليل ، وصخر يسمع ذلك ، فقال : لئن استطعت لأقدمنك أمامي ، ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر هل تقلّه يدي ، فدفعته إليه فاذا هو لا يقله ، فعندها أنشد الأبيات السابقة ، ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا ، وكان صخر قد أخذ بثأره وقتل قاتله .

ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، وبلغها تسويم[2] الخنساء هَوْدَجَهَا في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب عرفت ذلك لها ، فقالت هند : بل أنا أعظم العرب مصيبة ، فأمرت بهودجها فسُوِّم براية أيضاً ، وشهدت الموسم بعكاظ ، وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيه العرب ، فقالت :

---

(١) في الأغاني « صليب » مكان « أريب »

(٢) تسويم الهودج : أن تجعل له علامة يتميز بها عن سائر الهوادج

اقرنوا جملى بجمل الخنساء ، ففعلوا ، فلما دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أُخية ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغنى أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم ؟ قالت : بأبى عمرو بن الشريد وأخوىَّ صَخْر ومعاوية ، فبم تعاظمينهم أنت؟ قالت : بأبى عتبة وعمى شيبة وأخى الوليد ، قالت الخنساء : لسواهم عندك ، ثم أنشأت تقول [1] [من الطويل] :

أُبكِّى أبى عمراً بعينٍ غزيرةٍ   قليلٍ إذا نام الخلىُّ هُجودهَا

وصِنوَىَّ لا أنسى : معاوية الذى   له من سَرَاة الحرتين وفودُهَا

وصخراً ، ومن ذا مثل صُخر إذا غَدَا   بسَلْهَبَة الآطال قُبٍّ يقودُها [2]

فذلك يا هِندُ الرَّزِيَّةُ فاعلمى   ونيرانُ حربٍ حين شُبَّ وقودهَا

فقالت هند بنت عتبة تجيبها [من الطويل] :

أُبكِّى عَميدَ الأبْطَحين كليهمَا   وحاميَهَا من كل باغ يريدُهَا

أبى عُتبةُ الخيرات ويحكِ فاعلمى   وشَيْبةُ والحامى الذمار وليدهَا

أولئك آل المجد من آل غالب   وفى العز منها حين يَنْمى عديدُهَا [3]

وقالت الخنساء أيضاً يومئذ [4] [من مجزوء الكامل] :

من حس لى الأخَوَينِ كالـــغُصْنين أو من رآهمَا [5]

---

(١) اقرأها فى الديوان (٥٨) وفى الأغانى فى شرح موقعة بدر (٤ ـ ٣٥)

(٢) فى الديوان « بساهمة الآطال » وذكر فى شرحه أنه يروى « بسلهبة الآطال » والسلهبة : الجسيمة ، والآطال : جمع إطل

(٣) فى شرح ديوان الخنساء «حين تثنى عديدها» ومثل ذلك فى الأغانى

(٤) ارجع إليها فى الديوان (٢٥٦)

(٥) فى الأصول روى هذا البيت محرفا هكذا :

من جش لى الأخوين كالمضين أو مذرآهما

قَرْمين لا يتظالما ن ولا يُرام حِماهُمَا
وَيلي على الأخوين وال قبرِ الذى وارَاهُما
لامِثلَ كَهلي فى الكهو لِ ولا فتىً كفتاهُما
رُمحَين خَطِّيَّين فى كبدِ السماء سناهُما
ما خلَّفا إذ ودَّعا فى سؤدَد شَرْواهما
سادا بغيرِ تكلُّفٍ عفواً يفيضُ نداهمَا

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .

ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سُلَيم فأسلمت معهم ، وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها و يعجبه شعرها وكانت تنشده وهو يقول : هِيه ياخُنَاس ، و يومئ بيده صلى الله عليه وسلم .

وعن أبى وجرة عن أبيه قال : حضرتِ الخنساء بنت عمرو السليمية حربَ القادسية ومعها بنوها أربعة رجل رضى الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول الليل : يابنى ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هَجَّنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدَّ الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، لقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى مساقها ، فتيمموا وَطيسها ، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خَميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة . فخرج بنوها قابلين لنصحها ، عازمين على قولها ، فلما أضاء لهم الصبح بادروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول [من الرجز] :

يا إخوتى إنَّ العجوزَ الناصحهْ قَدْ نَصحتنا إذْ دَعَتْنا البارحهْ

بِقالةٍ ذَاتِ بَيانٍ وَاضحهْ فَباكِرُوا الحربَ الضَّرُوسِ الكالحهْ

وَإنما تلقونَ عِندَ الصائحهْ منْ آل ساسان كِلابا نابحهْ

قدْ أيقنوا مِنكم بوَقعِ الجائحهْ وَأنتمُ بينَ حَياةٍ صالحهْ

* وَميتةٍ تورثُ غُنما رابحهْ *

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى . ثم حمل الثانى وهو يقول [من الرجز] :

إنَّ العجوزَ ذَاتُ حَزْمٍ وَجَلَدْ والنَّظرِ الأوْفقِ والرَّأى السَّدَدْ

قَدْ أمَرَتْنا بالسَّدَاد وَالرَّشدْ نَصيحةً مِنْها وَبِرًّا بالوَلَدْ

فَباكِرُوا الحَربَ كماةً فى العُدَدْ إما بِفوز باردٍ على الكبدْ

أوْ مِيتةٍ تورثكم غُنْمَ الأبدْ(١) فى جَنة الفردَوْس وَالعيش الرَّغدْ

وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ، ثم حمل الثالث أيضا وهو يقول [من الرجز] :

واللهِ لا نَعصى العجوزَ حَرْفا قَدْ أمَرَتْنا حَرَبًا وَعطفا(٢)

نُصحاً وَبِراً صادقا وَلطفا فَبادِرُوا الحربَ الضَّرُوسِ زَحْفا

حتى تلفُّوا آلَ كِسرَى لفًّا أوْ تكشفوهمْ عنْ حِماكم كَشفا

إنا نرَى التَّقصيرَ مِنكم ضَعفا والقَتلَ فِيكم نجْدَةً وَعرفا(٣)

وقاتل أيضاً حتى استشهد رحمه الله ، ثم حمل الرابع وهو يقول [من الرجز] :

---

(١) فى شرح الديوان * تورثكم عيش الآبد *

(٢) ذكر فى شرح الديوان أنه يروى « قد أمرتنا حذرا »

(٣) فى الأصول «أماتروا» ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه عن شرح الديوان

لَسنا لخنساء ولاَ للأحزمِ ولاَ لعمرو ذِى السَّناء الأقدمِ(١)

إنْ لم أرَى فى الجيش جَيشِ الأعجم ماضٍ على هول خضمٍّ خِضرمِ(٢)

إمـا لِفـوز عاجـل ومَغنم أوْ لوفاةٍ فى السَّبيل الأكرمِ(٣)

وقاتل حتى قتل أيضاً رحمة الله عليه وعلى إخوته ، فبلغها الخبر رضى الله عنها فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى معهم فى مستقر رحمته ! .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة ، لكل واحد منهم مائتى درهم ، إلى أن قُبض رحمه الله ورضى عنه .

وكانت وفاتها [فى زمن معاوية بن أبى سفيان نحوسنة خمسين من الهجرة(٤)]

* * *

شاهد الإيغال

٦٥ — كأنَّ عيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائِنا
وَأرْحُلِنَا الجزْعُ الَّذِى لَمْ يُثَقَّبِ

البيت لامرىء القيس ، من قصيدة من الطويل (٥) أولها :

خَليلىَّ مُرَّابى على أمّ جُندب لِنقضىَ حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ

فإنكما إنْ تَنظرانىَ ساعةً مِنَ الدَّهر تَنفعنى لدَى أمِّ جُندبِ

---

(١) فى الأصول « ولا للأخرم » وأثبتنا رواية الديوان ، وفيها « ولا لعمرو فى السناء »

(٢) لم يستقم لنا هذا البيت وهو فى شرح الديوان مضطرب أيضا

(٣) فى الأصول « أو لوفاء » وأثبتنا ما فى شرح الديوان

(٤) سقط من جميع أصول هذا الكتاب تاريخ وفاة الخنساء وكتب بهامش مطبوعة بولاق «هكذا بياض بالأصل» وقد أثبتناه عن شرح الديوان

(٥) انظرها فى الديوان (ص ٣١) وقد مضت أبيات منها فى (ص ٤٧٦ من هذا الجزء) ومضت ترجمة امرىء القيس فى شرح الشاهد (رقم ١)

ألم تريانى كلما جئتُ طارقاً وَجدتُ بِها طيباً وَإنْ لم تَطيَّبِ
عَقيلة أخدَانٍ لها لاَ ذَميمةٌ وَلا ذَاتُ خَلْقٍ إن تأملتَ جَأنبِ

إلى أن يقول فيها :

وَقلتُ لِفتيانٍ كِرَام ألاَ انزلوا فَعالوا عَلينا فَضلَ بُردٍ مُطنَّبِ(١)
فَفِئْنا إلى بَيت بعلياء مُرْدَحٍ سماوتهُ مِنْ أتحميّ مُعَصَّبِ
وَأوتادهُ عَاديَّة وعِمادهُ رُدينيةٌ فِيها أسِنةُ قَعضبِ(٢)
فلما دَخلناه أضَفْنا ظُهورَنا إلى كلّ حاريّ جَديدٍ مُشطبِ(٣)
فَظل لَنا يومٌ لذِيذٌ بِنعمةٍ فَقِل فى مَقِيل نحْسُه مُتغيبِ(٤)

وبعده البيت ، وبعده :

نمشُّ بأعرافِ الجِياد أكُفَّنا إذَا نحنُ قُمْنا عنْ شِواءٍ مُضهَّبِ

وهى طويلة

قال الأصمعى : الظبى والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سود ، فاذا ماتابدا بياضها ، وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موّتت ، والمراد كثرة الصيد ، يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا ، كذا فى شرح ديوان امرىء القيس ، وبه يتبين بطلان ما قيل : إن المراد أنها قد طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم .

(١) فى الأصل «فقالوا علينا» محرفا عما أثبتناه عن الديوان ، ومعنى عالوا رفعوا ، والمطنب : المشدود بالحبال

(٢) فى الديوان « وأوتاده ماذية» والماذية : الدروع ، وهو أنسب بقوله «وعماده ردينية» والردينية : الرماح

(٣) فى الأصل «إلى كل عادى» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، ولما فى اللسان (ض ى ف) وفيه «قشيب» مكان «جديد»

(٤) هكذا فى الاصول موافقا لما فى الديوان وشروحه وفى البيت الاقواء ، وهو عيب وقع فيه بعض فحول الجاهلية .

والشاهد فيه : تحقيق التشبيه فى الايغال ؛ لأنه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش ، لكنه أتى بقوله « لم يثقب » إيغالا وتحقيقا للتشبيه ، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون .

وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم ، ويسمى الايغال أيضاً ، وهو : أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية ، فيأتى بما يتمم به المعنى ويزيد فى فائدة الكلام ، لأن للقافية محلا من الأسماع والخواطر ، فاعتناء الشاعر بها آكد ، ولا شىء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذى لا يفيد .

ومن الشواهد عليه قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل] :

قِف الصبر فى أطْلاَل مَيَّة فأسألِ رُسوما كأخلاقِ الرِّداء . . . .

فتمّ كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاده شيئا ثم قال :

أظُن الذى يُجدِى عَليكَ سؤالها دُموعاً كتَبذيدِ الجُمانِ . . . .

فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصَّلِ » فزاده شيئا

قيل : وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

إذَا ما علت مِنّا ذؤابةَ شاربٍ تَمشّتْ بهِ مشى المُقيَّدِ فى الوحلِ

وكان يقول : قاتله الله ! أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله فى وحل ؟

ومنه قول ابن الرومى [من المنسرح] :

لها صَريحٌ كأنهُ ذَهبٌ وَرغوةٌ كاللآلىء الفلق

فزاد بقوله « الفلق » تمكينا فى التشبيه

ومن أبدع ما وقع فيه لمتأخر قول أبى بكر بن مجير [من مجزوء الكامل] :

وخليفة ابن خليفة ابـن خليفة وَسَنَفْدَلُ

فقوله « وستفعل » تبليغ بديع أفادبه بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه .

وحكى أن بعض الشعراء قال لأبي بكر بن مجير هذا : إني نظمت قصيدة مقصورة الروى ، وأعجزني منها روى بيت واحد ، فما أدرى كيف أتممه ، فقال له أبو بكر : أنشدنيه ، فأنشده قوله [من المتقارب] :

سَليلُ الإمام وصِنْو الإمام * وعمُّ الإمام ......

فقال له من غير تفكير ولا روية قل * ولا منتهى * فوضعه في قصيدته على ما تممه له ، وكان أمكن قوافيه وأقواها

وللسيد أبي القاسم شارح مقصورة حازم في هذا النوع قوله [من البسيط] :

لم يبرح المجدُ يسمو ذاهباً بهمُ حتى أجاز الثريَّا ، وهو ما قنعا

فقوله « وهو ماقنعا » من التبليغ الذى أفاد زيادة في المعنى ظاهرة

* * *

شاهد التذييل ٦٦ — وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لاتَلُمُّهُ عَلى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ

البيت للنابغة الذبيانيّ ، من قصيدة من الطويل[١] يخاطب بها النعمان ، أوّلها :

أرسماً جديداً من سعاد تجنّبُ عفت روضة الأجداد منها فيثقبُ[٢]

---

(١) اقرأ أبياتا منها في الديوان (٥٦) ، والأول والثانى وحدهما فيه (٩٦) والأبيات التى رواها المؤلف هاهنا ليست على نسقها في الديوان ولا هي على نسق ما تقتضيه معانيها من الترتيب

(٢) الأجداد : أرض لبني مرة وأشجع وفزارة ، قال عروة بن الورد :

فلا وألت تلك النفوس ولا أتت على روضة الأجداد وهي جميع

وقال في اللسان : يثقب موضع في البادية .

عفا آيَهُ نسجُ الجنوب مع الصَّبا وأسحمُ دانٍ مزنُه متصوِّبُ(١)

يقول فيها أيضاً :

فلا تتركنِّى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلىٌّ به القارُ أجرب

ألم ترَ أن الله أعطاك سَوْرَةً يُرى كل مَلك دونها يتذبذب

فانك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و بعده البيت ، و بعده :

فإن يكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتَهُ و إن تكُ ذا عُتْبى فمثلك يُعتبُ

أتانى أبيتَ اللعنَ أنكَ لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصبُ

والشَّعثُ : انتشار الأمر . والمهذَّب : المنقح الفعال المرضى الخصال

والمعنى لا تقدز على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ، ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال .

ذكرتُ هنا قول الشاعر ، معارضا للنابغة فى هذا البيت ، وهو [من الطويل] :

ألومُ زياداً فى ركاكة عقله وفى قوله أىُّ الرجال المهذبُ(٢)

وهل يحسنُ التهذيبُ منكَ خلائقاً أرقُّ من الماء الزلال وأطيب

تكلمَ والنعمانُ شمسُ سمائه وكل مليك عند نعمانَ كوكبُ

ولو أبصرتْ عيناه شخصك مرةً لأبصرَ منهُ شمسَهُ وهو غيهَبُ

وهذا نوع من البديع ، يسمى التوليد ، وسيأتى الكلام على شىء منه فى الفن الثالث إن شاء الله تعالى .

---

(١) يروى «عفت آيه ريح الجنوب»

(٢) زياد : هو النابغة الذبيانى صاحب البيت الشاهد

والشاهد فيه : التذييل لتأكيد مفهوم ، فصَدْرُ البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، وعجزه تأكيد لذلك وتقرير ، لأن الاستفهام فيه إنكارى : أى لا مهذب فى الرجال .

وفى معنىَ البيت قولُ أبى الحسن محمد الموقت المكى [من الطويل] :

إذا المرء لم يبرحْ يمارى صديقهُ ... ولم يحتمل منه فكيف يعايشُهْ

وأنّى يدومُ الوُد والعهدُ بينهُ ... وبين أخٍ فى كل وقت يناقشُهْ

وما أحسن قول مؤيد الدين الطغرائى [من الوافر] :

أخاكَ أخاكَ فهوَ أجلُّ ذُخرٍ ... إذا نابَتْكَ نائبةُ الزمانِ

فإنْ رابَتْ إساءته فهَبْها ... لما فيه من الشِّيَم الحسانِ

تريد مُهَذّباً لا عيبَ فيهِ ... وهلْ عُودٌ يفوحُ بلا دُخانِ

وبديعٌ قولُ ابن الحداد أيضاً [من الكامل] :

واصلْ أخاكَ وإن أتاكَ بمنكر ... فخلوص شيء قلما يتمكنُ

ولكل حُسْنٍ آفةٌ موجودة ... إنّ السِّرَاجَ على سناهُ يدخّنُ

وما أحسن قول ابن شرف أيضاً [من البسيط] :

لا تسألِ الناس والأيامَ عن خبر ... هما يبثَّانِكَ الأخبارَ تفصيلاَ

ولاَ تعاقِبْ على نقص الطباع أخاً ... فإنّ بدرَ السما لم يُعْطَ تكميلاَ

ومن النفيس قولُ ابن حَمْديس [من مجزوء الكامل] :

أكرمْ صديقكَ عنْ سؤا ... لكَ عنهُ واحفظْ منهُ ذِمّهْ

فلربما استخبرتَ عنــــهُ عدوّه فسمعتَ ذَمّهْ

وقول عمر الخراط ، وهو رجل من القيروان [من مجزوء الكامل] :

لا تسألنّ عن الصديــــق وسلْ فؤادكَ عنْ فؤادهْ

فلربما بحثُ السؤا لُ على فسادكَ أو فسادهْ

ولمؤلفه فى معناه [من الرمل] :

لستُ عن ود صديقى سائلا غيرَ قلبى فهو يدرى وده
فكما أعلم ما عندى له فكذا أعلمُ مالى عندهُ

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

عتبى عليكَ مقارنُ العذر قدْ رَدّ عنكَ حفيظتى صبرى
فمتى هفوتَ فأنتَ فى سَعَةٍ ومتى جفوتَ فأنتَ فى عذرِ
تركُ العتابِ إذا استحق أخٌ مِنكَ العتابَ ذريعةُ الهجرِ

وقول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنتَ لم تغفر ذنوباً كثيرة تَريبكَ لم يسلم لكَ الدهرَ صاحبُ
ومن لم يغمّضْ عينه عن صديقهِ وعن بعض مافيه يمتْ وهو عاتبُ

وقول أبى الفتح البستى [من المتقارب] :

تحمّلْ أخاكَ على ما بهِ فما فى استقامته مطمعُ
وأنىّ له خُلُقٌ واحد وفيه طبائعه الأربعُ

وما أحسن قول بعضهم [من مجزوء الرمل] :

لا تثقْ من آدمىٌّ فى ودادٍ بصفاءِ
كيفَ تَرْجُو منه صفواً وَهْوَ من طينٍ وماء

وهو كقول الآخر [من الوافر] :

ومنْ يكُ أصلهُ ماءً وطيناً بعيدٌ من جِبلَّتهِ الصفاء

وما أبدع قول الجمال بن نُباتةَ [من البسيط] :

يا مشتكى الهمّ دعهُ وانتظرْ فرَجاً ودارِ وقتكَ من حين إلى حين

ولاَ تعانِدْ إذا أمسيتَ فى كدَر فإنمَا أنتَ من ماء ومن طين

وللصلاح الصفدىّ فيه أيضا [من الوافر] :

دع الاخوانَ إن لم تَلْقَ منهم صفاءً واستَعِنْ واسْتَغْنِ باللهْ

ألَيس المرء من ماء وَطينٍ وأىّ صفا لهاتيك الجِبلَّهْ

ومما ينظر إلى معنى البيت المستشهد به قول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنتَ لم تترك أخاكَ وزلةً أرادَ لها أوشكتما أن تفرّقا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

صديقَكَ مهما جَنى غَطِّه ولا تُخفِ شيئاً إذا أحْسنا

وكن كالظلامِ معَ النَّار إذ يوارِى الدُّخانَ ويُبْدِى السَّنا

ولمؤلفه [من مجزوء المتقارب] :

أخاكَ اغتفر ذنبه وسامِح إذا ما هفَا

وغطٍّ على عيبه يَدُمْ منهُ عهدُ الوفا

وإن رُمْتَ تقويمه تجد وُده قد عفا

* * *

٦٧ — فَسَقَى دِيارَكِ غيرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الربيع وديمةٌ تَهْمِى

شاهد التكميل

البيت لطرَفَةَ بن العبد ، من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفى (١) وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم ، وأولها :

إن امرَأً سَرفَ الفؤادِ يرى عَسَلاً بمـاء سحابة شَتْمِى

(١) فى الأصول «قتادة بن سلمة » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ٦١

وأنا امرؤ أكوى من القصر الـ بادى وأغشى الدُّهمَ بالدهم (١)
وأصيبُ شاكلة الرَّمية إذ صدَّت بصفحتها عن السهم
وأجرُّ ذا الكفل القَناةَ على أنسائه فيظل يَستدمى
وتَصد عنك مَخيلةُ الرَّجل الـ ـعريض موضِحةً عن العَظم
بحُسام سيفك أو لِسانكَ والـ كلِمُ الأصيلُ كأرغَبِ الكَلْمِ
أبلغ قتادةَ غيرَ سائلهِ منى الثوابَ وعاجِلَ الشكم (٢)
إنى حَمِدتُكَ للعشيرةِ إذ جاءت إليك مُرِقة العَظم
ألقوْا إليك بكل أرْمَلةٍ شعثاء تحمل مُنْقُعِ البرم (٣)
وفتحْتَ بابكَ للمكارم حيـ ـنَ تواصَتِ الأبوابُ بالأزم

و بعده البيت (٤) وهو آخرها .

وصوب الربيع : نزول المطر ووقعه فى الربيع . والديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوماً وليلة أو أقله ثلث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت ، وجمعها دِيَم ودُيُوم . ومعنى تهمى : تسيل .

والشاهد فيه : التكميل ، ويسمى الاحتراس أيضا ، وهو: أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو هنا قوله « غير مفسدها » فان نزول المطر قد يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها ، فدفع ذلك بتوسط قوله « غير مفسدها » .

---

(١) فى الأصول «وأنا امرؤ ألوى» محرفا، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان
(٢) فى الأصول «منه الثواب»
(٣) فى الأصول «مقنع البرم» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان
(٤) فى الديوان بيت بينهما — ولم يروه الأعلم — وهو :
وأهنت إذ قدموا التلاد لهم وكذلك يفعل مبتنى النعم

وفى معنى البيت قول جرير [من الكامل] :

فَسقاكِ حيثُ حلَلتِ غير فَقيدةٍ هَزَجُ الرياح وديمةٌ لا تُقلِعُ

ومن الاحتراس قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

من يَلقَ يوماً على علَّاته هرِماً يلق السماحةَ منهُ والنَّدى خُلُقا

وقول امرىء القيس أيضاً [من الطويل] :

على هَيكلٍ يُعطيك قبلَ سؤالهِ أفانينَ جريٍ غير كزٍّ ولا وانى

وقول نافع بن خليفة الغنوى [من الطويل] :

رجالٌ إذا لم يُقبلِ الحقَ منهُمُ ويُعطوهُ عادوا بالسُّيوفِ القواضبِ

ومثله قول عنترة العبسى [من الكامل] :

أثنى علىَّ بما علمت فاننى سَهلٌ مُخالَقتى إذا لم أُظلَمْ

وقول الآخر [من الوافر] :

فانى إن أفُتْكَ يفُتك منى فلا تُسبَقْ به عِلقٌ نَفيس

ومن مليح الاحتراس قول الرّمادى فى وصف فرس [من الكامل] :

قامَتْ قوائمُه لنا بطَعامنا غضاً وقام العُرْفُ بالمنديلِ

فقوله « غضا » احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لتُوُهم أنهم ينقلون عليه أزوادهم .

ترجمة طرفة بن العبد

وطرفة بن العبد (١) : هو ابن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة ابن قيس بن ثعلبة ، ويقال : إن اسمه عمرو ، وسمى طرفة بسبب بيت قاله ،

---

(١) لطرفة ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (٨٨) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ – ٤١٢)

وأمه وردة من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخوالها وقد ظلموها حقها [من الكامل] :

ما تنظرون بحقِّ وردةَ فيكُمُ صَغُرَ البنونَ ورهط وردة غُيَّبُ

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً ، قتل وهو ابن عشرين سنة ، فيقال له : ابن العشرين ، وقيل : قتل وهو ابن ست وعشرين سنة ، و إلى ذلك تشير أخته حيث قالت ترثيه [من الطويل] :

عددْنا له سِتًّا وعشرينَ حِجَّةً فلما توفَّاها استوَى سيِّداً ضخما

فُجِعنا به لما رَجونا إيابَهُ على خَيرِ حالٍ لا وليداً ولا قَحْما

وكان السبب في قتله أنه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته فرأى طرفة ظلها في الجام الذى في يده فقال [من الهزج] :

ألا يا أبى الظبيُ الـ ـذى يبرُقُ شنفَاهُ [1]

ولولا المَلِكُ القاعـ ـدُ قد ألثَمنى فاهُ

فحقد عليه ، وكان قد قال أيضاً قبل ذلك [من الوافر] :

فليتَ لنـا مكانَ الملكِ عَمْرٍو رَغوثاً حول قُبَّتنـا تخُورُ [2]

لعَمرُكَ إن قابوسَ بن هنـدٍ ليَخلطُ ملكَهُ نوكٌ كـثير

وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند ، وكان فيه لين ، ويسمى قينة الفرس [3] فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثرة عامله على البحرين كتاباً أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة ، وكتب للمتلمس بمثل ذلك ، فأما المتلمس ففك كتابه ،

---

(١) فى الشعراء لابن قتيبة «ألا يا بأبى الظبى»

(٢) فى الأصول « تدور » موافقا لما فى نسخة من الشعراء، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ٦ وما فى الشعر لابن قتيبة ٨٩

(٣) فى الشعراء لابن قتيبة «قينة العرس» وهو الصواب

وعرف ما فيه فنجا ، كما سيأتى فى خبره ، وأما طرفة فمضى بالكتاب ، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله ، ثم فصد أكحله ، فقبره بالبحرين . وكان لطرفة أخ يقال له معبد فطالب بديته فأخذها من الحواثر .

قال أبو عبيدة : مر لبيد بمجلس لنَهْدٍ بالكوفة ، وهو يتوكأ على عصا ، فلما جاوز أمروا فتًى منهم أن يلحقه فيسأله : مَنْ أشعر العرب ؟ ففعل ، فقال له لبيد: الملك الضليل — يعنى امرأ القيس — فرجع فأخبرهم ، فقالوا له : ألا سألته ثم مَنْ ، فرجع فسأله ، فقال له : ابن العشرين — يعنى طرفة — فلما رجع قالوا : ليتك سألته ثم من ، فرجع فقال : صاحب المِحْجَن - يعنى نفسه - قال أبو عبيدة : طرفة أجودهم ، وأجده لا يلحق بالبحور ، يعنى امرأ القيس وزهيرا والنابغة ، ولكنه يوضع مع أصحابه الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسُوَيد بن أبى كاهل .

ومن شعر طرفة وهو صبي[1] قوله [من الطويل] :

فَلولاً ثلاَثٌ هنَّ منْ عِيشةِ الفتى ... وجدِّكَ لم أحفلْ متى قامَ عُوَّدِى
فمنهنَّ سَبقى العاذلاتِ بشَرْبةٍ ... كُمَيتٍ مَتى ما تُعلَ بالماء تزْبدِ
وَكَرِّى إذَا نادَى المُضافُ مُحنبا ... كَسِيدِ الغضا نَبهته المُتوردِ
وَتقصيرُ يَوْمِ الدَّجنِ والدَّجنُ مُعجبٌ ... بِبهكنَةٍ تحتَ الخِباء المُعمَّدِ

وقد أخذه عبد الله بن نهيك بن إساف الأنصارى فقال[2] [من الطويل]

ولولا ثلاثٌ هنَّ منْ عيشةِ الفتى ... وجدكَ لم أحفلْ متى قامَ رامسُ
فمنهنَّ سبقى العاذلاتَ بشرْبةٍ ... كأن أخاها مطلعَ الشمس ناعسُ
ومنهنَّ تجريد الكواعب كالدُّمى ... إذا ابتُزَّ عن أكفالهنَّ الملابسُ

---

(١) هى أبيات من قصيدته المعلقة

(٢) الأبيات فى الشعراء ٩٣

ومنهن تقريطُ الجواد عِنانهُ إذا استبق الشخص القوى الفوارسُ (١)

وقد ناقض عبد الحميد بن أبي الحديد البغدادى أبيات طرفة السابقة فقال [من السريع] :

لولا ثلاث لم أخَفْ صرعتى ليستْ كما قال فتى العبدِ
أن أنصرَ التوحيدَ والعدلَ فى كل مكانٍ باذلاً جهدِى
وأنْ أناجى اللهَ مستمتعاً بخلوةٍ أحلى من الشهدِ
وأنْ أتيهَ الدهرَ كِبراً على كلِّ لئيم أصعرِ الخدِّ
لذاكَ أهوَى لا فتاةٍ ولا خمرٍ ولا ذِى مَيعةٍ نهدِ

ومما سَبق إليه أيضا ، وكان يتمثل به النبي صلى الله عليه وسلم قوله (٢) [من الطويل] :

ستبدِى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تزوّد

وقال غيره (٣) [من الطويل] :

ويأتيكَ بالأخبارِ منْ لم تبعْ لهُ بتاتاً ولم تضربْ لَهُ وقتَ موعدِ

ومما يستجاد من قصيدته التى منها البيت السابق على هذا (٤) قوله [من الطويل] :

ألا أيُّهاذا الزّاجرى أحضرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللّذّات هلْ أنتَ مُخلدِى

---

(١) فى الشعراء «إذا استبق الشخص الخفى الفوارس»
(٢) هو من قصيدته المعلقة أيضا
(٣) ليس هذا البيت لغير طرفة ، بل هو له نفسه ، بل هو تال للبيت الذى ذكره قبله
(٤) هذه الأبيات أيضا من قصيدته المعلقة

فإن كنتَ لا تستطيعُ دفعَ مَنِيَّتي فذرني أبادِرْها بما ملكتْ يدِي
أرى قبرَ نحّام بخيلٍ بمالهِ كقبرِ غويٍّ في البطالةِ مُفسدِ
أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وما تنقصُ الأيامُ والدهرُ ينفدِ
لعمركَ إنّ الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ باليدِ

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوما [من الرمل] :

أسدُ غيلٍ فإذا ما شربوا وَهبوا كلَّ أمونٍ وطمرّ
ثمّ راحوا عَبَقُ المسكِ بهمْ يُلْحفونَ الأرضَ أهدابَ الأزُرْ(١)

ذكر أنهم يُعْطون إذا سكروا ، ولم يشترط ذلك في صحوهم كما قال عنترة [من الكامل] :

وإذا شربتُ فإنني مُستهلكٌ مالي وعِرضي وافرٌ لم يكلم
وإذا صحوتُ فما أقصرُ عنْ ندًى وكما علمت شمائلي وتكرمي

قالوا : والجيد هو قول زهير بن أبي سلمى [من الطويل] :

أخو ثقةٍ لا يُتْلِفُ الخمرُ مالَهُ ولكنهُ قدْ يتلفُ المالَ نائلهْ

وقال بعض المحدثين [من الطويل] :

فتى لا يلوكُ الخمرُ شحمةَ مالهُ ولكنْ عطاياهُ ندًى وبوادِ

وما ألطف قول ابن حمْدِيس في معنى قول عنترة [من الطويل] :

يعيدُ عطايا سكرهِ عندَ صحوهِ ليُعلم أنّ الجودَ منهُ على علم
ويسلم في الإنعام مِنْ قول قائل تكرمَ لما خامرتهُ ابنةُ الكرم

---

(١) في الديوان « هداب الأزر »

شاهد الاعتراض

٦٨ — إنّ الثمانينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أحْوَجَتْ سمعى إلى تَرْجُمَانْ

البيت لعَوْف بن مُحَلِّم الشيبانى ، من قصيدة من السريع[1] ، قالها لعبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فسلم [عليه عبد الله] [2] فلم يسمع ، فأعلم بذلك ، فدنا منه ، ثم ارتجل هذه القصيدة ، وأولها :

يا ابنَ الذى دانَ له المشرقانْ طُرًّا وقدْ دانَ له المغربانْ

و بعده البيت ، و بعده :

و بدَّلَتْنى بالشَّطاط انحنا وكنتُ كالصَّعْدة تحت السِّنانْ [3]

وعوَّضتنى منْ زماع الفتى وهمتى همَّ الجبان الْهِدَنْ [4]

وقارَبتْ منى خُطاً لم تكن مقاربات ٍ وثنتْ منْ عنانْ

وأنشأتْ بينى وبين الوَرَى سحابةً لَيستْ كنسج ِ العنان [5]

ولم تدعْ فىَّ لِمُستمتع ٍ إلاَّ لسانى وبحسبى ِ لسان

أدْعو بهِ الله وأُثنى بهِ على الأمير المُصعَبِىِّ الِهجان [6]

---

(١) اقرأها — ما عدا تاسعها والبيتين الآخيرين — فى أمالى أبى على القالى (١ — ٥٠)

(٢) زيادة عن الأمالى يتضح بها المراد

(٣) الشطاط — بزنة السحاب — الاعتدال وحسن القوام ، والصعدة — بفتح الصاد وسكون العين — القناة المستوية التى تنبت كذلك فلا تحتاج إلى تثقيف

(٤) فى الأمالى « و بدلتنى من زماع الفتى » والزماع : المضاء فى الأمر والعزم عليه ، والهدان — بزنة الكتاب — الجافى الأحمق

(٥) فى الأمالى « عنانة من غير نسج العنان » والعنان : مثل السحاب وزنا ومعنى ، واحده عنانة كسحابة

(٦) الهجان — بكسر الهاء — الكريم

وهِمتُ بالأوْطان وجداً بها وبالغوانِى ، أينَ مِنى الغوان؟
فقربانى ، بأبى أنتما ! مِنْ وطنى قبلَ اصفرار البنان
وقبلَ منْماىَ إلى نسوةٍ مَسكنُها حرّان والرّقتان(١)
سقى قُصورَ الشاذياخ الحيا منْ بعدِ عهدِى وقصورَ الميان
فكم وكم منْ دَعوةٍ لى بها أنْ تتخطاها صُروفُ الزّمان

و « الترجمان » يقال بضم تائه وجيمه ، وفتحهما ، وفتح التاء وضم الجيم ، وهو المفسر للسان ، يقال : ترجمه ، وعنه ، والفعل يدل على أصالة التاء .

ولقد أجاد الغزى فى تضمينه صدر البيت بقوله [من السريع] :

طُولُ حياةٍ مالها طائلٌ تُغصُّ عندِى كلَّ ما يُشتهى
أصبحتُ مثلَ الطِّفل فى ضعفهِ تشابهَ المبدأُ والمُنتهى
فلاَ تَلُمْ سَمعى إذا خاننى إنّ الثمانينَ وبُلغتها

ولطيف قول الشهاب المنصورى رحمه الله [من السريع] :

نحو ثمانينَ منَ العمر قدْ قطعْتها مثلَ عقود الجمانْ
ما أحوجتْ يوماً يمينى إلى عصاً ولا سَمْعى إلى ترجمان

والشاهد فيه : الاعتراض ، ويسمى : الالتفات(٢) ، وهو : أن يؤتى فى أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنىً بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب ، لنكتة سوى دفع الايهام ، وهو هنا الدعاء فى قوله « وبلغتها » لأنها جملة معترضة بين اسم إنّ وخبرها ، والواو فيه اعتراضية : ليست عاطفة ، ولا حالية .

---

(١) فى الأغانى « أوطانها حران والرقتان »
(٢) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ ـ ٤٢ بتحقيقنا)

ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة [من الكامل] :

ولوأنّ عزة حا كَمَتْ شمسَ الضحى   فى الحسن عندَ موفَّقٍ لقضى لها

وهو معترض ، إذ لا بد فيه من ذكر موفق، لأنه لا يتم المعنى بدونه ، ومنه قول كثير أيضا [من الوافر] :

لوَ انّ الباخلينَ وأنتِ منهمْ   رَأوكِ تعلَّموا منكِ المِطالاَ

ومن مليح ما سمع فيه قول نُصَيب ، وكان أسود [من الطويل] :

فكدتُ ولم أُخلَقْ من الطيرِ إن بدَا   سنَا بارق نحو الحجاز أطير(١)

يروى أن التى قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديداً ، فصاح ابن أبى عتيق : أوّهْ ، قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لوسمعك لنعق وطار ، فجعله غرابا لسواده .

ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :

قدْ كنتُ أبكى وأنتِ راضية   حِذَارَ هذا الصدود والغضبِ

إن تمّ ذا الهجرُ يا ظلومُ ولا   تمّ فمالى فى العيش منْ أربِ

وما أحسن قول أبى الفتح البستى [من الوافر] :

أرَاحَ الله قلبى من زَمان   محَتْ يدهُ سرورى بالاساءهْ

فإنْ حَمِدَ الكريمُ صباح يوم   وأنى ذاكَ لم يحمَدْ مساءهْ

والمتأخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزينج ، وما أبدع قول ابن الساعاتى فيه [من الرمل] :

---

(١) روى ابن رشيق هذا البيت هكذا :

وددت ــ ولم أخلق من الطير ــ أننى   أعار جناحي طائر فأطير

وحكى معه نفس القصة التى حكاها المؤلف

حالَ من دونكِ ياأُختَ الكِلَلْ مُقَلُ الحيِّ وفُرْسانُ الأَسَلْ
ومواضٍ مُرْهَفاتٌ فتكتْ بي وحاشاكِ ولا مثل الكَحَلْ

وقول أبي الحسين الجزار [من الطويل] :

ويهتز للجَدْوَى إذا ما مدحتَه كما اهتز،حاشا وصفه،شاربُ الخمر

وقد أخذه من ابن الساعاتي فانه قال [من البسيط] :

يهزُّهُ المدح هز الجود سائلَه أولا وحاشاهُ هزَّ الشارب الثَّمِلِ

وما أحسن قول الفقيه عمارة اليمني [من الطويل] :

لهُ راحةٌ ينهلُّ جوداً بنانُها ووَجهٌ إذا قابلتَه يتهلَّلُ
يرَى الحقَّ للزوار حتى كأنهُ عليهم وحاشا قدره يتطفلُ

والكل أخذوا لفظة حاشا من أبي الطيب المتنبي حيث يقول [من الطويل] :

ويحتقرُ الدنيا احتقارَ مجربٍ يرَى كلَّ ما فيها وحاشاه فانيَا

وما أحسن أيضا قوله فيه [من الكامل] :

وخُفُوقُ قلبٍ لو رأيتَ لهيبهُ يا جنتي لَوَجَدْتَ فيه جهنَّما

وللقاضي مهذب الدين الغساني [من الطويل] :

ومالي إلى ماءٍ سوى النيل غلةٌ ولو أنه أستغفر الله زمزمُ

وبديع قولُ أبي الوليد محمد بن يحيى بن حزم [من الطويل] :

أتجزع من دمعي وأنتَ أسلتهُ ومن نار أحشائي ومنك لهيبها
وتزعمُ أنَّ النفسَ غيرَكَ علِّقَتْ وأنْتَ ولا منٌّ عليكَ حبيبهَا

ومن الحشو الذي زاد حلاوة قول الجمال بن نُبَاتة [من البسيط] :

لوْ ذُقتَ بَرْدَ رُضاب من مقبَّلِهِ يا حارِ ما لمتَ أعطافي التي ثملتْ

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

إنّ عينى وهى عُضْو دَنِفٌ ما على ما كابدَتْهُ جلدُ
ما كفاها بُعدُها عنك إلى أن دَهاها ، وكُفيتَ ، الرمدُ

وما أحسن قول ابن اللبّانة فى ناصر الدولة صاحب ميورقة [من الكامل] :

وغمرْتَ بالاحسان أهل ميورقة وبنيتَ فيها ما بنى الاسكندر
فكأنها بغدادُ أنتَ رَشيدهَا ووزيرها ، وله السلامة ، جعفرُ

قوله « وله السلامة » من أملح الحشو وأحلاه ، قالوا : وهو أملح وأوضح من قول المتنبى « ويحتقر الدنيا — البيتَ المار » .

ومن المضحك فيه قول الجزار [من الطويل] :

لَئنْ قطعَ الغيثُ الطريقَ فبغلتى وحاشاكَ قبقابى وجوختىَ الدارُ
وإن قيلَ لى لا تخشَ فهو عبورة خشيتُ على علمى بأنىَ جزارُ

وما ألطف قوله فى معنى « رقة الحال » وإنْ لم يكن من هذا الباب [من الخفيف] :

أبيات فى معنى رقة الحال

لى منَ الشمسِ حلة صفراء لا أُبالى إذا أتانى الشتاء
ومنَ الزمهريرِ إن حدثَ الغيـ ـمُ ثيابى وطيلسانى الهواء
بيتىَ الأرضُ والفضافيه سورٌ لى مدار وسقفُ بيتى السماء
شَنَّعَ الناسُ أننى جاهلىٌّ ثانوىٌ وما لهم أهواء
أخذُونى بظاهرِى إذ رأونى عبدَ شمس تسوءنى الظلماء

وما ألطف قول البهاء زهير فى هذا المعنى [من الخفيف] :

أدرِكونى فبى منَ البردِ همٌ ليسَ يُنْسَى وفى حشاى التهابُ
كلما ازرقّ لونُ جسمى منَ البر دِ تخيَّلْتُ أنه سِنجابُ

عود إلى الاعتراض

رجع إلى الاعتراض .

ومنه قول أبي محمد الميطراني ، وكتب به إلى صديق له رأى عنده غلاماً استخدمه [من المنسرح] :

رأيتُ ظبيا يطوف في حرَمِكْ أغرَّ مستأنسا إلى كرَمِكْ
أطمعني فيه أنهُ رَشأ يرشي ليخشى وليس من خدمك
فاشغَلْه بي ساعة إذا فرَغتْ دَوَاتهُ إن رَأيت من قلمكْ

ومن بديعه مع الرقة والانسجام قولُ ريسم بن شادلويه صاحب أذربيجان [من الوافر] :

سُعادُ تسُبُّني ذُكِرَت بخير وتزعُم أنني مَلِقٌ خَبيثُ
وأن موَدَّتي كذبٌ ومَيْن وأني بالذي أهوى بَثُوثُ
ولَيسَ كَذا ولا ردٌّ عليها ولكنَّ الملولَ هو النكوثُ (١)
رأت شَغَفي بها ونحولَ جسمي فصدَّت ، هكذا كان الحديثُ

وما ألطف قول البهاء زهير يهجو [من الوافر] :

صديقٌ لي سأذكرُهُ بخيرٍ وإن عرَّفتُ باطنهُ الخبيثا
وحاشا السامعينَ يُقالُ عنهم وبالله اكتموا هذا الحديثا

وبالغ ابن الساعاتي بقوله [من الطويل] :

تودُّ نجُوم الليل لو نَصلَت بها وإن لَقِيَتْ بُؤساً ذوابلُ مُلدِهِ
ولو تملكُ الحكم الأهلَّةُ لم تكن ويا فخرها إلا نعالاً لجردِهِ

(١) في ب « ولكن الملوك هم النكوث » محرفا

ترجمة عوف بن محلم الخزاعى

وعوف [١] بن محلم الخزاعى أبو المنهال [٢] : هو أحد العلماء الأدباء ، الرواة الفهماء الندماء الظرفاء الشعراء الفصحاء . وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة بأيام الناس ، واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمنادمته ومسامرته ، فلا يسافر إلا وهو معه فيكون زميله وعَديله و يعجب به . وقال محمد بن داود : إن سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الأبيات أيام الفتنة ببغداد وطاهرٌ منصرف فى حَرّاقة له بدجلة ، فأدخله معه ، وأنشده إياها ، وهى [من المتقارب] :

عجبتُ لحرّاقةَ ابن الحسَيـــن كيفَ تَعومُ ولا تغرقُ
وبحرانِ من تحتها واحدٌ وآخرُ من فوقها مُطبِقُ
وأعجَبُ من ذاكَ عيدانُها وقد مَسَّها كيف لا تورِقُ

وأصله من حران ، و بقى مع طاهر ثلاثين سنة لايفارقه ، وكلما استأذنه فى الانصراف إلى أهله ووطنه لا يأذن له ، فلما مات ظن أنه تخلص وأنه يلحق بأهله ، فقربه عبد الله بن طاهر وأنزله منزلته من أبيه ، وأفْضَلَ عليه حتى كثر ماله وحسنت حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له فى العَوْد إلى أهله ، فاتفق أنه خرج عبد الله من بغداد إلى خراسان ، فجعل عوفا عديله ، فلما شارف الرى سمع صوت عندليب يغرد أحسن تغريد ، فأعجب ذلك عبد الله ، والتفت إلى عوف وقال : يا ابن محلم ، هل سمعت بأشجى من هذا ؟ فقال : لا والله ، فقال عبد الله : قاتل الله أبا كبير حيث يقول [٣] [من الطويل] :

ألا يا حمَامَ الأيكِ إلفُكَ حاضِرٌ وغُصنــكَ ميَّاد ففيمَ تَنوحُ

---

(١) لعوف بن محلم ترجمة فى فوات الوفيات (٢ - ١٤٩) وعنها نقل

(٢) فى ب «أبو المناهل»

(٣) نسب أبو على في الأمالى (١ - ١٣٣) هذه الأبيات الثلاثة إلى عوف ابن محلم رواية عن المبرد ، ولعل سر ذلك هذه القصة التى حكاها المؤلف هنا

أفِقْ لا تَنُحْ من غير بينٍ فإنني ... بَكَيْتُ زماناً والفؤادُ صَحيحُ
وَلوعاً فَشَطَّتْ غُرْبةً دارُ زينب ... فها أنا أبكي والفؤادُ قريحُ

فقال عوف : أحسن والله وأجاد أبو كبير ، إنه كان فى الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مُفْلق ، وما كان فيهم مثل أبى كبير ، وأخذ يصفه ، فقال له عبد الله : أقسمت عليك إلا أجزْت قوله ، فقال له : قد كبر سنى ، وفنىَ ذهنى وأنكرت كُلّ ما كنت أعرفه ، فقال عبد الله : بحق طاهر إلا فعلت ، فابتدر عوف فقال [من الطويل] :

أفى كل عام غُرْبَةٌ ونُزُوحُ ... أما للنوى من ونْيَةٍ فتريحُ
لقد طَلَّحَ البينُ المشِتُّ ركائبى ... فهل أرَيَنَّ البينَ وهو طليحُ
وأرّقنى بالرىّ نوحُ حمامة ... فنُحتُ وذو اللبّ الغريبُ ينوحُ
على أنها ناحتْ ولم تُذْرِ دمْعَةً ... ونحتُ وأسْرابُ الدموع سفُوحُ
وناحت وفَرْخاها بحيثُ تراهما ... ومن دون أفراخى مَهامِهُ فِيحُ
ألا يا حمام الأيك إلفُك حاضر ... وغصنك مياد ففيم تنوح
عسى جُودُ عبد الله أن يعكس النوى ... فتُلْقَى عصا التَّطواف وهى طَريحُ
فإن الغِنَى يُدْنِى الفتى من صديقه ... وعُدْمُ الفتى بالمغربين طَروحُ

فاستعبر عبد الله ورق له ، وجرت دموعه ، وقال : والله إنى لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعملت معى خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال عوف الأبيات المشهورة وسار راجعاً إلى أهله فلم يصل إليهم ومات فى حدود العشرين والمائتين .

ومن شعره رحمه الله تعالى قوله [من الوافر] :

وكنتُ إذا صَحِبْت رجالَ قوم ... صحِبتُهُمُ ونيّتىَ الوفاء

فأحسِنُ حين يحسنُ محسنوهم وأَجتنب الاساءةَ إن أساءوا

وأُبصر ما يريبُهُم بعينٍ عليها من عُيونِهِمُ غِطاء

ومنه قوله [من مجزوء الكامل] :

وصَغيرَةٍ عُلِّقتُها كانت من الفِتنِ الكِبارِ

بلْهاء لم تَعرف لغِرَّ تِها اليمينَ من اليسارِ

كالبدرِ إلاَّ أنها تبقى على ضوءِ النهار

* * *

٦٩ — واعلَمْ فَعلمُ المرْءِ ينفَعُهُ أن سَوْفَ يأتى كل ما قُدِرا

من شواهد الاعتراض

البيت من السريع ، وأنشده أبو على الفارسى ، ولم يعزه إلى أحد .

و « أن » هنا مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يعنى أن المقدور آتٍ لا محالة وإن وقع فيه تأخير . وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر .

والشاهد فيه : الاعتراض بالتنبيه ، وهو قوله « فعلم المرء ينفعه » وهو جملة معترضة بين « اعلم » ومعموليه ، والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية .

* * *

٧٠ — * يَصدُّ عن الدنيا إذا عَنّ سؤدد *

شاهد الايجاز

هو من الطويل ، وتمامه :

* ولو برزَتْ فى زِىِّ عذراءَ ناهِدِ *

وقائله أبو تمام من قصيدة (١) يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، أولها :

قفوا جدِّدوا من عهدكم بالمعاهدِ وإن هى لم تَسمع لِنشدان ناشِدِ (٢)

(١) ارجع إليها في الديوان (١١٦)

(٢) في الأصول «وإن لم تكن تسمع» ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان

لقد أطرق الربع المحيلُ لفقدهم وبَيْنهمُ إطراقَ ثَكْلان فاقد
وأبقَوْا لضيف الشوقِ منِّىَ بعدهم قرى من جَوًى سارٍ وطيفٍ معاود(١)
سقته ذعافا عَادة الدهر فيهمُ وسم الليالى فوق سم الأساود(٢)
به علة صماء للبين لم تُصخْ لبرء ولم توجِبْ عيادةَ عائد
وفى الكِلَّةِ الوردِيَّةِ اللون جؤذر من العينِ وردى الخدود المجاسد(٣)
رمته بخلف بعد ما عاش حقبةً له رَسَفَانٌ فى قيود المواعد(٤)
غدَتْ مُغْتَدَى الغضبى وأوصت خيالها بهجرانِ نِضْوِ العيس نِضْوِ الخرائد(٥)
وقالتْ نكاحُ الحب يفسد شكله وكم نكحوا حباً وليسَ بفاسد

وهى طويلة ، يقول فى مديحها :

---

(١) فى الديوان «لضيف الحزن»

(٢) فى الأصول «سقته ذعافا غارة الدهر» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والذعاف : السم السريع القتل ، وأراد بعادة الدهر الرحلة والافتراق وألا يجتمع شمله بشمل أحبابه

(٣) فى الديوان « وردَ اللون ورد المجاسد » والكلة ــ بكسر الكاف ــ الستر الرقيق ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والعين ــ بكسر العين ــ جمع أعين أو عيناء وهى الواسعة العين ، ويراد بها بقر الوحش ، والمجاسد : الثياب المزعفرة

(٤) أراد بالخلف خلف الوعد بالوصال ، والحقبة : المدة من الزمان ، والرسفان ــ بفتحتين ــ مشى المقيد

(٥) فى الأصول «بحران نضو العيش» محرفا ، فى عدة مواضع ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والنضو ــ بكسر النون وسكون الضاد ــ المهزول ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد بها النوق ، وأراد بنضو العيس الذى أهزله طول السفر ، والخرائد : جمع خريدة ، وهي فى الأصل اللؤلؤة التى لم تثقب ، وأراد بها الفتيات الأبكار

هُم حسدوهُ لا مَلُومينَ مجدَهُ ... وماحاسدٌ فى المكرُمَات بحاسدِ

قرَانى اللُّهى والوُدَّ حتى كأنما ... أفادَ الغنى من نائلى وفوائدى(١)

فأصبحتُ يلقانىالزمانُ مِنَ آجلهِ ... بإعظام مولود وإشفاق والدِ(٢)

وبعده البيت، وبعده :

إذا المرء لم يزهدْ وَقد صُبِغَتْ لهُ ... بعصفرِها الدنيا فليس بزاهد(٣)

فوَا كَبِدِى الْحرَّى ووا كَبِدَ النوَى ... لِأيامهِ لو كنَّ غيرَ بوائدِ

وَهيهاتَ ما ريبُ الزمانِ بِمخْلِدٍ ... غريباً ولا ريبُ الزمان بخالد

والزىّ — بكسر الزاى — الهيئة. والعذراء : البكر. والناهد : التى نهد ثديها، أى ارتفع.

والشاهد فيه : وصفه بالايجاز بالنسبة إلى كلام آخر مساوله فى أصل المعنى، وَهو البيت الآتى بعده، وهو «إذا المرء لم يزهد — إلخ».

* * *

٧١ — ولستُ بمَيَّالٍإلىجانبِالغنىَ ... إذا كانت العَلْيَاء فى جانبِ الفقرِ ... شاهد الاطناب

البيت من الطويل، وهكذا رويته، وإن كان فى التلخيص بلفظ «نظار» بدل «ميال». وقائله المعذَّل بن غيلانَ أبو عبد الصمد، أحد الشاعرين المشهورين، روى ذلك عنه الأخفش عن المبرد، ومحمد بن خلف المرزبان عن الربعى(٤)، وبعد البيت :

---

(١) قرانى : أصله من القرى وهو ما يقدم للضيفان، وأراد منحنى وأعطانى، واللهى — بضم اللام — العطايا

(٢) فى الديوان «يلقانى الزمان لأجله»

(٣) فى الديوان «بزبرجها الدنيا»

(٤) ذكر ذلك كله وأنشد البيتين أبو الفرج فى الأغانى (١٢ — ٥٧)

وإنى لَصبَّارٌ على ما ينوبنى   وَحسبكَ أن الله أثنى على الصبر

ورواه صاحب الدرّ الفريد ، لأبى سعيد المخزومى ، يخاطب به امرأته ، وأول الأبيات :

ثِقِى بجميل الصبرِ منى على الهُجْرِ   ولا تثقى بالصبر منى على الهَجْرِ

وأراد بالغنى مُسَبِّبه ، أعنى الراحة ، وبالفقر المحنة ، يعنى أن السيادة مع التعب والمشقة أحبُّ إليه من الراحة والدَّعَة بدونها .

والشاهد فيه : وصفه بالإطناب بالنسبة إلى مصراع أبى تمام؛ لأنه مساوٍ له فى أصل المعنى مع قلة حروفه .

ومثل ذلك قول الشَّمَّاخ [من الوافر] :

إذَا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ   تلقّاهَا عَرَابَةُ باليمينِ

وقول بشر بن أبى خازم [من الوافر] :

إذا ما المكرماتُ رُفعن يوماً   وقصّرَ مُبْتَغُوها عن مَداهَا

وَضاقَتْ أذرُعُ الْمُثْرِينَ فيها   سما أوسٌ إليها فاحتواهَا

ترجمة المعذل ابن غيلان

وَالمعذل[١] : هو ابن غَيْلاَن بن الحكم بن البحترى ، وكان أبوه غيلان شاعراً أيضاً .

حدث عمارة قال : مرّ المعذل بن غيلان بعبد الله بن سَوّار العنبرى القاضى ، فاستنزله عبد الله ، وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده ، فأبى وأنشده [من الوافر] :

أمِنْ حق المودة أن نُقضِّى   ذِمامكمُ ولا تقضوا ذِمامَا

---

(١) من ثنايا ترجمة عبد الصمد بن المعذل من الأغانى (١٢ : ٥٧ ـ ٧٢) أخذ المؤلف ما ذكره عن أبيه المعذل

وقدقال الأديبُ مقال صدقٍ　　رآهُ الآخرون لهم إمَامَا

إذا أكرمتكم وأهنتمونى　　ولم أغضبْ لذلِكمُ فدامَا

قال : وانصرف ، فبكر إليه عبد الله بن سَوَّار ، فقال له : رأيتك أباعبدالله مُغضَباً ، فقال : أجل ، ماتت بنتُ أختى ولم تأتنى . قال : مَا علمت ذلك ، قال: ذنبك أيسرُ من عذرك ! ومالى أنا أعرف خبر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبر حقوقى ؟ فما زال عبدالله يعتذر إليه حتى رضى عنه .

وحدث الجماز قال : هجا أبانُ اللاحِقِيُّ المعذّلَ بن غيلان ، فقال [من الخفيف] :

كنتُ أمشى مع المعذل يوماً　　ففسا فَسْوَةً فكدتُ أطيرُ

فتلفّتُّ هل أرَى ظَرِباناً　　من ورائى والأرضُ بى تستديرُ

فإذا ليسَ غيره وإذا إعـــصارُ ذاكَ الفساءِ منهُ يفورُ

فتعجبتُ ثم قلتُ لقدْ أعـــرقَ فى ذَا فيما أرى خنزيرُ[1]

فأجابه المعذل بقوله [من الرمل] :

صحّفَتْ أُمُّكَ إذ سمـــتكَ فى المهد أبانَا

صيرت باء مكان التـــاءِ　　فاللهُ أعانَا[2]

قطعَ اللهُ وشيكاً　　من مسميكَ اللسانَا

وقد رُوى عن المعذل وأبيه شىء من الأخبار والحديث واللغة ليس بالكثير ومن شعره [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى «لقد أعرف هذا فيما أرى خنزير» وأراه محرفا عما هنا

(٢) فى الأغانى « والله أهانا »

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى ... أرى صالح الأعمال لا أستطيعها

أرى خَلَّةً فى إخوة وقرابة ... وذى رحم ما كان مثلى يضيعها

فلو ساعدَتْنِي فى المكارم قدرة ... لفاضَ عليهم بالنوال ربيعها

ترجمة عبد الصمد بن المعذل

وأما ابن المعذل[1] عبد الصمد، فكان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة العباسية، وكان هَجَّاء خبيث اللسان، شديد المعارضة، وكان أخوه أحمد شاعرا أيضا، إلا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين، وتقدم عند المعتزلة، وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه، وكان يحسده ويهجوه، فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، ومن هجاء أحمد لأخيه عبد الصمد قوله، وهو فى غاية الأذى مع ما فيه من اللطافة [من الرمل] :

قالَ لى أنتَ أخو الكلب وفى ... ظنِّه أن قد هجانى واجتهدْ

أحمدُ الله تعالى أنهُ ... ما درى أنى أخو عبد الصمدْ

* * *

من شواهد الاطناب

٧٣ — ونُنْكِرُ إن شئنا على الناس قولَهُمْ ... ولا ينكرون القولَ حين نقولُ

البيت للسَّمَوْأل بن عادياء اليهودى من قصيدة[2] من الطويل، أولها :

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضُهُ ... فكل رداء يرتديه جميلُ

وإنْ هُوَ لم يحمل على النفس ضَيْمَهَا ... فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

تُعيِّرنا أنا قليل عديدُنا ... فقلت لها إن الكرام قليلُ

(١) فى الأصول « وما أبو المعذل عبد الصمد » محرفا عما أثبتناه، فأبو المعذل هو غيلان بن الحكم على ما مر للمؤلف، وعبد الصمد بن المعذل شاعر مشهور يذكر أبوه من أجله، وقد كتب بهامش مطبوعة بولاق كلام لا يقضى العجب منه

(٢) اقرأها فى الأمالى لأبى على القالى (١ — ٢٦٩)

وما قَلَّ مَنْ كانت بقاياه مثلنا شباب تسامت للعلا وكهولُ(١)
وإنا لَقَوْمٌ لا نرى القتل سُبَّة إذا ما رأته عامر وسلول(٢)
يقربُ حبُّ الموتِ آجالَنَا لنا وتكرهه آجالهمْ فتطولُ
وما ماتَ منّا سيِّدٌ فى فِراشهِ ولاطُلَّ منّا حيثُ كانَ قَتيلُ
تَسيلُ على حدِّ الظُّبات نفوسُنَا وليس على غير السُّيوف تسيلُ(٣)
إلى أن يقول فيها :
فنحنُ كماء المُزن مافى نِصالنا كَهَامٌ ولا فِينا يعدُّ بخيلُ
وبعده البيت ، وبعده :
إذا سيدٌ منَّا خلاَ قامَ سيدٌ قؤولٌ لما قالَ الكرامُ فَعُولُ
وما أُخمِدتْ نارٌ لنا دُون طارق ولا ذمَّنا فى النَّازلينَ نَزيلُ
وأيامُنا مشهورَةٌ فى عدُونا لها غُرَر معرُوفة وحُجُولُ
وأسْيافُنَا فى كلِّ شرقٍ ومغربٍ بها منْ قِراع الدَّارعينَ فلولُ
مُعَوَّدة أنْ لا تُسلَّ نِصالها فتغمدَ حتى يُستباحَ قتيلُ(٤)
سلى إنْ جهلتِ النّاسَ عنّا وعنهمُ فليسَ سواءٌ عالم وجهولُ

ومعنى البيت : إنا نُغير ما نريد تغييره من قول غيرنا ، ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقيادا لهوانا واقتداء بحزمنا . يصف رياستهم ، ونفاذ حكمهم ، ورجوع الناس فى المهمات إلى رأيهم .

---

(١) حفظى « شباب تسامى للعلا» وهو الموافق لما فى الأمالى
(٢) في الأمالى «ما نرى القتل » و بين هذا البيت والذى قبله في الأمالى ثلاثة أبيات
(٣) فى الأمالى «وليست على غير السيوف»
(٤) فى الأمالى «يستباح قبيل» وهو الموافق لمقام الفخر

والشاهد فيه : وصفه بالاطناب بالنسبة إلى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ووصف الآيات الكريمة بالايجاز بالنسبة إليه .

الاستطراد وبعض شواهده

وفي قوله من القصيدة « وإنا لقوم لا نرى القتل سبة — البيت » نوع من البديع يسمى الاستطراد (١) ، وهو : أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

كأنَّ فقاحَ الأزْدِ حَوْلَ ابن مِسمعٍ إذا اجْتمعوا أفْوَاهُ بكر بن وائل

وقول جرير [من الكامل] :

لما وضعتُ على الفرزْدق مِيسمى وضغا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطل .

ويروى أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا فيها الراعي ، فلما بلغ إلى قوله

* بها برصٌ بأسفل أسكتيها *

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته ، فقال جرير :

* كعَنْفَقَةِ الفرزْدقِ حِينَ شابا *

فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم اخزه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكنني طمعت أن لا يأتي به ، فغطيت وجهي فما أغنى ذلك شيئا ، ويقال : إن يونس كان يقول : ماأرى جريرا قال هذا المصراع إلا حين غطى الفرزدق عنفقته فانه نبهه عليه بتغطيته إياها .

ومن الاستطراد قول أبي تمام في وصف فرس [من البسيط] :

فلوْ تراهُ مُشيحاً والحصا فِلقٌ تحت السّنابكِ مِنْ مَثْنَى ووُحدانِ

---

(١) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ — ٣٧ بتحقيقنا) فأكثر ما ذكر المؤلف هنا من شواهد هذا الفن مروية هناك ، ثم انظر خزانة ابن حجة (٥٦) ونفحات الأزهار للنابلسي (١٥٠)

حَلَفْتَ إنْ لم تَثَبَّتْ أنَّ حافِرهُ ... من صخْرِ تدمُرَ اوْمِنْ وجهِ عثمانِ

وقول بكر بن النطاح (١) فى مالك بن طوق [من الطويل] :

عرضْتُ عليها ما أرادتْ منَ المُنى ... لتَرْضَى فقالتْ قمْ فجئنى بكوكبِ

فقلتُ لها هـذا التَّعنُّتُ كلُّه ... كمَن يشتهى منْ لحم عنقاء مُغربِ (٢)

سلى كلَّ أمرٍ يستقيمُ طِلابُهُ ... ولا تذهبى يادرَّ فى كلِّ مذهبِ

فأقسمُ لوْ أصبحتُ فى عزِّ مالكٍ ... وقدرتهِ أعيا بما رُمتِ مطلبي

فتى شقيَتْ أمـوالُه بعفـاتهِ ... كاشقيتْ قيسٌ بأرماح تغلبِ

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبي [من الخفيف] :

بأبِي منْ إذا أرادَ سِرارى ... عَبَّرَتْ لى أنفاسهُ عنْ عبيرِ

وسبانِى ثغرٌ كُدرٍّ نظيمٍ ... تحتـهُ منْطِقٌ كَـدرٍّ نثيرِ

ولهُ طَلْعـةٌ كنَيْلِ الأمانى ... أوْ كبشرِ المهلبي الوزيرِ

وقول أبى الطاهر الخزاعى (٣) [من الطويل] :

وليلٍ كوجهِ البَرْقعيدى ظُلمةً ... وبردِ أغانيـهِ وطولِ قُرُونهِ (٤)

---

(١) في الأصل «أبى بكر النطاح » محرفا

(٢) في العمدة « كمن يتشهي لحم عنقاء مغرب »

(٣) قد نسب هذه الأبيات ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب (٥٦) إلى أبى محمد بن مكرم ، ونسبها صاحب نفحات الأزهار (١٥٠) نقلا عن الباخرزى فى الدمية إلى الطاهر الحرصى ، وقد بحثت فى دمية الباخرزى من أوله إلى آخره فلم أعثر عليها ، وظاهر أن أحد العلمين اللذين نسب الشعر إليهما هنا وفى النفحات محرف عن الآخر

(٤) فى الأصول «وبردا أغانيه» محرفا من وجهين ، وما أثبتناه موافق لما فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى

قَطَعْتُ دَيَاجِيهِ بنَوْمٍ مُشَرَّدٍ كعقل سُلَيمانَ بن فَهْدٍ ودِينهِ(١)
على أَوْلَقٍ فيهِ التفاتٌ كأنهُ أبو جابرٍ فى خَبْطه وجنونهِ(٢)
إلى أنْ بدا ضوءُ الصباح كأنهُ سنا وجهِ قِرْواشٍ وضوءُ جبينهِ

وقول إسحاق بن إبراهيم يهجو أحمد بن هشام [من الطويل] :

وصافيةٍ يغشى العُيونَ صفاؤها رهينــةِ عامٍ فى الدِّنانِ وعامِ
أدَرْنابها الكأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِناً منَ اللّيلِ حتى انجابَ كلُّ ظلامِ
فماذرَّ قرْنُ الشَّمس حتى رأيْتُنا منَ العِيِّ نحكى أحمدَ بنَ هِشامِ

وقول الحسين بن على القمى (٣) [من الكامل]

جاوزتُ أجبالاً كأنَّ صخورها وَجَناتُ نجم ذِىَ الحياء البارِدِ
والشَّوْكُ يعملُ فى ثيابى مِثلَ ما عملَ الهجاءُ بعرض عبدِ الواحدِ(٤)

وقول أبى الفرج الببغاء (٥) [من الطويل] :

لنا رَوْضة فى الدّار صِيغَ لزهرها قلائدُ مِنْ حلى النّدَى وشُنُوفُ(٦)
يطيفُ بنا مِنها إذا ما تنفستْ نسيمٌ كعقل الخالدِىِّ ضعيفُ

ومن ظريف الاستطراد وغريبه قول بعضهم [من الخفيف] :

اكْشفى وجهكِ الذِى أوْ حلَتْنى فيهِ منْ قبل كَشْفهِ عينــاكِ

---

(١) فى الخزانة * قطعت همومى عن جفونى مشرد *
(٢) الذى فى الخزانة * بذى أولق فيهاعوجاج.... * وهو خير مما هنا
(٣) رواها ابن حجة فى الخزانة (٥٦)
(٤) فى الخزانة « يفعل . . . فعل الهجاء »
(٥) نسبهما ابن حجة (٥٧) إلى السرى الرفاء
(٦) فى الأصول « قلائد من حمل الندى »وما أثبتناه موافق لما فى الخزانة

غَلَطِي فى هواكِ يشبه عندِي غَلَطِي فى أبى على بن زاكى

وقول أبى بكر الخوارزمى [من الطويل] :

وصفراء كالدِّينار بنتِ ثلاثةٍ شَمَالٍ وأنْهار ودهرٍ مُجرَّمِ

مَسَرّةِ محزونٍ وعُذْر مُعربدٍ وكنز مجوسىٍّ وفتنةِ مُسلمِ

مماتٌ لأحياءٍ حياةٌ لميتٍ وعُدْمٌ لمن أثرَى ثراءٌ لمعدِمِ

يدورُ بها ظبىٌ تدورُ عيونُنا على عينهِ من شرطِ يحيى بن أكثم

ينزِّهنا منْ ثغرهِ ومُدامه وخدّيه فى شمسٍ و بدرٍ وأنجُم

نهضتُ إليها والظّلامَ كأنهُ معاشُ فقيرٍ أوْ فؤاد معلّم

وقوله [من الكامل] :

ولقدْ بكيتُ عليكَ حتى قدْ بدَا دَمعى يُحاكِى لفظكَ المنظوما

ولقد حزنتُ عليكَ حتى قد حكى قلبى فؤادَ حسُودِكَ المحموما

ومنه قول ابن رشيق وكتب به إلى بعض الرؤساء [من المقتضب] :

إنى لَقيتُ مَشقّةْ فابعث إلىَّ بشُقّهْ

كمثلِ وجهِك حسناً ومثلِ دِينىَ رقهْ

فقال له الرئيس : أما مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال رمال الرقة

ولشرف الدين ابن عنين الشاعر على هذا الأسلوب فى فقيهين كانا بدمشق يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس [من الكامل] :

البَغْلُ والجاموسُ فى جَدَليهما قد أصبحا عظةً لكلِ مُناظرِ

برزَا عشيَّة ليلةٍ فتباحثَا هـذا بقرْنيْهِ وذَا بالحافرِ

ما أتقنا غيرَ الصِّياح كأنما لقيا جدالَ المرْتضى بن عساكِر

لفظٌ طويلٌ تحتَ معنى قاصرٍ كالعقل فى عبدِ اللّطيف النّاظر

اثنان مالهما وحقك ثالث إلا رقاعة مدلويه الشاعر

ومنه قول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

تطول به للمجد أشرف همة فما باعه عن غاية بقصير
سما لاقتناص المكرمات كما سما بعمرو إلى الزباء سعى قصير

وقوله أيضاً [من الطويل] :

سراة كرام من ذؤابة هاشم يقولون للأضياف أهلا ومرحبا
ويفعل فى فقر المقلين جودهم كفعل على يوم حارب مرحبا

ترجمة السموأل

والسموأل (١) : هو ابن غريض (٢) بن عادياء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكرى عن الطوسى وأبى حبيب ، وذكر أن الناس يدرجون غريضاً فى النسب وينسبونه إلى عادياء جده ، وقال عمرو بن شيبة : هو السموأل ابن عادياء ، ولم يذكر غريضاً ، وقد قيل : إن أمه كانت من غسان ، وكلهم قال: إنه صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئراً عذبة روية ، وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها ، قال السموأل [من المتقارب] :

فبالأبلق الفرد بيتى به وبيت النضير سوى الأبلق

وكانت العرب تنزل به فيضيفها ، وتمتار من حصنه ، ويقيم هناك سوقا . وبه يضرب المثل فى الوفاء لأنه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته فى أدراع أودعها وكان السبب فى ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندى لما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عادياء بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببنى كنانة على أنهم

(١) له ترجمة فى الأغانى (١٩ — ٩٨)
(٢) فى الأصول «عريض» بالعين مهملة فى كل المواضع، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى.

بنو أسد وكراهة من معه لفعله، وتفرقهم عنه، حتى بقي وحده واحتاج إلى الهرب ، وطلبه المنذر بن ماء السماء و وَجَّه إلى طلبه جيوشا ، وخذلته حمير وتفرقت عنه ، فلجأ إلى السموأل بن عادياء ، وكان معه خمسة أدراع : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة ، والخريق [1] ، وأم الذيول . وكانت لبنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك، ومعه ابنته هند ، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال وكان بقي مما [2] كان معه رجل من بنى فزارة يقال له الربيع ، وهو الذى قال فيه امرؤ القيس [من الطويل] :

بكى صاحبي لما رأى الدَّربَ دُونهُ وأيقنَ أنَّا لا حِقان بقيْصرَا

فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُكَ إنما نُحاولُ ملكاً أو نموتَ فنعذرَا

فقال له الفزارى : قل فى السموأل شعراً تمدحه به فان الشعر يعجبه ، فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها [من الكامل] :

طَرَقَتْكَ هند بعدَ طولِ تَجَنُّبِ وَهْناً ولم تكُ قبلَ ذلكَ تطرقُ

فقال له الفزارى : إن السموأل يمنع منها [3] وهو فى حصن حصين ومال كثير ، فقدم به على السموأل وعرفه إياه وأنشده الشعر ، فعرف لهما حقهما ، وضرب على هند قبة من أدم ، وأنزل القوم فى مجلس له ، فأقاموا عنده ماشاء الله ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث ابن أبي شمر الغسانى

---

(١) فى الأصول «الحريق» بالحاء مهملة ، وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) من حق التعبير أن يقول «ممن كان معه» ولكنه أخذ عبارة الأغانى وأسقط منها كلمات فجاءت العبارة كما ترى ، وأصل العبارة في الأغانى «وسلاح ومال كان بقي معه ، ورجل من بنى فزارة — إلخ»

(٣) فى الأصول «يمنع منك» وما أثبتناه عن الأغانى ، وفيه زيادة «حتى يرى ذات عينيك» والمعنى أنه يحميها إلى أن تعود بنفسك

أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب رجلا يدله على الطريق ، وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمه مع ابنته هند .

قال : ونزل الحارث بن ظالم فى بعض غاراته بالأبلق ، ويقال : بل كان المنذر وَجَّهه فى خيل وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفَعَ وخرج إلى قَنَصٍ له ، فلما رجع أُخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموأل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم هذا ابنى ، فقال : أفتسلم ما قبلك أو أقتله ؟ قال : شأنك به فلست أُخفر ذمتى ولا أسلم مال جارى ، فضرب الحارث وسط الغلام فقتله وقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ، فقال السموأل فى ذلك [من الوافر] :

وفيتُ بأدْرع الكندِىِّ إنى ... إذا ما ذمّ أقوامٌ وفيتُ
وأوْصى عاديا يوماً بأن لا ... تُهدِّمَ يا سموألُ ما بنيتُ
بنى لى عاديا حِصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئتُ استقيْتُ

وفى ذلك يقول الأعشى — وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كَلْبى قد هجاه ، ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه ، فنزل بابن السموأل فأحسن ضيافته ، ومر بالأسرى فناداه الأعشى من جملة أبيات [من البسيط] :

كنْ كالسموأل إذْ طافَ الهمامُ بهِ ... فى عسكرٍ كسوادِ الليل جرَّار
إذ سامهُ خُطّتَىْ خَسْفٍ فقالَ لهُ ... قُل ما تشاء فإنى سامعٌ حارِ[1]
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما ... فاخترْ ، وما فيهما حَظٌّ لمختار
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمَّ قال لهُ ... اقتلْ أسيركَ إنى مانعٌ جارى

(١) فى الأصول « فانى سامع جارى » محرفا ، وما ثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وحار : مرخم حارث .

وسوف يُعقبنيهِ إنْ ظفرْتَ بهِ ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطْهار
لا سرُّهنّ لدَينا ذاهبٌ أبداً وحافظاتٌ إذا استُودِعْنَ أسراري(١)
فاختارَ أدْراعهُ كيلا يُسَبَّ بها ولم يكنْ وعدهُ فيها بختَّارِ

فجاء شريح إلى الكلبي فقال له : هب لي هذا الأسير المضرور، فقال : هو لك، فأطلقه، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأجيزك، فقال له الأعشى: إن تمام صنيعك أن تعطيني ناقة نَجِيَّة، فأعطاه ناقة نَاجِيَة، فركبها ومضى من ساعته، وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح: ابعث إلى الأسير الذي وهبته لك حتى أحبوه وأعطيه، فقال : قد مضى، فأرسل الكلبي وراءه فلم يلحقه

وشعية بن غريض(٢) أخو السموأل شاعر أيضا، ومن شعره [من السريع]:

إنا إذا مالتْ دَواعي الهوَى وأنصتَ السّامعُ للقائل
لا نجعلُ الباطلَ حقًّا، ولا نَلظُّ دُون الحق بالباطل(٣)
نخاف أنْ تَسْفَهَ أحلامُنَا فنخملَ الدَّهرَ معَ الخامل

عن العتبي قال : كان معاوية رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر

وعن يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الأبيات، ثم يجتهد في الحق بين الخصمين.

---

(١) في الأصول « لا تشرهن لدنيا » محرفا من عدة وجوه وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٢) في الأصول «وسعيد بن عريض» محرفا عما أثبتناه موافقا لما في معجم الشعراء للمرزباني، ووقع في الأغاني « سعية بن غريض » بالسين المهملة، وهو تحريف أيضا.

(٣) في الأصول « نلط » بالطاء مهملة

قد تم — بعون الله تعالى وحسن تيسيره — طبع الجزء الأول من كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسىّ ويتلوه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى ، مفتتحاً بشواهد الفن وهو علم البيــان ، نسأل الذى بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله ، و يُيَسّر سبيل اختتامه ، آمين ؟





تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه، وعلق حواشيه، وصنع فهارسه
محمد محيي الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الثاني

عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

شواهد الفن الثانى ، وهو علم البيان

٧٣ — وكأنَّ مُحمرَّ الشَّقيـــق إذا تصوَّب أو تصعَّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رماحٍ من زَبَرْجَدْ

شاهد التشبيه الخيالى

البيتان من الكامل المجزوء المرفل ، ولم أقف على اسم قائلهما ، ورأيت بعض أهل العصر نسبهما فى مصنف له إلى الصنوبرى الشاعر .

والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النَّوْرُ المعروف ، ويطلق على الواحد والجمع ، وسمى بذلك لحمرته تشبيها بشقيقة البرق ، وأضيف إلى النعمان بن المنذر — وهو آخر ملوك الحيرة — لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتمّ نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شىء كثير ، فقال: ما أحسنها! احْمُوها ، فكان أول من حماها ، فنسبت إليه .

وكان أبو العَمَيْثَل يقول : النعمان اسم من أسماء الدم ، ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت إلى الدم لحمرتها . قال : وقولهم « إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر » ليس بشىء . قال : وحدثت الأصمعى بهذا فنقله عنى ، انتهى . والذى قدمناه هو الذى ذكره أرباب اللغة .

والشاهد فيهما : التشبيه الخيالى ، وهو المعدوم الذى فرض مجتمعاً من أمور كلُّ واحدٍ منها مما يدرك بالحس ، فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس ، إنما يدرك ما هو موجود فى المادة حاضر عند المدرِك على هيآت محسوسة مخصوصة ، لكن مادته التى تركب منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر .

وقريب من هذا النوع قول بعضهم [من المقتضب] :

كلنا باسِطُ اليدِ نحوَ نيلوفرٍ ندى
كدبابيسِ عسجدٍ قُضْبُها من زَبَرْجَدِ

ومثله قول أبى الغنائم الحمصى [من مجزوء الكامل] :

خودٌ كأنَّ بنانَها في خُضْرَةِ النقْشِ المُزَرَّدْ
سمكٌ من البلورِ في شَبَكٍ تَكَوَّنَ من زبرجد

وقد تفنن الشعراء في وصف الشقائق : فمما ورد من ذلك قول ابن الرومي أو الأخيطل الأهوازي [من البسيط] :

وصف الشعراء للشقائق

هذي الشَّقائقُ قد أبصرْتَ حُمْرَتها مع السواد على قُضبانِها الذُّبُلِ
كأنها أدمعٌ قد غسلت كُحُلاً جادت بها وقفة في وَجْنَتَيْ خَجِلِ

وقول سيدوك الواسطي [من مجزوء الكامل] :

انظر إلى مُقَلِ العقيق تَضَمَّنت حدق السبج
من فوق قاماتٍ حَسُنَّ وما سَمُجْنَ من العوَجْ

وقول الخباز البلدي من أبيات [منَ الوافر] :

إلى الروض الذي قد أضْحَكَتْهُ شآبيبُ السَّحائبِ بالبكاءِ
كأن شقائقَ النعمانِ فيه ثيابٌ قد رَوِينَ من الدماء

وقول ولد القاضي عياض رحمهما الله تعالى [من السريع] :

انظر إلى الزَّرع وخاماتِهِ تحكي وقد ولّتْ أمام الرياحْ
كَتِيبَةً خضراء مهزومةً شقائق النعمان فيها جِراحْ

وقول الخالدي أيضاً [من الوافر] :

وصبغ شقائق النعمان يحكي يواقيتاً نُظِمْنَ على اقترانِ
وأحياناً تُشَبِّهها خدُوداً كساها الرَّاحُ ثوباً أرجُواني
شقائق مثلُ أقداحٍ مِلاء وخَشخاشٌ كفارغةِ القَناني
ولما غازَلَتنا الرِّيح خِلْنا بها جَيْشَيْ وغًى يتقاتلانِ

وقول الصنوبري [من الوافر] :

وجوهُ شقائِقٍ تبدو وتخفى على قُضُبٍ تميسُ بهنّ ضعفا
تراها كالعذارى مُسْبلاتٍ عليها من حميمِ الشَّعْر سجفا
إذا طلعت أرتكَ السُّرجَ تذكى وان غربت أرتك السرج تُطْفَا
تخالُ إذا هي اعتدلت قَواماً زُجاجاتٍ ملئنَ الراحَ صِرفا
تنازعتِ الخدودَ الحمر حُسناً فما قد أخطأتْ منهن وصفا

وقول ابن الدويدة [من المتقارب] :

كأن الشقائق والأقحُوانَ خُدُود تقبّلهنّ الثُّغُور
فهاتيكَ أخجلَهن الحياء وهاتيكَ أضحكهن السُّرور

وقول أبي الحسن بن وكيع من أرجوزة [من الرجز] :

يضحك فيها زَهَرُ الشقيق كأنه مَدَاهِنُ العقيقِ
مُضَمَّنات قطعاً من السَّبَجْ فأشرقت بين احمرار ودَعَجْ
كأنما المحمَرُّ في المسوَدِّ منهُ إذا لاح عيونُ الرُّمْدِ

وقول أبي الفضل الميكالى [من الطويل] :

تَصوغُ لنا أيدى الرَّبيع حدائقاً كعِقد عقيق بين سِمْطِ لآلِ
وفيهن أنوارُ الشقائق قد حكَتْ خدودَ عذارَى نُقِّطَتْ بغوالى

وقول الخبزأرزى أيضاً [من المنسرح] :

ورَوضةٍ راضَها النَّدى فغدَتْ لها من الزَّهرِ أنجُمٌ زُهُرُ
تَنْشُر فيها أيدى الربيع لنا ثوباً من الوَشْيِ حاكه القَطْرُ
كأنما شُقَّ من شقائقها على رُباها مطارفٌ خُضْرُ
ثمّ تبدّتْ كأنها حَدَقٌ أجفانُها من دِمائها حُمْرُ

* * *

شاهد التشبيه الوهمي

٧٤ — * ومَسْنُونة زُرْق كأنياب أغوالِ *

هو من الطويل ، وصدره :

* أيَقْتُلني والمشْرَفيُّ مُضاجِعي *

وقائله امرؤ القيس الكنديّ ، من قصيدة (١) أولها :

ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي ... وهَلْ يعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخالي

وهلْ يَعِمَنْ إلا سَعيدٌ مُخَلَّدٌ ... قليلُ هُمُومٍ ما يبيتُ بأوجالِ (٢)

وهلْ يعمنْ مَنْ كان آخرُ عهدِهِ ... ثلاثينَ شهراً أو ثلاثةَ أحوالِ (٣)

دِيارٌ لسلمَى عافياتٌ بِذِي الخالِ ... ألَحَّ عليها كلُّ أسْحَمَ هَطّالِ

وتحسبُ سَلمَى لا تزال كعهدنَا ... بِوادي الخُزَامَى أوعلى رأسِ أوعالِ

ألاَ زَعمَتْ بَسباسةُ اليومَ أنني ... كبِرْتُ وأن لا يشهَدَ اللهوَ أمثالي (٤)

بلَى رُبَّ يومٍ قدْ لهوتُ وليلةٍ ... بآنسَةٍ كأنها خطٌّ تمثَالِ

يُضيء الفراشَ وَجهُها لضجيعها ... كمِصباحِ زَيْتٍ في قناديل ذَبّالِ

إذَا ما الضجيعُ ابتزَّها منْ ثيابها ... تميلُ عليه هَونةً غيرَ معطالِ (٥)

كدعصِ النقَا يمشي الوَليدَانِ فوقَهُ ... لما احتسبَا من لين مسٍّ وتسهالِ (٦)

(١) انظرها في الديوان (١٣٧)

(٢) في الديوان «قليل الهموم»

(٣) في الديوان «أحدث عهده» وفيه «في ثلاثة أحوال»

(٤) في الديوان « وألا يحسن السر أمثالي»

(٥) في الديوان « غير مجبال » وغير مجبال : أي ليست فظة ولا غليظة

(٦) في الديوان « كحقف النقا » وفيه « بما احتسبا»

إذا ما استحمّت كان فيض حميمها | على متنتيها كالجمان لدى الجالى (١)
تنوّرتها من أذرعات وأهلها | بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالى
نظرتُ إليها والنجوم كأنها | مصابيح رهبانٍ تُشبّ لقفّال (٢)
سموتُ إليها بعد ما نام أهلها | سموّ حباب الماء حالاً على حال
فقالت سباك الله إنك فاضحي | ألست ترى السُّمّار والناس أحوالى
فقلتُ يمينُ الله لا أنا بارحٌ | ولو قطعوا رأسى لديكِ وأوصالى (٣)
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت | هصرتُ بغصنٍ ذى شماريخ ميّال
فصرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامنا | ورُضتُ فذلّت صعبة أىّ إذلال
حلفتُ لها بالله حلفةَ فاجرٍ | لناموا فما إن من حديثٍ ولا صالى
فأصبحتُ معشوقاً وأصبح بعلها | عليه قتامٌ كاسفُ اللون والبال (٤)
يغطّ غطيط البكر شُدّ خناقه | ليقتلنى والمرء ليس بقتّال

وبعده البيت، وبعده :

وليس بذى سيف فيقتلنى به | وليس بذى رُمحٍ وليس بنبّال
أيقتلنى وقد قطرتُ فؤادها | كما قطرَ المهنوءةَ الرّجلُ الطالى (٥)

---

(١) فى الأصل « لدى الخالى » بالخاء مهملة، وليس بشيء . وما أثبتناه عن الديوان ، والجالى : صراف الدراهم

(٢) تشب : توقد، والقفال : جمع قافل من قفل من الغزو والسفر إذا رجع

(٣) فى الديوان «يمين الله أبرح قاعداً» وهذا هو المحفوظ، وهو من شواهد النحاة على حذف حرف النفى بعد القسم ؛ وما فى الأصل ضعيف فى العربية

(٤) فى الديوان «عليه القتام سىء الظن والبال »

(٥) فى الديوان :

ليقتلنى أنى شغفت فؤادها | كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

وقد علمت سلمى وإن كان بعلها ... بأن الفتى يهذى وليس بفعّال
وما ذا عليه إن ذكرت أوانساً ... كغزلان رمل فى محاريب أقوال[١]

وهى طويلة .

والمشرقى — بفتح الميم والراء — نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى من أرض العرب ، تدنو من الريف ، منها السيوف المشرفية . والمسنون : المحدد المصقول ، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها ، وكونها مجلوة ، وأراد بقوله « أنياب أغوال » أى شياطين ، وإنما أراد أن يهوّل . قال أبو نصر : سألت الأصمعىّ عن الغول ، فقال : هرجة من هرجة الجنّ .

والشاهد فيه : التشبيه الوهمىّ ، وهو الغير المدرك[٢] بإحدى الحواس ، ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركا بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .

وذكرت بأول القصيدة ما حكاه ناشب بن هلال الحرّانى الواعظ البديهى — وكان يلقب به لقوله الشعر بديهاً — قال : قصدت ديار بكر متكسباً بالوعظ ، فلما نزلت قلعة ماردين دعانى بها صاحبها تمرداس بن المغان بن أرتق للإفطار عنده فى شهر رمضان ، فحضرت إليه ، فلم يرفع مجلسى ولم يكرمنى ، وقال بعد الافطار لغلام عنده : إئتنا بكتاب ، فجاء به ، فقال له : ادفعه إلى الشيخ ليقرأ فيه ، فازداد غيظى لذلك ، وفتحت الكتاب ، فإذا هو ديوان امرىء القيس ؛ وإذا أول ما فيه :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى ... وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

---

(١) الأقوال : جمع قيل ، وهو من يلى الملك من ملوك حمير

(٢) من حق الاستعمال العربى أن يقال « غير المدرك باحدى الحواس »

فقلت فى نفسى : أنا ضيف وغريب ، وأستفتح ما أقرأه على سلطان كبير وقد مضى هزيع من الليل ألاعِمْ صباحاً ، فقلت :

ألاَ عِمْ مساء أيها الملكُ العالى ولاَ زلْتَ فى عز يدومُ وإقبالِ

ثم أتممت القصيدة ، فتهلل وجه السلطان لذلك ، ورفع مجلسى ، وأدنانى إليه ، وكان ذلك سبب حظوتى عنده .

* * *

شاهد التشبيه التخييلى

٧٥ — وكأنَّ النُّجُومَ بينَ دُجاها سُنن لاحَ بينهُنَّ ابتداعُ

البيت للقاضى التنوخىّ ، من أبيات من الخفيف ، أولها(١) :

رُبَّ ليلٍ قطعتُهُ بِصدُودٍ أو فراقٍ ما كانَ فيه وَدَاعُ

موحشٍ كالثقيلِ تقذَى بهالعيـ ـنُ وتأبى حديثهُ الأسماعُ

وبعده البيت ، وبعده :

مُشْرِقاتٌ كأنهنَّ حجاجٌ تقطعُ الخصمَ والظلامَ انقطاعُ

وكأنَّ السماء خيمةُ وَشْيٍ وكأنَّ الجوزاء فيها شراعُ

والدجى : جمع دُجْيَة ، وهى الظلمة ، والضمير راجع إلى الليالى أو النجوم ، والابتداع : الحدث فى الدين بعد الكمال ، أو ما استُحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال .

والشاهد فيه : التشبيه التخييلى ؛ وهو أن لا يوجد فى أحد الطرفين أو فى كليهما إلا على سبيل التخييل والتأويل ، ووجهه فى هذا البيت هو : الهيئة

---

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ — ٣٣٦ بتحقيقنا) وفيها بيت سادس ، وهو قوله :

كأن ليلاً قصيرته نهاراً كتمت تكيت العدى ورقاع

الحاصلة من حصول أشياء مُشْرِقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود ، فتلك الهيئة غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلكَ أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ماهو علم بالنور ، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل ، كما أن النور يقابل الظلمة .

ترجمة القاضى التنوخى

والقاضى [١] التنوخى : هو على بن محمد بن داود ، ابو القاسم التنوخى ، قدم بغداد ، وتفقه على مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان حافظاً للشعر ، ذكيا وله عروض بديع ، وولى القضاء بعدة بلدان ، وهو والد أبى على المحسن [٢] التنوخى صاحب « نشوار المحاضرة » وكتاب « الفرج بعد الشدة » وغيرهما . وكان أبو القاسم هذا بصيراً بعلم النجوم ، قرأ على الكسائى المنجم ، ويقال : إنه كان يقوم بعشرة علوم ، وكان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة ، سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً ، وكان فى الفقه والفرائض والشروط غاية ، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة ، وكان فى الهيئة قدوة .

وقال الثعالبى فى حقه رحمهما الله تعالى : هو كما قرأته فى فصل للصاحب [٣] إن أردت فانى سبحة ناسك ، أو أحببت فانى تفاحة فاتك ، أو اقترحت فانى مدرعة راهب ، أو آثرت فانى نخبة شارب .

وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جدا ، ويتعصبون له ، وَيَعُدُّونه ريحانة الندماء وتاريخ [٤] الظرفاء ، ويعاشرون منه من تطيب عشرته

---

(١) له ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبي (٢ ـ ٣٣٥ ـ ٣٤٥ بتحقيقنا)

(٢) فى الأصول « أبى على الحسن » محرفا ، ولأبى على ترجمة فى اليتيمة تتلو ترجمة والده

(٣) يريد الصاحب بن عباد

(٤) كذا فى الأصول ونسخ اليتيمة ، وأحسبه محرفا عن « ونارنج الظرفاء »

وتلين قشرته ، وتكرم أخلاقه [وتحسن أخباره] [١] ، وتسير أشعاره [ناظمة] [٢] حاشيتى البر والبحر، وناحيتى الشرق والغرب .

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، وهم ابن قريعة وابن معروف والأيذجى وغيرهم ، ومامنهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا أثواب الوقار للعقار ، وتقلبوا فى أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع فى يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شراباً قطربليا أو عكبريا ، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخانق البرم ، وإياهم عنى السرى الرفاء بقوله [من المنسرح] :

مَجالسٌ تَرقُصُ القضاةُ بها إذا انتَشَوْا فى مخانقِ البُرَمِ
وصاحبٌ يخلط المجونَ لنا بِشيمةَ حُلْوَةٍ من الشِّيَمِ
تَخْضِبُ بالراح شَيبُهُ عَبَثًا أناملٌ مثل حمرة العَنَمِ
حتى تَخالَ العيونُ شيبتَهُ شيبةَ عُثمانَ ضُرِّجت بدَمِ

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم من التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسيما ، فكتب إلى القاضى التنوخى بعضُ أصحابه [من الرمل] :

هل علىَّ لامهُ مُدْغمةٌ لاضطرار الوَزنِ فى ميمِ نَسيمِ؟

---

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر

فوقع تحته، نعم، ولم لا؟!

وقال منصور الخالدى : كنت ذات ليلة عند التنوخى فى ضيافة ، فأغفى إغفاءة فخرج منه ريح ، فضحك بعض القوم ، فانتبه بضحكه وقال : لعل ريحاً ، فسكتنا من هيبته، فمكث ساعة ثم قال : [من الطويل] :

إذ نامت العينانِ من مُتَيَقِّظٍ تراخَتْ بلاشكٍ تشاريجُ قَفحتهْ
فمن كانَ ذا عقلٍ فيعذر نائماً ومن كان ذا جهل ففى جَوفِ لحيته

وهذه نبذة من شعره .

قال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر شعره [ويرى أنها من أمهات قلائده][1] وهى [من الكامل] :

أحْبب إلىَّ بنهر مَعْقلٍ الذى فيـهِ لقلبى من همومى معقلُ
عَذْبٌ إذا ما عبَّ منـهُ ناهلٌ فكأنه من ريق حِبٍّ يَنْهَلُ[2]
مُتَسَلسلٌ وكأنهُ لصَفائه دمعٌ بخَدَّى كاعبٍ يتسلسلُ
وإذا الرِّياح جَرَيْن فوق متونه فكأنه دِرْعٌ جلاها صيقلُ[3]
وكأنَّ دجلةَ إذ تغطغط مَوْجها ملك يُعظِّم خيفةً ويبجل
وكأنه ياقوتة أو أعين زرق يلاءم بينها ويوصل[4]

---

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر فان هذه الترجمة نقلت بحذافيرها عنها ، وإن لم تكن مساقتها على ترتيبها هناك

(٢) فى اليتيمة «إذا ماعب فيه»

(٣) فى الأصل «فكأنها درع» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة ، والضمير يعود إلى النهر وهو مذكر ، وفى اليتيمة «علاها صيقل» وأراها محرفة عما هنا

(٤) فى اليتيمة «وكأنها ياقوتة» ولكل منهما وجه ، فان الضمير هنا يجوز أن يعود إلى النهر ، وإلى دجلة ولفظها مؤنث

عذبت فما ندرى أماء ماؤها   عند المذاقة أم رَحيقٌ سَلْسَل

ولها بمدٍّ بعد جَزْرٍ ذاهبٍ   جيشان يُدْبر ذا وهذا يُقْبِل

وإذا نظرت إلى الأُبُلَّةِ خلتها   من جنة الفردوس حين تَخَيَّلُ

كم منزل فى نهرها آلى السرو   ر بأنه فى غيره لا ينزل

وكأنما تلك القصور عرائس   والروض حَلْى فهى فيه تَرْفُل

غنَّتْ قِيان الوُرْق فى أرجائها   هَزَجاً يقلّ له الثقيلُ الأولُ

وتعانقت تلك الغصون فأذكرت   يومَ الوداع وعِيرُهُمْ تترحّلُ

ربع الربيع بها فحاكت كفه   حللا بها عَقْدُ الهموم تحلل

فمدبَّج وموشَّح ومدنَّر   ومعمد ومحبر ومهلهل

فتخال ذا عَيْناً وذا ثغراً وذا   خَدًّا يعضض مرة ويقبل

ومن شعره أيضاً قوله [من السريع] :

كأنما المرِّيخُ والمشتري   أمامَهُ فى شامخ الرِّفعه (١)

مُنْصَرِف بالليل عن دعوة   قد أوقدَتْ قُدامَه شمعه (٢)

ومثله قول أبى عتيق السفار [من الرمل] :

وكأنّ البدرَ والمرّيـــخ إذْ وافى إليهِ

ملكٌ توقدُ ليلاً شمعةٌ بين يديه

رجع إلى شعر القاضى التنوخى رحمه الله ، قال [من الطويل] :

---

(١) فى اليتيمة « قدامه » فى مكان «أمامه » وكذا فى كتب البيان ، وفى التلخيص فيما يأتى

(٢) فى اليتيمة «قد أسرجوا» فى مكان «قد أوقدت»

وليلة مشتاق كأنّ نجومها ... قد اغتصبت عيني الكرى فهي نُوّمُ(١)

كأنّ سوادَ الليلِ والفجرُ ضاحكٌ ... يلوحُ ويخفى أسودٌ يتبسمُ

وله أيضاً في غور الكواكب عند الصباح [من البسيط] :

عَهْدِي بها وضياء الصبح يُطْفئها ... كالسُّرْج تُطْفأُ أو كالأعينِ العورِ

أعجبْ بها حينَ وافى وهيَ نيرةٌ ... فظلَّ يطمسُ منها النّورُ بالنورِ

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحابٌ أتى كالأمن بعد تخوفٍ ... لهُ في الثرى فعلُ الشفاء بمُدْنَفِ

أكبَّ على الآفاق إطراقَ مطرقٍ ... يفكرُ أو كالنادمِ المتلهفِ (٢)

ومدَّ جناحيه على الأرض جانحاً ... فراحَ عليها كالغراب المرفْرفِ

غدَا البرُّ بحراً زاخراً وانثنى الضحى ... بظلمته في ثوب ليلٍ مُسَجَّفِ

يعبسُ عنْ برْقٍ به مُتبسمٍ ... عبُوسَ بخيلٍ في تبسم مُعتفِي

تحاولُ منهُ الشمسُ في الجوّ مخرَجاً ... كما حاولَ المغلوبُ تجريدَ مرْهَفِ

* * *

أين هذا من قول ابن المعتز رحمه الله [من الوافر] :

تحاولُ فتْقَ غيمٍ وهوَ يأبى ... كعنينٍ يريدُ نكاحَ بكرِ

* * *

فأفرَغَ ماء قالَ واردُ حوضه ... أسلسال ماء أمْ سُلافةُ قرْقفِ(٣)

---

(١) في اليتيمة «وهي قوم» وبين البيتين في اليتيمة بيت آخر ، وهو
كأن عيون الساهرين بطولها ... إذا شخصت لأنجم الزهر أنجم
(٢) في الأصل « أو كالنائم المتلهف » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة
(٣) في اليتيمة « فأترع ماء »

أَبى رحمةً للناس غيرى ، فإنه ... علىَّ عذاب ماله من تكَشُّفِ
سحاب عذابى عن سحاب ، وعارضٌ ... مُنعتُ بِهِ من عارض متكفكفِ

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات [من الخفيف] :

لستُ أدرى ما ذا أذمّ وأشكو ... مِنْ سماء تعوقنى عن سماء

ومن شعر القاضى التنوخى أيضاً (١) [من البسيط] :

أما ترى البردَ قد وافتْ عساكِرُه ... وعسكر الحرّ كيف انصاع منطلقا
فالأرض تحت ضريب الثلج تحسبها ... قد أُلبستْ حُبُكاً أو غُشِيت ورقا
فانهض بنار إلى فحم كأنهما ... فى العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا ... برداً فصرنا كقلب الصب إذ عشقا

ومنه أيضاً (٢) [من الطويل] :

رضاكَ شبابٌ لا يليه مشيبُ ... وسخطكَ داء ليس منه طبيبُ
كأنك من كل النفوس مُرَكَّبٌ ... فأنت إلى كل النفوس حبيبُ

وله فى معذَّر [من السريع] :

قلتُ لأصحابى وقد مرّ بى ... منتقبا بعد الضياء بالظُّلَم
بالله يا أهلَ ودادى قفُوا ... كى تبصروا كيف زوالُ النِّعَم

ومحاسنه رحمه الله كثيرة ، وهذا الأنموذج كافٍ فيها . وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة

---

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذه الأبيات الأربعة فى أسرار البلاغة (٢٠٠ طبعة ثالثة) .

(٢) قال الثعالبى قبل إنشاد هذين البيتين : « ومما أنشدت له ولم أجده فى ديوانه »

شاهد المركب الحسى

٧٦ — وقَدْ لاحَ فى الصبح الثُّرَيَّا لمن رأى   كعنقود مُلَّاحية حين نَوَّرَا(١)

البيت لأبى القيس(٢) بن الأسلت ، من الطويل .

والملاحى — بضم الميم وتخفيف اللام ، وقد تشدد — عنب أبيض فى حَبِّهِ طول . ومعنى نوّرَ : تفتح نَوْره . والثريا : مصغرة ، قيل: تصغير تعظيم ، وقيل : تصغير تقريب إعلاماً بأن نجومها قريب بعضها من بعض ، ومكبرها ثَرْوَى ، وهى الكثرة . وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها ، وقيل: لكثرة نجومها مع صغر مرآها ، فكأنها كثيرة العدد بالاضافة إلى ضيق المحل . وعدد نجومها سبعة أنجم : ستة ظاهرة ، وواحد خفى تختبر به الناس أبصارهم ، وذكر القاضى عِيَاضٌ رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يراها أحدَ عشرَ نجماً .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طَرَفاهُ مفرَدَان ، الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارُن الصور البيض الصغار المقادير فى المرأى وإن كانت كباراً فى الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار المخصوص ، والمراد بالكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماعَ التضامّ والتلاصق ، ولا هى شديدة الافتراق ، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما تجدُهُ فى رَأى العين بين تلك الأنجم . والطرَفان المفرَدَان هما : الثريا ، والعنقود .

أبيات فى وصف الثريا

ومما جاء فى وصف الثريا أيضاً قولُ امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما الثريّا فى السماء تَعرَّضتْ   تعرُّضَ أثناء الوِشاحِ المفَصَّلِ

---

(١) المحفوظ فى هذا البيت * وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى *

(٢) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٥) ونسبه إلى قيس بن الخطيم ، ولبس بشىء

وقد أبدعَ المتأخرون فى وصفها : فمن ذلك قول ابن المعتز[(١)] [من المنسرح] :

قَدِ انقضَتْ دولةُ الصيامِ وقَدْ   بَشَّرَ سُقْمُ الهلالِ بالعيدِ
يَتلُو الثريّا كفاغِرٍ شَرِهٍ   يفتحُ فاهُ لأكلِ عُنقُودِ

ومثله قوله أيضاً [من الخفيف] :

زَارَنى والدُّجى أحمُّ الحوَاشى   والثريا فى الغرْبِ كالعُنقُودِ
وهلاَلُ السماء طوقُ عَرُوسٍ   باتَ يُجْلَى على غلاَئلَ سُودِ

وقول ابن بابك [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ جوْزَاؤها   مثلُ الخِباء المنهَتِكْ
قطعتُها والبدرُ عنْ   سَمْتِ الثريا منفرِكْ
كأنها فى عرْضِهِ   بازٍ على كفّ مَلِكْ

وقول سهل بن المرزبان [من الكامل] :

كمْ ليلة أحييتها ومؤَانسى   طُرَفُ الحديث وطيبُ حثِّ الأكؤُسِ[(٢)]
شَبَّهتُ بَدْرَ سمائها لما دَنتْ   منهُ الثريا فى قميصٍ سندُسى
مَلِكاً مَهيباً قاعداً فى روضةٍ   حيَّاهُ بعضُ الزائرينَ بنَرْجسِ

ومثله قول ابن المعتز أيضاً [من الطويل] :

أتانىَ والإصباحُ يَرْفُلُ فى الدُّجى   بِصفرَاء لم تفسدْ بطبْخٍ وإحراقِ

---

(١) أنشدها الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٦ الطبعة الثالثة)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة مانصه « قوله حث الأكوس هكذا فى النسخ ، ومعناه شربها ، ولم أجده بهذا المعنى فى القاموس ، فلعله محرف عن حسو ، فتدبر » اهـ

فناوَلَنيها والثريا كأنها جَنى نرجسٍ حيّا الندامى به الساقي

ومثله قول الناشىء الأصغر [من الطويل] :

وليلٍ تَوارى النجمُ من طُولِ مُكثه كما ازْوَرّ محبوبٌ لخوف رقيبه

كأنّ الثريا فيه باقةُ نرجسٍ يُحيّي بها ذُو صبوةٍ لحبيبه

وقول أبي الفرج الببغاء من أبيات [من المنسرح] :

ترَى الثريا والبدر في قَرَنٍ كما يُحَيّا بنرجسٍ مَلِكُ

وقول الوزير أبي العباس الضبي [من مجزوء الرجز] :

خلتُ الثريا إذ بَدَتْ طالعةً في الحِندِسِ

مرسلةً من لؤلؤٍ أو باقةً من نرجسٍ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريا اعترضتْ عندَ طلوعِ الفجرِ

حسبتَها لامعةً شبيكةً من دُرِّ

ونفيسٌ قولُ ابن حمديس أيضاً من قصيدة [من الرمل] :

فاسقِني عن إذن سُلطانِ الهوى ليس يَشفي الرُّوحَ إلا كاسُ راحْ

وانتَظِر للحلم مني كرّةً كم فسادٍ كانَ عقباهُ صلاحْ

فالقَضيبُ اهتزّ والبَدرُ بدا والكَثيبُ ارتَجّ والعنبرُ فاحْ

والثريا زجج الجو بها كابنِ ماء ضَمَّ للوَكْرِ جَناحْ

وكأنّ الغَرْبَ منها ناشِقٌ باقَةً من ياسمينٍ أو أقاحْ

وقول الصاحب بن عباد [من الطويل] :

تُنيرُ الثريا وهي قُرْطٌ مُسَلسلٌ وَيَعقلُ منها الطرْفَ دُرٌّ مُبدد

وما ألطف قول ابن حصن [من المقتضب] :

عَلَيَّ أن أتَذَلَّلْ له وأنْ يتَدَلَّلْ
خَدّ كأن الثريا عَليهِ قُرْط مُسلسل

وقول أبي الفرج الببغاء [من البسيط] :

خُذُوا من العيشِ فالأعمارُ فانيةٌ والدهر منصَرِفٌ والعيشُ منقرِضُ
فى حامِلِ الكأس من بدرِ الدجَى خلف وفى المدَامَةِ من شمس الضُّحى عِوضُ
كأن نجم الثريا كفٌّ ذى كرم مَبسوطَة للعطايا ليسَ تنقبض

وقول ابن سكرة الهاشمى [من المنسرح] :

ترى الثريا والغربُ يجذبها والبدر يَسرى والفجرُ يَنفجرُ
كَفَّ عروسٍ لاحَتْ خواتمُها أو عِقْدَ دُرٍّ فى الجو يَنتثرُ

ومثله قول أبى القاسم على بن جلبات [من الطويل] :

وَخِلتُ الثريا كفَّ عذراء طفلةٍ مختَّمةٍ بالدر منها الأناملُ
تخيلتُها فى الأفقِ طُرَّةَ جبهة مُكوكَبَة لم تعتَلقها حَبَائِلُ

وقول أبى القاسم بن هانىء الأندلسى [من الطويل] :

وولتْ نجومٌ للثريا كأنها خواتم تبدو فى بنانِ يد تخفى

ومما أحسن قول محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

مَلأتَ الليالى من علاً وختَمتَهَا فقد أصبَحَتْ محشوَّةً من مَكارمكْ
خَتَمت عليها بالثريا فَقُلْ لنا أهذا الذى فى كفِّها من خواتِمِكْ

وقد أحسن الصنوبرى فى تشبيه الثريا فى جميع أحوالها حيث يقول من أبيات [من المنسرح] :

قُم فاسقنى والظلام منْهَزِمُ والصُّبح بادٍ كأنه عَلَمُ
والطَيرُ قد طرَّبَتْ فأفصحت الألحان طُرّاً وكلها عجم

ومَيَّلت رأسها الثريا لاسـرارٍ إلى الغَرْبِ وهي تحْتَشِمُ
في الشرق كأس وفي مغاربها قُرط وفى أوْسَطِ السما قدَم

وقد وصفها الوأواء الدمشقي في حالتى الشروق والغروب فقط فقال [من مجزوء الرمل] :

قد تأمَّلْتُ الثريا في شروقٍ وغُروبِ
فهى كأس فى شروق وهي قرط في غروب

وما أبدع قول بعضهم أيضاً [من مجزوء الكامل] :

وكأنما نجم الثريـا إذ تَعَرَّضَ كالوِشاحْ
كأس بكفِّ خَرِيدَةٍ تَسقى المَسَا بِيَدِ الصباح

وقول الوأواء الدمشقي [من مجزوء الكامل] :

وجَلا الثريا في مُلا ءةِ نُورِهِ بدرُ التمامْ
فكأنها كأسٌ ليَشْـربها الدجى والبدرُ جامْ
وكأن زُرْقَ نجومها حَدَقٌ مُفَتَّحة نيـامْ

وبديع قول عبد الوهاب الأزدى المشهور بالمثقال [من مخلع البسيط]

ياساقيَ الكأس اسق صحبى وأسقنى إننى أُوَاسِى
وانظر إلى حيرةِ الثريا والليلُ قد سُدَّ باندماسِ
ما بين بَهْرامها المُلاحى وبين مرِّيخها المواسِى
كأنها رَاحَةٌ أشارَتْ لأخذِ تفُاحةٍ وكاس

وقوله أيضاً [من مخلع البسيط]

رأيت بهرام والثريا والمُشْترى فى القِران كرَّهْ
كراحةٍ حَيَّرَتْ يداها ما بين ياقوتة ودُرَّه

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله [من الخفيف]:

والثريا قُبالَةَ البدر تحكى ... باسطاً كفَّه ليأخذَ جاما

وللوأواء الدمشقى [من الخفيف]:

رُبَّ ليلٍ مازلتُ ألثم فيه ... قمراً لابساً غُلالَةَ وردِ

والثريا كأنها كفُّ خَوْدٍ ... داخلتهاللبينِ رِعْدَةُ وَجدِ

ومثله قول بعضهم [من الطويل]:

كأن الثريا بين شَرْقٍ ومغرب ... وقدسَلَّمَتْ للصبحِ طَوعاً عِنانها

مُرَوَّعة بالبينِ نحوَ أليفهـا ... تُقَلِّب من خوف الفراق بنانها

وقول الآخر [من الكامل]:

والليلُ قد ولىَّ يقَلِّصُ بُردَهُ ... كَدًّا ويَسحب ذيله فى المغرب

وكأنما نجم الثريا سُحْرَةً ... كفٌّ تمسحُ عن مَعَاطِفِ أشهب

ولابراهيم بن العباس الصولى فى اقتران الثريا والهلال [من البسيط]:

وليلةٍ من ليالى الأنسِ بتُّ بها ... والرَّوضُ ما بينَ منظوم ومنضودِ

والنسرُ قد حام فى الظلماءِ من ظمإٍ ... وللمَجَرَّةِ نهرٌ غيرُ مَوْرودِ

وابن الغزَالَةِ فوق النجم منعطفٌ ... كما تأوَّدَ عُرجُونٌ بعنقود

ولأبى عاصم البصرى فى اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب]:

رأيتُ الهلال وقد أحدقته ... نجوم السماء لكى تَسْبقَهْ

فشبَّهته وهو فى إثرها ... وبينهما الزهرة المشرقة

بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً ... فأتبعَ فى إثرهِ بُندُقَهْ

ولأبى الحسن الكرخى فى مثله [من الطويل]:

كأنّ الهلالَ المستنيرَ وقد بدَا ونجم الثريا واقفٌ فوقَ هالتهْ
مليكٌ على أعلاهُ تاجٌ مرصّعٌ ويُزْهى على من دونهُ بجلالتهْ

وما أحسن قول ابن طباطبا العلوى [من الطويل] :

أمَا والثريا والهلال جلتْهُما لِيَ الشمسُ إذْ ودّعت كَرْهاً نهارَها
كأسماء إذ زارتْ عشيًا وغادَرَتْ دَلالاً لدينا قُرْطها وسِوَارَها

وقول أبى على الحاتمى [من الطويل] :

وليلٍ أقمنا فيه نُعمِلُ كأسنا إلى أن بَدَا للصبح فى الليل عسكرُ
ونجمُ الثريا فى السماء كأنهُ على حُلةٍ زرقاء جَيْبٌ مُدَنَّرُ

ومن بديع أوصاف الثريا قول البديع القليوبى الكاتب [من الطويل] :

وصافية باتَ الغلامُ يديرُها على الشرْبِ فى جنحٍ من الليل أدعجِ
كأنّ حبابَ الماء فى وَجَناتها فرائدُ دُرٍّ فى عقيق مُدَحرجِ
ولاَ ضوء إلاّ من هلالٍ كأنما تفرّقَ عنه الغيمُ عن نصف دُملجِ
وقدْ حالَ دونَ المشترى من شعاعهِ ووميضٌ كمثْلِ الزئبقِ المُتَرجرجِ
كأنّ الثريا فى أواخرِ ليلِها نجيةُ وَرْدٍ فوقَ زَهرِ بنفسَجِ

وما أحسن قول ابن فضال [من السريع] :

كأنّ بهرَامَ وقد عارضَتْ فيـه الثريا نظرَ المبصرِ
ياقوتةٌ يعرضها بائعٌ فى كفه والمشترى المشترِى

وبديع قول الشهاب محمود فى تشبيه الثريا والهلال والدارة [من الطويل] :

كأنّ الثريا والهلالَ ودارةً حوَتهُ وقد زانَ الثريا التئامُهَا
حَبابٌ طَفَا من فوقِ زورقِ فضةٍ بكَفٍّ فتاة طاف بالرّاح جَامُهَا

وقد أغرب ابن عون بقوله [من مجزوء الرمل] :

رُبَّ ليلٍ لم أنمهُ ونجوم الليل تَشْهَدْ
والثريا فى مداها حين تنحط وتصعَدْ
عقربٌ يسعى من الد رّ على صحن زبرجد
خلفها طالبُ نار وشهابٌ ليسَ يخمَدْ
فهى حيرى ما أراها من سبيل الغي ترشد

وبديع قول ظافر الحداد [من الطويل] :

كأن الثريا تَقْدُم الفجرَ والدجى يَضُمُّ حواشى سِجْنِهِ للمغاربِ
مُقَدَّم جيش الروم أوما بكفه لتبديدِ جيش من بنى الزنج هارب

وقوله أيضاً [من الطويل] :

كأن نجوم الليل لما تَنَحّلت تَوقُّدَ جمرٍ فى سَوادِ رَمادِ
حكى فوقَ ممتدِّ المجرّة شكلُها فواقعَ تَطفو فوق لجةِ وادِ
وقد سَبَحَتْ فيه الثريا كأنها بَقيةُ وشْى فى قميص حِدادِ
ولاحَتْ بتونَمْش كتنقيط كاتبٍ بيُسْراه للتعليم هيئَةَ صادِ
إلى أن بدا وجهُ الصباح كأنهُ رداء عَروسٍ فيه صِبغُ مِدادِ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وليلةٍ مثلِ عين الظَبي داجيةٍ عَسَفْتها ونجوم الليل لم تَقِدِ
كأن أنجمَهَا فى الليل زاهرةً دراهمٌ والثريا كفُّ منتقِدِ

وظريف قول بعضهم فى شكاية طول الليل [من الطويل] :

كأن الثريا راحَة تَشبرُ الدجى لتعلم طال الليل أم لى تعرّضا
عجبت لليلٍ بين شرق ومغرب يُقاسُ بشبرٍ كيف يُرْجى لها انقضا

ولبعضهم [من الخفيف] :

والثريا كأنها رأسُ طِرْفٍ أدهم زين باللجام المحلي

ومثله قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا فاسقنيها والظلام مقوّض ونجم الدجى في لجة الليل يركضُ

كأن الثريا في أواخر ليلها مفتحُ نورٍ أو لجامٌ مفضض[١]

والاطلاع على تفنن الأدباء في أوصاف الثريا يفتقر الاطالة هنا .

ترجمة أبي قيس ابن الأسلت

وأبو قيس[٢] لم يقع لي إلى الآن اسمه ، والأسلت : لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن وائل ، ينتهي نسبه للأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس رضي الله عنه واستشهد يوم القادسية ، وكان يزيد بن مرداس السُّلَمي أخو عباس بن مرداس السُّلَمي الشاعر قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم ، فطلب بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد ابن مرداس فقتله بقيسٍ ابنِ عمه ، ولقيس يقول أبوه أبو قيسٍ بن الأسلت المذكور [من الوافر] :

أقيسٌ إن هلكتُ وأنت حيٌّ فلا تَعْدَم مواصلةَ الفقير

وقال هشام الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعاث[٣] إلى

---

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذا البيت في أسرار البلاغة (١٤٣)

(٢) تجد لأبي قيس بن الأسلت ترجمة في الأغاني (١٥ – ١٦٠) ومن العجيب أن أبا الفرج هو الذي يقول «لم يقع لي اسم أبي قيس» وأن المؤلف ينقل بعد تطاول القرون هذه العبارة ولا يكلف نفسه البحث عن اسمه ، واسم أبي قيس – في أرجح الأقوال – صيفي وقد كتب بهامش نسخة الأغاني ما نصه « وبهامش نسخة هكذا : اسمه صيفي ، وهو أشهر من أن لا يقع لأحد » اهـ

(٣) بعاث – بزنة غراب – بالعين المهملة ، وبالغين المعجمة – موضع قرب المدينة وقع فيه يوم مشهور بين الأوس والخزرج

أبي قيس بن الأسلت الوائلي ، فقام بحربهم ، وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته وهي كبشة بنت ضمرة بن مالك من بني عمرو بن عوف ، ففتحت له ، فأهوى بيده إليها ، فأنكرته ودفعته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ماعرفتك حتى تكلمت فقال في ذلك أبو قيس [1] [من السريع] :

قالتْ ولم تقصِدْ مقال الخَنَا ... مَهلاً فقد أبلَغْتَ أسماعي [2]

استَنكرتْ لوناً له شاحباً ... والحرب غولٌ ذاتُ أوجاع [3]

مَنْ يَذُقِ الحرب يجد طعمها ... مُرًّا وتتركْهُ بجَعْجَاعِ [4]

لا نألم القتل ونجزي به الـ ... أعداء كيلَ الصَّاع بالصَّاع [5]

ولما قتل عبدُ الملك بن مروان مصعبَ بن الزبير رضي الله عنهما خطب الناس بالنخيلة فقال في خطبته : أيها الناس، دعوا الأهواء المضلة والآراء المشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ، فقد جاريتمونا إلى السيف برأيتم كيف صنع بكم ، ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة ، فاني لا أزداد بعدها إلا عقوبة ، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت [6] :

---

(١) الأبيات من أول قصيدة له في المفضليات ، وفي الأغاني

(٢) في المفضليات «ولم تقصد لقيل الخنا» وكذلك هو في الأغاني

(٣) في المفضليات « أنكرته حين توسمته » وفي الأغاني مثل ما هنا

(٤) في المفضليات « وتحبسه بجعجاع » والجعجاع : المحبس في المكان الضيق الغليظ ، وفي الأغاني مثل ما هنا

(٥) بين هذا البيت والذي قبله في المفضليات سبعة أبيات لم يروها المؤلف وروى أبو الفرج هذا البيت متصلا بالذي قبله في صوت

(٦) القصة والأبيات في الأغاني (١٥ ـ ١٦٧)

مَنْ يَصْلَ نارى بلاذَنبٍ وتِرَلاةٍ يصلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدّارِ (١)

أنا النذيرُ لكمْ منى مُجاهرةً كيلاَ ألامَ على نَهْىٍ وإعذارِ

فإن عصيتم مقالى اليومَ فاعترِفُوا أنْ سوفَ تلقون خزياً ظاهرَ العارِ

لتُتْرَكُنّ أحاديثاً وملعبةً عندَ المقيمِ وعند المُدْلِجِ السارى

وصاحبُ الوترليسَ الدهرَ يدركهُ عندى وإنى لَطَلّابٌ لأوتارِ

أقيم عَوْجتهُ إن كان ذا عِوَجٍ كما يُقوّمُ قدحَ النَّبْعَةِ البارى (٢)

وعن الهيثم بن عدىّ ، قال : كنا جلوسا عند صالح بن حسان ، فقال لنا : أنشدونى بيتاً خفراً فى امرأة خفرة ، فقلنا قول حاتم [من الطويل] :

يُضىءُ بها البيتُ الظليلُ خَصاصهُ إذا هى يوماً حاولَتْ أن تَبَسَّما (٣)

فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ، فقلنا : قول الأعشى [من البسيط] :

كأنّ مشيتها من بيت جارتها مرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولا عجَلُ

فقال : هذه خرّاجة ولاّجة كثيرة الاختلاف ، فقلنا : ما عندنا شىء ، فقال : قول أبى القيس بن الأسلت [من الطويل] :

ويُكرمُها جاراتُهَا فيزُرْنَها وتعتلّ عن إتيانهنّ فتُعْذَرُ

وليسَ لها أن تستهينَ بجارةٍ ولكنها منهنّ تَحْيا وتخفرُ

---

(١) فى الأصل «غير عوار» محرفا وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأصل « أقيم نخوته » وفيه « كما يقيم لقدح النبعة » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٣) فى الأغانى « يضىء لها »

ثم قال : أنشدونى أحسن بيت وصفت به الثريا ، فقلنا : بيت الزبير الأسدى وهو [من الطويل] :

وقد لاحَ فى الغور الثريا كأنما ... به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال: أريد أحسن من هذا ، فقلنا : بيت امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما الثريا فى السماء تعرَّضتْ ... تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفصَّلِ

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت ابن الطثرية(١) [من الطويل] :

إذا ما الثريا فى السماء كأنها ... جُمانٌ وَهَى من سلكه فتسرعا

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا شىء ، قال : قول أبى قيس ابن الأسلت [من الطويل] :

وقد لاحَ فى الصبح الثريا لمن رَأى ... كعنقودِ مُلَّاحيةٍ حين نوّرَا

قال : فحكم له بالتقدم عليهم فى هذين المعنيين ، والله أعلم .

* * *

شاهد المركب الحسى

٧٧ — كأنّ مُثارَ النَّقعِ فوقَ رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

البيت لبشار بن برد ، من قصيدة من (٢) الطويل يمدح بها ابنَ هُبَيرة ، وأولها :

جَفَا ودّه فازْورَّ أو مَلَّ صاحبهْ ... وأزرى به أن لا يزال يعاتبهُ

خليلىَّ لا تستكثرا لوعة الهوَى ... ولا سلوةَ المحزون شَطَّتْ حبائبهْ

(١) فى الأصل « ابن الطبرية » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) انظر أبياتا منها فى حماسة ابن الشجرى (٥٧ و ١٤٣ و ٢٣٤) وأبياتا منها فى المختار من شعر بشار (١ و ٧٤) وأبياتا منها فى حماسة البحترى (٧٢)

يقول فيها :

إذا كنتَ فى كلِ الأمور معاتباً صديقكَ لم تلقَ الذى لا تعاتبه
فعش واحداً أوصِلْ أخاكَ فإنهُ مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئتَ وأىُّ الناس تصفو مشاربه
رُوَيدا نصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبُه

ومنها :

وَسامٍ لمروان ومن دونه الشّجا وهولٌ كلُجِّ البحر جاشت غواربه
أحلت به أمُّ المنايا بناتها بأسيافنا إنا رَدَى مَن نحاربه
وكنا إذا دبّ العدوُّ لسخطنا وراقبنا فى ظاهرٍ لا نراقبه
رَكبنا له جهراً بكلِّ مثقّفٍ وأبيضَ تستسقى الدماء مضاربُه
وجيشٍ كجنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطىِّ حمراً ثعالبُه

ومنها :

غدونا له والشمسُ فى خدْر أمها نطالعها والطلّ لم يجر ذائبُه
بضربٍ يذوقُ الموتَ من ذاق طعمه وتدركُ من نجّىّ الفرارُ مثالبه

و بعده البيت ، و بعده :

بعثنا لهم موت الفُجاءة إننا بنو الموت خفّاقٌ علينا سبائبه
فراحوا فريقٌ فى الأسارى ومثلهُ قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُه
إذا الملكُ الجبارُ صعّرَ خدّهُ مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

وهى طويلة ، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم ، وكانت أول عطية سَنيةَّ أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره .

والنقع : الغبار ، ومعنى « تهاوى كواكبه » يتساقط بعضها فى إثر بعض والأصل « تتهاوى » فحذفت إحدى التاءين .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هُوِىّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم ، فوجه الشبه مركب كما ترى ، وكذا طرفاه ، كما فى أسرار البلاغة .

يروى أنه قيل لبشار ، وقد أنشد هذا البيت : ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ، ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً منها ؟ فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته ، وأنشدهم قوله [من الطويل] :

عميت جُنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم مَوْئلا

وغاضَ ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيعَ الناسُ حَصَّلا

وشعرٍ كنَوْرالروض لاءمْتُ بينهُ بقول إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

وحدث أبو يعقوب الخريمى الشاعر أن بشاراً ، قال : لم أزل منذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد ، حيث يقول [من الطويل] :

كأنّ قلوب الطيرِ رَطْبًا ويابسا لدى وكرها العُنَّابُ والحشفُ البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين ، حتى قلت :

* كأنّ مُثار النقع — البيت *

وقد كره بشار ، فقال [من الطويل] :

خلقت سماء فوقنا بنجومها سيوفا ونقعا يقبض الطرف أقْتَمَا

أبيات في وصف إثارة النقع

وقد أخذ هذا المعنى منصور النمرى [١] فقال وأحسن [من البسيط] :

ليلٌ من النَّقْع لا شمسٌ ولا قمرٌ إلا جَبينُكَ والمذْرُوبةُ الشُّرَعُ

ومسلم بن الوليد أيضاً حيث يقول [من البسيط] :

فى عَسْكرٍ تُشْرِقُ الأرض الفضاء به كالليل أنجُمُهُ القضبانُ والأسَلُ

ولمؤلفه رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية [من البسيط] :

والنقع ليلٌ سماءٌ لا نجومَ له إلا الأسِنَّةُ والهِنْدِيَةُ البُتُرُ

وله فى معناه من قصيدة مظفرية أيضا مع زيادة مخترعة فيما يظن [من الخفيف]:

يَعقِدُ النقعُ فوقَها سحباً كالليـ ـل فيهِ السيوفُ أضحَتْ نجومَا

فمتى ما رأت سواد شَيَاطيـ ـن بُغاةِ الحروب عادت رجومَا

وابن المعتز حيث قال [من الطويل] :

إذا شئتُ أوقَرْتُ البلادَ حَوافِراً وسارت ورائى هاشِمٌ ونزارُ

وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه دُخانٌ وأطرافُ الرِّماح شَرَارُ

وبعضهم أيضاً حيث قال [من الكامل] :

نَسجَتْ حوافرُهَا سماء فوقها جعلَتْ أسِنَّتَها نجومَ سمائها

وأبو الطيب المتنبى حيث قال [من الكامل] :

فكأنما كُسِىَ النهار بها دجى ليلٍ وأطلَعَت الرماحَ كواكبا

وقد نقله إلى مثال آخر فقال [من الطويل] :

تزور الأعادى فى سماءِ عجاجةٍ أسنَّتُها فى جانبيها الكواكبُ

---

(١) فى الأصل «النميرى»

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال [من الطويل] :

كأن دُخان العود والنَّد بيننا وأقداحنا ليلٌ تهاوى كواكبه

ولاحَتْ لنا شمسُ العُقارِ فمزّقت دُجى الليل حتى نَظَّمَ الجزعَ ثاقبه

والبرهان القيراطى ضمن المصراع الأخير، وإن كان من غير هذه القصيدة بقوله وأجاد [من الطويل] :

ولما بدَا والليلُ أسوَدُ فاحمٌ قد انْتَشَرت فى الخافقَين ذَوائبه

أضاء ببدْر الثغر عندَ ابتسامهِ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

* * *

شاهد المركب الحسى فى الهيآت

٧٨ — * والشَّمْسُ كالمرْآةِ فى كَفِّ الأشَلّ *

هو من الرجز ، واختلف فى قائله ، فقيل : الشماخ ، وقيل : ابن أخيه [٣] وقيل : أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز .

والأشل : هو الذى يبست يده أوذهبت.

والشاهد فيه : مجيء المركب الحسى فى الهيآت التى تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرها ، ويعتبر فيها التركيب ، ويكون ما يجيء فى تلك الهيآت على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل

---

(٢) ضمن هذا البيت من قول أبى الطمحان القينى :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم دجي الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(٣) فى ديوان الشماخ بن ضرار (١٠٩) أرجوزة منسوبة إلى جبار بن جزء بن ضرار بن أخي الشماخ ، وأولها قوله :

قالت سليمى لست بالحادى المدل مالك لا تملك أعضاد الابل

وفيها هذا الشاهد. وليس فى هذا الديوان مما ينسب إلى الشماخ نفسه هذا الشاهد ، بل ولا كلمة على رويه

واللون ، والثانى : أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فالأول كما فى البيت ، ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط إلى الانقباض ، فالشمس إذا أحدَّ الانسانُ النظرَ إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية إلى هذه الهيئة ، وكذلك المرآة إذا كانت فى كف الأشل .

أبيات فى وصف حركة الشمس والنجوم

وما أعدل قول المعوج الشاعر فى معناه [من الطويل] :

كأن شُعَاعَ الشمسِ فى كل غُدْوَةٍ على ورَقِ الأشجارِ أول طالع
دنانيرُ فى كف الأشلِّ يَضُمُها لقَبْضٍ فتَهْوِى من فُروج الأصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبي [من الوافر] :

وألقى الشرق منها فى ثيابى دنانيراً تَفِرُّ من البَنَان

وأخذه أيضاً القاضى عبد الرحيم الفاضل فقال [من الكامل] :

والشمسُ من بين الأرائكِ قد حكَتْ سيفاً صقيلاً فى يَدٍ رعشاءِ

وما أبدع قول الشهاب التلعفرى [من البسيط] :

أفْدِى الذى زارَنى فى الليل مُستتراً أحلى من الأمْنِ عندَ الخائفِ الدهِشِ
ولاحَتِ الشمس تحكى عند مَطْلعها مرآةَ تبرٍ بَدَتْ فى كف مرتَعِشِ

وبديع قول إدريس بن اليمانى العبدى [من المديد] :

قُبلةٌ كانَتْ على دهَشٍ أذهَبَتْ ما بى من العَطَشِ
ولهــا فى القَلْبِ مَنْزِلةٌ لو عَدَتْها النفسُ لم تَعِشِ
طَرَقَتنى والدجى لابسٌ خِلَعاً من جِلدَةِ الحَبَشِ
وكأنَّ النجمَ حين بدا درْهمٌ فى كف مُرْتَعِشِ

وقول النامى [من الطويل] :

سماء غصونٍ تحجُبُ الشمسَ أن تُرَى ... على الأرضِ إلا مثلَ نثرِ الدراهمِ

* * *

شاهد تجرد الحركة عن غيرها

٧٩ — وكأنَّ البرق مصحفُ قارٍ ... فانْطِبَاقًا مرةً وانفتاحا

البيت لابن المعتز ، من قصيدة [١] من المديد [٢] ، وأولها :

عَرَفَ الدار فحيَّا وناحا ... بعدما كان صحَا واستراحَا

ظَلَّ يَلحاهُ العَذُولُ ويأبى ... فى عِنَان العَذْلِ إلا جِمَاحا

عَلِّمونى كيف أسْلُو وإلا ... فخذوا من مُقْلَتىَّ المـلاحَا [٣]

من رأى بَرْقًا يُضيء التماحا ... ثَقَبَ الليلَ سَنَاهُ فَلاَحَا

و بعده البيت ، و بعده [٤] :

لم يزل يلمعُ بالليل حتى ... خِلْتُه نَبَّه فيه صَبَاحَا

وكأن الرَّعْدَ فحلُ لِقَاحٍ ... كلما يُعْجِبُهُ البرق صاحَا

---

(١) اقرأ هذه القصيدة فى مفتتح حرف الحاء المهملة من الباب الثالث من ديوان ابن المعتز (١٣٢ بيروت) والبيت فى أسرار البلاغة ١٣١ و١٣٦

(٢) فى الأصل « من الرمل » خطأ ، والقصيدة من بحر المديد ، وأجزاؤه « فاعلاتن فاعلن فاعلاتن »

(٣) فى الديوان «فخذوا عن مقلتى»

(٤) فى الديوان زيادة بيت بين البيت المستشهد به والذى ذكر المؤلف أنه بعده ، وهو قوله :

فى ركام ضاق بالماء ذرعا ... حينما مالت به الريح ساحا

والبرق : واحد بروق السحاب ، أو هو ضَرْبُ ملكِ السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران .

والشاهد فيه : الوجه الثانى ، وهو تجرد الحركة عن غيرها من الأوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين و بعضه إلى الشمال و بعضه إلى العلو و بعضه إلى السفل ؛ ليتحقق التركيب و إلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً ، فحركة المصحف الشريف فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك فى الحالتين إلى جهتين فى كل حالة إلى جهة .

أبيات فى وصف البرق والسحب

ومثله قول القلعى المغربى [من الكامل] :

والسحبُ تلعبُ بالبروق كأنها قارٍ على عجلٍ يقلبُ مصحفا
قد قلدت بالنَّوْر أجيادَ الرُّبا حَلْيـاً وألبست الخمائل مُطْرَفا

وما أحسن قول بعضهم فى وصف البرق [من الرمل] :

عارضٌ أقبلَ فى جنح الدُّجى يتهادى كتهادى ذى الوجَى
أتلفتْ ريحُ الصبا لؤلؤهُ فانبرَى يوقد عنها سُرُجَا
وكأنَّ الرعد حادِى مُصْعَبٍ كلما صالَ عليه وشجا
وكأنَّ البرقَ كأسٌ سكبتْ فى لهاه المزنُ حتى لهجا
وكأنَّ الجوَّ ميدان وغىً رَفعتْ فيه المذاكى رَهَجَا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضا [1] [من الرجز] :

رأيتُ فيها برقها منذُ بدتْ كمثل طرف العين أوقلبٍ وجبْ [2]

(١) اقرأها فى الديوان (١٦ بيروت)
(٢) فى الديوان «لما وثب» فى مكان «منذ بدت» وفيه «أو قلب يجب»

ثم حدا بها الصبا حتى بدا فيها لِيَ البرقُ كأمثال الشُّهُبْ (١)
تحسبه فيها إذا ما انصدعتْ أحشاؤها عنه شجاعا يضطربْ (٢)
وتارةً تحسبُهُ كأنه أبلقُ مالَ جُلُّهُ حين وثبْ (٣)
حتى إذا ما رَفعَ اليوم الضحى حسبته سلاسلاً من الذهب (٤)

وقد ولدَ أبو العباس بن أبي طالب العربي من تشبيه البرق بالسلاسل توليداً بديعاً ، فقال يصف ممدوحه بسرعة البديهة إذا كتب [من المتقارب] :

له قلم لو يجارى البروقَ لحلتَ السلاسل فيه قيودَا

وللأديب أبي حفص أحمد بن برد في السحاب والبرق [من المتقارب] :

ويوم تفنن في طيبهِ وجاءتْ مواقيته بالعجبْ
تجلَّى الصباح به عن حيًا قد اسقى وعن زَهَر قد شرب
ومازلت أحسب فيه السحاب ونار بوارقه تلتهبْ
بخاتيّ تُوضِع في سيرها وقد فُزِّعَتْ بسياط الذهب

ولأبي عثمان الخالديّ في مثله [من المنسرح] :

أدْنِ من الدَّنِّ لي فداكَ أبي واشربْ وأسق الكبير وانتخب
أما ترى الطَّلَّ وهو يلمع في عيون نَوْرٍ تدعو إلى الطربِ

---

(١) هذا البيت يروى في الديوان :
ثم حدت بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب
(٢) يروى هذا البيت في الديوان :
إذا تعرى البرق فيها خلته بطن شجاع في كثيب يضطرب
(٣) في الديوان «وتارة تبصره»
(٤) يروى هذا البيت في الديوان :
وتارة تخاله إذا بدا سلاسلا مصقولة من الذهب

والصبح قد جُرِّدَتْ صوارمُهُ والليـــل قد همّ منـه بالهرَبِ
والجوُّ فى حُلَّةٍ ممسّكةٍ قدْ كتبتها البروقُ بالذهب

وللسرىّ الرفاء فى مثله [من المتقارب] :

غيومٌ تمسِّك أفقَ السماء وبرقٌ يكتبُها بالذهبْ

وله أيضاً ، و ينسب للخالدىّ [من الوافر] :

و برقٍ مثلُ حاشيتى رداءٍ جديدٍ مُذْهَبٍ فى يوم ريحِ

وللخالدىّ فيه أيضا وأجاد [من الطويل] :

ألا فاسقنى والليل قدغابَ نوره لغيبة بدر فى الظلام غريق
وقد فَضَحَ الظلماء برقٌ كأنه فؤاد مَشُوقٍ مولعٌ بخفوق

وقد سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنك سرى يابشرطيفٌ كأنه فؤاد مشوق مولعٌ بخفوق

وسرقه السرىّ الرفاء أيضا ، فقال من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الصبح قد قامت عساكرُهُ فى الشرق تنشر أعلاماً من الذهب
والجوُّ يختال فى حُجُبٍ ممسكة كأنما البرق فيها قلبُ ذى رُعُبِ

وما أحسن قوله فيه أيضا [من الكامل] :

وحدائقٍ يَسبيكَ وشىُ برودها حتى تشبهها سَبائبَ عَبْقَرِ
يجرى النسيمُ خلالها فكأنما غُمِسَتْ فُضُولُ ردائه فى عنبرِ
باتتْ قلوب المَحْلِ تخفقُ بينها بخفوقِ رايات السحاب الممطرِ
من كل نائى الحجزتين مولعٍ بالبرق دانى الظلتين مُشَهَّرِ (١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذا البيت بهامش النسخة مانصه =

تُحْدَى بألسنة الرعود عِشارُهُ فتسير بين مُغَرِّدٍ ومُزَمْجِرِ
طارتْ عقيقةُ برقه فكأنما صَدَعَتْ مُمسكَ غيمه بعصفرِ

ولأبى القاسم الزاهى فيه أيضا [من البسيط] :

الريحُ تعصفُ والأغصانُ تعتنقُ وَالمزنُ باكيةٌ والزهرُ معتبقُ
كأنما الليلُ جفنٌ والبروقُ لهُ عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبقُ

ولبعضهم [من السريع] :

برقٌ أطارَ القلبَ لما استطارْ أنارَ جنحَ الليل لما استنارَ
ذابَ لجينُ المزنِ لما رمى معدنه منهُ بمقباسِ نارْ

ترجمة ابن المعتز

وابن المعتز (١) : هو عبد الله بن محمد — وقيل الزبير — المعتز بالله ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى ، الأمير الأديب ، صاحب النظم البديع والنثر الفائق . أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب ، ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي . ومولده فى شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وهو أول من صنف فى صنعة الشعر ، وضع كتاب البديع ، وهو أشعر بنى هاشم على الإطلاق ، وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات ، وكان يقول : إذا قلت « كأن » ولم آت بعدها بالتشبيه ففضَّ الله فاى (٢) .

= « قوله الظلتين ، فى بعض النسخ الطلتين ، وفى بعضها الطلبتين ، ولعله الكليتين ، ودنوهما كناية عن ضيق ما بين الحرقفتين وتضامه ، والبيت كناية عن كون السحاب المشبه بالإبل واسعا من جهة حسبما أشار له بقوله نائى الحجزتين متضاما من جهة أخرى كما أشار له بقوله دانى الكليتين ، فليتأمل وليراجع » اه

(١) تجد بعض أخباره فى الأغانى (٩ — ١٤٠)

(٢) هذا التعبير خطأ فى العربية ، والصواب أن يقال « ففض الله فىّ » بتشديد الياء ، لأن شرط إعراب الأسماء الخمسة بالألف نصبا أن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم

وحدث جعفر بن قدامة ، قال : كنت عند ابن المعتز يوماً ، وعنده سرية[(١)] ، وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان فى زمن الربيع وعليها غلالة معصفرة ، وفى يدها جنابى من با كورة باقلاء ، والجنابى : لعبة للصبيان ، فقالت له : ياسيدى ، تلعب معى جنابى ؟ فالتفت إلينا ، وقال على بديهته غير متفكر ولا متوقف [من البسيط] :

فديتُ من مرّ يمشى فى معصفرة ... عشيةً فسقانى ثم حيانى
وقال تلعبُ جنابى فقلت لهُ ... من جدَّ بالوصل لم يلعب بهجران

وأمر فغنى به .

وحدث جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه ، وكان يغنى غناء صالحاً ، وكان يدعى بنشوان ، فجُدِرَ ، فجزع عبد الله لذلك جزعا شديداً ثم عوفى ولم يؤثر الجُدَرِى فى وجهه أثراً قبيحاً ، فدخلت عليه ذات يوم فقال لى : يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان ، وقلت فيه بيتين ، وغنت زرياب فيهما رملا ظريفا فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناء ، فقلت : يتفضل الأمير ـ أيده الله ! ـ بانشادى إياهما ، فأنشدنى [من السريع] :

بى قمرٌ جدِّرَ لما استوى ... فَزَادهُ حُسناً وزالت هُمُومْ
أظنُّه غَنَّى لشمس الضُّحى ... فَنَقطتهُ طَرَباً بالنجومْ

فقلت : أحسنت والله أيها الأمير ، فقال : لو سمعته من زرياب كنت أشد استحساناً له ، وخرجت زرياب فغنته لنا فى طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا .

قال : وغضب هذا الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة ، ودخلتُ عليه فأنشدنى فيه [من مجزوء الخفيف] :

(١) سماها فى الأغانى باسمها فقال « وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها » وأظن أن اسمها « بشر » كما ورد فى شعره ، وانظر (ص٣٧ من هذا الجزء)

بأبى أنتَ قد تما دَيتَ فى الهجْر والغَضَبْ
واصْطبارى على صُدو دِكَ يوماً من العَجَبْ
ليسَ لى إن فَقَدْت وجـــــهَكَ فى العَيْش من أرَبْ
رحمَ الله من أعا نَ على الصُّلْح واحتَسَبْ

قال : فمضيت إلى الغلام ، ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به ، فمر لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرياب [١] فى هذا الشعر رملا عجيباً .

وحدث عبد الله بن موسى الكاتب ، قال: دخلت على عبد الله بن المعتز وفى داره طبقات من الصناع [٢] وهو يبنيها ويبيضها ، فقلت له : ما هذه الغرامة الجادة [٣] والكلفة ؟ فقال : السيل الذى جاء من ليالٍ أحدثَ فى دارى ما أحوج إلى هذه الغرامة الجادة [٣] والكلفة ، فقلت [٤] [من المتقارب] :

ألا من لنفسٍ وأحزْانها ودار تداعَى بحيطانها [٥]
أظلُّ نهـارىَ فى شمسهَا شقَيًّا معنًّى ببُنيانها
أسَوِّدِ وجهى بتَبييضها وأهدمُ كيسى بعُمرانها [٦]

(١) فى الأغانى «وغنتنا هزار» وهو فى بعض أصول مطبوعة بولاق
(٢) فى مطبوعة بولاق «طبقات من الصاع» وهو تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٣) فى الأغانى «ما هذه الغرامة الحادثة»
(٤) فى الأغانى «وقال» والأبيات لابن المعتز ، وهى فى ديوانه (٢٨٤)
(٥) فى الديوان «ودار تداعت»
(٦) فى الديوان «لتبييضها» وفيه «لعمرانها» وفى الديوان بيت بين هذا والذى قبله وهو قوله :

ولا أحد من ذوى قربتى يساعدنى عنـد إتيـانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله [من الطويل] :

أُكَلِّفُ نفسى كلَّ يوم وليلةٍ ... شروراً على من لا أفوز بخيرِه
كما سَوَّدَ القصَّارُ فى الشمس وجهَهُ ... لِيَجْهَدَ فى تَبْيِيض أثواب غيره

وحدث جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ، ومعنا النميرى ، فحضرت الصلاة ، فقام النميرى فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلة جدا حتى استثقله جميع من حضر بسببها ، وعبد الله ينظر متعجبا ، ثم قال [من المتقارب] :

صَلاتُكَ بين المـلا نَقْرَةٌ ... كما اخْتَلس الجرْعَة الوالغُ
وتسجُدُ من بعْدِها سجْدةً ... كما خُتِمَ المزودُ الفـارغ

وقال : كنا عند عبد الله بن المعتز يوما ، ومعنا النميرى ، وعنده جارية لبعض بنات المعتز تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت فى غاية القبح ، فجعل عبد الله يجمشها ويتعاشق ، فلما قامت قال له النميرى : أيها الأمير ، سألتـك بالله أتعشق هذه التى ما رأيت قط أقبح منها ؟ فقال وهو يضحك [من السريع] :

قَلبِيَ وثَّابٌ إلى ذا وذا ... ليسَ يرى شيئاً فَيـأباهُ
يهيمُ بالحُسـن كما ينبغى ... ويرْحَم القبـحَ فَيهواهُ

وقال : كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز فى يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله [من مجزوء الرمل] :

حَبَّذا آذارُ شَهـراً ... فيهِ للنور انتِشارُ
يَنقص الليلُ إذا حَـلْـ ... ـلَ ويمتَدُّ النهـارُ(١)

---

(١) فى الأغانى « ينقص الليل إذا جاء »

وعلى الأرض اصفرارٌ واخضرارٌ واحمرارُ
فكأنّ الرّوضَ وشْيٌ بالَغَتْ فيه التِّجارُ
نَقْشُه آسٌ ونَسْرِينٌ ووَرْدٌ وبهارُ

وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد [من الطويل] :

فَرِحْتُ بما أضعافُه دون قَدْرِكُمْ وقلتُ عَسَى قد هَبَّ من نومه الدهرُ
فترجعُ فينا دَولةٌ طاهِرِيَّةٌ كما بدَأَت والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى الله إنَّ الله ليسَ بغافِلٍ ولا بدَّ من يُسْرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها [من الطويل] :

ونحن لكم إن نالنا مَسُّ جَفْوَةٍ فمنَّا على لأوائها الصَّبْرُ والعُذْرُ
فإن رَجَعَت من نعمةِ الله دَولَةٌ إلينا فمنا عندَها الحمد والشكرُ

وجاء محمد بن عبيد الله المذكور بعقب هذا شاكراً لتهنئته ، ولم يعد إليه مدة طويلة ، فكتب إليه ابن المعتز يقول [من المنسرح] :

قد جئتنا مرة ولم تكد ولم تزُرْ بعدَها ولم تَعُدِ
لست تُرَى واجداً بنا عِوَضاً فاطلب وجَرِّبْ واستقص واجتهدِ
ناولَنِي حبلَ وصلِهِ بيَدٍ وهجْرُهُ جاذبٌ له بيَدِ
فلم يكن بينَ ذا وذا أمَدٌ إلا كما بين ليلةٍ وغَدِ

ولم يزل في طيب عيش ودَعَة من عوادي الزمان إلى أن قامت الدولة ووثبوا على المقتدر وخلعوه ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال : بشرط أن لا يقتل بسببي مسلم ، ولقبوه « المرتضى بالله » وقيل « المنصف » وقيل « الغالب » وقيل « الراضي » فحدث المعافى بن زكريا الجريري قال : لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز

دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله ، فقال : ما الخبر ؟ فقيل له : بويع ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ فقيل : محمد بن داود ، قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : الحسن بن المثنىّ ، فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم ، قيل : وكيف ؟ قال : كل واحد ممن سميتم متقدم فى معناه ، عَلىُّ الرتبة ، والدنيا مولية ، والزمان مدبر ، وما أرى هذا إلا لاضمحلال ، وما أرى لمدته طولا .

و بعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالتحول إلى دار محمد بن طاهر ، لكى ينتقل هو إلى دار الخلافة ، فأجاب ، ولم يكن يبقى معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم ، فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها ، فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار إلى الموصل ، ثم قال الذين عند المقتدر : ياقوم نُسلِّم هذا الأمر ، ولا نجرب أنفسنا فى دفع مانزل بنا ، فنزلوا فى الزوارق ، وألبسوا جماعة منهم السلاح ، وقصدوا المخرم و به عبد الله بن المعتز ، فلما رآهم مَنْ حوله أوقع الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا حرب ، وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن ، وقد شهر سيفه وهو ينادى : معاشر العامة ادعوا لخليفتكم ، وأشاروا إلى الجيش ليتبعوهم إلى سامرا ليثبتوا أمرهم ، فلم يتبعهم أحد ، فنزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهرى ، واختفى الوزير ابن داود والقاضى الحسن بن المثنى ، ونُهبت دورهم ، ووقع النهب والقتل فى بغداد ، وقبض المقتدر على الأمراء والقضاة الذين خلعوه ، وسلمهم إلى مؤنس الخازن ، فقتلهم ، واستقام الأمر للمقتدر ، واستوزر ابن الفرات ، ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص ، فصودر ابن الجصاص ، وحبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعدُ ميتا ، ورثاه على بن محمد بن بسام بقوله [من البسيط] :

لِلّهِ دَرّكَ من ملْكٍ بمضيعة ناهيكَ فى العقل والآداب والحسبِ

حرفة الأدب

ما فيه لَوٌّ ، لا ، ولا ليتٌ تنقصهُ وإنمـا أدركتهُ حرفـةُ الأدبِ

وهو مأخوذ من قول أبى تمام الطأئى [من البسيط] :

ما زلتُ أرمى بآمالى مطالبها لم يخلقِ العرضَ منى سوء مُطَّلبِ
إذا قصدتُ لشأوٍ خِلتُ أنِّىَ قدْ أدركته أدركتنى حرفة الأدب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى ، فقال ابن الساعاتى [من البسيط] :

عِفتُ القريضَ فلا أسمو له أبداً حتى لقد عِفتُ أن أرويه فى الكتب
هجرتُ نظمى لهُ لاَ من مهانتهِ لكنها خيفةٌ من حرفةِ الأدبِ

وقال ابن قلاقس [من البسيط] :

لا أقتضيكَ لتقديمٍ وعدتَ بهِ من عادةِ الغيثِ أن يأتى بلا طلبِ
عيونُ جاهكَ عنى غيرُ نائمةٍ وإنمـا أنا أخشى حرفةَ الأدبِ

وذكرتُ بهـذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسليا ، حين قعدت الأحوال ، وقامت الأهوال ، وهو الشهاب ابن محمود النابلسى ، رحمه الله تعالى [من المجتث] :

عبدَ الرّحيم أضاعُوا بدَولة ضَـيَّعَتْهُ
ما فيه لوٌّ ولا ليـ ـتٌ إنما أدْرَكَتْهُ (١)

رجع إلى أخبار ابن المعتز رحمه الله .

قال بعض من كان يخدمه : إنه خرج يوماً يتنزه ومعه ندماؤه ، وقصد باب الحديد ، وبستان الناعورة ، وكان ذلك آخر أيامه ، فأخذ خَزَفَةً ، وكتب على الجص [من المجتث] :

(١) فى الأصول « مافيه لولا وليت وإنما » محرفا عما أثبتناه

سَقياً لظلّ زَمانى ودهرىَ المحمـودِ
وَلّى كليلةِ وصـلٍ قدّامَ يومِ صُدُودِ

قال : وضرب الدهر ضرباته ، ثم عُدْت بعـد قتله ، فوجدتُ خطه خفياًّ ، وتحته مكتوب [من المجتث] :

أفٍّ لظلّ زَمانى وعيشىَ المنـكودِ
فارَقتُ أهلى وإلفى وصاحبى وَوَدُودى
ومن هَويتُ جفانى مطاوعاً لحَسودى
يا ربّ موتاً وإلا فراحةً من صُدُودِ

ويقال: إنه لما سلم لمؤنس الخادم ليهلكه أنشد(١) [من البسيط] :

يا نفسُ صبراً لعل الخيرَ عقباكِ خانتك من بعد طول الأمن دنياكِ
مرّتْ بنا سحَراً طيرٌ فقلتُ لها : طُوباكِ يا ليتنى إياكِ طـوباكِ
إن كان قصدُكِ شوقاً بالسلام علىَ شاطى الفرات ابلغى إن كان مثواكِ
مِنْ موثَقٍ بالمنايا لا فـكاكَ لهُ يبكى الدماء على إلفٍ له باكى

إلى أن قال :

أظنهُ آخرَ الأيام من عُمُرِى وأوشكَ اليوم أن يبكى له الباكى

ومن نثره الجارى مجرى الحكم والأمثال : من تجاوز الـكفاف لم يغنه الإكثار . ربما أوردَ الطمع ولم يصدر . من ارتحل الحرص(٢) أضناه الطلب(٣).

---

(١) فى الديوان (٣٣٩) بيتان أولهما أول هذه الأبيات وثانيهما :
لـكن هو الدهر لقياه على حذر فرب حارس نفس تحت أشراك

(٢) ارتحله : اتخذه راحـله يركبها فى سـيره ، والمراد من اتخذ الحرص وسيلة إلى أغراضه

(٣) أضناه : أورثه الضنى ، يريد أتعبه

الحظ يأتى من لا يأتيه . أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إلى الاحتراق . من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة . يكفيك للحاسد غمه بسرورك .

ومن شعره[1] [من الطويل] :

وإنى لمعذورٌ على طولِ حبها ... لأن لها وجهاً يدلّ على عُذْرِى

إذا ما بدَتْ والبدرُ ليلةَ تِمِّهِ ... رأيتَ لها فضلاً مبيناً على البدرِ

وتهتز من تحت الثياب كأنها ... قضيبٌ من الريحان فى الورق الخضرِ

أبى الله إلا أن أموت صبابةً ... بِساحرةِ العينين طيبةِ النشْرِ

ومنه [من السريع] :

من لى بقلبٍ صيغَ من صخرةٍ ... فى جسدٍ من لؤلؤ رَطْبِ

جرحتُ خديه بلحظى فما ... برحتُ حتى اقتص من قلبى

ومنه ، ويعزى لغيره [من المتقارب] :

تفقدْ مساقط لحظ المريبِ ... فإن العيونَ وجوه القلوبِ

وطالعْ بوادرهُ فى الكلام ... فإنكَ تجنى ثمار الغيوب

ومنه [من السريع] :

سابقْ إلى مالكَ وُرّاثهُ ... ما المرء فى الدنيا بلَبّاثِ

كم صامتٍ تخفقُ أكياسهُ ... قدْ صاحَ فى ميزان ميراثِ

ومنه [من البسيط] :

ياطارقى فى الدُّجى والليلُ منبسطٌ ... على البلاد بهيم ثابتُ الدِّعَمِ

طرقتَ بابَ غنىٍّ طابتْ موارده ... ونائلا كانهمال العارض السجم

(١) هذه الأبيات لا توجد فى ديوانه المطبوع

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذُ من حكم الخلائف آبائى على الأمم

فكل ما فيه مبذول لطارقه ولا زمام له إلا على الحرم

ومنه قوله فى القلم [من الخفيف] :

أبيات فى وصف القلم

قلم ما أراه أم فلكٌ يجـرى بما شاء قاسمٌ ويسيرُ

راكعٌ ساجدٌ يقبل قرطا سا كما قبل البساط شكورُ

ومنه قول ابن طباطبا [من الكامل] :

قلمٌ يدورُ بكفه فكأنهُ فلكٌ يدورُ بنحسِه وسُعوده

وقوله فيه أيضا ، وأجاد [من الكامل] :

أقسمْتُ بالقلم الحسام فلمْ يزلْ يرْدَى به حىٌّ ويَنْتاش الرَّدِى

وإذا رَضيتَ فريقُه أرْى و إن أضْمرت سُخطا مجَّ سم الأسْوَدِ

فكأنه فلك بكفك دائرٌ يُجرى النجوم بأنحُسٍ و بأسعُدِ

وما أحسن قول الآخر فيه [من الكامل] :

قلم يفل الجيش وهو عرمْرَمٌ والبيض ما سُلَّت من الأغماد

وهبت له الآجامُ حين نشا بها كرمَ السيول وصولةَ الآساد

وقول التهامى فيه أيضا [من الكامل] :

قلم يقلِّم ظُفْرَ كل ملمةٍ ويكفّ كفَّ حوادث الأيام

وقول أبى سعيد بن بوقة [من الكامل] :

قلم يمجُّ على العداة سمامهُ لكنه للمرتجين سماء

كم قد أسَلتَ به لعبدك ريقةً سوداء فيها نعمةٌ بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة ، وكان قتلهُ فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين ، رحمه الله وسامحه !!

* * *

شاهد التركيب في هيئة السكون

٨٠ — * يُقْعِي جلوسَ البَدَوِيِّ المصطَلِي *

قائله المتنبي ، من أرجوزة [١] قالها ارتجالا في مجلسه يصف كلبا أخذ ظبيا وحده بغير صقر ، وأولها :

ومنزل ليسَ لنـا بمنزل ولا لِغَيرِ الغَادياتِ الهُطَّلِ [٢]
نَدِي الخزامىَ ذَفِرِ القَرَنفُل مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لم يحَلَّلِ
عَنَّ لنا فيه مُرَاعِى مُغْزِلِ مُحَيَّنُ النفس بعيدُ المَوْئِلِ [٣]
أغناهُ حسنُ الجيدِ عن لبسِ الحلي وعادَةُ العُرْيِ عن التفَضُّلِ
كأنَهُ مُضَمَّخٌ بصَنْدَلِ معترضا بمثل قَرْنِ الأَيِّلِ
يحول بين الـكلبِ والتأمُّلِ فحلَّ كَلاَّبى وَثَاقَ الأَحْبُلِ
عنْ أشدقٍ مُسَوْجَرٍ مُسلسلِ أقبَّ ساطٍ شَرِسٍ شَمَرْدلِ [٤]
منها إذا يُثْغَ له لا يغزل مؤجَّدِ الفِقْرَةِ رخو المفصل [٥]
له إذا أدبر لحظُ المقبِلِ يعدو إذا أحزن عَدْوَ المُسْهِلِ

* إذا تلاَ جاء المدَى وقدْ تُلِي *

وبعده البيت ، وبعده :

---

(١) اقرأها في الديوان (٣ — ٢٠١)
(٢) الغاديات : السحب ، والهطل : جمع هاطلة ، وهي الـكثيرة المـاء .
(٣) أراد بالمراعى الظبي ، والمغزل : التي معها غزالها ، ومحين النفس : هالك
(٤) الأشدق : الواسع الشدق ، والمسوجر : الذي في رقبته ساجور ، والمسلسل : الذي في رقبته سلسلة . والأقب : الضامر البطن ، والساطي : الذي يسطو على الصيد .
(٥) مأخوذ من الثغاء ، وهو الصياح ، ولا يغزل : لا يتلهف ولا يتحير .

بأرْبع مَجْدُولة لم تُجدَلِ فُتْلِ الأيادى رَبِذَاتِ الأرجُلِ
آثارُها أمثالُها فى الجندَلِ يكادُ فى الوثبِ من التفتُّلِ
يجمعُ بينَ متنهِ والكَلْكَلِ وبين أعلاهُ وبين الأسفلِ

وهى طويلة

والإقعاء : الجلوس على الأليتين ، والمصطلى : المتدفىء بالنار .

والشاهد فيه : وقوع التركيب فى هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب فى إقعائه ، فإنه يكون لكل عضو منه موقع خاص ، والمجموع صورة خاصة ، مؤلفة من تلك المواقع ؛ وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقَدَة على الأرض .

أبيات فى وصف المصلوب

وفى مثل ذلك قول الأخيطل الأهوازى يصف[1] مصلوباً [من البسيط] :

كأنه عاشقٌ قد مدَّ صفحتهُ يومَ الفراقِ إلى توديعِ مُرْتَحِلِ
أو قائم من نُعاس فيه لُوثَتهُ مُواصلٌ لتمطِّيهِ من الكسلِ

شبهه بالمتمطى المواصل لتمطيه مع التعرض لسببه ، وهو اللوثة والكسل ، فنظر إلى الجهات الثلاث ، فلطف بحسب التركيب والتفصيل ؛ بخلاف تشبيهه بالمتمطى ، فإنه قريب التناول ، يقع فى نفس الرائى للمصلوب ، لكونه أمراً جلياً .

وقد أحسن ابن الرومى فى وصف المصلوب [2] بقوله [من الطويل] :

كأنَّ له فى الجوّ حبلاً يَبُوعهُ إذا ما انقضى حبلٌ أُتيح له حبلُ
يُعانقُ أنفاسَ الرياحِ مُودِّعاً وَدَاعَ رحيلٍ لا يحطّ له رحلُ

(١) أنشدهما الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (١٦٣) بدون نسبة
(٢) أنشدهما الشيخ فى أسرار البلاغة (١٦٤) منسوبين لابن الرومى أيضا

وللبحترى فيه [من الكامل] :

فتراهُ مطرداً على أعوادهِ ... مثلَ اطرادِ كواكبِ الجوزاء

مستشرفاً للشمس منتصباً لها ... فى أخريات الجذعِ كالحرْباءِ

ولابن المعتز فيه [من الوافر] :

أرَانيكَ الإلهُ قرينَ جذعٍ ... يضمكَ غيرَ ضم الالتزام

كلُوطِىٍّ لهُ أيرٌ طَويلٌ ... يفخذ للمواجر منْ قيامِ

ولابراهيم بن المهدى فيه [من البسيط] :

كأنهُ شِلوُ كبشٍ والهجيرُ لهُ ... تَنُّورُ شاويةٍ والجذعُ سَفُّودُ

ولابن حمديس فيه [من الطويل] :

ومُرتفعٍ فى الجذعِ إذ حُطَّ قدرُهُ ... أساء إليه ظالمٌ وهو محسنُ

كذى غَرَقٍ مدَّ الذراعين سابحاً ... من الجوّ بحراً عومُهُ ليس يمكنُ

وتحسبهُ من جنة الخلد دانياً ... يعانقُ حوراً لا تراهنَّ أعينُ

وما أحسن قول ابن الأنبارى فى ابن بقية (١) الوزير لما صلب من أبيات [من الوافر] :

كأنَّ الناسَ حولكَ حينَ قامُوا ... وُفُودُ يديكَ أيامَ الصِّلاتِ

كأنكَ قائمٌ فيهمْ خطيباً ... وكلُّهمُ قيامٌ للصلاة

وقد أخذ معنى البيت الأول من قول ابن المعتز [من الطويل] :

وصلَّوْا عليهِ خاشعين كأنهمْ ... وُفُودٌ وُقوفٌ للسلام عليهِ

---

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر ستة عشر بيتا من هذه المرثية فيها هذان البيتان ، فى أسرار البلاغة (٣٠٠).

ولعمر الخراط فيه [من الكامل] :

انظرْ إليهِ كأنه فى وصفهِ ... مُتظلم لَحَظَ السماء بطرفهِ

بسطَ اليدين كأنهُ يدعُو على ... من قد أشارَ على الأمير بحتفهِ

وللفقيه عمارة اليمنى فيه [من الوافر] :

ومَدَّ على صَليبِ الصَّلْبِ منهُ ... يميناً لا تطولُ إلى شمالِ

ونكَّسَ رأسَهُ لعتابِ قَلب ... دَعاهُ إلى الغَوايةِ والضَّلالِ

ومن العجيب أنه صلب بعد قوله هذا بقليل ، صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فكانت هذه الكلمات كالفأل عليه ، وله فى معناه أيضاً [من الكامل] :

ورأت يَدَاهُ عظيمَ ما جَنَتا ... فَفَرَرنَ ذى شَرْقاً وذى غَرْبا

وأمالَ نحوَ الصدرِ منهُ فماً ... ليلومَ فى أفعالِهِ القَلبا

* * *

شاهد المركب العقلى المنتزع من متعدد

٨١ — كما أبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً غَمَامَةٌ ... فلمَّا رَأَوْهَا أقْشَعَتْ وتَجلَّتِ

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله (١) .

والمعنى : أبرقت الغمامة للقوم ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، ومعنى أقشعت وتجلت : تفرقت وانكشفت .

والشاهد فيه : المركب العقلى من وجه الشبه ، وأنه قد ينتزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر ، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من البيت ، فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه ، فان المراد تشبيه الحالة

---

(١) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٨٨ الطبعة الثالثة)

المذكورة فى الأبيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عطاش ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مُطْمِع بانتهاء موئس ، لأن البيت مثل فى أن يظهر للمضطر إلى الشيء الشديد الحاجة إليه أمارة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجيه .

وفى معناه قول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

وشِمْتُكَ إذ أقبلت فى عارض الغِنَى ... فأقلعْتَ لم تَنْبِض بِرِيٍّ ولا مَحْلِ

أبيات فى وصف السحاب الذى لا يعقبه المطر

وقول بشار بن برد [من الطويل] :

أظَلَّتْ علينا منكَ يوماً سَحابةٌ ... أضاءت لنا برقاً وأبطَا رَشاشُها

فلا غَيْمُها يُجلى فييأسَ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتى فيَرْوَى عِطاشُها

وقوله [من الوافر] :

لمرْوَانٍ مَوَاعدُ كاذباتٌ ... كما برق الحياء وما استهلاّ

والأصل فيه قول الأحوص [من الطويل] :

وكُنْتُ وما أمّلْتُ منكَ كبارقٍ ... لوى قَطْرَهُ من بعد ما كان غَيَّما

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا كَظِلٍّ غمامةٍ ... إذا ما رَجاها المستَهِلُّ اضمَحَلَّتِ

فلا تكُ مِفْرَاحاً إذا هى أقبلَتْ ... ولا تك مِحْزَاناً إذا ما تولَّتِ

ولابن الطراوة النحوى فى معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على إثر قحط فى يوم غامَتْ سماؤه فزال ذلك عند خروجهم [من الكامل] :

خَرَجوا ليَسْتَسْقُوا وقد نَشأت ... بَحْرِيَّةٌ قَمِنٌ بها السَّحُّ

حتى إذا اصطَفُّوا لدعوتهم ... وبدا لأعينهم بها نَضْحُ

كُشِفَ الغمامُ إجابةً لهمُ ... فكأنهم خرجوا ليَستَصحوا

وقد سبقه إلى ذلك أبو على المحسن التنوخى فقال [من الطويل] :

خرجنا لنستسقى بيُمْنِ دُعائه وقد كادهُدْبُ الغيم أن يلبس الأرضا
فلما بدا يدعو تَقَشَّعت السما فما تم إلا والغمامُ قد ارْفَضَّا

ومنه قول بعضهم [من الكامل] :

لما بدا وجهُ السماء لهمْ مُتَجهِّماً لم يُبْدِ أنواءَ
قاموا ليَستسقوا الالهَ لهم غَيْثاً فلم يَسقيهم الماءَ[1]

* * *

٨٢ — فان تَفُقِ الأنامَ وأنتَ مِنهُمْ فانَّ المسْكَ بَعْضُ دَمِ الغزَالِ

شاهد إمكان وجود المشبه

البيت لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة [2] من الوافر ، يرثى بها والدة سيف الدولة بن حمدان ، أولها :

نُعِدُّ المشْرَفيَّةَ والعَوالى وتَقْتُلنا المنُونُ بلا قِتَالِ
ونَرْتَبطُ السَّوابِقَ مُقْرَبَاتٍ وما يُنْجِينَ من خَبَبِ الليالى

وهى طويلة ، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة :

رَأيتُكَ فى الذين أرى ملُوكا كأَنكَ مُستقيمٌ فى مُحَالِ

حكى أن المتنبي قيل له : إن المحال لا يطابق الاستقامة ، ولكن القافية ألجأتك إلى ذلك ، فلو فرض أنك قلت « كأنك مستقيم فى اعوجاج » كيف كنت تصنع فى الثانى ؟ فقال ولم يتوقف « فان البيض بعض دم الدجاج » فاستحسن هذا من بديهته .

والشاهد فيه : بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود ، وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالَفَ فيه ويُدَّعى امتناعه ، فانه أراد أن يقول : إن الممدوح

(١) كذا ، وفيه أنه أثبت حرف العلة مع وجود عامل الجزم ، وله نظائر فى العربية

(٢) اقرأها فى الديوان (٣ — ٧)

قد فاق الناس ، بحيث لم يبق بينه و بينهم مشابهة بوجه ، بل صار أصلا برأسه وجنسا بمفرده ، وهذا فى الظاهر كالممتنع ، لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع فى الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها ، فاحتجّ لهذه الدعوى و بين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذى هو من الدماء ثم إنه لا يعد منها لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا توجد فى الدم ، و يسمى مثل هذا تشبيها ضمنيا أو مكنيا عنه ، لدلالة البيت عليه ضمنا ،

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله [من الوافر] :

أبيات فى معنى انفراد الشيء عن جنسه بفضيلة

وأَصْيَدَ ظلَّ يدركُ يومَ صَيْدٍ طَرائدَهُ بجُردٍ كالسَّعالى
فان عَبِقَتْ لنا يمناهُ مِسْكا فان المسكَ بعضُ دم الغزالِ

والشهاب ابن بنت الأعز بقوله [من الوافر] :

وقالوا بالعِذارِ تَسَلَّ عنه وما أنا عن غزالِ الحسْنِ سالى
و إنْ أبْدَتْ لنا خَدّاهُ مسكا فان المسك بعض دم الغزال

و يشبه قول أبى الطيب المتنبي هنا فى سيف الدولة قوله فى عضد الدولة [من الوافر] :

ولولا كونكم فى الناسِ كانوا هُرَاءً كالكلام بلا معانٍ(١)

ومثله قول يحيي بن بقى [من البسيط] :

هل يَستَوى الناس قالوا كلُّنا بَشَرٌ فالمنْدَلُ الرطبُ والطرفاءُ أعْوَادُ

وللغزى فى مثله [من المتقارب] :

فلاَ غروَ إن كنتَ بعضَ الورَى فإنّ اليَلَنْجوجَ بعضُ الحطَبْ

---

(١) فى الأصل « هذاء كالكلام بلا معان» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان (٤ ـ ٢٦٢) والهراء ـ بزنة الغراب ـ الفاسد من الكلام

ومنه قول خلف بن عبد العزيز النحوى [من الكامل] :

ما أنتَ بعضَ الناس إلاّ مثل مَا بعضُ الحصا الياقوتةُ الحمراء

وللحصرى فيه [من الطويل] :

أبا بكرٍ ان أصبحت بعضَ ملوكهمْ فإن الليالى بعضُها ليلةُ القدرِ

ومثله قول ابن قلاقس وأجاد [من الكامل] :

أنشرْتَ من آبائكَ الصيدِ الأولى ذكراً لسانُ الدهر ناشرُ نَشْرِهِ

كرُمُوا فزدتَ عليهمُ فكأنهمْ شهرُ الصيام وأنتَ ليلةُ قدرِهِ

ومثله قول التهامى [من الطويل] :

لقدْ شرّفَ الرحمنُ قدركَ فى الورى كما فى الليالى شُرِّفَتْ ليلةُ القــدرِ

وإن كنتَ من جنس البرايا وفقتهُمْ فللمسك نشرٌ ليسَ يوجَدُ فى العطرِ

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله [من البسيط] :

فَاقَتْ بيوسفُها الدنيا وفاحَ لها طيبٌ طوى المسكَ من نشرِها أرِجِ

فان يُشارِكْهُ فى اسم الملك طائفةٌ فان شمس الضحى من جملة السُّرُجِ

ومثلهُ قول عبد الصمد بن بابك [من الطويل] :

تقاعسَ عنكَ الفاخرون فأحجموا وخيلُ المغانى غيرُ خيل المواكِبِ

فان زَعمَ الأملاكُ أنَّكَ منهُمُ فَخاراً فان الشمس بعضُ الكواكب

ومن البديع فى معناه قول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :

سلَكَ الورى آثارفضلكَ فانثنى متكاف عن مسلكٍ مطبوعِ

أبناء جنسكَ فى الحلى لا فى العلاَ وأقولُ قولاً ليسَ بالمدفوعِ

أبداً ترى البيتين يختلفان فى الـــمعنى ويتفقان فى التقطيعِ

وفى مقلوب معنى البيت قول الصاحب بن عباد يهجو [من الوافر] :

أبوكَ أبو علىٍّ ذُو اعتلاء إذا عُدَّ الكِرَامُ وأنتَ نَجْلُهْ
وإن أباكَ إذ تُعْزَى إليـهِ لكالطَّاووس تقبُحُ منهُ رجلهْ

* * *

شاهد ندرة حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه

٨٣ — ولاَ زَورْديةٍ تزهو بزُرْقتِها وسْطَ الرياض على حُمْرِ اليواقيت
كأنهاوضعافُ القُضْبِ تحملها أوائلُ النارفى أطراف كبريتِ (١)

البيتان لابن الرومى يصف البنفسج ، وقبلهما :

بنفسجٌ جُمِعَتْ أوْرَاقُهُ فحكَى كُحلاً تَشَرَّبَ دَمعاً يوم تشتيتِ

وهى من قصيدة من البسيط : (٢)

والشاهد فيهما : كون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها فى الذهن عند حضور صورة البنفسج ، فيُستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فإنه أراكَ شبها لنبات غَضٍّ يرفٌّ ، وأوراق رطبة من لهب نار ، استولى عليه اليبس ، ومبنى الطبائع على أن الشىء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس إليه أكثر ، وهى بالشغف به أجدر .

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه ، وليس يَعْدِلهما إلا قول النميرى [من البسيط] :

---

(١) الذى فى نسخ التلخيص
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت
(٢) لاتوجد فى ديوانه المطبوع كلمة على هذا الوزن والروى

بَنفسجٌ بذكيِّ المسك مخصوصُ ... ما في زمانك إن وافاك تنغيص
كأنما شُعَلُ الكبريت منظرهُ ... أوخدُّ أغيدَ بالتخميش مقروصُ

وقول الآخر [من الكامل] :

مازلتُ من شغفي ألمُّ كفها ... وذراعها بالقَرْص والآثارِ
حتى جعلتُ أديمَها وكأنما ... غُرِسَ البنفسجُ في نقَا الجمارِ

وقد لطف ابن كيغلغ في استعارة المعنى ، فقال [من الكامل] :

لما التقينا للوداعِ وأعربَتْ ... عبراتُنا عنا بدمعٍ ناطقِ
فرّقنَ بينَ محاجرٍ ومعاجرٍ ... وجمعنَ بينَ بنفسجٍ وشقائق

واستعاره أبو تمام في قوله [من الوافر] :

لها من لوعة البينِ التدامٌ ... يُعيدُ بنفسجاً وردَ الخدودِ

وقوله « التدام » مما أخذ عليه به في جملة ما أخذ .

* * *

شاهد التشبيه المقلوب

٨٤ — وبَدَا الصباحُ كأنّ غُرّتهُ ... وَجْهُ الخليفة حين يُمتدحُ

البيت لمحمد بن وهيب الحميرى ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها المأمون ، أولها :

العذرُ إن أنصفتَ متضحُ ... وشهودُ حبكَ أدمعٌ سفحُ(٢)

---

(١) اقرأ كل ما أورده المؤلف من أبيات هذه القصيدة في الأغاني (١٧ — ١٤٨ بولاق)

(٢) في الأغاني «وشهيد حبك»

وإذا تكامتِ العيونُ علىَ إعْجامها فالسرُّ مفتضحُ
فضحتْ ضميركَ عن ودائعهِ إن الجفون نواطقٌ فُصُحُ(١)
رُبَّمَا أبيتُ مُعانقى قمرٌ للحسن فيه مخايلٌ تَضِحُ(٢)
نشرَ الجمالُ على محاسنهِ بِدَعاً وأذهبَ همَّهُ الفرحُ
يختالُ فى حُلَلِ الشباب ، بهِ مَرَحٌ وداؤكَ أنهُ مَرِحُ
مازالَ يُلثمنى مَرَاشفهُ ويعلّنى الإبريقُ والقدحُ
حتى استردَّ الليلُ خلعتهُ ونشا خِلالَ سوادِهِ وَضَحُ

وبعده البيت ، ثم إنه يقول فيها :

نشرَتْ بكَ الدُّنيا محاسنها وتزَينتْ بصفاتكَ المِدَحُ
وَكأنَّ ماقد غابَ عنكَ لهُ بإزاء طرفكَ عارضاً شَبَحُ(٣)
وإذا سَلِمْتَ فكلُّ حادثةٍ جَلَلٌ ، فلاَ بؤْسٌ ولا ترَحُ(٤)

والشاهد فى البيت : إيهام أن المشبه به أتمّ من المشبه(٥) ، ويسمى التشبيه

---

(١) فى الأغانى « نواطق فضح »

(٢) فى الأصل « مهما أبيت » وفى الأغانى « ربما أبيت » وكلاهما محرف عما أثبتناه

(٣) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

وكأنما مـذ غاب عنك له بازاء طرفك عارض سحح

وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٤) جلل هاهنا بمعنى هين يسير

(٥) الأصل فى كل تشبيه أن يكون المشبه به أتم فى وجه الشبه من المشبه وعلى ذلك فالعبارة غير وافية بأداء ما يريدالمؤلف ، والذى يريده هو أن الذى من حقه أن يكون مشبها وهو وجه الخليفة فى هذا البيت يراد إيهام أنه أتم فى وجه الشبه من الذى حقه أن يكون مشبها به وهو الصباح ، فيعمد إلى قلب التشبيه بأن يجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبها

المقلوب ، فانه قصد إيهام أن وجهَ الخليفة أتمُّ من الصباح فى الوضوح والضياء ، وفى قوله « حين يمتدح » دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالاصغاء إليه والارتياح له ، وعلى كونه كاملا فى الكرم ، يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح .

وفى معناه قول البحترىّ [من الطويل] :

كأن سَنَاها بالعَشِىِّ لصُبحها تبَسُّمُ عيسى حين يلفظُ بالوعْدِ

وتقدم ذكر ابن وهيب فى شواهد المسند[١] .

* * *

٨٥ ـ تَشَابَهَ دَمْعِى إذْ جَرَى وَمُدَامَتِى فَمِنْ مِثْلِ مَا فى الكأسِ عَيْنِىَ تَسْكُبُ

فواللهِ ماأدْرى أبالخمر أسْبَلَتْ جُفُونِىَ أمْ من عَبْرَتِى كُنْتُ أشْرَبُ

شاهد الحكم بالتشابه

البيتان لأبى إسحاق[٢] الصابى ، من الطويل ، ورأيت فى اليتيمة البيت الأول بلفظ « تورد » بدل « تشابه » .

والشاهد فيهما : ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به ، احترازا من ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه ، فان الشاعر لما اعتقد التساوى بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد فى الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه .

وفى معناه قول الصاحب بن عباد[٣] [من الكامل] :

---

(١) انظر ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ٤٠ ص ٢١٥ ج ١)

(٢) انظرهما فى يتيمة الدهر فى ترجمة الصابى (٢ ـ ٢٣٣)

(٣) انظر هذين البيتين وثلاثة الأبيات بعدهما فى أثناء ترجمة الصاحب بن عباد من يتيمة الدهر (٣ ـ ٢٣٦)

رقَّ الزجاجُ ورَاقتِ الخمرُ وتَشَابها فَتشاكلَ الأمرُ[١]
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحٌ وكأنما قدح ولا خمرُ

وقوله أيضاً من أبيات [من الكامل] :

مُتغايرات قد جمِعْنَ وكلُّها مُتشاكلٌ أشبْاحُها أرْواحُ
وإذا أرَدتَ مُصَرِّحاً تفسيرها فالرَّاحُ والمِصباحُ والتفَّاحُ
لم يَعلم السَّاقى وقد جُمِّعنَ لى من أى هٰذى تملأ الأقداحُ[٢]

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية مع تفاح أهداه إليه [من مجزوء الكامل] :

يامن تزَينت السِّيا دَةُ حينَ أُلبسَ ثوبهَا
جاءتكَ جامِدَةُ المُدا م فخذ عليها ذَوْبهَا

وهو مأخوذ من قول الخليع [من السريع] :

الرَّاحُ تفاحٌ جرى ذائباً كذلك التفَّاحُ راحٌ جمَدْ
فاشْرَب على جامده ذَوْبَهُ ولا تَدَعْ لذة يوم لغَدْ

وللسرى الرفاء فى معناه [من المنسرح] :

وقد أضاءت نجومُ مجلسنا حتى اكتسى غُرَّة وأوْضاحا
لو جمَدَتْ راحُنا اغتدت ذهباً أوذابَ تفاحنا اغتدى راحا

ولطاهر العتابى فى هذا المعنى [من الطويل] :

أيا ليلةً قد بت أهزمُ بردَها بجيشين من خمر عتيق ومن جَمْرِ

---

(١) فى اليتيمة « ورقت الخمر » وما هنا أحسن
(٢) فى اليتيمة « لو يعلم الساقى » وما هنا أحسن

فطوراً أظن الخمر من ذوب جمرها ... وطوراً أظن الجمر من جَمَد الخمر

والصابى (١) هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحرانى (٢) . قال فى حقه أبومنصور الثعالبي : هو أوحد العراق فى البلاغة ، ومَنْ به تُثْنَى الخناصر فى الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة فى الصناعة . وكان قد بلغ التسعين فى خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل، وحَلَب الدهرَ أشْطُرَه ، وذاق حلوه ومره ، ولابس خيره ومارس شره ، ورُئِس ورأس ، وخُدم وخَدم ، ومدحه شعراء العراق فى جملة الرؤساء ، وشاع ذكره فى الآفاق ، وَدون له من الكلام البهى النقى العلوى ما تناثرت درره وتكاثرت غرره ، وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل] :

أصبحْتُ مُشتاقاً حَليفَ صَبابةٍ ... برَسائلِ الصابى أبى إسحَاقِ

صَوبُ البلاغةِ وَالحلاوةِ والحِجَى ... ذَوْبُ البراعةِ سَلوةُ المُشاقِ

طَوْراً كما رَقَّ النسيمُ وتارَةً ... يحكى لنا الأطواقَ فى الأعْنَاقِ

لا يَبْلُغ البُلغاء شأوَ مبرز ... كتبَتْ بدائعه على الأحْدَاقِ

و يقول أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يُمْنَى بدمع ساجم ... يَهْمِى على حُجُبِ الفؤاد الواجم

لولا تعلاهُ بكأسِ مُدَامَةٍ ... ورَسائل الصَّابى وشِعْر كُشاَجم

---

(١) للصابى ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ — ٢١٨ مصر) وفى وفيات الأعيان لابن خلكان (١ — ٢٠ النيل بمصر)

(٢) هكذا وقع فى أصول هذا الكتاب موافقا لما فى يتيمة الدهر ، وفى ابن خلكان « هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبون» وضبط زهرون — كعادته — بفتح الزاى وسكون الهاء ، وحبون بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه(١) كثيراً على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جميلة (٢) حتى إن السلطان بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم فلم يهده الله تعالى للاسلام ، كما هداه إلى محاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أوقع (٣) خدمة، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن الكريم حفظا يدور على طرف لسانه وسن قلمه ، وكان فى أيام شبابه واقتباله أحسنَ حالا وأرخى بالا منه فى أيام استكهاله ، وفى زمن اكتهاله أورى زنداً وأسعد جدًّا منه حين مَسَّه الكبر وأخذ منه الهرم ، ففى ذلك يقول من قصيدة فى فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب يشكو بثه وحزنه ويستمطر سحابه ومُزْنه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء (٤) [من الكامل] :

عجباً لحظى إذ أراهُ مُصالحى ... عَصْرَ الشباب وفى المشيب مغاضبى

أمنَ الغوانى كانَ حتى خاننى ... شيخاً وكانَ لدى الشبيبةِ صاحبى (٥)

أمَ التَضعضع مَلَّنِى متجنباً ... ومع التَّرَعرع كان غير مجانبى

ياليت صَبْوَته إلىَّ تأخَّرَت ... حتى تكون ذخيرةً لعواقبى

وكان المهلبى لا يرى الدنيا إلا به ، ويحن إلى براعته (٦) ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه فى أوقات أنسه . فلما مات المهلبى ، وأبو إسحاق

---

(١) فى اليتيمة « أرادوه » وهى أوفق

(٢) فى اليتيمة «جليلة » وهى أدق

(٣) فى اليتيمة «أرفع خدمة»

(٤) فى الأصل « الاكاف » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٥) فى اليتيمة « حتى ملنى » وفيها « وكان على صباى مصاحبى »

(٦) في الأصل « ويجن على » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

يلى ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل فى جملة عمال المهلبى وأصحابه ، فمن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يأيها الرُّؤساء دعوةَ خادمٍ أوْفَتْ رَسائلُه على التعديدِ
أيجوزُ فى حكمِ المُروءةِ عندكُمْ حبسى وطُولُ تهدُّدى وَوعيدى
أنسيتمُ كتباً شحنتُ فصولَهَا بفصول دُرٍّ عنكمُ منضودِ
ورسائلاً نَفَذَتْ إلى أطرافكمْ عبدُ الحميد بهنّ غيرُ حميدِ (١)
يهتزُّ سامعُهنّ من طَرَبٍ كما هزّ النديمَ سَمَاعُ صوتِ العودِ (٢)

ومنها :

قصرَتْ خُطاهُ خلاَخلٌ من قيده فتراه فيها كالفتاة الرُّودِ
يمشى الهُوَيْنَى ذِلةً لا عزةً مشىَ النزيفِ الخائفِ المزؤدِ

ولما خُلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع ، وينخفض ويرتفع ، إلى أن دُفع فى أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى ، والطامة الكبرى ، إذ كان فى صدره حزازات كثيرة من إنشا آت له عن الخليفة ، وعن (٣) بختيار نقمها منه واحتقدها عليه . قيل : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصلٌ له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن بختيار ، وهو « وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعى السوابق ، والمعالى

---

(١) فى الأصل « ورسائلا نفدت » بالدال مهملة ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ولانسجام البيت

(٢) فى اليتيمة « ضرب العود »

(٣) فى اليتيمة « من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار » وهو المناسب لما يلى ذلك بثلاثة أسطر .

السوامق ، التى يلزم كلَّ دان وقاص ، وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما أكرم به منها ، ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها » فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد إنكار ، ولم يشك فى التعريض به ، وأسرّها فى نفسه ، إلى أن ملك بغداد وسائر العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب فى أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره ، وافتتح كتابه المترجم بالتاجى ، واشتغل به فى منزله ، وأخذ يتأنق فى تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه ، فرُفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابى دخل إليه ، فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل وَالتبييض ، فسأله عما يعمل من ذلك ، فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثيرُ هذه الكلمة فى قلب عضد الدولة إلى ما كان فى نفسه من أبى إسحاق ، وتحرك من ضغنه الساكن ، وثار من سخطه الكامن ، فأمر أن يلقى تحت أرجل الفيلة ، فأكب جماعة من أرباب الدولة على الأرض ، يقبلونها بين يديه ، ويشفعون إليه فى أمره ، ويتلطفون فى استيهابه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه ، واستصفاء أمواله ، فبقى فى ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص فى آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره .

وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ، ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، والصابى يخدم حضرته بالمدح ، وكان الصاحب يتمنى انحيازه إليه وقدومه عليه ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقا أو تشرفا وكان هو يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة فى أيامه .

وكان الصاحب كثيراً ما يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة ،

الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابى ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعنى نفسه .

فأما الترجيح بين هذين الصادين [١] — أعنى الصاحب والصابى — فقد خاض فيه الخائضون ، وخَبَّ فيه المخبون ، [٢] ومن أشف ما سمعته من ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد ، والصابى يكتب كما يؤمر : أى كما يراد ، و بين الحالين بَوْنٌ بعيد ، وكيف جرى الأمر فهما هما ، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما.

ولنذكر نبذا من نثره ونظمه ، لتكون كالعنوان على محاسنه .

فمن ذلك فصل له من كتاب إلى عضد الدولة فى التهنئة بتحويل سنة «أسأل الله مبتهلا لديه ، مادًّا يدى إليه ، أن يحيل [٣] على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، والزيادات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه ، موفيا على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر عنه ، و يوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزا منصوراً ، محميا موفورا ، باسطا يده لا يقبضها إلا على نواصى أعداء وحساد ، ساميا طَرْفُه فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد ، مستريحة ركابه فلا يُعْمِلها إلا لاستضافة عز وملك ، فائزة قِدَاحُه فلا يُجِيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيـة صالحة ، وتسمو له همة طامحة » .

فصل من رسالته فى وصف المتصيد والصيد « وخيلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموثقة ، متشوقة عاطية ، مستبقة جارية [٤] تشتاق الصيد وهى لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تَقْضِمه ، وعلى أيدينا جوارح مؤللة المخالب والمناسر ،

(١) فى اليتيمة « بين هذين الصدرين »
(٢) فى الأصل « وأطنب المخلصون » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٣) فى الأصل « أن يجعل » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٤) فى الأصل «متشنقة جارية» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

مذربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر ، بعيدة المرامى والمطارح ، ذكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابغة الأذناب ، كريمة الأنساب ، صلبة الأعواد ، قوية الأوصال ، تزيد إذا طعمت[١] شَرَهًا وقَرَمًا ، وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهما ، فبينا نحن سائرون ، وفى الطلب مُمْعِنون ، إذ وردنا ماء زُرْقًا جمامُه ، طامية أرجاؤه ، يبوح بأسراره صفاؤه ، وتلوح فى قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به مُحْدِقة ، وغرائبه عليه واقعة ، متغايرة الألوان والصفات ، مختلفات الأصوات واللغات ، فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن أو أقرف عرقه ، فلما أوفينا عليها ، أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مُسَمِّيا ، ولم نر إلا مُذَكيا ، ثم عُدْنا لشأننا دفعات ، وأطلقنا مرات » .

ومن فصل منها « ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام ، نستقرى ملاعبها ، ونؤم مجامعها . حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة بأكلائها[٢] ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب ، وأدبُّ من العقارب ، وأنزى من الجنادب ، خُمْص الخصور ، قُبُّ البطون ، رُقْش المتون ، حمر الآماق ، خُزْر الأحداق ، هرت الأشداق ، عراض الجباه ، غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب » .

وله فصل فى ذكر الأقدار « لله تعالى أقدار تَرِدُ فى أوقاتها ، وقضايا تجرى إلى غاياتها ، لا يرد شىء منها عن شأوه ومداه ، ولا يُصَدَّدون مطلبه ومنحاه ، فهى كالسهام التى لا تثبت إلا فى الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض[٣] والناس

(١) فى الأصل « تزيد إذا ألحمت » محرفا ، والخيل لا تعلف اللحم وفى اليتيمة « إذا طعمت »

(٢) فى اليتيمة « راتعة فى أكلائها » وهى أحسن

(٣) فى الأصل « ولا ترجع إلا بالاعتراض » وبديهى أن كلمة « إلا » هاهنا تفسد المعنى غاية الفساد ، وليست ثابتة فى اليتيمة

فيها بين عطية يجب الشكر عليها ، ورزيّةٍ يوثق بالعوض عنها » .

وله من فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزنى (١) « ليت شعرى بأى قدم توافينا(٢) وراياتنا خافقة على رأسك ، ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا الموسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا فى يدك » .

ومن فصل فى ذكره « هو أرق دينا وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانه ، وأتم ذلا ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة ، من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا ، وهو فى نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة » .

ومن ملح شعره قوله فى الغزل ، وهو فى معنى البيتين المستشهد بهما [من الكامل] :

جَرَتِ الدموع دَماً وكأسِى فى يدى ... شَوْقاً إلى من لَج فى هِجْرَانى
فتَخالفَ الفعلانِ شارب قَهْوَةٍ ... يبكى دماً وتَشابهَ اللوْنانِ
فكأن ما فى الجفنِ من كأسى جرى ... وكأن ما فى الكأس من أجفانى

وقال [من الخفيف] :

لَسْت أشكو هواكَ يا من هَوَاهُ ... كلُّ يومٍ يَرُوعُنى منه خطبُ
مُرُّ ما مرّ بى من أجلك حلوٌ ... وعذابى فى مثل حبِّكَ عَذْبُ

وقال [من البسيط] :

إنْ نحنُ قِسناكَ بالغُصْنِ الرَّطيب فقدْ ... حِفْنَا عليكَ به ظلماً وعُدْوانَا
الغُصْنُ أحسنُ ما نلقاهُ مكتسياً ... وأنتَ أحسنُ ما نلقاكَ عُرْيانا

(١) فى الأصل « سبكتكين المعزى » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٢) فى اليتيمة « بأى قدم تواقفنا » ولعلها أحسن .

وقال [من الوافر] :

مَرِضتُ منَ الهوَى حتى إذا ما بَدَا ما بى لإخوانى الحُضُورِ
تكنَّفَنى ذوو الاشفاق منهمْ ولاذُوا بالدعاء وبالنذُورِ
وقالوا للطبيبِ : أشِرْ ، فانَّا نُعِدُّكَ للمهمّ منَ الأمورِ
فقالَ : شفَاؤهُ الرُّمانُ مما تضمَّنَهُ حشاهُ منَ السعيرِ
فقلتُ لَهُمْ : أصابَ بغيرِ عَمدٍ ولكنْ ذاكَ رُمانُ الصُّدُورِ

وقال [من المنسرح] :

ما أنسَ لاَ أنسَ ليلةَ الأحدِ والبدرُ ضَيْفِى وأمرهُ بيدِى
قبَّلتُ منهُ فماً مُجاجَتُهُ تجمعُ بينَ المدَامِ والشُّهُدِ
كأنَّ مجرَى سِوَاكِه بَرَدٌ وَرِيقُهُ ذَوْبُ ذلكَ البرَدِ

وقال فى شمامة كافور [من الطويل] :

وشَمَّامة كالبدرِ عندَ اعتراضهِ وكالكوكبِ الدرىّ عندَ انقضاضهِ
يوَدُّ سوَادُ العين من شغفٍ بها لو اعتاضهَا مُسْتَبْدِلاً ببياضهِ

وقال [من الطويل] :

ومحْرُورَةِ الأحشاء تحسبُ أنهَا مُتيمةٌ تشكو منَ الحبِّ تبريحَا
تُناجيكَ نجوَى يسمعُ الأنفُ وَحْيَها وتجهله الأذْنُ السميعة إذ يُوحَى
تحرق فيها الندّ عَوْداً وبَدْأةً فتأخذهُ جسما وتنفثُهُ رُوحَا

وقال فى غلام له أسود اسمه (١) رُشْد [من الكامل] :

أبصرتُ فى رُشْدٍ وقد أحببته رُشْدى، ولم أحفل بمن قَدْ يُنكرُ

---

(١) ذكر ابن خلكان أن اسم الغلام يمن ، ونقل ذلك عن الثعالبي في كتاب الغلمان ، والذى فى اليتيمة موافق لما هنا

يا لائمى ، أعلىَ السواد تلومنى ... من لونه وبه عليكَ المفخرُ ؟
دَعْ لى السوادَ وخذ بياضكَ ، إننى ... أدْرَى بما آتِى وما أتخيّرُ
مثوى البصيرةِ فى الفؤاد سوادُه ... والعينُ بالمسودّ منها تُبْصِرُ
فالدينُ أنتَ مُناظرٌ فيه بذا ... وكذاكَ فى الدنيا بهذى تنظرُ
بسوادِ ذَيْنِك تستضىء ولوهما ابيضّا تَغَشَّاكَ الظلامُ الأكدرُ
فغدا بياضُكَ وهو ليلٌ دامسٌ ... وغدا سوادى وهو فَجْرٌ أنورُ

وقال فيه أيضا [من الكامل] :

قد قال رشدٌ وهو أسودُ للذى ... ببياضه يعلو علوّ الخائنِ(١)
مافخرُ خَدِّكَ بالبياض وهل ترى ... أن قد أفدت به مزيد محاسنِ
لو أنّ منى فيه خالاً زانهُ ... ولو اَن منهُ فىّ خالاً شاننى

ولقد تفنن الشعراء فى مدح السودان وأكثروا ، فمن ذلك قول ابن الرومى من قصيدة طويلة [من المنسرح] :

آيات فى مدح السودان

أكسبها الحبُّ أنها صُبِغَتْ ... صِبْغَةَ حَبِّ القلوب والحدقِ

وقول ابن خفاجة الأندلسى أيضا [من السريع] :

وأسودٍ يسبحُ فى لجةٍ ... لا تكتمُ الحصباء غُدْرانُها
كأنها فى شكلها مقلة ... زرقاء والأسودُ إنسانُها

وقول الآخر [من السريع] :

يا أسودا يسبح فى بركةٍ ... فقتَ الورى حسناو إحسانًا

---

(١) الأبيات فى ابن خلكان ، وفيه « قد قال يمن » وكان في الأصل « يعلو علو الخائن » محرفا وفى اليتيمة * ببياضه استعلى علو مباين *

كنتَ لحسن الخدِّ خالاً وقدْ صرتَ لعين العين إنسانا

وقول شرف الدين بن عنين [من الطويل] :

وماذا عليهم أن كلفتُ بأسودٍ محلَّتُه بالقلب والعين منهمُ

وقد عابني قوم بتقبيل خده وماذاك عيبٌ ، أسودُ الركنِ يُلثَمُ

وما شانهُ ذاكَ السوادُ لأنهُ لغير الثنايا والخلائق معلَمُ

وقال ابن رياح الملقب بالحجام [من البسيط] :

يالعبةً بذوى الألباب لاعبةً فى أصلِ حسنكَ معنًى غيرُ متفقِ

خُلِقْتِ بيضاء كالكافور ناصعةً فصرتِ سوداء من مثواكِ فى الحدقِ

وقال أحمد بن بكر الكاتب [من المجتث] :

يا من فؤادىَ فيها متيما لا يزالُ

إن كان لليل بدرٌ فأنتَ للصبحِ خالُ

وقال الوزير المغربى [من مخلع البسيط] :

يا رُبَّ سوداء تيمتنى يَحْسُنُ فى مثلها الغرامُ

كالليل تُسْتَسْهَلُ المعاصى فيه ويستعذبُ الحرامُ

وقريب منه قول ابن أبى الجهم [من مخلع البسيط) :

غُصْنٌ من الآبنوس أهدَى من مسك دارينَ لى ثمارَا

ليلُ نعيمٍ أظلُّ فيه للطيب لا أشتهى نهارَا

وما أحسن قول بعضهم مضمناً [من الوافر] :

وسوداءِ الأديم إذا تبدَّتْ ترى ماء النعيم جرَى عليهِ

رآها ناظرى فصبَا إليها وشبهُ الشيءِ منجذب إليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر [من المتقارب] :

وَجارِيةٍ من بنات الحُبــوش ذات جفون صحاح مراض

تعشَّقْتها للتصابي فشِبْتُ غراماً ولم أكُ بالشيب راضي

وكنتُ أعَيِّرُها بالسواد فصارت تعيرني بالبياضِ

وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله [من السريع]:

إن لمعتْ ليلاً نجومُ السما بيضاً على أدهم مُرخَى الإزارْ

وأوجبَ العكسُ مثالاً لها في الأرض فالسودُ نجومُ النهارْ

رجع إلى شعر الصابي .

قال يرثي ابنه سنانا [من الخفيف] :

أسعداني بالدمعــةِ الحمراءِ جلَّ ماحلّ بي عن البيضاء (١)

يُؤلم القلبَ كلُّ فقدٍ ولاَ مِثْــلَ افتقادِ الآباءِ للأبناءِ

كُنتَ مِني وكُنتُ مِنكَ اتفاقاً والتئاماً مِثلَ العصا واللِّحاء

كُنتَ لِلْيُتْمِ فيَّ أجملَ مِنِّي فيكَ للثُّكلِ في أوَان فنائي (٢)

ولئنْ كان مِنْ أخيكَ وأوْلا دِكما ما يَغُضُّ مِنْ بُرحائي

فلَعَمْري لرُبما هيَّجوا الشَّوْ قَ فزادوا في لَوْعتي وبُكائي (٣)

ألم فيه بقول ابن الرومي ولم يحسن إحسانه [من الطويل] :

---

(١) في الأصل « حل ما حل بي » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة .

(٢) في اليتيمة « كنت في اليتم » والمراد أنه كان يرجو أن يموت قبل ابنه فان موته يصير به ابنه يتيما ، وذلك أجمل من أن يموت ابنه فيصير هو ثاكلا وما في اليتيمة أظهر

(٣) في الأصل « ولعمري لربما هيج الشوق » محرفا عما أثبتناه عن اليتيمة

وإني وإن مُتِّعتُ بابنيَّ بعده ... لذاكرُه ما حَنَّتِ النِّيبُ في نجدِ
وأولادنا مثل الجوارح أيما ... فقدناه كان الفاجعَ البينَ الفقدِ
لكلٍّ مكانٌ لا يسدّ اختلالَه ... مكانَ أخيه من جزوعٍ ومن جَلْدِ
هل العين بعد السمع تكفي مكانه ... أم السمعُ بعد العين يَهدي كما تَهدي

وقال الصابي مفتخرا من قصيدة [من الطويل] :

وقد علم السلطان أني أمينُه ... وكاتبُه الكافي السديدُ الموفَّق(١)
أوازره فيما عرى وأمدّه ... برأيٍ يريه الشمسَ والليلُ أغسقُ
يجدِّد بي نهجَ العلا وهو دارسٌ ... ويفتح بي بابَ الهدى وهو مغلَقُ(٢)
فيمناي يمناه ولفظي لفظُه ... وعيني له عينٌ بها الدهرَ يرمُقُ
ولي رِقَرٌ تُضحي الملوك فقيرةً ... إليها لدى أحداثها حين تَطرُقُ
أردّ بها رأسَ الجموح فينثني ... وأجعلها سَوْط الحرون فيُعْنِقُ
فإنْ حاولتْ لطفاً فماءٌ مُرَوَّقٌ ... وإن حاولتْ عنفاً فنارٌ تألّق
يسلّم لي قُسٌّ وسحبانُ وائلٍ ... ويَرْضَى جريرٌ مذهبي والفرزدق
فيغضي لنثري خاطبٌ وهو مِصقَعٌ ... ويعنو لنظمي شاعرٌ وهو مُفْلِقُ
مَعَالٍ لو الأعشى رآهنّ لم يَقُلْ ... «وباتَ على النار الندى والمحلق»(٣)

---

(١) في اليتيمة « أني لسانه »
(٢) في اليتيمة « يجدد بي نهج الهدى » وفيه « ويفتح بي باب النهى »
(٣) في الأصل « مقال لو الأعشى رآهن » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة . وعجز هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس في المحلق وصدره من كلام الأعشى :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

وقال فى المهلبى الوزير [من الكامل] :

قـل للوزير أبى محمد الذى قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل وكأنما آذاننا أصدافه

وقال أيضا [من الوافر] :

تلوح نواجذى والكاس شربى وأشربها كأنى مستطيب
وفوق السر لى جهر ضحوك وتحت الجهر لى سر كئيب
سأثبت إذ يصادمنى زمانى بركنيه كما ثبت النجيب[1]
وأرقب ما تجىء به الليالى ففى أثنائه فرج قريب

وقال أيضا فى عضد الدولة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذى أوتيته يفضى وإن طال الزمان إلى مدى
كالدوح فى أفق السماء فروعه وعروقه متولجات فى الندى
فى كل عام يستجد شبيبة فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر فى حلقة فلكية فى منتهاها المبتدا

وكتب إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إليه [من البسيط] :

أهدى إليك بنو الأموال واختلفوا فى مهرجان جديد أنت مبليه[2]
لكن عبدك إبراهيم حين رأى علو قدرك عن شىء يدانيه

---

(١) فى اليتيمة « سأثبت إن يصادمنى زمانى »
(٢) فى اليتيمة * أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا *

لم يرضَ بالأرض مُهْدَاةً إليكَ فقدْ أهدَى لكَ الفلكَ الأعلى بما فيهِ

ومن لطيف شعره قوله [من الخفيف] :

دَفْتَرِى مُؤْنِسى وفكرى سميرى ويدِى خادمِى وحِلْمى ضجيعى
ولسانِى سَيْفِى وبطشى قريضى ودَوَاتِى غَيْثى ودرْجى رَبيعى(١)

ومثله قول أبى محمد الخازن [من المنسرح] :

فدفترى رَوْضتى ومحبرَتى غديرُ علمى وصارِمى قَلَمى
وَراحتِى فِى قَرَار صَوْمَعَتِى تُعْلِمنى كيفَ موقعُ النعم

وقال أبو إسحاق الصابى وهو فى الحبس [من الطويل] :

إذا لم يكنْ للمرء بدٌّ من الرَّدى فأسهلُهُ ما جاء والعيشُ أنكد
وأصعبهُ ما جاءه وَهْوَ راتعٌ تطيف بهِ اللذّاتُ والحظُّ مُسْعِد
فإن أكُ سوءَ العيشتينِ أعيشُها فإنى إلى خيرِ المماتينِ أقصد(٢)
وسيَّانِ يوماً شقوةٍ وسعادةٍ إذا كانَ غبًّا واحداً لهما الغد

وقال [من المتقارب] :

لقدْ أخلقتْ جِدَّتِى الحادثاتُ ومَنْ عاشَ فى رَيْبها يَخلق
وبَدَّلنى صَلَعاً شاملاً من الشَّعَرِ الفاحِمِ الأغْسَقِ (٣)

---

(١) فى الأصل « ودواتى عينى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة ، و « غيثى » هى التى تناسب « ربيعى »

(٢) فى اليتيمة « فان أك شر العيشتين » وما هنا أتم فى المقابله

(٣) في الأصل « من الصلع الفاحم الأغسق » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

وقد كنتُ أمْرَدَ مِنْ عارضي　　فقد صرت أمْرد من مفْرِقي[١]

وكتب إلى قاضي القضاة ابن معروف ـ وكان قد زاره في معتقله ـ رقعة نسختها :

قوي دخول قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسي ، وأغربَ نحسي ، ووسّع حبسي ، فدعوت الله له بما قد ارتفع إليه وسمعه ، فإن لم أكن أهلا لأن يستجاب مني فهو أيده الله تعالى أهلٌ لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]

دخلتَ حاكم حكام الزّمان إلى　　صَنيعةٍ لك رَهْنِ الحبس ممتَحَنِ

أخذتْ عليه خطوبٌ جار جائرُها　　حتى توفاهُ طولُ الهم والحَزَنِ

فَعاشَ عن كلماتٍ مِنكَ كنّ لهُ　　كالرُّوح عائِدَةً منهُ إلى البَدَنِ

وكتب إلى بعض الرؤساء: عرفت أن سيدنا الأستاذ الجليل أطال الله بقاءه يشتكي التياثا [من الكامل] :

فلو استَطَعْتُ أخذت علّةَ جِسْمِهِ　　فَقَرَنتُها مني بعِلةِ حالي

وجَعلتُ صحّتيَ التي لم تَصْفُ لي　　صَفْواً له معَ صحة الاقْبالِ

فَتكونُ عندي العلّتانِ كِلاهُمَا　　والصِّحّتانِ له بغيرِ زَوالِ

وقال [من المنسرح] :

عهدي بشعري وكلّه غَزَلُ　　يضحكُ عنهُ السرُور والجذَلُ

أيامَ همّي أحبةٌ بهمُ الـ　　ـقلبُ عن النّائباتِ يشتغلُ

والآنَ شِعري في كلِّ داهيةٍ　　نيرانُها في الضلوعِ تشتعلُ

أخرجُ منْ نكبةٍ وأدخلُ في　　أُخرَى فنحسي بهنّ متصلُ

(١) في اليتيمة « وقد كنت أصلع » وفيها « وقد صرت أصلع »

كأنها سُنَّةٌ مؤكدةٌ لا بدّ من أنْ تقيمَها الدولُ
فالعيشُ مرٌّ كأنهُ صَبِرٌ والموتُ حلو كأنه عَسَلُ

وقال يهجو [من الخفيف] :

أيُّها النابحُ الذي يتصدى بقبيح يقوله لجوابي *
لاتؤمِّلْ أنِّي أقولُ لكَ اخسأ لستُ أسخو بهالكلِّ الكلابِ

وحكى أبو القاسم بن برهان قال : دخلت على أبي إسحاق الصابي ، وكان قد لحقه وجع المفاصل ، وقد أبلّ ، والمجلس عنده حافل ، وأراد أن يريهم أنه قادر على الكتابة ، ففتح الدواة ليكتب ، فتطاولوا بالنظر إلى كتابته ، فوضع القلم وقال بديها [من الكامل] :

وجعُ المفاصل وهوَ أيسرُ ما لقيتُ منَ الأذَى
جعل الذي استحسنتهُ واليأسَ منْ حظى كذا(١)
والعمرُ مثلُ الكاسِ يرْ سبُ في أواخرهِ القذَى

وقد ألم بهذا المعنى أمين الدولة سبط التعاويذى وزاد فيه فقال [من المتقارب] :

فمن شبَّه العمر كأساً يقرّ قَذَاهُ ويرسب في أسفلِهْ
فانى رأيتُ القذَى طافياً على صفحة الكأس من أوله

والأمير سيف الدين بن المشد بقوله [من الخفيف] :

إن ترق إلى المعالى أولو الفضـ ـل وَساخت تحت الثرى السفهاء
فَحَبابُ المدام يعلو على الكأ س محلاًّ وترسب الأقذاء

---

(١) فى الأصل « والناس من حظى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا [من الخفيف] :

باضطراب الزمان ترتفع الأنـــذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء راكدا فاذا حــرك ثارت من قعره الأقذاء

وقول الآخر [من البسيط] :

بادر إلى العيش فالأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظر

فالعمر كالكأس يبدو فى أوائله صفـواً وآخره فى قعـره كدر

ولما مات أبو إسحاق الصابى رثاه الشريف أبو الحسن الموسوى بقوله [من الطويل] :

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

جبل هوى لو خر فى البحر اغتدى من وقعه متتـابع الإزباد

ما كنت أعلم قبل حطك فى الثرى أن الثرى يعلو على الأطواد

ومنها :

بعداً ليومك فى الزمان فإنه أقذى العيون وفت فى الأعضاد

لا تطلبي يا نفس خلاً بعده فلمثله أعيا على المــرتاد

فقدت ملاءمة الشكول بفقده وبقيت بين تباين الأضداد

ما مطعم الدنيا بحلو بعده أبداً ، وما ماء الحياة ببادى

لك فى الحشا قبر وإن لم تأوه ومن الدموع روائح وغوادى

سلوا من الأبراد جسمك فانثنى جسمى يسل عليك فى الأبراد(١)

---

(١) في الأصول «جسمي يسيل» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة وديوان الشريف الرضي

ومنها :

الفضلُ ناسبَ بيننا إذ لم يكنْ شَرَفِي مناسبهُ ولا ميلادِي
إنْ لم تكنْ من أُسرتي وعشيرتي فلأنتَ أعقلهمْ يداً بفؤادي(١)
أولاَ تكنْ عالي الأصولِ فقدْ وَفَى عظمُ الجدود بسودَدِ الأجدَادِ

وهي طويلة ، ورثاه بغير ذلك أيضاً ، وقال وقد ليم على رثائه له : إني رَثَيْت عامه ، وكان سنه أربعا وثمانين سنة . ومات ابنه المحسن على كفره أيضاً ، وابن ابنه هلال أسلم بآخرة . وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (٢)

* * *

شاهد تشبيه المركب بالمفرد

٨٦ — يا صاحبيَّ تقصَّيَا نظرَيكما تَرَيا وجوهَ الأرضِ كيفَ تُصَوَّرُ
تَرَيا نَهاراً مُشمِساً قَدْ شابَهُ زَهرُ الرُّبا فكأنَّما هُوَ مُقمِرُ

البيتان لأبي تمام الطائي ، من قصيدة (٣) من الكامل يمدح بها المعتصم ، أولها :

رقَّتْ حوَاشي الدهرِ فهي تَمَرْمَرُ وغدا الثرى في حَلْيِهِ يتكسرُ

---

(١) في اليتيمة * فلأنت أعلقهم يدا بودادى * وهو المستقيم معنى

(٢) كذا في أصول هذا الكتاب ، والذي في اليتيمة أنه « توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليله من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكانت سنه إحدى وتسعين سنة قمرية » وفي ابن خلكان أنه توفي سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وأن سنه كانت إحدى وسبعين سنه . وفيه نقلا عن الفهرست لابن النديم أن وفاته كانت قبل سنة ثمانين ، وولادته كانت سنه نيف وعشرين وثلثمائة

(٣) اقرأها في الديوان (١٥٦)

بذلتْ مقدمةُ المصيف حميدةً ويد الشتاء جديدة لا تكفر (١)
لولا الذى غرس الشتاء بكفه قاسى المصيفُ هشائماً لا تُثمرُ
كم ليلةٍ آسى البلاد بنفسه فيها ويوم وبلُهُ متفجرُ (٢)
مطرٌ يذوب الصحو منه وبعده صحوٌ يكاد من الغضارة يقطر (٣)
غيثان فالأنواء غيثٌ ظاهرٌ لكَ وجهه والصحو غيث مضمرُ
ونَدًى إذا ادَّهنَتْ به لِممُ الثرى خلتَ السحاب أتاه وهو معذرُ
أربيعنا فى تسع عشرة حجةً حقاً لَهَنَّكَ لَلرَّبيعُ الأزهر (٤)
ما كانت الأيامُ تسلب بهجةً لو أن حسن الروض كان يُعَمَّرُ
أولا ترى الأشياء إن هى غيرتْ سمُجتْ وحسن الأرض حين تغيرُ (٥)

وبعده البيتان ، وبعدهما :

دنيا مَعاش للورى حتى إذا حَلَّ الربيعُ فإنما هيَ منظرُ
أضحتْ تصوغُ بطونُها لظهورِها نَوْراً تكادُ له القلوبُ تنوّرُ
من كل زاهرةٍ ترقرقُ بالندى فكأنها عينٌ لديكَ تحدّرُ

وهى طويلة .

---

(١) فى الأصل « نزلت مقدمة المصيف » وما أثبتناه عن الديوان . وبذلت : امتهنت

(٢) فى الديوان « وبله متعنجر » والمثعنجر : السائل المنسكب

(٣) فى الأصل « يكاد من الغضارة يمطر » وما أثبتناه عن الديوان

(٤) فى الديوان * حقا لهنك للربيع الأزهر * وهى أجود عربية . واللام فى « لهنك » هى الواقعة فى جواب القسم ، والهاء مبدلة من الهمزة ، والأصل « لأنك » واللام فى « للربيع » هى لام الابتداء التى تتصل بخبر إن

(٥) فى الأصل « أولا ترى الأشتاء » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

ومعنى « تقصيا نظريكما » أبلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه ، واجتهدا في النظر . و « تصور » أصلها تتصور فحذف إحدى التاءين .

والشاهد فيهما : تشبيه المركب بالمفرد ، فانه شبه المشمس الذى اختلط به أزهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد ، بالليل المقمر ، فالمشبه مركب ، والمشبه به مفرد ، قيل : ولا يخلو هذا من تسامح .

* * *

شاهد التشبيه الملفوف

٨٧ـ كأن قُلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويابساً لَدَى وَكْرِهَا العُنَّاب والحَشَفُ البالى

البيت من الطويل ، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة [1] فى أول هذا الفن ، وقبله :

كأنى بفتخاء الجناحين لِقْوَةٍ على عجَلٍ منها أُطأطيء شِمَالى [2]

تخطَّفُ خِزَّان الأُنَيْعِمِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالبُ أو رال [3]

---

(١) انظرها في الديوان (١٣٨) وارجع إلى الشاهد رقم (٧٤)

(٢) أراد بفتخاء الجناحين لقوة عقابا لينة الجناحين سريعة الاختطاف وفى الديوان «صيود من العقبان طأطأت شملال» والصيود : الحاذقة بالصيد وطأطأت : طامنت رأسى لأ تمكن من ضرب الفرس كى يسرع . والشملال : السريعه القوية . وهى على هذه الرواية ـ صفه لفتخاء الجناحين ، و «شيمالى» فى رواية المؤلف تبعا لجماعة من أهل اللغة أصلها «شمالى» فأشبعت الكسرة من الشين فتولدت عنها الياء ، و «شيمالى» على هذا مفعول لأطأطيء ، وهو مضاف لياء المتكلم

(٣) تخطف : أصلها تتخطف ، وخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرانب ويروى «خزان الشربة» والأنيعم والشربة : موضعان . وأورال : موضع أيضا

و بعده البيت ، و بعده :

فلوْ أنَّ ما أسْعَى لأدنى مَعِيشَةٍ كَفانى ولم أطلُبْ قليلٌ من المالِ

ولكنما أسْعَى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤَثَّلَ أمثالى

وَمَا المرْء مادَامَتْ حشَاشَةُ نفسه بمُدْرِكِ أطرافِ الخطُوب ولا آلى[1]

والحشف : أردأ التمر ، والضعيف الذى لا نوَى له ، أو اليابس الفاسد .

والشاهد فيه : التشبيه الملفوف ، وهو : أن يؤتى على طريق العطف أوغيره بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها ، فهنا شَبَّه الرطب الطرىَّ من قلوب الطير بالعُنَّاب واليابس العتيق منها بالحَشَف البالى ، إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يُعتدُّ بها ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ عبد القاهر : إنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا أنَّ للجمع فائدةً فى عين التشبيه .

وذكرت بهذا البيت ما ضمنه الجمال ابنُ نباتة مجوناً ، وهو [من الطويل] :

دنَوْتُ إليها وهوَ كالفرْخ راقِدٌ فوَاخَجْلتى لما دنوت وإذلالى

وقلْتُ امْعَكيه بالأنامِلِ فالتَقى لَدَىَّ وكرها العنابُ والحشف البالى

* * *

شاهد التشبيه المفروق

٨٨ — النَّشْر مِسكٌ ، والوجُوهُ دَنا نيرٌ ، وأطْرَافُ الأكُفِّ عَنَمْ

البيت لمرقّش الأكبر ، من قصيدة من السريع[2] ، قالها فى مرثية عم له ، أولها :

هل بالديار أن تجيبَ صَمَمْ لو أن حياًّ ناطِقاً كلَّمْ

(١) فى نسخة « مادامت هشاشة نفسه »

(٢) اقرأها فى المفضليات والأصمعيات

الدارُ وحشٌ والرسُوم كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ(١)
ديارُ أسماءَ التي سَلَبَتْ قلبي فعيني ماؤها يَسْجُمْ(٢)
أضحَتْ خلاءً نبتُها ثَئِدٌ نوَّرَ فيها زهرُهُ فاعتَمّْ(٣)
بل هل شَجَتكَ الظُّعْنُ باكرةً كأنهن النَّخلُ من مَلْهَمْ

و بعده البيت ، ومنها :

لسنا كأقوامٍ خَلائقُهُمْ نَثُّ الحديثِ ونَهْكَةُ المحرَمْ(٤)
إن يُخْصِبُوا يبغُوا بخصبهمُ أو يُجْدِبوا فهمْ به ألأَمْ(٥)

وهي قصيده طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الروى ، ولا متخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى ، قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئا يُستحسن إلا قوله « النشر مسك ــ البيت » .

و يستجاد منها أيضاً قوله :

ليس على طولِ الحياةِ نَدَمْ ومن وراء المرْءِ ما يعلَمْ

---

(١) في المفضليات « الدار قفر »

(٢) في الأصل « ديار سلمى » ولا يستقيم بها الوزن ، وما أثبتناه موافق لما في المفضليات ، والمرقش هذا كان يتغزل في أسماء ابنة عمه عوف بن مالك.

(٣) ثئد ــ بالثاء المثلثة ــ أي أصابه الندى ، واعتم : كـثر ، وفي المفضليات «نور فيها زهوه» وهو لونه من أبيض وأصفر وأحمر

(٤) في المفضليات «مطاعمهم كسب الخنا» . و نث الحديث : نقله و إذاعته والزيادة فيه ، ووقع في الأصل « ونكهة المحرم » وما أثبتناه موافق لما في المفضليات ، ونهكة المحرم : انتهاك الحرمات ، وأراد لانهجو الناس ليعطونا وفي الأغاني * نث أحاديث وهتك حرم *

(٥) في المفضليات « إن يخصبوا يعيوا بخصبهم »

النشر : الريح الطيبة ، أو أعم ، أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم . والعنَم : شجر لين الأغصان يشبه بنان الجوارى . وقيل : هى أطراف الخروب[١] الشامى عن أبى عبيدة . وقيل : هو شجر له أغصان حمر ، وقيل : هو ثمر العَوْسَج يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج .

والشاهد فيه : التشبيه المفروق ، وهو : أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم آخر وآخرَ ، وهو واضح فى البيت .

ونظيره قول المتنبي [من الوافر] :

بدَتْ قمراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عنبراً ورنَتْ غزالا

وتبعه أبو القاسم الزاهى فقال [من الطويل] :

سفَرْنَ بدوراً وانتقَبْنَ أهلَّةً ومِسْنَ غصوناً والتفَتْنَ جآذرا
وأطلَعْنَ فى الأجياد بالدرِّ أنجماً جعلن لحبَّاتِ القلوبِ ضرائراً

وممن نسج على هذا المنوال إسماعيل الشاشى فانه قال من قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكْوارنا كلَّ ماجدٍ يرى كل ما يَبْقَى من المال مَغْرَما
ندومُ أسيافا ونعلو قَواضباً وننْقَضُّ عقباناً ونطلُعُ أنجما

وقال أبو الحسن الجوهرى فى وصف الخمر إلا أنه ثلَّثَ التشبيه [من الطويل]:

يقولونَ بغدادُ التى اشْتَقَّتَ نزهةٌ تباكِرُها والعبقَرِىَّ المقيَّرَا
إذا فُضَّ عنه الخَتْمُ فاح بَنَفسجاً وأشرق مصباحا ونوَّرَ عُصفُرا

ولبعض الشعراء فى غلام مغنٍّ [من الوافر] :

---

(١) نص بعض أهل اللغة على أن صواب هذا اللفظ « الخرنوب »

فَدَيتكَ يا أتمَّ الناس ظَرْفاً وأصلحهُم لمتَّخذٍ حبيبا
فوجْهُكَ نُزهة الأبصارِ حسناً وشَدْوكَ مُتعةُ الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائل عنك قلنا لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبياً وغنّى عنْدَليباً ولاح شقائقاً ومشَى قضيبا

ولابن الأثير الجزرى [من البسيط] :

منوَّع الحسن يبدى من محاسنه لأعيُنِ النَّاس أوْصافاً وأشكالا
فلاح بَدْراً ووافى دُمْيَةً وذكا مسكاً وعنَّ طلاً وازورَّ رئبالا
وافتر دُرًّا وغنَّى بلبلاً وسطا عَضْباً وماس نقاً واهتزَّ عسَّالاَ

وما أحسن قوله أيضا [من البسيط] :

إنَّ التى ملكتنى فى الهوى ملكت مجامع الحسن حتى لم تدَعْ حَسَنَا
رنت غزالاً وفاحت رَوْضةً و بدتْ بدراً وماجت غديرا وانثنت غُصُنَا

ولابن سكرة الهاشمى أيضا [من المنسرح] :

فى وجهِ إنسانةٍ كلِفْتُ بها أربعةٌ ما اجتمعْنَ فى أحدِ
الخدُّ وردٌ، والصدغ غاليةٌ والرِّيقُ خمرٌ، والثَّغْرُ من بَرَدِ

ترجمة المرقش الأكبر

والمرقش[١] اسمه عمرو، وقيل : عَوْف بن سعد بن مالك، ينتهى نسبه لبكر بن وائل، وهو أحد من قال شعراً فلقب به، وهو أحد المتيمين، كان يهوى ابنة عم له ـ وهى أسماء بنت عوف بن مالك ـ وكان المرقش الأصغر ابن أخى[٢]

---

(١) تجد للمرقش الأكبر ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٣) وفى الأغانى (٥ ـ ١٨٩) وحكى ابن قتيبة قولا آخر أن اسمه ربيعة بن سعد ابن مالك، وتجد خبره مع أسماء فى تزيين الأسواق (١ ـ ١٠٠)

(٢) وحكى ابن قتيبة قولا آخر أن المرقش الأصغر أخو المرقش الأكبر

المرقش الأكبر، واسمه ربيعة وقيل عمرو، وهو عم طَرَفَة بن العبد، وهو أيضا أحد المتيمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك، ويشبّب بها، وكان للمرقِّشَيْنِ جميعا موقع فى بكر بن وائل وحروبها مع بنى تغلب وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتقدم فى المشاهد ونكاية فى العدو وحسن أثر.

وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف، وهو غلام، فخطبها إلى أبيها، فقال: لا أزوجك إياها حتى تُعرف بالبأس، وكان يَعِده فيها المواعيدَ الكاذبة، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك، وكان عنده زمانا ومدحه فأجازه، وأصاب عوفاً زمانٌ شديد، فأتاه رجل من مراد، فأرغبه فى المال، فزوجه أسماء على مائة من الإبل، ثم تنحّى عن بنى سعد ابن مالك، ورجع مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلا أنها ماتت، فذبحوا كبشاً، وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها فى ملحفة ثم قبروها، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتوا به موضع القبر، فنظر إليه، وصار بعد ذلك يعتاده ويتردد إليه ويزوره، فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما فى كَعْب، فقال أحدهما: هذا كعبى، أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه، وقالوا: إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء، فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام - وكان قد ضَنِى ضَنًى شديداً - فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزوج المرادى أسماء، فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشيرَ المرقش، فأمرها بأن تدعو له زوجها، فدعته، وكان له رواحل، فأمره باحضارها ليطلب المرادىّ، فأحضره إياها، فركبها، ومضى فى طلبه، فمرض فى الطريق حتى ما يُحمل إلا معروضاً. ثم إنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران - وهى أرض مراد - ومع العقيلى امرأته وليدة مرقش، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها: اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً، فجعلت الوليدة تبكى من ذلك. فقال لها زوجها: أطيعينى وإلا فانى

تاركاك وذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، كان أبوه دفعه وأخاه حرملة ـ وكانا أحب ولده إليه ـ إلى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط ، فلما سمع مرقش قول العقيلى للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الأبيات [من الكامل] :

يا صاحبى تلبثا لا تعجلا   إن الرواح رهين أن لا تفعلا
فلعل لبثكما يفرط سيئاً   أو يحدث الاسراع سيباً مثقلا (١)
يا راكباً إما وصلت فبلغن   أنس بن سعد إن لقيت وحرملا (٢)
لله دركما ودر أبيكما   إن أفلت العبدان حتى يقتلا (٣)
من مبلغ الأقوام أن مرقشاً   أضحى على الأصحاب عبئاً مثقلا (٤)
وكأنما ترد السباع بشلوه   إذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

قال : فانطلق العقيلى وامرأته حتى رجعا إلى أهليهما ، فقالا : مات المرقش ، ونظر حرملة إلى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الأبيات ، فدعاهما وخوفهما ، وأمرهما أن يصدقاه ، فأخبراه الخبر ، فقتلهما . وكان العقيلى قد وصف له الموضع ، فركب فى طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره وعرف أن مرقشا كان فى الكهف ، ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه ، وأقبل

(١) فى الأغانى « أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا » ويفرط : يقدم ، يريد لعل انتظاركما يقدم عنكما مكروها .

(٢) فى الأغانى « يا راكبا إما عرضت » ومثله فى الشعراء

(٣) فى الأصل « أن يفلت العقلى حتى يقتلا » وليس بشىء وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وفى الشعراء « إن أفلت الغفلى »

(٤) زاد صاحب المفضليات بين هذا البيت والذى بعده بيتا ، وهو قوله :

ذهب السباع بأنفه فتركنه   أعثى عليه بالجبال وجيئلا

ويعنى بالأعثى الضبعان وهو ذكر الضباع ، والجيئل : انثى الضباع

رائحيها إليها ، فلما بَصُر به قال له : من أنت؟ وما شأنك؟ فقال له مرقّش: أنا رجل من مراد . وقال له : فراعى من أنت ؟ قال : راعى فلان ، فاذا هو راعى زوج أسماء ، فقال له مرقش : أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتها كلّ ليلة فأحلب لها عنزا فتأتيها بلبنها ، فقال له : خذ خاتمى هذا ، فاذا حلبت فألقه فى اللبن فانها ستعرفه وإنكَ مصيبٌ به خيراً لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك ، فأخذ الراعى الخاتم وفعل ذلك ، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته ؟ وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيَّتها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ماهذا الخاتم ؟ قالت : مالى به علم ، فأرسلتها إلى مولاها وهو فى شَرَفٍ بنجران[1] فأقبل فزعاً ، فقال لها : لم دعوتنى ؟ فقالت له : ادع عبدك راعى غنمك ، فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم . فقال : وجدته مع رجل فى كهف خبان[2] ، وقال لى : اطرحه فى اللبن الذى تشربه أسماء فانك تصيب به خيراً ، وما أخبرنى مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رمق ، فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فاعجل الساعة فى طلبه ، فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وسارا حتى طرقاه من ليلتهما ، فاحتملاه إلى أهليهما ، فمات عند أسماء ، فدفن فى أرض مراد .

وحدث التوزى[3] قال : كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبى بردة مجتمعين على شراب ، وكان حفص مرميا بالزندقة ، وكان أعمش أفطس

(١) فى المفضليات « وهو فى شرب بنجران » والشرب : جمع شارب

(٢) فى الأصل « خبار » وفى الأغانى « جبان » وصوابهما ما أثبتناه عن معجم البلدان وشرح المفضليات

(٣) فى المطبوعتين « التوزرى »

أغضف متبيج الوجه ، فجعل حفص يعيب شعر المرقش ويلحنه ، فأقبل عليه مساور(١) ، فقال [من الطويل] :

لقد كانَ في عينيك ياحفصُ شاغلٌ وأنفٍ كثيل العَوْد عما تتبعُ
تتبعْتَ لحناً في كلام مرقشٍ ووجهك مبنيٌّ على اللحن أجمعُ
فأذناك إقواء وأنفك مُكفأ وعيناك إيطاء فأنت المرقعُ

فقام حفص من المجلس خجلا وهجره مدة .

* * *

شاهد تشبيه التسوية

٨٩ — صُدغُ الحبيبِ وحالى كلاهما كالليـــالى

هو من المجتث ، ولا أعرف قائله .

والشاهد فيه : تشبيه التسوية ، وهو تعدد طرف المشبه ، وهو هنا الصدغ والحال ، دون المشبه به ، وهو الليالى .

ومثله قول أبي محمد المطرانى [من الوافر] :

مُهفهفةٌ لها نصفٌ قصيفٌ كخُوط البان فى نصف رداحِ(٢)
حكتْ لوناً وليناً واعتدالاً ولحظاً قاتلاً سُمْرَ الرِّماحِ

* * *

٩٠ — كأنما يبسمُ عن لؤلؤٍ مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

البيت للبحترى ، من قصيدة من السريع(٣) ، يمدح بها أبا نوح عيسى ابن إبراهيم ، أولها :

بات نديماً لىَ حتّى الصباحْ أغيدُ مجْدولُ مكان الوِشَاحْ
كأنما يضحكُ عن لؤلؤ منظّمٍ أو بردٍ أو أقاح

(١) الأبيات فى الأغانى (١٣ ـ ٨٧) منسوبة إلى حماد عجرد
(٢) كذا فى عامة أصول الكتاب ولعله « لها نصف قضيب »
(٣) اقرأها فى الديوان (١ ـ ١١٢)

هكذا وجدت البيت في ديوانه [١] :

تحسبه نشوان أنى رنا   للفتر من أجفانه وهو صاح [٢]
بت أفديه ولا أرعوي   لنهي ناه عنه أو لحي لاح
أمزج كأسي بجنى ريقه   وإنما أمزج راحاً براح
يساقط الورد علينا وقد   تبلج الصبح نسيم الرياح
أغضيت عن بعض الذي يتقى   من حرج في حبه أو جناح
سحر العيون النجل مستهلك   لبي وتوريد الخدود الملاح

والمنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوان ، وهو ورد له نور .

والشاهد فيه : تعدد طرف المشبه به ـ وهو هنا اللؤلؤ والبرد والأقاح ـ دون المشبه ، وهو الثغر

وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريري [من البسيط] :

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد   وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

ومثل البيت المستشهد به قول امرىء القيس [من المتقارب] :

كأن المدام وصوب الغمام   وريح الخزامى ونشر العطر
* يعل به برد أنيابها   إذا غرد الطائر المستحر *

ومن محاسن تعدد التشبيه قول الصاحب ابن عباد ، في وصف أبيات أهديت إليه [من المتقارب] :

أتتني بالأمس أبياته   تعلل روحي بروح الجنان

---

(١) وكذلك هو في نسخ الديوان التي بين يدي

(٢) الذي في الديوان « إمارنا » وهي أفضل مما هنا

كبُرْد الشباب وبَرْد الشراب وظلِّ الأمان ونَيْل الأمانى
وعهد الصِّبا ونسيم الصَّبا وصفْو الدِّنان ورَجْع القِيان

وقول الثعالبى فى الأمير أبى الفضل الميكالى [من الكامل] :

لكَ فى المحاسن معجزاتٌ جَمَّةٌ أبداً لغيرك فى الورى لم تجمعِ
بحران بحرٌ فى البلاغة شابَهُ شِعرُ الوليد وحسنُ لفظ الأصمعى
كالنورِ أو كالسحرِ أو كالدُّرِّ أو كالوشى فى بُرْدٍ عليه مُوَشَّعِ

* * *

شاهد التشبيه المجمل

٩١ — صَدَفْتُ عنهُ ولم تَصْدِفْ مواهبهُ عنى ، وعاوَدَهُ ظنى فلم يخبِ
كالغيثِ إنْ جئته وافاكَ رَيِّقُهُ وإن ترحَّلْتَ عنهُ لجَّ فى الطلبِ

البيتان لأبى تمام ، من قصيدة من البسيط (١) يمدح بها الحسن بن رجاء ابن الضحاك ، أولها :

أبدَتْ أسىً أن رأتنى مُخْلَسَ القصبِ وآلَ ما كان من عُجْبٍ إلى عَجَبِ
ستٌّ وعشرونَ تدعونى فأتبعها إلى المشيبِ ولم تظلم ولم تحبِ (٢)
يَوْمى من الدهر مثلُ الدهر تجربةً حزماً وعزماً وساعى منه كالحِقَبِ (٣)
وأصغرى أنَّ شيباً لاحَ لى حدثاً وأكبرى أننى فى المهد لم أشبِ
ولا يؤرِّقْكِ إيماضُ القتير بهِ فانَّ ذاكَ ابتسامُ الرأى والأدبِ

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٥) وفيه أن الممدوح بها الحسن بن سهل
(٢) فى الأصل « ولم تخب » بالخاء معجمة ، وهو تصحيف ما أثبتناه ، و «لم تحب» بالحاء مهملة معناه لم تأثم ولم تذنب ، من الحوب وهو الإثم والذنب
(٣) في نسخ الديوان التى بين يدى
* يومى من الدهر مثل الدهر مشتهر *
والساع : جمع ساعة

يقول في مديحها .

ستصبحُ العيسُ بي والليل عندَ فتىً   كثير ذكرِ الرّضى في ساعة الغضب[1]

و بعده البيتان

ومعنى « صدفت » أعرضت ، ورَيِّق كل شيء : أوله وأصله ، والرواية في ديوان أبي تمام « مروءته » بدل « مواهبه »[2] ، و « كان » بدل « لج » .

وذكرت بقوله « فان ذاك ابتسامُ الرأى والأدب » قول أبي الحسن على بن طاهر بن منصور [من الخفيف] :

أعرَضَتْ حينَ أبصرَتْ شعراتٍ   في عِذَاري كأنهنَّ الثَّغَامُ

قلتُ : هذا تبسمُ الدّهرِ ، قالتْ :   قدسعى في صدُودِكَ الابتسامُ

والشاهد في البيتين : التشبيه المجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به ، فانه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض ، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه ، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه ، أعنى الافاضة في حالتى الطلب وعدمه ، وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه .

* * *

شاهد التشبيه المفصل

٩٢ — وثَغْرُه في صفَاءٍ   وأدْمُعِي كاللآلى

البيت من المجتث ، وهو كالبيت السابق .

والشاهد فيه : التشبيه المفصل ، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، وهو هنا الصفاء .

---

(١) في نسخة من الديوان

* ستصبح العيس في ذا الليل عند فتى *

(٢) في نسخة من الديوان « ولم تصدف مواهبه » وفي أخرى « ولم تصدف مودته » وفي كلتيهما « لج في الطلب »

شاهد تفصيل التشبيه

٩٣ — حَمَلْتُ رُدَيْنِياً كأنّ سنانَهُ سنَا لَهَبٍ لم يَتَّصِلْ بدُخانِ

البيت لامرىء القيس، من قصيدة (١) من الطويل، أولها:

لمنْ طللٌ أبصَرْتُهُ فشَجَانِي كخطّ زَبورٍ فى عسيبِ يمانى (٢)

دِيار لهنْدٍ والرّباب وفَرْتَنَى ليَالينا بالنَّعْفِ مِن بدَلانِ

ليالِيَ يدعونى الصبا فأجيبهُ وأعيُنُ مَنْ أهوى إلىّ رَوَانى (٣)

فإنْ أمْسِ مكرُوباً فيارُبّ بهمةٍ كشفتُ إذا ما اسودّ وجهُ جبان (٤)

وإن أمس مَكْرُوباً فيارُبّ قينةٍ مُنعمةٍ أعملتها بكِرَانِ (٥)

لهَا مِزْهرٌ يعلو الخميسَ بصوتهِ أجشّ إذَا مَا حرَّكتْهُ يدَانِ (٦)

وهى طويلة.

والرّدينى: الرمح، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة

والشاهد فيه: تفصيل التشبيه، وهو على وجوه، أعرفها أن يأخذ بعضاً من الأوصاف، ويَدَعَ بعضاً كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرّده.

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٨٦)

(٢) فى الديوان

* كخط الزبور فى العسيب اليمانى *

والزبور: الكتاب المزبور أى المكتوب، والمزبر، بزنة المنبر: القلم، والعسيب: سعف النخل

(٣) فى الديوان «يدعونى الهوى» وروانى: نواظر، جمع رانية

(٤) البهمة: الأمر المنبهم، أو الشجاع الذى ينبهم أمره على قرنه

(٥) الكران: عود الطرب

(٦) المزهر: العود، ويعلو: يغلب، والخميس: الجيش اللجب، وفى الديوان «حركته اليدان»

وذكرت بأبيات امرىء القيس هذه تضمين أبي الحسين الاشبيلي لبعضها وكان قد تناول من يد مُمَذّرٍ الأشعار الستة ، فأول ما وقعت عينه على قصيدة امرىء القيس هذه ، قال [من الطويل] :

وذى صَلَفٍ خطَّ العذارُ بخده ... كخطّ زَبورٍ فى عسيبِ يمانى
فقلتُ له مستفهماً كُنْهَ حالهِ ... لمنْ طللٌ أبصرته فشجانى
فقالَ ولم يملك عِزاءً لنفسهِ ... تمتع من الدنيا فإنك فانى
فما كانَ إلا برْهةً إذ رأيتُهُ ... كتيسِ ظباء الحُلبِ العَدَوانِ(١)

* * *

شاهد التصرف فى التشبيه المبتذل

٩٤ — لم تَلْقَ هذا الوَجْهَ شمسُ نَهارِنا ... إلَّا بوجهٍ ليسَ فيهِ حياءُ

البيت للمتنبي، من قصيدة(٢) من الكامل يمدح بها هارون بن عبد العزيز الأوارجي ، وأولها :

أمنَ ازدِيارَكِ فى الدُّجى الرُّقباءُ ... إذْ حيْثُ كنتِ منَ الظلامِ ضياءُ
قلق المليحة وهى مسك هتكها ... ومَسيرُها فى الليل وهىَ ذُكاءُ
أسَفى على أسَفى الذى دَلَّهْتِنى ... عن علمه فبهِ علىَّ خفاءُ
وشَكيتى فقدُ السَّقام لأنهُ ... قد كانَ لمّا كان لى أعضَاءُ
مَثَّلت عَينكِ فى حَشَاىَ جراحةً ... فتشابها كلتاهما نَجْلاءُ
نَفَذَتْ علىَّ السابرىَّ وربما ... تندق فيه الصَّعْدة السمراءُ(٣)
أناصَخْرَةُ الوادى إذا ما زُوحِمَتْ ... فاذا نَطَقْتُ فإننى الجوْزاءُ

(١) الحلب — بزنة سكر — نبات تأكله الوحوش فتضمر عليه بطونها ، وفى الأصل « الحلب والمدوان » ، والعدوان : الجرىء .

(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ١٢)

(٣) السابرى : الدرع الحصينة ، والصعدة : القناة المعتدلة

وإذا خَفِيتُ على الغَبِيِّ فَعاذِرٌ أن لا تَرانِيَ مُقْلَةٌ عَمياء

ومنها :

فإذا سُئِلْتَ فلا لأنكَ مُحوجٌ وإذا كُتِمت وشَتْ بك الآلاء

وإذا مُدِحتَ فلا لتَكسِبَ رفعةً للشاكرِينَ على الإلهِ ثَناء

وإذا مُطِرتَ فلا لأنكَ مُجدِبٌ يُسْقَى الخصيبُ وتُمطر الدَّأْماء

والشاهد فى البيت : التصرف فى التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريبا ويخرجه عن الابتذال ، فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل ، لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال إلى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ، ثم إن كان قوله « لم تلق » من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح ، وإن كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبىء عن التشبيه : أى لم تقابله ولم تعارضه فى الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء .

ومثله قول الآخر [1] [من البسيط] :

إن السَّحابَ لتَسْتَحْيِى إذا نَظَرَت إلى نَدَاكَ فَقاسته بما فيها

***

٩٥ — عَزَماتُه مِثْلُ النُّجوم ثَواقِباً لو لم يكن للثاقِبَاتِ أُفُولُ

شاهد التشبيه المشروط

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من قصيدة من الكامل .

والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المرتفع على النجوم ، والأفول : الغيبة .

والشاهد فيه : كما فى البيت الذى قبله ، فان تشبيه العزم بالنجم مبتذل ، لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة ، ويسمى هذا التشبيه المشروط ، وهو

(١) البيت لأبى نواس . وذكره العكبرى فى شرح ديوان المتنبى عند الكلام على البيت المستشهد به .

أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام.

وسيأتى ذكر الوطواط فى شواهد التفريق، إن شاء الله تعالى.

* * *

٩٦ — وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بالغُصُونِ وقَدْ جَرَى ذَهَبُ الأَصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ

شاهد التشبيه المؤكد

البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

وعبث الريح بالغصون عبارة عن إمالتها إياها، والأصيل: هو الوقت من بعد العصر إلى الغروب، ويوصف بالصفرة، قال الشاعر [من الطويل]:

ورُبَّ نهارٍ للفراق أصيلُهُ ووجهى كلا لونيهما متناسبُ

وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فيه [من الوافر]:

أبيات فى وصف الأصيل والأنهار

كأنَّ الموج فى عُبْرَيْهِ تُرْسٌ تُذَهِّبُ مَتْنَهُ كفُّ الأصيل

وقوله أيضاً [من الطويل]:

فجَدْوله فى سَرْحَةِ الماء مُنْصُلٌ ولكنه فى الجذع عطفُ سِوارِ

وأمْوَاجُهُ أردافُ غيدٍ نواعمٍ تَلَفَّفْنَ بالآصال رَيْطَ نُضَارِ

ومثله لابن الأبّار [من الطويل]:

ونهرٍ كماذابَتْ سبائكُ فضةٍ حكى بمَحَانيه انعطافَ الأراقِمِ

إذا الشَّفَقُ استولى عليه احمرارُهُ تَبَدَّى خضيباً مثل دامى الصَّوارم

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الأصيل [من مجزوء الكامل]:

والشمس فى وقتِ الأصيل بهارةٌ لُفَّتْ بوَرْدِ

وله أيضاً فى معنى ما سبق [من المتقارب]:

كأن الشعاعَ على متنه فِرِندٌ بصفحة سيفٍ صَدِى

وأشْبَهَ إذ درَّجَتْه الصَّبا   بُرادَةَ تِبْرٍ على مِبْرَدِ

ومن بديع ما وقع لشاعر فى وصف نهر جَعَّده النسيم قول ابن حمديس وقد جلس فى متنزه باشبيلية ومعه جماعة من الأدباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت من الماء حبكا جميلة فأنشد [من الرمل] :

* حاكتِ الرِّيحُ من الماء زردْ *

واستجاز الحاضرين ، فأتوا بما لم يَرْضَ ، إلى أن قال الشاعر المشهور بالحجام مجيزاً له :

* هُوَ دِرْعٌ لقِتَالٍ لوْ جَمَدْ *

ومن الأندلسيين من ينسب هذا البيت إلى أبى القاسم بن عباد .

ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه وهو [من الرمل] :

نَشَرَ الجوُّ على التُّرْبِ بَرَدْ   هو درٌّ لنُحُورٍ لو جَمَدْ

لؤلؤ أصْدَافُهُ السُّحْبُ التى   أنجز البارقُ فيها ما وعدْ

ومن بديع ما وقع له فيها من التشبيه أيضاً قوله [من الرمل] :

وكأن الصبحَ كفٌّ حَلَّلَتْ   من ظلام الليل بالنور عُقَدْ

وكأن الشمس تجرى ذهبا   طائراً من جيده فى كل يد

ومن بديع ما يذكر فى معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفتل القرطبى ، أو ابن الحداد [من الكامل] :

إنى أرى شمس الأصيل عليلةً   ترتاد من بين المغارب مَغْرِبَا

مالت لتحجُبَ شخصها فكأنها   مَدَّتْ على الدنيا بساطا مُذْهَبَا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبى [من الطويل] :

وما ذَهَبَتْ شمسُ الأصيل عشيةً إلى الغرب حتى ذَهَّبَتْ فِضَّةَ النهرِ

وما أبدع قول الآخر أيضا [من الطويل] :

ونهرٍ إذا ما الشمسُ حانَ غروبُها عليهِ ولاحت فى ملابسها الصفرِ

رأينا الذى أبقتْ به من شعاعها كأنا أرقْنَا فيه كأسًا من الخمرِ

وقول إبراهيم بن خفاجة أيضا [من المتقارب] :

وقدْ غَشِيَ النبتُ بطحاءهُ كبدو العذارِ بخدٍّ أسيلِ

وقد ولَّتِ الشمسُ مُحْتَثَّةً إلى الغرب ترنو بطرْفٍ كحيلِ

كأنّ سناهَا على نهرهِ بقايا نجيعٍ بسيفٍ صقيلِ

وبديعٌ أيضا قول ابن سارة هنا [من الكامل] :

النهرُ قدْ رقّتْ غلالةُ صفوه وعليه من صِبْغ الأصيل طرازُ

تترقرقُ الأمواجُ فيه كأنها عُكَنُ الخصور تهزها الأعجازُ

وما أعذب قول الحسن بن سراج فيه [من الكامل] :

عمرى أبا حسنٍ لقد جئتَ التى عطفَتْ عليكَ ملامةَ الاخوانِ

لما رأيتُ اليومَ ولّى عمرهُ والليل مقتبلُ الشبيبة دانى

والشمسُ تنفضُ زعفرانًا بالرُّبا وتفتُّ مسكتها على الغيطان

أطلعتها شمسا وأنتَ صباحها وحففتها بكواكب الندمان

وأتيت بدْعاً فى الأنام مخلداً فيما قرنتَ ولاتَ حين قرانِ

وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضا [من البسيط] :

لو كنتَ تشهدُ يا هذا عشيّتنا والمزنُ يسكبُ أحيانا وينحدرُ

والأرضُ مصفرةٌ بالمزن كاسيةٌ أبصرتَ تبرًا عليه الدُّرُّ ينتثرُ

وبديع أيضا قول أبى العلاء المعرى [من الخفيف] :

ثمَّ شابَ الدُّجى وَخافَ من الهَجـــرِ فغطى المشيبَ بالزعفرانِ

وقول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من الكامل] :

لو كنتَ شاهدنا عشية أُنسها والمزنُ يبكينا بعينَيْ مُذْنبِ

والشمسُ قدمدّتْ أديمَ شعاعها في الأرض تجنحُ غيرَ أنْ لم تذهبِ

خلتَ الرذاذَ بُرادةً من فضةٍ قد غربلتْ من فوق نطعٍ مذهبِ

ولابن حمديس في وصف نهر ألقت الشمس عليه حمرتها عند الشروق من أبيات [من البسيط] :

ومشرقٍ بكيمياء الشمس في يده ففضةُ الماء من إلقائها ذَهبُ

ومثله أيضًا قول أبي العلاء المعري [من الطويل] :

يُظَنُّ به ذوبُ اللجين فإنْ بدَتْ له الشمسُ أُجرتْ فوقَهُ ذوبَ عسجدِ

و بديع قول الشريف أبي القاسم شارح مقصورة حازم [من الكامل] :

وغريبةِ الانشاء سرنا فوقها والبحرُ يسكن تارةً ويموجُ

عُجنا بها نؤمُّ معاهدَ طالَما كرمَتْ فعاج الحسنُ حين تعوجُ

وامتدَّ من شمس الأصيل أمامنا نورٌ له مرأى هنالكَ بهيجُ

فكأنّ ماء البحر ذائبُ فضةٍ قد سالَ فيه من النضار خليجُ

وبديع قول ابن العطار ، وهو في معنى قول ابن حمديس السابق ، وهو [من الطويل] :

مررْنا بشاطي النهر بينَ حدائقٍ بها حدقُ الأزهار تستوقف الحدقْ

وقد نسجت كفُّ النسيم مفاضةً عليه وما غيرُ الحباب لها حلقْ

وقوله أيضا [من الخفيف] :

هبَّتِ الريح بالعشيِّ فحاكتْ زَرَداً للغدير ناهيكَ جُنَّهْ

فانجلى البَدْر بعد هَدْء فصاغتْ كفه للقتال فيه أسِنّهْ

والشاهد فى البيت : حذف أداة التشبيه ، ويسمى التشبيه المؤكد ، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب وبياض الماء وصفائه باللجين ، وهو الفضة .

تشبيهات منوعة من غير أداة

ومن محاسن التشبيه من غير أداته قول الوأواء الدمشقى [من البسيط] :

قالوا وقد فتكتْ فينا لواحظُها مهلاً أما لقتيل الحب من قَوَدِ

وأسبلَتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ وَرْداً وعضّتْ على العُنّاب بالبردِ

ومثله قول الحريرى [من البسيط] :

سألتها حين زَارتْ نَضْوَ برقعها الـــقانى وإيداعَ سمعى أطيب الخبرِ

فزحزَحت شفقاً غشّى سنا قمرٍ وساقطتْ لؤلؤا من خاتم عَطِرِ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وأقبلت يوم جد البين فى حُللٍ سودٍ تَعَضُّ بنان النادم الحَصِرِ

فلاحَ ليلٌ على صبحٍ أقلّهما غصنٌ وضَرّست البلّورَ بالدُّررِ

وقول الغزى الشاعر [من البسيط] :

وما نسيتُ وما أنسى تبسُّمَها وملبسُ الجوّ غفلٌ غيرُ ذى علمِ

حتى إذا طاح عنها المِرْط من دَهَشٍ وانحلّ بالضم عقدُ السلك فى الظلم

تبسمتْ فأضاء الجوّ فالتقطتْ حبّات منتثر فى ضوء منتظم

وقول أبى طالب المأمونى [من الكامل] :

عزماتهم قُضُبٌ ، وفيضُ أكفهم سحبٌ ، وبِيضُ وجوههم أقمارُ

وقول صَرَّ دُرّ [من البسيط] :

الباذلى العرفِ والأنواء باخلةٌ والمانعى الجارِ والأعمارُ تُخْتَرمُ

حيث الدجى النقع والفجر الصوارمُ والـ أسْدُ الفوارس والخطّيّةُ الأجَمُ

وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة فى شبل الدولة بن صالح لما هزَم ملك الروم [من الكامل] :

لبسوا درُوعا من ظباكَ تقيهمُ كانت عليهم للحتوف شِباكا

نالت بك العربُ الغنى من مالهم وتقاسمت أتراكك الأتراكا

لو لم يَفِرّ جعلت صفحة خده نعلا وقوسَىْ حاجبيه شِراكا

أردت البيت الأخير ، ومنه قول أبى حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ومعسولِ الشمائل قامَ يسعى وفى يده رحيقٌ كالحريق

فأسقانى عقيقاً حَشْوَ درّ ونقّلنى بدُرٍّ فى عقيقِ

وما أبدع قول أبى الحسن العقيلى [من البسيط] :

وللأقاحى قصورٌ كلها ذَهبٌ من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرَرُ

ولنذكر هنا طرفا من التشبيهات على اختلاف أنواعها ، وغريب أسلوبها واختراعها ، فمن ذلك قول منصور بن كيغلغ ، وهو [من الكامل] :

طرف من التشبيهات المختلفة الانواع

عادَ الزمانُ بمن هويتُ فأعتبا ياصاحبىّ فأسقيانى واشربا

كم ليلةٍ سامرتُ فيها بدرَها مِن فوق دِجلةَ قبلَ أن يتغيبَا

قامَ الغلامُ يُديرها فى كفهِ فحسبت بدر التم يحمل كوكبا

والبدر يجنح للغروب كأنه قد سلّ فوق الماء سيْفاً مُذْهبَا

وأحسن ما سمع فى هذا المعنى قول التنوخى [من الكامل] :

أحسنْ بدجلةَ والدُّجى متصوبٌ والبدر فى أُفق السماء يغرب

فكأنها فيهِ بِساطٌ أزرقٌ وكأنه فِيها طِرَازٌ مُذْهَبُ

ولأبى فراس فى وصف الجلنار [من مجزوء الرجز] :

وجلنَارٍ مُشْرق عَلى أعالِى شَجَرهْ

كأنَّ في رُؤوسه أحمرهُ وأصفرهْ
قُراضةً من ذهبٍ في خِرَقٍ مُعَصفرَهْ

ولأبي الفرج الببَّغاء في وصف كانون نار من أبيات، وتُعزَى إلى السريّ الرفاء [من المتقارب] :

وذى أربعٍ لا يُطيقُ النهوض ولا يألفُ السَّيْرَ فيمَن سَرَى
تُحمِّلُهُ سَبجاً أسوداً فيَجعلُهُ ذهبـاً أحمرا

وله في معناه أيضا [من مجزوء الوافر] :

وأحدقنا بأزْهَرَ خا فِقاتٍ حَوْله العَذَبُ
فما يَنفكّ عَنْ سَبَجٍ يعودُ كأنه ذَهبُ

وله فيه أيضا [من المنسرح] :

والتَهبَتْ نارُنا فمنظَرُها يُغنيك عن كُلّ منظَرٍ عجبِ
إذا رَمَت بالشَّرارِ واضطرَمتْ على ذرَاها مطارفُ اللهَبِ
رأيتَ ياقوتَةً مُشبكَةً تَطيرُ منها قُراضةُ الذَّهبِ

ولأبي محمد الخالديّ في معناه [من المنسرح] :

ومُقعدٍ لا حِراكَ يُنهضُه وهْو على أربع قد انتصبـا
مُصفرٍّ مُحْرق تنفُّسُه تخالُه العيْنُ عاشـقاً وصِبا
إذا نَظمْنا في جيـدِهِ سَبَجاً صيَّرهُ بَعـد ساعةٍ ذهبا

ولأبي بكر(١) الخالديّ في وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طوَى الظَّلامُ البنودَ مُنصَرِفاً حين رأى الفَجْرَ يَنشُرُ العذَبا
والليلُ مِن فتْكَةِ الصّباحِ به كَراهبٍ شق جيْبَهُ طَرَبا

وللسريّ الرفاء في مثله [من المنسرح] :

---

(١) كذا، وقد ذكره أولا بكنية « أبي محمد »

كراهبٍ جُنَّ لِلْهوى طَرباً فَشقّ جلبَابهُ مِنَ الطّربِ

وله فى معناه أيضاً [من السريع] :

والفَجْرُ كالرّاهِب قد مُزِّقتْ من طَرَب عَنْهُ الجلاَبيبُ

وما أحسن قول ابن حيان الـكاتب أيضا [من المنسرح] :

كأنمـا الفَحْمُ والزنادُ وما تفعله النّارُ فيهما لهبَا

شيْخٌ مِنَ الزّنْج شابَ مَفْرِقهُ عَليْه دِرْعٌ مَنْسُوجة ذهبَا

وقول مجير الدين بن تميم [من الـكامل] :

وكأنما النّارُ التى قد أُوقِدَت ما بيننَا ولَهِيبُها المُتَضرِّمُ

سَوداءُ أُحرِقَ قلبُها فلسانُهَا بسفاهةٍ لِلحَاضرين يُكلِّمُ

وقوله أيضاً [من المنسرح] :

كأنما نارُنا وقد خَمِدَتْ وجَمْرها بالرّمادِ مَستُورُ

دَمٌ جرَى مِنْ فواختٍ ذُبِحَتْ من فوقها رِيشُهنّ منشُور

وقوله أيضاً [من المنسرح] :

كأنمـا النّار فى تلهّبِهـا والفَحْمُ مِنْ فَوْقها يغطّيها

زَنجيّة شبّكتْ أناملَهَا من فوق نارنْجةٍ لتخفيها

وقول الآخر [من مخلع البسيط] :

كأنَّ كانونَنَا سَماءٌ والجمر فى وَسْطِهِ نجُوم

ونَحْن جِنٌّ بجانِبَيْه والشَّرَر الطائِرُ الرُّجُومُ

و بديع أيضاً قول ابن مكنسة [من المنسرح] :

إبْريقنَا عاكِف على قدحٍ كَأنّهُ الأُمُّ تُرضِع الوَلدَا

أو عابد مِنْ بَنى المجوس إذا توَهّمَ الـكأسَ شُعلةً سَجَدَا

وفى معنى البيت الثانى قول القاضى أبى الفتح بن قادوس [من البسيط] :

وليلةٍ كاغتماض الجفْن قصَّرها وصْلُ الحبيب ولم تَقْصُر عن الأمل
وكلّما رام نطقاً فى مُعاتبتى سددْت فاه بنظم اللّثْم والقُبل
وبات بَدْر تمام الحسْن مُعْتنقى والشمْس فى فلكِ الكاسات لم تفل
فبتُّ مِنْها أرى النّار التى سَجَدت لها المجوسُ مِن الأبريق تسْجدُ لى

ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حمديس من أبيات [من الكامل] :

حمراء تَشْرَبُ بالأنوفِ سلافها لطْفاً مع الأسماع والأحداق
بزُجاجةٍ صُوَرُ الفوارس نَقشها فترى لها حرباً بكفّ السّاقى
وكأنما سفكتْ صوارمُها دماً لبستْ به عرقاً إلى الأعناق
وكأنّ لِلْكاسات ِحُمْر غلائلٍ أزْرارها دُرَرٌ على الأطواق

وما أحسن قول ابن عطية أيضاً [من السريع] :

بتنا نُديرُ الرّاح فى شاهق ليلاً على نَغْمةِ عودَين
والنّار فى الأرض التى دوننا مثْلُ نجوم الجوِّ فى العيْن
فيا له مِنْ مَنظَر مونق كأننا بيْنَ سماءيْن

وما أحسن قول الخالدىّ من قصيدة أولها [من الكامل] :

لو أشْرَقتْ لك شمْسُ ذاك الهوْدجِ لأرَتكَ سالفَتى غزال أدْعج
أرْعَى النجومَ كأنّها فى أفْقِها زَهرُ الأقاحى فى رياض بنفْسج
والمُشْتَرى وسْط السّماءِ تَخالُهُ وسَناهُ مِثْلُ الزئبق المترجرج
مِسْمارَ تِبْرٍ أصفَر ركّبتَهُ فى فَصّ خاتم فِضةٍ فيْرُوزَج
وتمايلُ الجوْزاءِ يحْكى فى الدُّجى ميلانَ شاربِ قَهوةٍ لم تُمْزَج
وتنقّبت بخفيفِ غيْم أبْيض هِىَ فيهِ بين تخفّرٍ وتبرّج

كتنفس الحسناء فى المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه بديع لم يسبق إليه. ومثله قول أبي حفص بن برد [من الكامل]:

والبدر كالمرآة غير صقلها عيث الغوانى فيه بالأنفاس

وقول ابن طباطبا العلوى [من الوافر]:

متى أبصرت شمساً تحت غيم ترى المرآة فى كف الحسود

يقابلها فيلبسها غشاء بأنفاس تزايد فى الصعود

وللخالدى فى وصف النجوم [من المنسرح]:

كأنما أنجم السماء لمن يرمقها والظلام منطبق

مال بخيل يظل يجمعه من كل وجه فليس يفترق

ولأخيه أبي عثمان الخالدى فى وصف النجوم أيضا [من مجزوء الرجز]

وليلة ليلاء فى اللون كلون المفرق

كأنما نجومها فى مغرب ومشرق

دراهم منثورة على بساط أزرق

ومن التشبيه النفيس قول ابن حمديس فى وصف خضاب الشيب [من الخفيف]:

وكأن الخضاب دهمة ليل تحته للمشيب غرة صبح

وقوله أيضاً فى تشبيه العذار من أبيات [من المنسرح]:

أو دب بالحسن فوق عارضه نمل أصاب المداد أرجلها

وقوله أيضا فى وصف الشمعة [من السريع]:

كأنها راقصة بيننا لم تنتقل بالرقص منها قدم

قائمة في ملبسٍ أصفرٍ　　قد حرّكت منه لنا قرْدكمْ

وبديع قوله أيضا في وصف الشيب [من مخلع البسيط] :

ولّى شبابي وراع شيبي　　منيَ سربُ المها وفضَّهْ
كأنما المُشْطُ في يميني　　يجرُّ منهُ خيوطَ فضَّهْ

وللوأواء الدمشقي [من الكامل] :

ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنهُ صباحهُ　　وكأنَّه بك خطرَة المتذكِّر
والبدْرُ أوّلَ ما بدا متلثّماً　　يبدِي الضياء لنا بخدٍّ مُسْفِر
فكأنما هوَ خوذةٌ من فضةٍ　　قد ركّبتْ في هامةٍ من عنبرِ

ولأبي طالب الرفاء في وصف أترجة مقنعة [من الرجز] :

مُصفرَّةُ الظاهر بيضاء الحشى　　أبدعَ في صنعتها ربُّ السما
كأنها كفُّ مُحِبٍّ دنِفٍ　　مبعَّد يحسُب أيام الجفا

ولابن لنكك البصري [من الوافر] :

وروْضٍ عبقريّ الوشي غضٍّ　　يُشَا كل حين زُخرِفَ بالشَّقيق
سماءُ زبرْجدٍ خضْراء فيها　　نجومٌ طالِعاتٌ من عقيقِ

وللنفري الكاتب في الباقلاء الأخضر [من الوافر] :

فُصُوصُ زبرجد في غلفِ دُرٍّ　　بأقماعٍ حكت تقليمَ ظُفْرِ
وقد صاغَ الإله لها ثياباً　　لها لوْنانِ من بيضٍ وخُضْرِ

ولعبدان الخوذي في قينة [من الطويل] :

لنا قينةٌ تحمي من الشُّرْب شرْبَنا　　فقد أمِنوا سكراً وخوْفَ خُمارِ
تكشّرُ عن أنيابها في غنائها　　فتحكي حماراً شمَّ بوْلَ حمارِ

وما ألطف قول عبد الله بن النطاح في أحدب [من الكامل] :

وقصيرٍ قد جمّعت أعضاؤهُ ليكونَ في باب الخلاعة أطبعا
قصُرت أخادعُهُ وغاصَ قذالهُ فكأنهُ متوقعٌ أن يُصفعا
وكأنه قد ذاقَ أوّلَ صفعةٍ وأحسَّ ثانيةً لها فتجمّعا

وبديع قول السراج الحار يهجو امرأة سوداءزامرة [من الكامل]:

ولربَّ زامرةٍ تهيج بزمرها ريحَ البطونِ فليتها لم تزمرِ
شبّهتُ أنملها على صرنابها وقبيح مبسمها الشنيع الأبخرِ
بخنافسٍ قصدت كنيفاً واغتدت تسعى إليه على خيارِ الشنبرِ

وهو من قول الأول يهجو زامراً أسود أيضاً [من الرجز]:

فكأنها في حالةِ العيانِ خنافس دبت على ثعبانِ

وقول محمد بن الحسن المصرى الكاتب [من السريع]:

رأيت يحيى إذ أفادَ الغنى هاجَ به ذكر ووسواس
كأنه كلب على جيفةٍ يخاف أن يطرده الناس

وقول البسامى فى رجل لبس خلعة تطول عليه ويقصر عنها [من السريع]

كأنه لما بدا طالعاً في خلعة يقصر عن لبسها
جاريةٌ رعناء قد قدّرت ثياب مولاها على نفسها

ولطيف قول ابن قلاقس فى عواد اسمه حسن [من الكامل]:

حسن ملاوى عوده مهما تناولهُ مساوى
وكأنه إن جسّهُ من بعدِ تحريرِ الملاوى
كلبٌ تجاذبُ كفّهُ أنشوطةً والكلب عاوى

ولأبى طالب المأمونى فى رمانة تفت [من السريع]:

رمانةٌ ما زلت مستخرجاً في الجام من حقتها جوهرا

فالجام أرض و بنانى حياً يُمْطر منها ذهباً أحمرا

وللصادح بالحق الواثق وأجاد [من السريع] :

وليلةٍ شاب بها المفرقُ بل جمّمَ الناظر والمنطقُ

كأنما فحمُ الغضا بيننا والنار فيه ذهبٌ محرق

أو سبج فى ذهب أحمر بينهما لينوفر أزرق

وللامام أبى عامر التميمى رحمه الله تعالى [من الرجز] :

يارُب كَوْماء خَضَبْتُ نَحْرَها بمدية مثل القضاء السابق

كأنها والدمُ حبس حولها سَوْسَنة زرقاء فى شقائقِ

وله فى وصف الرمان [من الطويل] :

خذوا صفة الرُّمان عنى فانّ لى لساناً عن الأوصاف غيرَ قصيرِ

حِقَاق كأمثالِ الكُرات تضمنت فصوصَ بلخش فى غشاء حرير

وله فى النرجس [من الكامل] :

يانرجسا لم تَعْدُ قامتُه سهم الزمرذ حين تنتسب

فرصافُهُ عظم وقدَّته قطع اللجين وفوقه ذهب

ولأبى منصور البغوى رحمه الله تعالى [من الطويل] :

تراءت لنا من خدْرِها بسوالفٍ كما لاحَ بدرٌ من خلالِ سحابِ

وهزّ الصبا صدغاً لها فوقَ خدّها كما روَّحت نارٌ بريش غرابِ

ولنصر بن يسار المروزى فى تفاحة معضوضة [من الكامل] :

تفاحة قد عضّها قمر عمداً ومسّك موضع العضّه

وكأن عضّته ممسكة صدغ أحاط بوجنةٍ غضه

وكأنما نونان قد كتبا بالمسك فى كرةٍ من الفضه

وله أيضاً [من الكامل] :

وبدا لنا بدر الدجى والليل قد ... شمل الأنام بفاضل الجلباب

غطى الكسوف عليه إلا لمعةً ... فكأنه حسناء تحت نقاب

وله فى النرجس [من الرجز] :

ونرجسٍ غادرنى ... مابين عُجْبٍ وعَجَبْ

كطبقٍ من فضةٍ ... عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن إبراهيم بن بليطة [من المنسرح] :

أحبب بنَوْر الأقاح نوّارا ... عسجده فى لُجينه حارا

كأن ماأصفرَّ من مُوَسَّطه ... عليلُ قوم أتوه زوّارا

كأن مُبْيَضَّه صقالبة ... كانوا مجوساً فاستقبلوا نارا

كأنه ثغر مَنْ هَوِيت وقد ... وضعت فيه بفِيّ دينارا

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

كأن شمعته من فضةٍ حُرِست ... خوف الوقوع بمسمارٍ من الذهب

وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

والأقحوانة تحكى ثَغْر غانيةٍ ... تبسمت فيه من عُجْبٍ ومن عَجَب

كشمسة من لجيْن فى زبرجدة ... قد شرفت تحت مسمار من الذهب

وللشقائق جَمْر فى جوانبها ... بقيةُ الفحم لم تستره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر فى الورد [من البسيط] :

أما ترى شجرات الورد مظهرة ... منها بدائع قد رُكبن فى قضب

أوراقها حمر أوساطها جمم ... صفر ومن حولها خضر من الشطب

كأنهن يواقيت يطيف بها ... زمرّد وسطه شذر من الذهب

ولأبى الحكم مالك بن المرحل يصف قِصَرَ الليل ، وأجاد [من الكامل] :

وعشيةٍ سبق الصباحُ عشاءها قِصَراً فما أمسيت حتى أسفرا
مسكيَّة لبست حُلًى ذهبيــةً وجــلا تبسُّمُها نقــاباً أحمــرا
وكأن شُهْبَ الرجم بعضُ حُليها عثرت به من سرعةٍ فتــكسرا

وما أحسن قول صفوان بن إدريس من أبيات [من الكامل] :

والوردُ فى شطِّ الخليج كأنه رَمَــد ألَّم بمقلَةٍ زرقاء

وما ألطف قول بعضهم [من السريع] :

وشادنٍ أبصرتُه راكباً فى كفه جوكانه يلعب
كالبدرفوق البرق فى كفه هلالهُ والــكرة الــكوكب

ومثله قول الصفى الحلى ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من الكامل] :

ملك بروضٍ فوق طرف ضاربا كرةً بجوكان حناه ضِرابا
فــكأن بدراً فى سماء راكباً برْقاً يزحزح بالهلال شهابا

ومن بديع التشبيه قول الأستاذ على بن الحسن بن على بن سعد الخير فى دولاب [من الكامل] :

لله دولابٌ يفيضُ بسلسل فى روضة قد أينَعتْ أفنانا
قد طارحَتْهُ بها الحمائم شَجْوَها فيجيبها وَيرجِّع الألحانا
فــكأنه دَنِفٌ يدور بمعهدٍ يبكى ويسأل فيه عَمَّنْ بانا
ضاقت مجارى طَرْفه عن دمعه فتفتحت أضلاعــه أجفانا

وباب التشبيه واسع جــداً ، تضيق الطاقة عن حصره ، وهذا القدر كاف فيه .

شواهد الاستعاره

شاهد الاستعارة التحقيقية

٩٧ - لدى أسدٍ شاكى السلاح مُقَذَّفٍ

قائله زهير بن أبى سُلْمَى ، من قصيدته السابقة فى شواهد الايجاز ، وسيأتى كاملا فيها بعد[1] وقبله

لعمرى لنعمَ الحىُّ جرَّ عليهمُ ... بما لا يواتيهم حُصَيْنُ بن ضَمْضَمِ
وكان طوَى كشحاً على مُسْتكنةٍ ... فلا هوَ أبداها ولم يتقدَّمِ[2]
وقال سأقضِى مأربى ثم أتقى ... عدوّى بألفٍ من ورائىَ مُلجمِ[3]
فشدَّ ولم ينظر بيوتاً كثيرةً ... لدى حَيْثُ ألقتْ رَحْلها أمُّ قَشْعَمِ[4]

وبعده البيت ، والقصيدة طويلة يقول منها أيضاً :

سئمت تكاليفَ الحياة ومن يَعِشْ ... ثمانين عاماً لا أبالكَ يَسْأَمِ[5]
رأيت المنايا خَبْطَ عَشْواء من تُصِب ... تُمِتْهُ ومن تُخطىء يعمر فيهرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ ... وإن خالها تخفَى على الناس تُعلَمِ

وشاكى السلاح وشاكُه وشائكه : حديده ، والمقذف : الذى يقذف به كثيراً إلى الوقائع ، أو الذى رمى باللحم رميا .

والشاهد فيه : الاستعارة التحقيقية ، فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا .

---

(١) الشاهد صدر بيت ، وعجزه قوله

* له لبد أظفاره لم تقلم *

(٢) فى الأصول « على مستكينة » وفيها « ولم تتقدم » وأثبتنا ما فى ديوان زهير ، وحكى فى شرح الديوان رواية أخرى « ولم يتجمجم »

(٣) فى الديوان « سأقضى حاجتى »

(٤) في الديوان « فشد ولم يفزع » وحكى في الشرح أنه يروى ولم ينظر كما هنا

(٥) فى نسخ المعلقات والديوان « ثمانين حولا »

شاهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به

٩٨ — قامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

البيتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالهما فى غلام حسن قام على رأسه يظلله من الشمس[1]، وقال ابن النجار فى تاريخه : قرأت على إسماعيل بن سعد الله أنبأنا بكر بن على التاجر، قال : أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى الواعظ فى ولده أبى العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس ويظلله فقال :

قامت تظللنى من الشمس نفسٌ أعزُّ على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شَمْسٌ تظللنى من الشمس
لمَّا رَأَيْتُ الشمسَ بارزةً سترتُ عين الشمس بالْخَمْسِ
ثم استَعَنتُ على التى اختَلست منى الفؤاد بآيةِ الكرْسى

وقال ياقوت فى معجم الأدباء : كان أبو إسحاق الصابى واقفا بين يدى عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركى جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبها عنه، فقال للصابى : هل قلت شيئا يا إبراهيم ؟ فقال :

وَقَفتْ لتحجُبنى عن الشمس نفسٌ أعزُّ علىّ من نَفْسى
ظلَّتْ تظللنى ومن عجب شَمْسٌ تُغيِّبنى عن الشمس

فسُرَّ بذلك .

والشاهد فيهما : أن إطلاق المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به، وإذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة فى المشبه

---

(١) رواهما أبو منصور الثعالبى فى اليتيمة (٣–١٦٠) لابن العميد، وروى الثانى هكذا :

فأقول : واعجبا، ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

استعمالا فيما وضعت له ، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقى وجعله شمسا لما كان لهذا التعجب معنى ، إذ لا تعجب فى أن إنسانا حسنا يظلل إنسانا آخر .

وقريب من معنى البيتين ما حكى أن سيماء التركى غلام المعتصم كان أحسن تركى على وجه الأرض فى وقته ، وكان المعتصم لا يفارقه ولا يصبر عنه محبة له ووجدا به ، فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم إلى داره ، فأجلسه فى بيت على سقفه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيماء فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدى فقال : انظر ويلك إلى ضوء الشمس على وجه سيماء ، أرأيت أحسن من هذا قط ؟ وقد قلت [من السريع] :

قد طَلَعت شمسٌ على شَمْسِ وزَالَتِ الوحْشةُ بالأنْسِ

فأجز ، فقال اليزيدى بعده :

قد كُنْتُ أشْنا الشَّمْسَ من قبل ذا فصِرْتُ أرْتاحُ إلى الشمس (١)

قال : وفطن المعتصم فعض شفتيه لأحمد ، قال أحمد للمأمون : والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقعَنَّ منه فيما أكره ، فدعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم ، فقال له المأمون : كثر الله يا أخى فى غلمانك مثله .

ويقرب من هذا ما حكى أن المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية جلس يوما وبين يديه جارية تسقيه ، فخطف البرق ، فارتاعت منه ، فقال ابن عباد فى ذلك [من السريع] :

روَّعها البرقُ وفى كفِّها برقٌ من القَهْوَةِ لَمَّاعُ
عجبت منها وهْىَ شمس الضحى من مثل ما تحمل ترتاعُ

---

(١) أشنا : أصله أشنأ ــ مهموز الآخر ــ فسهلت الهمزة ، فصارت حرف مد من جنس حركة ما قبلها

ثم أنشد الأول لعبد الجليل بن وهبون المرسى واستجازه فقال :

ولَنْ ترى أعجب من آنسٍ من مثل ما يُمْسِكُ يرتاع

ترجمة ابن العميد

وابن العميد (١) هو: أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، قال فى حقه أبو منصور الثعالبى كان أوحد العصر فى الكتابة ، وكان يدعى الجاحظ الآخر ، والأستاذ والرئيس ، ويضرب به المثل فى البلاغة [وينتهى إليه فى الاشارة بالفصاحة والبراعة مع (٢)] حسن الترسل وجزاله الألفاظ وسلاستها ، مع براعة المعانى ونفاستها ، وما أحسن [وأصدق] ما قاله الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد أجرى ذكرهما معا (٢) أبو محمد [عبد الله بن أحمد] الخازن فى قصيدة مدح بها الصاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال [من البسيط] :

دعوا الأقاصيصَ والأنباء ناحيةً فما على ظهرها غير ابن عبَّادِ

والى بيانٍ متى يُطْلق أعنتّه يدَعْ لسان إيادٍ رهْنَ أقْيادِ (٣)

ومُورِدٌ كَلمَاتٍ عطّلَتْ زهراً على رياضٍ ودرًّا فوقَ أجْيادِ (٤)

وتاركٌ أولاً عبدَ الحميدِ بها وابنَ العميد أخيراً فى أبى جادِ

---

(١) تجد لأبى الفضل بن العميد ترجمة ضافية فى يتيمة الدهر للثعالبى (٣ - ١٣٧ - ١٦٢ مصر) وفى ابن خلكان (٢ - ٤٦٣)

(٢) زيادة عن يتيمة الدهر

(٣) أشار بلسان إياد إلى قس بن ساعدة الايادى خطيب العرب فى الجاهلية ومضرب المثل فى الفصاحة

(٤) فى الأصل « كلمات عطرت زهرا » وأثبتنا ما فى اليتيمة

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كَلاَلة ، بل كان كما قال ذو الرمة فى وصف صائد حاذق [من البسيط] :

* ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب *

لأن أباه أبا عبد الله الملقب بكله كان فى الرتبة الكبرى من الكتابة ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر ، وكان يحضر ديوان الرسائل فى محفة لسوء أثر النِّقْرِس فى قدمه ، وفيه يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب فى ديوانه إذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه [من الكامل] :

ياذا الذى رَكِبَ المحفَّـ ـةَ جامعاً فيها جهازهْ
أترى الإله يُعِيشُنى حتَّى يرينيها جنازهْ[1]

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته وتولى ديوان الرسائل ، فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل هذا فى حياة أبيه وبعد وفاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج إلى المعالى ، ويزداد فضلا وبراعة على الايام والليالى ، حتى بلغ ما بلغ واستقر فى الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدى فمدحه بتلك القصيدة المشهورة التى منها يقول [من الكامل] :

من مبلغ الأعرابِ أنِّىَ بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافنى من ينحر البِدَرَ النُّضار لمن قرى
وسمعتُ بطليموس دَارِسَ كتبهِ مُتملكاً متبدياً متحضرا[2]

(١) فى الأصول « الاله يغيثنى » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٢) فى الأصل « مارس كتبه » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة وديوان المتنبى ، وثلاثة الأبيات ليست متصلة فى الديوان

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما رَدَّ الإلهُ نفوسهم والأعصرا

ومنها :

نسقوا لنا نَسَقَ الحساب مقدماً وأتى فذلكَ إذ أتيت مؤخَّرا[١]

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ثمن تباعُ له القلوبُ وتشترى[٢]

قطفَ الرجالُ القولَ قبلَ نباته وقطفتَ أنتَ القول لما نوّرا

ومدحه الصاحب بن عباد بقصائد كثيرة استفرغ فيها جهده ، فمنها قوله فيه[٣] [من الخفيف] :

من لقلبٍ يهيم في كل وادى وقتيلٍ للحب من غير وادى

إنما أذكر الغوانيَ والمقصـ ـدُ سعدى تكثُّراً للسوادِ

وإذا ماصدقتُ فَهْيَ مرامى ومُرادى ورَوْضتى ومرادى[٤]

ونَدَى ابنِ العميد إنى عميدٌ من هواها أليةَ الأمجادِ

لوْ درَى الدّهرُ أنه من بنيهِ لازْدَرى قدرَسائر الأولاد

أورأى الناسُ كيف يهتزُّ للجو دِ لما عدّدوهُ فى الأطوادِ

---

(١) فى الأصل « وأتوا فدى لك » محرفا ، وماأثبتناه موافق لما فى الديوان قال الواحدى : معناه جمع لنا الفضلاء فى الزمان ، ومضوا متتابعين متقدمين عليك فى الوجود ، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم ، مثل الحساب يذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب فى آخر الحساب : فذلك كذا وكذا ، فيجمع فى الجملة ما يذكر فى التفصيل ، كذلك أنت جمع فيك ماتفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة .

(٢) في الديوان واليتيمة « ثمن تباع به القلوب »

(٣) الأبيات في اليتيمة (٣ ــ ١٤٠) ضمن ثلاثة عشر بيتا

(٤) في اليتيمة « ومنائي وروضتي » وما هنا أحسن

وله أيضا [(١)] [من الكامل] :

قالوا رَبيعك قد قَدِمْ   فلكَ البشارةُ بالنِّعَمْ
قلتُ الربيعُ أخو الشتا   ءِ أمِ الربيعُ أخو الكرمْ ؟
قالوا الذي بنواله   يُغْنِي المقلَّ من العَدَمْ
قلتُ الرئيسُ ابنُ العميـ   ـد إذاً فقالوا لي نعمْ

ولبعضهم [(٢)] فيه عند انتقاله إلى قصرٍ جديد قد بناهُ ، وهو مُستبدع [من البسيط] :

لا يعجبنَّكَ حسنُ القصر تنزلهُ   فضيلة الشمس ليستْ في منازلها
لو زِيدتِ الشمسُ في أبراجها مائةً   ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

وهذه نبذة من محاسن نثره :

فصل من رسالة كتب بها إلى أبي العلاء السروي - كتابي ، جعلني الله تعالى فداكَ ، وأنا في جد وتعب منذ فارقت شعبان ، وفي جهد ونصب من رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ومرتهن بتضاعف حرّ ، لو أن اللحم يَصْلَى ببعضه غريضا ، أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر ، يكاد أوراها يذيبُ دِماغ الضّبِّ ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنف [(٣)] ، ويزويهِ عن التنصر ، ويقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق .

ويترك الجأبَ في شغل عن الحقب   ويقدح النارَ بين الجلد والعصب

(١) أربعة الأبيات في اليتيمة (٣ - ١٤١)

(٢) البيتان في اليتيمة (٣ - ١٤٢) وقد نسبهما أبو منصور إلى أبي علي مسكويه.

(٣) في اليتيمة « عن التحنق » وفيها « ويزويه عن التبصر »

ويغادر الوحش قد مالتْ هواديها [من الطويل] :

سجوداً لدَى الأرطى كأنّ رؤسها عَلاَها صداعٌ أوفواقٌ يصورها

كما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليوم أتى دون الظلال شموسه تظل المها صُوراً جماجمُها تَفْلِي (١)

وكما قال مسكين الدارمى [من الطويل] :

وهاجِرَةٍ ظلت كأنّ ظباءها إذا ما اتقتها بالقُرون سجودُ

تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كمالاذَ من وَخْزِ السنان طريدُ

ومُمْنوٌ بأيام تحاكى ظل الرمح طولا ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كلاولا قلة ، وكحسو الطائر من الماء الثماد دقة ، وكتصفيقة الطائر المستحر خفة :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رَأَهاأقشعت وتجلت (٢)

وكنَقْر العصافير ، وهى خائفة من النواطير يانعَ العنب (٣) ، وأحمد الله تعالى على كل حال ، وأسأله أن يعرفنى بَرَكتَه ، ويلقينى الخير فى أيامه وخاتمته ، وأرغب إلى الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويردّ علىّ غرة شوال ، فهى أسرُّ سائر الغرر عندى ، وأقرها لعينى ، ويسمعنى النعرة فى قفا شهر رمضان ، ويعرض علىّ هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأضنى من قيس

---

(١) في اليتيمة « أتت دون الظلال شموسه » والبيت ليس في ديوان الفرزدق

(٢) فى اليتيمة « فلما رجوها »

(٣) هذه الجملة مأخوذة من لفظ بيت من المنسرح وهو :

نقر العصافير وهى خائفة من النواطير يانع العنب

ابن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور ، ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها ، ويحط من الأجسام نوءها ، كافا يغمرها ، وكسوفا يسترها ، ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ، ويبعث إليه الأرضة ، ويهدى إليه السوس ، ويغرى به الدود ، ويبليه بالفأر ، ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ، ويجتحفه بالذرّ[1] ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمى به مسترق السمع ، ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دوره ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان[2] ، ويصنع به صنيعه بالألوان ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه ، وهتك بطلوعه ، ويرحم الله عبداً قال آمينا ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستعفيه من توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفواً يسبغه ، وحالى بعد ما شكوت صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

ومن فصوله القصار الجارية مجرى الأمثال ، قوله : متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى ؟ . خير القولُ ما أغناك جده ، وألهاك هزله . الرتب لا تبلغ إلا بتدرّج وتدرب ، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . المرء يبذل ماله فى إصلاح أعدائه ، فكيف[3] يذهل العاقل عن حفظ

(١) فى الأصل « ويحتجنه » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٢) فى الأصل «فعله بالشكلان» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة والعرب تعتقد أن ضوء البدر يبلى الكتان وعلى هذا جاء قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

وهو الشاهد (رقم ٩٩) من الشواهد المشروحة فى هذا الكتاب فارجع إلى شرحه

(٣) فى الأصل « فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة .

أوليائه ؟. هل النسيد إلامن يهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر . اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل . المرح والهزل[١] بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر، وفحلان إذا لقحا لم ينتجا غير الشر .

ومما أخرج له من الشعر [٢] قوله [من الكامل] :

آخ الرجالَ من الأبا عد، والأقاربَ لاتُقَارب

إن الأقارب كالعقا رب بل أضر من العقاربْ

وكتب إلى العلوى[٣] [من المقتضب] :

يا من تخلى وولى وصدّ عنى وملاّ

وأوسع العهد نَكْثاً وأتبع العقد حلاّ

ما كان عهدك إلا عهد الشبيبة ولى

أوْ طائفاً منْ خيالٍ ألَمّ ثُمَّ . تَولّى

أو عارضاً لاحَ حتّى إذا دَنا فتَدلى

ألوَتْ بهِ نَسمات من الصَّبا فَتجلّى

أهْلاً بِما تَرْتضيهِ فى كلّ حالٍ وسَهلاَ

ليَجزِيَنّكَ وُدّى بمثْل فعْلِكَ فعْلاَ

إنْ شِئتَ هَجْراً فهَجراً أو شئتَ وَصْلاًفوَصلا

صَبَرْتَ عنّىَ فانظرْ ظفِرتَ بالصَّبر أمْ لا

---

(١) فى اليتيمة « المزح والهزل » ولكل واحدة من العبارتين وجه

(٢) هذان البيتان فى ابن خلكان عن أبى الفضل الميكالى فى كتابه المنتحل وفى اليتيمه (٣ ـ ٢٤ بيروت)

(٣) هذه الأبيات فى اليتيمة (٣ ـ ١٩ بيروت)

إني إذا الخِــلُّ ولّى وليَّتُــهُ ما تَولّى

وكتب إلي أبي الحسن بن هندو وأرسلها إليه صبيحة عرسه [من الكامل]:

انعمْ أبا حسَن صباحَا وازْدَدْ بزَوْجتِكَ ارتياحَا
قَدْ رضْتَ طرْفَكَ خالياً فَهل استَلَنتَ لَهُ جِمَاحَا
وقدحتَ زَنْدَكَ جاهِداً فهل استبَنْتَ لهُ انقِدَاحَا
وطَرقتَ منغَلقاً فهلْ سنّ الالَه انفِتَاحَا
قدْ كُنتُ أرْسلتُ العيو نَ صباحَ يوْمِكَ والرّوَاحَا
وبعثتُ مُصغيــةً تبيت لدَيْكَ ترْتقِبُ النّجَاحا
ففدَتْ عليّ بجُملةٍ لم تُولني إلاّ افتِضاحَا
وشَــكتْ إلىّ خلاخلاً خرْساً وأوشحةً فِصاحا
منعت وساوسُها المُنَا معأن تُحسّ لكُمْ صياحَا

وللصاحب ابن عبّاد في هذا المعنى إلا أنه أقرب في التصريح [من السريع]

قلبي على الجمرَة يا ابا العلا فهل فتَحتَ المَوْضع المقفلا
وهل فككت الختم عن كيسه وهل كحلت النّاظر الأكحلا
إن قلتَ يا هــذا نعم صادقاً أبعثْ نثاراً يمــلأُ المنْزِلا(١)
وإنْ تُجبنى بِمنْ حياءِ بِلاَ أبعَثْ إليْكَ القُطنَ والمِغْزلاَ

ولابن العميد في المغني القرشيّ [من الوافر] :

إذَا غنّانِيَ القُرَشيُّ يوماً وعنّاني برُؤيتــهِ وضربهْ
وَدِدْتُ لَوَ انّ أُذنى مثلُ عينى هنَاكَ وأنّ عيْنى مثلُ قلبِهْ

---

(١) في اليتيمة * إنك إن قلت نعم صادقا *

وللوزير المهلبي فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غنّانيَ القُرَشي دعوْتُ الله بالطَّرش
وَإنْ أبصرْتُ طَلعتهُ فَوالهفي على العَمَش

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد [بن] هندو ، وأبو القاسم بن أبي الحسين ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبوعبدالله الطبرى ، وأبوالحسن البديهيّ ، فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم: تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدئ فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأُتْرُجَّةٍ فيها طبائعُ أرْبعُ *

فقال أبو محمد :

* وفيها فُنونُ اللّهْو والشرب أجْمَعُ *(١)

فقال أبو القاسم :

* يُشبهُها الرّائى سبيكةَ عَسجَدٍ *

فقال أبو القاسم بن أبي الحسين(٢) :

* على أنها منْ فَأرَةِ المِسْكِ أضْوَعُ *

فقال أبوعبد الله :

* وما اصفرَّ منْها اللّوْنُ للعشق والهوى *

فقال أبوالحسن :

* ولكِنْ أرَاها لِلْمحبّين تجْمَعُ *

وكان ابن العميد متفلسفاً متّهماً برأى الأوائل ، ويقال : إنه كان مع فنونه لا يدرى الشرع ، فاذا تكلم أحد بحضرته فى أمر الدين شق عليه وخَنَسَ ثم

---

(١) فى اليتيمة * وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *
(٢) هكذا فى أصول الكتاب ، وأظنه « فقال أبو الحسين بن فارس »

قطع على المتكلم فيه ، وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ، ولم يكن الكتاب بذاك ، ولكن جعس الرؤساء خبيص ، وصُنان الأغنياء ند .

وتوفى فى سنة ثلثمائة وستين(١) .

ترجمة أبى الفتح ابن ابن العميد

وقام ابنه علىّ أبوالفتح ذو الكفايتين(٢) مقامه ، إذ هو ثمرة تلك الشجَرة ، وشبل ذلك القَسْوَره * وحقّ على ابنِ الصقْر أن يشبه الصقْرا* وما أصدق قول الشاعر [من الكامل] :

إنَّ السَّرىّ إذا سرا فبنَفْسِهِ   وابنُ السَّرىِّ إذا سرا أسراهما

وكان نجيباً ، ذكياً لطيفا سَخياً رفيع الهمة ، كامل المروءة ، تأنّق أبوه فى تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته ، وخرج حسن الترسُّل متقدّم القدَم فى النظم ، آخذا من محاسن الأدب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال ، وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة بن بويه لُقِّبَ بذى الكفايتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفى ركن الدولة وأفضتْ حال أبى الفتح إلى ما سيذكر قريباً بمشيئة الله تعالى وعَونه .

ومن طَرف أخباره أن أباه كان قد قيَّض جماعة من ثقاته فى السرّ يشْرِفون على ولده الأستاذ أبى الفتح فى منزله ومكتبه ، ويشاهدون أحواله ، ويَعُدُّون أنفاسه وأفعاله ، ويُنْهون إليه جميع ما يأتيه ويَذَرُه ، ويقوله ويفعله ،

---

(١) ذكر ابن خلكان هذا وقولا آخر أنه توفى فى سنة تسع وخمسين وثلثمائه

(٢) تجد ترجمة أبى الفتح ذى الكفايتين على بن محمد بن الصاحب بن عباد فى يتيمة الدهر للثعالبى تالية لترجمة أبيه (٣ ــ ١٦٢ مصر) وقد أبى المؤلف إلا أن يقرنهما هنا مع أن صلة الموضوع بأبى الفتح بعيدة

فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون من عقد مجلس أنس واتخاذ الندماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو فى خفية شديدة واحتياط تام ، وأنه فى تلك الحال كتب رقعة إلى بعض أصدقائه فى استهداء الشراب ، فحمل إليهم مايصلح لهم من المشروب والنَّقْل والمشموم ، فدس أبوه إلى ذلك الانسان مَنْ أتاه بالرقعة ، فاذا فيها بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاك ياسيدى ومولاى رقدةً من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فُرَص العمر ، وانتظمت مع أصحابى فى سمط الثُّريَّا ، فان لم تحفظ علينا النِّظام باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام ، فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجابا بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لى أمر براعته ، ووثقت بجريه فى طريقى ، ونيابته منابى ، ووقَّعَ له بألفى دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس قال : كنت عند الأستاذ أبى الفتح فى يوم شديد الحر ، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لى : ماقول الشيخ فى قلبه ؟ فلم أُحِرْ جوابا لأنى لم أفطنْ لما أراد ، ولما كان بعد هُنَيَّة أقبل رسول والده الأستاذ يستدعينى إلى مجلسه ، فلما مثلت بين يديه تبسّم ضاحكا إلىّ ، وقال : ما قول الشيخ فى قلبه ؟ فبُهِتُّ وسكت وما زلت متفكراً حتى تنبهت أنه يريد الخيش وكأنّ مَنْ يشرف على أبى الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة فى تلك الساعة ، فأفرط اهتزازه لها ، وقرأت صحيفة السرور فى وجهه ، ثم أخذت أتحفه بنكت نظمه ونثره ، فكان مما أعجب به واستضحك له رقعة له وردت على ، وصدرها : وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة ، وأقصر من أنملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى فى بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس الأستاذ وزنها واستحلى رويها ، وأنشد كل من الحاضرين ما حضره على ذلك وهو قول القائل [من المقتضب] :

لئن كَفَفْتَ وَإلاَّ شققتُ منك ثيابى[١]

فأصغى الأستاذ أبو الفتح ثم أنشد فى الوقت وقال :

يا مولَعاً بعذابى أما رحمتَ شبابى
تركتَ قلبى قريحاً نُهْبَ الأسى والتصابى
إن كنتَ تنكِرُ مابى من ذِلّتى واكتئابى
فارفعْ قليلا قليلا عن العظامِ ثيابى

وله من نوروزية[٢] [من الكامل] :

أبْشر بنورُوزٍ أتاكَ مبشرا بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامِ
واشرَبْ فقدحلّ الربيعُ نقابَهُ عن منظرٍ متهللٍ بسَّامِ
وهديّتى شعر عجيب نظمُهُ ومديحُهُ يبقى على الأيامِ
فاقبلْهُ وأقبل عذرَ من لم يستطعْ إهداء غيرِ نتيجة الأفهامِ

ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عُودى وماءُ شبيبتى فى عودى لا تَعمدى لِمَقَاتلِ المعمودِ
وصِليهِ مادامتْ أصائلُ عيشهِ تُؤويه فى ظلٍّ لهـا ممدودِ[٣]
مادام من ليلِ الصِّبا فى فاحمٍ رجل الذرى متهدلِ العُنقودِ[٤]
قبلَ المشيبِ وطارقاتُ جنودِهِ يبْدِلْنَهُ يَقَقاً بِسُحْمٍ سُودِ[٥]

ومن شعره [من الخفيف] :

---

(١) فى الأصل «لئن كففت عنى وإلا » ولا شك أن كلمة «عنى» مزيدة لامحل لها ، وهى تخل بالوزن ، وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة (٣ – ١٦٤)

(٢) يريد من قصيدة قيلت فى عيد النيروز

(٣) فى اليتيمة « تؤويه فى فىء »

(٤) فى اليتيمة « فينانَ كالعنقود »

(٥) فى اليتيمة « قبل المشيب فطارقات جنوده» وما هنا أدق

أين لى من يَنِى بشكر الليالى   إذْ أضافتْ خيالَها وخيالى
لم يكنْ لى على الزمانِ اقتراحٌ   غيرَهـا منيةً فجـادَ بها لى

ومنه [من الطويل] :

إذا أنا بُلِّغْتُ الذى كنت أشتهى   وأضعافَهُ ألفاً فكِلْنِى إلى الخمر
وقلْ لنديمى قمْ إلى الدهر واقترح   عليه الذى يهوى وكلنى إلى الدهر

يحكى أنه سر يوماً وطلب الندماء وهيأ مجلساً عظيما بآلات الذهب والفضة والمغانى والفواكه ، وشرب بقية يومه وعامة ليلته ، ثم عمل شعراً وغَنَّوْه به وهو هذا [من المتقارب] :

دعوتُ الغِنا ودعوت المنى   فلمـا أجابا دعوتُ القَدَحْ
إذا بلغ المـرء آمالَهُ   فليس له بعدها مُقْتَرَحْ

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب و إبعاده عن ركن الدولة وانفراده بالدست كما سنذكره، ثم طرب بالشعر وشرب إلى أن سكر ، وقال: غطوا المجلس لأصطبح عليه غداً ، وقال لندمائه : باكرونى ، ثم نام ، فدعاه مؤيد الدولة فى السحر وقبض عليه وأخذ مايملكه ثم قتله ، وكان من خبر ذلك أنه لما توفى ركن الدولة وقام بعده ولده مؤيد الدولة مقامه خليفةً لأخيه عضد الدولة أقبل من أصبهان إلى الرى ، ومعه الصاحب أبوالقاسم بن عباد فخلع على أبى الفتح هذا خلع الوزارة ، وألقى إليه مقاليد المملكة والصاحب على حالته فى الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء به الظن ، فبعث الجند على أن يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان ، وأسرَّ فى نفسه الموجدة على أبى الفتح ، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده عليه أشياء كثيرة فى أيام أبيه و بعدها، منها ممايلته عز الدولة بختيار ، ومنها ميل القواد إليه بل غلوهم فى موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له فى مكاتباته ، واجتمع رأى الأخوين على اعتقاله وأخذ أمواله ، ولما قبض عليه بَدَرَتْ منه كلمات

أيضا نقلت إلى عضد الدولة فزادت فى استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال وعذبه بأنواع العذاب ، ويقال : إنه سَمَلَ إحدى عينيه ، وقطع أنفه وجز لحيته

وفى تلك الحال يقول وقد أيس من نفسه واستأذن فى صلاة ركعتين ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بدِّلَ من صُورَتِىَ المنظَرُ　　لكنَّهُ ما غُيِّرَ المخـبرُ

ولستُ ذا حُزْنٍ على فائتٍ　　لكن على من باتَ يَستَعْبِرُ

وواله القلب لما مسنى　　مُسْتَخبرٌ عنى ولا يُخْبَرُ

وحدث أبو جعفر الكاتب ، قال : كان أبو الفتح قبل النكبة التى أتت على نفسه قد لهج بانشاد هذين البيتين فى أكثر أوقاته ولست أدرى أهُمَاله ، أم لغيره ، وهما [من الرمل] :

سكنَ الدُّنيا أناسٌ قبلنا　　رَحلوا عنها وخَلَّوها لنا

ونزلناها كما قد نزلوا　　ونُخَلِّيها لقومٍ بعدنا

ولما تيقن بهلاكه وأنه لاينجو منهم ببذل المال مد يده إلى جيب جبة كانت عليه ففتقه عن رقعة فيها مكتوب مالا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره وألقاها فى كانون كان بين يديه ، ثم قال للموكل به المأمور بقتله : اصْنَعْ ما أنت صانع ، فوالله لا يَصِلُ من أموالى المستورة إلى صاحبك الدرهمُ الواحد ، فما زال يَعْرِضه على العذاب ويُمَثِّل به حتى تلف .

وفيه يقول بعضُ الشعراء المتعصبين له :

آلَ العميدِ وآلَ بَرْمك مالكُمْ　　قَلَّ المُعِينُ لكُمْ وقَلَّ النَّاصِرُ

كان الزمان يحبكم فبَدَاله　　إنَّ الزمان هو المحبُّ الغادرُ

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

من شواهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به

٩٩ — لاَ تعْجَبوا مِنْ بلَى غِلاَلَتِهِ قَدْ زُرَّ أَزْرارهُ عَلَى القَمَرِ

البيت لأبي الحسن بن طباطبا العلوى، من المنسرح، وقبله :

يا منْ حكى المـاء فرطَ رِقَّتِهِ وقلبـهُ فى قسـاوة الحـجرِ
يا ليتَ حظى كحظِّ ثوبكَ منْ جسمكَ يا واحداً من البشر

و بعده البيت ، ورأيته بلفظ :

* قد زُرَّ كِتَّانُهَا علىَ القمرِ *

ولعله أبلغ فى المراد ، والغِـلالة — بكسر الغـين المعجمة — شعار يلبس تحت الثوب .

والشاهد فيـه : ما فى البيت الذى قبـله ، لأنه لو لم يجعله قمراً حقيقياً لمـا كان للنهى عن التعجب معنى ، لأن الكتان إنمـا يُسْرع إليـه البِلَى بسبب ملازمته للقمر الحقيقى ، لا بسبب ملابسـة إنسان كالقمر حسنا ، ورُدَّ كون الاستعارة مجـازاً عقليا : بأن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له ، للعلم الضرورى بأنها مستعملة فى الرجل الشجاع مثلا ، والموضوع له هو السبب المخصوص ، وأما التعجب والنهى عنه فى البيت والذى قبله فللبناء على تناسى التشبيه ، قضاءً لحق المبالغة ، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصـلا ، حتى إن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهى عنه يترتب على المشبه أيضا .

ترجمة ابن طباطبا العلوى

وأبو الحسن ابن طباطبا ، اسمه محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، طباطبا ، بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله تعـالى عنهم ! وهو شاعر مفلق ، وعالم محقق ، مولده بأصبهان ، وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمـائة ، وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء ،

وأدباء ، ومشاهير . وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد .

وله من المصنفات كتاب « عيار الشعر » ، وكتاب « تهذيب الطبع » ، وكتاب « العروض » ، ولم يسبق إلى مثله .

ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ، ليس فيها راء ولا كاف ، أولها [من الكامل] :

يا سيداً دانتْ لهُ الساداتُ وتتابعت فى فعله الحسناتُ

يقول منها فى وصف القصيدة :

ميزانها عندَ الخليلِ معدَّلٌ متفاعلنْ متفاعلن فَعَلاتُ

لو واصلُ بنُ عطاءِ البانى لها تُليتْ توهُّم أنها آياتُ

ومن شعره يهجو أبا علي الرستمي ويرميه بالدعوة والبرص [من الخفيف] :

أنتَ أعطيتَ من دلائل رُسل الله آيًا بها علوتَ الرؤسا

جئتَ فردًا بلا أبٍ وبيمنا كَ بياضٌ فأنتَ عيسى وموسى

أبيات فى معنى إبلاء القمر لثياب الكتان

وما أحسن قول أبي المطاع ناصر الدولة ابن حمدان في معنى البيت المستشهد به [من البسيط] :

ترى الثيابَ من الكتانِ يلمحها نورٌ من البدر أحياناً فيبليها

فكيفَ تنكر أن تبلَى معاجرُها والبدرُ فى كل وقتٍ طالعٌ فيها

وقال منصور البستى ، المعروف بالغزال ، فيه من قصيدة ، يصف الساقى [من الكامل] :

ومشى بكتانٍ تخلت عناكبا نسجت على الياقوت ثوب قتامِ

أعجبْ ببدرٍ سالمٍ كتانُهُ وبه يحرق أنفسَ الأقوامِ

وَمثله قول الآخر [مِن المديد] :

كيفَ لا تبلَى غلائلهُ وَهْوَ بَدْرٌ وهى كتانُ

* * *

١٠٠ — فان تعافُوا العدلَ والإيمانَا فانَّ فِى إيمَانِنَا نيرَانَا

شاهد القرينة اللفظية للاستعارة

قائله بعض العرب ، من الرجز .

والشاهد فيه : ذكر القرينة فى الاستعارة ، لأنها مجاز ، ولا بد لها من قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له ، وهى : إما أمر واحد أو أكثر ، وهو هنا قوله « تعافوا » فان تعلقه بكلٍّ من العدل والايمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران السيوف : أى سيوفا تلمع كشعل النيران ، لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتُلْجَئُون إلى الطاعة بالسيوف .

* * *

١٠١ — وصاعقةٍ من نَصْلِه تَنْكَفِى بها على أرْؤُسِ الأقرانِ خمسُ سَحَائِبِ

شاهد مجىء القرينة معانى ملتئمة

البيت للبحترى ، من قصيدة [١] من الطويل ، أولها :

هَبِيهِ لمنهلِّ الدموع السوا كِبِ وهَبَّاتِ شوقٍ فى حَشَاه لَوَاعِبِ

وإلا فَرُدِّى نَظْرَة فيه تَعْجَبِى لمـا فيه أو لا تحفلى بالعجائب [٢]

وهى طويلة ، والرواية فيه « وصاعقة فى كفه » كما فى الديوان [٣] و بعده :

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ – ٧٢)

(٢) فى الديوان « أو لاتحفلى للعجائب »

(٣) فى نسخة الديوان المطبوعة بمصر « وصاعقة من نصله » كما فى نسخ التلخيص

يَكادُ النَّدى منها يَفيضُ على العِدَا ... لَدَى الحربِ في ثِنْيَىْ قَنًا وقَوَاضِبِ

والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والمخراق الذى بيد الملك سائِقِ السحاب ، ولا يأتى على شيء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والأقران: جمع قرن ، وهو الكفء .

والشاهد فيه : مجيء القرينة معانى ملتئمة ، مربوطة بعضها ببعض ، يكون الجميع قرينة ، لا كل واحد ، فههنا أراد بخمس سحائب أنامل الممدوح الخمس التى هى فى الجود وعموم العطاء سحائب : أى يَصُبُّهَا على أكفائه فى الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن كلا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فههنا لما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وبَيَّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال «على أرؤس الأقران» ثم قال « خمس » ، فذكَّر العدد الذى هو عدد الأنامل ، فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الخمس الأنامل .

* * *

شاهد الاستعارة الغريبة

١٠٢ — * وإذَا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنَانِهِ *

قائله يزيد بن مَسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل يصف فرسا له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتمامه :

* عَلَكَ الشَّكِيمَ إلَى انْصِرَافِ الزائِرِ *

والقربوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا فى ضرورة الشعر — وهو حِنْوُ السَّرْجِ ، وهما قربوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذى تمسك

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس فيها الفأس ، وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدْتهُ فيما أَزُورُ حبَائبي إِهْمَالَه وكَذَاكَ كلُّ مُخاطِرِ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهى : الغريبة ، والغرابة قد تكون فى نفس الشبه كما فى البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبى ، ممتدا إلى جانبى ظهره وساقيه بثوب[1] أو غيره كوقوع العنان فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه .

أبيات من الاستعارات الغريبة

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيل الغَنَوى [من الكامل] :

وجَعلْتُ كُورى فوقَ ناجيةٍ يقْتَاتَ شَحْمَ سنامِهَا الرَّحْلُ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حتى إذا ما عرَفَ الصَّيْدَ انْصَارْ وأذنَ الصُّبحُ لنا بالابصَارْ

وقول جرير [من الكامل] :

تُحيِي الرَّوَامِسُ رَبْعَهَا فتُجِدُّهُ بعـدَ البِلَى وتُميتُهُ الأمطارُ

وقول أبى نواس [من السريع] :

بِصَحْنِ خَدٍّ لم يَغِضْ مَاؤُهُ ولم تَخُضْهُ أعينُ الناسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى قوله السرج ثابت فى جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب إسقاطه » اهـ

فإذا بَدَا اقْتَادَتْ محاسِنُهُ قَسْراً إليه أعِنَّةَ الحَدَقِ

* * *

١٠٣ — * وسَالَتْ بأعْنَاقِ المطِيِّ الأباطِحُ *

شاهد التصرف فى الاستعارة العامية حتى تصير غريبة

قائله كُثَيِّر عزة، من قصيدة من الطويل ، وصدره :

* أَخَذْنا بأَطْرَافِ الأحاديثِ بيننا *

وقبله (١) :

ولما قَضَيْنَا من مِنىً كل حاجَةٍ ومسّحَ بالأركانِ مَنْ هوَ ماسحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارى رحالُنَا ولم يَنْظُرِ الغَادِي الذى هو رائحُ

وقيل : الأبيات لابن الطثرية . وذكر الشريف الرضى فى كتابه « غرر الفرائد » قال : أنشدنى ابن الأعرابى للمضرب (٢) ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى رحمهم الله تعالى :

وما زلْتُ أرجو نَفْعَ سَلْمى ووُدَّها وتبعُدُ حتى ابيَضَّ منى المسائحُ
وحتى رأيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلُهُ إليهِ وحتى نصفُ رأسىَ واضحُ

---

(١) أنشد ثلاثة الأبيات أبو هلال العسكرى فى الصناعتين (٤٢ الآستانة) وابن قتيبة فى الشعر والشعراء (٨ أوربا) والشيخ عبد القاهر الجرجانى فى أسرار البلاغة (١٦ طبعة ثالثة) وروى أولها وثالثها أبو على القالى فى ذيل الأمالى (١٦٦)وأبو الفتح ابن جنى فى الخصائص (١ ــ ٢٢٥) وروى ثلاثة الأبيات فى ضمن ثمانية أبيات الشريف المرتضى فى أماليه (٢ ــ ١١٠) وهى الأبيات التى رواها المؤلف فيا بعد، بنفس ترتيبها هنا . ونسبها إلى المضرب عقبة بن كعب ابن زهير بن أبى سلمى المزنى ، وأسند روايتها إلى ابن الأعرابى كما هو فى كلام المؤلف

(٢) فى الأصل «للمضرى» ونحسبه محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى أمالى الشريف المرتضى الذى نقل عنه المؤلف

عَلَا حاجِبَيَّ الشيبُ حتى كأنَّهُ ظِباءٌ جرَتْ منها سَنِيحٌ وبارِحُ
وهَزَّةَ أظْعَانٍ علَيهِنَّ بهجَةٌ طَلَبتُ ورَيْعَانُ الصِبَّا بِي جامِحُ
فلما قضينــا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطحُ
وشُدَّت على حدب المهارى رحالها ولم ينظر الغادى الذى هو رائحُ
قفَلْنا على الخوصِ المراسيل وارْتمَتْ بِهِنَّ الصَّحَارى والصِّفَاحُ الصَّحَاصِحُ(١)

والأباطح : جمع أبطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

والمعنى : لما فرغنا من أداء مناسك الحج ، ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع ، وشددنا الرحال على المطايا ، وارتحلنا ولم ينظر السائرون فى الغداة السائرين فى الرواح للاستعجال ، أخذنا فى الأحاديث وأخذت المطايا فى سرعة السير .

والشاهد فيه : حصول الغرابة فى الاستعارة العامية بتصرف فيها ، فانه استعار سيلان السيول الواقعة فى الأباطح لسير الابل سيراً عنيفاً حثيثا فى غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة ، والشبه فيها ظاهر عامى ، لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل ــ وهو سالت ــ إلى الأباطح ، دون المطىّ أو أعناقها ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل ، وأدخل الأعناق فى السير لأن السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى الأعنــاق ، ويتبين أمرهما فى الهوادى، وسائر الأجزاء يستند إليها فى الحركة ويتبعها فى الثقل والخفة .

ومثل هذه الاستعارة فى الحسن وعلوّ الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول [من البسيط] :

سَالَتْ عليه شِعَابُ الحَيِّ حِين دعا أنصارهُ بوُجوهٍ كالدَّنانيرِ

---

(١) فى الأصل «والسناح الصحاصح» محرفا وما أثبتناه موافق لما في أمالى الشريف المرتضى

أراد أنه مُطَاع فى الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته كالسيل، وكما أن إدخال الأعناق فى السير أكد كلا من الرقة والغرابة فى الأول أكده هنا تعدية الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى لأنه يؤكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى .

ترجمة كثير عزة

وكُثَيِّر عزة[١] هو [كثير بن] [٢] عبد الرحمن بن أبى جمعة الأسود بن عامر ابن عويمر ، أبو صخر، الخزاعى الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب ، وإنما صغروه لأنه كان شديد القصر . حدث الوقاصى[٣] قال : رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك ابن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له: طأطئ رأسك لئلا يصيبه السقف ، وكان يلقب زب الذباب .

وعن أبى عبيدة قال : كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين فى كل شهر ، منهم ابن أبى عتيق، فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف ، قال : وكثير مع ابن أبى عتيق ، فأمر ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال الحزين لابن أبى عتيق : من هذا الذى معك ؟ قال : أبو صخر كثير بن أبى جمعة ، قال : وكان قصيراً دميما، فقال له الحزين: أتأذن لى فى أن أهجوه ببيت من الشعر ؟ قال . لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ، ولكنى أشترى عرضه منك بدرهمين ، ودعا له بهما ، فأخذهما وقال : لا بد لى من هجائه ببيت ، قال : وأشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ، فدعا له بهما ، فأخذها أيضا، وقال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال : وأشترى ذلك منك بدرهمين أيضا ، فقال له كثير:

---

(١) تجد لكثير عزة ترجمة فى الأغانى (٨ – ٢٧ و ١١ – ٤٦) وفى الشعر والشعراء (٣١٦) وفى تزيين الأسواق (١ – ٤٧) وفى ابن خلكان (٢–١٨٩) وفى خزانة الأدب للبغدادى (٢ – ٣٧٦)

(٢) زيادة لابد منها ، وهى ثابتة فى جميع المراجع ، وعبد الرحمن اسم أبيه ، واسم جده الأسود ، وأبو جمعة كنية الأسود

(٣) كذا ، ولم أعثر له على تعريف ، ولعله محرف .

أيذن له ، وما عسى أن يقول فى بيت واحد ، قال: فأذن له ابن عتيق ، فقال [من الطويل]:

قَصيرُ القَميصِ فاحِشٌ عندَ بَيْتِهِ يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِهِ وهو قائمُ

قال : فوثب إليه كثير ، فلكزه فسقط عن الحمار ، فخلص ابن أبى عتيق بينهما ، وقال لكثير : قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ؟ فقال كثير : وأنا ما ظننت أن يبلغ بى فى بيت واحد هذا كله .

وكان كثير يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يدخل على عمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها ، فقال لها يوما : لا والله ما تعرفيننى ولا تكرميننى حق كرامتى ، قالت : بلى والله إنى لأعرفك ، قال : فمن أنا ؟ قالت: فلان ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيننى ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ، وكان يقرأ [1] (فى أى صورة ماشاء ركبك) وكان يؤمن بالرجعة ، ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم يعوده فى مرضه الذى مات فيه ، فقال له كثير : أبشر فكأنك بى بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن رضى الله عنه : مالك ؟ عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ! ووالله لا أعودك ولا أكلمك أبدا . وكان شيعيا غاليا فى التشيع ، وكان يأتى ولد حسن بن حسن رضى الله عنهم إذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ، ويقول : بأبى الأنبياء

---

(١) عبارة الأغانى أوضح حيث يقول « وكان كثير شيعيا غاليا ، وكان يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى : (فى أى صورة ما شاء ركبك) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة فى صورة .

الصغار [1] .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى : إنى لأعرف صالح بنى هاشم من فاسدهم بحب كثير ، مَنْ أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ، لأنه كان خشبيا يؤمن بالرجعة .

وحدَّث رجل من مُزَينة قال : ضِفْتُ كثيراً ليلةً وبتُّ عنده ، ثم تحدثنا ونمنا ، فلما طلع الفجر تضور ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير نائم فى لحافه ، فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال : ياجارية اسْجِرى [1] لى ماء ، أى سخِّنى ، قال : فقلت : تبًّا لك سائر اليوم و بعده ، وركبت راحلتى وتركته .

وكان كثير عاقا لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحة فى أصبع من أصابع يديه فقال له كثير : أتدرى لم أصابتك القرحة فى أصبعك ؟ قال : لاأدرى ، قال : مما ترفعها إلى الله فى يمين كاذبة .

وعن طلحة بن عُبيدالله قال : مارأيت أحمق من كثير ، دخلت عليه فى نفر من قريش وكنا كثيراً مانهزأ به وكان يتشيع تشيعا قبيحا ، فقلت له : كيف تجدك يا أباصخر ؟ وهو مريض ، فقال : أجدنى ذاهباً ، فقلت : كلا ، فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ قلت : نعم يتحدثون بأنك الدجال ، قال: أما إذ قلت ذاك فانى لأجد فى عينى هذه ضعفا منذ أيام .

---

(١) فى الأصل « ويقول أنا نبى الأنبياء الصغار » محرفا عما أثبتناه ،وعبارة الأغانى تؤيد هذا التصحيح ونصها « نظر كثير إلى بنى حسن بن حسن وهم صغار ، فقال : يا بأبى أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار » وفى رواية أخرى « كان شيعيا وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه فيهب لهم الدراهم ويقول : وا ، بأبى الأنبياء الصغار »

(٢) فى الأصل « أنجزى » محرفا وما أثبتناه موافق لما في الأغانى، ويؤيده التفسير

وعن عبدالعزيز بن عمر رحمهما الله أن أناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزأون بكثير فيقولون وهو يسمع : إن كثيرا لايلتفت من تيهه ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ، ويمضى فى قميص .

وكان عبدالملك بن مروان مُعجبا بشعره ، قال له يوماً : كيف ترى شعرى يا أميرالمؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر .

وقال عبد الملك له يوما : مَنْ أشعر الناس يا أبا صخر ؟ قال : مَنْ يروى أمير المؤمنين شعره ، فقال له عبدالملك : إنك لمنهم .

وحدّث كثير قال : ماقلت الشعر حتى قُوِّلته ، قيل له : وكيف ذاك ؟ قال: بينا أنا نصفَ النهار أسيرُ على بعيرٍ لى بالغُمَيم ، أو بقاع حمران ، إذ راكب قد دنا إلىَّ حتى صار إلى جنبى ، فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه فى الأرض جرًّا ، فقال لى : قل الشعر ، وألقاه على ، قلت : من أنت ؟ قال : قرينك من الجن ، فقلت الشعر .

وكان أول أمره مع عزة التى يتعشقها أنه مر بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن إليه عزة وهى صغيرة فقالت له : يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع ، فأعطاها كبشا ، وأعجبته ، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال : وأين الصبية التى أخذت منى الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه دراهمك ، قال : لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت[1] إليه ، وولى وهو يقول [من الطويل] :

قَضَى كلُّ ذى دَيْنٍ فوَفَّى غَرِيمَهُ وعَزَّةُ ممطُولٌ مُعَنًّى غريمُهَا

فقلن له : أبيت إلا عزة ، وأبرزنها له وهى كارهة ، ثم إنها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها .

---

(١) عبارة الأغانى « لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت الكبش إليها»

وعن الهيثم بن عدى أن عبدالملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال : حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحدنا بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لأجل رفقته ، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمةً حتى دخلت إلى وهى لا تعلم أنها خيمتى ، وكنت أبرى سهْماً لى ، فلما رأيتها جعلت أبرى وأنظر إليها ولا أعلم حتى بريت ذراعى وأنا لا أشعر به ، والدم يجرى ، فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت بيدى ، وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندى نِحْىٌ من سمن ، فحلفت لتأخُذُنَّهُ ، فجاءت به إلى زوجها ، فلما رأى الدم سألها عن خبره ، قال : فكاتمته ، حتى حلف عليها لتصدُقَنّه ، فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمنى فى وجهى ، فوقفت علىّ وهو معها ، فقالت لى : يا ابن الزانية ، وهى تبكى ، ثم انصرفا ، فذلك حيث أقول [من الطويل] :

أَسِيئى بنا أو أحسنى لا مَلُومةً لدَينا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّت
هَنِيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزّةَ من أعراضنا ما استحلتِ

ومنه قوله فيها أيضا [من الطويل] :

ودِدْت وحقِّ الله أنك بَكْرَةٌ وأنِّى هِجانٌ مُصْعَبٌ ثم نَهْرُب
كلانا به عرٌّ فمن يرَنا يقلْ على حُسنِها جرباء تُعْدِى وأجْرَب
نكون لذى مالٍ كثيرٍ مغفَّلٍ فَلاَ هوَ يرعانا ولا نَحْنُ نُطْلَب
إذا ما وردْنا منْهلاً صاح أهله علينا فما ننفكُّ نُرْمَى و نُضْرَبُ

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر إليها أنشدته الأبيات وقالت له: ويحك! لقد أردت بى الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلا

وأسوأ من هذه الأمنية أمنية الفزارى(١) حيث قال [من البسيط] :

(١) فى هامش مطبوعة بولاق ــ تعليقا على هذه الكلمة ــ ما نصه . قوله الفزارى كذا فى نسخة وفى أخرى العذرى .

مِنْ حبِّها أتمنى أنْ يُلاقيَنِي مِنْ نَحْوِ بلدتها ناعٍ فينْعاها
كيما أقول فراقٌ لا لقاء له وتضمرَ النفسُ يأساً ثم تَسلاها

ولـكنه استدرك بعد ذلك فقال :

ولو تموتُ وراعتْني لقلت لها : يا بؤْسَ للموْتِ ليتَ الدَّهرَ أبقاها

وقال الآخر [من الطويل] :

تمنَّيت من حبي بثينــةَ أننا وُئِدْنا جميعا ثم نَحيا ولا أحيا
فترْجع دنياها عليها وإنني بساعة ضمِّيها رَضيتُ من الدُّنيا

وكل امرىء أمانيه تليق بمعاليه ، قيل للامام أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عليه : ما تتمنى؟ قال: سندا عاليا و بيتا خاليا ، وقيل لبعض الوراقين : ما تتمنى؟ قال : قلما مشاقا ، وحبرا برّاقا ، وجلودا وأوراقا ، وقيل لبعض الصوفية : ماتتمنى؟ قال : دقنا[1] ودلقا ، ولا أريد رزقا ، وقال بعضهم [من مخلع البسيط] :

أبيات في أنواع من الأماني

لوْ قالَ لي خالِقي تمنى قلْتُ لهُ سائِلاً بصِدْق
أُريدُ في صُبحِ كلِّ يوْمٍ فتُوحَ خيْر يأتي برزْقِ
كف حشيش ورِطل لحم ومَنّ خبز ونيكَ عِلق

وقول الآخر [من البسيط] :

لوْ قيلَ ما تتَمَنَّى قلتُ في عجَل أخاً صدُوقا أميناً غيرَ خوّان
إذا فعَلت جميلاً ظل يشكرني وإن أسأتُ تلقّاني بغفران

وما أحسن قول ابن سارة في الأماني [من الطويل] :

أمانيَّ منْ ليلى حِسانٌ كأنما سقَتْني بها ليلى على ظماٍ بردَا

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق مانصه : قوله دقنا كذا في النسخ ولعله دفئا

مُنًى إن تكن حقًّا تكن أحسنَ المنى ... وإلا فقَدْ عِشْنَا بها زمناً رَغْدَا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغرائي رحمه الله تعالى [من البسيط] :

أُعَلِّلُ النفسَ بالآمال أَرْقُبُها ... ما أَضيَقَ العَيْشَ لولا فُسْحَةُ الأمل

وقد أخذه العماد الكاتب فقال [من الطويل] :

وما هٰذِهِ الأيام إلاّ صحائفٌ ... نؤرِّخ فيها ثم تُمْحَى وتُمْحَق

ولم أرَ عيشاً مِثلَ دَائرةِ المنى ... توسِّعُها الآمالُ والعيش ضَيِّق

وقال العفيف إسحاق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود [من البسيط] :

لولا مواعيدُ آمالٍ أعيشُ بها ... لُمتُّ يا أهلَ هذا الحيِّ من زَمَنِ

وإنما طِرْفُ آمالى به مرحٌ ... يَجْرِى بِوَعدالأمانى مطلقَ الرسنِ

وقال آخر [من الخفيف] :

فى المنى راحةٌ وإن عللتنا ... مِنْ هَوَاها ببعض مالا يكونُ

وقال أبو الوليد بن زيدون أيضاً [من الكامل] :

أمَّا مُنَى قلبي فأنتِ جميعُهُ ... يا ليتنى أصبحتُ بعضَ مُنالكِ

يُدنى مزاركِ حين شط به النوى ... وهْمٌ أكادُ به أُقبلُ فاكِ

ومن هنا أخذ الحاجرى قوله [من الطويل]

يُمثِّلُكَ الشوقُ الشديدُ لناظرى ... فأُطرِقُ إجلالا كأنك حاضر

وقال ابن رزين من شعراء الذخيرة [من مجزوء الكامل] :

لأُسَرِّحَنَّ نواظرى ... في ذلك الروضِ النضير

ولآكلنَّكَ بالمنى ... ولأشْرَبَنَّكَ بالضمير

وقال علم الدين أيدمر المحيوى [من مجزوء الخفيف] :

كم لَدَيْنَا أمانياً ... قد حَوَتْ مُحكم العملْ

فارغاتٍ من الدُّنا ... غيرِ مَلأى من الأمل

وهو عكس قول الآخر [من الطويل] :

وإنَّ رجاء كامناً فى نواله لكالمال فى الأكياس تحت الخواتم

وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

ليتَ شعرى ما العذرُ لولا قضاء الله فى رزقه وفى حرمانى

ولقد كدت أن أهيمَ بحمل الهم لولا تعلُّلى بالأمانى

وله أيضا [من الكامل] :

حَسْبُ الفتى حسن الأمانى إنه لا يعتريه مدى الزمان زوالِ

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى [من الخفيف) :

لى حبيب لو قيل ، ما تتمنى ما تعدَّيْتُه ولو بالمنونِ

أشتهى أن أحلَّ فى كل طَرْفٍ فأراه بلحظ كُلُّ العيونِ

وقال غيره [من الوافر] :

أُعلل بالمنى قلبى لأنى أُفرجُ بالأمانى الهمَّ عنى

وأعلم أن وصلك لا يرجَّى ولكن لا أقل من التمنى

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله [من الوافر] :

إذا ما عنَّ ذكرك فى ضميرى وقابلنى محيَّاكَ الجميلُ

أصير لفرطِ أشواقى أيوراً لِعلمى أنَّ نيكَكَ مستحيل

وهو يشبه قول الصفى الحلى أيضا [من الوافر] :

إذا صدَّ الحبيب لغير ذنبٍ وقاطعنى وأعرض عن وصالى

أمثله وأنكسح عند صلجى بأير الفكر فى ثقب الخيال

وقد سد ابن المعتز باب المنى بقوله [من البسيط] :

لا تأسفنَّ من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال [من السريع] :

ولا تكن عبد المنى فالمنى رءوس أموال المفاليس

وقال الآخر [من السريع] :

من نال من دنياه أمنيةً أسقطت الأيام منها الألف

وقال شرف الدين القيرواني أيضا [من الكامل] :

غلف تمنوا في البيوت أمانياً وجميعُ أعمارِ اللئامِ أماني

وقال الآخر [من الوافر] :

ألا يا نفسُ إن ترضَى بقوتٍ فأنت عزيزة أبداً غنيَّهْ

دعى عنك المطامع والأماني فكم أمنيةٍ جلبت مَنِيَّهْ

وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

أنا في راحةٍ من الآمال أين من همتي بلوغُ المعالي

لىَ عجز أراح قلبي من الهم ومن طول فكرتي في المحال

ما لباسُ الحرير مما أرجّيه فيُرْجَى ولا ركوبُ البغال

راحة السر في التخلف عن كل محلٍّ أضحى بعيدَ المنالِ

وقال بعضهم [من الطويل] :

وأكثر ما تلقى الأماني كواذبا فإن صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر [من الطويل] :

ولي من غنَى النفسِ دُنْيَا عريضةٌ ومستفتِحٌ يغدو علىَّ ويَطْرُقُ

فقدت المنى إلا النفسُ تلهو عن المنى لتجربةٍ منها ولا هي تصدُقُ

وقال الصلاح الصفدى [من الطويل] :

ألا فاطَّرِح عنك التمنى ولا تَبِتْ بكاساته نَشْوَان غير مُفيقِ

فإنْ كان مما لا غِنَى عنه فليَكن وفاةَ عدوٍّ أو حياةَ صديقٍ

وقد أكثرنا فى طول الأمل وضده فلنرجع إلى أخبار كثير عزة .

عود إلى أخبار كثير عزة

يحكى أنه خرج فى الحج بجمل يبيعه ، فمر بسكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ، ومعها عزة وهو لا يعرفها ، فقالت لها سكينة : هذا كثير سُومِيه بالجمل ، فسامته ، فاستام بمائتى درهم ، فقالت : ضع عنا كذا وكذا ، لشىء قليل ، فأبى ، فدعت له بتمر وزبد فأكل ، فقالت له : ضع عنا كذا وكذا ، لشىء قليل ، فأبى أيضا ، فقالتا له : قد أكلت بأكثر مما نسألك ، فقال : ما أنا بواضع شيئا ، فقالت سكينة : اكشفوا ، فكشفوا عنها وعن عزة ، فلما رآها استحيا وانصرف وهو يقول : هو لكم ، هو لكم

وحدث محمد بن سلام قال : كان كثير يتقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق ، وقال أبو عبيدة : كان جميل يصدق فى حبه ، وكان كثير يكذب فى حبه

ويروى أنه نظر ذات يوم إلى عزة وهى تَمِيسُ فى مشيتها ، فلم يعرفها ، فاتبعها وقال لها : يا سيدتى ، قفى لى أكلمك فإنى لم أر مثلك قط ، فمن أنت ؟ قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقيةً لأحد ؟ فقال : بأبى أنت ! لو أن عزة أمة لوهبتها لك ، قالت : فهل لك فى المخالة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : وكيف بما قلته فى عزة ؟ قال : أقلبه كله وأحوله إليك ، فكشفت عن وجهها وقالت : أغدراً يا فاسق ، وإنك لهكذا ؟ فأبلس ولم ينطق وبهت ، فلما مضت أنشأ يقول [من الطويل] :

ألا ليتنى قبل الذى قلت شِيبَ لى ... من السم جرعاتٌ بماء الذرارح
فمتُّ ولم تعلم علىَّ خيانةً ... وكم طالب للربح ليس برابح
أبوء بذنبى إننى قد ظلمتُها ... وإنى بباقى سِرِّها غير بائح

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة ، فاشتاق إليها فسافر ليلقاها ، فصادفها فى الطريق وهى متوجهة إلى مصر ، فجرى بينهما كلام طويل الشرح ، ثم إنها

انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير إلى مصر فوافاها توفيت والناس منصرفون عن جنازتها ، فأتى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها قوله [من الطويل] :

أقولُ ونِضْوى واقف عند قبرها ... عليك سلام الله والعينُ تسفحُ
وقد كنت أبكى من فراقك حيةً ... فأنتِ لعَمرى الآن أنأى وأنزحُ

وقال له عبد الملك بن مروان يوما : بحقّ على بن أبى طالب هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ قال : ياأميرالمؤمنين ، لو أنشدتنى[1] بحقك لأخبرتك ، بينا أنا أسير فى بعض الفلوات إذ أنا برجل قد نصب حِبالته ، فقلت له : ما حبسك هاهنا ؟ فقال : أهلكنى وأهلى الجوعُ فنصبت حِبالتى هنا لأصيب لهم شيئا يكفينا ويعصمنا يومنا هذا ، قلت : أرأيت إن أقمت معك فأصبت صيدا تجعل لى جزءا منه ؟ قال : نعم ، فبينا نحن كذلك وقعت ظبية فى الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرنى إليها فحلّها وأطلقها ، فقلت : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول [من الطويل] :

أيا شِبه ليلى لا تُراعِى فإننى ... لكِ اليوم من وحشيَّةٍ لصديقُ
أقولُ وقد أطلقتُها من وِثاقِها ... فأنت لليلَى ما حييت طليقُ

وحدث عبد الرحمن بن عبد الله الزهرى قال : بكى بعض آل كثير عليه حين نزل به الموت ، فقال له كثير : لا تبكِ فكأنى بك بعد أربعين يوماً تسمع خشفة نعلى من تلك الشعبة راجعا إليكم

وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال : مات كثير وعكرمة رحمه الله تعالى فى يوم واحد ، فقيل : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ، ولم تتخلف امرأة ولارجل عن جنازتيهما ، وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة فى ندبهن ، فقال أبو جعفر محمد بن على : افرجوا لى عن جنازة كثير لأرفعها

(١) كذا والمحفوظ أن هذا الفعل ثلاثى ، فالهمزة أوله لا محل لها

قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن على رضى الله عنهما يضربهن بكمه ويقول : تنحين يا صويحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صدقت ، إننا لصويحباته ، وقد كنا خيراً منكم له ، فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئنى بها إذا انصرفنا ، فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرر النار ، فقال لها : إيه أنت القائلة : إنكن ليوسف خير منا ؟ قالت: نعم ، تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله ، قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني ، قالت : نحن يا ابن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والمتمتع والمتنعم ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه فى الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه فى السجن ، فأينا كان عليه أحن وبه أرأف ؟ فقال لها محمد : لله درك لن تغالَبَ امرأة إلا غلبت ، ثم قال : ألك بعل ؟ فقالت: لى من الرجال مَنْ أنا بعله ، فقال لها: ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها ، فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه ربيبة فلانة بنت معيقب الأنصارية

وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة ، فى ولاية يزيد بن عبد الملك ، رحمهم الله تعالى !

* * *

مدار الاستعارة التبعية على المفعول

١٠٤ — * قتَلَ البُخْلَ وأحيا السَّماحا *

هو لابن المعتز من قصيدته السابقة فى التشبيه (١) وصدره :

* جُمع الحقُّ لنا فِى إمامٍ *

وبعده قوله :

إن عفا لم يُلْغِ لله حقاً ‎ ‎ ‎ ‎ أو سطَا لم يخش منه جناحا

---

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم (٧٩ فى ص ٣٤ من هذا الجزء) .

ألف الهيجاء طفلا وكهلاً يحسبُ السيفَ عليه وشاحا

والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

* * *

١٠٥ — نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ

مدار التبعية على المفعول

قائله القطامى ، ولفظه :

نقريهمُ لهذميات نَقُدُّ بها ما كانَ خاطَ عليهم كلُّ زَرَّادِ

وهو من قصيدة (١) من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابى أولها :

ما اعتادَ حُبُّ سُلَيْمَى غير مُعتادِ ولا تَقَضَّى بوافى دينِها الطَّادِى (٢)

بيضاءُ مَحْطُوطَةُ المَتْنَيْنِ بَهْكَنَةٌ رَيَّا الرَّوادِفِ لم تُمْغِلْ بأولادِ (٣)

ما للكَواعِبِ وَدَّعْنَ الحياةَ كما ودَّعْنَنِي واتَّخَذْنَ الشَّيبَ ميعادِي

أبصارُهُنَّ إلى الشبانِ مائلةٌ وقد أراهُنَّ عنى غيرَ صُدَّادِ

إذ باطِلِي لم تَقَشَّعْ جاهِلِيَّتُهُ عنى ولم يَترُكِ الخُلَّانُ تَقْوادِى

كَنِيَّةِ الحيِّ مِنْ ذِى الغَيْظَةِ احتملوا مُسْتَحْقِبينَ فؤاداً ما له فادى (٤)

---

(١) اقرأها فى ديوان القطامى (٧ أوربا)

(٢) فى الديوان « حين معتاد » وفى الأصل * ولا تقضى بوافى دينها الصادى * محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان . والطادى : الثابت القديم .

(٣) فى الأصل « مخطوطة » محرفا . ومحطوطة المتنين : لطيفتهما . ولم تمغل : من قولهم « أمغلت الشاة » إذا ولدت فى السنة مرتين .

(٤) فى نسخة من الديوان « من ذى القضبة » وفى نسخة أخرى كما هنا وثمة روايات أخرى ، وفى الديوان « مستحقبين أسيرا » وعنى به فؤاده

باتوا وكانت حَيَاتى فى اجتماعِهِمُ ... وفى تَفَرُّقِهِمْ قتلى وإقصادِى
يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليسَ يعلمُهُ ... من يَتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِى [1]
فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يصبْنَ بهِ ... مواقعَ الماءِ من ذى الغُلَّةِ الصادِى

وهى طويلة .

واللهذم : القاطع من الأسنة ، وأراد بلهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والتشبيه للمبالغة ، والقد : القطع ، والزراد: صانع الدروع

والشاهد فيه : أن مدار قرينة الاستعارة التبعية فى الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا ، فان المفعول الثانى — وهو اللهذميات — قرينة على أن « نقريهم » استعارة .

وقد تقدم ذكر القطامى [2] فى شواهد القلب ، والله أعلم .

* * *

شاهد الاستعارة المجردة

١٠٦ — * غمرُ الرِّداءِ إذا تَبَسَّمَ ضاحِكا *

هو من الكامل ، وتمامه:

* غَلِقَتْ لضحْكَتِهِ رقابُ المالِ *

وهو من قصيدة لكثير عزة ، وأراد بغمر الرداء كثير العطاء

والشاهد فيه : الاستعارة المجردة ، وهى ما قرنت بملائم المستعار له ، فانه استعار الرداء للعطاء ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ثم وصفه بالغمر الذى يلائم العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة ، والقرينة سياق

---

(١) فى نسخة من الديوان « ولا مكتومه بادى » .

(٢) ارجع إلى ترجمة القطامى فى شرح الشاهد (رقم ٣٢ فى ج ١ ص ٧٩١ من هذه المطبوعة) .

الكلام ، وهو قوله « إذا تبسم ضاحكاً » أى شارعاً فى الضحك آخذا فيه ، غلقت لضحكته رقاب المال ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يقدر على انفكاكه ، وهو يريد فى البيت أن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقابُ أمواله فى أيدى السائلين

ومن استعارة الرداء قوله [من الوافر] :

يُنَازِعني ردائى عَبْدُ عمرٍو   رُوَيْدَكَ يا أخا عمرو بن بكرِ
لِيَ الشطْرُ الذى مَلَكت يمينى   فَدُونك فاعتجر منه بشَطْرِ

فانه استعار الرداء للسيف ، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء .

وما أحسن استعارة الرداء فى قول أبى الوليد بن الجنان الشاطبى وهو [من مجزوء الرمل] :

فَوقَ خَدِّ الوَرْدِ دَمْعٌ   من عيونِ السُّحْبِ يَذْرِفْ
بردَاءِ الشمس أضْحَى   بعدَ ما سالَ يُجَفَّفْ

وفى معنى عجز البيت قول امرىء القيس [من الطويل] :

غلقن برَهْنٍ من حَبيبٍ به ادَّعَتْ   سُليمى فأضْحَى حَبلُها قد تبَترا

وقول زهير [من البسيط] :

وفارَقَتْكَ برَهنٍ لا فَكاكَ له   يومَ الوداعِ فأمْسَى الرهنُ قد غَلِقَا

وقول الوليد [من الطويل] :

* ومن يَكُ رهناً للحَوادِثِ يَغْلَقِ *

وقول عمر بن أبى ربيعة [من الطويل] :

وكم من قَتيلٍ لا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ   ومن غلق رهن إذا ضمه مبنى(١)

وقول أبى جعفر بن مسلمة بن وضاح يخاطب ساجع حمام من أبيات [من السريع] :

وهاجَ مَبْكاكَ ببُسْتَان إبــراهيمَ للنَّجدِىِّ ذِكْرَ القَطِينْ

(١) كذا ، ولم اجده فى ديوان عمر

فرج فَساعِدْنى على لوْعتى فانَّ رهنى غَلِقٌ فى الرهونْ

وقول أبى نصر الساجى [من الرجز] :

تشكو إليك مُهْجتى ما نالها فيالهَا إن صبَرَتْ ويالهَا

لأنها مرْهونةٌ بحُبكم طوبَى لها إن غَلِقَتْ طوبَى لها

وما ألطف قول الصلاح الصفدى مع زيادة إيهام وإيهام الطباق [من المجتث] :

سهامُ لحظِكِ أصمَتْ قلْبي ولم تَترفَّقْ

ماتفتحُ الجفن إلاّ ورهن قلبى يغلق

* * *

لدى أسدٍ شاكى السِّلاحِ مُقذَّفٍ له لبد أظفارُهُ لم تُقَلَّم

شاهد اجتماع التجريد والترشيح

تقدم قريباً [١] أن قائله زهير بن أبى سلمى ، من قصيدة من الطويل

واللبد ـ بالكسر [٢] شعَرُ زبرة الأسد ، وكنيته أبو لبد ، والتقليم : مبالغة القلم وهو قطع الأظفار

والشاهد فيه : اجتماع التجريد والترشيح فى الاستعارة ، فالتجريد قد عرف قبله ، والترشيح هو : ماقرن بملائم المستعار منه ، فقوله هنا « لدى أسد شاكى السلاح » تجريد ، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع ، وباقى البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه ، وهو الأسد الحقيقى

ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر [٣] حيث قال [من الطويل]

---

(١) هو الشاهد رقم (٩٧) الذى مضى شرحه فى (ص١١٢ من هذا الجزء)

(٢) يريد بكسر أوله ، وأما ثانيه فمفتوح .

(٣) انظر حديث هذا الأخذ عن الأصمعي فى الشعر والشعراء (١٠١ أوربا)

لَعَمْرُكَ إنَّا والأحاليفَ هؤلاَ لفي حِقْبَةٍ أظفارها لم تُقَلَّم (١)

أى : نحن في حرب ، وكذلك أخذه النابغة حيث قال أيضا [من الكامل]:

وبنو قُعَيْنٍ لا محالة إنهم آتوكَ غير مُقَلَّمِى الأظفارِ

* * *

مبنى الترشيح على تناسى التشبيه

١٠٧ - ويَصْعَدُ حتى يَظُنَّ الجَهُولُ بأنَّ لهُ حاجَةً فى السماء

البيت لأبى تمام الطائى ، من قصيدة (٢) من المتقارب يرثى بها خالد بن يزيد الشيبانى ويذكر أباه ، وأولها :

نَعَاءِ إلى كلِّ حَيٍّ نَعاء فتى العرَب اخْتَطَّ ربْعَ الفناء

أُصِبْنا جميعاً بسهم النِّضال فَهلا أصبنَا بسهم الغِلاَءِ (٣)

ألا أيها الموْتُ فُجِّعْتَنَــا بماءِ الحياةِ وماءِ الحيــاء

فماذا حَبَوتَ به حاضراً وماذا خَبأتَ لأهلِ الخِباءِ (٤)

نعاء نعاء شَقيقَ النَّدَى إليــه نعياً قليلَ الجَدَاءِ

وكانا زَماناً شريكَىْ عِنانٍ رَضيعَىْ لِبانٍ خَليلَىْ صفاءِ (٥)

إلى أن قال يخاطب ولده :

---

(١) فى الأصل « لفى جعبة » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء .

(٢) اقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤٧ بيروت) وقد أثبتت هذه الأبيات المروية هنا وكأنها مبنية على الألف اللينة ، بدون همزة فى رويها وهو خطأ

(٣) فى الأصل « بسهم النصال » وفيه « بسهم العلاء » وكلاهما تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والغلاء : مجاوزة الحد .

(٤) فى الأصل « وماذا حضرت به حاضرا »

(٥) فى الديوان « وكانا جميعا ».

أبا جعفر ليُعِزْكَ الزما ... نُ عزاً ويكسُك طول البقاء (١)
فما مُزْنُكَ المرتجى بالجَهَام ... ولا ريحنا منك بالجربياء (٢)
فلا رجعتْ فيك تلك الظنون ... حيارى ولا انشعب الرجاء
وقد نُكِسَ الثغر فابعث له ... صدورَ القنا في ابتغاء الشفاء
فقد مات جدُّك جد الملوك ... ونجم أبيك حديثُ الضياء
ولم يرض قبضتَهُ للحسام ... ولا حمل عاتقه للواء
فما زال يقرع تلك العلا ... مع النجم مرتدياً بالعماء (٣)

وبعده البيت ، وهي قصيدة طويلة ، وهذا البيت في مدح أبيه وذكر علوه والشاهد فيه : أن مبنى الترشيح على تناسى التشبيه ، حتى إن المرشح يبنى على علو القدر الذى يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء ، فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويُصِرَّ على إنكاره فيجعله صاعدا فى السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه

ومثله قول بشار [من مجزوء الوافر] :

أتتنى الشمسُ زائرةً ... ولم تكُ تبرحُ الفلكا

وقول ابن الرومى يمدح به بنى نوبخت [من المنسرح] :

شافهتمُ البدرَ بالسؤال عن الـ ... أمرِ إلى أنْ بلغتمُ زُحلا

وقول أبى الطيب المتنبى أيضاً [من الكامل] :

كبرتْ حولَ ديارهمْ لما بدتْ ... منها الشموسُ وليس فيها المشرقُ

---

(١) فى الديوان « ليمرك الزمان * عزاء ».
(٢) المزن : السحاب ، والجهام : الذى لا ماء فيه ، والجربياء : ريح الشمال
(٣) العماء : السحاب المرتفع .

وقول الآخر [من الطويل] :

ولم أرَ قبلى مَنْ مشى البدرُ نحوهُ ولا رَجلاً قامتْ تعانقهُ الأسْدُ

وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشَّحة على غيرها فى هذا الباب ، وأنه ليس فوق رتبتها رتبة ، ولنذكر نبذة منها ومن غيرها ، فمن محاسن ماورد فيها قول أبى جعفر الشقرىّ [من السريع] :

ياهلْ ترَى أظرَفَ مِنْ يَوْمنَا قلّدَ جِيدَ الأفقِ طَوْقَ العقيقْ

وأنقَ الورق بِعِيدانِهِ مُرْقصةً كل قضيبٍ وَريقْ

والشمسُ لاتشرَبُ خمرَ الندَى فى الروض إلا بكؤوس الشقيقْ

ومثله فى الرشاقة قول ابن رشيق [من السريع] :

باكِرْ إلى اللّذّات واركَبْ لها سَوَابقَ اللهوِ ذواتِ المزَاحْ

من قبْلِ أن ترْشفَ شمسُ الضحى رِيقَ الغَوادى من ثُغُورِ الأقاحْ

ولطيفٌ قولُ بعضهم أيضاً [من السريع] :

شَرَابُنا الرِّيقُ وكاساتُنا شفاهُنا والقُبَلُ النَّقْلُ

ويقرُب من البيت الأول ، من قول ابن رشيق ، قولُ ابن المعتزّ ، [من الوافر] :

وقدْ رَكضتْ بنا خيلُ الملاهى وقد طِرْنا بأجنحةِ السُّرُورِ

وبديعٌ أيضاً قول ابن وكيع [من الرمل] :

غَرّدَ الطيرُ فَنَبِّهْ من نعَسْ وأدِرْ كأسكَ فالعيشُ خُلَسْ

سُلّ سيفُ الفجرِ من غِمْدِ الدجى وتعرّى الصبحُ من ثوبِ الغَلَسْ

وانجَلى عنْ حُلَلٍ فضيَّةٍ نالها من ظُلَمِ الليل دَنَسْ

وقول أبى نُوَاس [من السريع] :

بصحن خدّ لم يغضْ ماؤهُ ولم تَخُضْهُ أعينُ الناسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

فإذا بدَا اقتادَتْ محاسنهُ قَسْراً إليهِ أعنةَ الحدَقِ

وقوله أيضاً ، وهو عجيب هنا [من البسيط] :

مازلتُ أستَلُّ رُوحَ الزِّقّ في لَطَفٍ وأستقي دَمَهُ من جَفْنِ مجْروحِ
حتى انثنيتُ ولي رُوحانِ في جسدي وَالزِّقُّ منْطرحٌ جسم بلا روحِ

وقول البدر الذهبي ، وأجاد [من مخلع البسيط] :

ما نظرت مُقلتي عجيباً كاللوز لما بدَا نَوّارُهُ
اشتعلَ الرأسُ منهُ شيباً واخضَرَّ من بعد ذا عذارُهُ

وقول ابن خفاجة الأندلسي [من الطويل] :

وقد جالَ من حول الغمامة أدهمٌ لهُ البرقُ سوطٌ والشَّمالُ عِنانُ
وضمخَ دِرعُ الشمس نحرَ حديقة عليه من الطلّ السقيط جُمَانُ
ونَمّتْ بأسرار الرياض خميلةٌ لها النَّوْرُ ثغرٌ والنسيم لسانُ

وقول ابن قرناص [من الخفيف] :

قد أتينا الرياضَ حين تجلَّتْ وتحلَّتْ من الندى بجُمانِ
ورَأينا خواتمَ الزهر لما سقطتْ من أنامل الأغصانِ

وبديعٌ أيضاً قول ابن نُبَاتة السعدي [من الطويل] :

خرَقنا بأطراف القنا لظهورِهمْ عيوناً لها وَقعُ السيوف حواجبُ
لقوا نبلنا مُرْدَ العوارض وانْثَنَوا لأوجُهِهم منها لحى وشَوَاربُ

وقول الشريف أبي الحسن العقيلي [من المتقارب] :

وفرّق تيجانَ نوّارِهِ فلم ينسَ من غُصُنٍ مفرِقَا

وقوله أيضاً [من الوافر] :

إذا أبدَى مُؤامرَةَ التجنى أقمتُ لهُ وُجوه الاحتمالِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

خلّصْ بجاه الوصل قلبَ متيّمٍ غمزَ الصّدُودُ عليهأعوانَ الضنَى

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

كلما لاحَ وَجهُهُ بمكانٍ كثرت زحمةُ العيون عليهِ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

فلما تبدّى لنا وجهُهُ نَهَبْنَا محاسنهُ بالعُيونِ

وقول السرى الرفاء فى يوم بارد من أبيات [من مجزوء الكامل] :

متلون يبدى لنا طرفاً بأطراف النّهارِ

فهواهُ منكسبُ الرّدا ءِ وغيمهُ جافى الإزارِ

يبكى فيجمدُ دمعهُ والبرقُ يكحله بنارِ

وقول أبى القاسم الدينورى [من مجزوء الرمل] :

من عذيرى من بديع الـ حسنِ ذى قدٍّ رشيقِ

أنبتَتْ فى فمه اللـؤ لؤ أرضٌ من عقيقِ

وما ألطف قول أبى زكرياء المغربى من قصيدة أولها [من الرمل] :

نامَ طفلُ النبتِ فى حجرِ النعامى لاهتزاز الطلّ فى مهد الخزامى

يقول فيها :

كحّلَ الفجرُ لهم جفنَ الدّجى وغدا فى وجنة الصبح لثامَا

تحسبُ البدرَ مُحيَّا ثَمِلٍ قد سقتهُ راحةُ الفجر مدامَا

وقول السلامى ، وهو بديع [من البسيط] :

والكأسُ للسُّكرِ التبرى صائغةٌ وَالماء للحَبَبِ الدرّى نَظّامُ

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا ... كأننا في حجور الروض أيتام

وما أبدع قوله أيضاً [من الوافر] :

تبسطنا على الآثام لما ... رأينا العفو من ثمر الذنوب

قيل : كان الصاحب بن عبّاد يستحسن هذا البيت ، وكان يستشهد به كثيراً ، ويقول : مادرى قائله أي درة رمى بها ، وأي غرة سيرها وخلّدها .

وقول التنوخيّ وهو من غريب الاستعارات [من الخفيف] :

وَرِيَاضٍ حاكَتْ لهُنّ الثُّرَيا ... حُلَلاً كانَ غزْلُها لِلرُّعودِ

نثرَ الغَيْثُ دُرَّ دَمْعٍ علَيْهَا ... فتَحلّتْ بمثْلِ دُرّ العُقُودِ

أقحوانٌ مُعانقٌ لشقيقٍ ... كثغورٍ تعضّ وردَ الخدُودِ

وعيونٌ من نرجسٍ تتراأى ... كعيونٍ موصولة التسهيد

وكأن الشقيق حين تبدّى ... ظلمةُ الصدغ في خدود الغيدِ

وكأنّ الندَى عليها دموعٌ ... في عيونٍ مفجوعةٍ بفقيدِ

وقولُ السيد أبي الحسن عليّ بن أبي طالبٍ البلخيّ ، من أبيات [من الطويل] :

وكمْ قدمضى ليلٌ على أبرُقِ الحِمَى ... مُضِيء ويومٌ بالمشرّق مُشْرِقُ

تسرّقْتُ فيه اللهوَ أملس ناعماً ... وأطيَبُ أنس المرء ما يتسرّقُ

ويا حُسْنَ طيفٍ قدتمرّضَ مَوْهناً ... وقلبُ الدُّجى من صَوْلَةِ الصبح يخفق

وقول ابن الساعاتي [من الطويل]

ولولا وُشاةٌ بل رُواةٌ تخرّصوا ... أحاديثَ ليستْ في سماعٍ ولا نقلِ

لثمتُ ثغورَ النَّوْر في شَنَبِ الندَى ... خلالَ جبين النهر في طُرّر الظلّ

وقول القاضي كمال الدين بن النبيه [من الطويل] :

تبسّم ثغرُ الروض عن شنب القَطْرِ　　ودبّ عذارُ الظلّ في وجنةِ النهرِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

والنهرُ خدٌّ بالشعاعِ مورّدٌ　　قد دبّ فيه عذارُ ظلّ البانِ

والماء في سوق الغصون خلاخلٌ　　من فضةٍ والزهرُ كالتيجانِ

وقول ابن قرناص أيضاً [من الوافر] :

لقد عقدَ الربيعُ نطاقَ زهرٍ　　يضمُّ بغصنه خصراً نحيلاَ

ودبَّ مع العشيّ عذارُ ظلّ　　على نهرٍ حكى خدًّا أسيلاَ

وكلهم قد أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة ، حيث قال [من الطويل] :

وإني وإن جئتُ المشيبَ لمولعٌ　　بطُرّة ظلّ فوق وجه غديرِ

وما أحسن قول الشهاب محمود الوراق [من البسيط] :

إذا الكرى ذرّ في أجفاننا سِنَةً　　من النعاس نفضناها عن الهُدُبِ

وقول ابن نباتة المصرى أيضاً [من الطويل] :

ولما جنى طرفي رياضَ جمالكمْ　　جعلتُ سُهادى في عقوبته مَنْ جَنَى

أأحبابنَا إن عفتمُ السفحَ منزلاً　　وأخليتم من جانب الجذع موطنَا

فقد حزتمُ دمعى عقيقاً ومُهجتى　　غَضًى وسكنتم من ضلوعى مُنحنَى

وقوله أيضاً [من الكامل] :

هذى الحمائم فى منابر أيكها　　تُملى الغنا والطلّ يكتب في الورَقْ

والقُضْبُ تخفض للسلام رؤوسها　　والزهرُ يرفعُ زائريه على الحدَقْ

وهو أحسن من قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

إني لأشهدُ للحيَى بفضيلةٍ　　من أجلها أصبحتُ من عشاقهِ

ما زارَهُ أيامَ نرجسهِ فتىً ... إلا وأجلسهُ على أحداقهِ

وقول مجد الدين الاربلى [من الكامل] :

أصغِى إلى قول العذولِ بجملتى ... مستفهماً عنكمِ بغير ملالِ

لتلقُّطِى زهراتِ وَرد حديثكمْ ... من بين شوكِ ملامةِ العذالِ

وقول مانى الموسوس [من المتقارب] :

دعتنى إلى وصلها جهْرَةً ... ولم تدر أنى لها أعشقُ

فقمتُ وللسكر من مفرقى ... إلى قدمى ألسنٌ تنطقُ

وما أجود قول أبى طاهر البغدادى فى نار القرى [من الكامل] :

خطرتْ فكادَ الوُرقُ تَسْجَعُ فوقها ... إنَّ الحمامَ لمولعٌ بالبانِ

من معشرٍ نَشَرُوا على تاج الرُّبا ... للطارقين ذوائبَ النيرانِ

وهو مأخوذ من قول الأول [من الطويل] :

يبيتون فى الْمَشْتَى خِماصاً وعندهُمْ ... من الزاد فضلاتٌ تعدُّ لمن يَقْرَى

إذا ضلَّ عنهم طارقٌ رفعوا له ... من النار فى الظلماء ألويةً حمرا

وقول صر در فيها [من الكامل] :

قومٌ إذا حيا الضيوفُ جفانَهُمْ ... رَدَّتْ عليهم ألسنُ النيرانِ

ومنه قول التهامى [من الكامل] :

نادَتهُ نارُكَ وهىَ غيرُ فصيحةٍ ... وهناً بخَفْقِ ذوائب النيرانِ

وقد بالغَ مهيار الديلمى فى قوله [من الكامل] :

ضربوا بمَدْرَجة الطريق قِبابهمْ ... يتقارعونَ على قِرى الضيفانِ

ويكادُ موقدُهمْ يَجُودُ بنفسهِ ... حُبَّ القِرَى طَرَباً على النيرانِ

وما أحسن قول ابن سُكَّرة ، وهو صاحب البيتين الجامعين لكافات الشتاء [من مجزوء الرمل] :

قيلَ ما أعددتَ للبرْ ... دِ فقد جاء بشدَّهْ
قلتُ دُرَّاعةَ عُرْيٍ ... تحتها جُبَّة رِعْدَهْ

وما ألطف قول ابن عمار [من الكامل] :

أدرِ الزجاجة فالنسيم قد انبرَى ... والنجمُ قد صرف العِنَانَ عن السُّرَى
والصبحُ قد أهدى لنا كافورهُ ... لما استردَّ الليلُ منَّا العنبرا

ومن بديع الاستعارة - على سخفه ومجونه - قولُ سعيد بن سناء الملك ، [من مجزوء الكامل] :

يا هذه لا تستحى ... منى قدا تكشف المُغَطَّى
إن كان كُسُّكِ قد تثا ... ءَبَ إنَّ أيرى قدْ تمطَّى

فاستعارة التثاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات . قال ابن جبارة : أنشدنى هذا ابنُ سناء الملك ، وزاد فى الاعجاب به ، فلما عُدتُ إلى البيت أخذت جزءاً من البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى ، فوجدت فيه أن بغدادية قالت لأخرى : خرجت اليوم إلى العيد ؟ قالت : إى وحياتك ، قالت لها : فما رأيت ؟ قالت : أحراحاً تتثاءب وأيوراً تتمطى ، فلما اجتمعتُ به قلت له : قد عرفتُ وعثرت على الكنز الذى انتهبته ، وحكيت له الحكاية قال : سيدنا يفتش عن أمرى .

ومن ظريف الاستعارات قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

كيفَ السبيلُ لأنْ أُقبلَ خدَّ مَنْ ... أهوى وقد نامت عيونُ الحرّسِ
وأصابعُ المنثور تومِى نحوَنا ... حسداً وتغمزها عيون النرجسِ

وبديع قول السلامى أيضاً فى وصف الحرب [من الكامل] :

والنقع ثوبٌ بالنسور مطرَّزٌ والأرضُ فَرْشٌ بالجياد مخيلُ
وسطورُ خيلكَ إنما ألِفاتها سمرٌ تنقط بالدماء وتشكلُ

وأجاد البدر بن يوسف الذهبي بقوله [من السريع] :

هلمّ يا صاحِ إلى روضةٍ يجلو بها العانى صدَا همِّهِ
نسيمها يَعثر فى ذيلهِ وزَهرها يضحكُ فى كمِّهِ

11 ومن ظريف الاستعارة أيضاً قول ابن الغويرة [من مجزوء الكامل] :

عاينتُ حبةَ خالهِ فى رَوضةٍ من جلُّنارِ
فغدا فؤادى طائراً فاصطاده شركُ العِذارِ

وما أبدع أيضاً قول الشريف الرضى الموسوى [من البسيط] :

أرسى النسيمُ بواديكمْ ولا برِحتْ حواملُ المزنِ فى أجداثكم تضعُ
ولا يزالُ جنينُ النبت تُرْضعهُ على قبوركمُ العرّاضةُ الهمعُ

وقد أخذه ابن أسعد الموصلى ، فقال من قصيدة ، يتشوق فيها إلى دمشق [من البسيط] :

سقى دمشقَ وأياماً مضتْ فيها حواملُ السُّحب باديها وعاديها
ولا يزالُ جنين النبت تُرضعهُ حواملُ المزن فى أحشا أرَاضيها

ومحاسن هذا الباب كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى .

* * *

١٠٨ — هى الشَّمْسُ مَسكنها فى السماء فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلاَ
فلنْ تستطيعَ إليها الصُّعودَ ولنْ تستطيعَ إليكَ النزولاَ

شاهد جواز البناء على الفرع

البيتان للعباس بن الأحنف ، من المتقارب

والشاهد فيهما : جواز البناء على الفرع — وهو المشبه به — مع جحد الأصل وهو المشبه ، لأنه هنا طوى ذكر الأصل ، وجعل الكلام خلوا منه ، ويسمى هذا المجاز المفرد ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

أبى أحمدُ الغيثين صعصعةُ الذى ... متى تبخلِ الجوزاء والدَّلوُ يُمطِرِ

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين [من الكامل] :

يتعاوَرانِ من الغبارِ مُلَاءةً ... بيضاء محكمةً إذا نسجاهَا

تُطوَى إذا وَرَدَا مكاناً محزناً ... وإذا السنابكُ أسهلت نشراهَا

وقول سعيد الكاتب التسترى النصرانى [من مجزوء الخفيف] :

قلتُ زورى فأرسلتْ ... أنا آتيك سُحرَهْ

قلتُ فالليلُ كان أخـ ... ـفى وأدنى مسرّهْ

فأجابتْ بحجةٍ ... زادتِ القلبَ حسرَهْ

أنا شمْسٌ وإنما ... تطلعُ الشمْسُ بكرَهْ

وله فى معناه أيضاً [من الخفيف] :

وعدَ البدرُ بالزيارة ليلاً ... فاذا ماوفى قضيتُ نذورى

قلتُ ياسيدى فَلِمْ تؤثر الليـ ... ـلَ على بهجةِ النهارِ المنيرِ

قال لى لا أحبُّ تغيير رسمى ... هكذا الرّسمُ فى طلوعِ البدُورِ

وقال فى معناه أيضاً [من الخفيف] :

قلتُ للبدر حينَ أعتبَ زَرنى ... واشمت الوصلَ بالقلا والتجافى

قالَ إنى معَ العشاء سآتى ... فانتظرنى ولا تخفْ من خلافِ

قلتُ يا سيدى فزرنى نهاراً ... فهو أدنى لقربةِ الايلافِ

قالَ لا أستطيعُ تغييرَ رسمى ... إنما البدرُ فى الظلام يوافى

وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين فى قوله [من الخفيف] :

هىَ قالت لمارأت شيبَ رأسى وأرادتْ تنكراً وازوراراَ
أنا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شيبكَ والصبح يطرد الأقماراَ
قلتُ لا بل أراكِ فى الحسن شمساً لا تَرَى فى الدُّجى وتبدو نهاراَ

* * *

١٠٩ — وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَها ألفيتَ كل تميمةٍ لاتنفعُ

شاهد الاستعارة بالكناية

البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، من قصيدة [1] من الكامل ، قالها وقد هلك له خمسُ بنين فى عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر ، فرثاهم بهذه القصيدة ، وأولها :

أمِنَ المنونِ وريبها تتوجعُ والدهرُ ليسَ بمعتِبٍ مَنْ يجزعُ
قالتْ أُمامةُ ما لجسمكَ شاحباً منذُ ابتذلتَ ومثلُ مالكَ ينفعُ
أمْ ما لجسمكَ لا يلائم مضجعاً إلا أقضَّ عليكَ ذاكَ المضجعُ [2]
فأجبتها أمّا لجسمىَ إنهُ أودَى بَنِىَّ من البلاد فودّعوا [3]
أودَى بَنِىّ فأعقبونى حسرةً عند الرّقاد وعَبْرةً لا تقلعُ
فالعينُ بعدهمُ كأنّ حداقَها كُحِلَت بشوك فهى عُورٌ تدمعُ [4]

(١) انظرها فى ديوان أبى ذؤيب فى مجموعة شعر الهذليين (١ — ١ طبع دار الكتب المصرية) وانظرها أيضا فى المفضليات ، ولم يراع المؤلف ترتيبهما

(٢) فى المفضليات « أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا » وكذلك فى الديوان

(٣) فى الأصل «فأجبتها أرثى لجسمي» وأثبتنا ما فى المفضليات والديوان

(٤) فى المفضليات « سملت بشوك » وكذلك فى الديوان

فَغَبَرْتُ بعدهمُ بعيش ناصبٍ وإخالُ أنى لاحقٌ مستتبعُ
سبقوا هَوَىَّ وأعنقوا لهواهمُ فتُخُرِّموا ولكل جنبٍ مَصْرعُ
ولقد حرصتُ بأن أُدافعَ عنهمُ فإذا المنية أقبلتْ لا تُدْفَعُ

و بعده البيت ، و بعده :

وتجلُّدِى للشامتين أُريهمُ أنى لريب الدهر لا أتضعضعُ
حتى كأنى للحوادث مَرْوَةٌ بصفا المشرَّق كلَّ يوم تُقْرعُ
والدَّهرُ لا يَبْقَى على حَدَثانهِ جَوْنُ السَّراةِ له جدائد أربعُ(١)

يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده ، فادّهن وا كتحل ، وأمر أن يقعد و يسند ، وقال : ائذنوا له ، وليسلم قائما ولينصرف ، فلما سلم عليه وولى ، أنشد معاوية قول الهذلى فى هذه القصيدة * وتجلدى للشامتين . . . البيت * فأجابه ابن عباس على الفور : * وإذَا المنيـةُ أنشبتْ . . . البيت * ثمّ ما خرج من داره حتى سمع الناعية عليه .

والشاهد فيه : الاستعارة بالكناية ، والاستعارة التخييلية ، فهو هنا شبه فى نفسه المنية بالسبع فى اغتياله النفوسَ بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفّاع وضرّار ولا رقة لمرحوم ، فأثبت لها الأظفار التى لا يكمل الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقا للمبالغة فى التشبيه ، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية ، وَ إثبات الأظفار لها استعارة تخييلية .

---

(١) فى الأصل «جون السحاب» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى المفضليات والديوان والأغانى وخزانة الأدب ــ وأراد بجون السراة حمارا وحشيا ، والسراة ــ بفتح السين ــ أعلى الظهر ، والجدائد : الأتن اللواتى خفت ألبانهن واحدهن جدود .

ترجمة أبي ذؤيب الهذلي

وأبو ذؤيب[1] اسمه : خويلد بن خالد بن محرث[2] بن زبيد بن مخزوم ، ينتهى نسبه لنزار ، وهو أحد المخضرَمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام ، ولم تثبت له رؤية .

وحَدَّث أبو ذؤيب قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فاستشعرت حزناً ، وبتُّ بأطول لَيلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظلات أُقاسى طولها ، حتى إذا كانَ قربَ السحر أغفيتُ ، فهتفَ بى هاتفٌ ، وهو يقولُ [من الكامل] :

خطبٌ أجلّ أناخَ بالاسلام بين النخيل ومقعدِ الآطامِ
قُبضَ النبيُّ محمدٌ فعيوننا تُذْرِى الدُّموعَ عليه بالتَّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومى فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض ، فركبت ناقتى وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به ، فعنّ لى شَيْهَمٌ — يعنى القنفذ — قد قبض على صِلٍّ — يعنى الحية — فهى تلتوى عليه ، والشيهم يقضمها حتى أكلها ، فزجرت ذلك ، وقلت : شيهم شىء مهمّ والتواء الصل : التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبةَ القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر ، فحثثت ناقتى ، حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر ، فأخبرنى بوفاته ، ونعَبَ غراب سانح ، فنطق بمثل ذلك ، فتعوذت بالله من شر ماعنّ

(١) لأبى ذؤيب ترجمة فى الأغانى (٦ ـ ٥٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥ ـ ١٧٩) وخزانة الأدب (١ ـ ٢٠٣) والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا ، وفى الأغانى « خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن مخزوم » وهو تحريف وما هنا موافق لما فى الخزانة ومطلع ديوانه

لى فى طريقى ، وقدمت المدينة المنورة ، ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا انطوى بالإحرام ، فقلت : مَهْ ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت إلى المسجد ، فوجدته خاليا ، فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بابه مُرْتَجًا ، وقيل : هو مُسَجًّى ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجئت إلى السقيفة ، فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالماً وجماعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ، وفيهم شعراؤهم : حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وملأٌ منهم ، فأويت إلى قريش ، وتكلمت الأنصار ، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب ، وتكلم أبو بكر ، فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا مال إليه وانقاد له ، ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ، ومدّ يده ، فبايعه وبايعوه . ورجع أبو بكر ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم . ثم أنشأ أبو ذؤيب يبكى النبى صلى الله عليه وسلم (١) [من الكامل] :

لما رأيتُ الناسَ فى عسلانهم ما بين ملحودٍ له ومُضَرَّحِ
متبادرين لشرجع بأكفهمْ نصَّ الرقاب لفقد أبيض أروحِ
فهناك صرتُ إلى الهموم ومَنْ يبتْ جارَ الهموم يبيتُ غيرَ مُروَّحِ (٢)

---

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوان أبى ذؤيب المطبوع فى ديوان الهذليين بدار الكتب المصرية ، وتوجد ما عدا ثانيها فى تاريخ دمشق باختلاف يسير فى ألفاظها

(٢) فى تاريخ دمشق « يبيت غير مرزح » محرفا

كسفتْ لمصرعه النجومُ و بدرها وتضعضعت آطامُ بطن الأبطحِ [١]

وتزعزعتْ أجبالُ يثرب كلُّها ونخيلها لحلول خطبٍ مفدحِ [٢]

ولقدْ زَجرتُ الطيرَ قبل وفاتهِ بمُصابهِ وزجرتُ سعد الأذبحِ

وزَجرتُ أن نَعَبَ المشحجُ سانحاً متفائلاً فيـهِ بفألٍ أقبحِ [٣]

ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى إلى باديته ، فأقام بها .

وقال محمد بن سلام : كان أبو ذؤيب شاعراً فحلا لا غميزة فيه ولا وهق . وسئل حسان بن ثابت : من أشعر الناس ؟ قال : أحيًّا أم رجلا . قالوا : حياء قال : أشعر الناس حيا هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . وقال محمد بن معاذ العمرى : فى التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء ، وكان اسم الشاعر بالعبرانية مؤلف زوراء ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العبرانية ، — وهو كثير بن إسحاق — فعجب منه ، وقال : قد بلغنى ذلك .

وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة ، يقال لها : أُم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد ابن زهير ، فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل ، يقال له : عويمر ابن مالك بن عويمر ، وكان رسوله إليها ، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صَرَمَها فأرسلت تترضاه ، فلم يفعل ، وقال فيها [٤] [من الطويل] :

تُريدين كيما تجمعيني وخالداً وهلْ يُجمعُ السيفانِ ويحكِ فى غمدِ ؟

أخالدُ ما راعيتَ من ذى قرابةٍ فتحفظنى بالغيب أو بعض ماتبدِى

دعاكَ إليهـا مقلتاها وجيـدُها فملتَ كما مالَ المحبّ على عمـدِ

---

(١) فى تاريخ دمشق « وتزعزعت آطام »

(٢) وفيه * وتحركت آكام يثرب كلها *

(٣) وفيه * وزجرت إذ نعب . . . *

(٤) انظرها فى الديوان (١٥٩) والأغانى (٦ـ٦٢)

وكنت كقرواق السراب إذا جرى   لقوم وقد بات المطى بهم تخدى[١]

فآليتُ لا أنفكُّ أحذو قصيدةً   تكون وإياها لها مثلا بعدى[٢]

وقال أبو زيد عمرو بن شيبة : تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية ، يعنى قصيدته المثبتة قريباً .

وعن ابن عياش — بالياء التحتية والشين المعجمة — قال : لما مات جعفر الأكبر بن المنصور مشى فى جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، فأقبل على الربيع ، فقال : يا ربيع ، انظر مَنْ فى أهلى ينْشِدنى :

* أمنَ المنون وَرَيبها يتوجعُ *

حتى أتسلَّى عن مصيبتى ، قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم ، وهم بأجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ، فلم يكن فيهم أحد يحفظها ، فرجعت فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهم فى الأدب أعظمُ وأشد علىّ من مصيبتى بابنى ، ثم قال : انظر هل فى القواد والعوام من يعرفها؟ فإنى أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها ، فخرجت فاعترضت الناس ، فلم أجد أحدا ينشدها إلا شيخا مؤدِّبا قد انصرف من تأديبه ، فسألته : هل يحفظ شيئا من الشعر ، قال : نعم ، شعر أبى ذؤيب ، فقلت : أنشدنى ،

---

(١) فى الأصل (تحدى) وفى الأغانى (يحدى) كلاهما بالحاء مهملة ، وأثبتنا الصواب عن الديوان

(٢) فى الأصل «لا أنفك أحدو» وكذا فى الأغانى ، بالدال مهملة ، وهى رواية ، ومعناها أغنى بها ، وأثبتنا أوثق الروايتين ، ومعنى « أحذو » بالذال معجمة — أقول

فابتدأ بهذه القصيدة العينية ، فقلت : أنت بغيتى ، فأوصلته إلى المنصور، فأنشده إياها ، فلما قال :

* والدَّهرُ ليسَ بمعتب مَنْ يجزعُ *

قال: صدق والله ، فأنشدنى هذا البيت مائة مرة لترددهذا المصراع على ، فأنشده ، ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله :

* والدهرُ لا يبقى على حدثانِهِ إلخ *

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ، ثم أمر الشيخ بالانصراف ، فاتبعته فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ قال : نعم ، وأرانى صرة فى يده فيها مائة درهم

وعن الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى قال : كان أبو ذؤيب الهذلى خرج فى جند عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح أحد بنى عامر بن لؤى إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازيا فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، و بعث معه نفراً منهم أبو ذؤيب ، ففى عبد الله يقول [من المتقارب] :

وصاحبِ صِدْقٍ كَسِيدِ الضَّرا ءِ ينهضُ فى الغزوِ نهضا نجيحا (١)

فى قصيدة له (٢) ، فلما قدموا إلى مصر مات أبو ذؤيب بها

وعن أبى عمرو عبد الله بن الحارث الهذلى من أهل المدينة المنورة قال : خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له (٣) أبو عبيد حتى قدموا على عمر

---

(١) فى الأصل « كسيد الفضا » وأثبت ما فى الديوان . والضراء ــ بفتح الضاد ــ ما وارك من الشجر

(٢) انظرها فى الديوان (١٢٩ ــ ١٣٦)

(٣) فى الأغانى « يقال له أبو عقيل » وسماه بعد ذلك فى كل موضع جرى فيه اسمه من هذه القصة أبا عبيد ، وفى تاريخ دمشق كما هنا

ابن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : أى العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ قال : الايمان بالله ورسوله ، قال : قد فعلت فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : ذلك كان عملى ولا أرجو جنة ولا أخاف ناراً ، ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين ، فلما قفلوا أخذه الموت ، فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا ، فمنعهما صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول ، فكلاهما أراد أن يتخلف عليه ، فقال لهما أبو ذؤيب : اقترعا ، فطارت القرعة لأبى عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس ، فكان أبو عبيد يحدث قال : قال لى أبو ذؤيب ، يا أبا عبيد ، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ، ثم اجرنى إلى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى أفرغ ، فاغسلنى وكفنى بكفنى ثم اجعلنى فى حفيرتى ، وانثل على الجرف برمحك ، وألق على الغصون والحجارة ، ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جهامة ، قال : فما أخطأ مما قال شيئا ، ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش ، وقال وهو يجود بنفسه [من الرجز] :

أبا عُبيدٍ رُفِعَ الكتابُ واقترَب الموعودُ وَالحسابُ(١)
وعندَ رحلى جملٌ نجابُ أحمرُ فى حاركه انصِبَابُ

ثم مضيت حتى لحقت بالناس ، فكان يقال : إن أهل الاسلام أبعدوا الأثر فى بلاد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين ، وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة ، والله أعلم أى ذلك كان

* * *

من شواهد الاستعارة بالكناية

١١٠ — ولئن نطقتُ بشكرِ برِّكَ مُفصِحا فلسانُ حالى بالشِّكايةِ أنطَقُ

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله

---

(١) فى الأغانى « واقترب الموعد »

والشاهد فيه : مافى البيت قبله ، فانه شبه الحال بانسان متكلم فى الدلالة على المقصود ، وهذا هو الاستعارة بالكناية ، فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم ، وهذه الاستعارة التخييلية

وقريب من معناه قول ابن الخيمى [من الكامل] :

أبداً أحِنُّ إلى محيَّاك الذى يُصبى البعيد إليه نورٌ مشرقُ
وأرومُ شكوى موجعات الحب لا استحظا بها لكن لعلك تشفقُ
فأرى لسانى بالصبابة أخرساً ولسانُ حالى بالشكاية ينطقُ
وأفوه باسمك والمسافة بيننا قصوى فيضحى الجو طيباً يعبقُ

* * *

١١١ — صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعرّي أفراس الصبا ورواحلُهْ

من شواهد الاستعارة بالكناية

البيت لزهير بن أبى سلمى ، وهو أول قصيدة (١) من الطويل ، وبعده :

وأقصرتُ عما تعلمين وسُدِّدتْ علىَّ سوى قصد السبيل معادِلُهْ

إلى أن يقول فيها :

فقلنا له أبصر وسَدِّد طريقهُ وما هو فيه عن وَصاتىَ شاغلُه(٢)
وقلت تعلم أن فى الصيد غِرَّةً وإن لا تضيعه فانك قاتلُه(٣)
فأتبع آثار الشياه وليدُنا كشؤبوب غيث يحفش الأكم وابلُه(٤)

---

(١) انظرها فى ديوان زهير (١٢٤ طبع دار الكتب المصرية)

(٢) فى رواية الأعلم الشنتمرى « فقلت له » وفى الديوان « سددوأبصر طريقه »

(٣) فى الديوان وشرح شواهد النحو « تعلم أن للصيد غرة » والغرة — بكسر الغين المعجمة — الغفلة ، ووقع فى الأصل « عزه » محرفا عما أثبتناه

(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، ويحفش : يسيل ويخرج ، يقال : حفش فلان لك الود ، إذا أخرج كل ماعنده ، والمراد يكثر السيل حتى يحفش مافى الأكم

نظرت إليــه نظرة فرأيته على كل حال مرة وَهْوَ حاملُهْ

وهى طويلة .

يقال : أقصر عن الشيء ، بمعنى انتهى أو عجز عنه

والشــاهد فيه : ما فى البيت قبله أيضاً ، فانه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغى ، وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته ، فشبه فى نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها .

ووجه الشبه : الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة .

وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة ــ وهى الأفراس والرواحل التى بها قِوامُ السير والسفر ــ فاثبات الأفراس والرواحل استعارة تخييلية ، والصبا على هــذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة ، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحــل دواعى النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو أراد بها الأسباب التى قلما تتخذ فى اتباع الغى إلا أوَانَ الصبا وعنفوان الشباب فتــكون استعارة الأفراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا إذا أريد بها الدواعى وحساً إذا أريد بها اتباع أسباب الغى

☆ ☆ ☆

من شواهد الكناية

١١٢ ــ ☆ والطاعنينَ مَجامعَ الأضغانِ ☆

هو من الـكامل ، ولا أعرف[١] قائله ، وصدره :

(١) نسبه فى الموازنة (٢٨٣ بتحقيقنا) إلى عمرو بن معديكرب الزبيدى ، ولم أجده فى ديوان عمرو ولا فى زياداته

* الضاربينَ بكل أبيض مخذمٍ *

والمخذم ـ بالذال المعجمة ـ السيف ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد

والشاهد فيه : القسم الأول من أقسام الكناية ، وهو : أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، وتكون لمعنى واحد كما هنا ، وتكون لمجموع معان ، فقوله « بمجامع الأضغان » معنى واحد كناية عن القلوب

ونحوه قول البحترى [من الطويل] :

فأتبعتُهَا أخرى فأضْلَلْتُ نَصْلها　　بحيثُ يكون اللبُّ والرُّعْبُ والحقدُ

* * *

من شواهد الكناية

١١٣ — إن السماحةَ والمروءةَ والندى　　فى قبةٍ ضُرِبت على ابن الحشرج

البيت لزياد الأعجم ، من أبيات (١) من الكامل ، قالها فى عبد الله بن الحشرج ، وكان قد وفد عليه ، وهو أمير على نيسابور فأمر بانزاله وألْطَفَه وبعث إليه بما يحتاجه ، فغدا إليه فأنشده البيت ، و بعده :

ملك أغر متوجٌ ذو نائلٍ　　للمعتفينَ يمينُهُ لم تشنج

ياخيرَ من صعد المنابر بالتُّقَى　　بعد النبى المصطفى المتحرِّجِ

لما أتيتك راجياً لنوالكم　　ألفيتُ باب نوالكم لم يُرْتَجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم

والمروءة : كمالُ الرجولية .

والشاهد فيه : القسم الثالث من أقسام الكناية ، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات ، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها فى قبة ضربت

(١) انظرها فى الأغاني (١٤ ـ ١٠٥ بولاق)

عليه ، تنبيها على أن محلها ذو قبة ، وهى تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء ، قال أبو تمام [من الكامل] :

لولا بنو جُشَمَ بْنِ بكر فيكمُ   كانت خيامكم بغير قِبابِ

وإنما احتاج فى هذا البيت إلى هذا لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له ، لأنه إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحَيِّزه فقد أثبته له

وفى معنى البيت قول زياد أيضاً فى مرثية المغيرة بن المهلب [من الكامل]:

إن السماحة والمروءة ضُمِّنَا   قبراً بمَرْوَ على الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد [من الوافر]

لقد شهدَتْ عقولُ الخلق طراً   وحسْبُك بالبصائر من شهود
بأن محاسنَ الدنيا جميعاً   بأفْنِيَةِ الرئيس ابن العميد

وقول الآخر يمدحه [من الكامل] :

والمجدُ يدعو أن يدوم بجيدِهِ   عقدٌ مساعى ابن العميدِ نظامُهُ

ترجمة عبد الله ابن الحشرج

وابن الحشرج الممدوح : اسمه عبد الله ، وكان سيداً من سادات قيس ، وأميراً من أمرائها ، ولى كثيرا من أعمال خراسان ، ومن أعمال فارس وكرمان[1] وكان جوادا ممدوحا ، وفيه يقول زياد أيضا [من الطويل] :

إذا كنت مرتاد السماحة والندى   فسائل تُخَبَّرْ عن ديار الأشاهب

وكان عبدالله كثير العطاء ، أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه ، فقالت له امرأته : لشد ما تلاعبَ بك الشيطان وصرت من إخوانه مبذِّرا كما قال الله

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه « قوله وكرمان ، فى نسخة همذان بدل كرمان » اهـ

تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة ابن دري النهدي وكان أخا له وصديقا : ألا تسمع ما تقول هذه النَّوكى وما تتكلم به ؟ فقال له رفاعة : صدقَتْ والله و برَّتْ و إنك لمبذر ، و إن المبذرين لإخوان الشياطين ، فقال ابن الحشرج في ذلك [من الطويل] :

متى يأتنا الغيث المغيث تجدْ لنا ... مكارم ما تعيى بأموالنا التُّلْدِ

مكارم قد جُدْ نَابها إذ تمنعت ... رجالٌ وضنت في الرخاء وفي الجهد(١)

أردنا بما جُدْنَا به من تلادنا ... خلافَ الَّذي يأتى خيار بنى نَهد

تلوم على إتلافيَ المال خُلَّتى ... و يُسعدها نهد بن زيد على الزهد

أنهدَ بن زيدٍ لست منكم فتُشْفقوا ... عليَّ ولا منكم غوائى ولا رشدى

أتيتُ صغيرا ناشئاً ما أردتم ... وكهلا وحتى تُبصرونيَ في اللحد(٢)

سأبذل مالى ، إنَّ مالى ذخيرة ... لِعقْبى وما أجنى به ثمر الخلد

ولست بمبكاء على الزاد باسل ... يهر على الأزواد كالأسَدِ الوَرْدِ

ولكننى سَمْحٌ بما حزت باذلٌ ... لما كلفت كفاى في الزمن الجَحْدِ

بذلك أوصانى الرقاد وقبله ... أبوه بأن أعطى وأُوفيَ بالعهد

والرقاد : كان أحد عمومته ، وكان سيدا جوادا .

(١) في الأصل « مكارم ماجدنا بها » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه
(٢) كذا ، ولعله

* أتيت صغيرا ناشئا ما كرهتم *

أو نحو ذلك

12

شواهد الفن الثالث ، وهو علم البديع

شاهد طباق التدبيج

١١٤ — تردّى ثيابَ الموتِ حُمْراً فما أتى لها الليلُ إلا وهى من سندسٍ خُضْرُ

البيت لأبى تمـام الطائى ، من قصيدة من الطويل[1] ، يرثى بها أبا نهشل محمد بنَ حُميد حين استشهد ، وأولها :

كذا فليجِلّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ[2]

تُوفيتِ الآمالُ بعـد محمـد فأصبح فى شغل عن السفرِ السفْرُ[3]

وما كان إلا مالَ من قلَّ مالهُ وذُخراً لمن أمسى وليسَ له ذُخرُ

وما كانَ يدرى مَنْ بَلاَ يُسْرَ كفهِ إذا ما استهلَّتْ أنهُ خُلق العسرُ[4]

يقول فيها :

غدَا غدوةً والحمدُ نسجُ ردائهِ فلم ينصرفْ إلا وأكفانهُ الأجرُ

وبعده البيت ، وبعده :

كأنَّ بنى نبهـان يومَ وفاتهِ نجـومُ سماء خرَّ من بينها البـدرُ

يُعَزَّوْنَ عن ثاوٍ تُعَزَّى بهِ العلاَ ويبكى عليه البأسُ والجودُ والنصرُ[5]

وأنّى لهم صبرٌ عليه وقد مضى إلى الموتِ حتى استشهَدَا هو والصبرُ

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدمِ ، فلم ينقضِ يومُ قتـله ، ولم

---

(١) اقرأها فى الديوان (٣٦٨) وهى فى رثاء بنى حميـد الطوسى محمـد وقحطبة وأبى نصر

(٢) فى الديوان « فليس لعين »

(٣) فى الديوان « وأصبح فى شغل »

(٤) فى الديوان

* وما كان يدرى مجتد جود كفه *

(٥) فى الديوان « والشعر » مكان « والنصر »

يدخل فى ليلته إلا وقد صارت الثياب خضراً من سندس الجنة .

أقول : ولو قال أبو تمام :

تردى ثياب الموت حمراً فما اختفى ... عن العين إلا وهى من سندس خضر

لكان أبلغ فى القصد وأبدع ، فانه جعل غاية تبديلها بالسندس دخوله فى الليل ، وهذا ليس بمعلوم ، فان الميت إذا غيب بالدفن عن الأعين تبدلت أحواله إلى خير أو شر ، والعياذ بالله تعالى . ويشهد لذلك ما ورد أن الميت بمجرد ستره عن الأعين يأتيه ملكا السؤال .

وفى معنى بيت أبى تمام قول القاضى الفاضل عبد الرحيم رحمه الله [من مجزوء الكامل] :

لهفى لمقتول تولى ... خطه عيون البيض شزرا

متضرجاً بدم رأته ... الحور فى الجنات عطرا

متكفن بملابس ... حمراء وهى تعود خضرا

يروى أنه لما ورد نعى هذا المرثى غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد ، ثم ضرب به كفيه وصدره ، وأنشد هذه القصيدة .

و إلى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب المغربى فى قوله يرثى الشيخ أبا على ابن خلدون [من الكامل] :

لولا الحياء وأن أجىء بفعلة ... تقضى على بها شيوف ملام

وأكون متبعاً لأشنع سنة ... قد سنها قبلى أبو تمام

للبست لبس الثاكلات وكنت فى ... سود الوجوه كأننى من حام

والشاهد فى البيت : الطباق المسمى بالتدبيج ، وهو : أن يذكر الشاعر أو الناثر فى معنى من المدح أو غيره ألوانا لقصد الكناية أو التورية ، ويسمى

تدبيج الكناية أيضاً ، فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة ، والمراد من الأول الكناية عن القتل ، ومن الثانى الكناية عن دخول الجنة .

ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

بأنَّا نوردُ الراياتِ بيضاً ونُصْدِرُهُنَّ حمراً قد رَوينا

ولو اتفق له أن يقول :

من الأسل الظِّماء يردنَ بيضاً ونُصدرهنَّ حمرا قد روينا

لكان أبدع بيت للعرَب فى الطباق ، لأنه يكون قد طابق بين الايراد والاصدار ، والبياض والحمرة ، والظمأ والرى ، وقد تمّ لأبى الشيص ، فقال [من الطويل] :

فأوردَها بيضاً ظماءً صدورُها وأصدرَها بالرىّ ألوانُها حُمْرَا

فصار أخذه مغفورا بكمال معناه ، وما أحسن قول ابن حيوس [من الكامل] :

وتملكِ العلياءَ بالسعي الذى أغناكَ عن متعالم الأنسابِ

ببياض عِرْضٍ واحمرار صوارمٍ وسواد نَقْع واخضرار رحابِ

وافخر بعمّ عمَّ جودُ نوالهِ وأبٍ لأفعال الدنيةِ آبِ

وقوله أيضا [من الخفيف] :

إنْ تردْ عِلْمَ حالهم عن يقينٍ فالْقَهُمْ فى مكارمٍ أو نزالِ

تلقَ بيضَ الأعراض سمرَ مثار النقع خضرَ الأكناف حمر النصالِ

وقد أخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله [من السريع] :

لهمْ بنانٌ طافحٌ بالندَى فهنَّ إما دِيَمٌ أوْ بِحارْ

بيضُ الأيادى خضرُ رَوض الرُّبا حُمْرُ المواضى فى العَجاج المُثَار

وقول بعضهم [من الكامل] :

الغصنُ فوقَ الماء تحت شقائقٍ مثلُ الأسنة خُضِّبَتْ بدماء
كالصَّعْدةِ السمراءِ تحتَ الرايةِ الـ حمراء فوقَ اللّأمة الخضراءِ

وقريب من لفظه قول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى [من الكامل] :

ماأبصرَتْ عيناكَ أحسنَ منظراً فيما يُرَى من سائر الأشياءِ
كالشامةِ الخضراءِ فوقَ الوجنةِ الـ حمراءِ تحتَ المقلةِ السوداءِ

ولابن النبيه [من المتقارب] :

دَعِ النوحَ خلفَ حُدُوجِ الركائبْ وَسلّ فؤادكَ عن كل ذاهبْ
ببيضِ السوالف حمرِ المراشـ ـفِ صفرِ الترائبِ سودِ الذوائبْ
فما العيشُ إلاّ إذا ما نظمتَ نثغرِ الحَبَاب ثنايا الحبائبْ

ولابن الساعاتى [من الكامل] :

من معشرٍ ويجلُّ قدرُ علائهِ عن أنْ يقالَ لمثلهِ من معشرِ
بيضِ الوجوه كأنَّ زُرْقَ رماحهم سرٌ يحلُّ سواد قلب العسكرِ

ولابن دبوقاء العماد من أبيات [من المتقارب] :

أرَى العقدَ فى ثغرِهِ محكماً يرينا الصِّحاح منَ الجوهرِ
وتكملَةُ الحسن إيضاحُها رويناه عن وجهك الأزهرِ
ومنثورُ دَمعى غدًا أحمرًا على آس عارضكَ الأخضرِ
وبعتُ رشادى بغيِّ الهوى لأجلكَ يا طلعةَ المشترِى

ولأبى الحسن محمد بن القنوع من أبيات [من الطويل] :

ويخترمُ الأرواحَ والموتُ أحمرُ بأبيضَ يتلوه لدى الطعن أزرقُ

وما أحسن ماقال بعده :

ويُجْرِى عتاقَ الخيل قُبًّا شوازباً تبارى هبوبَ الريح بل هي أسبقُ

إذا حفرت منها الحوافر في الصفا محاريب ظلت بالنجيع تخلق

ولأبي الفرج الببغاء في قريب من معناه [من الكامل] :

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين أهلة في الجلمد

وما أحسن قوله بعده :

وكأن طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الإثمد

ولأبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

من النفر العالين في السلم والوغى وأهل المعالي والعوالي والنهى

إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها وإن نازلوا احمر القنا من نزالها

ولابن جابر الأندلسي [من الخفيف] :

تشتكي الصفر من يديه وترضى السمر من راحتيه عند الحروب

أحمر السيف أخضر السيب حيث الأرض غبراء من سواد الخطوب

ولأبي القاسم عبد الصمد بن علي الطبري من قصيدة [من السريع] :

حمر يدي بالكأس فالروض مخضر الربا قبل اصفرار البنان

ولأبي بكر الخالدي [من الكامل] :

ومدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء

فالراح شمس والحباب كواكب والكف قطب والإناء سماء

ولنجم الدين البارزي في وصف قلم [من الكامل] :

ومثقف للخط يحكي فعل سمر الخط إلا أن هذا أصفر

في رأسه المسود إن أجروه في المبيض للأعداء موت أحمر

ومن المضحك فيه قول ابن لنكك البصري يهجو أبا رياش ، وكان نهما شرها على الطعام [من الوافر] :

يَطِينُ إلى الطعام أبو رياشٍ مبادرةً ولو واراهُ قبرُ
أصابعهُ من الحلواء صُفْرٌ ولكنّ الأخادعَ منه حُمْرُ

وكان أبو رياش هذا باقعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها وغاية بل آية فى هذّ دواوينها وسَرْد أخبارها، مع فصاحة وبيان ، و إعراب و إتقان، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف ، وفيه يقول أبو عثمان الخالدى [من الرجز] :

كأنما قَمْلُ أبى رياشِ ما بينَ صِئْبانٍ قفاهُ الفاشى
وذا وذا قد لج فى انتفاشِ سمسم يُنثرُ فى خَشْخَاشِ

وفيه يقول ابن لنكك وقد ولى عملا بالبصرة [من الكامل] :

قل للوَضيع أبى رياش لا تُبَلْ تِهْ كلُّ تيهكَ بالولايةِ والعمَلْ
ما ازْدَدتَ حين وليتَ إلا خِسةً كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

وله فيه أيضاً [من الكامل] :

نُبِّئْتُ أنّ أبا رياش قد حَوَى علم اللغات وفاقَ فيما يَدّعى
مَنْ مُخبِرى عنهُ فإنى سائلٌ من كان حَنّكهُ بأير الأصمعى

وله فيه أو فى غيره من الأدباء [من الكامل] :

يا مَنْ تَطَيَّبَ وهو من خَرْقِ استِهِ قَلِقٌ يكابِد كل داء مُعْضِلِ
فَشَلَ الصيال وما عهدنا دبره مذ كان يفشل عن صيال الفيشل
وأراهُ فى الكُتُبِ الجليلةِ زاهدا لا يَسْتَجيد سوى كتابِ المَدْخَلِ
قَبَّلتهُ ولثمتُ فاهُ مُسَلِّماً لثم الصّديقِ فم الصديق المجملِ(١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق بهامش النسخة « فى نسخة : الصديق المقبل »

فدنا إلىَّ على المكانِ وقالَ لى أفديكَ من متمشّقٍ متغزّلِ
إنْ كنتَ تلثمنى بودٍّ فاشفِنى بلسانِ بطنِكَ فى فمى من أسفلى

وقد زاغ القلم وطاش ، بجريرة أبى رياش ، وأنا أستغفر الله من ذلك .

* * *

شاهد إيهام التضاد

١١٥ — لا تعجبِى يا سلْمَ من رَجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبَكى

البيت لدِعْبِل من قصيدة [١] من الكامل أولها :

أينَ الشبابُ وأيةً سَلَكا لا ، أين يطلَبُ ؟ ضَلَّ ، بل هَلَكا

و بعده البيت ، و بعده :

يا سَلْمَ ما بالشيبِ منْقَصةٌ لا سوقَةً يبْقِى ولا مَلِكا
قَصرَ الغَوايةَ عن هَوَى قمَرٍ أجِدُ السّبيلَ إليهِ مُشتركا
يا لَيْتَ شعرى كيْفَ نومكما يا صاحِبَىَّ إذا دمى سُفِكا
لا تأخذا بِظُلاَمتى أحَداً قلبى وطَرْفى فى دمى اشْتَركا

حدث أبو هفان قال : قال مسلم بن الوليد [من السريع] :

مُستَعبِرٌ يبكى على دِمْنَةٍ ورأسُهُ يضحكُ فيهِ المشيبُ

فسرقه دعبل فقال ، وأنشد البيت ، فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحقّ به منه .

وحدث أبو المثنى قال : كنا فى مجلس الأصمعى فأنشده رجل لدعبل « لا تعجبى يا سلم ... البيت » فاستحسناه ، فقال الأصمعى : إنما سرقه من قول الحسين

(١) اقرأ أكثر هذه الأبيات فى الأغانى (١٨ — ٣٢ وما بعدها)

ابن مطير الأسدى [من الخفيف] :

أين أهلُ القِباب بالدَّهْناء . أين جيرانُنا على الأحْسَاء

فارقونا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ رَ الأقاحى تُجَادُ بالأنْوَاء

كلَّ يوم بأقحُوَانٍ جديدٍ تضحَكُ الأرضُ من بكاء السماء

وروى عن أبى العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مطير قوله «تضحك الأرض من بكاء السماء» من قول دكين الراجز [من الرجز] :

جُنَّ النباتُ فى ذُراها وزَكا وضَحِكَ المزنُ به حتى بكى

وقال أبو هفان : أنشدت يوما بعض البصريين الحمقاء قول دعبل «ضحك المشيب برأسه فبكى» فجاءنى بعد أيام فقال : قد قلت أحسن من البيت الذى قاله دعبل ، فقلت : يا هذا وأى شىء قلت؟ فتمنع ساعة ثم قال [من الرجز] :

* قَهْقَه فى رأسِه القَتِيرُ *

وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبل ، فمنه قول الراضى القرطبى [من مجزوء الكامل] :

ضحك المشيب برأسِهِ فبَكَى بأعينِ كأسِهِ

رجُلٌ تخَوَّنه الزما نُ ببُوسِهِ وببأسِهِ

فجَرَى على غُلَوَائِهِ طَلْقَ الجموحِ بفأسِهِ

أخذاً بأوفرِ حَظِّه لرجائه من يأسِهِ

ومنه أيضاً قول ابن نباتة المصرى رحمه الله تعالى [من السريع] :

تبَسُّمُ الشيب بذقْن الفتى يوجِبُ سَحَّ الدمع من جَفْنه

حسبُ الفتى بعد الصبا ذلَّةً أن يضحك الشيب على ذقنه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى أيضاً فى هذا المعنى [من مجزوء الرمل] :

ضحك الشيب برأسى فبكتْ عينى الشَّبَابا

أبيات فى البكاء على الشباب

ومن البكاء على الشباب ، وهو أبكى بيت قيل فى فقده ، وينسب لأبى الفضل الأسدى [من الوافر] :

أتأمل رجعةَ الدنيا سفَاهاً وقد سار الشبابُ إلى الذهابِ
فليتَ النائحاتِ بكل أرضٍ جُمِعْنَ لنا فَنُحْنَ على الشبابِ

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى فيه أيضاً [من البسيط] :

وقد تعَوَّضْتُ عن كلٍّ بمُشْبِهِهِ فما وجدتُ لأيام الصِّبَا عِوَضا

وقول الآخر [من الكامل] :

شيآنِ لو بكتِ الدماءَ عليهما عيناىَ حتى تُؤْذِنا بذَهاب
لم تَبْلُغا المعشار من حَقَّيْهما فَقْدُ الشباب وفُرْقَةُ الأحبابِ

ولأبى بكر بن مجير [من الكامل] :

رَحَلَ الشباب وما سمعتُ بعَبْرَةٍ تجرى لمثلِ فِرَاقِ ذاكَ الراحلِ
قد كنتُ أزْهَى بالشباب ولم أخَلْ أن الشَّبيبَةَ كالخِضَاب الناصِل
ظِلٌّ صفا لى ثم زَالَ بسرعةٍ يا وَيحَ مُغْتَرٍّ بظِلٍّ زائِل

ولابن حمديس فى تقريب من معناه [من الطويل] :

ولم أرَ كالدنيا خَؤوناً لصاحبٍ ولا كمصابى بالشَّباب مُصَابا
فَقَدْتُ الصِّبا فابيَضَّ مُسْوَدُّ لِمَّتى كأنَّ الصبا للشيب كان خِضابا

ولأبى الفتح البستى فيه [من الخفيف] :

دعْ دموعى تَسيلُ سَيْلاً بدارا وضُلوعى يَصْلَيْنَ بالوَجْدِ نارا
قد أعادَ الأسَى نهارىَ لَيْلاً مذْ أعاد المشيبُ ليلى نَهارا

ولعلى بن محمد الكوفى فى البكاء من المشيب والبكاء عليه [من الوافر] :

بكى للشيبِ ثم بكى عليه فكان أعزَّ من فقدِ الشبابِ

فقلْ للشيب لا تبرحْ حميداً إذا نادى شبابى بالذهابِ

ومثله قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

الشيب كُرْهٌ وكُرْهٌ أن يفارقنى فاعجَبْ لشىءٍ على البغضاء مَوْدُود

يمضى الشبابُ وقد يأتى له خَلَفٌ والشيب يذهَبُ مفقوداً بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال [من البسيط] :

لا يرحل الشيبُ عن دار أقام بها حتى يُرَحِّلُ عنها صاحِبُ الدار

و يقال : إن مسلماً أخذ هذا المعنى من قول بعض الأعراب [من الرجز] :

أستغفر الله وأستقيله ما أنا ممن شيبُه يهوله

* أعظَم من حلولِه رحيلُه *

ومثل قول مسلم قول البحترى [من الوافر] :

يعيبُ الغانياتُ علىَّ شيبى ومَنْ لى أن أُمتَّعَ بالمشيبِ

ووجْدى بالشباب وإن تَقَضَّى حميداً دونَ وجدى بالمشيب

وفيه أحسن قول كشاجم الكاتب [من الطويل] :

تفكَّرْتُ فى شيبِ الفتى وشبابه فأيقنتُ أنَّ الحق للشيب واجبُ

يُصاحِبُه حتى شرخُ الشبابِ فينقضى وشيبى إلى حين الممات مُصاحِب

و يعجبنى قول الغزى [من الكامل] :

ذهبَ الشباب ذهابَ سهم مارقٍ لا يُستطاعُ مع التأسُّفِ ردُّه

وأتى المشيب بقضِّه وقضيضه وأشدُّ من وجدانِ ذلك فقدُه

أنا فى السُّرى والسَّيْرِ كالطِّفل الذى يجدُ السكونَ إذا تحرَّكَ مهدُه

من يقتدحْ زنداً بكفٍّ مالها زندٌ فكيف تراه يقدح زنده

وبديع أيضاً قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى [من الكامل]:

لا تأسفنّ على الشباب وفقده فعلى المشيب وفقده يتأسف
هاذاك يخلفه سواه إذا انقضى ومضى، وهذا إن مضى لا يخلف

وقوله أيضا [من المنسرح] :

عجبت للشيب كنت أكرهه فأصبح القلب وهو عاشقه(١)
وكنت لا أشتهى أراه وقد أصبحت لا أشتهى أفارقه

وما أحسن قول الصفى الحلى [من الخفيف] :

لو تيقنت أن شين بياض الشيب يبقى لما كرهت البياضا
غير أنى علمت من ذلك الزا ئر ما يقتضى وما يتقاضى

ولأبى الفتح البستى رحمه الله تعالى فيه [من الكامل] :

يا شيبتى دومى ولا تترحلى وتيقنى أنى بوصلك مولع
قد كنت أجزع من حلولك مرة والآن من خوف ارتحالك أجزع

ولأبى اليمن الكندى فيه أيضاً [من الطويل] :

عفا الله عما جره اللهو والصبا وما مر من قال الشباب وقيله
زمان صحبناه بأرغد عيشة إلى أن مضى مستكرهاً لسبيله
وأعقبنا من بعده غير مشتهى مشيباً نفى عنا الكرى بحلوله
لئن عظمت أحزاننا بقدومه فأعظم منها خوفنا من رحيله

وقد خالف ابن الرومى حيث يقول [من المنسرح] :

---

(١) فى الأصول كلها
* عجبت للشيب كيف أكرهه *
كبر الظن أنه محرف عما أثبتناه

من كانَ يبكي الشبابَ من أسَفٍ فَلَستُ أبكي عليه من أسَفِ
كيفَ وشَرْخُ الشَّباب عرَّضني يومُ حِسَابي لِمَوْقفِ التَّلَفِ
لا صُوحِبَتْ شِرَّةُ الشباب ولا عدِمتُ ما في المشيبِ مِنْ خَلَفِ

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

لم أقُلْ للشبـاب في دعَةِ الله ولا حفظِـهِ غَدَاةَ استَقَلاَّ
زائرٌ زارنا أقامَ قَليلا سَوَّدَ الصُّحْفَ بالذنوبِ وولى

ومن الجيد أيضا قول العلوى [من الوافر] :

لَعَمْرُكَ لَلمشيبُ عليَّ مما فَقَدْتُ من الشباب أجَلُّ فوتا
تَمليتُ الشباب فصارَ شيباً وملِّيتُ المشيبَ فصار مَوْتا

وما أحسن أيضا قول الآخر [من البسيط] :

والمرء إن حلَّ شَيْبٌ في مفارقه فمـا يفارِقُهُ أو يرحلانِ معا

وما أحسن قول المعرى في مدح الشيب [من الخفيف] :

خبريني ماذا كرِهْتِ من الشَّيْـــب فلا علم لي بذنْبِ المشيب
أضياءَ النهارِ أم وضَحَ اللؤ لؤ أم كونَهُ كثغر الحبيبِ
أخبريني فضلَ الشباب وماذا فيـه من مَنْظر يَسُرُّ وطيبِ
غَدْره بالخليل أم حبـهُ للـــغي أم كونُهُ كعيش الأديبِ

وبالجملة فما أحسن قول الحافظ بن سهل بن غانم الأصفهاني وأصدقه [من مخلع البسيط] :

من شَابَ قد ماتَ وهوَ حَيٌّ يمشي على الأرضِ مَشْيَ هالِكِ
لو كانَ عمرُ الفتى حِساباً لـكان في شيْبه فذلك

والشاهد في البيت : الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معنَيَاهما الحقيقيان ، فانه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب ، لـكنه عبر

عن ظهوره بالضحك الذي يكون معناه الحقيقي مضاداً لمعنى البكاء ، و يسمى إيهام التضاد ، لأن المعنيين المذكورين و إن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقيا ، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد ، نظرا إلى الظاهر والحمل على الحقيقة .

ومن الشواهد على إيهام التضادّ قول أبي تمام الطائي [من الكامل] :

وتَنَظَّرِي خَبَبَ الركاب ينصُّها مُحْيِي القريض إلى مميت المال

فليس بين محيي ومميت هنا تضاد بالمعنى ، إلا بما يتوهم من اللفظ ، لأن محيي القريض هنا كناية عن مُجيده ، ويعني به نفسه ، ومميت المال كناية عن مفنيه في الكرم ؛ وليس بينهما تضاد .

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

يبدي وِشاحاً أبيضاً من سيفه والجوُّ قد لبس الرداء الأغبَرا

فإن الأبيض ليس بضد الأغبر ، و إنما يوهم بلفظه أنه ضده .

ترجمة دعبل الخزاعي

ودعبل[1] : هو ابن علي بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي ، ويكنى أبا علي . وهو شاعر مطبوع متقدم هَجَّاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ، ولا من وزرائهم ، ولا من أولادهم ، ولا ذو نباهة : أحْسَنَ إليه ، أو لم يحسن ، ولا أفلَتَ منه كبير أحد .

وحدَّث أبو هفان قال : قال لي دعبل : قال لي أبو زيد الأنصاري : مِمَّ اشتق دعبل ؟ قلت : لا أدري ، قال : الدعبل الناقة التي معها أولادها .

وحدَّث محمد بن أيوب ، قال : دعبل اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودعبل لقبٌ لقب به .

(١) تجد ترجمة دعبل في الأغاني (١٨ : ٢٠ ـ ٦٠)

وعن أبي عمرو الشيباني قال : الدعبل البعير المسن .

وحدث دعبل قال : كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم ، فلما قمت سأل رجل لم يعرفني أصحابنا عني ، فقالوا : هذا دعبل ، قال : قولوا في جليسكم خيراً ، كأنه ظن اللقب شتما .

وقال دعبل : صُرِع مجنون مرّة ، فصحت في أذنه : « دعبل » ثلاث مرات ، فأفاق .

وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطَّر ، ويصحب الشطار ، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، كان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا عليهما وثبا عليه وجرحاه وأخذا ما في كيسه ، فإذا هي ثلاث رمانات في خرقة ولم يكن كيسه معه ليلتئذ ، ومات الرجل في مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه ، وجدّ أولياء الرجل في طلبهما ، وجدّ السلطان أيضا في ذلك ، فطال على دعبل الاستتار ، فاضطر إلى أن يهرب من الكوفة ، فما دخلها حتى كتب إليه أهله أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد .

وحدث أحمد بن أبي كامل قال : كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع ، وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشراة[1] والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه ، وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ، ودعا بغلاميه نفنف وشنعف[2] — وكانا مغنيين — فأقعدهما يغنيان ، وسقاهم وشرب معهم ، وأنشدهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة

---

(١) في الأصل « السراة » بالسين مهملة محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني والشراة في الأصل جمع شار ، ثم أطلق على قوم من الخوارج

(٢) في الأغاني « ودعا بغلاميه ثقيف وشعف »

أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويَصِلونه . قال : وأنشدنى دعبل لنفسه فى بعد أسفاره [من الطويل] :

حللتُ محلاً يَقْصُر البرقُ دونهُ ويعجز عنه الطيفُ أن يتجشَّما

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال: دخل دعبلٌ الرى فى أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم ير مثله فى الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه فى رقعة وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعبلٌ بثلج من الشعـــر فجادت سماؤنا بالثلوج

نزل الرى بعد ما سكن البر دُ وقد أينعت رياضُ المروجِ

فكسانا ببرده لا كساه الله ثوباً من كرسفٍ محلوجِ

وألقى الرقعة فى دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوما عند دار رجل ، يقال له صالح [ابن على](١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيسة فى سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال صالح: مانصنع به ؟ قلنا: نذبحه ، فذبحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن الديك ، فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه ، وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصلى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونبهاء الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أَسَرَ المؤذِّنَ صالحٌ وضيوفُهُ أَسْرَ الكمىِّ هفا خلالَ المأقط

---

(١) زيادة عن الأغانى (١٨ ـ ٣٣) وقال فى رواية أخرى لهذا الخبر : وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدى

بَعثُوا عليه بناتِهمْ و بنيهمُ ... مابينَ ناتفةٍ وآخر سامطِ
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا ... خاقانَ أوهزموا كتائب ناعطِ
نهشوه فانتزعتْ له أسنانهمْ ... وتهشمتْ أقفاؤهمْ بالحائطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت : ويحكم ! ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت ذلك لدعبل و بعثت به إليه ، و إلا أوقعنا فى لسانه ، ففعلتُ ذلك .

قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان شديد البخل ، فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغَدَاء له ، فأتى بقصعة فيها ديك جاسٍ هَرِم ، لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس ، فأخذ كسرة خبز ، فخاض بها مرقته وقلب جميع مافى القصعة ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال : ظننتك لا تأكله ، قال : بئس ما ظننت ! والله إنى لأمقُتُ من يرمى برجليه ، فكيف من يرمى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواسّ الأربع ، ومنه يصيح ولو لا صوته لما فضل ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل ، فيقال : شَرابٌ كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكليتين ، ولم ير عظم قط أهشّ من عظم رأسه ، أوماعلمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن الساق ، ومن العنق ، فان كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فانا نأكله](١) ، فانظر أين هو ؟ قال : لا أدرى والله أين هو ، رميتُ به ، قال : لكنى أدرى أين هو ، رميت به فى بطنك فالله حسيبُكَ .

وحدّث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن علىّ ، فقلت له : أنت

(١) زيادة لابد منها .

أخبر الناس عندى وأقدمهم حيث تقول ، يعنى فى حق المأمون [من الكامل] :

إنى منَ القوم الذينَ سيوفهم ْ قتلتْ أخاكَ وشرّفتكَ بمقعدِ
رفعوا محلَّكَ بعد طول خُمولهِ واستنقذوكَ من الحضيض الأوهدِ

فقال لى : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتى منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبنى عليها بعد .

وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشأم ، وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيان ، يقال له حوى بن عمرو السكسكى ، وكان جميل الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شيخا كبيراً فانياً قد أتى عليه حين ، فقال فيه دعبل [من السريع] :

لولا حوىٌّ لبيت لهيان ما قامَ أيرُ العزب الفانى
لهُ دَواةٌ فى سراويلهِ يليقها النازحُ والدانى

وشاع هذان البيتان ، فهرب حوىّ من ذلك البلد ، وكان الشيخ إذا رأى دعبلا سبه ، وقال : فضحتنى أخزاك الله ! ! .

وحدّث محمد بن الأشعث قال : سمعت دعبلا يقول : ما كانت لأحد عندى منة قط إلا تمنيت موته .

وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشده ماقاله فيه ، وهو جالس وفى يده طومار قد جعله على فيه كالمتكىء [عليه] (١) وهو جالس ، فلما فلما فرغ أمر له بشىء قليل لم يرضه ، فقال [من البسيط] :

يا منْ يقبلُ طوماراً ويلثمهُ ماذا بقلبكَ من حُبّ الطواميرِ
فيه مَشَابهُ من شىء تُسَرُّ بهِ طولاً بطولٍ وتدويراً بتدويرِ

(١) زيادة عن الأغانى (١٨ - ٣٨)

لو كنتَ تجمعُ أموالاً كجمعكها ... إذاً جمعتَ بيوتاً من دنانيرِ

وقال دعبل فى الفضل بن مروان [من الطويل] :

نصحتُ فأخلصتُ النصيحة فى الفضلِ ... وقلتُ فسيرت المقالة فى الفضلِ

ألا إنّ فى الفضلِ بن سهلٍ لعبرةً ... إذا اعتبرَ الفضلُ بن مروانَ بالفضلِ

وللفضلِ فى الفضلِ بن يحيى مواعظٌ ... إذا فكرَ الفضلُ بن مروان فى الفضلِ

فأبقِ جميلاً من حديثٍ تفزْ به ... ولا تدعِ الإحسانَ والأخذَ بالفضلِ

فإنكَ قد أصبحتَ للملكِ قيِّماً ... وصرتَ مكانَ الفضلِ والفضلِ والفضلِ

ولم أرَ أبياتاً منَ الشعرِ قبلها ... جميعُ قوافيها على الفضلِ والفضلِ

وليسَ لها عيبٌ إذا هىَ أنشدَتْ ... سوى أنّ نصحى الفضلَ كان من الفَضلِ

فبعث إليه الفضلُ بدنانير ، وقال له : قد قبلت نصحك ، فا كفنى خيرك وشرّك

وحدّث محمد بن حاتم المؤدب ، قال : قيل للمأمون : إن دعبلا قد هجاك ، فقال : وأىّ عجب فى هذا ؟ هو يهجو أبا عباد فلا يهجونى أنا ، ومَنْ أقدمَ على جنون أبى عباد أقدم على حلمى ، ثم قال لجلسائه : من كان فيكم يحفظ شعره فى أبى عباد فلينشده ، فأنشده بعضهم [من الكامل] :

أولىَ الأمورِ بضيعةٍ وفسادِ ... أمرٌ يدبرُهُ أبو عبادِ

خرقٌ على جلسائه فكأنهمْ ... حضروا لملحمة ويوم جلادِ

يسطو على كتابه بدواتهِ ... فمضمخ بدمٍ ونضحِ مدادِ

وكأنه من دير هرقلَ مفلتٌ ... حردٌ يجرُّ سلاسلَ الأقيادِ

فاشددْ أميرَ المؤمنين وثاقهُ ... فأصحُّ منه بقيةُ الحدّادِ

قال : وكان بقية هذا مجنونا فى المارستان ؛ فضحك المأمون ، وكان إذا

نظر إلى أبي عباد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دعبلٌ في قوله .

وحدّث أبو ناجية ، قال : كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه ، وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهجوه [من الطويل] :

بكى لشتات الدين مكتئبٌ صبٌّ ... وفاضَ بفرط الدمع من عينه غَرْبُ

وقامَ إمامٌ لم يكنْ ذا هدايةٍ ... فليسَ له دينٌ وليس لهُ لبٌّ

وما كانت الأنباء تأتي بمثله ... يُملَّكُ يوماً أوتدينُ لهُ العُرْبُ

ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السلف الماضي إذا عظمَ الخَطبُ

ملوكُ بني العباس في الكتب سبعةٌ ... ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ

كذلكَ أهلُ الكهف في العدّ سبعةٌ ... خيارٌ إذا عُدُّوا ، وثامنهم كلبُ

وإني لأُعلِي كلبهمْ عنكَ رفعةً ... لأنكَ ذو ذنبٍ وليسَ لهُ ذَنبُ

لقد ضاع ملكُ الناس إذ ساس ملكهمْ ... وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظُم الكربُ (١)

وفضلُ بنُ مَرْوان سيثلمُ ثلمةً ... يظلّ لها الاسلامُ ليسَ لهُ شَعْبُ (٢)

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه « قوله وأشناس ، كذا في النسخ ، وفي نسخة وأشناف ، ولعل الصواب وأصناف » اهـ . وما ظنه صوابا أبعد ما يكون عن الصواب . ووصيف وأشناس غلامان من غلمان الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم على الفرس والعرب ، فكانوا علة العامل في ضياع سلطان الخلافة ، وقد وصل كل واحد منهما إلى رتبة القائد في عهد المعتصم

(٢) في الأصل « يظل له الاسلام » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (١٨ : ٤٠) .

ولما مات المعتصم قال ابن الزيّات يرثيه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذ غيبوهُ وانصرفوا في خير قبرٍ لخيرِ مدفونِ
لنْ يجبر الله أُمة فقدَتْ مثلك إلا بمثل هرونِ

فقال دعبل يعارضه [من المنسرح] :

قدقلتُ إذ غيبوه وانصرَفوا فى شرّ قَبرٍ لشرّ مدفونِ
اذهبْ إلى النار والعذاب فمَا خلتـكَ إلا من الشياطينِ
مازلتُ حتى عقدْتَ بيعةَ منْ أضَرَّ بالمسلمين والدينِ

وحدّث محمد بنُ جريرٍ ، قالَ : أنشدَنى عبيد الله بنُ يعقوب هذا البيت وحده لدعبل ، يهجو به المتوكل ؛ وما سمعت له غيره فيه ، [من الوافر] :

ولستُ بقائلٍ بدعا ولكنْ لأمرٍ ما تَعَبَّدَكَ العبيدُ

قال : يرميه فى هذا البيت بالأبنة .

وحدّث محمد بن جرير قال : كنت مع دعبل بالصيمرة ، وقد جاءنا نعى المعتصم ، وقيام الواثق ، فقال لى دعبل : أمعكّ ما تكتب فيه ؟ قلت : نعم ، فأخرجت قرطاسا ، فأملى على بديها [من البسيط] :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدُ ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلا رقدُوا
خليفةٌ ماتَ لم يحزن له أحدٌ وآخر قامَ لم يفرح به أحدُ

وكان المأمون قد تطلب دعبلا ، وجدّ فى ذلك وهو طائر على وجهه ، حتى دسّ إليه قوله [من الكامل] :

علم وتحكيمٌ وشيب مفَارقٍ تطميسُ ريعان الشباب الرائقِ
وإمارةٌ فى دولةٍ ميمونةٍ كانت على اللذات أشغبَ عائقِ

نَعَوْا ابن شَكْلَةَ بالعراقِ وأهلهِ ... فَهَفَا إليـه كلُّ أخرَقَ مائقِ(١)
أنّى يكونُ ولا يكونُ ولم يكنْ ... يرثُ الخلافةَ فاسقٌ عن فاسقِ(٢)
إن كان إبراهيم مضطلعا بها ... فلتصلُحَنْ من بعـده لمخـارقِ

ولمـا قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صفحت عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق فى الخلافة وولاه عهده ، ثم إنه كتب إلى دعبل أمانا ، فلما دخل وسلم عليه تبسم فى وجهه ، وقال أنشدنى :

* مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ *

فجزع ، فقال له : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتها ، ولكنى أحب سماعها من فيك ، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكى ، حتى اخضلت لحيته بدمعه ، ثم إنه أحسن إليه وانسرّ به ، حتى كان أول داخل إليه ، وآخر خارج من عنده ، ثم عاد إلى خباثته ، وشاعت له أبيات بعدها أيضا ، يهجو بها المأمون . .

وحدّث دعبل قال : دخلت على علىّ بن موسى الرضى ، فقال : أنشدنى مما أحدثت ، فأنشدته [من الطويل] :

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاَوَةٍ ... ومنْزِلُ وحْيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ

---

(١) فى الأصل «ابن شكلة» محرفا عما أثبتناه ، والبيت ساقط من الأغانى وابن شكلة : إبراهيم بن المهدى عم المأمون ، وكان قد خرج عليه وطلب الخلافة لنفسه ، وكان يحسن الغناء ويجيده . ثم أخذه المأمون وعفا عنه ، ومخارق : مغن معروف

(٢) فى الأغانى

« أنى يكون وليس ذاك بكائن *

حتى انتهيت إلى قولي فيها :

إذا وُتِرُوا مدّوا إلى واتريهمُ   أكُفًّا عن الأوتارِ مُنقبضاتِ

قال : فبكى عنده حتى أغمى عليه، فأومأ إلىّ خادم كان على رأسه أن أسكت فسكتُّ ، فمكث ساعة ثم قال لى : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت فأصابه مثل الذى أصابه فى المرة الأولى ، وأومأ الخادم أيضاً إلىّ أن أسكت ، فسكت ، ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لى: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها ، فقال : أحسنت أحسنت ، ثلاث مرات ، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ، ولم تكن دفعت إلى أحد بعدُ ، وأمر لى مَنْ فى منزله بحلى كثير أخرجه إلىّ الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة ، اشتراها منى الشيعة ، فحصل لى مائة ألف درهم ، فكان أول مال اعتقدته .

ثم إن دعبلا استوهب من على بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوبا قد لبسه ليجعله فى أكفانه ، فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها و بلغ أهلَ قُمّ خبرُها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم ، فلم يفعل ، فخرجوا عليه فى طريقه فأخذوها غصبا ، وقالوا له : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، و إلا فأنت أعلم ، فقال لهم : إنى والله لا أعطيكم إياها طوعا ، ولا تنفعكم غصباً ، وأشكوكم إلى الرضى ، فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفرد كُمّ من بطانتها ، فرضى بذلك .

وحدث دعبل قال : لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدى ، وعزمت على أن أعمل قصيدة فى عبدالله بن طاهر فى تلك الليلة ، فانى لفى ذلك إذ سمعت والباب مردود على قائلا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أألج يرحمك الله ؟ فاقشعر بدنى من ذلك ، ونالنى أمر عظيم ، فقال لى : لاتَرُعْ فإنى رجل من إخوانك من الجن من ساكنى اليمن طرأ علينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك * مدارس آيات . . إلى آخرها * فأحببت أن أسمعها منك ،

قال : فأنشدته إياها ، فبكى حتى خر ثم قال : يرحمك الله ألا أحدثك بحديث فى نيتك و يعينك على التمسك بمذهبك ؟ قلت : بلى ، قال : مكثت حيناً أسمع بجعفر بن محمد رحمهما الله تعالى ، فصرت إلى المدينة المنورة فسمعته يقول : حدثنى أبى عن أبيه عن جده رضى الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « على وشيعته هم الفائزون » ثم ودعنى لينصرف فقلت : يرحمك الله ! إن رأيت أن تخبرنى باسمك فافعل ، قال : أنا ظبيان بن عامر .

وحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : بويع إبراهيم بن المهدى ببغداد وقد قل المال عنده ، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوباش الناس وأوغادهم ، فاحتبس عليهم العطاء ، فجعل إبراهيم يسوّفهم وهم لا يرون لوعده حقيقة ، إلى أن خرج رسوله إليهم يوما وقد اجتمعوا وضجوا فصرّح إليهم بأنه لا مال عنده ، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد : أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّى أهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاءهم ولأهل هذا الجانب مثلها ، قال إسحاق : فانشدنى دعبل بعد أيام [من السريع] :

يامَعْشَرَ الأَجْنادِ لا تَقْنَطُوا ... وارْضَوْا بمَا كانَ ولاتَسْخَطُوا(١)

فَسَوْفَ تُعْطَوْنَ حُنَيْنِيَّةً ... يَلْتَذُّها الأَمْرَدُ وَالأَشْمَطُ

وَالمَعْبَدِيّاتُ لِقُوّادِكُمْ ... لا تَدْخُلُ الكِيسَ ولا تُرْبَطُ

وهَكَذَا يرزُقُ قُوّادَه ... خليفَةٌ مُصْحَفُه البَرْبَطُ

ودخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له : أى شىء تحفظ ياعبدالله لدعبل ؟ قال: أحفظ أبياتا له فى أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ، فأنشده عبدالله قوله [من البسيط] :

---

(١) فى الأصل « ألا معشر الأجناد » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٨ ـ ٤٣)

سقياً ورعياً لأيام الصبابات أيام أرفل في أثواب لذاتي
أيام غصنى رطيب من ليانته أصبو إلى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون : إنه وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله فى وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن فى وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه [من الطويل] :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا إلى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالى صرفهن كما ترى لكل أناس جدبة وربيع(١)

ثم قال المأمون : ماسافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عينى وهجيراى ومسليتى حتى أعود .

ومن شعره يهجو [من مجزوء الخفيف] :

رفع الكلب فاتضع ليس فى الكلب مصطنع
بلغ الغاية التى دونها كل ما ارتفع
إنما قصر كل شى ء إذا طار أن يقع
لعن الله نخوة صار من بعدها ضرع

ومن شعره يهجو أيضاً [من البسيط] :

---

(١) في مطبوعة بولاق * طوال الليالى صرفهن كما ترى * وقد أثبتنا ما في الأغانى ، إذ كان كل ماهنا مأخوذا عنه

سمْتُ المَديحَ رجالاً دون مالهمُ رَدٌّ قَبيحٌ وقولٌ لَيْسَ بالحَسَن
فلم أفزْ مِنْهم إلا بما حَمَلَتْ رِجْلُ البعُوضةِ مِنْ فَخَّارَةِ اللَّبَن

ومنه قوله فيمن استشفع به فى حاجة فاحتاج إلى شفيع يشفع له [من السريع]:

يا عَجَباً لِلْمُرتَجِي فَضْلَهُ لقَدْ رَجا ما لَيْسَ بالنّافع
جِئْنا به يَشْفَعُ فى حاجةٍ فاحْتاجَ فى الاذنِ إلى شافع

وحدث دعبل قال : خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنت أسير فى بعض طريقى والمُكارى يسوق بى بغلا تحتى وقد أتعبنى تعبا شديداً ، فتغنى المكارى بقولى [من الكامل] :

لاتَعْجَبى ياسَلْمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

فقلت له وأنا أريد أن أتقرب إليه ليكف ما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبنى : تعرف لمن هذا الشعر يافتى ؟ قال : لمن ناك أمه وغرم درهمين ، فما أدرى من أى أموره أعجب : أمن هذا الجواب ، أم من قلة الغرم على عظم الجناية .

وحدث على بن عبدالله بن مسعدة قال : قال لى دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى [من الرجز] :

زُنَّارُه فى خَصْرِهِ معْقُود كأنه مِنْ كَبِدِى مقْدُودُ

والله ما أعلم أنى حسدت أحداً كما حسدت بكراً على قوله * كأنه من كبدى مقدود * وكان بكر هذا وراقا ضيقا عيشه معاقرا للشراب فى منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحا مطبوعا حسنا ماجنا خليعاً ، وكانت الخمرة قد أفسدت عقله فى آخر عمره ، فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا ، فاطرح

وحدث بعض الكوفيين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى وبتنا عنده ونمت ، فما أنبهنى إلا صياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : مالك؟ قم فاشرب فالدار ملأى ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أى شىء؟ قال: فى الدار

كلب كبير فأخاف أن يظننى غزالا فيثب على فيقطعنى ويأكلنى ، فقلت له : خرب الله بيتك ! أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان ، قم فاشرب إن كنت عطشانا وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب .

وحدث أحمد بن عثمان الطبرى قال : سمعت دعبل بن على يقول : لما هاجيت أباسعد المخزومى أخذت معى جوزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم : صيحوا به قائلين [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا سعد قوصره زانى الأختِ والمَرَهْ
لو تراه مجيبـا خِلْتَهُ عقْدَ قَنْطرَهْ
أو ترى الأير فى آستِهِ قلت ساق بقطره

فصاحوا به فغلبته

ولأبى سعد المخزومى يهجو دعبلا ، وكان قد دعاه إلى بيتـه ، وأضافه [من المنسرح] :

لدعبلٍ مِنّةٌ يَمُنُّ بها فَلستُ حتى الممات أنساها
أدخلنا بَيْتَهُ فأكرمنا ودَسّ امراتهُ فنكنـاها

وحدث أبو سعد المخزومى ، واسمه عيسى بن خالد الوليد ، قال : أنشدت المأمون قصيدتى الدالية التى ردَدْتُ فيها على دعبل قوله [من الكامل] .

ويَسُومنى المأمونُ خُطّةَ عاجز أو ما رأى بالأمس رأسَ مُحمَّدِ

وأول قصيدتى [من الكامل] :

أخذَ المَشيبُ من الشباب الأغيد والنّائباتُ من الأنام بِمرْصَدِ

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أجيئك برأسه ، فقال : لا ، هذا رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله فلا حجة فيه

وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل :

* لا تعجبي يا سلم من رجل ...... الأبيات *

فطرب لها وسأل عن قائلها ، فقيل : لدعبل غلام نشأ من خزاعة فأمر له بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه ومركب من مراكبه ، وجهزه ذلك مع خادم من خدمه إلى خزاعة ، فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه ، فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشده الشعر ، فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقا سنيا ، فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم إنه مابلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد [من البسيط] :

وليس حي من الأحياء نعلمه ... من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم ... كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة ... فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا ... ولا أرى لبني العباس من عذر
أربع بطوس على القبر الزكي إذا ... ما كنت تربع من دين إلى وطر [1]
قبران في طوس خير الناس كلهم ... وقبر شرهم ، هذا من العبر
ماينفع الرجس من قرب الزكي ولا ... على الزكي بقرب الرجس من ضرر [2]
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت ... له يداه ، فخذ ما شئت أو فذر

يعني قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ، ولعمرى لقد هذا هذا ، ولنفسه ظلم وآذى

---

(١) في مطبوعة بولاق * . . . من دين على وطر * وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في مطبوعة بولاق * ما ينفع الرجس من قبر الزكي . . * وقد أثبتنا ما في الأغاني ، وهو أتم مقابلة مع عجز البيت

وحدث أبو حفص النحوى مؤدب آل طاهر ، قال : دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد [من المنسرح] :

جئتُ بلا حُرْمةٍ ولا سَبَبٍ إليك إلا بحُرْمة الأدب
فاقْضِ ذِمَامِى فاننى رَجُلٌ غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

قال: فانتقل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجَّه إليه بصُرّة فيها ألف درهم ، وكتب إليه معها [من الكامل] :

أعجلْتَنا فأتاك عاجلُ برنا ولَوِ انتظَرْتَ كثيرَه لم يقلل
فخُذِ القليلَ وكن كأ نّكَ لم تسل ونكُون نحْنُ كأننا لم نفْعَل

وكان دعبل قدقصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه [من السريع] :

إنَّ ابنَ طوْق وبنى تغلب لو قُتلوا أوجرُحُوا قصره
لم يأخذوا من دية درْهما يوما ولا من أرْشِهِمْ بعْرَهْ
دماؤهم ليْسَ لها طالبٌ مطلولة مِثْلَ دم العذره
وجوهُهم بيضٌ وأحسابهُمْ سودٌ وفى آذانهمْ صفره

وقال فيه أيضا [من السريع] :

سألت عنكم يابنى مالك فى نازح الأرْضِينَ والدانيه
طرًّا فلم نعرف لكم نسبة حتى إذا قلتُ بنى الزّانيهْ
قالوا فَدَعْ داراً على يمنةٍ وتلكَ هادارُهُم ثانيهْ

فبلغت الأبيات مالكا، فطلبه، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس ابنِ محمد بن على العباسى ، وكان قد بلغه هجاء دعبل وعبدالله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فانه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه ، وأما دعبل فانه حين دخل البصرة بعث إليه فقبض عليه ، ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف

بالطلاق على جحدها وبكل يمين تبرىء من الدم أنه لم يقلها ، وأن عدوًّا له قالها – إما أبو سعد المخزومى أو غيره – ونسبها إليه ليغرى بدمه ، وجعل يتضرع إليه ، ويقبل الأرض ويبكى بين يديه فرقاً له ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلابد أن أشهرك ، ثم دعا له بالعصى فضرب به حتى سلح ، وأمر به فألقى على قفاه وفتح فمه ، فرد سلحه فيه ، والمقارع تأخذ رجليه ، وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله ، فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ، ثم خلاه فهرب إلى الأهواز ، وبعث مالك بن طوق رجلا حصيفا مقداما وأعطاه سُمًّا وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده فى قرية من نواحى السوس ، فاغتاله فى وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم ، فمات من الغد ، ودفن بتلك القرية ، وقيل : بل حمل إلى السوس فدفن فيها .

وكانت ولادته فى سنة ثمان وأربعين ومائة . ووفاته فى سنة ست وأربعين ومائتين .

ولما مات – وكان صديق البحترى ، وكان أبو تمام قد مات قبله – رثاهما البحترىّ بقوله [من الكامل] :

قدْ زادَ فى كلفى وأوقدَ لوعتى مثْوَى حبيبٍ يوم مات ودعبلِ
أخوىّ لا تزلِ السماء مخيلةً تغشاكما بسماء مزنٍ مُسْبَلِ
جدثٌ على الأهواز يبعدُ دُونهُ مسرَى النعىِّ ورِمَّةٌ بالموصلِ[1]

وَدعبل — بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة .

---

(١) فى الأصل « ورمشه بالموصل » محرفا عما أثبتناه ، وانظر هذه الأبيات فى هبة الأيام (٥٠) ، ثم انظرها فى خمسة أبيات ، فى أخبار أبى تمام (٢٧٤ – ٢٧٥) وفى الموازنة (٤٢) ولا توجد هذه الأبيات فى ديوان البحترى .

١١٦ — ما أحسنَ الدينَ والدُّنيا إذا اجتمعا وأقبحَ الكفر والافلاسَ بالرَّجُلِ

شاهد المقابلة

البيت من البسيط ، وَيُعْزَى لأبي دُلَامة .

يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا دُلامة عن أشعر بيت قالته العرب فى المقابلة ، فقال : بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو على ذاك ؟ قال : قول الشاعر ، وأنشده البيت .

قال ابن أبي الأصبع : لا خلاف فى أنه لم يُقَلْ قبله مثله ، فانه قابل بين أحسن وأقبح ، والدين والكفر ، والدنيا والافلاس ، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ .

وأحسن من بيت أبي دلامة قول المتنبي [من الطويل] :

فلا الجودُ يفنى المالَ والجدّ مقبلٌ ولا البخلُ يبقى المالَ والجدُّ مدبرُ

أمثلة من حسن المقابلة

ومن المقابلة قول النابغة الجعدى [من الطويل] :

فتى تمّ فيه ما يَسُرُّ صديقَهُ على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وقول الفرزدق [من الطويل] :

و إنا لنمضي بالأكف رماحنا إذا أُرعشتْ أيديكمُ بالمعالقِ

وقول عبد الله بن الزَّبير الأسدى [من الوافر] :

فردّ شعورهنّ السودَ بيضاً وَرَدّ وُجوههن البيضَ سودَا

وقول أبي تمام [من البسيط] :

يا أُمةً كان قبحُ الجور يسخطها دَهراً فأصبح حسنُ العدل يُرْضيها

وقول البحترى [من الخفيف] :

فإذا حاربوا أذَلُّوا عزيزاً و إذا سالموا أعزُّوا ذَليلاً

وقول يزيد بن محمد المهلبى لسليمان بن وهب [من الطويل] :

فمنْ كانَ للآثام والذُلّ أرضهُ فأرضكمُ للأجرِ والعزّ معقِلُ

وقول العباس بن الأحنف [من السريع] :

اليومُ مِثلُ الحولِ حتى أرَى وَجهكَ والساعةُ كالشهرِ

لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثنى عشر .

ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :

لو كانَ ذَا الكاشحُ فى بلدتى لم يستطعْ يُومِضُنِي وَمْضًا(١)

وكنتُ فى العزِّ سماءً لهُ وكانَ لى مِنْ ذلهِ أرْضَا

وحسنٌ فى المقابلة قول الشريف الموسوى [من البسيط] :

ومنظرٍ كانَ بالسرَّاء يضحكُنِي ياقربَ ما عادَ بالضرَّاء يُبكينِي

وقول أبى عبد الله الغوَّاص [من البسيط] :

جَهْلُ الرئيسِ وحقّ الله يضحكُنا وفعلهُ وإلَهِ الناسِ يُبكينَا

وقول ابن شمس الخلافة [من الرمل] :

طالتِ الشقْوَةُ للمرْءِ إذَا قَصُرَ الرزقُ وطالَ العمرُ

وقول السرىّ الرفاء [من مجزوء الرجز] :

وصاحب يقدَحُ لىِ نارَ السرُورِ بالقدَحِ

فى روضةٍ قد لبستْ منْ لؤلؤ الطلّ سبحْ

والجَوُّ فى مُمسَّكٍ طرازُهُ قوسُ قزَحْ

يبكى بِلاَ حزنٍ كمَا يضحكُ من غيرِ فرحْ

وقوله وقد شرب ليلة فى زورق [من الطويل] :

ومعتدلٍ يسعَى إلىَّ بكأسهِ وقد كادَ ضوءُ الصبحِ بالليل يفتكُ

---

(١) في مطبوعة بولاق « لو كان ذاك الكاشح » بزيادة الكاف التى يختل بها الوزن .

وقد حجبَ الغيمُ السماء كأنما يُزَرُّ عليها منهُ ثوبٌ ممسَّكُ
ظَلِلْنا نبثُّ الوجدَ والكأس دائرٌ ونهتكُ أستارَ الهوى فتُهتَّكُ
ومجلسنا في الماء يهوى ويرتقي وإبريقنا في الكأس يبكي ويضحك

وقول التمام الحداد المصري [من المنسرح] :

أما ترى الغيثَ كلما ضحكتْ كمائمُ الزهرِ في الرياض بكَى
كالحبِّ يبكي لديهِ عاشقهُ وكلما فاضَ دمعهُ ضحكَا

وما أحسن قول الأرَّجاني وأرشقه [من مخلع البسيط] :

شبتُ أنا والتَحى حبيبي حتى برغمي سلوتُ عنهُ
وابيضَّ ذاكَ السوادُ مني واسودَّ ذاكَ البياضُ منهُ

وما أصفى قول الصفي الحلي [من الطويل] :

مليحٌ يغيرُ الغصنَ عنداهتزازهِ ويخجلُ بدرَ التمِّ عندَ شروقهِ
فما فيهِ معنى ناقصٌ غيرُ خصرهِ ولا فيهِ شيءٌ باردٌ غيرُ ريقهِ

وما أشرق قول الشمس التلمساني [من الطويل] :

فكم يتجافى خصرُه وهو ناحلٌ وكم يتحالى ريقهُ وهو باردُ
وكم يدعي صوناً وهذي جفونهُ بفترتها للعاشقينَ تواعدُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي [من البسيط] :

أزورُهم وسوادُ الليل يشفعُ لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

وقد أخذه بعضهم أخذاً مليحاً ، فقال [من الكامل] :

أقلي النهارَ إذا أضاء صباحهُ وأظَلُّ أنتظر الظلامَ الدامسَا
فالصبح يَشْمتُ بي فيقبلُ ضاحكاً والليلُ يَرثي لي فيدبر عابسَا

والمتنبي أخذ معنى بيته من مصراع بيت لابن المعتز ، وهو قوله [من البسيط] :

14

لا تلقَ إلا بليلٍ مَنْ تواعدُهُ فالشمسُ نمَّامةٌ والليلُ قوّادُ

إلا أن ابن المعتز هجن هذا المعنى بذكر نمامة وقواد ، وأبو الطيب سبكه أحسن سبك وأبدعه ، فصار أحق به منه .

وقال عبد الله بن خميس من شعراء المغاربة [من الكامل] :

باتتْ له الأهواء أدهم سابقاً وغدَتْ بهالأيامُ أشهبَ كابى

فأحسن ما شاء ، لمقابلته الأدهم بالأشهب ، والسابق بالكابى ، على أنه مأخوذ من قول ذى الوزارتين أبى عبد الله بن أبى الخصال ، رحمه الله تعالى [من الطويل] :

وقد كنتُ أسرى فى الظلام بأدهم فهاأنا أغدو فى الصباح بأشهبِ

وفى بيت كل منهما زيادة على الآخر .

ومن مقابلة ستة بستة ما أورده الصاحب شرف الدين مستوفى إربل ، وهو [من الطويل] :

على رأس عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ وفى رِجْلِ حرّ قيد ذُلٍّ يَشينهُ

حكى غرس الدين الاربلى ، أن الصاحب المذكور لما أنشد لغيره هذا البيت ، قال هو بديها [من الطويل] :

تسر لئيماً مكرماتٌ تزينهُ وتبكى كريماً حادثاتٌ تهينهُ

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول القائل فى ذى أبنة [من الكامل] :

يأتى إلى الأحرار يجلسُ فوقهمْ وينامُ من تحت العبيد ويُؤتَى

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول النميرى الغرناطى [من الكامل] :

هنّ البدُورُ تغيرتْ لما رأتْ شعراتِ رأسى آذنَتْ بتغيرِ

راحت تحبُّ دُجى شباب مظلم وغدَتْ تعافُ ضحى مشيب نيرِ

ترجمة أبي دلامة

وأبو دلامة(١) اسمه زند بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه ، ويقول : زيد بالياء التحتية ، وهو خطأ ، وإنما هو بالنون ، وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد ، وكان أبو دلامة عبداً لرجلٍ منهم ، يقال له : قضاقض(٢) ، فأعتقه وأدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له فيها نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي ، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ، ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة . وكان أبو دلامة فاسد الدين ردىء المذهب ، مرتكبا للمحارم مجاهراً بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله . وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور ، وذكر قتله أبا مسلم ، وفيها يقول [من الطويل] :

أبا مسلم خوّفتني القتلَ فانْتَحَى ... عليكَ بما خوفتني الأسدُ الوَرد

أبا مسلم ما غـير اللهُ نعمةً ... على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصورَ في محفل من الناس ، فقال له : احتكم ؟ فقال له : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : أما والله لو تعديتها لقتلتك .

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يلقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرّ حال ، وجهي في وسطي ، وسيفي في استي ، وقد صبغت بالسواد ثيابي ، ونبذت كتاب الله وراء ظهري ، فضحك منه وأعفاه ، وحذره من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع منك هذا أحد ، وفي ذلك يقول أبو دُلامة

(١) تجد ترجمة أبي دلامة في الأغاني (٩ — ١٢٠)

(٢) في الأغاني « فضافض » بفاءين

[من الطويل] :

وكنا نرجّى منحةً من إمامنا   فجاءتْ بطُولٍ زادهُ فى القلانسِ

تراها على هام الرجال كأنها   دنانُ يهود جُلِّلتْ بالبرانسِ

وحدث الجاحظ ، قال : كان أبو دلامة واقفاً بين يدى المنصور — أو السفاح — فقال له : سلنى حاجتك . قال أبو دلامة : كلب صيد . قال : أعطوه إياه . قال : ودابة أتصيد عليها . قال : أعطوه . قال : وغلام يقود الكلب . قال : أعطوه غلاما . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد من دار يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : وإن لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أقطعتك مائة جريب عامرة ، ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نبات فيه من الأرض . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد ، فضحك وقال : اجعلوا المائتين كلها عامرة . قال : فأذَنْ لى أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها فانى لا أفعل . قال : والله مامنعت عيالى شيئاً أقل ضررا عليهم منها ! .

قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، حيث ابتدأ بكلب فسهّل القضية ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب فكاهة ، حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه .

وحدث الهيثم بن عدى قال : دخل أبو دلامة على المنصور ، فأنشده قصيدته التي أولها [من البسيط]

إنّ الخليط أجدّ البين فانتجعوا   وزوّدوكَ خبالاً ، بئس ماصنعوا (١)

---

(١) فى الأصل «بان الخليط أجدالبين» وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى .

إلى أن قال فيها يهجو زوجته :

لاَ والذى يا أميرَ المؤمنين قضىَ ... لكَ الخلافةَ فى أسبابها الرُّفَعُ
مازلتُ أخلصها كسبي فتأ كله ... دونى ودون عيالى ثم تضطجعُ
شوهاء مَشْنِيَّة فى بطنها بجَرٌ ... وفى المفاصل من أوصالها فدعُ(١)
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ... ولم تكن بكتاب الله ترتدعُ(٢)
فاخرَنطمت ثمّ قالَتْ وهى مغضبةٌ ... أأنت تتلو كتاب الله يالُكَعُ(٣)
اخرجْ لتبغِ لنا مالاً ومزرعةً ... كمَا لجيراننا مالٌ ومُزْدَرَعُ
واخدعْ خليفتنا عَنَّا بمسألةٍ ... إنّ الخليفة للسؤّالِ ينخدعُ

فضحك المنصور ، وقال : أرضوها عنه ، وا كتبوا لها ستمائة جريب عامرة وغامرة ، فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ، و إن شئت زدتكَ ، فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة .

وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبى ليلى القاضى ، على أتان نازعها فيه رجلٌ ، فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى : اسمع ما قلت قبل أن آتيك ، ثم اقض بماشئت قال هات : فأنشده [من الطويل] :

إنِ الناسُ غطونى تغطَّيت عنهمُ ... و إن بَحثُوا عنى ففيهم مَباحث
و إن حَفَروا بئرى حفرت بئارهم ... ليعلم يوماً كيف تلك النبائث(٤)

---

(١) فى مطبوعة بولاق « فى بطنها بخل » وفى الأغانى « فى بطنها بحل » وكلاهما تحريف ما أثبتناه ، والبجر – بفتحتين – أن يعظم البطن ، وتخرج السرة ويغلظ أصلها .

(٢) فى الأغانى * ولم تكن بكتاب الله تنتفع *
ولكل منهما معنى صحيح

(٣) اخرنطمت : غضبت

(٤) النبائث : جمع نبيثة ، وهى تراب البئر أو النهر أو ما حول أحدهما من التراب .

فأقبل القاضي على المرأة ، وقال : أتبيعينني الأتان ؟ قالت : نعم ، قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوها إليها ، ففعلوا ، وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت ، أرضيت ؟ قال : نعم ، وانصرف .

ودخل أبو عطاء السندي يوما إلى أبي دلامة ، فاحتبسه ، ودعا بطعام وشراب فأكلا وشربا ، وخرجت إلى أبي دلامة صبية له ، فحملها على كتفه ، فبالت عليه ، فنبذها عن كتفه ، ثم قال [من الوافر] :

بَلَلْتِ عليَّ لا حُيِّيتِ ثوبي فَبالَ عليكِ شيطانٌ رجيمُ[1]
فما وَلَدَتْكِ مريمُ أمُّ عيسى ولا ربَّاكِ لقمانُ الحكيمُ

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أجز يا أبا عطاء ، فقال [من الوافر] :

صدقتَ أبا دلامةَ لم تلدْها مُطَهَّرَةٌ ولا فحلٌ كريمُ
ولكنْ قد حوتها أمُّ سوءٍ إلى لَبَّاتها ، وأبٌ لئيمُ

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله ! ما حملك على أن بلغت بي هذا كله ؟ والله لا أنازعك بيت شعر أبدا ، فقال له أبو عطاء : يكون الذي من جهتك أحب إليّ ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته ، وأنشده الأبيات ، ثم اندفع فأنشده بعدها [من البسيط] :

لو كانَ يقعدُ فوقَ الشمسِ مِنْ كَرَمٍ قومٌ لَقِيلَ اقعُدُوا يا آلَ عبّاسِ
ثمّ ارتقُوا في شُعاعِ الشمسِ كلكُمُ إلى السماءِ فأنتمْ أكرَمُ النّاسِ[2]
وقدّمُوا القائمَ المَنصُورَ رأسَكُمُ فالعينُ والأنفُ والأذنانِ في الرّاسِ

فاستحسنها ، وقال : بأي شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه ؟

---

(١) في مطبوعة بولاق * بللت على ثوبي لا حييت *

(٢) في الأغاني « فأنتم أطهر الناس »

فأخرج خريطة قد خاطها من الليل ، وقال : تملأ لى هذه دراهم ، فوسعت أربعة آلاف درهم

ولما توفى أبوالعباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يُعزُّونه فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمْسَيتَ بالأنْبار يا ابنَ مُحَمَّدٍ لم تَستطعْ عن عُقرِها تحويلا(١)

وَيلى عليكَ وَوَيل أهْلى كلِّهم ويلاً وعَوْلا فى الحَياةِ طَويلاَ

فلتبكِيَنَّ لكَ السَّماءُ بِعَبْرَةٍ ولتبكِيَنَّ لكَ الرِّجالُ عويلا(٢)

ماتَ النَدَى إذ مُتَّ يا ابنَ مُحَمَّدٍ فجعَلْتَهُ لكَ فى التُّرابِ عَديلا

إنِّى سألْتُ النّاسَ بَعْدَكَ كلَّهُمْ فوَجَدْتُ أسمَحَ مَنْ سألتُ بَخيلاَ

ألِشَقْوَتى أُخِّرْتُ بَعْدَكَ للَّتى تَدَعُ العزيزَ مِنَ الرِّجالِ ذليلاَ

فلأحلِفَنَّ يَمينَ حَقٍّ بَرَّةً باللهِ ما أُعْطيتُ بَعْدَكَ سولاَ

فأبكى الناسَ قولُه ، وغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال أبودلامة : ياأميرالمؤمنين ، إن أباالعباس كان لى مكرما ، وهو الذى جاءبى من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه ، فقل أنت كما قال يوسف (لا تثريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسُرِّى عن المنصور ، وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك ، فقال : ياأمير المؤمنين ، قد كان أبوالعباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا

---

(١) فى مطبوعة بولاق

* لم تستطع عن غيرها تحويلا *

وليس بشىء ، وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى * فلتبكين لك النساء بعبرة *

وهو أتم لمقابلته بالرجال فى عجز البيت

وهو مريض ولم أقبضها ، فقال المنصور: ومن يعلم ذلك ؟ قال: هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق ياأمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيظ : [يا سليمانُ][١] ادفع إليه وسيِّره إلى هذا الطاغية[٢] يعنى عبد الله بن علىّ ، وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال: ياأمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرج معهم فإنى والله لمشؤم ، فقال له المنصور : امض فإن يُمْنِى يغلب شؤمك فاخرج ، فقال: والله ياأمير المؤمنين ما أحِبُّ لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فإني لاأدري أيهما يغلب يُمنك أو شؤمى إلا أنى بنفسى أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال: دعنى من هذا فمالك من الخروج بدّ ، قال: فإنى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت وكنت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستفرغ[٣] المنصور ضحكا ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة

وحدث أبو دلامة قال: أُتى بى إلى المنصور أو إلى المهدى وأنا سكران ، فحلف ليخرجنى فى بَعْثِ حرب ، فأخرجنى مع روح بن عدىّ بن حاتم[٤] المهلبى لقتال الشُّراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثراً ترتضيه منى ، فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلىّ ودعا له بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع[٥]

---

(١) زيادة عن الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق « هذه الطاغية » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) في الأغانى « فاستغرب »

(٤) فى الأغانى « روح بن حاتم المهلبى » باسقاط عدى

(٥) فى مطبوعة بولاق « وزالت عنه حلاوة الطمع » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الأغانى

قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذبك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما ، فقال : هات ، فأنشدته [من الكامل] :

إِنِّى اسْتَجَرْتُكَ أَنْ أُقَدَّمَ فى الوَغَى … لِتَطَاعُنٍ وَتَنَازُلٍ وَضِرَابِ
فَهَبِ السُّيُوفَ رَأَيْتُهَا مَشْهُورَةً … فَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فى الهُرَّابِ
مَاذَا تَقُولُ لِمَا يَجِىءُ ولا يُرَى … من وَارِدَاتِ المَوْتِ فى النشاب[1]

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير فى دمى ، فقال : والله لتخرجن ، قلت: أيها الأمير إنه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله جائع ماتنبعث منى جارحة من الجوع فمر لى بشىء آكله ثم أخرج ، فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك و برزت من الصف ، فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعلّ وعيناه تقدان ، فأسرع إلى ، فقلت : على رسلك ياهذا كما أنت ، فوقف ، فقلت : أتقتل مَنْ لايقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحلّ أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحل ذلك قبل أن تدعو مَنْ يقاتلك إلى دينك ؟ قال : لا فاذهب عنى إلى لعنة الله ، فقلت : لاأفعل أو تسمع منى ، قال : قل ، قلت : هل كان بيننا عداوة قط أوترة أو تعلم بين أهلى وأهلك وترا ؟ قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل ، و إنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك

---

(١) روى هذا البيت فى الأغانى

ماذا تقول لمـا يجىء وما يرى … من واردات الموت فى النشاب

ووقع فى مطبوعة بولاق

ماذا تقول لمن يجيء ولا يرى … لما درأت الموت فى النشاب

وأثبتناه كما ترى.

وأريد الشر لمن أراده لك ، قال : ياهذا جزاك الله خيراً فانصرف ، قلت : إن معى زاداً وأريد أن آكله وأريد موا كلتك لتتأكد المودة بيننا ونُرِى أهل العسكرين هَوَانهم علينا ، قال : فافعل ، فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل ، والناسُ قد غُلبوا ضحكا ، فلما استوفينا وَدَّعنى ، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمتَ على طلب المبارزة نَدَبنى لك فتتعب وتتعبنى ، فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت ، ثم انصرف وانصرفت ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى فقل لغيرى يكفيك قرنه ، قال : ثم خرج آخر يريد البراز ، فقال : اخرج إليه ، فقلت [من البسيط] :

إنى أعوذ بِروح أن يُقدمنى ... إلى القتال فتَخْزَى بى بنو أسد
إنَّ البرَاز إلى الأقْرَان أعلَمُهُ ... ممّا يُفرِّق بيْنَ الرُّوح والجَسد
قَدْ حالَفَتْكَ المَنَايا إذ صَمَدْتَ لها ... وأصبحَتْ لجميع الخَلْق بالرّصد
إنَّ المُهلَّبَ حُبَّ المَوْت أوْرثكم ... وما ورِثْتُ اختيارَ المَوت عن أحد
لوْ أن لى مُهجةً أُخرى لجدتُ بها ... لكنّها خُلقَتْ فَرْداً فلم أجد

فضحك وأعفانى

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبى دلامة : احجج معى ولك عشرة آلاف درهم ، فقال : هاتها ، فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد ، فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر ، وطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فوات الحج ، فخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة[1] خارجا من قرية إلى قرية أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى المحمل بين يديه ، ففُعِل به ذلك ، فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله [من البسيط] :

---

(١) فى مطبوعة بولاق « فاذا هو بأبى دلامة » وحذفنا الفاء وفاقا لما فى الأغانى .

يا أيُّها النّاس قُولوا أجْمَعينَ معاً صلّى الأله على مُوسى بنِ داود

كأن ديباجتى خدّيه منْ ذَهبٍ إذا بَدالكَ فى أثوابه السُّود

إنّى أعُوذُ بداوُدٍ وأعظُمه مِنْ أنْأ كلَّفَ حجًّا ياابنَ داوُدِ[١]

أنبئتُ أن طَريق الحجِّ معْطَشَةٌ منَ الشّراب وماشُرْبى بتصريد[٢]

والله مافىّ منْ أجرٍ فتَطلبهُ ولاَ الثّنـاء على دينى بِمَحْمُود

فقال موسى : ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه[٣] ينصرف ، فألقى وعاد إلى قصفه بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف[٤] .

ودخل أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده [من الوافر] :

رأيتك فى المنَام كَسَوْتَ جلدى ثيَابا جَمّةً وقَضَيْتَ دَيْنى

وكانَ بنَفْسَجِىُّ الخز فيها وسـاجٌ ناعمٌ فأتَمّ زَينى

فَصَدِّق يا فدَتكَ النّفْسُ رُؤيا رَأتهَا فى المَنام كذَاكَ عينى

فأمر بذلك ، وقال : لاعُدْت تتحلَّم على ثانية فأجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه ثمّ خرج من عنده ومضى فشرب فى بعض الحانات فسكر وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس فأخذ فقيل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال [من الرجز] :

دينى عَلَى دين بَنِى العَبّاس ماختِم الطّـينُ على القرْطاس[٥]

إذا اصطَبَحْتُ أرْبعاً بالكاس فَقَدْ أدارَ شُرْبُهَا براسى

فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ من باس ؟

---

(١) فى مطبوعة بولاق «عن أنْ أكاف» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى « خبرت أن طريق الحج »

(٣) فى مطبوعة بولاق «ودعوه فينصرف» وحذفنا الفاء وفاقا لما فى الأغانى

(٤) الصواب عربية أن يقول « عشرة الآلاف » والكوفيون يجيزون «العشرة الآلاف » فأما ما فى الأصل فخطأ

(٥) فى مطبوعة بولاق « فأختم الطين » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وأراد بقوله « ما ختم الطين ـ الخ » معنى الدوام

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه، وأتوا به إلى المنصور ، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس ، فحبسه مع الدجاج في بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد ، وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزُقاء الديكة ، فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا؟ قال : في الحبس ، وأنا فلان السجان ، قال : ومَنْ حبسنى ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : : ومن خرَّقَ طيلسانى ؟ قال : الحرسُ ، فطلب منه أن يأتيه بدَواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب إلى المنصور [من الوافر] :

أميرَ المؤمنينَ فدَتكَ نفسى ... علامَ حبستنى وخرَّقتَ ساجى
أمِنْ صهباءَ صافيةِ المزاجِ ... كأنَّ شُعاعها لهبُ السِّراجِ
وقد طبختْ بنارِ الله حتى ... لقد صارتْ من النطفِ النضاجِ
تهشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت ترقرقُ فى الزجاجِ
أقادُ إلى السجون بغير جرْمٍ ... كأنِّى بعضُ عمالِ الخراجِ
ولو معهم حُبستُ لكانَ سهلاً ... ولكنى حُبستُ معَ الدجاجِ
وقد كانت تخبرنى ذنوبى ... بأنِّى من عقابكَ غيرُ ناجى
علىَ أنى وإن لاقيتُ شرًّا ... لخيركَ بعدَ ذاكَ الشر راجى

فدعا به ، وقال له : أين حُبست يا أبا دُلامة ؟ فقالَ : مع الدجاج ، قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أقوقىء معهم حتى أصبحت ، فضحك وخلى سبيله ، وأمر له بجائزة . فلما خرج قال له الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : * وقد طبخت بنار الله * يعنى الشمس ، فأمر برده . ثم قال له : يا خبيث ، شربتَ الخمر ؟ قال : لا . قال : أفلم تقل : * طبخت بنار الله * تعنى الشمس . قال : لا ، والله ما عنيت إلا نار الله المؤصدَة التى تطلع على فؤاد الربيع ، فضحك وقال : خذها يا ربيع ، ولا تعاود التعرض له .

ولما قدمَ المهدىّ منَ الرّىّ ، دَخل عليه أبو دلامة ، فأنشأ يقولُ [من الكامل] :

إنى نذَرتُ لئن لقيتُكَ سالماً ... بِقرَى العرَاق وأنتَ ذو وفرِ
لتصلينَّ عَلى النبىّ محمدٍ ... ولتملأنَّ دَرَاهِماً حِجرِى

فقال : صلى الله على النبى محمد وسلم ، وأما الدرَاهم فلا ، فقال له : أنت أكرم من أن تفرق بينهما ، ثم تختار أسهلهما ، فضحك ، وأمر بأن يملأ حجره دراهم .

ودخل أبو دُلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته ، فعزاها به و بكى ، فبكت معه ، فقالت أم سلمة : لم أجد أحداً أصيب به غيرى وغيرك ياأبا دلامة قال : ولا سواء(١) يرحمك الله! لك منه ولد ، وما ولدت أنا منه قط ، فضحكت ، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت ، وقالت له : لو حَدَّثتَ الشيطان لأضحكته .

ودخل يوما على المهدى ، وهو يبكى ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشد لنفسه فيها [من الطويل] :

وكنا كزوج من قَطًا فى مفازةٍ ... لدَى خَفْض عيشٍ مونقٍ ناضرٍ رغدِ
فأفرَدَنى رَيب الزمان بصرفهِ ... وَلم أرَ شيئاً قطُّ أوحشَ من فردِ

فأمر له بطيب وثياب ودنانير ، وخرج ، فدخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قدمات ، فأعطتها مثل ذلك ، وخرجت . فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما ، فجعلا يضحكان لذلك و يعجبان منه .

---

(١) فى مطبوعة بولاق «ولاسواى يرحمك الله» محرفا وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

وحدث المديني قال : دخل أبودلامة على المهدى وعنده جماعة من بنى هاشم فقال المهدى له : أنا أعطى الله تعالى عهداً ، لئن لم تهجُ واحدا ممن فى البيت لأضربَنَّ عنقك ، فنظر إليه القوم ، وغمزوه بأن عليهم رضاه . قال أبو دلامة : [فعلمت [1]] أنى وقعت ، وأنها عزمة من عزماته ، ولا بد منها ، فلم أر أحداً أحقّ بالهجاء منى ، ولا أدعى إلى السلامة من هجائى نفسى ، فقلت : [من الوافر] :

إلا أبلغْ لديكَ أبا دُلامهْ   فليس من الكرام ولا كرامهْ
إذا لبس العمامة قلت قردٌ   وخنزيرٌ إذا وضع العمامهْ [2]
جمعت دمامةً وجمعت لؤماً   كذاك اللؤم تتبعهُ الدمامهْ
فإن تكُ قد أصبتَ نَعيم دُنيا   فلا تفرحْ فقد دنت القيامهْ

فضحك القوم ، ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

وخرج المهدى وعلى بن سليمان إلى الصيد . فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدى سهماً فصرع ظبياً ، ورمى على بن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال فى ذلك أبو دلامة [من مجزوء الرمل] :

قد رمى المهدىُّ ظبياً   شكَّ بالسهم فؤادهْ
وعلىُّ بن سليما   ن رمى كلباً فصادهْ
فهنيئاً لهما كلُّ   امرىء يأكلُ زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة . ولقب على بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق به .

---

(١) زيادة عن الأغانى
(٢) فى الأغانى « كان قرداً وخنزيراً إذا »

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال: بنت عمكَ ياأمير المؤمنين حمادة بنت عيسى ، يُجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .

وحدث الهيثم بن عدى قال : حجت الخيزران ، فلما خرجت صاح أبو دلامة: جعلنى الله فداك ! الله اللهَ فى أمرى ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا : أبو دلامة ، قالت : اسألوه ما أمره . قال : أدنونى من محملها ، فأدنى ، فقال : أيها السيدة ، إنى شيخ كبير وأجرك فىَّ عظيم . قالت : فمه ؟ قال: تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، فقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بُعْدها ، وتشوقت فَقْدها . فضحكت ، وقالت: سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد وأقام حتى سئم ، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها [من مجزوء الرمل] .

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيدَهْ
أنها أرشدَها الله وإن كانت رَشيدهْ
وَعدتنى قبلَ أن تخـ رج للحج وليدهْ
فتأتيت وأرسلت بعشرين قصيدهْ
كلما أخلقنَ أخلفـ ـتُ لها أخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيـ ـد فراشى من قعيدهْ
غيرُ عجفاء عجوز ساقُها مثل القديده
وجهها أقبح من حو ت طرىٍّ فى عصيده
ما حياتى مع أنثى مثل عِرْسى بسعيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت ، واستعادت قوله : * وجهها أقبح من حوت إلى آخره * وجعلت تضحك ، ودعت بجارية من جواريها فائقة . فقالت لها : خذى كل مالك فى قصرى، ففعلت ، ثم دعت بخادم وقالت له : سلمها إلى أبى دلامة . فانطلق الخادم بها فلم يصبه فى منزله . فقال لامرأته : إذا رجع فادفعيها إليه وقولى له : تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقالت له : نعم . فلما خرج دخل إليها ابنها دلامة فوجد أمه تبكى ، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبر بى يوما من الدهر فاليوم ، قال قولى : ماشئت فانى أفعله ، قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه ، وإلا ذهبت بعقله وجفانى وجفاك ، ففعل ودخل على الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه وخرج ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقالت : فى ذلك البيت فدخل إليها شيخ محطم ذاهب فمد يده إليها وذهب ليقبلها ، فقالت له : مالك ويلك تنحّ عنى وإلا لطمتك لطمة دققت بها أنْفَكَ. فقال: أبهذا أوصتك السيدة ؟ فقالت : إنها بعثت بى إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندى آنفاً ونال منى حاجته ، فعلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها ، فخرج إلى دلامة فلطمه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه إلى المهدى ، فمضى به متلبباً حتى وقف على باب المهدى . فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة ، فأمر بادخاله فلما دخل قال له : مالك ويلك؟ قال : عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمله ولد بأبيه ولا يرضينى إلا أن تقتله . فقال: ويلك ! فما فعل بك؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى على قفاه ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال على بالسيف والنطع . فقال له دلامة : قد سمعت قوله ياأمير المؤمنين فاسمع حجتى ، قال: هات . قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً ، وهو ينيك أمى منذ أربعين ما غضبت نكت أنا جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بى ماترى ، فضحك المهدى أشد من ضحكه الأولى . ثم قال: دعها له وأنا أعطيك خيرا منها . قال: على أن

تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا نا كها والله كما ناك هذه ، فتعهد المهدى إلى أبى دلامة أن لا يعاود دلامة مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، وأمر له بجارية أخرى كما وعده .

ودخل أبو دلامة على المهدى وسلمة الوصيف واقف ، فقال : إنى قد أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله ، فان رأيت أن تشرفنى بقبوله ، فأمر بادخاله إليه ، فخرج أبو دلامة وأدخل فرسه الذى كان تحته ، فاذا هو برذون محطم أعجف هرم ، فقال له المهدى : أى شىء ويلك هذا ، ألم تزعم أنه مهر فقال له : أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً ، تسميه الوصيف ، وله ثمانون سنة ، وهو بعد عندكَ وصيفاً ، فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر ، فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك . ثم قال لسلمة : ويحك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بمثلها فى محفل يفضحك ، فقال أبو دلامة : إى والله يا أمير المؤمنين لأفضحنَّه فليس فى مواليك أحد إلا وقد وصلنى غيره ، فانى ما شربت له الماء قط ، قال : فقد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخاص من يدك ، قال : قد فعلت على أن لا يعاود ، قال : أفعل ، ولولا أنى ما أخذت منه شيئا قط ما استعملت معه مثل هذا ، فمضى سلمة فحملها إليه وسلمه إياها .

وجاء دلامة يوما إلى أبيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة ، فقال لهم : إن شيخى كما ترون قد كبر سنه ، ودق عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، ولا أزال أشير عليه بالشىء يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفنى ، وإنى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فأسعفونى بمسألته معى ، فقالوا : نفعل وحبا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبى دلامة بألسنتهم ، فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنه وهو ساكت ، فقال : قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأتِ إلاّ ببليّة ، فقالوا : قل ، فقال : إن أبى ما يقتله إلا كثرة الجماع ،

فتعاونونى[1] عليه حتى أخصيه فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره، فعجبوا مما أتى به، وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبى دلامة: قد سمعت فأجب. قال: قد سمعتم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير، قالوا: فما عندك فى هذا؟ قال: قد جعلت أمه حكما بينى وبينه. فقوموا بنا إليها، فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها، وقص أبو دلامة القصة عليها وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابنى هذا أبقاه الله قد نصح أباه وبرّه ولم يأل جهدا وما أنا إلى بقاء أبيه بأحوج منى إلى بقائه، وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك فى معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها، فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أيضا أبوه، فجعل أبوه يضحك منه، وخجل ابنه دلامة، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم فى ذلك المذهب.

وكان عند المهدى رجل من بنى مروان قد جاءه مسلما، فأتى المهدى بعلج، فأمر المروانى أن يضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضرب به فنبا عنه، فرمى به المروانى وقال: لو كان من سيوفنا ما نبا، فسمعها المهدى فغاظه حتى تغير وجهه وبان فيه، فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل إلا فى أيدى الأولياء، ولا تعمل فى أيدى أهل المعصية، ثم قام أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرنى بيتان أفأقول؟ قال: قل، فأنشده [من الخفيف]:

أَبِهَذَا الامامُ سيْفُكَ ماضٍ ... وَبِكَفِّ الوَلِيِّ غيرُ كَهَامِ

فاذا ما نبَا بِكَفٍّ عَلِمْنَا ... أنه كَفُّ مُبْغِضٍ للإِمَامِ

فقام المهدى من مجلسه، وسُرى عنه، وأمر حجابه بقتل المروانى، فقتل

وقال ابن النطاح: دخل أبو دلامة على المهدى، فأنشده قصيدته فى بغلته

(١) هكذا بحذف نون الرفع من غير تقدم ناصب أو جازم

المشهورة يهجوها ويذكر معايبها، فلما أنشده قوله [من الوافر]:

أتانى خائبٌ يستامُ منّى ... عريقاً فى الخسارةِ والضّلالِ

فقالَ تبيعُها قلتُ ارتبطْها ... بحُكمِكَ إن يَبِعى غيرُ غالى

فأقبلَ ضاحكاً نحوى سروراً ... وقالَ أراكَ سهلاً ذا جمالِ

هلمّ إلىّ يخلو بى خداعاً ... وما يدرى الشّقى لمَنْ يُخالى

فقلتُ بأربعينَ فقالَ أحسِنْ ... إلىّ فإنّ مثلكَ ذو سجالِ

فأتركُ خمسةً منها لعلمى ... بما فيهِ يصيرُ منَ الخبالِ

فقال له المهدى: لقد أفلت من بلاء عظيم، فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها على، قال: ثم أنشده [من الوافر]:

فأبدِلنى بها يا ربِّ طِرْفاً ... يكونُ جمالُ مركبِهِ جمالى

فقال المهدى لصاحب دوابه: خيره بين مركبين من الاصطبل، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان الاختيار إلى وقعت فى شرمن البغلة، ولكن مُرْه أن يختار لى، فقال: اختر له

وأخبار أبى دلامة كثيرة، وقد أثبتنا منها طرفا صالحا.

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة، رحمه الله تعالى!

* * *

شاهد مراعاة النظير

١١٧ — كالقِسِىِّ المُعطَّفاتِ بَلِ الأسهُمِ مَبريّةً بَلِ الأوتارِ

البيت للبحترى، من قصيدة من الخفيف[1] يمدح بها أباجعفر بن حُميد ويستوهبه غلاما، ومنها قوله:

أبُكاءً فى الدّارِ بعدَ الدّارِ ... وسُلوّاً بزينبٍ عن نوارِ

(١) اقرأها في الديوان (٢ — ٢٤ مصر)

لاهَنَاكَ الشغلُ الجديدُ بحُزْوَى عن رُسُوم برامتين قفارِ
ما ظَنَنْتُ الأهواءَ قبلكَ تُمحى في صُدُور العُشّاق محْوَ الدّيار(١)

إلى أن قال منها في وصف النوق :

يترقرقن كالسَّراب وقد خُضْـنَ غماراً من السَّراب الجَارى

و بعده البيت ، والقصيدة طويلة ، يقول منها فى تشكيه من الغلام الأجير ويسأل مخدومه فى هبته غلاما و يصفه :

قَدْ مَلِلْنَاكَ ياغلامُ فغَادِ بِسَلَامٍ أوْ رائحٌ أوْ سَارى
سَرِقات منّى خصوصاً ، فهلا منْ عدُو أوْ صاحبٍ أوْ جار(٢)
أنا منْ ياسرٍ وَسعْدٍ وَفتْح لَسْتُ من عامرٍ وَلاَ عمّار
لا أحبُّ النّظيرَ يُخرِجهُ الشتْمُ إلى الاحتجـاج والافتخار
فاذَا رُعتَهُ بناحيَةِ السَّوْ ط على الذّنْبِ رَاعنى بالفرار
ما بأرْض العِرَاق يا قَوْم حرٌّ يشتَرِينى منْ خدمةِ الأحرار(٣)
هلْ جوَاد بأبْيض من بنى الأصفرِ محْض الجُدُود محْض النِّجار
لم يرُمْ قَومهُ السَّرَايا وَلم يغزُهُم غيْرُ جَحفَلٍ جرّار(٤)
فحوته الرِّماح أغيدَ مجدُو لا قصيرَ الزُّنار وافى الأزَار(٥)
فوْقَ ضعفِ الصِّغار إن وكلَ الأمْر إليه ودون كبر الكبار(٦)

---

(١) فى الأصل « فيك تمحى » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان
(٢) فى الأصل «سروا نأى عنى» و لم تتجه لها عندنا ضبط ، وما أثبتناه موافق لمـا فى الديوان
(٣) فى الديوان « يفتديني » فى مكان يشترينى
(٤) فى الديوان « لم يرع قومه السرايا » ولمـا هنا وجه
(٥) فى الأصل « توجته الرياح » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان
(٦) فى الديوان « ودون كيد الكبار » وهو خير ممـا هنا

لكَ من ثَغْرِه وخَدَّيه ما شئتَ من الأقحوانِ والجُلّنار
وكأنّ الذكاء يبعَثُ منهُ في سوادِ الأمُورِ شعلةَ نار
يا أبا جعفرٍ وَما أنتَ بالمَدْ عوِّ إلا لِكلِّ أمرٍ كُبّار
ولعمْرِى للجُودُ بالناسِ للنا سِ سِواهُ بالثّوْبِ والدِّينار
وقليلٌ إلاّ لَديكَ بهذا الفج أخْذُ الغلمان بالأشعار(١)

ومعنى البيت أنه يصف إبلا أنحلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسى بل السهام بل الأوتار

أبيات في وصف الابل بالنحول

وقد تداول الشعراء هذا المعنى، وتجاذبوا أطرافه، فمن ذلك قولُ الشريف الموسوى [من الكامل] :

هُنّ القسىُّ مِنَ النُّحُول فانْ سمَا خَطْبٌ فهُنّ منَ النّجاءِ الأسهُم

وقد أخذه ابن قلاقس فقال أيضاً [من الكامل] :

خُوصٌ كأمثال القسىِّ نوَاحلا وإذا سَمَا خطبٌ فَهُنّ سِهامُ

وقال أيضاً [من الوافر] :

طَرحنَا العجزَ عَنْ أعجازِ عيسٍ نُوشّحُها على الحَزْمِ الحِزَاما
ونَدْفعُ بالسُّرَى مِنْهَا قِسيّا فتَقْذِفُ بِالنّوَى مِنْها سِهَاما

وقال ابن خفاجة أيضاً [من الطويل] :

وقِدْمابرَتْ مِنْهاقِسيّايدُالسُّرَى وفوّقَ منها فوْقَها المَجْدُ أسهُما

وقال ابن النبيه [من الخفيف] :

إنّ خَوْضَ الظّلماءِ أطْيَبُ عنْدِي مِنْ مَطايا أمْسَتْ تشكى كَلاَلَهْ
فَهْىَ مِثْلُ القِسىِّ شكْلاً ولكِنْ هِىَ فى السّبْقِ أسهُمٌ لا محَالَهْ

---

(١) فى الديوان « وعزيز إلا لديك »

والشاهد في البيت : مراعاة النظير، ويسمى : التناسب ، والتوافق ، والائتلاف ، والمؤاخاة ، وهو : جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القسي ، وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية كما في قول مهيار [من الخفيف] :

ومُدِير سيّانِ عيناهُ والابريقُ فتكاً ولحظُهُ والمُدامُ

والابريق هنا السيف سمي بذلك لبريقه ، وكان يصح أن يقال سيان عيناه والصمصام أو الهندي ، فاختار الابريق لمناسبته لفظاً للمدام ، إذ الابريق يطلق على إناء الخمر ، وليس هذا من المعنى في شيء ، وإنما هو مراعاة مجرد اللفظ

أبيات في مراعاة النظير

ومن أحسن ماورد في مراعاة النظير قول ابن خفاجة يصف فرسا وهو [من السريع] :

وأشقَر تضرم منهُ الوَغى بشُعْلةٍ مِنْ شُعلِ البَاس
مِنْ جلّنار ناضرٍ خدُّهُ وأذنُهُ مِنْ وَرَق الآسِ
تَطْلُعُ للغرّةِ في وَجههِ حبَابة تَضحكُ في الكاس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة .

وقول ابن الساعاتي من أبيات في وصف الثلج [من الكامل] :

السُّحْبُ راياتٌ ولمعُ بُرُوقها بيضُ الظُّبي والأرْضُ طِرْفُ أشهَبُ
والندُّ قَسطَلهُ وَزَهرُ شمُوعنا صُمُّ القَنا والفحْمُ نَبْلٌ مُذْهَبُ

وما أبدع قول بعضهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

أنتُمْ بنُو طهَ ونَ والضُّحى وبنُو تبارَكَ والكِتابِ المُحكَم
وبنو الأبَاطِح والمَشاعِرِ والصفَا والرُكْن والبَيتِ العتيقِ وَزَمزَم

فانه أحسن في المناسبة في البيت الأول بين أسماء السور ، وفي الثاني بين الجهات الحجازية ، وما أعجب قول السلامي [من الكامل] :

أو ما ترى طرر البروق توسطت ... أفقاً كأن المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج ... خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس والرياض سطوره ... والزهر شكل بينها وحروف

وقوله فى وصف النارنج والسماريات فى نهر طلعت عليه الشمس [من الوافر]

تنشط للصبوح أبا على ... على حكم المنى ورضا الصديق
بنهر للرياح عليه درع ... يذهب بالغروب وبالشروق
إذا اصفرت عليه الشمس صبت ... على أمواجه ماء الخلوق
وقفت به فكم خد رقيق ... يغازلنى على قد رشيق
وجمر شب فى الأغصان حتى ... أضاع الماء فى وهج الحريق
فأدهم الخيل فى ميدان تبر ... يصاغ لها كرات من عقيق

وقوله أيضاً فى وصف الحب [من البسيط] :

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع ... لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع
صحبته والصبا تغرى الصبابة بى ... والوصل طفل غرير والهوى يفع
أيام لا النوم فى أجفاننا خلس ... ولا الزيارة من أحبابنا لمع
إذ الشبيبة سيفى والهوى فرسى ... وراية اللهو واللذات لى شيع

وما أحسن قول السرى الرفاء [من الوافر] :

وغيم مرهفات البرق فيه ... عوار والرياض بها كواسى
وقد سلت جيوش الفطر فيه ... على شهر الصيام سيوف باس
ولاح لنا الهلال كشطر طوق ... على لبات زرقاء اللباس

وبديع قول أبى طالب البغدادى النحوى من أبيات [من البسيط] :

ومهمه سرت فيه والبساط دم ... والجو نقع وهامات الرجال ربا

وقولُ أبي حنيفة الاستراباذي غايةٌ هنا ، وهو [من السريع] :

هَلْ عثَرَتْ أقلامُ خطِّ العذار في مشقِها فالخالُ نَضْحُ العثَارْ
أو استدارَ الخطُّ لما غدَتْ نُقْطَتُه مركزَ ذاكَ المدارْ
وَريقُه الخمرُ فهلْ ثغرُهُ دُرُّ حَبابٍ نَظَمَتْه العُقَارْ

وقوله وهو بديع [من البسيط] :

أنا الرميّ بسهْم اللّحْظ إذ رشَقَتا فلم تدرّع من أصْداغِهِ الحَلقا

وقول أبي على الحسن الباخرزى والد صاحب دمية القصر [من الطويل] :

وذِى زَجَلٍ والى سِهامَ رُهامه وَوَلّى فألقَى قوْسَهُ فى انهزامِهِ
ألم تَرَ خدّ الورْدِ مُدْمىً لوَقعها وأنْصُلُها مَخضوبةٌ فى كمامِهِ

وما أحسن قول الحسيْن بن على النميرى من قصيدة [من الكامل] :

رَوضٌ إذَا جرَت الرياحُ مَريضةً فى زهرهِ استشفتْ بهِ مرضاهَا
وإذا تقابلت النـدامى وسـطهُ سكرِ الصحَاة كما صحَا سكرَاهَا

وما أزهر قول بعضهم يرثى فقيهاً حنفيًّا [من الخفيف] :

رَوضة العلم قطّبي بعدَ بشرٍ والبَسِي من بنفسج جلبَابَا
وَهيَ النائحات منثورَ دَمعٍ فشقيق النعمانِ بَان وغابَا

ولأبى العصب الملحى [من مجزوء الرمل] :

ذَرَفتْ عينُ الغمَامِ فاستهلت بِسجامِ
وبكى الابريق فى الكأ سِ بدَمعٍ من مُدامِ
فاسقنى دَمعاً بدمعٍ من مُدَامٍ وغمَامِ
واعصِ من لامك فيهِ ليس ذَا وقت الملامِ

ولأبى العلاء المعرى [من البسيط] :

دَعِ اليراعَ لقومٍ يفخرون بهَا ... وبالطوال الرُّدَيْنِيَّاتِ فافتخرِ

فهن أقلامكَ اللاتي إذا كتبت ... مجداً أتت بمداد من دَم هدَرِ

وما أحسن قول الوأواء الدمشقي [من البسيط] :

سقياً ليومٍ غدا قوسُ الغمَام بهِ ... والشمسُ مشرقةٌ والبرقُ خلاسُ

كأنهُ قوسُ رَامٍ والبرُوقُ لهُ ... رَشقُ السهام وعين الشمس برجَاسُ

وما أبدَع قول السلامى [من الطويل] :

وقد خالطَ الفجرَ الظلامُ كما التقى ... على رَوضةٍ خضراء وَردٌ وأدهمُ

وعهدى بها والليلُ ساقٍ ووصلنَا ... عقَارٌ وَفُوهاالكأسُ أوكأسهَا الفمُ

ولبعض شعراء الذخيرة [من الطويل] :

بدارٍ سقتها ديمةٌ إثر ديمةٍ ... فمالت بها الجدران شطراً على شطرِ

فمن عارضٍ يسقى ومن سقف مجلسٍ ... يغنى ومن بيتٍ يميلُ من السكرِ

ومن الغايات فى هذا الباب قول البديع الهمذانى من قصيدة يصف فيها طول السرى [من الطويل] :

لكَ اللهُ من عزمٍ أجوبُ جيوبهُ ... كأنىَ فى أجفان عين الردى كحلُ

كأن السرى ساقٍ كأن الكرى طلاً ... كأنَّا لهَا شَربٌ كأن المنى نَقْلُ

كأنا جياعٌ والمطىُّ لنا فمٌ ... كأن الفلاَ زادٌ كأن السرى أكلُ

كأنّ ينابيع الثرى ثدىُ مرضعٍ ... وفى حجرها منّى ومن ناقتى طفلُ

كأنا على أرجوحةٍ فى مسيرنا ... لِغَورٍ بنا تهْوِى ونجدٍ بنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عن حسن المناسبة [من الطويل] :

كأن فمى قوسٌ لسانى لهُ يدٌ ... مديحى لهُ نزعٌ به أملى نبلُ

كأن دواتى مُطْفِلٌ حبشيةٌ ... بنانى لها بعلٌ ونقشى لها نسلُ

كأن يدى فى الطِّرْس غوَّاص لجةٍ ... بها كلى دُرٌّ به قيمتى تغلو

وله أيضاً فى قريب منه يمدح الممدوح فى القصيدة قبله ، وهو الملك خلف ابن أحمد صاحب سجستان [من الطويل] :

وليلٍ كذكراه كمعناه كاسمه ... كدين ابن عباد كادبار فائقِ

شققنا بأيدى العيس بُرْدَ ظلامه ... وبتنا على وعدٍ من السير صادقِ

تزجُّ بنا الأسفارُ فى كل شاهقٍ ... وترمى بنا الآمالُ فى كل حالقِ

كأن مطايانا شفار كأنما ... تمدُّ إليهن الفلاَ كفّ سارقِ

كأن نجوم الليل نَظَّارةٌ لنا ... تعجب من آمالنا والعوائقِ

كأن نسيم الصبح فرصة آيسٍ ... كأن سراب القيظ خجلةُ وامقِ

ومن الغريب هنا قول ابن الرومى يصف أينقاً [من البسيط] :

تطوى الفلاَ وكأن الآلَ أرديةٌ ... وتارةً وكأنَّ الليل سيجانُ

كأنها فى ضَحَاضيح الضحى سفنٌ ... وفى الغمار من الظلماء حيتانُ

وما أرشق قول ابن رشيق [من الطويل] :

أصح وأقوى ما سمعناهُ فى الندى ... من الخبر المأثور منذ قديمِ

أحاديث ترويها السيول عن الحيا ... عن البحر عن كف الأمير تميمِ

ومن المستحسن فى هذا النوع قول ابن زيلاق فى غلام معه خادم يحرسه [من الطويل] :

ومن عجبٍ أن يحرسوكَ بخادمٍ ... وخدّامُ هذا الحسن من ذاكَ أكثرُ

عذاركَ ريحانٌ وثغرك جوهرٌ ... وخدُّكَ ياقوت وخالكَ عنبرُ

وما أبدع قول ابن مطروح [من مجزوء المتقارب] :

وليلة وصلٍ خلتْ ... فيا عاذلى لا تسَلْ

لبسنا ثياب العناقِ مُزَرَّرَةً بالقبلْ

ومثله قول العماد السلماسى(١) [من مجزوء الكامل]:

شَقَّتْ عليكَ يد الأسى ثوبَ الدموع إلى الذيولِ

وعجيب قول ابن الخشاب فى المستضىء وأجاد [من الكامل] :

وَرَدَ الورى سلسال جودك فارتَوَوْا وَوَقفت دون الوِرْد وَقفة حائمِ

ظمآن أطلبُ خفة من زحمةٍ والوِرد لا يزدَاد غير تزاحمِ

وقول ابن شرف فى اجتماع البعوض والذباب والبراغيث فى مجلس، مخاطبا لصاحبه يستهزىء به [من الكامل] :

لكَ مجلسٌ كَملتْ ستارتنَا بهِ للهو، لكن تحتَ ذَاكَ حديثُ

غنَّى الذبابُ وظلّ يزمر حولهُ فيه البعوض ويرقص البرغوثُ

ومن النهايات هنا قول القاضى عبدالرحيم الفاضل [من الكامل] :

فى خدّه فخٌ كَنطفة صُدْغهِ والخالُ حَبَّتهُ وقلبى الطائرُ

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل] :

لو كنتَ تَشْهَدُنى وقدحمىَ الوغَى فى موقفٍ ما الموت عنه بمعزلِ

لترَى أنابيبَ القناة علىَ يدى تجرى دَماً من تحت ظلّ القسطلِ

وقد أغرب الأديب بدرالدين حسن الزغارى بقوله [من الطويل] :

كأنَّ السحابَ الغرّ لمَّا تجمعتْ وقد فرقتْ عنا الهمومَ بجمعهَا

نياقٌ ووجهُ الأرض قعبٌ وثلجها حَليبٌ وكف الريح حالب ضَرْعها

والباب واسعٌ، ولا بد من مراعاة الاختصار هنا .

---

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه « قوله السلمامسى، كذا فى نسخة وفى أخرى السلمانى ».

* * *

شاهد الارصاد أو التسهيم

١١٨ — إذا لم تستطعْ شيئاً فدعهُ وجاوِزهُ إلى ما تستطيعُ

البيت لعمرو بن معدِي كرب الزبيدى ، من قصيدة (١) من الوافر ، وأولها :

أمِنْ رَيحانةَ الدّاعى السميعُ يؤرِّقنى وأصحابى هُجُوعُ
سبَاهَا الصمَّةُ الجشمىُّ غصباً كأنّ بياضَ غرّتها صديعُ
وحَالت دونهَا فرسانُ قيسٍ تكشّفُ عن سواعدها الدروعُ

وبعده البيت ، وبعده :

وصلهُ بالزمان فكلُّ أمرٍ سمَا لكَ أو سمَوتَ لهُ ولوعُ

وهى طويلة .

قال المدائنى : حدثنى رجل من قريش قال : كنا عند فلان القرشى ، فجاءه رجلٌ بجارية ، فغنته [من السريع] :

بالله يا ظبيَ بنى الحارثِ هَلْ مَنْ وفى بالعهدِ كالنَّاكث

وغنَّته أيضا بغناء ابن سريج [من المنسرح] :

---

(١) اقرأها فى الأصمعيات (٤٣ — ٤٥ أوربة) وليست الأبيات التى رواها المؤلف هنا متوالية فى رواية الأصمعيات ، وليس البيت الثانى فيها بهذه الألفاظ ، وقد روى ابن قتيبة فى الشعراء المطلع ، ثم روى أربعة أبيات فيها بيت الشاهد والذى بعده . وقد روى صاحب الأغانى (١٤ — ٣٣) أربعة أبيات من أول القصيدة بترتيب المؤلف هاهنا ، وآخرها بيت الشاهد ، ولكن الأغانى لا يروى الشعر على ترتيبه فى كلام قائليه ، وإنما يرويه على ترتيب الغناء

يا طولَ ليلى وبتُّ لم أنَمِ … وسادىَ الهمُّ مُبطنٌ سقمِى

فأعجبته ، واستامَ مولاها فاشتط عليـه فأبى شراءها ، وأعجبت الجارية بالفتى ، فلما امتنع مولاها من البيع إلا بشطط قال القرشى : فلا حاجـة لنا فى جاريتك ، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها ، تقول :

* إذا لم تستطع شيئا فدعهُ * البيتَ .

قال : فقال الفتى القرشى : أفأنا لا أستطيع شراءك ؟ والله لأشترينك بمـا بلغت ، قالت الجارية : فذلك أردتُ . قال القرشى : إنى لا أخيبك، وابتاعها من ساعته .

والشاهد فيه : الارصاد ، ويسميه بعضهم التسهيم ، وهو : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ، ما يدل على العجز إذا عرف الروىّ — وهو الحرف الذى تبنى عليـه أواخر الأبيات أو الفقر — ويجب تكراره فى كل منها فإنه قد يكون منها مالا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروى كقول البحترى [من الطويل]:

أحلّت دمى من غير جرم وحرّمت … بلا سبب يوم اللقـاء كلامى

فليس الذى قد حللت بمحلل … وليس الذى قد حرمت بحرام

فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سـلام وكلام لربمـا توهم أن العجز بمحرم ، وقول جنوب أخت عمرٍو ذى الـكَلْب [من المتقارب] :

وخرق تجاوزت مجهـوله … بوجناء حرف تشكّى الكلالا

فكنت النهار به شمسه … وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والقول فيه كالذى قبله

---

(١) روى ابن حجة فى البحث التسهيم من خزانة الأدب (١٥٧) كثيرا من الشواهد التى ذكرها المؤلف هنا

ومما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعى [من الوافر] :

وإن وَزِنَ الحصى فوزَنْتُ قومى وجدتُ حصى ضريبتهم وزينا

وقد حكى أن عمر بن أبى ربيعة المخزومى جلس إلى ابن عباس رضي الله عنهما فابتدأ ينشده :

* تشطُّ غداً دارُ جيرانِنا *

فقال ابن عباس رضى الله عنه :

* وللَدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ *

وكان كذلك ولم يَسْمع غير الشطر الأول .

وكذلك يحكى عن عدى بن الرِّقاع أنه أنشد فى صفة الظبية وولدها [من الـكامل] :

* تُزْجى أغَنَّ كأن إبرة رَوْقِهِ *

وغفل الممدوح عنه فسكت ، وكان جرير حاضراً فقيل له : ما تراه يقول ؟ فقال جرير :

* قلم أصابَ من الدواة مدادَها *

وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير لم يغادر حرفا

ومنه قول الخنساء [من المتقارب] :

ببيض الصفاح وسمر الرماح فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا

وقول دعبل [من الرمل] :

وإذا عاندنا ذو قــوةٍ غضب الروح عليه فعرجْ

فعلى أيماننا يجرى النَّدَى وعلى أسيافنا تجرى المُهَجْ

ومن جيده قول بعضهم [من الطويل] :

ولو أننى أعطيتُ من دهرىَ المنى وما كل من يُعْطَى المنى بمسدَّدِ

لقلت لأيامٍ مضينَ ألا ارجعي وَقلت لأيام أتينَ ألا ابْعُدى

وما أحسن قول البحترى [من الكامل] :

أبكيكما دمعاً ولو أنى على قَدْرِ الجوى أبكى بكيتكما دَمَا

وحدث إبراهيم بن أبى محمد اليزيدي قال : كنت عند المأمون يوما وبحضرته عريب فقالت له على سبيل الولع : يا سلعوس ، وكانت جوارى المأمون يلقبننى بذلك عبثا ، فقلت [من الطويل] :

وقل لعريب لا تكونى مسلمه وكونى كتعريف وكونى كمؤنسه

فقال المأمون :

فان كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شيء ، إن ذا منك وسوسه

فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون وطبعه وفطنته

ولمؤلفه من أبيات [من الكامل] :

ليس التقدم بالزمان مقدِّماً أحداً ولا التأخير فيه يؤخِّرُ

فلكل عصر مستجد تُبَّعٌ ولكل وقت مقبل إسكندر

ومدح أبو الرجاء الأهوازى الصاحب ابن عباد لما ورد الأهواز بقصيدة منها [من السريع] :

إلى ابن عبادٍ أبى القاسم الـ صاحب إسماعيل كافى الكفاة

فاستحسن جمعه بين اسمه وَلقبه وكنيته واسم أبيه فى بيت واحد ، ثم ذكر وصوله إلى بغداد وملكه إياها فقال :

* ويشربُ الجندُ هنيئاً بها *

فقال له ابن عباد : أمسك أمسك ، أتريد أن تقول :

* من بعد ماء الرى ماء الفراة *

فقال : هكذا والله أردت ، وضحك

وعمرو[١] بن معدى كرب هو: أبو عبد الله، وقيل: أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم[٢] بن عمرو بن زبيد ، ينتهى نسبه لقحطان ، ويكنى أبا ثور ، وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرهم[٣] فيما ذكر ، وهى معدودة من المنجبات ، وعن أبى عبيدة قال: عمرو بن معدى كرب فارس اليمن ، وهو مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس

ترجمة عمرو بن معديكرب الزبيدى

وعن زيد بن قحيف الكلابى قال : سمعت أشياخنا يزعمون أن عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد ، فبلغهم أن خثعم تريدهم ، فتأهبوا لهم وجمع معدى كرب بنى زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال لها : أشبعينى إنى غدا آتى الكتيبة ، فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال: هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم ، قال : فسليه ما يشبعه ، فسألته فقال : فرق من ذرة وعنز رباعية ، قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع، فصنع له ذلك وذبح العنز وهيأ الطعام ، قال : فجلس عمرو عليه فسلته جميعا ، وأتتهم خثعم الصباح، فلقوهم، وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال ، فقام كأنه سرحة محرقة فتلقى أباه وقد انهزموا ، فقال له : انزل عنها ، فقال : إليك يا مائق ؟ فقال له بنو زبيد : خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته وإن ظهر فهو لك ، فألقى إليه سلاحه ثم ركب فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من

---

(١) تجد ترجمة عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى الشعراء لابن قتيبة (٢١٩) وفى الأغانى (١٤ : ٢٥ – ٤١) وفى خزانة الأدب للبغدادى (١ – ٤٢٢ و ٣ – ٤٦٠)

(٢) فى الأغانى « ابن عصم »

(٣) فى الأغانى « من جرم » وهو الصواب .

بين أظهرهم ، ثم كر عليهم ، وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنو زبيد ، فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ : فارس بني زبيد

إسلام عمرو بن معد يكرب

وكان من خبر إسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدى ما حكاه المدائنى عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء ، قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة تَبُوكَ يريد المدينة ، فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى رجال من بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك عنه حتى أوذن به ، فلما تقدم ورسول الله يسير قال : حياك إلهك أبيت اللعن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فآمن بالله يؤمنك الله يوم الفزع الأكبر» فقال عمرو ابن معدى كرب: وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه فزع ليس كما تحسب وتظن ، إنه يُصاح بالناس صيحة لا يبقى حى إلا مات إلا ماشاء الله تعالى من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلج تلك الأرض بدوى تنهد منه الأرض وتخر منه الجبال وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديدة ماشاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان فى السماء ترمى بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه ، أين أنت ياعمرو» ؟ فقال : إنى أسمع أمرا عظيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عمرو أسلم تسلم» فأسلم وبايع لقومه على الاسلام وذلك مُنْصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تَبُوكَ ، وكانت فى رجب سنة تسع

وعن أبي عبيدة قال : لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن الاسلام من مذحج استجاش فروة[١] النبيَّ صلى الله عليه وسلم فوجَّه إليهم خالد

(١) فروة : هو فروة بن مسيك المرادى ، وكان قد قدم معه عمرو بن معد يكرب على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا وبعث رسول الله صلى =

ابن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلى بن أبى طالب أميركم وهو على الناس ، ووجه عليا رضى الله عنه ، فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض ، فلم تزل جعفر وزبيد وأود بنو (١) سعد العشيرة بعدها قليلة (٢) يروى أنه لما بلغ عمرو بن معدى كرب قربُ مكانهم أقبل فى جماعة من قومه ، فلما دنا منهم قال: دعونى حتى آتى هؤلاء القوم فانى لم أسَمَّ لأحد قط إلا هابنى، فلما دنا منهم نادى: أنا أبو ثور ، أنا عمرو بن معدى كرب فابتدره على وخالد وكلاهما يقول لصاحبه : خلنى و إياه، و يفديه بأبيه وأمه ، فقال عمرو إذ سمع قولهما : العرب تفزع منى ، وأرانى لهؤلاء جزراً ، فانصرف عنهما ثم رجع إلى الإسلام ، وفى هذا الوجه وقعت الصمصامة(٣) إلى آل سعيد ، وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معدى كرب ، وهى المعنية أول القصيدة ، سبيت يومئذ فأفداها (٤) خالد ، وأثابه عمرو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب السيف والغمد ، ثم وجد الغمد ، فلما قام معاوية جاءه أعرابى بالسيف بغير غمد ، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفى ، فجحد الأعرابى مقالته ، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفى أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه ، فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه ، فأقر الأعرابى أنه أصابه يوم الدار ، فأخذه سعيد منه وأثابه ، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدى من البصرة

ـــ الله عليه وسلم فروة على صدقات من أسلم منهم ، وأمره أن يدعو الناس ويتألفهم وأنه إذا وجد الفرصة ينتهزها ويغزو المشركين .

(١) فى مطبوعة بولاق «وأود بن سعد العشيرة» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

(٢) فى مطبوعة بولاق « قبيلة » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) الصمصامة : سيف عمرو بن معديكرب

(٤) فى الأغانى « ففداها خالد »

[فلما كان بواسط [(١)]] فأرسل إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه للسبيل ، فقال : خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد ، فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه

وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعمرو بن معدى كرب في الفيء ألفين فقال له : يا أمير المؤمنين ألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه الأيمن ، وألف ههنا ، وأومأ إلى شق بطنه الأيسر ، فما يكون ههنا ؟ وأومأ إلى وسط بطنه ، فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما ، وزاده خمسمائة .

وقال أبو اليقظان : قال عمرو بن معدي كرب : لو سرت بظعينة وحدى على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها مالم يلقنى حراها وعبداها ، فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بنى عبس — يعنى عنترة — والسليك بن السلكة ، وكلهم لقيت ، فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت ، وأما عتيبة بن الحرث فأول الخيل إذا غارت وآخرها إذا آبت ، وأما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب ، وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضاري

وعن قيس أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص : إني قد أمددتك بألفي رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة الأسدى ، فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئا

وعنه قال : شهدت القادسية ، وكان سعد على الناس ، فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معدى كرب الزبيدى يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً ، أغنى عباسا [(٢)] فانما الفارسى تيس بعد أن

---

(١) زيادة عن الأغانى

(٢) فى الأغانى « كونوا أسدا أغنى ثابتة »

يلقى يبرُك (١) ، قال : وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة ، فقيل له : يا أبا ثور اتق ذلك ، فانا لنقول له ذلك إذ رماه رمية فأصاب فرسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارَىْ ذهبٍ كانا عليه ، وقباء ديباج ، قال غير قيس: ورجع بسلبه وهو يقول [من الرجز] :

أنا أبو ثور وسيفي ذُو النونْ أضربهم ضربَ غلامٍ مجنونْ

* يالَ زَبيدٍ إنهم يموتونُ *

وفي رواية عن أبي زيد أن عمراً شهد القادسية ، وهو ابن مائة وست سنين وقيل : بل ابن مائة وعشر ، ولما قتل العلج عبر نهر القادسية (٢) هو وقيس ابن مكشوح المرادى ، ومالك بن الحارث الأشتر ، وكان عمرو آخرهم ، وكانت فرسه ضعيفة ، فطلب غيرها ، فأتى بفرس فأخذ بعكوة (٣) ذنبه وأخلد به (٤) إلى الأرض ، فأقعى الفرس ، فرده وأتى بآخر ، ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع ، فقال هذا على كل حال أقوى من ذلك ، وقال لأصحابه : إني حاملٌ وعابرٌ الجسر ، فان أسرعتم بمقدار جَزْر الجزور وجدتموني وسيفي بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم ، وقد قتلت وجردت ، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت ، ثم انغمس فحمل في القوم ، فقال بعضهم : يابني زبيد علىَ مَ تَدَعُونَ صاحبكم؟ والله ما نرى أن تدركوه حياً ، فحملوا ، فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه ، وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها ، وإن الفارس

---

(١) في مطبوعة بولاق « بعد أن يلقى نيزكه » وأثبتناما في الأغاني

(٢) في الأصل « عبر بنهر القادسية » وماأثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) في الأصل « بعكدة ذنبه » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، والعكوة – بضم العين ، وتفتح – أصل الذنب

(٤) في الأغاني « وأجلد به »

ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده ؛ فلما غشينا رمى الأعجمى بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور، كدتم والله تفقدوننى ؛ قالوا : أين فرسك ؟ قال : رمى بنشابة فشب فصرعنى وعار [1]

وعن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معدى كرب يوم القادسية : ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل إلا خراطيمها ، ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجذم [2] عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس ، وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه المسلمون ، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم المشركون . وقيل : إن الخرج سقط عليه فقتله

وعن الشعبى قال : جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدى كرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف [3] تزاد ولا نزاد ، انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه ، فقال : هيهات ، والله لا ألقاه فى هذا أبداً ، فلقد لقينى فى بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدنى وعيداً ظننت أنه قاتلى ، ولا آمنه ، قال عمرو : ولكننى ألقاه ، قال : أنت وذاك ، فخرج إلى المدينة ، فقدم على عمر رضى الله عنه وهو يُغَدِّى الناس ، وقد جَزَّنَ لعشرة

---

(١) فى الأصل « وغار » بالغين معجمة ــ وهو تحريف ما أثبتناه ، ويقال عار الفرس والكلب ــ بالعين مهملة ــ إذا ذهب وانفلت

(٢) فى الأصل « فجزم » بالزاى محرفا

(٣) فى الأصل « أما ترى هذه الزعانق تزاد ولا تزاد » وفيه تحريف فى موضعين ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، والزعانف : جمع زعنفة ــ بكسر الزاى والنون بينهما عين ساكنة ــ وأصلها القطعة من الثوب ، ثم تطلق على الرذل من الناس ، وأراد بهذه العبارة أن الخليفة قد منح أراذل الناس من المقاتلة ولم يمنحهما .

عشرة ، فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو، فأقعد معه تكملة عشرة[١] حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لى مآكل فى الجاهلية منعنى منها الاسلام ، وقد صررت فى بطنى صرتين وتركت بينهما هواء فسده ، فقال : عليك حجارة من حجارة الحرة فسده بها يا عمرو ، إنه بلغنى أنك تقول : إن لى سيفاً يقال له : الصمصامة ، وعندى سيف اسمه المصمم[٢] وإنى إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك .

وحدث يونس وأبو الخطاب ، قالا : لما كان يوم فتح القادسية ، أصاب المسلمون أسلحة ، وتيجاناً ، ومناطق ، ورقاباً، فبلغت مالا عظيما ، فعزل سعد الخمس ، ثم فض البقية . فأصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . وبقى مال دَثْر[٣] ، فكتب إلى عمر رضى الله عنه بما فعل ، فكتب إليه [أن رُد على المسلمين الخمس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ، ففعل ، فأجراهم مجرى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه][٤] أن فض ما بقى على حملة القرآن ، فأتاه عمرو بن معدكرب ، فقال له سعد : ما معك من كتاب الله؟ فقال عمرو : إنى أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن ، قال: مالك فى هذا المال نصيب ، وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمى ، وصاحب جبانة بشر[٥]

---

(١) فى الأصل « ولم يقم عمرو فأقعد مع عشرة » وهى محرفة عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى « أسميه المصمم »

(٣) دثر ــ بفتح الدال وسكون الثاء المثلثة ــ كثير

(٤) هذه الزيادة ساقطة من الأصل ، وهى فى الأغانى عن يونس وأبى الخطاب اللذين أسند المؤلف الرواية إليهما

(٥) فى الأصل «بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر» محرفا وساقط الواو ، وأثبتنا ما فى الأغانى

فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ، ولم يعطه شيئاً ، فقال عمرو فى ذلك [من البسيط] :

إذَا قُتلنَا ولا يبكى لنا أحدٌ قالتْ قرَيشٌ ألا تلكَ المقادِيرُ
نُعْطَى السوية منْ طعن لهُ نَفَذٌ ولا سويةَ إذ تعطى الدنانيرُ

وقال بشر بن ربيعة [من الطويل] :

أَنَختُ بباب القادسية ناقتى وسعدُ بن وقاص علىَّ أميرُ
وسعدٌ أميرٌ شرُّهُ دونَ خيرهِ وخيرُ أميرٍ بالعراق جرَيرُ
وعندَ أمير المؤمنين نوافلٌ وعندَ المثنَّى فضةٌ وحَرَيرُ
تذكر هداكَ اللهُ وقعَ سيوفنا ببابِ قديس والمكرُّ عسيرُ
عشيةَ ودَّ القومُ لوأن بعضهمْ يُعار جناحَىْ طائرٍ فيطيرُ
إذَا مافرغنا من قراع كتيبةٍ دَلفنا لأخرى كالجبال تسيرُ
ترَى القوم فيها واجمين كأنهمْ جمالٌ بأحمالٍ لهنَّ زفيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمر رضى الله عنه بما قال لهما وما رَدَّا عليه ، وبالقصيدتين ، فكتب أن أعطهما على بلائهما ، فأعطى لكل واحد منهما ألفى درهم .

وعن ابن قتيبة أن سعداً كتب إلى عمر رضى الله عنه يُثْنى على عمرو ابن معدى كرب ، فسأل عمر عمراً عن سعد ، فقال : هو لنا كالأب ، أعرابىٌّ فى نمرته ، أسد فى تامُورته ، يقسم بالسوية ، ويعدل فى القضية ، وينفر(١) فى السرية ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة ، فقال عمر رضى الله عنه : لشدَّ ما تقارضتما الثناء .

---

(١) فى الأصل «وينعر» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء لابن قتيبة الذى نقل عنه المؤلف .

وجاء رجل وعمرو بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له ، فقال : لأنظرن ما بقى من قوة أبى ثور ، فأدخل يده بين ساقه و بين السرج ، ففطن عمرو ، فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخى ، مالك ؟ قال : يدى تحت ساقك ، فخلى عنه ، وقال : يا ابن أخى إن فى عمك لبقية بعد .

وكان عمرو — مع شجاعته ومواقفه — مشهوراً بالكذب ، فحدث المبرد قال : كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظهرها يتناشدون الأشعار و يتحدثون ، و يتذاكرون أيام الناس . فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصقعب النهدى ، فأقبل عليه يحدثه ، و يقول : أغرت على بنى نهد ، فخرجوا إلى مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع ، وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه، فقال له الرجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذى تذكره هوالذى تحدثه ، فقال : اللهم غَفْراً ! إنما أنت محدَّث فاستمع ، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لترهب هذه المَعَدِّية (١)

وقال محمد بن سلام : أبت العرب إلا أن عمرا كان يكذب ، قال : وقلت لخلف الأحمر ، وكان مولى للأشعريين ، وكان يتعصب لليمانية : أكان عمرو يكذب؟ قال : كان يكذب باللسان و يصدق بالفعال

وعن زياد مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول —و بلغه أن عمرو بن معدى كرب وقع فى الخمر ، وأنه قد دله — : لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم (٢) الغناء شديد النكاية للعدو ، فقيل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذل لنفسه من قيس ، و إن قيساً لشجاع

---

(١) يريد بالمعدية العدنانيين من العرب أبناء معد بن عدنان
(٢) فى الأصل « عظيم العناء » بالعين مهملة ، وهو محرف عما أثبتنا

وعن أبي محمد المرهبي قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال : قدم عيينة بن حصن الكوفة ، فأقام بها أياما ، ثم قال : والله مالى بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعنى بأبي ثور عمرو بن معدى كرب ، أسرجْ لى يا غلام ، فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قرَّبها إليه ليركبها ، قال له : ويحك ! أرأيتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام ، فأسرج لى حصاناً فأسرجه ، فركبه وأقبل إلى محلة بنى زبيد . فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب ، فأرشد إليها ، فوقف ببابه ، ونادى : أى أبا ثور اخرج إلينا ، فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر ، فقال : انعم صباحاً أبا مالك . قال : أو ليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم ! قال : دعنا مما لا نعرف ، انزل فان عندى كبشاً شَنَاحاً [١] فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ، ثم كشط جلده عنه وعضّاه [٢] وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها وألقى القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أىُّ الشراب أحبُّ إليك: اللبن ، أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام ؟ قال: أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال: أنت ، قال : أفأنت أقدمُ إسلاما أم أنا ؟ قال : أنت ، قال: فانى قد قرأت ما بين دفتى المصحف ، فوالله ما وجدت لها تحريما ، إلا أنه قال (فهل أنتم منتهون) فقلنا : لا ، فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سنا وأقدم إسلاما ، فجاء بها ، فجلسا يتنادمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة

(١) فى الأصل «كبشا ساخا» وفى الأغانى «كبشا سياحا» وأحسبهما جميعاً محرفين عما أثبتناه ، فانه يقال : بكر شناح — بزنة ثمان — إذا كان فتيا ، والشناح والشناحى والشناحية — بتخفيف الياء — الجسيم الطويل من الابل .

(٢) عضاه — بتشديد الضاد — قطعه أجزاء

الانصراف قال عمرو بن معدى كرب : ولئن انصرف أبو مالك بغير حباء إنها لوَصمة علىّ ، فأمر بناقة له أرْحَبِيّة كأنها جبيرة لجين ، فارتحلها وحمله عليها ، ثم قال : يا غلام ، هات المزوَد ، فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ، فوضعها بين يديه ، فقال : أما المال فوالله لا قبلته ؛ قال : فوالله إنه لمن حباء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم يقبله عيينة ، وانصرف ، وهو يقول [من الطويل] :

جُزيتَ أبا ثورٍ جزاء كرامةٍ فنعمَ الفتى المُزْدَارُ والمتضيِّفُ
قرَيتَ فأكرَمتَ القِرَى وأفدتنا خَبيةَ علمٍ لم تكنْ قطُّ تُعرَفُ (١)
وقلتَ حلالٌ أن نُديرَ مدامةً كلون انعقاق البرْق والليلُ مسدفُ
وقدَّمتَ فيها حجةً عربيةً ترد إلى الانصاف من ليس ينصفُ
وأنتَ لنا والله ذى العرش قدوةٌ إذا صدَّنا عن شربها المتكلفُ
نقولُ أبو ثورٍ أحَلَّ حَرامهَا وقولُ أبى ثور أسدُّ وأعرَفُ (٢)

وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأبىّ المرادى فأصابوا غنائم ، فادّعى أبى أنه قد كان مساندا ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئا ، وبلغ عمراً أنه يتوعَّده ، فقال عمرو فى ذلك قصيدة أولها [من الوافر] :

أعاذِل شكَتى بدنى وزُمحى وكل مقلِّص سَلسِ القيادِ (٣)
أعاذل إنما أفنى شبابى وأقرحَ عاتقى ثقلُ النجادِ (٤)

---

(١) فى الأغانى « تحية علم » وأراه محرفا عما هنا
(٢) فى الأصل « تقول أبا ثور أحل حرامها » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى
(٣) فى الأصل « أعاذل سكنى » محرفا وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٤ ــ ٣٣) والشعراء لابن قتيبة (٢٢٢)
(٤) روى ابن قتيبة عجز هذا البيت
* ركوبى فى الصريخ إلى المنادى *

تمنَّانى ليلقانى أُبىٌّ … وددت وأينما منى ودادى
ولو لاقيتنى ومعى سلاحى … تكشَّفَ شحمُ قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلى … عذيرك من خليلك من مراد[1]

وهذا البيت كان يتمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا أعطى الناس ورأى ابن ملجم قاتله الله

وكان سبب موت عمرو بن معدى كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا : كانت مغازى العرب إذ ذاك الرى ودستى فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذى دون روذة ، فتغدى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته ، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحد أن يدعوه وإن أبطأ ، فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صحنا به : ياأبا ثور ، فلم يجبنا ، وسمعنا علزا شديدا[2] ومراساً فى الموضع الذى دخله ، فقصدناه وإذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس ، وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله ، فمات بروذة ، ودفن على قارعة الطريق ، فقالت امرأته الجعفية ترثيه [من الطويل]

لقد غادر الركبُ الذين تحملوا … بروذة شخصاً لا ضعيفاً ولا غمرَا
فقل لزبيد بل لمذحج كلِّها … فقدتُمْ أبا ثور سنانكم عَمْرَا
فإن تجزعوا لا يغْنِ ذلك عنكم … ولكن سلوا الرحمن يُعقبكم صبرا

---

(١) فى الأغانى « أريد حباءه » وهو المعروف فى رواية هذا البيت

(٢) العلز ـ بفتح العين واللام جميعا ـ قلق وخفة وهلع المريض والأسير والحريص والمحتضر وفعله من باب فرح ، وهو علز كفرح أى قلق ، والمراس ـ بكسر الميم ـ الشدة ومعالجة الأمر

شاهد المشاكلة **١١٩** — قالوا اقْتَرِحْ شيئاً نُجِدْ لكَ طَبْخَهُ   قلت اطْبُخُوا لى جُبَّةً وقميصا

البيت من الكامل ، وقائله أبو الرقعمق ، يروى أنه قال : كان لى إخوان أربعة ، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدى ، فجاءنى رسولهم فى يوم بارد ، وليست لى كسوة تحصننى من البرد ، فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشْتَهِ علينا ما نطبخ لك منها ، قال : فكتبت إليهم [من الكامل] :

إخواننا قصدوا الصبوحَ بسحرةٍ   فأتى رسولُهُمُ إلىَّ خصوصا
قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه   قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

قال : فذهب الرسول بالرقعة ، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر فى كل صرة عشرة دنانير ، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم

والشاهد فيه : المشاكلة ، وهى : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا ، وهى هنا قوله اطبخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام

ومثل البيت قول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالوا اتخذ دُهناً لقلبك يَشْفِهِ   قلتُ ادهنوه بخدها المتوردِ

وذكرت باشتهاء أبى الرقعمق قول بعضهم [من الخفيف] :

قال لى عُوَّدى غداة أتونى   ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلتُ مُغْلًى فيه لسانُ وشاةٍ   قطّعوه فيه بصنع عجيب
وأضيفت إليه كَبْدُ حسودٍ   فُقِئت فوقها عيون الرقيبِ

وقول الآخر [من الكامل] :

عندى لكم يوم التواصلِ فرحةٌ   يا معشر الجلساء والندماء

من أمثلة المشاكلة

أشوى قلوبَ الحاسدينَ بها وَألْسنةَ الوشاة وأعينَ الرُّقباءِ

ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم فى معلقته [من الوافر] :

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فَوقَ جهل الجاهلينَا

أرادَ : فنجازيه على جهله ؛ فجعل لفظة « فنجهل » موضع « فنجازيه » لأجل المشاكلة .

ومثل الأول ما حكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أنه كان يشرب فى متنزه ، وعنده مانى الموسوس، فقال عبيد الله [من الوافر] :

أرى غيماً تؤلفهُ جنوبٌ وأحسب أن ستأتينا بهطلِ

فحزمُ الرأى أن تأتى برطلٍ فتشربهُ وتأتينى برطلِ

فقال : ما هكذا قال الشاعر ، وإنما هو :

أرَى غيماً تؤلفهُ جنوبٌ أرَاهُ على مساءتنا حَريصَا

فحزمُ الرأى أن تأتى برطلٍ فتشربهُ وتكسونى قميصَا

ترجمة أبي الرقعمق

وأبو الرقعمق (١) هو أحمد بن محمد الأنطاكىّ الشاعر المشهور ، ذكره الثعالبى فى اليتيمة فقال : هو نادرة الزمان ، وجملة الاحسان ، ممن تصرف بالشعر [الجزل(٢)] فى أنواع الجد والهزل ، وأحرَز قصبات الفضل ؛ وهو أحد المداح المجيدين ، والشعراء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج (٣) بالعراق . ومدح ملوك مصر ووزراءها : فمن غرر شعره قوله يمدح الوزير يعقوب بن كلّس ؛ [من الخفيف] :

---

(١) تجد ترجمة أبى الرقعمق فى يتيمة الدهر (١ — ٢٦٩ مصر)
(٢) زيادة عن اليتيمة
(٣) فى الأصل « كابن الحجاج » وقد أثبتنا ما ورد فى اليتيمة

قد سمعنا مقاله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعانى لمن عنيت ولكن بك عرضت فاسمعى ياجاره

منها :

سحرتنى ألحاظه وكذا كل مليح عيونه سحاره
ما على مؤثر التباعد والاعراض لوآثر الرضا والزياره

وهى طويلة، وأكثر شعره جيد على هذا الأسلوب. مثل صريع الدلاء والقصار.
ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله [من مجزوء الكامل] :

كتب الحصير إلى السرير أن الفصيل ابن البعير
فلأمنعن حمارتى سنتين من أكل الشعير
لا همّ إلا أن تطير من الهزال مع الطيور
ولأخبرنك قصتى فلقد سقطت على الخبير(١)
إن الذين تصافعوا بالقرع فى زمن القشور
أسفوا على لأنهم حضروا ولم أك فى الحضور
لو كنت ثم لقيل هل من آخذ بيد الضرير
ولقد دخلت على الصديق البيت فى اليوم المطير
متشمراً متبختراً للصفع بالدلو الكبير
فأدرت حين تبادروا دلوى فكان على المدير(٢)
يا للرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور

(١) فى اليتيمة «فلقد وقعت على الخبير» وما هنا أقرب إلى قولهم فى المثل « على الخبير بها سقطت »
(٢) فى الأصل « فأردت حين تبادروا » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة ويقتضيه عجز البيت

هو في المجالس كالبخو ر وكالقلائد في النحور[١]

وله قصيدة طويلة مشهورة أولها [من مجزوء الرجز] :

وقوقتي وقوقتي هدية في طبق[٢]

أما ترون بينكم تيساً طويل العنق

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلثمائة

* * *

شاهد المزاوجة

١٢٠ — إذا ما نهى النَّاهي فلَجَّ بي الهوى

أصاخت إلى الواشي فلَجَّ بها الهجْرُ

البيت للبحتري ، من قصيدة[٣] من الطويل في الفتح بن خاقان ، أولها

متى لاح برقٌ أو بدا طللٌ قفرُ جرى مُستَهِلٌّ لا بطيء ولا نَزْرُ

وما الشوق إلا لوعةٌ بعد لوعةٍ وغُزْرٌ من الآماق تتبعُها غزرُ

فلا تذكرا عهْدَ التصابي فانه تقضَّى ولم يشعرْ به ذلك العصر[٤]

إلى أن يقول فيها :

هل العيش إلا أن تساعفنا النوى بوَصْلِ سُعَاد أو يساعدَنا الدهرُ

إلى أن يقول فيها :

---

(١) في اليتيمة روى هذا البيت :

هو في المجالس كالبخو ر فلا تملوا من بخوري

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله وقوقتي إلخ ، هو كالذي قبله من قبيل المجون الذي قد يؤتى فيه بألفاظ خالية من المعاني » اهـ

(٣) اقرأها في الديوان (١ – ٢١٧)

(٤) في الديوان * تقضى ولم نشعر به ذلك العصر * وهو أرق

على أنها ما عندها لمُوَاصِلٍ وِصالٌ ولاعنها لمصطبرٍ صبرُ

وبعده البيت ، وهى طويلة يقول منها فى المخلص :

لعمْرُكَ ما الدنيا بناقصة الجَدَا إذا بقىَ الفتحُ بن خاقان والقطرُ (١)

ومعنى أصاخت استمعت ، والواشى : النمام الذى يشى حديثه و يزينه

وَالشاهد فيه : المزاوجة ، وهى : أن يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء ، فهنا زاوج بين نهى الناهى وإصاختها إلى الواشى الواقعين فى الشرط والجزاء فى أن يترتب عليهما لجاج شىء .

من أمثلة المزاوجة

ومثله قوله أيضا [من الطويل] :

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤُها تذكرت القربى ففاضت دموعُها(٢)

فزاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شىء عليهما .

ومن المزاوجة قول أبى تمام [من المتقارب] :

وكنا جميعاً شريكى عنانٍ رضيعى لِبانٍ خليلى صفاء

وفى معنى صدر البيت قول أبى نواس [من البسيط] :

دَعْ عَنْكَ لومى فان اللَّوْمَ إغراء ودَاوِنى بالتى كانت هى الداء

وقول ابن زريق البغدادى [من البسيط] :

لا تَعْذِليه فانَّ العذل يُولِعُه قد قلتِ حَقًّا ولكن ليس يسمعه

وقول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :

قلْ للعذول لو اطلعت على الذى عاينته لمنساكَ ما يعنينى (٣)

---

(١) الجدا بزنة الفتى ـ الخير ، والقطر ـ بفتح فسكون ـ المطر

(٢) احتربت : أراد حاربت

(٣) فى الأصل « أعناك ما يعنينى » وعندنا أنه محرف عما أثبتناه

أتصدُّنى أم للغرام تردُّنى ... وتلومنى فى الحبّ أمْ تُغْرِينى
دَعنى فلستَ مُعَاقباً بجنايتى ... إذ ليسَ دينكَ لى ولالك دينى

وقول الصابى [من الخفيف] :

أيها اللائمُ المضيّقُ صدرى ... لاتلمنى فكثرةُ اللوم تُغْرى
قدْ أقامَ القَوَامُ حجةَ عشقى ... وأبانَ العذارُ فى الحبّ عذرى

* * *

١٢١ — قِفْ بالديار التى لم يعفها القدمُ ... بلىَ وغيرَها الأرواحُ والدِّيَمُ — شاهد الرجوع

البيت من البسيط ، وهو أول قصيدة لزهير[١] بن أبى سلمى ، يمدح بها هرم بن سنان ، و بعده :

17

لاَ الدارُ غيرَها بعدُ الأنيسُ ولاَ ... بالدارِ لوكَلَّمَتْ ذا حاجة صممُ
دارٌ لأسماء بالغمرَين ماثلةٌ ... كالوحى ليس لها من أهلها أرِمُ[٢]

يقول منها فى مدحه :

إنَّ البخيلَ ملومٌ حيثُ كان ولـــكنّ الجوادَ على علاّته هَرِمُ

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ١٤٥ طبع دار الكتب)

(٢) الغمر — بفتح فسكون — اسم موضع ، وقد ثناه باعتبار ناحيتيه او أنه ضم إليه مكانا يجاوره فغلب اسم هذا على ذلك ، وكثيرا ما يفعل الشعراء ذلك لأحد هذين الوجهين. والماثل،هنا : الذاهب الذى لا يرى له شخص،وليس بها أرم : أى ليس بها أحد ، وتقول : ليس بهذه الدار أحد ، ولا أرم ، ولا عريب ، ولا دبيج — بزنة سكين — ولا كتيع ، ولا ديار ، ولا نافخ ضرمة ، وابن درستويه يقول : ليس بها آرم ، من الأرم — بزنة تنبب — وهو العلم ، والمراد ليس بها ناصب علم .

هو الجوادُ الذى يعطيكَ نائلهُ عفواً ويُظلمُ أحيـاناً فيظَّلِمُ
فإن أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

وهى طويلة.

والأرواح : جمع ريح ، ويجمع على أرياح أيضا ، ورياح ، وريح — بكسر الراء وفتح الياء — والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون .

والشاهد فى البيت : الرجوع ، وهو العَوْد إلى الكلام السابق ، بالنقض والابطال لنكتة ، فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار ، ثم عاد إليه ونقضه فى عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والأمطار(١) لنكتة ، وهى هنا : إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش ، كأنه أخبر أولا بما لم يتحقق ، ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الافاقة فنقض كلامه السابق .

من أمثلة الرجوع

ومثله قول الشاعر(٢) [من الطويل] :

* فأفٍّ لهذا الدهر لا بلْ لأهلهِ *

وقول ابن الطثرية [من الطويل] :

أليسَ قليلاً نظرةٌ إن نظرتها إليك؟ وكلاّ ليسَ منك قليلُ

وقول أبى البيداء [من الطويل] :

---

(١) هذا قول ذهب إليه أبو عبيدة ، وتبعه عليه جمهرة العلماء ، وكان أبو زياد يقول : معنى البيت أن بعض الديار قد عفا ولم يعف بعض آخر

(٢) مثل هذا من قول الشعراء قول الطهوى :

فلا تبعدن ياخير عمرو بن جندب بلى إن من زار القبور ليبعدا

وقول سلامة بن جندل السعدى :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق عفا عهده بين الصليب فمطرق
أكب عليه كاتب بدواته وحادثه للعين جدة مهرق

ومالى انتصارٌ إن غدَا الدهرُ جائرًا   علىَّ ، بلى إن كان من عندكَ النصرُ

وقول المتنبي [من الطويل] :

لِجنيَّةٍ أم غادةٍ رُفعَ السجفُ   لِوَحشيةٍ ، لا ما لِوَحشيــةٍ شنْفُ

وما أحسن قول أبي بكر الخوارزمي في شمس المعالي قابوس بن وشمكير (١) ، صاحب جُرْجان [من البسيط] :

لم يبقَ في الأرض من شيء أهابُ لهُ   فلمْ أهابُ انــكسارَ الجفن ذي السقمِ
أستغفرُ اللهَ من قولى ، غلطتُ ، بلىَ   أهابُ شمسُ المعالى أمةَ الأممِ

وله فيه أيضا [من المتقارب] :

إذَا ما ظمئتُ إلى ريقــهِ   جعلتُ المدامةَ منهُ بديلاَ
وأينَ المــدامةُ من ريقهِ   ولــكن أُعللُ قَلباً عليلا

وبديع قول السراوندى [من الكامل] :

كالبدر بلْ كالشمس بلْ ككليهما   كالليث بلْ كالغيث هطالِ الديمْ

وما ألطف قول ابن سناء الملك [من الكامل] :

ومليةٍ بالحسن يسخرُ وجهُهَا   بالبدر يهزأ ريقها بالقَرْقَفِ (٢)
لا أرتضى بالشمس تشبيها لها   والبدرِ بل لا أكتفي بالمــكتفي

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

واللهِ لا كلمتها لو أنها   كالبدر أو كالشمس أو كالمــكتفى

(١) في المطبوعتين « بن وشكمير » محرفا
(٢) القرقف — بفتح القافين وسكون الراء بينهما — الخمر

شاهد الاستخدام

١٢٢ — إذا نزل السماء بأرض قوم رَعيناهُ وإن كانوا غِضابَا

نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير ، وهو من قصيدة [(١)] من الوافر ، أولها :

أقلى اللومَ عاذلَ والعتابَا وقولى إن أصبتُ لقد أصابَا
أجدَّك ماتذكر عهد نجد وحيًّا طالما انتظروا الايابَا
بلى فارفض دمعُكَ غير نزْرٍ كما عَيَّنْتَ بالسرَب الطبابَا [(٢)]
وهاجَ البرق ليلةَ أذرعاتٍ هوى ما تستطيع له طلابا

وهى طويلة ، والسماء : الغيث .

ونسبه المفضل فى اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء [(٣)] وساقه فى قصيدة طويلة أولها :

أجدّ القلبُ من سلمى اجتنابَا وأقصرَ بعد ما شابَتْ وشابَا

---

(١) اقرأ هذه القصيدة فى ديوان جرير (٦٤) والبيت الرابع ورد أيضا مطلع قصيدة له أخرى (ص ٢٢) وروى العينى أبياتا من هذه الكلمة من أولها وليس فيها البيت الرابع ، وانظره بهامش الخزانة (١ — ٩٢)

(٢) فى الأصل « كما نميت بالشرب الظنابا » وأثبتنا ما فى الديوان والعينى « عينت » أصله أنهم كانوا يصنعون أوعية الماء من الجلد، فكانوا حين يتمون صنعها أو حين يشترون أحدها يضعون فيه الماء ينظرون هل ينصب منه الماء فهذا هو التعيين ، ويقول أحدهم لصاحبه : عين إناءك . والسرب : السيلان ، والطباب جمع طبابة — بكسر الطاء فيهما — قال الأصمعي: هى الجلدة التى يغطي بها الخرز، وهي معترضة على موضع الخرز كالاصبع

(٣) فى الأصل « معوذ » بالذال معجمة وهو تحريف وإنما سمى معاويه معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة :

اعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق فى الأشياع نابا

وشابَ لِدَاتهُ وعدلنَ عنهُ كما أنضيتُ من لُبْسٍ ثيابَا

فإن يكُ نبلها طاشتْ ونبلى فقد نرمى بها حقبا صيابا [١]

فتصطادُ الرّجالَ إذَا رمتهمْ وأصطادُ المخبأةَ الكعابَا

منها :

وكنتُ إذَا العظيمةأفزعتْهُمْ نهضتُ ولا أدبُّ لها دبابَا [٢]

بحمدِ الله ثمّ عطاء قومٍ يفكونَ الغنائمَ والرقابَا

إذَا نزَلَ السماء بأرضِ قومٍ رَعيناهُ وإن كانوا غضابا [٣]

بِكلّ مقَلصٍ عَبْلٍ شوَاهُ إذَا وُضعتْ أعنتهنّ ثابَا [٤]

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد فى قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه .

والشاهد فيه : الاستخدام ، وهو أن يراد بلفظٍ له معنيان أحدُهما ثم يراد بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ، ثم يراد بالآخر الآخر ، فالأول كما فى البيت هنا ، فانه أراد بالسماء الغيث ، وبالضمير الراجع إليه من « رعيناه » النبت .

---

(١) طاشت : عالت وعدلت عن الهدف فلم تصبه . والحقب: جمع حقبة وهى البرهةمن الدهر، وصيابا: جمع صائب،وهو الذى يصيب الهدف،وموقع « صيابا » حال من الضمير المجرور فى « بها » أى نرمى بنبالنا حال كونها صائبة أزمنة متطاولة من الدهر

(٢) فى المفضليات « إذا العظيمة أفظعتهم »

(٣) فى المفضليات « إذا نزل السحاب »

(٤) فى الأصل « إذا وضعت أعنتهن سابا » وما أثبتناه موافق لما فى المفضليات . وثاب : رجع إلى جرى جديدلعتقه وفضله

وجرير[1] هو ابن: عطية بن الْخَطَفَى ، وهو لقبه ، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة[2] بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة ، ينتهى نسبه لنزار ، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة ، وهى المرة الواحدة من الحزر

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ، ومختلَفٌ فى أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة

وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل] :

ذهب الفرزْدقُ بالفخار ، وإنّما حُلْوُ الكلام ومرُّه لجرير

ولقد هجا فأمَضَّ أخطلُ تغلبٍ وحَوَى اللُّهَى[3] بمديحه المشهورِ

كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ بمدحهِ وهجاؤُه قد سارَ كلَّ مسيرِ

فهو كما تراه حكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجاء ، وبجميع فنون الشعر لجرير .

وقال أبو العلاء بن جرير العنبرى ، وكان شيخا قد جالس الناس : إذا لم يجىء الأخطل سابقا فهو سُكَّيْتٌ ، والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكيتا ، وجرير يجىء سابقا ومصليا وسكيتا

وحدث مولى لبنى هاشم قال : امترى أهل المجلس فى جرير والفرزدق أيهما

---

(١) تجد ترجمة جرير فى الأغانى (٧ : ٣٨ ــ ٧٧) وفى الشعراء لابن قتيبه (٢٨٣)

(٢) فى الأصل «بن سلم» وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) اللهي : العطايا .

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى نادى : يا نَوَار ، أدركت برنيتك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابعثى بدرهم فاشترى لحما ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنيتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعن ابن الخطفى تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال: قاتله الله فما أحسن ناجيته (١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرُّوه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلتُه أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبَتْ عليك بنو تميم لقيت القومَ كلهمُ غضابا(٢)

وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فحشدنا له ، فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا: قام آنفا ، ما تريد منه ؟ قال: أخزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف، فأقبل جرير علينا، وقال : من الرجل؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخبيث بن الطيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العينُ قَرَّت

فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيقر ذلك بعينك ؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة

---

(١) في الأغانى « فما أخشن ناحيته » ولعله محرف عما هنا ، وناجيته : مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن

(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

وكان راعي الإبل الشاعر يقضي للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعي الإبل قد ضخم أمره ، وكان من أشعر الناس ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هل تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ؟ قال جرير : فضربت رأيي فيه ، ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابة وقال : والله ما يسرني أن يعلم أحد ، وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها ، قال: فخرجت أتعرض إليه لعلي ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرني أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى محذوف الذنب ، وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالي على مَعْرَفة بغلته ، ثم قلت له: يا أبا جندل ، إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمي دونك ، ويكفيك عن ذلك إذ ذكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل مني ولا منه لائمة ، قال: فبينا أنا معه وهو كذلك واقفاً علي وما ردّ علي بذلك شيئا حتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ، ثم قال: لا أراك واقفا على كلب من كُلَيب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ، وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها قلنسوتي ، فوالله ما عرج على الراعي فيقول سفيه غوى[(١)] يعني جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاج علي ، فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت [من الوافر] :

أجندلُ ما تقولُ بنو نميرٍ إذا ما الأيْرُ في استِ أبيكِ غابَا

(١) في الأغاني « فوالله لو يعرج على الراعي لقلت سفيه غوى ، يعني جندلا ابنه »

فسمعت الراعى قال لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة ، قال جرير : ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره لى، لو كان عاج على،فانصرف جرير غضبان ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى علية له قال : ارفعوا لى باطية من نبيذ وأسرجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ ، قال : فجعل يهينم ، فسمعت صوته عجوز فى الدار ، فاطلعت فى الدرجة فنظرت إليه فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه ، فانحدرت فقالت : ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، فقالوا لها : اذهبى لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى كان السحر، ثم إذا هو يكبر،قد قالها ثمانين بيتا يهجو بنى نمير، فلما ختمها بقوله :

فغُضَّ الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

كبر ، ثم قال : أخزيته ورب الكعبة ، ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمربد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فادهن وكف رأسه، وكان حسن الشَّعْر ، ثم قال : يا غلام أسرج لى ، فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان موقع السلام قال : يا غلام ، ولم يسلم، قل لعبيد[1] بعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق ؟ أما والذى نفسى بيده لترجعنَّ إليهن بميرة تسوءهن ولا تسرهن ، ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الإبل ، وأزم القوم، حتى إذا فرغ منها وسار وثَبَ راعى الابل ساعتئذ فركب بغلته بشر وعر ، وخلا المجلس ، حتى أوفى إلى المنزل الذى ينزله ثم قال لأصحابه: ركابَكم ركابكم فليس لكم هنا مُقام ، فضحكم والله جرير ، فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك ، قال : فما كان إلا ترحُّلهم فساروا إلى أهلهم سيراً ما ساره أحد، وهم بالشريف ــ وهو أعلى دار بنى نمير ــ فيحلف بالله راعى الابل إنا وجدنا فى أهلنا :

(١) عبيد : هو الراعى ، اسمه عبيد بن حصين النميرى

* فغضَّ الطرفَ إنك من نُميرٍ *

وأقسم بالله ما بلغه إنسي قط ، وإن لجرير لأشياعا من الجن ، فتشاءمت به بنو نمير وسبُّوه وابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن

وحدث أبو عبيدة قال : التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير [من الطويل] :

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنىً فَخَاراً فخبرنى بمَنْ أنتَ فاخرُ

فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك ، قال : فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه

وعن العتبي ، قال : قال جرير : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيبا فتسمعه العجوز فتبكى على ما فاتها من شبابها ، وإنى لأروى من الرجز أمثال آثار الخيل فى الثرى ، ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرت منه

وعن أبى عبيدة قال : رأت أم جرير وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شَعْر أسود ، فلما خرج منها جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيقتله وفى عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرين ، فانتبهت فزعة فأوَّلت الرؤيا فقيل لها: تلدين غلاما أسود شاعراً ذا شدة وشر وشكيمة وبلاء على الناس ، فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها ، قال : والجرير الحبل.

وحدث بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير : مَنْ أشعر النـاس ؟ قال : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيـه عطية وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها وجعل يمص ضَرْعها ، فصاح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال : أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، أفتدرى لم كان يشرب لبن العنز ؟ قلت: لا ، قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر النا س

من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعا

وحدث المدائنى قال : كان جرير من أعق النـاس بأبيه ، وكان ابنه بلال أعق الناس به ، فراجع جرير بلالا الـكلام ، فقـال له بلال : الـكاذب منى ومنك نالِك أمه ؟ فأقبلت أمه عليه فقالت له : يا عدو الله ، أتقول هذا لأبيك ؟ فقال جرير : دعيه فوالله لـكأنى أسمعها وأنا أقولها لأبى

ونظير ذلك ماحكى عن يونس بن عبد الله الخيـاط أنه مر به رجل وهو يعصر حلق أبيه ، وكان عاقا به ، فقال له : ويحك! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه من يده ، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكنه ، فقـال له الأب : أخى لا تلمه ، واعلم أنه ابنى حقاً ، والله لقد خنقت أبى فى هـذا الموضع الذى خنقنى فيه ، فانصرف الرجل وهو يضحك ولأبيه يقول [من الرجز] :

ما زال بى ما زال بى طَعْنُ أبى فى النسبِ

حتى تربيتُ وحتى ســاء ظنى بأبى

ونشأ ليونس ولد يقال له دحيم فـكان أعق النـاس به ، فقال يونس فيه [من المنسرح] :

جلادُ حيم عماية الريبِ والشكّ منى والظنّ فى نسبى

ما زال بى الظنُّ والتشكك حتى عقنى مثل ما عققت أبى

وقال يونس بن عبد الله الخيـاط : جئت يوماً إلى أبى وهو جالس وعنده أصحاب له ، فوقفت عليهم لأغيظه وقلت : ألا أنشدكم شعرا قلته بالأمس ؟ قالوا : بلى ، فأنشدتهم [من البسيط] :

يا سائلى مَن أنا أو مَن يناسبُنى أنا الذى لا له أصلٌ ولا نسبُ

الكلب يختال فَخْراً حين يُبْصرنى والكلب أكرمُ منى حين ينتسب

لوقال لى الناس طرًّا أنت ألأمنا ماوهمَ الناس فى ذاكم ولا كذبوا

قال : فوثب إلى أبي ليضربني ، وعَدَوْتُ من بين يديه ، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بجرين البصرة : ائتيانى بلباس أبيكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة، وشاور جرير دُهَاة بنى يربوع ، فقالوا له : مالباس آبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لعبا بن الحصين يقال له المنحاز ، وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق فى هيبته ، فقال جرير [من الطويل] :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرَّجٍ وجلاجلُهْ (١)
أعِدَّ مع الحلى المَلَابَ فإنما جرير لكم بعل وأنتم حلائله (٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير فى مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق فى المربد ونُعِي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدعتُهُ ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمر الله ما قلت فى ابن عمك! أتهجو ميتا؟ أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتمها على فانها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين فى ترجمة الفرزدق فى شواهد المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان نجمنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

---

(١) كرج ــ بزنة سكر ــ لعبة كهيئة المهر ، ووقع فى الأصل «كرجى وخلاخله» واثبتنا ما فى النقائض واللسان (كرج)

(٢) فى النقائض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزى : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته باليمامة ، وعُمِّرَ نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة فى المعارف : إن أمه حملت به سبعة أشهر .

* * *

من شواهد الاستخدام

١٢٣ — فَسقَى الغَضَا والسا كِنِيهِ وإن هُمُ
شَبُّوهُ بينَ جوانِحٍ وقلوبِ

البيت للبحترى ، وهكذا هو فى ديوانه — وإن كان فى كثير من نسخ التلخيص ، بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحى وضلوعى » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالكثيب من اعتراض كثيبِ وقوام غصنٍ فى الثياب رطيبِ
تأبى المنازلُ أن تجيبَ ومن جوًى يوم الديارِ دعوتُ غيرَ مجيب

وبعده البيت ، وهى طويلة

والغضا : شجر معروف ، واحدته غَضَاة ، وأرض غَضْيَانة : كثيرته

والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً، فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو المجرور فى الساكنيه المكانَ وهو أرض لبنى كلاب وواد بنجد ، وبالآخر وهو المنصوب فى شبوه النارَ أى أوقدوا فى جوانحى نار الغضا، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الغضا، وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطىء الانطفاء

وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا فقال ابن أبى حصينة [من الطويل]:

---

(١) وكذلك هو فى خزانة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) اقرأها فى ديوان البحترى (١ — ٥٧) وبين البيتين اللذين أنشدهما المؤلف من أولها فى الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت المستشهد به بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد فى الديوان * فسقى الغضا والنازليه . . . *

أمثلة من استخدام الشعراء لفظ الغضا

أما والذى حجَّ الملبُّونَ بيتهُ فمِنْ ساجدٍ لله فيه وراكعِ
لقد جرّعتنى كأس بينٍ مريرةً من البُعْدِ سلمى بين تلكَ الأجارع
وحلّتْ بأكناف الغَضَا فكأنما حَشَتْ نارهُ بين الحشى والأضالع

وقالَ ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إنَّ الغضَا لستُ أنسى أهلَهُ فهمُ شبُّوهُ بين ضلوعى يومَ بينْهِمِ
جرَى العقيقُ بقلبى بعْدما رحلوا ولو جرَى من دموع العين لم أُلَمِ

وقال ابن قلاقس الاسكندرى [من الكامل] :

حلتْ مطاياهم بملْتَفِّ الغضا فكأنما شبُّوهُ فى الأكبادِ

و بديع قول البدر بن لؤلؤ الذهبى [من الكامل] :

أحمامةَ الوادى بشرْقىِّ الغضا إن كُنْتِ مُسْعِدَةَ الكئيبِ فرجِّعِى
ولقد تقاسمنا الغضا فغصُونُهُ فى راحتَيْكِ وجمْرُهُ فى أضلعى

ولمؤلفه من قصيدة [من الطويل] :

وحقِّكِ إنى للرِّياح لحاسدٌ ففى كلِّ حين بالأحبة تخطرُ
تمرُّ الصَّبا عفواً على ساكنى الغضا وفى أضلعى نيرانهُ تتسعَّرُ
فتذكرنى عهْدَ العقيق وأدمعى تُساقطهُ والشىء بالشىء يذكرُ
ويورثُ عينى السفْحَ حتى ترى به معالمَ بالأحبْابِ تزهو وتزهرُ

أمثلة من بديع الاستخدام

ومن الاستخدام البديع قول المعرى يرثى فقيها حنفياً [من الخفيف]

وفقيهٌ ألفاظُهُ شِدْنَ للنُّعْـمان ما لم يَشِدْهُ شعرُ زيادِ

وقوله أيضاً يصف درعا [من الخفيف] :

نثرةٌ من ضمانها للقنا الخطى عند اللقاء نثر الكعوب
مثلُ وشْىِ الوليدِ لانَتْ و إن كانت من الصُّنعِ مثلَ وشى حبيب

تلك ماذية وما لذبابِ السيفِ والصيفِ عندهامن نَصيبِ

فاستخدم لفظ « الذباب » فى معنييه : الأول طرف السيف ، والثانى الطائر المعروف .

ولابن جابر الأندلسى فيه [من البسيط] :

فى القَلب من حبكُمْ بَدْرٌ أقام به فالطَّرْفُ يزدادُ نوراً حينَ يُبْصِرُهُ
تَشَابه العقد حُسْناً فوقَ لَبتِهِ والثَّغْرُ منه إذا ما لاحَ جوْهَرُهُ

ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق [من السريع] :

دع الهوَينى وانتَصِبْ وا كتَسِبْ وا كدَحْ فنَفَسُ المرء كدَّاحهْ
وكن عن الراحةِ فى مَعْزِلٍ فالصَّفْعُ موجود مع الراحهْ

استخدم الراحة فى معنييها : الأول من الاستراحة ، والثانى من اليد

وبديع قول الصفى الحلى [من الطويل] :

لئن لم أُبرقع بالحيا وجهَ عفتى فلا أشْبَهتهُ راحتى فى التكرمِ
ولا كنت ممن يكسر الجفن فى الوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم

ومن الاستخداماتِ البديعة قول ابن نباتة المصرى [١] يمدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل]:

إذا لم تفض عَيْنى العَقيقَ فلا رأت مَنازله بالقُرْبِ تبْهى وتبهرُ
وإن لم تواصلْ عادَةَ السفح مُقلتى فلا عادها عيشٌ بمغناهُ أخضرُ

ومنها :

سَقى اللهُ أكنافَ الغضاسائلَ الحيا وإن كنتُ أُسقى أدمعا تتَحدّرُ

---

(١) روى ثمانية الأبيات ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب (٦٨) . وروى معها عشره أبيات أخرى

وعيشاً نَضَى عنهُ الزمان بياضَهُ ... وخلّفهُ فى الرأس يزهُو ويزهَرُ
تغيرَ ذاكَ اللونُ مَعْ من أُحبُّهُ ... ومن ذا الذى يا عَزَّ لايتغيـرُ[1]
وكان الصبا ليلاً وكنتُ كَحَالم ... فيا أسَفى والشيب كالصُّبْح يُسفِرُ
يُعللنى تحْتَ العمامَة كتْمَهُ ... فَيعتادُ قلبي حَسْرةٌ حين أحْسِرُ
وتنكرنى لَيْلى وما خِلتُ أنه ... إذا وضع المرء العمامة ينكرُ[2]

ومن الاستخدام أيضاً قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من مجزوء الوافر]:

وَربَّ غزالةٍ طلعتْ ... بِقلبي وَهْوَ مَرعاهَا
نَصبتُ لهَا شِباكاً مِنْ ... لُجينٍ ثمّ صِدْناها
وقالتْ لِي وقدْ صِرْنا ... إلى عَينٍ قَصَدْناها
بذلْتَ العينَ فاكْحلها ... بِطلْعتهــا ومجْراهــا

ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى [من الطويل]:

فَكم ردّ مِنْ عَيْنٍ وجادَ بِمثلها ... ولولاهُ ماضاءتْ ولمْ تكُ تَعذُبُ

---

(١) فى الأصل «تغير ذلك اللون» ولا يستقيم به وزن البيت ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان والخزانة ؛ وعجز هذا البيت من كلام كثير عزة ، والبيت بتمامه فى كلام كثير :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ... ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

(٢) يشير بهذا البيت إلى قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى

وقد تمثل به الحجاج فى خطبته التى خطبها مقدمه الكوفة واليا عليها من قبل عبد الملك بن مروان .

وقوله من قصيدة أخرى نبوية [من الكامل] :

كَمْ ردَّ مِنْ عينٍ وجادَ بهاوَكم ضاءتْ به وسقى بها منْ صادِي

ومنه قول الرشيد الفارقى [من مجزوء الرمل] :

إنَّ فى عينيْكِ معْنًى حدَّثَ النرْجسُ عنهُ

ليتَ لِى منْ غُصنهِ سَهماً فـفى قلبىَ منهُ

وقد أخذه الشهاب محمود ولم يحسن الأخذ فقال [من الرمل] :

نازَعتْ عيناهُ قلبي حبَّةً لم تكُنْ تقبلُ قبلَ الإنقِساما[1]

يالقوْمِى هلْ علمتم قبْلها أنّ للأعينِ فى القلْبِ سِهاما

* * *

شاهد اللف والنشر

١٢٤ — كَيْفَ أسْلُو وَأنْتِ حِقْفٌ وَغُصْنٌ
وغزَالٌ لَحْظاً وَقَدًّا وَرِدْفا

البيت من الخفيف ، وهو منسوب [2] لابن حيوس ، ولم أره فى ديوانه ، ولعله ابن حيوس الإشبيلى .

والحِقْف — بكسر الحاء — الرمل العظيم المستدير .

والشاهد فيه : اللف والنشر ، وهو : ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر مالكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرد مالكل من آحاد المتعدد إلى ما هو له ، ثم الذى على سبيل التفصيل ضربان ؛ لأن النشر إما على ترتيب اللف ، و إما على غير ترتيبه كما فى البيت هنا ، وهو ظاهر .

ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومى [من الكامل] :

---

(١) فى الأصل « لم تك تقبل قبل الانقساما » ولا يستقيم به الوزن ، وقد قطع همزة الوصل فى « الانقسام » للضرورة

(٢) رواه ابن حجة فى خزانة الأدب (٨٤) غير منسوب لأحد .

من أمثلة اللف والنشر

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم

وقول بعضهم [من البسيط] :

ألست أنت الذي من ورد نعمته وورد راحته أجني وأغترف

وما أبدع قول ابن شرف القيرواني [من البسيط] :

جاور علياً ولا تحفل بحادثة إذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل

وقد أخذه تاج الدين الذهبي فقال [من الكامل] :

بدر سما للمجتلي ، ثمر نما للمجتني ، بحر طما للمجتدي
سل عنه وادن إليه واستمسك تجد ملء المسامع والنواظر واليد

وما أزهر قول البهاء زهير [من الطويل] :

ولي فيه قلب بالغرام مقيد له خبر يرويه طرفي مطلقا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

وما أحلى قول ابن نباتة المصري مع زيادة التورية [من الخفيف] :

لا تخف عيلة ولا تخش فقراً يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذي عساله

وقوله أيضا [من السريع] :

سألته عن قومه فانثنى يعجب من إسراف دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى فقال ذا خالي وهذا أخي

وبديع قول ابن مكنسة [من الرجز] :

والسكر في وجنته وطرفه يفتح ورداً ويغض نرجسا

وقد جاء اللف والنشر بين ثلاثة ، فأكثر ، فمنه قول ابن حيوس [من الكامل] :

ومُقَرْطقٍ يغْنَى النديمُ بوجهه عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعلُ المدام ولونها ومذاقها من مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول حمدة الأندلسية [من الطويل] :

ولمّا أبى الواشون إلاّ فراقنا وما لهمُ عندى وعندكَ من ثارِ
وشنّوا على أسماعنا كلّ غارةٍ وقلّ حُماتى عند ذاكَ وأنصارى
غزَوْتهمُ من مقلتيكَ وأدمعى ومن نَفَسى بالسيف والسيلِ والنارِ

وقول ابن نباتة ، وأجاد إلى الغاية [من البسيط] :

عرّجْ علىّ حرم المحبوب منتصباً لقبلة الحسنِ واعذرنى على السهرِ
وانظر إلى الخال فوق الثغر دُونَ لمىً تجد بلالاً يُراعى الصبحَ فى السحرِ

وبديعٌ قول بعضهم [من المجتث] :

وَرْدٌ وَمِسكٌ وَدُرٌّ خدٌّ وخالٌ وثغرُ
لحظٌ وجفنٌ وغنجٌ سيفٌ ونبلٌ وسحرُ
غصنٌ وَبدرٌ وليلٌ قدٌّ وَوَجهٌ وشَعْرٌ

ومنه بين أربعة ، وأربعة قول الشاعر [من البسيط] :

ثغرٌ وخدٌّ ونهدٌ واحمرَارُ يدٍ كالطلعِ والوَرد والرّمان والبلَحِ(١)

ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من الطويل] :

رَأى جسدى والدّمعَ والقلبَ والحشى فأضنَى وأفنى واستمالَ وتيّما

---

(١) كتب مصحح نسخة خزانة الأدب (ص ٨٣) على هذا البيت ما نصه : « قوله : والبلح ، فى نسخ والوهج ، وحرر الروى » اهـ .

ولأبي جعفر الأندلسي الغرناطي بين خمسة وخمسة [من الكامل] :

ملكٌ يَجيءُ بخمسة من خمسةٍ لقي الحسودَ بها فمات لما به
منْ وَجهِهِ ووَقارِهِ وجوادِهِ وحسامه بيديهِ يومَ ضِرابه
قمرٌ على رضوى تسيرُ بهِ الصبا وَالبرقُ يلمعُ من خلال سحابهِ

ولابن جابر الأندلسي بين ستةٍ وستةٍ [من الكامل] :

إن شئتَ ظبياً أو هلالاً أو دُجى أو زهرَ غصن في الكثيب الأملدِ
فالحظها ولوجهها ولشعرها وبخدها والقدّ والردفِ اقصدِ

ولنجم الدين البارزي بين سبعة وسبعة [من الطويل] :

يقطِّعُ بالسكين بطيخةً ضحًى على طبقٍ في مجلسٍ لأصاحبه
كبدرٍ ببرقٍ قدَّ شمساً أهلَّةً لدى هالةٍ في الأفق بين كواكبه(١)

وسبقه إلى ذلك ابن قلاقس ، فقال [من المتقارب] :

أتانا الغلامُ ببطيخةٍ وسكينةٍ أحكموها صقالا
فقسَّمَ بالبرق شمسَ الضحى وأعطى لكلِّ هلال هلالا

ومثله قول محاسن الشواء ، وأجاد [من الخفيف] :

وغلام يحزُّ بطيخةً في اللون مثلي وفي المذاقة مثلَهْ
لأناسٍ غُرٍّ على طبقٍ في مجلسٍ مشرقٍ يشابهُ أهلَهْ
قدَّ بدرٌ شمساً بأفقٍ شهدتُ الليلَ في هالة ببرقٍ أهلَّهْ

وقول الآخر [من الطويل] :

---

(١) في مطبوعة بولاق : « كبدر ببرق قد شق شمساً أهلة »
وظاهر أن أحد اللفظين « قد » و « شق » زائد ، وهذا على أن كلا منهما فعل من مضعف الثلاثي ، وسببه : أن في أحد أصولها قد ، وفي آخر شق ؛ فجمعوا بينهما خطأ ، فإن كان « قد » حرفا فهو الزائد بعينه ، ووقع في خزانة الأدب (٨٣) كما أثبتناه.

ولما بدا ما بيننا منية النفس ... يحزُّ بالسكين صفراء كالوَرْسِ
توهَّمْتُ بدرالتِّمِّ قدَّ أهلةً ... على أنجم بالبرق من كرةِ الشمسِ

وقول الآخر [من الكامل] :

خلناهُ لما حزَّزَ البطيخَ فى ... أطباقه بصقيلةِ الصفحاتِ (١)
بدراً يقدُّ من الشموس أهلةً ... بالبرْقِ بين الشُّهْبِ فى الهالاتِ

وقول البديع الدمشقى ، فى غلام يقطع بطيخا بسكين ، نصابها أسود [من الكامل] :

انظرْ بعينكَ جوهراً متلألئاً ... سحراً لفرط بيانه وجمالِهِ
قمرٌ يقدُّ من الشموس أهلةً ... بظلام هِجْرَته وفجرِ وصالِهِ

والسابق إلى فتح هذا الباب العسكرى حيث يقول [من الوافر] :

وجامعةٍ لأصناف المعانى ... صلحنَ لوقت إكثارٍ وَقلَّهْ
فمن أُدمٍ و رَيحانٍ ونَقْلٍ ... فلم يُرَ مثلُها سَدّاً لخلَّهْ
فنها ما تشبِهُهُ بدُوراً ... فإن قَطَّعتها رجعت أهلَّهْ

ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية [من الطويل] :

خدُودٌ وأصداغ وقدٌّ ومقلةٌ ... وثغرٌ وأرياقٌ ولحنٌ ومعربُ
وُرُودٌ وسوسانٌ وبانٌ ونرجسٌ ... وكأسٌ وجِرْيالٌ وجَنْكٌ ومُطرِبُ

وللصفى الحلى [من الطويل] :

وظبيٍ بقفرٍ فوقَ طِرْفٍ مفَوَّقٌ ... بقوسٍ رَمى فى النقع وحشاً بأسهمِ
كبدرٍ بأفقٍ فوْقَ برْقٍ بكفهِ ... هلالٌ رمى فى الليل جناً بأنجم

ولبعضهم بين عشرة وعشرة [من البسيط] :

شَعْرٌ جَبِينٌ محيًّا معطفٌ كَفَلٌ ... صدغٌ فمٌ وجناتٌ ناظرٌ ثغْرٌ

(١) الصقيلة : المصقولة ، وأراد بصقيلة الصفحات السكين

ليلٌ صباحٌ هلالٌ بانةٌ ونَقًا آسٌ أقاحٍ شقيقٌ نرجسٌ دُرٌّ

ولابن جابر بين اثنى عشر واثنى عشر [من الطويل] :

فُرُوعٌ سنًا قدٌّ كلامٌ فمٌ لَمًى حُلًى عُنُقٌ ثغرٌ شذًا مقلةٌ خدٌّ

دُجًى قمرٌ غصنٌ جَنًى خاتمٌ طلاً نجومٌ رشًا دُرٌّ صبًا نرجسٌ وردُ[(١)]

وجُلُّ القصد هنا : أن يكون اللف والنشر فى بيت واحد ، خاليا من الحشو وعقادة التركيب ، جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة .

ترجمة ابن حيوس

وابن حيُّوس [(٢)] بحاء مهملة وياء تحتية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها سين مهملة — هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، الملقب بمصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ، وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين وفحولهم المجيدين ، وله ديوان شعر كبير ، لقى جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم ، وكان منقطعا إلى بنى مرداس أصحاب حلب ، وله فيهم القصائد الفائقة ، وقصته [(٣)] مع الأمير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة ؛ فانه كان قد مدح أباه محموداً ، فأجازه ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصرٌ المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدة رائية يمدحه بها و يعزيه عن أبيه ، أولها [من الطويل] :

كفَى الدينَ عِزًّا ما قضاهُ لكَ الدهرُ فمن كان ذا نذرٍ فقد وجب النذرُ

---

(١) روى كثيرا من هذه الشواهد ابن حجة ، فى خزانة الأدب (٨١ — ٨٤) .

(٢) لابن حيوس ترجمة فى ابن خلكان (٢ — ٣٧٧) هى التى أخذها المؤلف هنا .

(٣) فى الأصول « وقضيته » وما أثبتناه موافق لما فى ابن خلكان .

منها :

صبرنا على حكم الزمان الذى سطا ... على أنه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤسى لا يماثلها الأسى ... تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر(١)
تباعدت عنكم حرفة لا زهادة ... وسرت إليكم حين مسَّنِىَ الضر
فلاقيت ظل الأمن ماعنه حاجز ... يصد ، و باب العز مادونه ستر
وطال مقامى فى إسار جميلكم ... فدامت معاليكم ودام لىَ الأسر
وأنجز لى رب السموات وعده الكريم ... بأن العسر يتبعه اليسر
فجاد أبو نصر بألف تصرمت ... وإنى عليم أن سيخلفها نصر
لقد كنت مأمولاً ترجى لمثلها ... فكيف وطوعاً أمرك النهى والأمر(٢)
وبابى إلى الإلحاح والحرص حاجة ... وقد عرف المبتاع وانفصل السعر
وإنى بآمالى لديكم مخيم ... وكم فى الورى ثاو وآماله سفر
وعهدك ما أبغى بقولى تصنعا ... بأيسر ماتوليه يستعبد الحر(٣)

فلما فرغ من إنشادها قال الأمير نصر : والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفتها له ، وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة .

وكان اجتمع على باب الأمير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه ، وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النصرانى ، وكانت له عادة بغشيان منزله ، وعقد مجلس الأنس عنده ، فأتت الشعراء الذين تأخرت

---

(١) فى الأصل : « تقارب نعمى » محرفا عما أثبتناه موافقاً لما فى ابن خلكان .

(٢) فى الأصل : « لقد كنت مأموراً ترجى لمثلها » وأثبتنا مافى ابن خلكان ، وهو الذى يقتضيه المعنى .

(٣) فى ابن خلكان « وعندك ما أبغى » ، ولما هنا وجه لابأس به ، وهو أن تنزل الواو فى قوله « وعهدك » على أنها واو القسم .

جوائزهم إلى باب بولص، وفيهم ابن الدويدة المعرى الشاعر المعروف ، فكتبوا ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها — وقيل: بل نظمها ابن الدويدة المعرى المذكور — وصيروا الورقة إليه وفيها الأبيات ، وهى [من الطويل] :

عَلى بابِكَ المَحْرُوسِ مِنّا عِصَابَةٌ ... مَفَالِيسُ فانْظُرْ فى أمورِ المَفَالِيس

وَقدْ قَنعتْ مِنكَ الجَمَاعةُ كلُّها ... بِعُشْرِ الّذِى أعطَيْتَهُ لابنِ حَيُّوس

وما بَيْنَنَا هذَا التَفَاوُتُ كُلُّهُ ... وَلكِنْ سَعِيدٌ لا يُقاسُ بِمنحوس

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار ، وقال : والله لو قالوا « بمثل الذى أعطيته لابن حيوس » لأعطيتهم مثله

وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء ، تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة سبع وستين وأربعمائة ، ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثانى شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة

وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بنى مرداس فبنى داراً بمدينة [حلب] وكتب على بابها من شعره [من السريع] :

دارٌ بَنيْنَاها وعِشْنا بِها ... فى نِعمةٍ مِنْ آلِ مِرْداس

قَومٌ نَفَوْا بُؤْسى ولم يتركوا ... عَلىّ للأيام مِنْ باسِ

قُلْ لِبنى الدُّنيا ألا هكَذَا ... فَليفْعلِ الناسُ مَعَ الناسِ[١]

وقيل : إن الأبيات لابن أبى حصينة[٢] الحلبى، وهو الصحيح

وحكى الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال : أنشدنا أبو القاسم على بن

---

(١) فى ابن خلكان : * فليصنع الناس مع الناس *

(٢) ابن أبى حصينة : هو الأمير الجليل أبو الفتح ، الحسن بن عبد الله ابن عبد الجبار الحلبى ، قاله ابن خلكان .

إبراهيم العلوىّ من حفظه سنة سبع وخمسمائة ، قال : أخذ الأمير[1] أبو الفتيان ابن حيوس بيدى وقال : ارْوِ عَنِّى هذا البيت ، وهو فى شرف الدولة مسلم ابن قريش [من الكامل] :

أَنْتَ الَّذِى نفقَ الثناء بسُوقِهِ ... وَجَرَى النَّدَى بِعرُوقِهِ قَبْلَ الدم

وهذا البيت فى غاية المدح

ومن غرر قصائده السائرة قوله :

هُوَ ذاكَ رَبْعُ العَامِرِية فَارْبَعِ ... وَاسأَلْ مَصِيفاً عافياً عَنْ مَرْبعِ[2]

وَاستَسْقِ لِلدِّمَن الخَوَالى بِالحِمى ... غُرَّ السَّحَائبِ واعتَذرْ عن أدمُعِى

فَلَقَد غدوتُ أمامَ دانٍ هاجرٍ ... فى قُرْبِه وَوَراءَ ناءٍ مُزْمِعِ[3]

لَوْ تُخبِرُ الرُّكبَانُ عنِّى حدَّثوا ... عَنْ مُقلةٍ عَبْرَى وقَلبٍ مُوجَعِ

رُدِّى لنا زَمنَ الكَثِيبِ فإنَّهُ ... زَمنٌ متى يَرْجع وصالُك يَرْجع

لوْ كُنتِ عَالِمَةً بِأَدْنَى لَوْعتى ... لرَدَدْتِ أقصَى نيلكِ المُستَرْجَعِ

بَل لوْ قَنعتِ منَ الغرَام بِمُظْهر ... عَنْ مُضمر بينَ الحَشى والأضلُعِ

أعتَبْتِ إثْرَ تعتُّبٍ وَوَصلْتِ ... غِبَّ تجنُّبٍ وبذلْتِ بَعْدَ تمنُّعِ

ولو أننى أنْصفْتُ نفسى صُنتُها ... عَنْ أن أكُونَ كَطَالبٍ لم يَنْجَعِ

إنِّى دعَوْتُ نَدَى الغرام فلَمْ يُجب ... فَلأشكُرَنَّ نَدًى أجاب ومادُعى[4]

---

(١) كان ابن حيوس يدعى بالأمير ، لأن أباه كان من أمراء المغرب ، قاله ابن خلكان

(٢) فى ابن خلكان « هو ذاك ربع المالكية » .

(٣) فى ابن خلكان « فلقد فنين أمام دان هاجر » وضمير الاناث فى قوله « فنين » على هذه الرواية يعود إلى المدامع .

(٤) فى ابن خلكان « إنى دعوت ندى الكرام » وهذا البيت ليس متصلا بما قبله فيه .

ومنَ العَجائبِ والعجائبُ جَمّةٌ شكرٌ بَطيءٌ عَنْ ندًى مُتَسرّعِ

ومن شعره يمدح سابق بن محمود [من البسيط] :

يزْدادُ إنْ قَصُرَ الخَطِّيُّ عن غَرَض طُولاً ، ويَمضى إذا حَدُّ الحُسام نبا[1]

حلّ السِّماكَ وما حُلّتْ تَمائِمُهُ عَنْ جِيدِهِ وحَبا العافِينَ مُنْذُ حَبَا

حوَى منَ الفَضْلِ مولوداً بلا طَلَبٍ أضعافَ ما أعجزَ الطُّلّابَ مُكتَسبا

طَلْقُ المحيّا إذا مازُرْتَ مجْلِسهُ حُزْتَ الغنى والعُلا والبأسَ والأدبا

ومحاسنه كثيرة

وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل إلى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيّوس المذكور فكتب إليه ابن الخياط يقول [من الكامل] :

لم يبْقَ عِندِي مايُباعُ بدِرْهَمٍ وكَفَاكَ مِنّي مَنظَرِي عنْ مَخْبَرِي

إلاّ بَقيَّةُ ماءِ وَجهٍ صُنْتُها عنْ أن تُباعَ وأينَ أينَ المُشترِي

فقال : لو قال « ونعم أنت المشترى » لكان أحسن

وكان مولد ابن حيّوس سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق ، وتوفى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

وابن حبوس[2] الاشبيلى ذكره ابن فضل الله فقال : لايخف له ضرع خاطر

---

(١) المراد أنه إذا كان بينه وبين العدو مسافة لا يصلها الرمح فانه يخطو إلى العدو ليطعنه ، وقد أخذ هذا من قول الشاعر :

* نصل السيوف إذا قصرن بخطونا *

(٢) قال ابن خلكان فى نهاية ترجمته لابن حيوس الدمشقى الحلبى ، السابق ذكره مانصه : « وفى شعراء المغاربة ابن حبوس مثل الأول ، لكن بالباء الموحدة المخففة ، وإنما ذكرته ، لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس ، ورأيت خلقا كثيراً يتوهمون أن المغربى يقال له ابن حيوس أيضا ؛ وهو غلط ، والصواب ما ذكرته ، والله تعالى أعلم » اهـ .

ولايجف له ذرة سحاب ماطر، لو مسّ بقريحته الصلد لتفجر، أو الجهام لانعنجر،
وحسبك من مرمى غرضه البعيد، ماذكره له ابن سعيد، وأورد له فى المرقص
قوله فى أشتر العين لاتفارقه الدمعة [من الكامل] :

شتِرَت فقلنا زورقٌ فى لُجَّةٍ مَالت بإِحدَى دفّتيهِ الرِّيحُ
فكأنَّما إنسانُهَا ملاّحُها قد خافَ مِنْ غرقٍ فَظَلَّ يَميح

* * *

١٢٥ — إنَّ الشَّبَابَ والفَرَاغَ والجِدَهْ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

شاهد الجمع

البيت لأبى العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التى سماها (ذات الأمثال)
يقال: إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها :

حسبُكَ مما تَبْتغيهِ القُوتُ ما أكثَرَ القُوتَ لِمَنْ يمُوتُ
الفقرُ فيما جاوزَ الكَفافا مِن اتّقى اللّهَ رَجا وَخافا
هىَ المَقَادِيرُ فلُمنى أو فذرْ إن كُنْتُ أخطأتُ فماأخطاالقَدَر
لِكُلِّ ما يُؤذى وإن قَلَّ ألم ماأطوَل اللّيْلَ على مَنْ لم ينم
ما انتفَعَ المرءُ بِمثْل عقلهِ وخيْرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فِعلهِ
إن الفَساد ضدُّهُ الصَّلاحُ ورُبَّ جدٍّ جَرَّهُ المُزَاحُ
مَنْ جعلَ النَّمّامَ عيناً هلكاَ مُبلغُكَ الشرَّ كباغيهِ لَكا

وبعده البيت، وبعده :

يُغنيكَ عَنْ كُلِّ قبيحٍ تَركُهُ يرتهِن الرأىَ الأصيلَ شكُّهُ
ما عَيشُ مَنْ آفتهُ بقاؤُهُ نَغَّصَ عيشاً كلَّهُ فناؤُهُ
يارُبَّ مِن أسخطنَا بجُهْدِهِ قد سرَّنا اللهُ بغيرِ حَمْدِهِ

ما تطلعُ الشمْسُ ولا تغيبُ إلا لأمرٍ شأنهُ عَجيبُ
لِكلِّ شيءٍ قدرٌ وجوهرُ وأوسط وأصغر وأكبرُ
فكلُّ شيءٍ لاحقٌ بجوهرِهْ أصغرُهُ متّصِلٌ بأكبرِهْ
من لك بالمحْضِ وكلٌّ مُمتزجْ وساوسٌ في الصدْرِ منك تختلج
ما زالتِ الدُّنيا لنا دارَ أذى مَمزُوجةَ الصفوِ بأنواع القَذَى
الخيرُ والشرُّ بِها أزواجُ لذَا نتاجٌ ولِذَا نِتاجُ
مَنْ لكَ بالمحْضِ وليس مَحْضُ يخبُثُ بعضٌ ويطيبُ بعضُ
لِكلِّ إنسانٍ طبيعتَانِ خيرٌ وشرٌّ وهُما ضِدّانِ
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا بَينهُما بَونٌ بعيدٌ جدّا
إنّكَ لو تَستنشقُ الشحيحا وَجدتَهُ أنتنَ شيءٍ ريحا
عجبْتُ حتى ضمَّني السُّكوتُ صِرْتُ كأنّي حائرٌ مَبهُوتُ
كذا قضى اللهُ فكيفَ أصنعُ والصمتُ إن ضاقَ الكلامُ أوسعُ

وهي طويلة جدا ، وهذا الأنموذج كاف منها

والجدة : الاستغناء ، والمفسدة : الخلة الداعية إلى الفساد

والشاهد فيه : الجمع ، وهو الجمع بين متعدد في حكم ، وهو ظاهر في البيت ،

من أمثلة الجمع

وما أحسن قول الصفي الحلي فيه [من البسيط] :

أرَاؤُهُ وَعطاياهُ ونِعمتُهُ وعفوُهُ رحمَةٌ للنّاس كلِّهم

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع [من البسيط] :

آدابهُ وعَطاياه ورأفتهُ سجيّةٌ ضمن جَمْعٍ فيه مُلتئم

وقول ابن جابر الأندلسي [من البسيط] :

قد أحرَزَ السبْقَ والاحسانَ في نَسقٍ والعِلم والحِلم قبلَ الدّركِ لِلحُلمِ

ترجمة أبى العتاهية

وأبو العتاهية[١] هو: إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان،[٢] مولى عَنَزَة وكنيته أبو إسحاق، وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان يحب الشهرة والمجون فكنى لعتوه[٣] بذلك، وقيل: إن المهدى قال له يوما: أنت إنسان متعته متحذلق، فاستوت له من ذلك كنية، ويقال للرجل المتحذلق عتاهية، وفيه يقول أبو قابوس النصرانى وقد بلغه أنه فضل عليه العتابى [من الكامل]:

قُلْ لِلْمُكَنِّى نَفْسَهُ ... مُتخيراً بِعتاهِيهْ
والمُرْسِلِ الكَلِم القَبيح وعنهُ أذنٌ وَاعيهْ
إن كنتَ سِرًّا سؤتنى ... أو كانَ ذاكَ عَلاَنيهْ
فعليكَ لعنَةُ ذى الجلا ... ل وأُمُّ زيدٍ زانيهْ

وأم زيد هى أم أبى العتاهية[٤] ومنشأه بالكوفة، وكان فى أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم، ويقال: أطبع الناس بالشعر بَشَّار والسيد الحميرى وأبو العتاهية، وماقدر

---

(١) لأبى العتاهية ترجمة فى الأغانى (٣ : ١٢٦ — ١٨٣) وهو لم يذكر فيها أخباره مع عتبة — وهى من أعظم أخباره — لأنها كما قال طويلة وقد طالت أخباره، فأحب أن يفرد أخباره معها. وقد ذكر بعض أخباره فى (١٤ : ٥٦ — ٥٩) ولم يذكر أخباره مع عتبة بعد إخباره أنه أفردها؛ ولأبى العتاهية ترجمة فى ابن خلكان (١: ١٢٥ — ١٣٠).

(٢) عنزة بن أسد بن ربيعة، قاله ابن خلكان؛ وضبط عنزة بفتح العين المهملة والنون وبعدها زاى.

(٣) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذه العبارة ما نصه «لا يخفى أن العتو غير العته، فليس ما قاله صحيحا» اهـ.

(٤) أمه هى: أم زيد بنت زياد المحاربي، مولى بنى زهرة، قاله صاحب الأغانى.

أحد قط على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته ، وكان غزير البحر ، كثير المعانى لطيفها ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال ، وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ، ويحتجون بأن شعره إنما هو فى ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

وحدث الخليل بن أسد النوشجانى قال : أتانا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أننى زنديق ، والله ما دينى إلا التوحيد ، فقلنا له : قل شيئاً نتحدث به عنك ، فقال [من المتقارب] :

ألا إننا كلنا بائدُ وأىُّ بنى آدمٍ خالدُ
وبدؤهم كان من ربهم وكلٌّ إلى ربه عائدُ
فيا عجبا كيف يُعصى الإلهُ أم كيف يجحدُه الجاحد
وفى كلِّ شىء له آيةٌ تدلُّ على أنهُ واحدُ

وكان من أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال

وحدث محمد بن عيسى الخرقى قال : وقف عليه ذات يوم سائل من العيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه ، فسأله دونهم ، فقال له : صنع الله لك ، فأعاد السؤال ، فردَّ عليه ، فأعاد الثالثة ، فغضب ، وقال له : ألست الذى يقول [من المديد] :

كلُّ حىٍّ عند ميتته حظُّهُ من مالهِ الكفنُ

قال : نعم ، قال : فبالله عليك أتريد أن تعد مالك كله لثمن كفنك ؟ قال : لا ، قال : فبالله كم قدرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير ، قال : فاعمل على أن ديناراً من الخمسة وضيعته قيراطاً وادفع إلى قيراطا واحدا ، وإلا فواحدة أخرى ، قال : وما هى ؟ قال : القبور تحفر بثلاث دراهم ، فأعطنى درهما وأقيم لك كفيلا بأن أحفر لك به

قبرك متى مت وتربح درهمين لم يكونا فى حسابك ، فان لم أحفر رددته على ورثتك أو رده كفيلى عليهم ، فخجل أبو التعاهية وقال : اغرب لعنك الله وغضب عليك ، وضحك جميع من حضر ، ومر السائل يضحك ، فالتفت إلينا أبو العتاهية وقد اغتاظ فقال : من أجل هذا وأمثاله حرِّمت الصدقة ، فقلنا له : ومن حرمها ومتى حرمت ؟ فما رأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده

وقال : قلت لأبى العتاهية : أتزكى مالك ؟ فقال : والله ما أنفق على عيالى إلا من زكاة مالى ، فقلت له : سبحان الله ! إنما ينبغى لك أن تخرج زكاة مالك للفقراء والمساكين ، فقال لى : لو انقطعت عن عيالى زكاة مالى لم يكن فى الأرض أفقر منهم

وحدث أيضاً قال : كنت جاراً لأبى العتاهيـة ، وكان له جار يلتقط النوى ضعيف سىء الحال متجمل عليه ثياب ، فكان يمر بأبى العتاهية طرَفَى النهـار فيقول أبو العتاهية : اللهم أغنه عما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سيء الحال عليه ثياب متجمل ، اللهم اصنع له ، اللهم بارك فيه ، فبقى على هـذا إلى أن مات الشيخ نحوا من عشرين سنة ، لا والله إن تصدق عليه بدرهمين ولا دانق قط ، وما كان زاده على الدعاء شيئاً ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، إنى أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم أنه فقير معيل ، فلم لا تتصدق عليه بشىء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة وهى آخر مكاسب العبد ، وإن فى الدعاء خيرا كثيرا

وقال الجاحظ : حدثنى ثمامة بن أشرس قال : دخلت يوما على أبى العتاهية فاذا هو يأكل خبزاً بلا شىء ، فقلت له كالمنكر : كأنك رأيته يأكل خبزاً وحده ، فقال : لا ولـكنى رأيته يتأدَّمُ بلا شىء ، فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت قدامه خبزاً يابساً من دقاق فطير وقدحا فيه حليب ، فـكان يأخذ القطعـة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويخرجها فلم تتعلق منه بقليل ولا كثير ، فقلت له : كأنك اشتهيت أن تتأدم بلا شىء ، وما رأيت أحـداً قبله تأدم بلا شىء .

وقال ثمامة أنشدنى أبو العتاهية [من الطويل] :

إذا المرءُ لم يُعتِق من المال نفسَهُ ... تملّكَهُ المالُ الّذى هُوَ مالكُهْ

ألا إنما مالى الذى أنا مُنفِقٌ ... ولَيسَ لىَ المَالُ الّذى أنا تاركُهْ

إذا كُنْتَ ذا مالٍ فبادر به الّذى ... يحقُّ ولا استَهْلكَتْه مَهالكُهْ

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قوله صلى الله عليه وسلم « إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت » فقلت : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك لا تأكل منها ولا تشرب ، ولا تزكى ، ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ قال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لحقّ ، ولكنى أخاف الفقر و الحاجة إلى الناس . قلت : وما يزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك ، لا تشترى اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟ فترك جواب كلامى كله ، ثم قال لى : والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسه دراهم ، فلما قال لى هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته ، وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام .

وقيل له : مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال : والله ما بخلت بما رزقنى الله قط ، قيل له : فكيف ذاك وفى بيتك من المال مالا يحصى ؟ ! قال : ليس ذلك رزقى ، ولوكان رزقى لأنفقته .

وحدّث أبو العتاهية قال : أخرجنى المهدى معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شىء كثير ، وتفرق أصحابه فى طلبه ، وأخذ هو فى طريق آخر غير طريقهم ، فلم يلتفتوا ، وعَرَض لنا وادٍ جرّاز عظيم ، وتغيمت السماء ، و بدأت بمطر ، فتحيرنا ، وأشرفنا على الوادى ، و إذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه

عن الطريق ، فجعل يضعف رأينا و يعجزنا فى بذل أنفسنا فى ذلك القيم والمطر للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له ، وكاد المهدى يموت برداً ، فقال له : أُغطيك بجبتى هذه الصوف؟ فقال: نعم ، فغطاه بها، فتماسك قليلا ونام، وافتقده غلمانه، وتبعوا أثره حتى جاؤونا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان ، فنحَّوا الجبة عنه ، وألقوا عليه الخزّ والوشى ، فلما انتبه قال لى: ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فو الله لقد وجب حقه علينا ، فقلت: والله هرب خوفا مما خاطبنا به . قال : إنا لله و إنا إليه راجعون ، والله لقد أردت أن أغنيه ، و بأى شىء خاطبنا؟ نحن والله مستحقون لأضعاف ما خاطبنا به ، بحياتى عليك إلا ما هجوتنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسى بأن أهجوك؟ قال : والله لتفعلن فإننى ضعيف الرأى مغرم بالصيد ، فقلت [من السريع] :

يالابِسَ الوَشْى على ثوبهِ ... ما أقبَحَ الأشيبَ بالراحِ

فقال: زدنى بحياتى عليك ، فقلت:

لو شئتَ أيضا جُلْتَ فى خامةٍ ... وفى وِشَاحَيْنِ وأوضاحِ

فقال: ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستأهل ، زدنى شيئا آخر ، فقلت: أخاف أن تغضب ، فقال: لا والله ، فقلت :

كم من عظيم القَدْرِ فى نَفْسهِ ... قد نامَ فى جُبَّةِ مَلاَّحِ

فقال: معنى سوء عليك لعنة الله ، وقمنا فركبنا وانصرفنا .

وعن الحسن بن عابد قال : كان أبو العتاهية يحج فى كل سنة ، فاذا قدم أهدى للمأمون برداً قطريا ونعلا سوداء ومساويك أراكٍ ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم ، فأهدى له مرة كما كان يهدى كل سنة إذا قدم ، فلم يثبه ولا بعث إليه بالوظيفة ، فكتب إليه أبو العتاهية يقول [من الرمل] :

خبرونى أنَّ مِنْ ضَرْبِ السنهْ ... جدداً بيضًا وصُفْراً حسنهْ

أُحدِثَتْ لكنني لم أرَها مثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سنهْ

قال: فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا إليه ، وقال: أغفلناه حتى أذكرنا .

وحدّث أبو عكرمة قال : كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن بن زائدة ، يتمثل بقول أبي العتاهية [من السريع] :

أُختُ بني شيبانَ مرّتْ بنا ممشوطة كوراً على بغلِ

وهذا البيت من أبيات لأبي العتاهية يهجو بها عبد الله المذكور ، و بعده :

تُكْنَى أبا الفضلِ ومَنْ ذا رأى جاريةً تكنى أبا الفضلِ

قد نقطت في وجهها نقطةً مخافةَ العين من الكحل

إن زُرتموها قالَ حُجابها نحنُ عن الزُّوَّار في شُغُلِ

مولاتُنَا مشغولة عندَها بعلٌ ولا إذنَ على البعلِ

يا بنتَ معنِ الخيرِ لا تجهلي وأينَ تقصيرٌ عن الجهلِ(1)

أتجلدُ الناسَ وَأنتَ امرُؤٌ تُجلَدُ في دُبرِكَ والقبلِ

ما ينبغي للناسِ أن ينسبُوا من كانَ ذا جودٍ إلى البخلِ

يبذلُ ما يمنعُ أهلُ الندَى هذا لعمري منتهَى البذلِ

ما قلتُ هذا فيكَ إلا وقدْ جفَّتْ بهِ الأقلامُ من قبلي

قال : فبعث إليه عبد الله بن معنٍ ، فأُتي به ، فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه ، وقال له : قد جزيتك على قولك ، فهل لك بعد هذا في الصلح ومعه مركب وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب وما ترى ؟ قال : بل الصلح ، قال : فأسمعني ما تقوله في معنى الصلح فقال [من الرمل] :

---

(1) في الأغاني « وأينَ إقصار عن الجهل» وهو أظهر

ما لعذالي ومالي أمروني بالضلال
عذلوني في اغتفاري لابن معن واحتمالي
إن يكن ما كان منه فبجرمي وفعالي
أنا منه كنت أسوا عشرة في كل حال(١)
قل لمن يعجب من حسن رجوعي ومقالي(٢)
رب ود بعد صد وهوى بعد تقال
قد رأينا ذا كثيرا جاريا بين الرجال
إنما كانت يميني لطمت مني شمالي

وكان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حسن ودماثة ، [يقال لها سعدى](٣) وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن ، وكانت مولاة لهم ، وكانت صاحبة حبائب ، وكان أبو العتاهية مولعا بالنساء ، فقال فيها [من الطويل] :

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشهى من السحق
أفقن فإن الخبز بالأدم يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق

وقال فيها أيضا [من الخفيف] :

قلت للقلب إذ طوى وصل سعدى لهواه البعيدة الأسباب

(١) في الأصل « كنت أسوا * عبرة » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني
(٢) في الأصل « ما لمن يعجب » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني
(٣) وقعت هذه الجملة في الأصل بعد قوله « وكانت مولاة لهم » ، وأثبتناها في مكانها عن الأغاني

أنتَ مثلُ الذى يفرُّ من القَطرِ حِذارَ الندى إلى الميزابِ

فغضب ابن معن لسعدى، فضرب أبا العتاهية مائة، فقال فيه [من مجزوء الخفيف]:

جَلَدَتْنِي بكفها بنتُ معن بنِ زائده
جلدتنى بكفها بأبى تلك جالده (١)
وتراها مع الخصىِّ على الباب قاعده
تتكنَّى كُنى الرجا ل لعمدٍ مُكايده
جَلَدَتْنِي وبالغتْ مائة غير واحده
اجلدينى اجلدى اجلدى إنما أنتِ والده

وقال فى ضربه إياه أيضا [من الخفيف]:

ضربتنى بكفها بنتُ معنٍ أوجعت كفها وما أوجعتنى
ولعمرى لولا أذى كفها إذ ضربتنى بالسوط ما تركتْنى

وحدث أحمد بن أبى فتن قال: كنا عند ابن الأعرابى فذكر قول يحيى بن نوفل فى عبد الملك بن عمير القاضى، وهو [من الطويل]:

إذا كلمتهُ ذاتُ دَلٍّ لحاجةٍ فهمَّ بأن يقضى تنحنح أو سَعَلْ (٢)

وأن عبد الملك بن عمير قال: تركنى والله و إن السُّعْلة لتعرض لى فى الخلاء فأذكر قوله [فأهاب أن أسعل] (٣) قال: فقلت: هذا ابن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية (٤) [من الهزج]:

(١) فى الأغانى «جلدتنى فأوجعت» ولا يتناسب مع المعنى الذى يريده، ولا مع البيتين اللذين بعد هذه الأبيات

(٢) وقع فى الأصول (إذا كلمته ذات دار لحاجة) محرفا عما أثبتناه، وفى الأغانى * إذا ذات دل كلمته لحاجة *

(٣) زيادة يتم بها المعنى، وهى ثابتة فى الأغانى

(٤) البيتان من أبيات يقولها أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة، وانظرها فى الأغانى (٤ ـ ٢٤ دار الكتب)

فصُغْ ما كنت حَلَّيْتَ   به سيفكَ خلخالا
فما تصنعُ بالسيفِ   إذا لم تك قَتّالا

فقال عبد الله : ما لبست السيف قط فلمحنى إنسان إلا قلت يحفظ شعر أبي العتاهية فيّ فينظر إليّ بسببه ، فقال ابن الأعرابي : اعجبوا لهذا العبد يهجو مولاه ، وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان

وحدث المداينى قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشمقمق فى بيت ابن أُذَيْن ، وجاء أبو العتاهية ــ وكان بينه و بين أبى الشمقمق شر ــ فخبأه من أبى العتاهية فى بيت ، ودخل أبو العتاهية ، فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيث ، فظنه جارية فقال لابن أُذَيْن : متى استظرفت هذه الجارية ؟ قال : قريبا يا أبا إسحاق ، فقل فيها ما حضر ، فمد أبو العتاهية يده إليه وقال [من السريع] :

مددتُ كَفِّى نحوكم سائلا   ماذا تردُّونَ على السائِلِ

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من داخل البيت بهذا البيت

نردُّ فى كفك ذا فَيْشَةٍ   يشفى جَوًى فى استك من داخل

فقال أبو العتاهية : [أبو] الشمقمق والله ، وقام مغضبا

وقال أبو العتاهية: حبسنى الرشيد[١] لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن وأغلق الباب علىّ ، فدهشت كما يدهش مثلى لذلك الحال ، فاذا أنا برجل جالس فى جانب الحبس مقيد ، فجعلت أنظر إليه ساعة ، ثم تمثل وقال [من الطويل] :

تعوَّدْتُ مَسَّ الضر حتى ألفتُهُ   وأسلمنى حسنُ العزاء إلى الصبر
وصيرنى يأسى من النَّاسِ راجياً   لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى[٢]

فقلت له : أعد أعزك الله هذين البيتين ، فقال لى : ويلك يا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبك وأقل عقلك! دخلت علىّ الحبسَ فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ،

(١) فى ابن خلكان « أمر المهدى بحبسى » وفى بقية القصة ذكر الرشيد
(٢) فى الأصل « يأسى من الله » وهو فاسد ، وأثبتنا ما فى الأغانى

ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى ، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استمادتهما، ولم تقدم قبل مسألتهما عذرا لنفسك فى طلبهما ، فقلت : يا أخى ، إنى دهشت لهذا الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا بذلك ، فقال : والله أنا أولى بالدهش والحيرة منك ، لأنك حبست فى أن تقول الشعر الذى به ارتفعت و بلغت ما بلغت ، فاذا قلت أمنت ، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ، ووالله لا أدل عليه أبداً والساعة يدعى بى فأقتل ، فأينـا أحق بالدهش ؟ فقلت : أنت والله أولى سلمك الله وكفاك ، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك ، فقال : لا نبخل عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما ، فسألته من هو(١) قال : أنا حاضر (٢) داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد ، ولم نلبث أن سمعت صوت الأقفال . فقام فسكب عليه ماء كان عنـده فى جرة ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس والجند معهم الشمع . فأخرجنا جميعا ، وقدم قبلى إلى الرشيد ، فسأله عن أحمد بن عيسى ، فقال : لا تسألنى عنه واصنع ما أنت صانع فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفت عنه . فأمر بضرب عنقه فضربت ، ثم قال لى : أظنك ارتعت يا إسماعيل ؟ فقلت : دون مارأيته تسيل منه النفوس . فقال : رُدُّوه إلى محبسه . فرُددت . وانتحلت البيتين وزدت فيهما [من الطويل]

إذا أنا لم أقبلْ من الدهر كل ما تـكرَّهتُ منه طال عَتْبي على الدهر

وكان أبو العتاهية مشتهراً بحب عُتْبَةَ جارية المهدى ، وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله وكتب به إلى المهدى يعرض بها [من البسيط] :

---

(١) فى ابن خلكان « من أنت » وفى الأغانى مثل ما هنا ، وكلاهما صحيح

(٢) فى الأغانى « أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد » وفى ابن خلكان مثل ما هنا .

نفسي بشيء من الدنيا مُعلَّقة والله والقائم المهديّ يكفيها
إني لأيأس منها ثم يُطْمِعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم المهدي بدفع عتبة إليه ، فخرجت وقالت : يا أمير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي أفتدفعني إلى قبيح المنظر بائع جرارٍ ومكتسب بالعشق ؟ فأعفاها ، وكان قد كتب البيتين على حواشي ثوب مطيب ووضعه في برنية ضخمة ، فقال المهدي : املأوا له البرنية مالاً ، فقال للكتاب : أمر لي بدنانير ، قالوا : ماندفع إليك ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك الدراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف في ذلك حولا ، فقالت عتبة : لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير ، وقد أضرب عن ذكري صفحاً

وجلس أبو العتاهية يوماً يعذل أبا نواس ويلومه على استماع الغناء ومجالسته لأصحابه ، فقال أبو نواس [من مجزوء الرمل]

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي
أتراني مفسداً بالنُّسْكِ عند القوم جاهي

فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك ! وجعل أبو نواس يضحك

وحدث مخارق قال : جاءني أبو العتاهية يوما فقال لي : قد عزمت على أن أتزود منك يوما تهبه لي ، فمتى تنشط لذلك؟ فقلت : متى شئت ، قال : إني أخاف أن تقطع بي ، فقلت : لا والله ولو طلبني الخليفة ، فقال : يكون ذلك في غد ، فقلت : أفعل ، فلما كان من الغد باكرني رسوله ، فجئته فأدخلني بيتا له نظيفا فيه فرش نظيف ، ثم دعا بمائدة وعليها خبز سميذ وخل وبقل وملح وجدي مشوي ، قال : فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم دعا بسمك مشوي فأصبنا منه أيضا ، ثم دعا بفراخ ودجاج وفراريج مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم أتونا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، ثم جاءونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة فقال

لى : اختر ما يصلح لك ، فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال : غَنِّ لى قولى [من الخفيف]

أحمدٌ قال لى ولم يَدْرِ مابى   أتحبُّ الفتاة عُتْبَةَ حقاً

فغنيته ، فشرب أقداحاً ، وهو يبكى أحر بكاء ، ثم قال : غننى فى قولى [من السريع] :

ليسَ لمن ليستْ لهُ حيلةٌ   موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ

فغنيته ، وهو ينتحب ويبكى ، ثم قال : غننى ، فديتــكَ فى قولى [من الطويل] :

خليلىَّ مالى لا تزالُ مضرتى   تكونُ معالأقدار حَتْماً من الحتمِ

فغنيته إياه ، وما زال يقترح على كل صوت غُنِّيَ به فى شعره ، ويقول: غننى به ، فأغنيه وَيشرب ويبكى ، ثم صارت العتمة ، فقال لى : أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع، فجلست ، فأمر ابنه وغلامه، فكسرا كل ما كان بين أيدينا من النبيذ وآلات الملاهى ، ثم أمر باخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ وآلاته فما زال يكسره ويصب النبيذ ، وهو يبكى ، حتى لم يبق من ذلك شىء ، ثم نزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب بياض من الصوف ، ثم عانقنى وبكى ، وقال : عليك السلام يا حبيبي وفرحى من الناس كلهم ، سلام الفراق الذى لا لقاء بعده، وجعل يبكى ويقول : هذا آخر عهدك بى فى حال تعاشر أهل الدنيا ، فظننت أنها بعض حماقاته ، فانصرفت فما لقيته زماناً ، ثم تشوقته ، فأتيته فاستأذنت عليه ، فأذن لى فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل ، فلما رأيته نسيت ما كان عندى من الغم عليه والوحشة لعشرته وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط ، فقال لى : من أى شىء تضحك ؟

لا ضحكت ! فقلت : أسخن الله عينيك ! أى شىء هو ؟ مَنْ بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء ، أو الزُّهاد ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو المجانين؟ انزع عنك هذا ياسخين العين ، فكأنه استحيا منى ، ثم بلغنى عنه أنه جلس حجاماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحالة ، فلم أره ، ثم مرض فبلغنى أنه اشتهى أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إلى رسوله يقول : إن دخلت جَدَّدْتَ لى حزناً وتاقت نفسى إلى سماعك و إلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به .

وقيل لأبى العتاهية عند الموت : ما تشتهى ؟ فقال : أشتهى أن يجىء مخارق فيضع فمه على أذنى ثم يغنينى [من الطويل] :

ستعرضُ عن ودى وتنسى مودّتى ... ويحدثُ بعدى للخليل خليلُ

إذا ما انقضت عنى من الدهر مدّتى ... فانَّ غَنَاء الباكيات قليلُ

وحدَّث محمد بن أبى العتاهية قال : آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه [من الوافر] :

إلهى لا تعذبنى فإنى ... مقرٌّ بالذى قد كانَ منى

فما لىَ حيلةٌ إلا رجائى ... لعفوكَ إن عفوت وحُسْنَ ظنى

وكم مِنْ زَلَّةٍ لى فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذو فضل ومَنٍّ

إذا فكرتُ فى نَدَمى عليها ... عضضتُ أناملى وقَرَعْتُ سنى

أُجنُّ بزهرة الدنيا جنوناً ... وأقطعُ طولَ عمرى بالتمنى

ولو أنِّى صدقتُ الزهدَ عنها ... قلبتُ لأهلها ظهرَ المجنِّ

يظنُّ الناسُ بى خيراً و إنى ... لَشَرُّ الناس إن لم تعف عنى

ومحاسنه كثيرة .

وكان الأصمعى يستحسن قوله [من مجزوء الرمل] :

أنتَ ما استغنيتَ عن صا حبِكَ الدهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليه ساعةً مَجَّكَ فُوهُ

وحدّث ابن الأنبارى أبو بكر ، قال : أرسلَتْ زُبَيْدَةُ أم الأمين إلى أبى العتاهية أن يقول على لسانها أبياتا بعد قتل الأمين يستعطف بها المأمون، فأرسل إليها هذه الأبيات [من الطويل] :

ألا إنّ صرف الدهر يُدْنِى ويُبْعِدُ ويُمْتِعُ بالألاّف طوراً ويفقدُ
أصابت بريبِ الدهر منّى يدى يدِى فسلمتُ للأقدار وَاللهَ أحمدُ
وقلتُ لريب الدّهر: إنْ هلكتْ يدٌ فقد بقيت والحمدُ لله لى يدُ
إذَا بقى المأمونُ لى فالرّشيدُ لى ولى جعفرٌ لم يفتقد ومحمدُ

قال : فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها ، فقيل له : أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعطف على زبيدة ، وزاد فى تكرمتها ، وقضى حوائجها جميعاً .

وحدث عمر بن أبى شيبة قال : مرَّ عابدٌ براهب فى صومعة ، فقال له : عِظْنِى ، قال : أعظك وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ؟ قلت : نعم ، قال : فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبى العتاهية حيث يقول [من الطويل] :

تجرّد من الدُّنيا فإنَّكَ إنما وقعْتَ إلى الدنيا وأنتَ مجرّدُ

ومن شعر أبى العتاهية قوله [من الكامل] :

بادر إلى اللذّات يوماً أمكنت بحلولهنّ بوادر الآفاتِ(١)
كم من مؤَخِّرِ لذةٍ قد أمكنتْ لغدٍ وليس غدٌ له بِمُوَاتِ
حتى إذا فاتت وفاتَ طلابها ذهبت عليها نفسهُ حسرَاتِ

(١) فى الديوان (٤٩) « بادر إلى الغايات يوما أمكنت » وليس بشىء

تأتى المكارهُ حين تأتى جملةً ... وأرى السرور يجىء فى الفلتاتِ

ومنه قول بعضهم [من الخفيف] :

أىُّ شىء يكونُ أعجبَ أمراً ... إن تنكرتَ من صروف الزمانِ

عارضاتُ السُّرور توزنُ فيه ... والبلايا تُكالُ بالقُفْزانِ

ومن شعره أيضا قوله [من الكامل] :

وإذا انقضى هَمُّ امرىء فقد انقضى ... إنّ الهمومَ أشدُّهنّ الأحدثُ

ويومئ إلى هذا المعنى قوله أيضا ، وهو عجيب فى معناه [من الخفيف] :

إنما أنتَ طولَ عمركَ ما عمرتَ فى الساعة التى أنتَ فيها

ومن هذا قول من قال [من الرمل] :

وكما تبلىَ وُجوهٌ فى الثرَى ... فكذا يبلى َعليهنّ الحَزَنْ

ومن شعره أيضا قوله [من البسيط] :

كأنّ عائبكم يُبْدِى محاسنكمْ ... منكم فيمدحكمْ عندى فيغرينى

إنى لأعجبُ من حبّ يقرّبنى ... مِمّا يباعدنى عنهُ ويقْصِينى

ومثل الأول قول عروة بن أذينة [من السريع] :

كأنما عائبها جاهداً ... زَيّنَهَا عندى بتزيينِ

وكذا قول أبى نُوَاس [من السريع] :

كأنهم أثنَوْا ولم يعلَمُوا ... عليكَ عندى بالذى عابُوا

وقال أبو العتاهية لابنته رقية فى علته التى مات فيها : قومى يا بنية ، فارثى أباك واندبيه بهذه الأبيات ، فقامت ، فندبته بقوله [من الكامل] :

لعبَ البلاَ بمعالمى ورسومى ... وقُبِرْتُ حياً تحتَ رَدمِ همومى

لزمَ البلاَ جسمى فأوهى قوّتى ... إنّ البلاَ لموكّلٌ بلزومى

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ، ووفاته فى يوم الاثنين ، لثمان من جمادى الأولى ، وقيل : لثلاث من جمادى الآخرة ، سنة إحدى عشرة ومائتين، وقيل: سنة ثلاث عشرة ، ودفن حيال قنطرة الزياتين فى الجانب الغربى ببغداد ، وأمَرَ أن يكتب على قبره [من الخفيف] :

إنَّ عيشاً يكونُ آخرُهُ المو ت لَعَيشٌ معجَّلُ التنغيصِ

وقيل : أوصى أن يكتب عليه [من مجزوء الخفيف] :

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعِي واسمعى ثم عِى وَعِى
أنا رهنٌ بمضجعى فاحذروا مثل مَصْرَعِى
عشت تسعين حِجَّةً اسلمَتْنِي لمضجعى
كم ترى الحى ثابتاً فى ديار التزعزُعِ
ليس زادٌ سوى التقى فخذى منه أو دَعِى

ولما مات رثاه ابنه محمد فقال [من مجزوء الخفيف] :

يا أبى ضَمَّكَ الثرى وطوى الموتُ أجمعَكْ
ليتنى متُّ يوم صرْ ت إلى حفرة معك
رحم الله مصرعك بَرَّدَ الله مضجعك

* * *

شاهد التفريق

١٣٦ — ما نوالُ الغمام وَقْتَ رَبِيعٍ كنوالِ الأمير يوم سخاءِ
فنوالُ الأمير بدْرَةُ عَيْنٍ ونوالُ الغمام قَطْرَةُ ماءِ

البيتان لرشيد الدين الوَطْوَاط الشاعر، من الخفيف

والنوال : العطاء، والبدرة : كيس فيه ألف دينار ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار ، والعين هنا: المال

والشاهد فيهما : التفريق، وهو: إيقاع تباين بين أمرين من نوع فى المدح أو فى غيره ، فمن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

من أمثلة التفريق

حسبتُ جمالَهُ بدراً منيراً وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر [من مخلع البسيط] :

قاسوكَ بالغصن فى التَّثَنِّى قياسَ جهلٍ بلا انتصاف
هذاك غصن الخلاف يُدْعَى وأنت غصن بلا خلاف

وما أحسن قول الموصلى مع تسمية النوع [من البسيط] :

قالوا هو البحر والتفريق بينهما إذ ذاكَ غَمٌّ وهـذا فارق الغُمَمِ

وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما ، فللوأواء الدمشق [من المنسرح] :

مَنْ قاس جَدْوَاكَ بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت إذا جُدْتَ ضاحك أبداً وهو إذا جاد باكى العين

ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جداً [من المجتث] :

من قاس جَدْوَاكَ يوماً بالسُّحْب أخطأ مدحك
السحبُ تعطى وتبكى وأنت تعطى وتضحك

21

ولأبى الفتح البُسْتِى وأجاد [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا مَنْ جُودُهُ أوْفَى على الغيثِ المُطِيرِ إذا هَمَى
الغيثُ يعطى باكيا متجهِّماً وتراكَ تعطى ناضراً متبسما

ومثله لأبى منصور البوشنجى [من الوافر] :

وذلكَ ضاحكٌ أبداً بجودٍ وَجودكَ ليس يمطرُ غيرَ باكى

وقول الأديب يعقوب النيسابورى ، فى الأمير أبى الفضل الميكالى ، [من الطويل] :

رأيتُ عُبيدَ الله يضحكُ معطياً ويبكي أخوهُ الغيثُ عندعطائهِ

وكم بين ضَحَّاكٍ يجُودُ بمالهِ وآخَرَ بكَّاءٍ يَجودُ بمائهِ

ولشرفِ الدين السنجارى فى معناه [من الكامل] :

ماقستُ بالغيث العطايا منكَ إذ يبكي وتضحكُ أنت إذ تُولى النّدَا

وإذا أفاض على البرية جودُهُ ماءً تفيضُ لنا يمينك عسجداً

وما أبدع قول البديع الهمذانى ، مع زيادة المعنى ، والمبالغة فى الغلوّ [من البسيط] :

يكادُ يحكيكَ صوبُ الغيث منسكباً لو كان طَلْقَ المحيَّا يمطرُ الذهبَا

والدهرُ لولم يخنْ والشمسُ لونطقتْ والليثُ لولم يُصَدْ والبحرُ لوعذُبَا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك [من الطويل] :

يقولونَ إنّ المزن يحكيك صوبهُ مجاملةً ها قد شهدت وَغابَا

وكم عزمةٍ عمّ البريةَ بؤسها فهل ناب فيها عن نداكَ مَنابَا

همتْ ذهبا فيها يداكَ عليهمُ وضنت يداه أن ترشّ ذهابَا

وقول ابن اللبانة فى المعتمد على الله بن عباد [من الطويل] :

سألتُ أخاهُ البحر عنهُ فقال لِي شقيقِيَ إلا أنه الباردُ العذبُ

لنا ديمتَا ماء ومال ، فديمتى تمَاسَكُ أحياناً وديمتُهُ سَكْبُ

إذا نشأت بَرِّية فلهُ الندَى وإن نشأتْ بحرية فلى السحبُ

وينظر إلى معانى ما مر ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم [من الخفيف] :

يا عيونَ السماء دمعُكِ يفنى عن قريب وما لدمعى فناءُ

أنا أبكي طوعاً وتبكين كرهاً ودموعى دماً ودمعك ماءُ

ولم أقف على ترجمة الوطواط [١] الشاعر ، لكن رأيت ابن فضل الله ذكره في المسالك في معرض تراجم فأثبتُّ ما رأيته ، قال في ترجمة الشمس بن دانيال إنه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الأدباء، و يدب بين الأحباء، فعرضت للوطواط رمدة تكدر بها صفيحه ، وتكنى له فيها صريحه ، فقيل له : لو طلبت ابن دانيال ، فقال : ذاك لا يسمح بذرة، يعنى من كحله . فبلغ ابن دانيال فقال في ذلك [من الطويل] :

ولم أقطع الوطواط بُخْلاً بِكَحْلِهِ ... ولا أنا من يعييه يوماً تردد

ولكنه ينبو عن الشمس طرفه ... فكيف به لى قدرة وهو أرمد

وقال في ترجمة شافع بن على بن عباس الكاتب، ومن قوله في الوطواط الشاعر [من الخفيف] :

كم على درهم يلوح حراماً ... يالئيم الطباع سرًّا تواطى

دائما فى الظلام تمشى مع النا ... س، وهذى عوائد الوطواط

وقوله فيه [من السريع] :

قالوا نرى الوطواط في شدة ... من تعب الكد ومن ويل

فقلت هذا دأبه دائما ... يسعى من الليل إلى الليل

ثم إنى رأيت المرحوم الجلال السيوطى ذكره فى طبقات النحاة ، فقال : محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

---

(١) اقرأ خبرا عن الرشيد الوطواط فى معجم الأدباء لياقوت (١ ـ ١٠٣ مصر) واقرأ له ترجمة فى المعجم أيضا (١٩ : ٢٩-٣٦) وعنها نقل السيوطى ما ذكره المؤلف عنه فيما بعد

المعروف بالرشيد الوطواط(١) قال ياقوت : كان من نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضل أهل زمانه فى النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار فى الآفاق صيته ، وسار فى الأقاليم ذكره ، وكان ينشىء فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من آخر ، ويمليهما معا ، وله من التصانيف «حدائق السحر، فى دقائق الشعر » أسفاره رسالة بالعربى ورسالة بالفارسى ، وغير ذلك ، مولده ببلخ ، ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

فتبين بهذا أن الذى ذكرناه أولا ليس هو

ومن رسائله ما كتبه إلى العلامة جار الله الزمخشرى ، ليستأذنه فى حضور مجلسه والاستفادات من سؤالاته [من الطويل] :

لقد حاز جار الله دام جماله   فضائل فيها لا يشق غُبَاره
تجدد دَرسم الفضل بعد اندراسه   بأيام جار الله فالله جاره (٢)

أنا منذ لفظتنى الأقدار من أوطانى ، ومعاهد أهلى وجيرانى ، إلى هذه الخطة التى هى اليوم بمكان جار الله ، أدام الله جماله جَنَّة للكرام ، وجُنَّة من نكبات الأيام ، كانت قصوى منيتى ، وقصارى بغيتى ، أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التى هى مجثم السيادة (٣) ومقَبَّلُ أفواه السادة ، فمن ألقى بها عصاه ، حاز فى الدارين مناه ، ونال فى المحلين مبتغاه ، ولكن سوء التقصير ، أو مانع التقدير ، حرمنى (٤) مدةً تلك الخدمة ، وحرم تلك النعمة ، والآن أظن وظن المؤمن لا يخطىء أن آفل جَدِّى هَمَّ بالاشراق ، وذابل إيراق

(١) فى معجم الأدباء « رشيد الدين المعروف بالوطواط »
(٢) فى المعجم « بآثار جار الله »
(٣) فى المعجم «مخيم السيادة » وكلاهما صحيح له وجه .
(٤) هذه الكلمة لا توجد فى المعجم .

محرك للايراق (١)، فقد أجد فى نفسى نورا مجددا يهدينى إلى جنته ، ومن شوق داعيا موفقا يدعونى إلى عتبته ، ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة (٢) أنِ اخلع نعلك ، واطرح بالواد المقدس رحلك ، ولا تحفل بقصد قاصد (٣) ، وحسد حاسد ، فان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب فى فوائده ، وأكرم من أن تستثقل (٤) وطأة طالب لعوائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر عن مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف ، فان فى ذلك شرفاً لى يدوم مدى الدهر والأيام ، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان مَنْ يُوثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته ، من المنخرطين فى سلك خدمته ، والراتعين فى رياض نعمته ، ورأيُهُ فى ذلك أعلى وأصوب .

وكتب إليه يهنئه بالعيد : الأعياد ــ عرّفَ الله سيدنا جار الله بركة قدومها وورودها ، وجعل له الحظ الأكمل والقسط الأجزل من ميامنها وسعودها ! ــ فوائدُ قلائدِ الأيام ، وغرر جبهات الأعوام ، لكنها راحلة لا تقوم ، وزائلة لا تدوم ، ولقاء جار الله ــ أدام الله مجده لنا معشر خدمه ، والمرتضعين دَرّ فضله وكرمه ــ عيدٌ لا زال العيد له كتصحيفه (٥) باقية محاسنه ، دائمة ميامنه ، يهدى كل ساعة إلى أبصارنا نوراً ، وإلى أرواحنا راحة وسروراً ، فكيف نهنىء عيداً هذه حاله ، بعيد لا يؤمن زواله [من الطويل] :

---

(١) الذى فى المعجم « وذابل إقبالى أقبل على الايراق »
(٢) فى المعجم « لسان الهيبة »
(٣) فى المعجم « ولا تحفل بحقد حاقد »
(٤) فى الأصول « وأكرم من أن تستثقل من وطأة » وما أثبتناه موافق لما فى معجم ياقوت
(٥) يريد لازال العيد له عبدا .

أتى العيدُ جارَ الله وهو مجدّدٌ بخدمته عهدَ المهيمن تجديداً
فلستُ بعيدٍ لا يدومُ مهنئاً لصدر محياه يدومُ لنا عيداً

* * *

شاهد التقسيم

١٢٧ — ولا يقيمُ على ضَيْمٍ يرادُ بهِ
إلا الأذلاّنِ عَيْرُ الحي والوَتِدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمّتِهِ وذَا يُشجُّ فلا يَرْثِي له أحدُ

البيتان من البسيط ، وقائلهما المتلمس من أبيات(١) ، وهى :

إنّ الهوَانَ حمارُ الأهل يعرفهُ والحر ينكرهُ والرسلة الأجُدُ(٢)
كونُوا كَسَامَةَ إذ ضنك منازلهُ إذ قيل جيشٌ وجيشٌ حافظٌ عتدُ(٣)
شدّ المطية بالأنْسَاعِ فانْحَرَفَتْ عَرضَ التَّنُوفَةِ حتى مسها النَّجَدُ(٤)
كونوا كبكر كما قد كان أولكم ولا تكونوا كعبدالقيس إذ قعدُوا
يُعْطُونَ ماسئلوا والبحرُ محتدُهم كما أكبّ على ذى بَطْنِهِ الفهدُ(٥)

---

(١) اقرأ هذه الأبيات مع أبيات أخرى فى شعراء النصرانية (٣٤٣) .
(٢) فى شعراء النصرانية « حمار القوم يعرفه » ومعنى يعرفه : يصبر له ويقبله . والرسلة : الناقة السهلة السير ، والأجد : الموثقة الخلق من النوق .
(٣) فى المرجع المذكور « إذ شعف منازله » وفيه « وجيش حافظ رصد » .
(٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو ما يشد به رحل البعير ، وانحرفت : أسرعت فى سيرها . والتنوفة : الفلاة ، والنجد : العرق والكرب .
(٥) فى المرجع المذكور « والخط منزلهم » مكان « والبحر محتدهم » والخط : مرفأ تنسب إليه الرماح فيقال لها : الخطية ، وهو من منازل عبد القيس .

وبعده البيتان ، وبعدهما قوله :

وفى البلاد إذا ما خِفْتَ ثائرة ... مشهودة عن وُلاة السوء تنتقدُ(١)

والضيم : الظلم ، والعير ، بفتح المهملة : الحمار ، وغلب على الوحشى ، والمناسب هنا : الأهلى ، والخَسْفُ : النقيصة ، والاذلال : تحميل الانسان ما يكره ، وحبس الدابة بلا علف ، والرمة — بضم الراء ، وتكسر — قطعة من حبل ، والشج : الكسر والدق ، والاستثناء فى « إلا الأذلان » استثناء مُفَرَّغ وقد أسند إليه فعل الاقامة فى الظاهر ، وإن كانَ مسندا فى الحقيقة إلى العام المحذوف .

والشاهد فيهما : التقسيم ، وهو : ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكلٍّ إليه على التعيين ، فانه ذكر العير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ، وإلى الثانى الشج ، على التعيين

من أمثلة التقسيم

ومما ورد فى التقسيم قول زهير بن أبى سلمى السابق فى شواهد الايجاز والاطناب [من الطويل] :

وأعلم علم اليومِ والأمْس قبلهُ ... ولكننى عن علم ما فى غَدٍ عَمِى

وقد نقل أبو نُوَاس هذا التقسيم من الجد إلى الهزل فقال [من المنسرح] :

أمرُ غدٍ أنتَ منهُ فى لَبْسِ ... وأمس قد فاتَ فالهُ عن أمْسِ

وإنما الشأنُ شأنُ يومكَ ذَا ... فبَاكِرِ الشمس بابنةِ الشمسِ

وقد نقله بعضهم أيضا ، فقال [من الطويل] :

تمتع من الدنيا بِساعتكَ التى ... ظفرتَ بها مالم تَعُقْكَ العوائقُ

(١) فى المرجع المذكور :

وفى البلاد إذا ما خفت نائرة ... مشهورة عن ولاة السوء مبتعد

فلا يومكَ الماضي عليكَ بعائدٍ ولا يومكَ الآتي به أنت واثقُ

ومن التقسيم قول بشار بن برد [من الطويل] :

وراحوا فريقٌ في الإسارِ ، ومثلهُ قتيلٌ ، ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ

ومثله قول الصفي الحلي [من البسيط] :

أفني جيوش العدا غزواً فلست ترى سوى قتيلٍ ومأسورٍ ومنهزمِ

وهو مأخوذ من قول عمر بن الأيهم [من الخفيف] :

اشربا ما شربتما فَهُذَيلٌ من قتيلٍ أو هاربٍ أو أسيرِ

ومنه ، وزعم قومٌ أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم ، قولُ نصيب [من الطويل] :

فقالَ فريقُ القوم : لا ، وفريقهم نعم ، وفريقٌ أيمنُ الله ما ندرى

وزعم أبو العيناء أن خير تقسيم قول عمر بن أبي ربيعة [من الطويل] :

تهيمُ إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ولا الحبلُ موصولٌ ، ولا القلبُ مُقْصِرُ

ولا قربُ نعم إن دَنت لكَ نافعٌ ولا نأيها يُسْلِي ولا أنت تصبرُ

واختار آخرون قول الحاركي ، وقالوا : إنه أفضل [من الطويل] :

فلا كمدي يفنى ولا لكِ رقةٌ ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطمعُ

وبديع قول الأمير السلماني [من الطويل] :

وصلتَ فلما أن ملَكْتَ حشاشتي هجرت فجُد وارحم فقد مسني الضرُّ

فليت الذي قد كان لي منكَ لم يكنْ وليتكَ لا وصلٌ لديكَ ولا هجرُ

فلا عبرَتي ترقا ولا فيكَ رقة ولا منك إلمام ولا عنكَ لي صبرُ

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهابُ محمود حيث قال [من المتقارب] :

وإني لفي نظري نحوهَا وقد ودّعتني قُبَيْلَ الفراقِ

ولا صبرَ لي فأطيقَ الهوى ولا طمعٌ إن نأت في اللحاق

ولا أملٌ يرتَجى فى الرجوع   ولاحكم فى ردّ تلك النياقِ
كمُضْنًى يودّع رُوحاً غدت   يَراها على رغمه فى السِّياقِ

ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم [من السريع] :

فى باعه طولٌ ، وفى وجههِ   نورٌ، وفى العِرْنينِ منهُ شَمْ

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم فى الشعر وكان معجبا بقول العباس ابنِ الأحنف [من الطويل] :

وصالكم صرمٌ، وحبكم قِلًى،   وعطفكم صدّ، وسلمكم حربُ

وَ يقول: أحسن والله فيما قسم حيث جعل حيال كل شىء ضده ، والله إن هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس.

ومن جيد التقسيم قول أبى تمام [من الطويل] :

فما هو إلاّ الوحى أوحدٌ مرهَفٍ   تميلُ ظُبَاهُ الحدَّ عن كل مائلِ
فهذا دواء الداء من كل عالِمٍ   وهذا دواء الداء من كل جاهلِ

وذكر الجاحظ أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس ، فقال : من كان فى يده من مال عبدالله بن حازم شىء فلينبذه، وإن كان فى فمه فليلفظه، وإن كان فى صدره فلينفثه ، قال : فعجب الناس من حسن مافَصَّلَ وقَسَّم .

و وقف أعرابى على حلقة الحسن ، فقال : رحم الله من تصدق من سعة، أو واسى من كفاف، أو آثر من قوت .

ولقد أجاد ابن حَيُّوس فى التقسيم بقوله [من الطويل] :

ثمانيةٌ لم تَفْتَرِق مُذْ جمعتها   فلا افترقت ماذبَّ عن ناظرٍ شَفْرُ
ضَميرُكَ والتقوى، وكفك والندى،   ولفظك والمعنى ، وسيفك والنصرُ

وما أحسن قول أبى ربيعة المخزومى[1] [من الطويل] :

وهَبْهَا كشىء لم يكن أو كنازح   عَنِ الدار أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المقابرُ

(١) كذا

وعجيبٌ هنا قول أبي تمام في مجوسي أحرق في النار [من الكامل] :

صَلَّى لها حيًّا ، وكان وقودَها ميتاً ، ويدخلها مع الفجّارِ

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل] :

يقولون لي صِفْهَا فأنتَ بوصفها خبيرٌ ، أجل عندي بأوصافها علمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطْفٌ ولا هوًى ونورٌ ولا نارٌ ، وروحٌ ولا جسمُ

وقول محمد بن دراج القسطلي وأجاد [من الطويل] :

عطاءٌ بلا منٍّ ، وحكمٌ بلا هوًى وملك بلا كبرٍ ، وعزٌّ بلا عُجْبِ

وقول الآخر أيضاً [من الطويل] :

بَني جعفرٍ أنتم سماء رياسةٍ مناقبكمْ في أُفقها أنجمٌ زهرُ
طريقتكمْ مثلى ، وهديكمُ رضًى ومذهبكم قصدٌ ، ونائلكم غَمْرُ
عطاءٌ ولا منٌّ ، وحكمٌ ولا هوًى ، وحلمٌ ولا عجزٌ ، وعزٌّ ولا كبرُ

وبديعٌ قول بعضهم أيضا [من البسيط] :

قوسٌ ولا وترٌ ، سهمٌ ولا قودٌ عينٌ ولا نظرٌ ، نحلٌ ولا عسلُ

وقول بعضهم أيضاً [من الطويل] :

تسربلَ وَشْياً من خزوزٍ تطرّزتْ مطارفها طرزاً من البرق كالتبرِ
فوشْيٌ بلا رقمٍ ، ورقمٌ بلا يدٍ ، ودمعٌ بلا عينٍ ، وضحكٌ بلا ثغرِ

وقول الرستمي [من الطويل] :

فتىً حازَ رقَّ المجدِ من كل جانبٍ إليه وخلّى كاهلَ الشكرِ ذا ثقْلِ
بعفوٍ بلا كدٍّ ، وصفوٍ بلا قذًى ونقدٍ بلا وعدٍ ، ووعدٍ بلا مَطْلِ

وما أشرف قول ابن شرف [من الطويل] :

لمختلفِ الحاجاتِ جمعٌ ببابهِ فهذا له فنٌّ وهذا له فنُّ
فللخاملِ العلياءُ ، وللمعدمِ الغنى وللمذنبِ العتبى ، وللخائفِ الأمنُ

وقول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نرجو سُلُوّا فى رسُوم بَيْنِها الأغصانُ سكْرَى والحمامُ متيَّمُ
هذِى تميل إذا تَنَسَّمَتِ الصبا والوُرقُ تذكرُ شجوَها فترنَّمُ

ولابن جابر الأندلسى [من المتقارب] :

لقد عطَفَتنى على حبِّها بوجْهٍ تبدَّى على عطفِهِ
فهذا هو البدرُ فى أفْقِهِ وهذا هو الغُصْنُ فى حِقْفِهِ

ولأبى الحسين الجزار [من الوافر] :

وزيرٌ ما تقَلّدَ قطُّ وزْراً ولا داناهُ فى مَثْوًى أثامُ
وجُلُّ فِعالِهِ صادَاتُ برّ صِلاتٌ أو صَلاةٌ أو صيامُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب]:

لنا مَلِكٌ واجدٌ ما اشتهَى ولكنَّهُ لم يجِدْ مثلَهُ
ملاذى به ومثولى لديهِ ومَيْلى إليهِ ومَدْحى لهُ

ومثله قول بعضهم مجوناً [من الخفيف]:

وبديعُ الجمالِ مُعْتَدِلُ القَا مَةِ كالغصنِ حنَّ قلبي إليهِ
أشتهى أن يكونَ عندى وفى بيْـتى وبَعْضى فيهِ وكلِّى علَيهِ

ومن المضحك فيه قول السراج الوراق [من مجزوء الوافر] :

رأتْ حالى وقَدْ حالَتْ وقد غال الصِّبَا فَوْتُ
فقَالَتْ إذ تَشاجَرْنا ولم يُخْفَضْ لنا صَوْتُ
أشيخ مفلسٌ يهْوَى ويَعْشَقُ فاتكَ الفَوْتُ
فلا خيرٌ ولا ميرٌ ولا إيرٌ فذا مَوْتُ

ولطيف قول بعضهم [من الطويل] :

وفى أربع منى حلّتْ منكَ أربعٌ فما منهُ أدرى أيُّها هاجَ لى كربى

أوجهُكَ فى عينى أم الرِّيقُ فى فمى أم النطقُ فى سمعى أم الحُبُّ فى قلبى

وقد سمع يعقوب بن إسحاق الكندى هذا فقال : هو تقسيم فلسفى

وقد أخذه الحمانى العلوى فجعله خمسة فقال [من الطويل] :

وفى خمسةٍ منى حلّتْ منك خمسةٌ فريقكَ منها فى فمى طيِّبُ الرَّشْفِ

ووجهكَ فى عينى ولمسكَ فى يدى ونُطقكَ فى سمعى وعَرْفُكَ فى أنفى

ترجمة المتلمس

والمتلمس [١] اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى [٢] ، وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم ، وهم المتلمس ، والمسيب بن علَس وحصين بن الحمام ، ولقب بالمتلمس لقوله [من الطويل] :

وذاكَ أوانُ العِرض طَنَّ ذبابُهُ زنابيرُهُ والأزرق المتلمسُ [٣]

وكان هو وطَرَفَة بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيء الخلق شديده ، وكان قد حرق من تميم مائة رجل فهَجَوْه وكان مما هجاه به المتلمس قوله [من الكامل] :

إن الخيانَةَ والمغَالَةَ والخنا والغَدْرَ نترُكه ببلَدَةِ مُفْسِدِ [٤]

---

(١) تجد للمتلمس ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٥—٨٨) وفى الأغانى (٢١ : ١٢٠—١٣٧) وفى شعراء النصرانية (٣٣٠)

(٢) فى الأصول « الضبيعى » وهو تحريف ما أثبتناه ، وهو أحد بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار

(٣) العرض : الوادى . ويروى « جن ذبابه » ويروى «حن ذبابه» وعنى بالأزرق المتلمس الذباب الأخضر ، وأصله من قولهم : تلمس فلان الحاجة ، إذا طلبها سرا، وكانه يبحث عنها بيده فيلمسها

(٤) فى الأصول « إن الخيانة والمقالة » وهو تحريف ما أثبتناه ، والمغالة — بالغين المعجمة — الغيلة ، وهى القتل خفية

ملكٌ يلاعبُ أمهُ وقَطِينَهَا رِخْوُ المفاصلِ بطنُهُ كالمزْوَدِ
فاذا حلَلتُ فَدُونَ بيتى غَارةٌ فابرُقْ بأرْضِكَ مابدالكَ وارْعَدِ (١)

وهجاه طرفة بما تقدم فى ترجمته فى شاهد التكميل ، فاستحيا أن يقتلهما بحضرته و بينه و بينهما إدلال المنادمة ، فكتب لهما صحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما ، وهو أول من ختم الكتاب ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملى بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بالجوائز ، فذهبا فمرا فى طريقهما بشيخ يُحْدِث و يأكل من خبز بيده و يتناول القمل من ثيابه فيقصعه ، فقال المتلمس : ما رأيت شيخاً كاليوم أحمق من هذا ، فقال الشيخ : ما رأيت من حمقى ، أُخرج الداء، وأدخل الدواء ، وأقتل الأعداء ، ويروى : أطرح خبيثاً، وأدخل طيباً ، وأقتل عدوا ، أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده ، فاستراب المتلمس بقوله ، فطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففك حينئذ الصحيفة فاذا فيها « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك فان فيها مثل هذا ، فقال طرفة : كلا لم يكن ليجترىء على ، وكان غرا صغير السن ، فقذف المتلمس بصحيفته فى نهر الحيرة وقال [من الطويل]:

قَذَفْتُ بها بالثنى من جَنْبِ كافرٍ كذلك أقنى كلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ (٢)

---

(١) وقع فى شعراء النصرانية (فدون بيتى غاوة) بالواو ، وفسرها بأنها قرية قرب حلب.

(٢) الثنى : منعطف النهر ، وكافر : اسم لنهر الحيرة ، وأقنى ــ بضم همزة المضارعة ــ بمعنى أحفظ ، والقط ــ بكسر القاف ــ الكتاب ، وكأنه يقول: لا أحفظ الكتاب الذى يضللنى إلا بقذفه فى النهر ، ويروى « أقنو » بفتح همزة المضارعة ، وروى « كذلك ألقى »

رضيتُ بها لمـا رأيتُ مدادها يجولُ به التيّارُ فى كل جَدْوَلِ

وأخذ نحو الشام وقال : (١) [من الكامل] :

ألقَى الصحيفةَ كى يخفِّفَ رحلَهُ والزّادَ حتى نعلَهُ ألقاها

يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لا بد للسفر منه .

وأما طرفة فانه وصل إلى البحرين وقتل كما مر فى ترجمته ، وهلك المتلمس فى الجاهلية ، وقال ابن فضل الله فى حقه : هو رجل نبيه الذكر ، معروف بصحة الفكر ، وهو الذى يضرب المثل بصحيفته ، ومن شعره [من الطويل] :

ألم تَرَ أن المرءَ رَهْنُ منيةٍ صَرِيعاً لعافى الطّيرِ أو سَوْفَ يرْمَسُ

فلا تقبلَنْ ضَيماً حِذارَ منيةٍ ومُوتَنْ بها حُرًّا وجلدُكَ أملسُ(٢)

فمن حذر الأوتار ما حزّ أنفهُ قصيرٌ وخاضَ الموْتَ بالسيف بيهسُ

وما الناس إلا ما رأوْا وتحدثوا وما العجز إلا أن يُضَاموا فيجلسوا

فان تقْبِلوا بالود نقْبِلْ بمثله وإلاّ فانا نحن آبَى وأشمسُ

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

تعيرنى أمى رجال ولا أرى أخا كَرَمٍ إلا بأن يتَكرّما(٣)

---

(١) المعروف عند النحاة أن هذا البيت من كلام أبى مروان النحوى يقوله فى قصة المتلمس .

(٢) يروى « مخافة ميتة » فى مكان « حذار منية » ووقع فى الأصول «وموتن بها واحيا » وهو تحريف رواية أخرى وصوا بها «واحين» أمر من الحياة مؤكد بالنون الخفيفة فياؤه مفتوحة .

(٣) فى الأصول « تعيرنى أمى رجالا » وهو تحريف مفسد للمعنى ، فان مقصوده أن يقول : يعيرنى بأمى رجال .

أحارِثُ إنَّا لو تُسَاطُ دماؤُنا تزَيَّلْنَ حتى لا يمسَّ دمٌ دما(١)
لذى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الانسانُ إلا ليعلَمَا
وما كُنتُ إلا مثلَ قاطع كفهِ بكَفٍّ له أخرى فأصبح أجْذَمَا
يَدَاهُ أصابَتْ هذه حتْفَ هذه فلم تجدِ الأخرى عليها مقَدَّما
فأطْرَقَ إطراقَ الشُّجاع ولو يرى مسَاغاً لنابيهِ الشُّجاعُ لصمما(٢)
إذا ما أديمُ القومِ أنهَجَهُ البِلَى تفرَّى وإن كَتَّبْتَهُ وتخرما

ومما يتمثل به من شعره قوله [من الوافر] :

وأعلم عِلم حقٍّ غير ظنٍّ لَتقوَى الله مِنْ خير العَتادِ
وَحِفظُ المالِ خيرٌ مِن ضَيَاع وضَرْبٍ فى البِلَاد بغير زادِ
وإصلاَحُ القَليلِ يَزِيدُ فيهِ ولاَ يبقى الكثيرُ مَعَ الفَسَادِ(٣)

وهذه الأبيات من قصيدة له مطلعها :

صبَا من بَعدِ سلوتهِ فؤادى وأسمَحَ للقَرينـةِ بالقيادِ

وقد ضمنه بعضهم فى الهجاء فقال [من الوافر] :

يُحصِّنُ زادهُ عن كلِّ ضِرْس ويُعملُ ضِرسَهُ فى كلِّ زاد
ولا يَرْوى منَ الأشعارِ شيئا سِوى بيتٍ لأبْرَهة الإِيادى
قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ معَ الفَساد

---

(١) فى الأصول «لو تساقط» وهو تحريف ما أثبتناه ، وتساط ــ بالسين مهملة ــ أى تخلط ، ويقع فى بعض الأمهات « تشاط » بالشين معجمة ــ ومعناه تهدر ، وتزيلن : أى تميزن وانفصل دمى عن دمك لأن دم الملوك لا يختلط بدم السوقة ، ويروى « تزايلن » وهى بمعنى تزيلن

(٢) يروى النحاة هذا البيت « ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما » .

(٣) يروى صدر هذا البيت « قليل المال تصلحه فيبقى » كما سيقول المؤلف بعد .

وشطر هذا البيت رواية فى شطر البيت السابق ، وأخذه ابن وكيع فقال [من مجزوء الكامل] :

مالٌ يُخلِّفُهُ الفتى ... للشامتينَ منَ العِدَا

خيرٌ له مِنْ قَصْدِه ... إخوانهُ مُسْتَرْفدا

ويقال : إن حاتما الطائى لما سمع قول المتلمس هذا قال : ماله قطع الله لسانه يحمل الناس على البخل والتباخل ، ألا كان يقول [من الطويل]:

وما البذْلُ يُفنى المالَ قبلَ فنائِه ... ولاالبُخْلُ فى مال الشحيح يَزيدُ

فلاَ تلتَمِسْ فَقْراً بِعيْشٍ فإنهُ ... لكلٍّ غدٍ رزْقٌ يَعُودُ جديدُ

ألم تَدْرِ أنَّ المالَ غادٍ ورَائحٌ ... وأنَّ الّذِى يُعطيك لَيْسَ يبيدُ

انتهى .

وقد قال البلغاء فى معنى الأول : إن فى إصلاح مالك جمال وجهك ، وبقاء عزك ، ونقاء عِرضك ، وسلامة دينك ، وطيبَ عيشك ، و بناء مجدك ، فأصلحه إن أردت هذا كله ، وفى المثل « احفظ مافى الوعاء ، بشد الوكاء » يضرب فى الحث على أخذ الأمر بالحزم ، وقيل : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعِرض وقيل: التدبير يثمر التيسير ، والتبذير يبرد الكثير ، ولا جود مع تبذير ، ولا بخل مع اقتصاد ، والاعتدال فى الجود ، أحسن من الاعتداء على الموجود ، والرزق مقسوم محدود ، فمرزوق ومحدود(١) والله أعلم بالوجود

* * *

قدتم ــ بحمد الله تعالى وعونه ــ الجزء الثانى من « معاهد التنصيص » و يليه ــ إن شاء الله تعالى ــ الجزء الثالث ، مفتتحا بشواهد الجمع مع التفريق ، نسأله ــ سبحانه ــ الاعانة على إكماله ، والتوفيق إلى إتمامه .

---

(١) محدود الأول من الحد بمعنى تحديد الشىء بنهاية يقف عندها لا يتجاوزها ، ومحدود الثانى بمعنى الذى لاحظ له ولا بخت .


لا تنسونا من دعواتكم



الجزء الثالث والرابع

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
المتوفى في عام 963 هـ

حققه ، وعلق على حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد يحيي الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

مكتبة
الدكتور مروان العطية

معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى

المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيى الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الثالث

عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

شاهد الجمع مع التفريق

١٢٨ — فَوَجْهُكَ كالنّارِ في ضَوْئِها وَقَلْبِيَ كالنّار في حَرِّهَا

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من الخفيف

والشاهد فيه : الجمع مع التفريق ، وهو : إدخال شيئين في معنى ، والتفريق بين جهتي الادخال ، فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه في كونهما كالنار ، ثم فرق بينهما بأن جهة إدخال الوجه من جهة الضوء، و إدخال القلب من جهة الحرّ والاحراق ، وفي معناه قول بعضهم [من المتقارب] :

فكالنّارِ ضَوْءاً وكالنّار حرًّا مُحَيّا حبيبي وحُرْقَةُ بالي

فَذَلكَ مِنْ ضَوْئه في اختيالٍ . وهذا لحرقتِهِ في اختِلاَل

وقريب منه قول الصفي الحلي [من البسيط] :

سَناه كالنُّور يَجْلو كلّ مُظلمةٍ والبأْسُ كالنّار يُفني كلّ مُجْترم

ومما يُستشهد به على هذا النوع قولُ الفخر عيسى [من الطويل] :

تَشابهَ دمعَانا غَداةَ فِراقنا مُشابَهةً في قصّةٍ دُونَ قِصّة

فَوَجنتها تكْسُو المَدامع حُمْرَة ودمعي يَكْسُو حُمْرَةَ اللّونِ وجنتي

وقول مروان بن أبي حفصة [من الطويل] :

تَشَابهَ يوْماهُ علينا فأشكلا فمانَحْنُ ندري أيُّ يوميْه أفْضلُ

أيومُ نَدَاهُ الغمرُ أم يَوْمُ بؤسه وما مِنهُما إلا أغرُّ محجّل

وقول البحتري أيضاً [من الطويل] :

ولما التقينَا والنوى موْعدٌ لنا تعجَّبَ رائي الدُّر مِنَّا ولاقِطُهْ[١]

فمن لُؤلؤٍ تجلوهُ عِنْدَ ابتسامها ومن لؤلؤٍ عِندَ الحديث تُساقِطُهْ

وقول بعضهم أيضاً [من مجزوء الوافر] :

أرى قمرَين قَدْ طلعا عَلى غُصنين في نَسَقِ

وفي ثوْبين قد صُبغا صباغَ الخدّ والحدَق

(١) في الأصول «والتقى موعد لنا» محرفا ، ولعل أصله «والنقى» بالنون

فهذى الشمس فى شفق وهذا البدر فى غسق

وما أحسن قول على بن مليك فى هذا النوع [من السريع] :

بالروح أفدى صاحباً لم يزل محتقراً ذنبى فى عفوه
فكفه كالماء فى جوده وقلبه كالماء فى صفوه

وقد أحسن هنا ابن حجة فى تسمية النوع حيث قال [من البسيط] :

يمناه كالبرق إن أبدوا ظلام وغى والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

* * *

شاهد الجمع مع التقسيم

١٢٩ حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

البيتان لأبى الطيب المتنبي، من قصيدة من البسيط، يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ، أولها (١)

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا
أهل الحفيظة إلا أن تجربهم وفى التجارب بعد الغى ما يزع
وما الحياة ونفسى بعد ما علمت أن الحياة كما لا تشتهى طبع
ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع
أأطرح المجد عن كتفى وأطلبه وأترك الغيث فى غمدى وأنتجع
والمشرفية لا زالت مشرفة دواء كل كريم أو هى الوجع
وفارس الخيل من خفت فوقرها فى الدرب والدم فى أعطافها دفع
وأوجدته وما فى قلبه قلق وأغضبته وما فى لفظه قذع (٢)

(١) ارجع إليها فى الديوان (٢-٢٢١)

(٢) فى الأصول « وأغضبته ومافى قلبه فزع » وهو تحريف لا يتناسب مع ما انبنى عليه ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان، والقذع : الفحش والسب يعنى أنه إذا غضب لم يفحش لأنه حليم .

بالجيش يمتنع السادات كلهم ... والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع
قاد المقانب أقصى شربها نهل ... على الشكيم وأدنى سيرها سرع
لا يعتقى بلد مسراه عن بلد ... كالموت ليس له ري ولا شبع[1]

وبعده البيتان ، والقصيدة طويلة فريدة .

والأرباض : جمع ربض، بفتح الباء ، وهو سور المدينة، وخرشنة: بلد بالروم وهي التي تسمى الآن أماضية ، والبيع: جمع بيعة، بكسر الباء ، وهي معبد النصارى وإنما لم يقل « من نكحوا » أو « من ولدوا » ليوافق قوله « والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا » وللدلالة على إهانتهم وقلة المبالاة بهم ، حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه .

والشاهد فيهما : الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم ، فالأول كما في البيتين وهو ظاهر ، والثاني كما في البيتين الآتيين بعدهما، وهما:

***

من شواهد الجمع مع التقسيم

١٣٠ — قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع

البيتان لحسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، من قصيدة من البسيط قالها[2] حين قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب، وأرادوا المفاخرة بخطيبهم - وهو عطارد — وشاعرهم — وهو الزبرقان — في خبر طويل ، والقصيدة أولها :

---

(١) لا يعتقى : لا يعوق ، ووقع في بعض الأصول « لا يكتفي » وليس بشيء
(٢) ارجع إليها في الديوان (٢٤٨) وفي الأغاني (٤ - ٩ بولاق) وفيه الخبر الذي يشير اليه المؤلف .

إن الذَّوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بيَّنوا سنَّةً للناس تُتَّبع
يَرْضى بها كل من كانتْ سريرتهُ تقوى الاله وبالأمرالذى شَرَعوا

وبعده البيتان، وبعدهما :

لا يرْقعُ النّاس ماأوْهَتْ أكفُّهُمُ عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سَبْقٍ لأدنى سبقِهمْ تَبَعُ
أعفةٌ ذكرتْ فى الوحْى عفّتُهمْ لا يطبعون ولا يُزْرى بهم طَبَعُ
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهم ولا يمسُّهمُ من مطمعٍ طمع
يسمون للحرْب تبدو وهى كالحةٌ إذا الزعانفُ من أظفارها خشَعوا
لا يفرَحونَ إذا نالوا عدُوَّهمُ وإن أُصيبوا فلا خورٌ ولاجُزُعُ
كأنهمْ فى الْوَغى والموتُ مكتنعٌ أُسودُ بيشةَ فى أرساغها فَدَعُ
خُذْمنهمُ ما أتَوْا عفواً وما منَعُوا فلا يكنْ همّكَ الأمرَ الذى منَعُوا (١)
فإنَّ فى حرْبهم فاترُكْ عدَاوتهمْ سُمًّا يخاضُ عليه الصابُ والسَّلَعُ
أكرمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهمْ إذَا تفرَّقتِ الأهواء والشِّيَعُ
أهْدَى لهمْ مِدْحتى قلبٌ يؤازرُهُ فيما أرَادَ لسانٌ حاذقٌ صَنَعُ
وأنهمْ أفضلُ الأحياءِ كلهمُ إنْ جَدّ بالناسِ جدُّ القولِ أوشَمَعُوا (٢)

ولما أنشد حسّان رضى الله عنه هذه القصيدة بعد أن خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة، قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتّى له، والله لشاعرِه أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطبُ من خطيبنا، ولأصواتُهم أرفع من أصواتنا، أعطنى يا محمد، فأعطاه، فقال : زدنى، فزاده، فقال : اللهم إنه سيد

---

(١) فى الأصل «وما غضبوا، ولا يكن همك» وأثبتنا ما فى الأغانى لأنه ظاهر المعنى واضح المقابلة .

(٢) فى الأغانى والأصول «سمعوا»

العرب ، وهم الذين أنزل الله فى حقهم (إِنّ الذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ)

ومعنى «حاولوا» راموا وطلبوا ، والأشياع : جمع شيعة ـ بكسر الشين المعجمة ـ وهى : الأنصار والأتباع ، والفرقة : تقع على الواحد والاثنين ، والجمع والمذكر والمؤنث ، والسجية : الغريزة ، وما جُبِل عليه الانسان ، والخلائق : جمع خليقة ، وهى الطبيعة هنا ، والبِدَع : جمع بدعة ، وهى الحدَث فى الدين بعد الكمال ، والمراد بها هنا مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها .

والشاهد فيهما : القسم الثانى من الجمع مع التقسيم ، فانه قَسَّمَ فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الأعداء ، ونفع الأولياء ، ثم جمعهما فى البيت الثانى فى كونهما سجية .

وقد أخذ ابن مفرغ عجز البيت الثانى برُمَّتِه ، فقال من قصيدة ، [من البسيط] :

جاورْ بنى خلفٍ تحمدْ جوارَهُمُ والأعظمين دفاعاً كلما دفعوا
والمطعمين إذا ما شَتْوَةٌ أزمتْ فالناس شَتَّى إلى أبوابهم سُرُعُ
هم خير أقوامهم : إن حدّثوا صدقوا ، أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

وقد أجاد ابن حجة فى قوله هنا مع تسمية النوع [من البسيط] :

جمع الأعادى بتقسيمٍ يفرّقه فالحىّ للأسر والأمواتُ للضَّرَمِ

* * *

شاهد وجه آخر من التقسيم

١٣١ ـ ثقالٌ إذا لاقَوْا ، خِفَافٌ إذا دُعُوا
كثيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

البيت للمتنبى ، من قصيدة [(١)] من الطويل ، أولها :

(١) أقرأها فى الديوان (١ ـ ٣٧٣)

أقلُّ فعالى بَلْهَ أكْثَرَهُ مَجْدُ وذا الجدّ فيه نلت أو لم أنل جدٌّ(١)

سأطلب حقّى بالقَنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثَموا مُرْدُ

وبعده البيت ، وبعده :

وطعن كأنّ الطعن لاطعن عنده وضرب كأنّ النار من حَرِّه بَرْدُ

إذا شئت حفّتْ بى على كل سابح رجالٌ كأنّ الموت فى فمها شهد

أذمُّ إلى هذا الزمان أُهَيْلَهُ فأعلمهم فَدْمٌ وأحزمهم وَغْدُ

وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عَمٍ وأسهدهم فَهْدٌ وأشجعهم قِرْدُ

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يَرَى عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

فهو فى البيت المذكور يصف شدة وطأتهم على العدا ، وثباتهم على اللقاء ، وأنهم مسرعون إلى الاجابة إذا دعوا إلى كفاية مهم، ومدافعة خطب مدلهمّ ، وأن الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم .

والشاهد فيه : مجىء التقسيم على وجه آخر ، وهو : أن تُذْكر أحوال الشىء مضافاً إلى كل من تلك الأحوال ما يليق به ، فانه ذكر أحوال المشايخ وأضاف إلى كل منها ما يليق به ، وهو ظاهر .

ومن أنواع الجمع مع التقسيم قول الخالدى [من البسيط] :

فى وجهه كل رَيْحانٍ تراح له منا قلوبٌ وأبصارٌ وتهواه

النرجس الغضُّ عيناه ، وطُرّتُه بنفسجٌ ، وجنىُّ الورد خدّاه

ومثله قول ابن قلاقس [من الكامل] :

حملت من الأزهار أشباه الرُّبا فتساوتِ الأمثالُ وَالأشكالُ

فالآس صدغٌ ، والأقاحى مبسمٌ ، والورد خدٌّ ، والبنفسج خالُ

---

(١) وقع فى أصول هذا الكتاب « بل وأكثره مجد » ومعناه ضعيف وما أثبتناه موافق لما فى الديوان .

وقول الصاحب بن عباد فى الوزير بن العميد [من الكامل] :

قدِمَ الوزيرُ مقدَّما فى سبقهِ فكأنما الدُّنيا جرَتْ فى طَوْقِهِ

فجبالَهَا منْ حلْمِهِ ، وبحارُها منْ جُودِهِ، ورياضُها من خُلْقِهِ

ومن بديع الجمع مع التقسيم قول ابن سكرة الهاشمى [من البسيط] :

جاء الشتاء وعندِى من حوَائجِهِ سبعٌ إذا القَطْرُ عَنْ حاجاتِنَا حبسا

كِنٌّ وكيسٌ وكانونٌ وكأسُ طلاً معَ الكبابِ وكُسٌ ناعمٌ وكِسا

وقد تبع ابن سكرة فى جادته هذه التى سلكها جماعة من الأدباء فمنهم من جاراه ، ومنهم من كبا ، فمن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

وكافات الشِّتاء تعدّ سبعاً ومالى طاقةٌ بلقاء سَبْعْ

إذا ظَفِرت بكافِ الكيس كَفِّى ظَفِرْتُ بمُفْرد يأتى بجَمْعْ

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

جاء الشِّتاء وما الكافات حاضرة وإنما حَضَرَت منهنَّ أبدال

قلٌّ وقرٌّ وقلبٌ موجعٌ وقلاً وقادرٌ هاجرٌ والقِيلُ والقَالُ

وقول جمال الدين ياقوت الكاتب [من البسيط] :

جاء الشتاء ببردٍ لا مَرَدّ له ولم يطق حجرٌ قاسٍ يقاسيه

لا الكاس عندى ولا الكانون متقدٌ كنى ظلامى وَكيسى قلَّ ما فيه

دع الكباب وخلِّ الكسّ وا أسفا كساً أتغطّى فى دياجيه

ولمؤلفه فى قريب له [من مخلع البسيط] :

قلت لذى صبوةٍ بكافا تِ شتوةٍ مِنْ عَنَاك دعنى

والَهْفَ قلبى على كساء يردُّ برد الشتاء عَنِّى

ومن باب « جاء الشتاء » قول الأعرابى [من الكامل] :

جاء الشتاء وليس عندى درهمٌ ولقد يصاب بمثل هذا المسلم

وتقسم الناس الجِبَابَ وغيرها … وكأننى بفناء مكة مُحْرِمُ

وقول آخر من الأعراب [من الكامل] :

جاءَ الشتاء ومَسَّنَا قُرٌّ … وأصابنا فى عيشنا ضرٌّ

ضرٌّ وفقرٌ ونحن بينهما … هذا لعمر أبيكما الشرُّ (١)

وقول جحظة أيضاً [من البسيط] :

جاء الشتاء وما عندى له وَرِقٌ … مما وهبت ولا عندى له خِلَعُ

كانت فبدّدها جودٌ ولعت به … وللمساكين أيضاً بالندى وَلَعُ

وقول أبى نصر بن نباتة السعدى [من البسيط] :

جاء الشتاء وما عندى له عُدَدٌ … إلا ارتعادٌ وتقريص بأسنانى

ولو قضيت لما قَصَّرْتَ فى كَفَنِى … هبنى قضيت فهبنى بعضَ أكفانى

وقول أبى طالب المأمون فى طست الشمع [من الكامل] :

وحديقةٍ تهتز فيها روضةٌ … لم يُنْمِهَا تربٌ ولا أمطار

فصعيدها صفرٌ، ونامى غصنها … شمع، وما قد أثمرته نار

وقول أبى الفضل الميكالى [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ تهفو بلبِّ المـــرء منـه شمائلُ

فالردف دِعْصٌ هائل … والقد غُصْنٌ مائل

والخدُّ نَوَّرُ شقائق … تنقدُّ عنه غلائل

والعرف مثل حدائق … نَمَّتْ بهن شمائل

والطرف سيفٌ ماله … إلا العـذار حمائلُ

ولطيف قول منصور الفقيه [من الهزج] :

---

(١) كذا فى الأصل « ضر وفقر » وليس به بأس ، لكن الأنسب بما تقدمه أن يقول « ضر وقر – إلخ »

بنو آدمَ كالنَّبْتِ ونَبْتُ الأرض ألوانُ
فمنه شَجَرُ الصندل والكافورُ والبَان
ومنه شجرٌ أفضلُ ما يحمل قَطْرَان

وفى معناه قول رجل من عبد القيس [من الرمل] :

إنما الناس كأمثال الشجر جامل الناس إذا ماجئتهم
وَهْوَ صلبٌ عودُهُ حُلْوُ الثمرْ منهمُ المذمومُ فى منظرهِ
طعمُهُ مرٌّ وفى العُودِ خَوَرْ وترَى منهم أثيثاً نبتُهُ

ومثله قول الآخر أيضا [من السريع] :

الناسُ كالتربِ ومنها هُمُ منْ خَشِنِ اللمْسِ ومن لَيِّنِ
فَجَلمدٌ تَدْمىَ بهِ أرجُلٌ وإثمدٌ يوضَعُ فى الأعينِ

وقول الآخر [من البسيط] :

والناسُ كالناس إلا أن تجربهمْ وللبصيرةِ حكمٌ ليس للبصرِ
كالأيك مشتبهاتٍ فى منابتِهَا وإنما يقَعُ التفضيل فى الثمرِ

ولأبى عبد الله الغوّاص فى وصف دار [من الكامل] :

يادارَسعدٍ قدْ علتْ شُرُفاتها بُنِيتْ شبيهةَ قبلةٍ للناسِ
لوُرُود وَفدٍ ، أو لِدفعِ ملمة ، أو بذلِ مالٍ، أو إدَارةِ كاسِ

وما أحسن قول الرستمى [من الكامل] :

يا ابنَ الذينَ إذا بنوْا شادُوا ، و إن أسدَوْا يداً عادوا، و إن يَعِدوا يَفُوا
إن حاربوا لم يُحْجِموا ، أو قاربُوا لم يندَموا ، أو عاقبوا لم يشتفُوا
ومتى استُجيرُوا أسعفوا، ومتى استُنِيلوا أسرفوا، ومتى استعيدوا أضعفوا
إن عاهدوا لم يخفرُوا ، أو عاقدوا لم يغدرُوا ، أو مُلِّكُوا لم يعسفُوا

وَ بديع قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

أناسٌ أبَوْا غيرَ التلوُّن عادةً فشأنهمُ فى الحبِّ هَونٌ وإذلالُ
وصالٌ وهَجرٌ ، واجتماعٌ وفرقةٌ وبذلٌ وإمساكٌ ، وحلٌّ وترحالُ
فإنْ سمحُوا ضَنّوا ، وإنْ عَطَفُوا جنَوْا وإنْ عقَدُوا حلّوا ، وإنْ عهدوا حالوا

وقول ابن هرمة [من البسيط] :

قومٌ لهمْ شرفُ الدنيا وسودَدُها صفوٌ على الناسِ لم يُخلطْ بهمْ رَنَقُ
إن حاربوا وضعوا ، أو سالموا رفعوا ، أوْ عاقدوا ضمنوا ، أو حدّثوا صدقوا

ومنه قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه يهجو [من البسيط] :

قومٌ لِئامٌ فلنْ تلقى لهمْ شبَهاً إلاّ التيوسَ على أكتافها الشَعر
إنْ سابقوا سُبقوا، أوْ نافروا نُفروا، أو كاثروا أحداً من غيرهمْ كثروا
قومٌ لئـــامٌ أقل اللهُ خــيرهمُ كما تساقطَ حولَ الفقحة البعَرُ
كأنّ رِيحهم فى الناس إذ برزوا رِيحُ الـكلاب إذا ما بلّها المطر

* * *

شاهد التجريد

١٣٢ — وشوْهاء تعدو بِى إلى صارخ الوَغى
بمستلئمٍ مِثل الفنيق المــرَحَّلِ

البيت من الطويل ، ولا يعرف قائله

وشوهاء: صفةلفرس،وهى الطويلةالرائعة، والمفرطةرحب الشدقين والمنخرين، والوغى : الحرب ، والمستلئم : لابس اللأمة وهو الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لـكرامته على أهله ولا يركب ، ويجمع على فُنُق — بضم أوله وثانيه — والمرحل: من رَحَل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله

والشاهد فيه : التجريد ، وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه، وهنا قال: تعدو بى ومعى من نفسى لابس درع لكمال استعدادى للحرب ، فبالغ فى اتصافه بالاستعداد حتى انتزع منه مستعداً آخر لابس درع ، والله أعلم .

شاهد التجريد من غير توسط حرف

١٣٣ — ولئنْ بَقيتُ لأرْحلنَّ بِغزْوَةٍ   تحوى الغنائِم أو يموتَ كريمُ

البيت لقتادة بن مسلمة الحنفى ، من قصيدة من الكامل أولها :

بكرتْ علىَّ منَ السَّفاهِ تلومُنى   سفهاً تُعَجِّزُ بعلَها وتلومُ

لما رأتنى قدْ رُزِئتُ فوَارسى   وبدتْ بِجسمى نَهكةٌ وكلومُ

ما كنتُ أوّلَ منْ أصابَ بنكبةٍ   دهرٌ وحىٌّ باسلونَ جميمُ

إلى أن يقول فيها :

ومعى أسودٌ منْ حنيفةَ فى الوَغى   للبيضِ فوْقَ رُؤُوسهمْ تسْويمُ

قومٌ إذا لبسوا الحديدَ كأنهمْ   فى البَيْضِ والحلقِ الدِّلاصِ نُجومُ

وبعده البيت

والغنائم : جمع غنيمة ، وهى الفوز بالشىء بلا مشقة .

والشاهد فيه : التجريد بدون توسط حرف ، فإنه عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة فى كرمه ، ولذا لم يقل أو أموت .

* * *

شاهد التجريد بطريق الكناية

١٣٤ — يا خيرَ منْ يركبُ المطىّ ولاَ   يشربُ كأساً بكفٍّ منْ بَخلاَ

البيت من المنسرح ، وقائله الأعشى ، من قصيدته السابقة[1] فى شواهد المسند

والشاهد فيه : التجريد بطريق الكناية ، فإنه انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه ، على طريق الكناية ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم ، ومعلوم أنه شرب بكفه ، فهو ذلك الكريم .

* * *

١٣٥ — * لاَ خيلَ عِندكَ تُهديها ولاَ مالُ *

قائله أبو الطيب المتنبى ، وهو أول قصيدة من البسيط[2] يمدح بها فاتكا

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ٣٥ فى ج ١ ص ١٩٤ من هذا الكتاب)

(٢) اقرأها فى الديوان (٣ — ٢٧٦)

وقد حمل إليه هدية ألف دينار ، وكان بمصر مقيما ، وتمامه :

* فليسعدِ النطقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ *

وبعده :

واجْزِ الأميرَ الذى نعماهُ فاجئةٌ بغير قولٍ ، ونُعمى الناسِ أقوالُ

فربَّما جزتِ الاحسانَ موليهُ خريدة منْ عذارَى الحىِّ مكسالُ

وإنْ تكنْ مُحكماتُ الشكلِ تمنعنى ظهور جرْىٍ فلى فِيهن تَصهَالُ

وما شَكَرْتُ لأنَّ المالَ فرحنى سِيَّان عندىَ إكثارٌ وإقلال

لكنْ رأيتُ قبيحاً أنْ يجادَلَنَا وأننا بقضاءِ الحقِّ بُخّالُ

وهى طويلة ، وأراد بالحال الغنى

والشاهد فيه : التجريد بمخاطبة الانسان نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله فى فقد الخيل والمال والحال ، ومثله قول الأعشى [من البسيط]

ودّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مُرتَحِلُ وَهلْ تُطيق فِراقاً أيُّها الرَّجل(١)

ومن الأمثلة فى التجريد قول التميمى لنجدة بن عامر الحنفى الخارجى [من الوافر] :

متى تلقَ الجريشَ جريشَ سَعدٍ وعبَّاداً يقودُ الدَّارعينا

تبينْ أنَّ أمَّك لم تورِّكْ ولم ترْضعْ أمِيرَ المؤمنينا

ومثله قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل] :

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادَّرَعْتُهُ بأربعةٍ والشخص فى العينِ واحدُ(٢)

---

(١) الرواية * وهل تطيق وداعا أيها الرجل *

(٢) وقع فى أصول هذا الكتاب صدر هذا البيت * وليل كأبناء الدويدى جبته * وما أثبتناه موافق لما فى الحيوان للجاحظ (٣-٢٥٠) وفى ديوان المعانى (٢ - ٣٥٢) وفى الصناعتين (١٧٥و٢٢١) وفى العمدة (٢-٢٩) وفى شرح الشريشى على المقامات(١-٧١) وفى الموازنة بتحقيقنا (٧٠)

أحمّ علافيٌّ وأبيض صارمٌ وأعيس مهريٌّ وأرْوع ماجدُ

أراد بالأحم العلا فى الرحل ، وهو منسوب إلى علاف رجل من قضاعة تنسب إليه الرحال لأنه أول من عملها ، وأراد بالأروع الماجد نفسه ، وهو تجريد ظاهر، لأن قوله «جبته بأربعة» ثم عد فيها الأروع الماجد مُشْعِر بأنه شخص آخر ، وهو معنى التجريد .

ومنه قول الشاعر [من الطويل] :

أباحتْ بنو مروانَ ظلماً دِماءَنا وفى اللهِ إنْ لم يُنْصِفوا حكمٌ عدلُ

وقول المعرى [من البسيط] :

هاجتْ نمير فهاجتْ منك ذا لبَدٍ والليثُ أفتكُ أفعالاً من النَّمِرِ

وقول الشاعر أيضاً [من الطويل] :

وبى ظَبيةٌ أدماء ناعمةُ الصلاَ تحار الظباء الغِيدُ منْ لفتاتِها

أعانق غصنَ البانِ من لينِ قدِّها وأجْني جَنيَّ الوردِ من وَجناتِها

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

إنْ تلقَنِي لاترَى غيرى بِناظرةٍ ينسى السلاحَ ويغزو جَبْهَةَ الأسدِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من المتقارب] :

جزيل الندَى ذوأيادٍ غدتْ يُحدِّثُ عنهنَّ فى كلِّ نادِي

يُلاقيكَ منه إذا جئتهُ كثير الرَّمادِ طويلُ النجادِ

* * *

شاهد المبالغة (التبليغ)

١٣٦ — فعادَى عِداءً بَينَ ثورٍ ونعجةٍ دِراكاً ولم يُنْضَحْ بماء فيُغْسَلِ

البيت لامرىء القيس ، من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة(١)

وقبل البيت :

---

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ١ فى ج ١ ص ٨ من هذا الكتاب)

فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نِعاجهُ عذارَى دَوارٍ فى مُلآءٍ مُذَيَّلِ
فأدْبَرْن كالجزعِ المُفَصَّلِ بينه بجيدِ مُعِمٍّ فى العشيرةِ مُخْوِلِ
فألْحَقَنا بالهاديات ودونهُ جوَاحِرُها فى صَرَّةٍ لم تزَيَّلِ (١)

و بعده البيت ، و بعده :

فظَلَّ طُهَاةُ اللحم من بين مُنْضِجٍ صفيفَ شوَاءٍ أو قَديرٍ مُعَجَّلِ (٢)
وَرُحنا يكاد الطَّرْفُ يقصرُ دونهُ متى ما ترَقَّ العينُ فيهِ تَسَهَّلِ
فباتَ عليهِ سَرْجُهُ ولجامُـهُ وبَات بعيني قائماً غـيرَ مُرْسَلِ

والمعنى فى البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق و إن كثر العَدْوُ منه، والعداء بالكسر والمد — الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر فى طلق واحد، وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش ، و بالنعجة الأنثى منها ، ومعنى « دراكا » متتابعاً ، و « يغسل » مجزوم معطوف على ينضح ، والمعنى لم يعرق فيغسل .

والشاهد فيه : المبالغة ، و يسمى التبليغ ، وهو : ادعاء ممكن عقلا وعادة ، فانه ادعى أن فرسه أدرك ثوراً و بقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق ، وهذا ممكن عقلا وعادة .

وقد استعمل امرؤ القيس هـذا المعنى فى شعره كثيراً ، فقال من قصيـدة [من الطويل]

وعاديتُ منهُ بين ثَوْرٍ ونعجةٍ وكان عِدَائى إذ ركبتُ على بالى

وقال أيضا من أخرى [من الطويل] :

فأقصَدَ نعجة وأعرض ثورُهَا كفحل الهجان ينتحى لنضيض

---

(١) فى شرح القصائد العشر للتبريزى * فالحقه بالهاديات . . . . *

(٢) فى الأصـل « ضعيف شواء » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن شرحي التبريزى والزوزنى على المعلقات .

ووالى ثلاثاً واثنتين وأربعاً وغادرَ أُخْرَى فى قناةٍ رفيض

وقال أيضاً من أخرى [من الطويل] :

فأدركَ لم يعرقْ مَنَاطُ عذارهِ يمرُّ كخذروفِ الوليد المثقَّبِ

إلى أن قال بعد أبيات [من الطويل] :

فغادرَ صَرْعَى من حمارٍ وخاضبٍ وتيسٍ وثَوْرٍ كالهشيمة قرهبِ

وقال من أخرى [من الطويل] :

فصادَ لنا عيراً وثوراً وخاضباً عِداءً ولم يَنْضَحْ بماء فيعرَقِ

وقد ألم المتنبي بهذا المعنى ، فقال فى وصف جواد وأجاد [من الطويل] :

وأصرَعُ أيَّ الوحش قفَّيْتُهُ بهِ وأنزلُ عَنهُ مثلهُ حين أركبُ

وينظر إلى صدر بيت المتنبي قوله أيضا [من الطويل] :

وَخَيْلٍ إذا مرّتْ بوحشٍ ورَوضةٍ أبَتْ رَعْيَهَا إلا ومِرْجَلُنَا يغلى

وقد ألم به أبو طاهر الأردستانى بقوله من قصيدة [من الطويل] :

طِمِرٍّ أبىَ أن يرتعَ العشبَ فى الطَّوَى ولم نغلِ للأضياف فى الحىّ مِرْجَلاَ

ومنه قول امرىء القيس أيضا [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قالَ ولدَانُ بيتنا تعالَوْا إلى أن يأتىَ الصيدُ نحطِب

يشير إلى سرعة مجيئهم بالصيد وقوة يقينهم بالظفر به .

ومثله قول ابن المعتز فى وصف البازى [من الرجز] :

قدْ وثقَ القـومُ لهُ بمـا طلبْ فهوَ إذا خلى لصيدٍ واضطربْ

عدُّوا سكاكينهم منَ القرَبْ

ومثله قول الآخر فيه [من الرجز] :

٭ مُبَارَكٌ إذَا رَأَى فَقَدْ رُزِقْ ٭

رجع إلى المبالغة و إن لم تخرج عنها .

قال ابن أبى الأصبع : أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة [من الطويل] :

رَهَنْتُ يدى بالعجز عن شُكْرِ برّهِ وما فوقَ شُكرى للشكور مَزيدُ
ولو كان ممّا يستطاعُ استطعتهُ ولكنّ ما لا يستطاعُ شديدُ

ومن هنا قال أبو نواس [من الكامل] :

لا تُسْدِيَنّ إلىّ عارفةً حتى أقومَ بشكر ماسلفَا

ومن المبالغة قول النظام [من الطويل] :

توَهَّمَهُ طرْفى فآلم خدّهُ فصار مكانُ الوهْمِ من نَظرى أثرُ
وصافحه كفى فآلم كفَّهُ فمنْ صفح كفى فى أناملهِ عقْرُ
ومَرَّ بفكرى خاطرا فجرَحتهُ ولم أرَ خلقاً قطّ يجرَحهُ الفكرُ

يقال إن الجاحظ لما بلغه ذلك قال : هذا ينبغى أن لا يناك إلا بأيرٍ من الوهم .

وعجيب فى المبالغة قول السلامى فى عضد الدولة أيضا [من الطويل] :

إليكَ طوَى عرْضَ البسيطة عاجِلاً قُصَارَى المطايا أن يلوحَ لها القصرُ
فكنتُ وعزمى فى الظلامِ وَصارِمى ثلاثَةَ أشباهٍ كما اجتمع النسْرُ
و بشّرْتُ آمالِى بملْكٍ هو الورى ودارٍ هى الدنيا ويومٍ هوَ الدَّهرُ

وقوله أيضا ، وأجاد [من البسيط] :

أقبلْ علىّ وقلْ ضيفى ومتّبعِى وشاعرى قاصدى راجىّ مُمْتَارِى
أنتَ الأنامُ فمن أدعو وحضرَتكَ الدُّنيا فأينَ أقضّى بعضَ أوطارِى

ومثله قول المتنبى [من الطويل] :

هى الغرضُ الأقصى ، ورُؤيتك المُنَى ومنزُلكَ الدُّنيا ، وأنتَ الخلائقُ

وقول القاضى ناصح الدين الأرجانى [من البسيط] :

ياسائلِى عنهُ لمّا جئتُ أمدحهُ هذا هوَ الرجُلُ العارى من العار
لقيتهُ فرأيتُ الناسَ فى رجُلٍ والدهر فى ساعةٍ والأرض فى دارِ

وقول أبى محمد الخوارزمى [من الطويل] :

أَلا ياسائلِى عن كنهِ عَلياهُ إنهُ ... لأُعطِىَ ما لم يُعْطَهُ الثقلَانِ

فمنْ يَرَهُ فى منزلٍ فكأنمَا ... رأى كلَّ إنسانٍ وكلَّ مكانِ

ومن بديع المبالغة قولُ ابن نباتة السعدى فى سيف الدولة من قصيدة وأجاد [من البسيط] :

قَدْ جُدْتَ لى باللُّهَى حتى ضَجِرْتُ بهَا ... وكدْتُ من ضَجَرِى أُثْنِى على البَخَلِ

إن كنتَ ترغبُ فى بذلِ النوالِ لنَا ... فاخْلُقْ لنَا رغبةً أولا فلا تُنِلِ

لم يُبْقِ جودُكَ لى شيئاً أُؤمّلهُ ... تركتَنِى أصحبُ الدنيَا بلاَ أملِ

وأبلغ منــه قول أبى الفرج الببغاء ، فى سـعد الدولة ، ابن سيف الدولة ، [من المنسرح] :

لاغيثُ نعمَاهُ فى الورَى خلَبَ الـــبرْقَ وَلا وردُ جوده وَشَلُ

جَادَ إلى أنْ لم يُبْقِ نائلهُ ... مَالاً وَلم يبقَ للوَرى أملُ

وقريب من هذا المعنى قول ابن بابك فى الصاحب بن عباد [من البسيط] :

فحسنُ ظنكَ بى استوفى مَدَى أملِى ... وحُسنُ رأيكَ بى لم يُبْقِ لى أرَبَا

ومن محاسن المبالغة قول ابن اللبانة ، وقد رأى ابن المعتمد بن عباد صائغاً بعد الملك [من البسيط] :

أذكى القلوبَ أسًى أجرَى الدُّموعَ دمًا ... خطبٌ وُجودُكَ فيــه يشبهُ العدَمَا

وعادَ كونكَ فى دكّانِ قارعةٍ ... من بعدِ ما كنتَ فى قصرٍ حكى إرمَا

صرّفتَ فى آلةِ الصوّاغِ أنمُلةً ... لم تدرِ إلا النّدَى والسيفَ والقلمَا

يَدٌ عهدْتكَ للتقبيلِ تبسطُهَا ... فتستقلُّ الثُّريَّا أن تكون فَمَا

يا صائغاً كانتِ العليَا تَصاغُ لهُ ... حَلياً وكانَ عليهِ الحَلْىُ مُنتظمَا

للنفخِ فى الصورِ هولٌ ماحكاهُ سوى ... يومٍ رأيتكَ فيــهِ تنفخُ الفحَمَا

وَدِدْتُ إذْ نَظَرَتْ عَينى إليكَ بهِ لَوْ أنَّ عَيْنِيَ تَشكو قبْلَ ذاكَ عَمى
لُحْ فى العُلاَ كوكباً إن لم تَلُحْ قمراً وقُمْ بها رَبْوَةً إنْ لمْ تقُمْ عَلمَا

وما أبلغ قول السلامى [من الطويل] :

فنى جيشهِ خمسونَ ألفاً كعنترٍ وأمضى وفى خُزّانِـهِ ألفُ حاتمِ

ولمؤلفه فيها من قصيدة [من المتقارب] :

متى لَمَسَتْ كفهُ مُعـدماً أصابَ الغنَى وانثنى مُسْعِفَا
وإنْ لَمحَتْ عينهُ خاملاً غدَا نابهاً قبلَ أنْ يَطْرِفَا

ومن المبالغة فى المجون قول ابن حجاج [من الوافر] :

فتَاةٌ كالمهَاةِ ترُوقُ عينى مَشَاهِدُها وتفتنُ منْ رآهَا
تـكادُ ترُدُّ للمجبُوبِ أيراً وتحدثُ للفتىَ العنّينِ باهَا

وهو من قول جحظة البرمكى [من الكامل] :

لوْ مرّ بالأعمى لأبــصرَ أو بِعِنِّينٍ لأنْعَظْ

ولقد أحسن الخالدى وأجاد إلى الغاية فى قوله من قصيدة [من البسيط] :

كأنمَا منْ ثنَاياهَـا ومبسِمِهَا أيدى الغَمَامِ سَرَقْنَ البرْدَ والبرَدَا

وَبديع قول السلامى أيضا [من الطويل] :

تبسمْتَ والخيلُ العتاقُ عوابسٌ وأقدَمتها والحـرْبُ لم تتأجّجِ
فمَا وطئَتْ إلا علىَ خدّ سيدٍ ولا عَثرَتْ إلا برأسٍ متوّجِ

وقد أغرب الوأواء الدمشقى بقوله [من الوافر] :

متى أرْعى رياضَ الحسنِ منهُ وعَينى قدْ تضمنهَا غديرُ
ولوْ نُصِبتْ رَحًى بإزاء دَمعى لـكانتْ منْ تحدُّرِه تدُورُ

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرُّومى [من الكامل] :

لو أنَّ قصرك يا ابن يوسف مُمتلٍ   إبراً يضيق بها فناء المنزلِ
وأتاك يوسف يستعيرك إبرةً   ليخيط قدَّ قميصه لم تفعلِ

ومثله قول كشاجم [من الكامل] :

يا من يؤمّل جعفراً   من بين أهل زمانهِ
لو أنّ في أستك درهماً   لاستلّهُ بلسانهِ

وقول دعبل [من الخفيف] :

إنّ هذا الفتى يصون رغيفاً   ما إليه لناظرٍ من سبيلِ
هوَ في سفرتين من أدَم الطا   ئف في سلّتين في منديلِ
ختمت كلُّ سلّة بحديدٍ   وسيورٍ قُددن من جلد فيلِ
في جراب في جوف تابوت موسى   والمفاتيحُ عند إسرافيلِ

وقول بعضهم أيضاً [من الوافر] :

فتىً لو أدخل الحمامَ حولاً   وحولاً بعدَ أحوال كثيره
وألبس ألفَ فروٍ بعد ألفٍ   ولُحْفٍ حشوُها قطنُ الجزيره
وأوقدت الجحيمُ عليه حتى   تصير عظامه مثل الذّريره
لما عرقت أناملهُ لبخلٍ   بعُشرِ عُشيرِ معشار الشّعيره

ومنه قول بعضهم [من الوافر] :

رغيفك في الحجاب عليه قفلٌ   وحرّاسٌ وأبوابٌ منيعه
رأوا في بيته يوماً رغيفاً   فقال لضيفه : هذا وديعه

ومنه قول عبدان الأصبهاني [من المتقارب] :

رغيفك في الأمن يا سيدي   يحلُّ محلّ حمام الحرم
فلله درّك من سيدٍ   حرام الرغيف حلال الحرم

وقول ابن الرّومي أيضاً [من المنسرح] :

فتىً عَلىَ خُبزه ونائلهِ أشفقُ من والدٍ على ولَدِهْ
رَغيفهُ منهُ حينَ تسألهُ مكانَ روح الجبان من جَسَدِهْ

ومن المبالغة فى الهجو قول الشريف الناسخ [من الخفيف] :

لستُ أخشى حرَّ الهجير إذا كا ن حسينُ الصوَّاف فى الناس حيًّا
فببَيْتٍ من شعرهِ أتَّقِي الحَرَّ وَفِى ظِلِّ أنفهِ أتفَيَّا

ومنه قول الآخر أيضا [من السريع] :

وَرُبَّ أنْف لصديق لنا تحديدُهُ ليسَ بمعلوم
ليسَ عن العرش له حاجبٌ كأنهُ دَعوةُ مظلوم

وقول النجم يحيى أيضا [من الكامل] :

شبهتُ أنفكَ كردكوهَ بعينها والفرقُ بينهما جَليٌّ المقصدِ
إنَّ الملاحدَ أصبحوا فى قلعةٍ وَرأيتُ أنفكَ قلعةً فى مَلحَدِ

وقول الصابى يهجو أبخر [من الكامل] :

قد أبصرتْ عيني العجائبَ كلها ما أبصرت مثلَ ابن نصر أبخرا
مَا شمَّ نكهتهُ امرُؤ متعطرٌ إلا وعادَ مُخاطهُ منها خرَا

وقوله فيه أيضاً [من الكامل] :

نطق ابن نصرٍ فاستطارتْ جيفةٌ فى العالمينَ لنتْنٍ فيهِ الفاسدِ
فكأنَّ أهل الأرض كلهم فَسَوْا متواطئينَ علىَ اتفاقٍ واحدِ

ومثله قول ابن زريق الكوفى الكاتب [من الطويل] :

ولى صاحبٌ أفسَى البريةِ كلها يشككنى فيهِ إذَا ما تنفسَا
تحوَّلتِ الأنفاسُ منهُ إلى استه فما أحدٌ يدرى تنفسَ أمْ فسَا

ولبعضهم ، وأجاد [من الوافر] :

أتانَا عالمٌ من أرض فاسٍ يجادلُ بالدليل وبالقياسِ
وما فاسٌ ببلدتهِ ولكنْ فسَا يَفسُو فسَاء فهو فاسِى

وقول ابن درة الشاعر فى معيان [من مخلع البسيط] :

مدَوّر الكعبِ فاتخذهُ لِتلِّ غرْسٍ وثلُ عرْشِ
لوْ رَمقَتْ عينهُ الثريّاً أخرَجها فى بَناتِ نعْشِ

وقد بالغ بعضهم فى ملازمة الرقيب بقوله [من الخفيف] :

أنا والحِبُّ ما خلوْنا ولاطرْ فةَ عينٍ إلاّ علينا رقيبُ
مااجتمعْنا بِحيثُ أنْ يمكنَ الدّهـ ـرُ بأنى أقولُ أنتَ الحبيبُ
بلْ خلوْنا بِقدرِ ما قُلتُ أنتَ الـ ـحَ فوَافى فقُلت رِكبُ الطّبيبُ

الاستظهار (نوع من المبالغة)

ومن المبالغة نوع يسمى الاستظهار، كقول ابن المعتز العباسى لابن طبا طبا العلوى أو غيره [من المتقارب] :

فأنتمْ بنو بنتهِ دُونَنا ونحنُ بنو عمهِ المسلمِ

فقوله « المسلم » استظهار لأن العلوية من بنى عم النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً أعنى أبا طالب، ومات جاهليا، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة وقد أخذه ابن المعتز من قول مروان[1] بن أبى حفصة وكان شديد العداوة لآل أبى طالب حين قال مخاطبا لهم [من الكامل] :

خلوا الطّريقَ لمعشرٍ عاداتُهمْ حَطمُ المناكِب يومَ كلّ زِحامِ
ارْضُوا بما قسمَ الإلهُ لكمْ به ودَعُوا وِراثة كلّ أصْيدَ سامِى
أنّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ لِبنى البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

وقد أخذه من مولًى لتمام بن العباس بن عبد المطلب ، قاله لمولى من موالى النبى صلى الله عليه وسلم، لما أتى الحسين رضى الله عنه، فقال له : أنا مولاك ياابن رسول الله صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

(١) فى المطبوعتين « من قول ابن مروان » بزيادة ابن .

جحدتَ بنى العباسِ حقَّ أبيهمُ فما كنت فى الدَّعوَى كريمَ العوَاقبِ
متى كانَ أوْلادُ البنــاتِ كوارثٍ يحوزُ ويُدْعَى والداً فى المنــاسبِ

ومثله قول الطاهر بن على بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس فى الطالبيِّين [من الـكامل] :

لو كانَ جدُّكمُ هُناكَ وجدُّنا فتنازَعا فيهِ لوَقتِ خِصامِ
كانَ التراثُ لجدِّنا منْ دونهِ فحواهُ بالقرْبى وبالإسلامِ
حقُّ البناتِ فريضةٌ معلومة والعَمُّ أوْلى من بنى الأعمامِ

* * *

١٣٧ — ونـكرمُ جارَنا ما دامَ فِينا ونُتبعهُ الـكرامةَ حيثُ مالاَ

البيت من الوافر ، وهو لعمرو بن الأهتم التغلبى .

شاهد الاغراق

والشاهد فيه : الإغراق ، وهو : ادعاء ممكن عقلا لا عادة ، فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جانب إلا وهو يرسل الـكرامة والعطاء إليه على أثره ، وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة ، ومن أمثلته قول امرىء القيس [من الطويل] :

تنوّرْتُها منْ أذْرعاتٍ وأهلُها بِيثربَ ، أدْنى دارِها نَظَرٌ عالى

فإن أذرعات من الشام ، ويثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وَرؤية النار من بعد هذه المسافة لايمتنع عقلا ، ويمتنع عادة

ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الإغراق قول القائل [من الطويل]:

ولو أنَّ ما بِى منْ جوًى وصبابةٍ على جملٍ لم يدخُلِ النار كافرُ

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط ، وذلك لا يستحيل عقلا ، إذ القدرة صالحة لذلك ، لـكنه ممتنع عادة

أمثلة من مبالغات الشعراء

وقد تفنن الشعراء فى المبالغة فى النحول ، فمن ذلك قول المتنبي [من البسيط] :

رُوحٌ تردَّدُ فى مثلِ الخِلالِ إذَا أطارَتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوْبَ لم يَبِنِ
كفى بِجسمى نحُولاً أننى رجلٌ لوْلا مخــاطبتى إيَّاكَ لمْ ترَنِى

وقد أخذه من قول الآخر [من البسيط] :

برى ضنًى لم يدع مني سوى شبحي لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن

ومثله قول بعضهم [من البسيط] :

ها فانظروني سقيماً بعد فرقتكم لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن

لو أن إبرة رفاء أكلفها جريت في ثقبها من دقة البدن

وما ألطف قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في هذا المعنى [من الطويل] :

كأني هلال الشك لولا تأوهي خفيت فلم تهد العيون لرؤيتي

ومثله قول نصر السفاقسي [من البسيط] :

أذابه الحب حتى لو تمثله بالوهم خلق لأعياهم توهمه

لولا الأنين ولوعات تحركه لم يدره بعيان من يكلمه

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

قد سمعتم أنينه من بعيد فاطلبوا الشخص حيث كان الأنين

وقول ابن حجة الحموي [من البسيط] :

وقد تجاوز جسمي حد كل ضنًى وها أنا اليوم في الأوهام تخييل

وما أحسن قول بشار [من الطويل] :

سلبت عظامي لحمها فتركتها عواري في أجلادها تتكسر

وأخليت منها مخها فتركتها أنابيب في أجوافها الريح تصفر

خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري ضنى جسدي لكنني أتستر

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها نفس تذوب فتقطر

ومثل البيت الأخير قول ديك الجن [من الخفيف] :

ليس ذا الدمع دمع عيني ولكن هي نفس تذيبها أنفاسي

وقول ابن دريد أيضاً [من الكامل] :

لا تحسبي دمعي تحدر ، إنما روحي جرت في دمعي المتحدر

ومن الإغراق قول أبى القاسم بن هانى [من الكامل] :

لبسَ الصباحُ بهِ صَباحاً مُسفراً   وسقَتْ شمائلهُ السحابَ سحابا

وقول المتنبي [من الطويل] :

وثقْنا بأنْ تُعطِى فلوْ لم تجُدْ لنا   حسبْناكَ قدْ أعطَيْتَ منْ قوةِ الوَهمِ

ولم أقف على ترجمة ابن الأهتم التغلبى قائل البيت

*
* *

١٣٨ — وأخفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنهُ   لتخافكَ النطفُ التى لم تُخلَقِ

شاهد الغلو

البيت لأبى نواس، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد، أولها:

خَلَقَ الزمانُ وشِرَّتى لم تخلق   ورَمَيْتُ فى غرضِ الزّمانِ بأفوقِ

تقعُ السهامُ وَراءهُ وكأنهُ   أثرَ الخوالفِ طالبٌ لم يلحقِ

وأرَى قُواىَ تكاءدتْها رَيثةٌ   فإذا بطشتُ بطشتُ رِخوَ المرْفقِ

ولقدْ غدوْتُ بدستبان معلم   صخب الجلاجل فى الوظيف منسق

حر صنعناه لتحسن كفُّه   عملَ الرفيقة واستلابَ الأخرَقِ

واستمر فى وصف البازى إلى أن قال :

هذا أميرُ المؤمنينَ انتاشنى   والنفْسُ بينَ مُحنجر ومُخنقِ

نفسى فداؤكَ يومَ دابقَ منهما   لولا عواطفُ حلمهِ لم أُطلقِ

حرّمت منْ لحمى عليكَ مُحللاً   وجمعتَ منْ شتى إلى مُتفرقِ

فاقذفْ برَحلكَ فى جنابِ خليفةٍ   سبّاقِ غاياتٍ بها لم يُسبقِ

إلى أن قال :

إنى حلفتُ عليكَ جهْدَ أليّةٍ   قسماً بكلِّ مُقصرٍ ومُحلِّقِ

لقدِ اتقيتَ اللهَ حقَّ تُقاتهِ   وجهدْتَ فيهِ فوقَ جهدِ المُتقى

و بعده البيت ، و بعده :

و بضاعةُ الشُّعراءِ إنْ أنفقتها نفقتْ و إنْ اكسدْتَهَا لم تنفُقِ

والشاهد فى البيت : الغلو ، وهو : ادعاء مالا يمكن عقلا ولا عادة ، فانه ادعى أن النُّطَفَ غير المخلوقة تخاف من سطوته ، وهذا ممتنع عقلا وعادة .

ومن ألطف ما يحكى هنا أن العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال له : أما استحييت من الله بقولك:

* وأخفت أهل الشرك — البيت *

فقال له أبو نواس : وأنت ما استحييت من الله بقولك [من البسيط] :

ما زلتُ فى غَمراتِ الموتِ مُنطرحاً يضيقُ عنى وسيعُ الرَّأى منْ حِيلى

فلمْ تزَلْ دائماً تَسعى بِلطفكَ لِى حتى اختلَسْتَ حياتِى منْ يدَىْ أجلى

فقال له العتابى : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل ذاك ، ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا .

وقد استعمل أبو نواس معنى البيت ثانيا ، فقال من قصيدة أخرى [من الكامل] :

أمثلة من الغلو

حتى الذى فى الرَّحمِ لم يكُ صورةً لفؤادهِ منْ خوفهِ خفقانُ

ومن الغلو أيضا قول البحترى [من الكامل] :

ولوَ انَّ مُشتاقاً تكلفَ فوقَ ما فى وُسعهِ لسعى إليكَ المنبرُ

ومن هنا أخذ المتنبى قوله [من الكامل]

لوْ تعقلُ الشجرُ التى قابلتَهَا مدتْ مُحيِّيَةً إليكَ الأغصُنا

إلا أن بيت البحترى أحسن وأمكن

حدث أحمد البلاذرى المؤرخ ، قال : كنت من جلساء المستعين بالله ، فقصده الشعراء ، فقال: لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل :

* ولو أن مشتاقا — البيت *

فرجعت إلى بيتى ، وأتيته ، وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فقال : هات ، فأنشدته [من الطويل] :

ولوْ أن بُرْدَ المصطفى إذْ لبستَهُ يظنُّ لظنّ البردُ أنكَ صاحِبُهْ
وقالَ وقدْ أُعطيتَهُ ولبستَهُ نَعَمْ هذهِ أعطافهُ ومناكبُهْ

فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به ، فرجعت ، فبعث إلى بسبعة آلاف دينار ، وقال : ادخر هذه للحوادث بعدى ، ولك على الجراية والكفاية ما دمت حيا .

ومنه قول أبى نواس فى وصف الخمر [من مخلع البسيط] :

لاينزلُ الليْلُ حيثُ حلَّتْ فدَهرُ شُرَّابها نَهارُ

وقول الآخر أيضا [من الكامل] :

منعَتْ مهابتُكَ القلوبَ كلاَمها بالأمرِ تكرَهُهُ وإنْ لم تعلمِ

وقول التمار الواسطى ، وقيل : نصر الخابز [من السريع] :

قدْ كانَ لِى فِيما مَضى خاتمٌ واليوْمَ لوْ شئْتُ تَمنطقْتُ بهْ
وذُبْتُ حتى صِرْتُ لوزُجّ بِى فى مُقلةِ النائمِ لم ينتبهْ

وقول كشاجم [من الطويل] :

وما زَال يبرِى جُمْلةَ الجسمِ حُبُّهَا وينقصهُ حتى لطُفْتُ عنِ النقْصِ
وقدْ ذُبْتُ حتى صرْتُ إذا أنا جِئتها أمنْتُ عليها أنْ يرَى أهلُها شَخْصى

وقول المظفر بن كيغلغ [من مخلع البسيط] :

عبدُكَ أمرضْتَهُ فعُدْهُ أتلِفْهُ إنْ لم تكنْ تُرِدْهُ
ذَابَ فلوْ فَتّشْتَ عليه كفُّكَ فى الفرْشِ لم تجِدْهُ

وقول ابن دانيال أيضا [من المتقارب] :

مُحِبٌّ غدَا جِسمه ناحلاً يكاد لِفرطِ الضنى أنْ يذُوبا
ورَق فلو حرَّكتهُ الصبّا لصار نسيا وعادتْ قضيبَا

ومن الغلو قول الفرزدق يمدح العذافر بن زيد [من الطويل] :

لعمرك ما الأرزاق حين اكتيالها بأكثر خَيْراً من خِوَان العذافر
ولو ضافه الدجال يلتمس القِرَى وحلَّ على خبازه بالعساكر
بعدة يأجوج ومأجوج كلهم لأشبعهم يوما غداء العذافر

وقال بعض أهل الأدب : هذا طعام اتخذ فى قِدْرِ القائل [من الطويل] :

وبوَّأتُ قِدْرِى موْضعاً فوضعتها برابيةٍ منْ بين ميثٍ وأجرَعِ
جعلْتُ لهاهضبَ الرجامِ وطخفةٍ وغولا أثافى جذرها لم ينزع
لقدر كأنَّ الليلَ سحمة قعرِها ترَى الفيلَ فيها طافِياً لم يقطَّع

وهذه الأبيات للفرزدق أيضا

ومن الغلو قول ابن دريد فى النحول [من السريع] :

إنى امرُؤ أبقيْتَ منْ جسمهِ يا مُتلفَ الصبِّ ولم يشعرِ
صبابةً لو أنها قطرةٌ تجولُ فى عينكَ لم تقطرِ

وقول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولوشئْتُ فى طيِّ الـكتابِ لزُرتكمْ ولم تدْرِكنِى أحرُفٌ وسطورُ

وأزيد منه فى الغلو قول أبى عثمان الخالدى [من الطويل] :

بِنفسى حبيبٌ بَانَ صبرى ببينهِ وأوْدعنى الأحزَان ساعةَ ودّعا
وأنحلنى بالهجر حتى لوَ انّنى قذًى بينَ جفنْىْ أرْمدٍ ما توجعا

ومثله قول الوزير أبى الفضل بن العميد [من الكامل] :

فلَوَ انَّ ماأبقيْتَ منْ جسمى قذًى فى العينِ لمْ يمنع مِنَ الإغفاء

وزاد عليه المتنبى بقوله [من الطويل] :

أراكَ ظننتَ السِّلْكَ فَقُتَهُ جسمى عليكَ بِدُرٍّ عن لقاء الترائبِ
ولو قلم أُلقيتُ فى شَقِّ رأسهِ من السقم ماغيرتُ من سَطر كاتبِ

ومن الغلو المفرط قول بعضهم [من الطويل] :

غرامٌ وَوجدٌ واشتياقٌ وغربةٌ وماذاق إنسانٌ من الحب ماذقتُ
نحلتُ فلو عُلِّقْتُ فى رجل ذرَّةٍ لطارتْ ولم تشعرُ بأنى تعلقت
ولو نمتُ فى جفن الذباب معرَّضاً منَ السقم لم تشعر بأنِّىَ قد نمتُ
ولَوْ نَفَسٌ من أنفها قد أصابنِى من الشوق أومن حر أنفاسها ذُبتْ

وهذه الأبيات خبر غريب أحببت ذكره

حدث الشيخ المقرى الصوفى الواعظ أبو عبد الله بن الخباز، قال: كنت مع جماعة من أهل التصوف بأصبهان فى رباط هناك ، واجتمع أصحابنا ليلة فى سماع ، فلما كان فى أثناء ذلك بعد مضى جزء من الليل والوقت قد طاب، إذ طرق الباب طارق ، فخرج إليه مَنْ سمع ذلك ، فوجد شيخا طويل القامة ، عظيم الهامة ، على رأسه كرزية ، وعليه فرجية ، و بيده إبريق وعكاز ، فقال : ما هذا ؟ قلنا : سماع اجتمع فيه الأصحاب، فقال: ندخل؟ فدخل فوجد القائل يقول [من الطويل] :

خليلى لا واللهِ ما القلبُ سالمٌ وإن ظهرتْ مِنِّى شمائلُ صاحى
وإلا فما بالى ولمْ أشهَدِ الوغَى أبيتُ كأنى مُثْخَنٌ بجراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه ، ثم قال له : قل ، فقال [من البسيط] :

ياَبانةَ الجزعِ لولاَ رنة الحادِى لما تنقلتُ مِنْ وادٍ إلى وادِ
ولا سلَكْتُ بنعمان الأراكِ ولا شربت ماء بهِ يا نهلةَ الصادِى

ثم قال أيضا [من الكامل] :

كرِّرْ على أحاديثهم ياحادِى فحديثهم يُطْفِى لهيب فؤادِى

كرّرْ عليّ حديثهمْ فلربمـا ... لانَ الحديدُ لضربة الحدّادِ

فنزع فرجيته ، و بقى الشيخ عريانا ، وقال : قل ، فقال الأبيات السابقة ، قال الشيخ أبو عبد الله بن الخباز : فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شهقة قوية وخرجت روحه ، رحمة الله عليه ! ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وكفناه وجهزناه إلى حفرته ، وتركناه فى عظيم رتبته

ونظير ذلك ما حكاه بعض أهل دمشق قال : قال شيخ من الفقراء لآخر : إنى أحب اليوم أن نجتمع وأغنى لكم ، قال : فاجتمعوا ، فغنى لهم [من البسيط] :

سَلى نُجومَ السَّمَا يا طلعةَ القمر ... عنْ مَدمعى كيفَ يَدمى فيكِ بالسهر

إيهِ بعيشكِ ماذَا أنتِ صانعةٌ ... منَ الجميل فهذَا آخرُ العمر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى

ومثل ذلك ما رواه ابن القماح قال : سمعت الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يذكر فى مجلس درسه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا ، وكان هناك فقير ، فغنى مغن بأبيات ابن الخياط الدمشقى ، وهى [من الطويل] :

خذَا منْ صبَا نجْدٍ أماناً لقلبهِ ... فقدْ كادَ رياها يطيرُ بلبهِ

وإياكما ذاك النسيم فانه ... إذا هَبَّ كان الموتُ أيسَرَ خطبه

أغارُ إذا آنستُ فى الحىّ أنةً ... حذاراً وخوفاً أنْ تكونَ لحبه

وفى الركبِ مطوىٌّ الضلوعِ على جَوًى ... متى يدعهُ داعى الغرامِ يُلَبِّهِ

قال : فقال ذلك الفقير : لبيك ، و رفع رأسه فاذا هو ميت ، رحمه الله ونفعنا به

ولنرجع إلى ذكر الغلو — ومراتبه تتفاوت إلى أن تؤول بقائلها إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ، فمن ذلك قول ابن دريد فى المقصورة [من الرجز] :

مارسْتَ منْ لوهوتِ الأفلاكُ منْ ... جوانب الجوِّ عليهِ ماشكا

قيل : لأجل ادعائه فى هذا البيت ابتلاه الله بمرضٍ كان يخاف فيه من

من الذباب أن يقع عليه .

ومنه قوله أيضا [من الرجز] :

ولوْ حَمى المقدُورُ منهُ مُهجةً لرَامها أو يستبيحَ ما حَمى

تغدو المنايا طَائعاتِ أمرهِ ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى

ومنه قول أبى الطيب المتنبى [من الطويل] :

كأنى دَحَوْتُ الأرْضَ مِنْ خِبْرَتِي بِهَا

وكانَ بِنَا الإسكندَرِ السدَّ مِنْ عَزْمِي

وقوله أيضا [من الكامل] :

لو كانَ ذو القرْنين أعملَ رَأيهُ لما أتى الظلمَاتِ صِرنَ شمُوسَا

أو كانَ صادَفَ رَأسَ عازرَ سيفُهُ فى يومِ معركةٍ لأعيْا عِيسىَ

أو كانَ لُجُّ البحرِ مثلَ يمينهِ ما انشقَّ حتى جاز فيهِ مُوسَى

وقوله أيضا [من الخفيف] :

يترَشَّفْنَ مِن فمى رَشَفَاتٍ هُنَّ فيهِ أحلى مِنَ التوحيدِ

وقال بعض من اعتذرَ للمتنبي : إن المراد بالتوحيد هنا : نوع من التمر ، وبعضٌ أصلح البيت ، فقال:

* هُنَّ فيهِ حلَاوَةُ التوحيدِ *

وَمنه قول الوزير أبى القاسم المغربى [من السريع] :

قارَعَتِ الأيامُ مِنى امرَءًا قدْ عَلَّقَ المجدَ بأمرَاسهِ

تستنزلُ الرزقَ بأقدَامه وتستمدُّ العزَّ من باسهِ

أرْوَعَ لا ينحطُّ عنْ تيهِهِ والسيفُ مَسلولٌ على راسهِ

ومن الغلو القبيح قول عضد الدولة [١] بن بُوَيْه [من الرمل] :

لَيسَ شُرْبُ الكأس إلا في المطرْ وَغناء مِنْ جوارٍ في السحرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهَى ناغماتٍ مِنْ تضاعيف الوترْ
مبرزَاتِ الكأس مِنْ مطلعها ساقياتِ الرَّاح مَنْ فَاقَ البشَرْ
عَضُدَ الدولةِ وابنَ رُكنهَا مَلكَ الأملاكِ غَلَّابَ القَدَرْ

يُرْوَى أنه لم يفلح بعد هذا القول ، وأخذته علة الصرعِ ، ودخل فى غمراتِ الموت ، فكان لا ينطق إلا بقوله تعالى (مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) .

والمتساهلون فى هذا النوع كثيرون - كأبى نُوَاس ، وابن هانىء الأندلسى ، والمتنبى ، وأبى العلاء المعرِّى ، وغيرهم من المتأخرين - كابن النبيه ، ومَنْ جرَى مجراه ، والاضراب عن ذكر ذلك أنسب ، والله أعلم .

* * *

شاهد الغلو المقبول

١٣٩ - عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا
لَوْ تَبْتَغِى عَنَقًا عَلَيْهِ أَمْكنَا

البيت لأبى الطيب المتنبي ، وهو من قصيدة من الكامل [٢] ، يمدح بها ابن عمار ، أولها :

الحبُّ مامنعَ الكلامَ الألسُنَا وألذُّ شكْوَى عاشقٍ ما أعلنَا

---

(١) روى هذه الأبيات الأربعة ابن حجة فى خزانة الأدب (٢٨٥) وذكر ماذكره المؤلف عنه من أنه لم يفلح بعد هذا القول.

(٢) اقرأها فى ديوانه (٤ - ١٩٥)

لَيتَ الحبيبَ الهاجرى هَجْرَ الكَرَى
مِنْ غيرِ جُرْمٍ واصِلِى صِلَةَ الضنَى

بِنَّا فَلَوْ حاوَلْتَنا لَمْ تَدْرِ مَا ... أَلوانَنَا مما امتقِعْنَ تَلوُّنَا[1]

وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسنَا حتى لَقَدْ ... أَشفَقْتُ تحترِقُ العواذلُ بيننَا

إلى أن قال :

طَرِبَتْ مرَاكِبنَا فخلنا أَنهَا ... لولا حياءٌ عاقهَا رَقَصتْ بنَا

أَقبلت تبسمُ والجيادُ عوابسٌ ... يَخبِبنَ بالحلقِ المضاعفِ والقَنَا

وبعده البيت ، وبعده :

وَالأَمرُ أَمرُكَ والقلوبُ خوَافِقٌ ... فى موقفٍ بينَ المنيةِ وَالْمُنَى

فعجبتُ حتى ماعجبتُ مِنَ الظبَا ... وَرَأَيتُ حتى مارأَيتُ من السنَا

وهى طويلة .

والسنابك : جمع سُنبك — بضَمّ أوله وثالثه — وهو طرَفُ الحافرِ ، والعثير — بكسر أوله — التراب والعجاج ، والعَنَقُ — محركه — سيرٌ مستطرد للإبل والدابة

والشاهد فيه : الغلو المقبول ، وهو : ماتضمن معنى حسنا من التخييل ، فانه ادّعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها مترا كما متكاثفاً بحيث صار أرضا يمكن أن تسير عليها تلك الجياد ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، لكنه تخييلٌ حسن .

---

(١) فى نسخة الديوان « بنا فلو حليتنا » ومعنى حليتنا وصفتنا . يريد انهم لعظم ما نالهم من ألم الفراق لو حاول محاول أن يصفهم ما استطاع لشدة تغير ألوانهم ، يريد أنه لا يستطيع وصفهم بلون خاص من بين الألوان .

وقريب من معناه قول ابن فضال القيرَوانى [من الوافر] :

بنيتَ الأرضَ فوقهمُ سماءً وقدْ أجريت من عَرَق بحارًا
فليسَ تَرَاكَ ألحاظُ الدَّرارِى وأنتَ حشوْتَ أعيُنَهَا غبَارًا

ومنه قول على بن عاصم الأصبهانى [من الكامل] :

مدَّتْ سنابكُهُ عليكَ سُرَادقًا نسجَتْ مضاربهُ من القسطَالِ
فى حَومة ما إن يبينُ من الوغَى إلاّ هَلاً منْ زَجرهنّ وَهَالِ
لَيلٌ من الغمرَاتِ أنتَ سِرَاجهُ وَنجومـهُ هِنـدِيَّةٌ وَعوَالِ (١)

وقول الببغاء أيضا [من الكامل] :

كالليلِ إلا أن ثوب ظلامهِ من عِثْيَرٍ ونجومه من لامِ

وقول السرى الرفاء أيضا [من الكامل] :

فى معركٍ طافَ الرَّدَى بكُمَاتهِ عند اختلافِ الطعن أىّ مطافِ
فإذا السنابكُ أنشأتْ ليلاً بهِ بعث الصباحَ لها سنَا الأسيافِ

وقول البحترى أيضا [من الخفيف] :

فى نهارٍ منَ السيوفِ مضىءٍ تحتَ لَيْلٍ من مُسْتَثَارِ الصعيدِ

وقد تقدم طرَف من ذلك فى شواهد التشبيه .

***

١٤٠ — يُخَيَّلُ لِى أن سُمِّرَ الشهبُ فى الدّجى
وَشُدَّتْ بأهدَابِى إليهنّ أجفَانِى

ريب لصحة

البيت للقاضى الأرجانى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك ، أولها :

---

(١) هندية : أراد بها السيوف ، وعوال : أراد بها الرماح

أأجفانُ بيضٍ هنَّ أم بيضُ أجفانِ فوَاتِكُ لا تُبْقِي على الدَّنِف العانِي
صوارمُ عشاقٍ يُقَتِّلْنَ ذا الهوَى ومن دونها أيضاً صوارمُ فرسانِ
مررْتُ بنعمان فمـا زلتُ واجداً إلى الحول نَشْرَ المسك من بطن نعمانِ
سوَافر فى خضرِ المـلاءِ سوَائر كما ماسَ فى الأوراق أعطاف أغصانِ
وقد أطلعت وردَ الخدُودِ نوَاضرا ومن دونها شوكُ القنَا فمَنِ الجانِي

إلى أن قال :

وقفتُ بها صبحاً أُناشدُ معشَرِي وأُنْشِدُ أشعارى وأنْشُدُ إخوانِى
ولمـا توَسمتُ المنازلَ شاقنِى تذكرُ أيامٍ عهدتُ وإخوانِ
مضَتْ ومَضوْا عنى فقلتُ تأسُّفاً قِفَا نبكِ من ذكرى أُناسٍ وأزمانِ (١)
تأوَّبنى ذكرُ الأحبةِ طَارِقاً ولِلَّيْلِ فى الآفاقِ وقفةُ حيرانِ
وأرَّقنى وَالمشرَفىُّ مُضَاجِعِى سنَا بارِقٍ أسْرَى فَهَيَّجَ أحزَانى
ثلاثةُ أجفانٍ ففى طىّ واحدٍ غِرَارٌ وخالٍ من غِرَارَيهما اثنانِ

و بعده البيت ، و بعده :

نظرْتُ إلى البرْق الخفىِّ كأنهُ حديثٌ مُضاعٌ بينَ سِرّ و إعلانِ
وباتَ له منى وَقد طَنَّبَ الدُّجَى كلُوءُ الليالى طرْفهُ غيرُ وَسنَانِ

وهى طويلة .

والشاهد فى البيت : إدْخال شىء على الغلو يقربه إلى الصحة ، مع تضمنه نوعاً حسنا من التخييل ، فانه يقول : يوقع فى خيالى أن الشُهُبَ محكمة بالمسامير

---

(١) عجز هذا البيت من قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وربع عفت آياته منذ أزمان

لا تزول عن مكانها ، وأن أجفان عيني قد شُدت بأهدابها إلى الشهب لطول سهري فى ذلك الليل وعدم انطباقها والتقائها ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، ولكنه تخييل حسن ، ولفظ « يخيل » مما يقربه إلى الصحة .

ومن المقبول فى الغلو أيضا قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

تكادُ قِسِيُّهُ من غيرِ رامٍ ... تمكنُ فى قلوبهم النبالاَ

تكادُ سيوفهُ مِن غير سَلٍّ ... تجدُّ إلى رقابهم انسلالاَ

وما أبدع قوله فى هذه الأبيات ، وهو مما نحن فيه :

يذيبُ الرُّعبُ منهُ كلَّ عضبٍ ... فلولاَ الغمدُ يمسكهُ لَسالاَ

وفى معناه قول ابن المعتز [من المنسرح] :

يكادُ يجرى من القميصِ من النعـــمة لو لا القميصُ يمسكهُ

وقوله أيضا يصف فرساً [من الرجز] :

يكاد أن يخرج من إهابهِ ... إذا تدلى السوطُ لو لا اللَّببُ

ومنه قول أبى الشيص [من الكامل] :

لو لا التمنطق والسوار معاً ... والحجلُ والدملوج فى العضدِ

لتزايلت من كل ناحيةٍ ... لكن جُعِلْنَ لها على عمدِ

وقد أخذه ابن النبيه ، فقال [من الطويل] :

لها معصمٌ لولا السوارُ يصدُّهُ ... إذا حَسَرَتْ أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول بعضهم أيضا [من الرجز] :

لها من الليل البهيم طُرَّةٌ ... على جبينٍ واضحٍ نهارهُ

ومعصمٌ يكاد يجرى رقةً ... وإنما يعصمه سوارُهُ

ولعز الدين بن عبد الرزاق فى معناه [من السريع] :

قالتْ وقد صرت كطيف الخيالْ كيفَ ترى فعل الدمى بالرجالْ
وسـدّدت سهماً إلى مقتلى تقولُ هل فيك لدفع النصالْ
رقيقـةُ الجسم ، فلولا الذى يمسكهُ من قسوة القلب سالْ

وما ألطف قولَ شرف الدين الحـلاوى ، يصف كأساً من أبيـات ، [من المنسرح] :

رقَّ فلولا الأكفُّ تمسكه سالَ مع الخمر حين ترشفه

ومنه قول ابن حمديس فى وصف فرس [من الـكامل] :

يجرى فلمعُ البرْق فى آثارهِ من كثرة الـكبوات غيرُ مفيقِ
ويكاد يخرجُ سرعةً من ظلهِ لو كان يرغبُ فى فراق رفيقِ

ومثله قول شمس الدولة بن عبدان [من الـكامل] :

أبَتِ الحوافرأن يَمَسَّ بها الثرى فـكأنهُ فى جريهِ متعلقُ
وكأنَّ أربعـةً تُرَاهِنُ طَرْفَهُ فتـكاد تسبقهُ إلى ما يرمقُ

وقول الآخر أيضا [من الـكامل] :

كم سابحٍ أعددتهُ فوجدتهُ عند الـكريهة وهو نسرٌ طائرُ
لم يرم قطُّ بطرفهِ فى غايةٍ إلا وسابقهُ إليها الحافرُ

وَقول الطاهر الجزرى [من الطويل] :

وأدهمَ كالليل البهيم مطهـم فقد عزَّ من يعلو بساحـة عرْفهِ
يفوت هبوبَ الريح سبقاإذاجرى تُرَاهِنُ رجـلاهُ مواقع طرفـهِ

وَقول جمال الدين الصوفى [من البسيط] :

وَأدهم اللون فاق البرْق وانتظرهْ فغارت الريح حتى غَيَّبَتْ أثرهْ
فواضعٌ رجله حيث انتهت يدهُ وَواضعٌ يدهُ أنَّى رمى بصَرَهْ
سهمٌ تراه يحاكى السهم منطلقاً وماله غرضٌ مستوقفٌ خبرهْ
يعفر الوحش فى البيداء فارسهُ وَينثني وادعاً لم يستثر غبَرَهْ

وقد أبدع أبو القاسم بن هانىء ، فقال [من الكامل] :

عُرِفَتْ بسرعة سَبْقِها لا أنها علقت بها يوم الرِّهان عيون
وأجَلُّ علم البرْق فيها أنهَا مرّت بجانحتيه وَهْيَ ظنونُ

ومثله قول ابن نباتة السعدى [من الكامل] :

لا تعلق الألحاظ من أعطافهِ إلا إذا كفكفت من غلوائه

وما أبلغ قول ابن الخطيب الأندلسى مع التورية المرشحة [من المتدارك] :

يعتدُّ بها ملكٌ شهمٌ لو رام بها الشعرى سبقا
أو عارضها بالبرْق كَبَا أو أو رد عين الشمس سقَا

وأبدع امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

كأن غلامى إذ علا حالَ متنهِ على ظهر طير فى السماء محلق

هكذا قيل ، والرواية فى ديوانه بلفظ « باز » بدل « طير »

وأجاد معاوية بن مرداس بقوله أيضا [من البسيط] :

يكاد فى شأوِهِ لولا أسكّنهُ لو طار ذو حافر من سرعة طارا

ومثله لبعض الأعراب أيضا [من المتقارب] :

فلو طار ذو حافرٍ قبلها لطارت ولكنه لم يطرْ

وما أبدع قول ابن المعتز [من الكامل] :

فكأنه موجٌ يذوبُ إذا أطلقتهُ فإذا حبست جمدْ

وهو مأخوذ من قول العكوك [من الرجز] :

مضرّجٌ يرتج فى أقطارهِ كالماء جالتْ فيه ريح فاضطربْ

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

ولمّا لم يُسَابقهُنَّ شىء من الحَيَوان سابَقْنَ الظِّلالا

ولمؤيد الدين الطغرائى [من الكامل] :

سَبَقَتْ حوافِرُها النَّواظِرَ فاستوَى سَبْقٌ إلى غاياتِها وسُكُونُ
لولا تَرامى الرّايتَيْنِ لأقسَمَ الرّاءُونَ أنَّ حِراكَها تَسْكِينُ
وتَكادُ تُشبِهُها البُرُوقُ لوَ انّها لم تعتلِقها أعيُنٌ وظُنُونُ

وبالغ ابن الحجاج فى مرثية فرس له فقال [من السريع] :

قال لهُ البرْقُ وقالت لهُ الرِّيحُ جميعاً وهُما ماهُما
أأنتَ تَجرى معَنا قال لا إنْ شِئتُ أُضحكتُكُما مِنكما
هذا ارْتِدادُ الطّرْفِ قدفُتُّه إلى المَدَى سَبقاً فمَنْ أنتُما

وبديع قول الصلاح الصفدى [من السريع] :

يا حُسنَهُ منْ أشقَرٍ قصَّرَتْ عَنهُ بُرُوقُ الجوِّ فى الركْضِ
لاتَستطيعُ الشمْسُ من جَرْيه تَرْسمُهُ ظِلاًّ على الأرْضِ

ومن الغلو المقبول قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم [من البسيط] :

يكادُ يُمسِكُهُ عِرفانَ رَاحتِهِ رُكْنُ الحَطِيم إذا ماجاء يَستلِمُ

ترجمة القاضى الأرجانى

والقاضى الأرجانى هو : أحمد(١) بن محمد بن الحسين بن على ناصح الدين(٢) وهومنسوب إلى أرجان ـ بتشديد الراء المفتوحة وبالجيم ـ وهى من كور الأهواز من بلاد خوزستان ، وأكثر الناس يقولونها بالراء المخففة ، واستعملها المتنبي فى شعره (٣) كذلك ، وكان القاضى المذكور أحد أفاضل الزمان ، كامل الأوصاف ،

---

(١) له ترجمة فى ابن خلكان (١ ـ ٨٣)
(٢) فى الأصول « بن ناصح الدين » وكلمة « بن » مقحمة ، يؤيده قول ابن خلكان « الملقب ناصح الدين » وسيأتى للمؤلف (ص٤٥) يقول «ومن شعر القاضى ناصح الدين» .
(٣) وقع ذلك فى قوله من قصيدة :
أرجان أيتها الجياد فانه عزمى الذى يذر الوشيج مكسرا

لطيف العبارة ، غواصا على المعانى ، إذا ظفر بالمعنى لايدع فيه لمن بعده فضلا ، قال أبوالقاسم هبة الله بن الفضل الشاعر : كان الغزِّى صاحب معنًى لا لفظٍ ، وكان الأبيوردىُّ صاحب لفظٍ لامعنى ، وكان القاضى أبو بكر صاحب لفظ ومعنى . قال ابن الخشاب : والأمر كما قال ، وأشعارهم تُصدق هذا الحكم إذا تؤملت ، وكان فى عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان وكان ينوب فى القضاء ببلاد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم ، ومن شعره فى ذلك [من الكامل]:

ومنَ النّوَائِب أننى ... فى مِثْلِ هذَا الشّغْلِ نائِبْ
ومنَ العَجَائِب أنّ لى ... صبراً على هذِى العَجَائِبْ

وكان فقيها شاعرا ولذلك قال [من الكامل] :

أنا أَفْقَهُ الشُّعَراءِ غيرَ مُدَافع ... فى العَصْر لا بَلْ أشعَرُ الفُقَهاء
شِعْرٌ إذا ماقُلْتُ دَوَّنَهُ الوَرَى ... بالطَّبْع لا بتكلُّفِ الالقاءِ
كالصَّوْتِ فى قُلَل الجِبالِ إذا علا ... لِلسَّمْع هاجَ تجاوُبَ الأصداءِ

وقد قدم الأرجانى بغداد مرات ، ومدح الامام المستظهر وغيره ومن شعره وهو غريب [من الطويل] :

رثَى لى وقَدْ ساوَيْتُهُ فى نُحُولِهِ ... خيَالِىَ لمَّا لم يكُنْ لى راحمُ[(١)]
فَدَلّسَ بى حتّى طَرَقْتُ مكانهُ ... وأوهمْتُ إلفِى أنه بى حالِمٌ
وبتْنا ولم يَشْعُرْ بنا النّاسُ لَيلَةً ... أنا ساهِرٌ فى جفْنِهِ وهْوَ نائِمُ

وله قصيدة يصف فيها الشمعة، وقد أحسن فيها كل الاحسان ، واستغرق

(١) فى الأصول كلها « أتى لى » فى مكان « رثى لى » وهو تحريف عما أثبتناه عن ابن خلكان ، وعن الديوان (٣٥٥) أيضا . و « يكن» هنا تامة ، و « راحم » فاعلها

سائر الصفات، ولم يكد يخلى لمن بعده فيها فضلا، ولنذكر طرفا منها، فأولها [من البسيط] :

نَمَّتْ بأسرار لَيْل كانَ يُخفيها ... وأطْلَعتْ قلبها لِلنّاس مِنْ فيها

قَلْبٌ لهَا لم يَرُعنا وهْوَ مكتَمِنٌ ... ألا ترى فِيه ناراً مِنْ تَرَاقِيها

سَفيهَةٌ لم يَزَل طُولُ اللِّسانِ لهَا ... فى الحَىِّ يُجنى عَليها حَذْف هاديها

غَرِيقَةٌ فى دُموعٍ وهْىَ تحرِقُها ... أنفاسُها بِدَوام منْ تَلَظِّيها

تَنفّستْ نَفَسَ المَهْجُور إذ ذكَرت ... عَهْدَ الخَليطِ فَبات الوَجدُ يُذْكِيها

يُخشَى علَيها الرَّدى مَهما أَلَمَّ بها ... نَسيمُ ريحٍ إذَا وافى يُحيِّيها

بدَت كنَجْمٍ هوَى فى إثْرِ عِفْرِيةٍ ... فى الأرض فاشتَعلَتْ مِنهُ نواصيها

كأنّها غرّةٌ قدْ سادَ شادخها ... فى وجهِ دَهماء يَزهاها تجلِّيها

أوضَرّةٌ خُلقَتْ لِلشّمْس حاسدة ... فكُلّما حُجِبَتْ قامتْ تُحاكيها

وحيدَةٌ بشباةِ الرُّمْح هازمةٌ ... عسا كِرَ اللّيلِ إن حلّت بواديها

ما طنبت قَطُّ فى أرض مُخَيِّمةً ... إلا وأقمَرَ لِلأبْصار داجيها

لهَا غرَائبُ تَبدو من محاسِنِها ... إذَا تفَكّرتَ يَوماً فى معَانِيها

فالوَجنَةَ الوَرْدُ إلا فى تنَاوُلِهَا ... والقَامَةُ الغُصْنُ إلا فى تَثَنِّيها

قَدْ أثمَرَتْ وَردَةً حمْرَاءَ طالعةً ... تَجنى على الكَفِّ إن أهويت تجنيها

وَرْدٌ تُشاكُ به الأيْدِى إذا قطفت ... وما علَى غُصنِها شَوْكٌ يُوَقِّيها

صُفْرٌ غلائلُهَا حُمْرٌ عمَائِمُها ... سُودٌ ذَوائِبُها بِيضٌ لَيالِيها

ومنها :

وصيفَةٌ لَستَ مِنها قاضياً وَطَراً ... إن أنتَ لَمْ تكْسُها تاجاً يُحلِّيها

صَفْراء هِنْدِية فى اللّوْنِ إن نُعِتَت ... والقَدِّ واللّين إن أتممت تَشبيها

فالهندُ تقتُل بالنيرانِ أنفُسها وعِندَها أن ذاكَ القتلَ يُحييهَا

منها :

غرَّاء فَرْعاء ما تنفكُّ خاليةً تقصُّ لمتها طَوراً وتَفليهـا
شيباء شعثاء لا تكسى غدَائرها لونَ الشَّبيبةِ إلا حين تُبليها
يَلمها فى سوَادِ الليل مُسعدة إذا الهُمُومُ دعت قلبي دواعيها
لولا اختِلاَفُ طِباعينا بِوَاحِدَةٍ ولِلطِّباع اختِلاَفٌ فى مبانيهَا(١)
بأنَّها فى سَوادِ الليل مُظهِرةٌ تِلكَ التىفى سوادِ القَلْبِ أخفيها
وَبيْننا عبرَاتٌ إنْ هُمُ نَظَرُوا غيَّضتُهاخوفَ واشٍ وهى تجريها
ما عاندَتها الليالى فى مَطالبِهَا ولا عدتها العوادى فى مباغيها
ولا رَمتها بِبُعدٍ مِنْ أحِبَّتها كما رمتنى ، وقُربٍ من أعاديها
ولا تُكابدُ حُسَّاداً أكابدُها ولا تُداجى بنى دَهرٍ أداجيها

وعلى ذكر الشمعة فما أحسن قول الصنوبرى فيها أيضاً [من الكامل] :

مجْدولة تحكى لَنَا فى قَدِّها قدَّ الأَسلْ
كأنها عُمرُ الفتى والنَّار فيها كالأجلْ

ومنه قول ابن شبل [من البسيط] :

وساعَدَتنى علَى الظَّلماء مُشبهتى هيْفاءحافَ علَيهَا السُّقمُ والأرقُ
الفَضْلُ فىَّ وفيها النَّار نَفْعُهما لغيرِنا وكِلانا فِيهِ يحْترِقُ

وهو من قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :

(١) فى الأصول « لولا اختلاف طبائعنا » ولا يستقيم معه الوزن وما أثبتناه يوافق ما وجدناه فى الديوان (٤٢٧) بعد ذلك ، والحمد لله .

أَحْزَمُ مِنكُمْ بِما أَقولُ وقَدْ ... نالَ بِهِ العاشِقُونَ مَنْ عشقُوا
حتى كأنِّى ذُبالَةٌ نُصِبَتْ ... تُضِئ للنَّاسِ وَهْىَ تَحتَرِقُ

ومن شعر القاضى ناصح الدين الأرجانى قوله [من البسيط] :

تَقُولُ لِلبَدْرِ فى الظَّلْماء طَلْعتُهُ ... بأَىِّ وجْهٍ إذا أقبلْتُ تلقانى
وجْهُ السَّماءِ مِرآةٌ أُطَالِعُها ... والبَدْرُ وهنْا خَيالى فيهِ لاقانى(١)
لم أنسَهُ يوم أبكانى وأضحكهُ ... وقُوفُنا حَيْثُ أرعاهُ وَيَرْعانى
كلٌّ رأى نَفْسه فى عَيْنِ صاحبه ... فالحسْنُ أضحكَهُ والحُزْنُ أبكانى

ومنه [من الطويل] :

تمتَّعْتما ياناظِرَىَّ بنَظْرَةٍ ... فأوْرَدتما قلبى أشَرَّ المَوَارِدِ
أعيْنَىَّ كُفَّا عَنْ فُؤَادى فانه ... من البَغْىِ سَعْىُ اثنين فى قتلِ واحد

ومنه [من الكامل] :

اقرنْ برأيكَ رأىَ غيْرِكَ واستَشِرْ ... فالحَقُّ لا يَخْفَى على إثنَيْنِ
المَرْءُ مرآةٌ تريه وَجْهَهُ ... ويَرَى قَفَاه بِجَمْعِ مِرْآتَينِ

ومنه [من البسيط] :

شاوِرْ سواكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ ... يوما وإن كنتَ من أهلِ المَشورات
فالعين تلقى كفاحاً ما نأى ودَنا ... ولاَ تَرَى نَفْسَها إلاَّ بمرآةِ

وبالجملة فمحاسنه كثيرة ، ولطائفه غزيرة ، وشعره كثير ، والذى جمع منه

---

(١) فى الأصول * والبدر وهنا خيالا فيه لاقانى * ولا يستقيم عليه المعنى ، وما أثبتناه يوافق ما فى الديوان (٤١٦) يريد أنها إنما رأت فى البدر خيالها ، ففيه تشبيه ضمنى لها بالبدر ، وصدر هذا البيت فى الديوان * وجه السماء مرآة لى أطالعها * وما هنا أسلم

لا يكون عشره ، ويقال : إنه كان له فى كل يوم ثمانية أبيات ينظمها على الدوام وكانت ولادته سنة ستين وأربعمائة ، ووفاته بتستر فى ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة

***

شاهد إخراج الغلو مخرج الهزل

١٤١ — أَسْكَرُ بالأَمْسِ إنْ عَزَمْتُ عَلى الشُّرْبِ غَدًا ، إنَّ ذا من العَجَبِ

البيت من المنسرح، ولا أعلم من قائله

والشاهد فيه : إخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة ، وهو ظاهر، ومنه قول أبى نواس [من الطويل] :

فلما شَربناها وَدَبَّ دبيبها ... إلى مَوْضِع الأَسْرَار قلت لهاقفى

مَخافة أن يَسطو على شعَاعها ... فتُطْلِعَ نَدْمانى على سِرِّىَ الخفى (١)

ومنه قول ابن لنكك البصرى [من الوافر] :

فديتكَ لوْ علمت ببَعْض مابى ... لما جرَّعتنى إلاَّ بِسعطْ

بِحَسبكَ أن كَرْماً فى جوَارى ... أمرُّ بِبابِهِ فأكاد أسقُطْ

وقوله أيضا [من المجتث] :

قرأت عهدة كَرْمٍ ... فأسكرَتنى سنينا

وقول أبى الحسن أحمد بن المؤمل [من الطويل] :

وقائِلَة لى مالكَ الدَّهرَ طافحاً ... وأنتَ مُسِنٌّ لا يَليق بكَ السُّكْر

---

(١) معنى هذا البيت أنه لما دب دبيب الخمر إلى باطنه امتنع عن الشرب مخافة أن يسطو شعاعها عليه فيصير جسمه شفافا لا يحجب ما وراءه وحينئذ يظهر لنديمه ويتجلى لعينيه ما فى باطنه

فقلت لَهَا أفكَرْت فى الخمر مَرَّةً فأسكَرَنى ذاكَ التوَهُّم والفكْر

ومنه قول السراج الوراق [من السريع] :

ومُرَّةٍ مِنْ طولِ ماعمِّرَتْ كُنِّىَ إبليس أبا مرّهْ

تَرَى الندامى حَوْلَ حيطانها صَرْعى وماذاقوا ولا قطْرَهْ

وقول بعضهم يهجو [من المنسرح] :

أخشَن مِنْ قنفذٍ ومن حَسَكِ ومِنْ عظام تكون فى السمكِ

ويدّعى ضيقه وأسْفَله يَصلح طوْقا لِدَارَةِ الفَلَكِ

وهو ينظر إلى قول ابن الرومى فى معناه [من الرجز] :

أوسَعُ من وقت العشاء الآخرهْ أولج فيهِ كالقَنَاةِ العابِرَهْ

كأنَّ أيْرِى نقطة فى الدّائرهْ

وهو على إساءة أدبه مخطىء فى المعنى .

وظريف قول ابن سناء الملك [من السريع] :

إن قلتُ ما أحْسنه شادنا فانما قصدىَ ما أخْشَنَهْ

يَظلُّ أيرى ضائعاً فى آستِهِ كأنّه المِغْزل فى الرّوزنَهْ

وقول ابن حجاج [من السريع] :

فتى له عزْمٌ إذا كلّتِ الأسيافُ مثلُ المُرْهفِ الصّارم

وراحة لو صفعَت حاتماً تعَلَّمَ الجُودَ قفا حاتِمِ

وقول النفرى البغدادى [من مجزوء الرمل] :

وصديقٍ جاءنى يَسألنى ماذا لديْكْ

قلتُ عِنْدِى بحرُ خمرٍ حولهُ آجامُ نَيْكْ

☆ ☆ ☆

١٤٢ حلَفتُ فلم أترُكْ لنفسك رِيبةً ... وليْسَ وراء الله للمَرْء مطْلَبُ

لئنْ كنتَ قدْ بُلِّغتَ عنّي خيانة ... لمُبلغكَ الواشي أغشُّ وأكْذبُ

ولكنني كنتُ امرأً لِي جَانبٌ ... من الأرض فيه مُسْتَرادٌ ومذهبُ

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتهم ... أحكَّمُ في أموالهم وأقرَّبُ

كفعلك في قوم أراك اصْطَفَيْتَهُم ... فلم تَرهم في مَدْحِهم لكَ أذنَبوا

الأبيات للنابغة من قصيدته السابقة في أواخر الفن الأول [١] وقبلها :

أتاني وَعيدٌ والتّنائف بيننا ... سخاوِيُّها والغائط المتَصوِّبُ [٢]

فبتُّ كأنَّ العائدَاتِ فَرشنني ... هراساً به يعلى فراشي ويُقشَبُ [٣]

والريبة: التهمة ، والمستراد : موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومنتجع من راد الكلأ ، ومعنى أقرَّبُ يجعلوني حكما في أموالهم مقربا منهم رفيع المنزلة عندهم

والشاهد فيها : المذهب الكلامي ، وهو : إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وهو : أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب ، فهو هنا يقول : لا تلمني ولا تعاتبني على مدح آل جَفْنة وقد أحسنوا إلي كما لا تلوم قوماً مدحوك وقد أحسنت إليهم ، فكما أن مدح أولئك لك لا يعدُّ ذنبا كذلك مدحي لمن أحسن إلي ، وهذه الحجة على صورة التمثيل الذي تسميه الفقهاء قياسا ، ويمكن

---

(١) ارجع الى شرح الشاهد (رقم ٦٦)

(٢) فى الأصل « سخاوية » وما أثبتناه عن لسان العرب (س خ ١) ويروى هذا البيت فى الديوان

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

والسخاوية : الأرض التي لا شيء فيها .

(٣) العائدات : الزائرات فى المرض ، والهراس : نبات من نبات البرية كثير الشوك . ووقع فى الأصل « يقلى » بالقاف ـ وهو تحريف عما أثبتناه عن الديوان واللسان (هـ) ويقشب : يخلط ويجدد لى مرة بعد مرة

4

رده إلى صورة قياس استثنائى بأن يقال : لو كان مدحى لآل جفنة ذنبا لكان مدح أولئك القوم لك أيضاً ذنبا ، لكن اللازم باطل ، فكذا الملزوم ، وآل جفنة كانوا ملوك الشام ، كما أن آل النعمان كانوا ملوك الحيرة

أمثلة من المذهب الكلامى

ومن المذهب الكلامى قول الفرزدق [من الطويل] :

لكلّ امرىء نفسان نفسٌ كريمةٌ وأُخرَى يُعاصيها الهوَى فيطيعُها

ونفسكَ منْ نفسيكَ تشفعُ للندَى إذا قلَّ مِنْ أحرارهنَّ شفيعُهَا

وقول إبراهيم بن العباس [من الطويل] :

وَعَلَّمتنى كيفَ الهوَى وَجهلتهُ وعلّمكمْ صبرِى علىَ ظلمكمْ ظلمى

وأعلم مالى عندكم فيميل بِى هوَاىَ إلى جهلى فأعرِضُ عنْ علمى

وقولُ إبراهيم بن المهدى ، يعتذرُ للمأمون من وثوبهِ على الخلافة ، [من البسيط] :

البرُّ منك وِطَاء العذْرِ عندكَ لِى فيما فعلتُ فلمْ تعذِلْ ولم تَلُمِ

وقامَ علمكَ بى فاحتجَّ عندكَ لى مقامَ شاهدِ عدلٍ غيرِ متهمِ

وقول ابن المعتز [من المجتث] :

أسرفتُ فى الكتمانِ وذاكَ مِنّى دَهانى

كتمتُ حبكَ حتى كتمتهُ كتمانى

فلم يكنْ لىَ بدٌّ منْ ذكرِهِ بلسانى

وقوله أيضاً [من المديد] :

كيفَ لا يخضرُّ شاربهُ ومياهُ الحسنِ تسقيهِ

وَقول قابوس [من البسيط] :

ياذَا الذى بصرُوفِ الدَّهْرِ عيَّرَنا هلْ عاندَ الدهرُ إلاَّ منْ له خطرُ

أما ترى البحرَ تطفو فوقهُ جِيفٌ وتستقرُّ بأقصى قعرهِ الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ لا عِدادَ لهَا وليسَ يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ

وقول أبى عبد الرحمن العطوى [من الخفيف] :

فوَحقّ البيانِ يعضدهُ البرْ هان فى مأقطٍ ألدِّ الخصامِ
ما رَأينا سوَى الحبيبةِ شيئاً جمعَ الحسنَ كله فى نظامِ
هى تجرى مجرَى الاصابة فى الرأ ى ومجرى الأرواح فى الأجسامِ

وقول ابن رشيق [من السريع] :

فيكَ خلافٌ لخلافِ الذى فيهِ خلافٌ لخلافِ الجميلْ
وغيرُ منْ أنتَ سوَى غيرهِ وغيرُ منْ غيركَ غيرُ البخيلْ

وقول الآخر أيضا [من الوافر] :

محاسنه هَيُولاَ كلّ حسنٍ ومغناطيس أفئدة الرّجالِ

وقول مالك بن المرحل الأندلسى [من الرمل] :

لو يكون الحبُّ وصلاً كلهُ لم تكنْ غايته إلاَّ المَلَلْ
أو يكون الحبّ هجراً كله لم تكنْ غايته إلاّ الكَلَلْ
إنما الوصل كمثل الماء لاَ يستطاب الماء إلا بالعللْ

البيتان الأولان قياس شرطى ، والثالث قياسٌ فقهى ، فانه قاس الوصل على الماء ، فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش ، فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر .

يروى أن أبا دُلَفٍ قصده شاعر تميمى ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : منْ تميم ، فقال [من الطويل] :

تميمٌ بِطُرْقِ اللؤمِ أهْدَى منَ القَطَا ولو سلكتْ سبلَ المكارمِ ضلّتِ

فقال له التميمى : نعم بتلك الهداية جئت إليك ، فأفحمه بدليل حملى ألزمه فيه أن المجىء إليه ضلال .

وظريفٌ قول ابن لنكك [من الطويل] :

تعستمْ جَميعاً مِنْ وجوهٍ لبلدةٍ تَمَكَّنَهُمْ جهْلٌ وَلؤمٌ فأفرطَا
أرَاكم تعيبونَ اللئامَ وإننى أرَاكم بطرق اللؤم أهدَى منَ القطَا(١)

ومنَ المذهب الكلامى قول ابن جابر الأندلسى [من الخفيف] :

لوْ قضى الله أنَّ قلبىَ يبقَى ما حكى لحظه الغزَالَ التفاتَا
لكنِ اللحظ قد حكاه فقلبى قدْ قضى نَحْبَهُ زماناً وماتَا

وقول أبى جعفر الأندلسى [من البسيط] :

لو كنتَ تعلم ما عيناكَ قدْ صنعا لما بخلت على المشتاق بالأملِ
لكن بخلت فلم تعلم بما صنعَتْ فى مهجتى لحظاتُ الأعين النُّجُلِ

***

١٤٣ — لمْ يحكِ نَائِلَكَ السحابُ وإنما
حُمَّتْ بهِ فصَبيبها الرُّحَضَاءُ

شاهد حسن التعليل

البيت للمتنبى من قصيدة من الكامل(٢)، ذكر أولها : فى شواهد التشبيه(٣) وبعده قوله :

(١) آخر هذا البيت مأخوذ من قول الشاعر ، وقد تقدم قريبا إنشاده
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
(٢) اقرأها فى الديوان (١ : ١٢ - ٣١)
(٣) ارجع إلى شرح الشاهد (رقم ٩٤ ج ٢ ص ٩٣)

لمْ تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا إلا بوجهٍ ليسَ فيهِ حياء
فبأىّ ما قدمٍ سعيتَ إلى العلاَ أُدمُ الهلالِ لأخُمُصيكَ حذاء
ولكَ الزمان منَ الزمانِ وقايةٌ ولكَ الحمام منَ الحمام فداء
لوْلمْ تكنْ منْ ذا الورى الّذْ منكَ هو عقمت بمولدِ نسلها حوّاء(١)

والنائل : العطاء ، والرحضاء : العرق أثر الحمى .

والشاهد فيه : حسن التعليل لصفة لا يظهر لها فى العادة علة ، وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح

ويقرب من معنى البيت قول أبى القاسم الزعفرانى [من الطويل] :

رَأى المزنُ ما تُعْطى فضمّ على الأَسى فؤاداً كأنّ البرْق فيهِ لهيب

وما أحسن قوله بعده :

وكم لاح برقٌ وابتسمت لشَائمٍ فـكنت صدوقَ الوْبلِ وهو كذوب

* * *

(١) الذ : لغة فى الذى ، يريد ـ لو لم تـكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأنت أفضل أهله لـكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ، لـكنها صارت ذات ولد بك ، ولولا أنت لـكان أولادها كلاولد ، وقد استعمل « الذ » بدون الياء كما استعملها الراجز فى قوله :

* كالذ تزبى زبية فاصطيدا *

والسر فى اجترائهم على هذا الحذف أن الموصول طويل بسبب ما يستلزمه من الصلة والعائد ، فهم يحذفون بعض الموصول أحيـانا ، ويحذفون الصلة أحيانا ، ويحذفون العـائد أحيانا ، ولـكن حذف بعض الموصول وحذف الصلة مما لا يقدم عليه إلا للضرورة

١٤٤ — مابهِ قتلُ أعاديهِ ولـكنْ   يتّقي إخلافَ ما ترجو الذئاب

شاهد ظهور علة لشيء غير علته

البيت للمتنبي ، من قصيدة من الرمل (١) ، قالها فى بدر بن عمار ارتجالا ، وهو على الشراب ، [أولها] (٢) :

إنما بدرُ ابن عمار سحابُ   هَطِلٌ فيهِ ثوابٌ وعقابُ *

إنما بدرٌ رزايا وعطايا   ومنايا وطعانٌ وضرابُ *

ما يجيلُ الطرف إلا حمدتهُ   جَهْدَها الأيدى وذمتهُ الرقابُ

و بعده البيت ، و بعده :

فـلهُ هيبـة مَنْ لا يرتجى   ولهُ جـود مُرَجًّى لا يهـاب (٣)

طاعن الفرسان فى الأحداق شزراً   وعَجَاجُ الحرب للشمس نقابُ

باعث النفس على الهولِ الذى ليـس لنفس وقعتْ فيهِ إيابُ

بأبى ريحكَ لا نرجسنا ذا   وأحاديثكَ لا هـذا الشراب

ليسَ بالمنكر أن برّزتَ سبقاً   غيرُ مدفوعٍ عن السَّبْق العِرَاب

والشاهد فيه : ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية ، فلا يكون من حسن التعليل ؛ فان قتال الأعداء فى العاده : إنما يكون لدفع مضرتهم ، لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى : أى تناهى فى الشجاعة ، حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب

(١) اقرأها فى الديوان (١ ـ ١٣٣)

(٢) زيادة يقتضيها المقام

(٣) فى الديوان * فله هيبة من لا يترجي * وهى الصواب للوزن

وغيرها ، فاذا غدا للحرب رَجَتْ أن تنال من لحوم أعدائه ، ويتضمن أيضا مدحه بأنه ليس ممن يُسْرف فى القتل طاعة للغيظ والحنق ، أى ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الافراط ، ويتضمن أيضا قصور أعدائه عنه ، وفرط أمنه منهم ، وأنه لا يحتاج إلىَ قتلهم واستئصالهم .

ومثله أيضا قول أبى طالب المأمونى [من الخفيف] :

مغرمٌ بالثناء صبٌّ بكسب المجـــد يهتز للسماح ارتياحَا

لا يذوقُ الإغفاء إلا رجاءً أنْ يرَى طيف مستميح رَوَاحَا

وأصله من قول الآخر [من الطويل] :

وإنى لأستغنى وما بى نعسةٌ لعلّ خيالا منك يَلْقَى خياليا

* * *

شاهد إثبات صفة ممكنة لموصوف

١٤٥ — ياواشياًحَسُنَتْفينا إساءته نَجَّى حذارُكَ إنسانى من الْغَرَق

البيت لمسلم بن الوليد ، من قصيدة من البسيط ، لم أقف منها إلا علىَ هذه الأبيات :

إنى أصدُّ دموعاً لَجَّ سائقها مطروفة العين بالْمَرْضَى من الحدق ِ

إيه فإن النوى وافت مصيبته مولَّعَ القلب بين الشوق والقلق ِ

ما كلّ عاذلة ٍ تُصْغِى لها أُذنى وقد سمعت على الاكراه ِ فانطلق ِ

فما سلوت الهوى جهلا بلذته ِ ولا عصيت إلهَ الحلم عن خرق ِ

والمراد بالانسان هنا : إنسان العين .

والشاهد فيه : إثبات صفة ممكنة لموصوف ، فان استحسان إساءة الواشى شىء ممكن ، لكن لما خالف الناس فيه عقَّبه بأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق فى الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه .

وَقد تشبث القاضى السعيد بن سناء الملك بأذيال مسلم بن الوليد وأحسن اتباعه بقوله [من الخفيف] :

علمتنى بهجرها الصبرَ عنها فهْىَ مشكورةٌ على التقبيحِ

وهو من قول القائل [من المنسرح] :

أعتقنى سوءُ ما صنعتَ من الرق فيا بَرْدَها على كبدى

فصرت عبدًا للسوء فيك وما أحْسَنَ سوءٌ قبلى إلى أحد

ومنه قول أسامة بن منقذ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من مخلع البسيط] :

قل للملول الذى تَجَنَّى وخان من بعد ملك رقى

أحسن بى لا عن اعتماد غَدْرُكَ إذ جاد لى بعتق

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

أهلا وسهلاً بالمشيب فانه سِمَةُ العفيف وحلية الزهاد

ومنه قول بعضهم [من الوافر]:

جزى الله الشدائد كل خير وإن جرَّعْنَنِى غصصى بريقى

وما شكرى لها إلا لأنى عرفتُ بها عدوّى من صديقى

وقول الآخر [من الطويل] :

عداتى لهم فضل على ومنة فلا أذْهَبَ الرحمنُ عنى الأعاديا

هُمُ بحثوا عن زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

ترجمة مسلم بن الوليد

ومسلم بن الوليد هو صريع الغوانى ، وأبوه مولى أبى أمامة أسعد بن زرارة الخزرجى ، ومسلم شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده بالكوفة وهو ــ فيما زعموا ــ أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لَقَّبَ هذا الجنس بالبديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى، فانه جعل شعره كله

مذهبا واحدا فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفا فى شعره

وقال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النمط ، جيد القول فى الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى اللطيفة الظريفة واستخرجها

وحدث محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبى يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا المعنى الذى سماه الناس بالبديع ، ثم جاء الطائى بعده فتحير الناس(١)

واجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد حيث يقول ، قال : ماذا قال ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه فطيبُ ترابِ القبر دلّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال [من البسيط] :

يجود بالنفس إنْ ضنّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال [من الكامل] :

قبحتْ مناظره فحين خبرته حسنتْ مناظره لقبح المخبرِ

وتغازل فقال [من الرجز] :

هوى يجد وحبيبٌ يلعب أنتَ لقىً بينهما معذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره

وحدث أبو القاسم الفقيه الموصلى قال : جاريت ابن فراس الكاتب بحضرة

(١) فى مهذب الأغانى وقد نقل هذا الكلام كله (٨ ـ ٢) «ثم جاء بعده الطائى فتفنن فيه »

القاسم بن عبيد الله فى شىء من أشعار المحدَثينَ ، فاعتقد تفضيل أبى نواس ، واعتقدت تفضيل مسلم بن الوليد ، وطال الخطاب فى ذلك حتى دخل أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، فتحا كمنا إليه ، فقال : قال لى عبد الصمد بن المعذل وما رأيت أغربَ معرفة منه بالشعر وقد سألته عنهما : والله ما جرى أبو نواس قط فى ميدان مسلم ، ولا تسمو نفسه إلى أن يفاضل بينهما ، إلا أن له حظا من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله

وكان مسلم منقطعا إلى البرامكة ، ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل ، وقرب من قلبه وحظى عنده حتى قلده أعمالا بجرجان اكتسب فيها ألف ألف درهم ، فلما حصل المال عنده لزم منزله ، وكان كريما سمحاً ، فأتلف جميع ما اكتسبه ، ثم صار إلى الفضل بن سهل بعد ذلك مستجديا ، فقال له : ألم أغنك؟ قال : ما أغناى فى ألف ألف وألف ألف وألف ألف ، ولا هى قدرك ولا قدرى ، فقال له الفضل : إن بيوت الأموال لا تقوم على هذا الفعل ، ثم قلده الضياع بأصبهان ، وضم إليه رجلا يأخذ مرافق العمل ويطلق له منها شيئا يحتاج إليه بقدر نفقته ويبتاع له بالباقى ضياعا ، فاكتسب منها أيضاً ألف ألف ابتيع له بها ضياع ، فلما قتل الفضل بن سهل لزم منزله ولم يمدح أحداً حتى مات

وحدثت رابعة البرمكية قالت : كنت يوماً وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وبيدى مِذَبّة أذب بها عنه إذ استؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى ، فأذن له ، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، قالت : ثم خلع عليه وأجازه وانصرف ، فما قلت إنه جاز الستر حتى استؤذن لأبى نواس فامتنع من الاذن له ، حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ، ففعل على تكره منه ، فلما دخل سلم عليه ، فما علمت أنه ردَّ عليه ، ولا أمره بالجلوس ، ولا رفع إليه رأسه ، فلما طال عليه الوقوف قال : معى أبيات أفأنشدها ؟ قال : افعل ، وهو فى غاية التكره والثقل ، فأنشده إياها [من الطويل] :

طرحتم على الترحال أمراً فغمَّنا ولو قد فعلتم صبَّح الموتُ بعضَنا

فلما بلغ إلى قوله :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواكِ لعلَّ الفضلَ يجمع بيننا

قَطَّبَ وجهه وقال : أمسك عليك لعنة الله ، اعزب قبحك الله ، وأمر بإخراجه محروما ، فأخرج ، والتفَتَ الفضلُ إلى أنس بن أبي شيخ وقال : ما رأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تميزاً فى كلامه منه ، فقال أنس : إن اسمه كبير ، فقال : عند من ويلك ؟ هل هو إلا عند سُقّاط مثله وخَلْق يشاكلونه ، فقال له : وأين هو من مسلم ؟ فقال الفضل وقد غضب : والله لأحجبنك ثلاثاً ، ولا كلمتك سبعا إذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك ، والله إن مسلما ليفضل عندى الطبقة المتقدمة أو يساويهم ، فلا أرينَّكَ ثلاثا

وحدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لقى مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط ، قال : ما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ماشئت حتى أريك سقطه فيه ، فأنشده [من الكامل] :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأملَّه ديكُ الصباح صياحا(١)

فقال مسلم : فلم أملَّه وهو الذى أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأنشده مسلم [من الكامل] :

عاصَى الشبابَ فراح غير مفنَّدِ وأقام بين عزيمة وتجلدِ

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيما فى حالة ، فتشاغبا وتسابَّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى

وقال يزيد بن مزيد : أرسل إلى الرشيد يوماً فى وقت لا يرسل فيه إلى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر إن أراده ، فلما رآنى ضحك إلى ثم قال : يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك [من البسيط] :

---

(١) فى الأصل * وأمله ديك الصباح فصاحا * وأثبتنا ما فى الديوان

تراه فى الأمن فى درع مُضَاعَفَةٍ لا يأمن الدهر أن يُدْعَى على عجل
لله من هاشم فى أرضه جبل وأنت وابناك ركنا ذلك الجبل

فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سوءةً لك من سيد قوم يُمْدَح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد ، فانصرفت فدعوت به ووصلته وواليته

وحدث ذو الهدمين قال : دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له: يا يزيد ، من الذى يقول فيك [من البسيط] :

لا يعبق الطيب خَدَّيْهِ ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل
قد عَوَّدَ الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه فى كل مُرْتَحَلِ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خَجِلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه ، فقال له : مَنْ بالباب من الشعراء ، قال : مسلم بن الوليد ، فقال : وكيف حجبته عنى فلم تعلمنى بمكانه ؟ قال : أخبرته أنك مُضَيِّق وأنه ليس فى يدك شىء تعطيه إياه وسألته الامساك والمقام أياما إلى أن تتسع ، قال : فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدخله إلى ، فأدخله إليه فأنشده قوله [من البسيط]:

أجررتُ حبلَ خليع فى الصِّبَا غزلِ وشَمَّرَتْ هِمَمُ العذالِ عن عذلى
رد البكاء على العين الطموح هوًى مفرقٌ بين توديعٍ ومرتحلِ
أما كفى البينَ أن أُرْمَى بأسهمه حتى رمانى بسهم الأعين النجلِ
مما جنت لى وإن كانت مُنًى صدقتْ صبابةً خُلَسُ التسليم بالمقلِ

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم ، فاقبضها واعذر ، فخرج الحاجب فقال لمسلم: قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفاً لنفقته ، فأعطاه إياها وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد

فأمر له بمائتي ألف ، وقال : اقض الخمسين ألفاً التي أخذها الشاعر ، وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك ، فافتكّ ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفاً أخرى

وحدث مسلم قال : كنت يوما جالساً في دكان خياط بازاء منزلي إذ رأيت طارقا ببابي ، فقمت إليه فاذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قُمَّ ، فسررت به ، وكأن إنسانا لطم وجهي حيث لم يكن عندي درهم واحد أنفقه ، فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلي ، وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما فدفعتهما إلى جاريتي ، وكتبت معها رقعة إلى بعض معارفي في السوق أسأله أن يبيع الخفين و يشتري لحما وخبزا ، فمضت الجارية وعادت إلى وقد اشترى لها ما حددته له ، وقد باع الخفين بتسعة دراهم ، فكأنها إنما جاءت إلى بخفين جديدين ، فقعدت أنا وضيفي نطبخ ، وسألت جاراً لي أن يسقينا قارورةَ نبيذٍ فوجه بها إلى ، وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار ، فانَّا لجالسان نطبخ إذ طرق طارق الباب ، فقلت لجاريتي : انظري من هذا ، فنظرت من شق الباب فاذا رجل على جواد عليه سواد وشاشية وقطيفة ومعه شاكري ، فخبرتني بموضعه ، فأنكرت أمري ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت : لست بصاحب دَعارة ، ولا للسلطان على سبيل ، ففتحت الباب وخرجت إليه ، فنزل عن دابته وقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، قال : كيف لي بمعرفتك ؟ قلت : الذي دَلَّكَ على منزلي يصحح لك معرفتي ، فقال لغُلاَمه : امض إلى الخياط فسله عنه ، فمضى فسأله عني ، فقال : نعم هو مسلم بن الوليد ، فأخرج إلى كتابا من خفه وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد يأمرني أن لا أفضه إلا عند لقائك ، فاذا فيه « إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم تكون له في منزله ، وادفع له أيضاً ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا » فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلي والرجل معي فأكلنا ذلك الطعام ، وازددت فيه وفي الشراب ، واشتريت فاكهة ، واتسعت ، ووهبت لصاحبي من الدراهم ما يُهْدِي به هدية لعياله ، وأخذت في الجهاز ، ثم

مازلت معه حتى صرت إلى الرقة إلى باب يزيد بن مزيد ، فدخل الرجل و إذا هو أحد حجابه فوجده فى الحمام فخرج إلى فجلس معى قليلا ، ثم خبرنى الحاجب بأنه قد خرج من الحمام ، فأدخلنى إليه فاذا هو جالس على كرسى وعلى رأسه وصيفة وبيدها غلاف مرآة ومشط يسرح به لحيته ، فقال لى : يامسلم، ما الذى أبطأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير قلة ذات اليد ، قال : فأنشدنى ، فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها ، فلما صرت إلى قولى منها [من البسيط]:

لا يَعْبَق الطِّيبُ خديهِ ومَفْرِقَهُ ولا يُمَسِّحُ عينيْهِ من الكحلِ

وضع المرآة فى غلافها وقال للجارية : انصرفى فقد حرم علينا مسلم الطيب ، فلما فرغت من القصيدة قال لى : يامسلم، أتدرى ما حدانى إلى أن وجهت إليك ؟ قلت : لا والله ما أدرى، قال : كنت عند الرشيد منذ ليالى أغمز رجليه إذ قال: يايزيد من القائل فيك [من البسيط]:

سلَّ الخليفةُ سَيْفاً من بَنِى مَطر يَمْضى فَيَخترمُ الأجسادَ والهَاما
كالدَّهر لا ينثنى عَمَّا يَهُمُّ بِهِ قَدْ أوسعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما(١)

فقلت : لا والله ماأدرى ، فقال لى الرشيد : يا سبحان الله ! أنت مقيم على أعرابيتك ، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدرى من قائله فيك ، فسألت عنه فأخبرت أنك هو، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين ، ثم قام فدخل على الرشيد فما علمت حتى خرج على الآذن، فأذن لى فدخلت على الرشيد فأنشدته مالى فيه من الشعر فأمر لى بمائتى ألف درهم ، فلما انصرفت إلى يزيد بن مزيد أمر لى بمائة وتسعين ألفاً وقال : لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين ، وأقطعنى إقطاعات تبلغ غلتها مائتى ألف درهم ، قال مسلم : ثم أفضت بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى ، فهجوته ، فشكانى إلى الرشيد ، فدعانى وقال لى : أتبيعنى عرض يزيد؟ قلت: نعم ،فقال لى : بكم؟ فقلت: برغيف خبز ، فغضب حتى خفته على نفسى وقال

(١) فى الأصل « لاينثنى عما يهم أبدا » عمرقا ، وأثبتنا ما فى الديوان

قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم ، ولست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك ، وأنا نَفِيٌّ عن أبى والله ثم والله لئن بلغنى أنك هجوته لأنزعَنَّ لسانك من بين فكيك ، فأمسكت عنه بعد ذاك ولا ذكرته بخير ولا شر

وحدث أبو توبة قال : كان مسلم بن الوليد جالساً بين يدى يزيد بن مزيد ، فأتاه كتاب فيه مُهم له ثم أراد القيام ، فقال له مسلم بن الوليد [من البسيط] :

الحزمُ تخريقُهُ إن كُنْتَ ذا حذر وَإنّما الحَزْمُ سوء الظّنّ بالنّاس

لَقَدْ أتاكَ وَقَدْ أدّى أمانَتَهُ فاجْعَلْ صِيانَتَهُ فى بَطْنِ أرْماس

قال : فضحك يزيد وقال : صدقت لعمرى ، وخرق الكتاب وأمر باحراقه

وحدث الحسن بن سعيد عن أبيه قال : كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء فى السنة مجلسا واحداً ، فيقصدونه لذلك اليوم و ينشدونه ، فوجه إليه مسلم بن الوليد براويته بشعره الذى يقول فيه [من البسيط] :

جَعلته حَيْثُ ترتابُ الرِّياحُ بهِ وتحسُدُ الطير فيهِ أضبُعَ البيدِ

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ، ولحقه بعقب خروجهم عنه ، فتقدم إلى الحاجب وحَسَرَ لثامه عن وجهه ثم قال له : استأذن لى على الأمير ، قال : ومن أنت لقد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام ؟ فقال له : ويحك ! قد وفدت على الأمير بشعر ماقالت العرب مثله ، قال : وكان مع الحاجب أدب يفهم به مايسمع ، فقال : هات حتى أسمع فان كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه ، فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئاً يَقْصُر الوصف عنه ، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعر ماقيل فيه مثلُه ، فقال: أدخل قائله، فلما مثل بين يديه سلم وقال : قد قدمت على الأمير أعزه الله بشعر يسمعه فيعلم به تقدمى على غيرى ممن امتدحه ، فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة فقال [من البسيط] :

لاتَدْعُ بى الشَّوْقَ إنّى غيرُ معْمُود نَهَى النهى عَنْ هَوَى البيضِ الرَّعاديدِ

استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه فقال : أهذا شعرك؟ قال : نعم أعز الله الأمير ، قال : فى كم قلته ؟ قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله ، قال : لو قلته فى ثمانية أشهر لـكنت محسنا ، وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثلها ، وأمرت بالأجراء عليك ، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم و إلا حرمتك ، فقال : أو الاقالةَ أعز الله الأمير ، قال : قد أقلتك ، قال : الشعر لمسلم بن الوليد ، وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، قال : أنا ابن حاتم ، إنك لما افتتحت شعره فقلت :

* لاتَدْعُ بى الشَّوْقَ إنى غيرُ مَعْمُود *

سمعت كلام مسلم بن الوليد يُنادى ، فأجبت نداءه واستويت جالسا ، ثم قال : ياغلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة إلى مسلم بن الوليد مائة ألف درهم

وحدث محمد بن عبد الله التميمىّ ، قال : دخل مسلم بن الوليد على الفضل ابن سهل لينشده شعراً فقال : أيها الـكهل إنى أجلك عن الشعر ، فسل حاجتك قال : بل تستتم اليد علىّ بأن تسمع، فأنشده [من البسيط] :

دُمُوعُهامن حِذَار البين تنسكِبُ وقَلْبُها مُغرمٌ من حَرٍّ مايَجِب (١)
جدّ الرَّحيلُ بها عَنْهُ ففارَقَهُ لبينْهَا اللّهْوُ واللذات والطَّرَب
يهوى المسيرَ إلى مرو فيحزنُهُ فراقُها فهو ذو نفسين يرتقبُ

فقال له الفضل : إنى لأجلك عن الشعر ، قال : فأغننى بما أحببت من عملك ، فولاه البريد بجرجان

وحدث محمد بن عمرو بن سعيد قال : خرج دعبل الخزاعى إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل ، فصار إلى مرو وكتب إلى الفضل ابن سهل [من الكامل] :

(١) يجب : يخفق ويضطرب

لا تعبأنْ بابن الوليـدِ فانهُ ... يرميك بعدَ ثلاثةٍ بملاَلِ

إنَّ الملولَ وإن تقادم عهدُه ... كانت مودّته كَفَيْءِ ظلالِ

قال : فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم وقال : انظر ياابن الوليد رقعة دعبل فيك فلما قرأها قال له : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق به ؟ قال : لا ، قال : كان يلقب بمياس ، ثم كتب إليه يقول [من الكامل] :

مَيَّاسُ قل لى أين أنت من الورى ... لا أنت معْلومٌ ولا مجهولُ

أما الهجاء فَدَقَّ عرضُكَ دونه ... والمدحُ عنك كما علمت جليلُ

فاذهب فأنت طليقُ عرضك إنه ... عِرضٌ عززت به وأنت ذليلُ

وكان مسلم أستاذ دعبل ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى

وحدث الحسين بن دعبل قال : سمعت أبى يقـول : بينا أنا جالس بباب الـكَرْخ إذ مرت جارية لم أر أحسنَ منها وجها ولا قَدًّا ، تتثنى فى مشيها وتنظر فى أعطافها ، فقلت متعرضا لها [من مخلع البسيط] :

دموعُ عينى بها انبساطُ ... ونومُ عينى به انقباضُ

فأجابتنى مسرعة فقالت :

وذا قليـلٌ لمن دهتْهُ ... بلحظها الأعينُ المِرَاضُ

فأدهشتنى وأعجبتنى فقلت :

فهل لمولاتِ عطفُ قلبٍ ... وللذى فى الحشى انقراضُ(١)

فأجابتنى غير متوقفة وقالت :

إن كنتَ تهوى الودادَ منا ... فالودُّ فى ديننا قِراضُ

قال : فما دخل فى أذنى كلام قط أحلى من كلامها ، ولا رأيت أنضر وجها منها ، فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت [من الـكامل] :

---

(١) حذف ياء المتكلم من « لمولات » اكتفاء بالـكسرة قبلها

أترى الزمان يسرنا بتلاقٍ ويضم مشتاقا إلى مشتاقِ

فأجابتنى بسرعة فقالت :

ما للزمان وللتحكم بيننا أنت الزمان فَسُرَّنَا بتلاقِ

قال : فمضيت أمامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهى تتبعنى ، فصرت إلى منزله ، فصادفته على عسرة فدفع إلى منديلا وقال : اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُدْ ، فمضيت مسرعا فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها فى سرداب، فلما أحس بى وَثَبَ إلى وقال : عرَّفَكَ الله يا أبا على جميل ما فعلت ، ولَقَّاكَ ثوابه ، وجعله أحسن حسنةالك ، فغاظنى قوله وطَنْزه بى ، وجعلت أفكر أى شىء أعمل به ، فقال : بحياتى يا أبا على أخبرنى من الذى يقول [من الخفيف] :

بتُّ فى درعها وبات رفيقى جنبَ القلب طاهر الأعطاف

فقلت :

من له فى حِرامِهِ ألفُ قَرْنٍ قد أنافت على علوّ منافِ

وجعلت أشتمه وأثب عليه، فقال لى : يا أحمق منزلى دخلت ، ومنديلى بعت ، ودراهمى أنفقت ، على من تَحْرَدُ أنت(١) ؟ وأى شىء سبب حرَدِكَ يا قواد ؟ فقلت له : مهما كذبت على فيه من شىء فما كذبت فى الحمق والقيادة

ولقى محمد بن أبى أمية مسلم بن الوليد وهو يمشى وطويلته مع بعض أصحابه ورواته ، فسلم عليه ثم قال: قد حضرنى شىء ، فقال : هاته ، فقال: على أنه مزاح ولا تغضب ، قال : هاته ولو كان شتما ، فأنشده [من المديد]

مَنْ رأى فيما خَلاَ رجُلاً تيهُهُ أرْبَى على جِدَتِهْ

يتمشَّى راجــلا وله شاكرىٌّ فى قلنسِيَتِهْ

فسكت عنه مسلم ولم يجبه ، وضحك ابن أبى أمية ، وافترقا

(١) حرد حردا : مثل غضب غضبا ، وزنا ومعنى.

وكان لمحمد بن أبى أمية بِرْذَوْنٌ يركبه ، فنفق ، فلقيه مسلم وهو راجل فقال له : مافعل برذونك ؟ قال : نفق ، قال : فنجازيك إذاً على ما أسلفتنا ، ثم أنشده [من السريع] :

قل لابن مَىٍّ لا تَكُنْ جازعاً لَن يرْجِعَ البِرذَوْنِ باللَّيْتِ (١)
طامَنَ أحشاءكَ فِقْدَانه وكنتَ فيهِ عالى الصَّوْت (٢)
وكُنت لاتنزل عَنْ ظَهْرِهِ ولو مِنَ الحُشِّ إلى البيت
ماماتَ مِنْ سُقْمٍ وَلكِنَّهُ ماتَ مِنَ الشَّوْقِ إلى المَوتِ (٣)

وعن الحسين بن أبى السرىّ قال : قيل لمسلم بن الوليد : أى شعرك أحب إليك؟ قال : إن فى شعرى لبيتا أخذت معناه من التوراة وهو قولى [من البسيط] :

دَلتْ عَلى عَيبِها الدُّنيَا وصَدَّقها ما استَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كانَ أعطانى

قال الحسين : وحدثنى جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاءه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره ، فتغافل مسلم ، ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده فقذف به فى البحر ، فلهذا قل شعره ، فليس فى أيدى الناس منه إلا ما كان بالعراق وما كان فى أيدى الممد وحين من مدائحه

وحدث الحسين بن دعبل قال : قال أبى لمسلم بن الوليد : مامعنى قولك

* لا تَدْعُ بى الشَّوقَ إنى غير مَعْمُود *

---

(١) يروى عجز هذا البيت :
* ليس على البرذون من فوت *
(٢) فى مهذب الأغانى (٨ - ١٩)
* طأطأ من تيهك فقدانه *
(٣) فى المهذب « مامات من حتف »

قال: لاتدعنى صريع الغوانى فإنى لست كذلك ، وكان يلقب هذا اللقب ، وكان له كارها

وحدث محمد بن المهنَّا قال : كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على الشراب فذكروا مسلم بن الوليد ، فقال بعضهم : صريع الغوانى ، فقال العباس : ذلك ينبغى أن يسمى صريع الغيلان ، لاصريع الغوانى ، وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه (١) [من البسيط] :

بَنو حنيفة لا تَرْضَى الدَّعِىَّ بِهِم فاتْرُكْ حنيفةَ واطْلُبْ غيرها نَسبا

فاذْهَبْ فأنت طليقُ الحلم مُرتَهَنٌ بسورَة الجهلِ مالم أملكِ الغضَبا

ارْجِعْ إلى عرَب ترْضَى بنسبَتِهِمْ إنى أرى لكَ خَلْقاً يشبهُ العرَبا

مُنيت منّى وقدْ جدَّ الجرَاء بنا بغايةٍ منعَتْكَ الفَوْت والطَّلبَا

وكانت وفاته بجُرجان وهو يتقلد بها عملا ، يروى أنه لما احتضر نظر إلى نخلة لم يكن بجرجان مثلها فقال [من الهزج] :

ألا يانَخْلَةً بالسَّفْحِ مِنْ أكنافِ جُرْجَانِ

ألا إنى وإياكِ بِجرْجان غَريبان

ثم مات عند آخرها ، رحمه الله تعالى !

* * *

١٤٦ — لَوْ لَمْ تكنْ نِيّةُ الجوْزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَا رَأَيْت علَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

شاهد إثبات صفة غير ممكنة لموصوف

البيت من البسيط ، وهو مترجم من الفارسية

والجوزاء : برج فى السماء ، والانتطاق شد المنطقة ، ونطاق الجوزاء : كواكب حولها .

---

(١) فى المهذب ذكر هذه الأبيات ضمن ستة أبيات مع اختلاف فى ترتيبها وفى بعض ألفاظها

والشاهد فيه : إثبات صفة غير ممكنة لموصوف، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها له

أمثلة من إثبات صفة غير ممكنة

ومثله قول التهامى [من البسيط] :

لو لم يَكنْ أقحوانًا ثغرُ مبسمها ما كان يَزْدادُ طيباً ساعةَ السَّحَرِ

وقوله أيضا [من السريع] :

لو لم تكُنْ ريقَتُهُ خَمْرةً لما تثنى غُصْنُهُ وهْوَ صاحْ

وقول الأمير مجير الدين بن تميم فى مليح وقاد [من السريع] :

لاموا على الوقّاد فى حُسنِهِ وَحُبُّهُ باللّوْم يزدادُ

لو لم يكنْ فى حُسنِهِ كَوْكَباً ما كانَ أمسَى وهْوَ وَقّادُ

وقول السرى الرفاء [من الرمل] :

مَوْقِفٌ لو لم يَكُنْ ناراً إذاً لم تكُنْ زُرْقَ عَواليهِ شَرَرْ

وقول أبى إسحاق إبراهيم الغرناطى [من المتقارب] :

لَعَمْرُكَ ما ثغرُهُ باسمٌ ولكنهُ حَبَبٌ لاعِبُ

ولو لم يَكُنْ ريقه مُسكِراً لَمَا دارَ من حَوْلِهِ الشارب

وقوله: وكتب به على الكتاب المسمى بتاج المفرق [من الكامل] :

إنّ الإمامَ أبا البقاء الأوحدَا عجَب يَعزُّ بمَغرِبٍ وبمَشْرِقِ

لو لم تكنْ دُرَراً لنا كلماته ما نُظِّمَتْ حَلْيا بتاج المَفْرِق

وما أحسن قول محمد بن هانىء [من الكامل] :

قَدْ طَيَّبَ الأفواه طيبُ ثنائه من أجْلِ ذا تَجِدُ الثُّغور عِذَابا

وقول الآخر أيضا [من السريع]:

قد قلتُ إذْ أبْصَرْتها حاسِراً عَنْ سَاقِها فاضِلَ سِرْبالِها

لو لم تَكُنْ من بَرَدٍ ساقُها لاحتَرَقَتْ من نار خلخالِها

شاهد التعليل على سبيل الشك

١٤٧ — كأنّ السَّحابَ الغُرَّ غَيَّبن تحْتَها حَبيباً فما ترْقَا لهُنَّ مَدَامعُ

البيت لأبى تمام الطائى ، من قصيدة من الطويل (١) يمدح بها قومه طيئا ، أولها :

ألا صَنعَ البيْن الذى هُوَ صانِع فإنْ تكُ مجزاعا فما البيْنُ جازع
هُوَ العامُ من أسْماء والعامُ رابعٌ لهُ بِلوَى خَبْتٍ فهَلْ أنْت رابع (٢)
ألا إنّ صَدْرى من عزائىَ بَلْقَع عشيةَ شاقَتْنى الدِّيارُ البلاقع (٣)

و بعده البيت ، و بعده :

رُبًا شفعَت ريحُ الصَّبا لِرياضها إلى الغيث حتّى جادها وهْوَ هامعُ
فبشْر الضّحَى غدْوًا لهنّ مُضاحكٌ وجنْبُ النّدَى ليلا لهنّ مُضاجع (٤)
كسَاكَ من الأنوارِ أبْيَضُ ناصعٌ وأصفرُ فَقّاعٌ وأحمرُ سَاطع (٥)
لئن كانَ أمْسَى شَملُ وحْشِكَ جامِعًا لَقدْ كان لِى شَمْلٌ بأنْسِكَ جامِعُ

وهى طويلة

والسحاب الغر : جمع أغر ، وهى الماطرة الغزيرة الماء ، والضمير فى « تحتها » راجع للديار فى البيت الذى قبله

والشاهد فيه : التعليل على سبيل الشك ، فانه علل شاكًّا نزولَ المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الربا حبيبا فهى تبكى عليه

---

(١) انظرها فى الديوان (٤٧٧) فى باب الفخر
(٢) فى الديوان « هو الربع من أسماء »
(٣) فى الديوان « ألا إن صدرى من بلائى بلاقع »
(٤) غدوا : لغة فى غد ، ومنه قول لبيد :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها ، وغدوا بلاقع

وأراد هنا وقت الغداة
(٥) ورد هذا البيت فى الديوان :

كساك من الأنوار أصفر فاقع وأبيض نصاع وأحمر ساطع

ومنه قول محمد بن أبى زرعة [من البسيط] :

كأنَّ صَبَّيْنِ باتَا طولَ ليلهما يستمْطِرَان على غُدْرانِها المُقَلا

ومنه قول أبى الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنَّ كل سحَابةٍ وقفتْ بها تبكى بِعينىْ عروةَ بنِ حزامِ

ومنه قوله أيضا [من الكامل] :

رَحلَ العزاء برحلتى فكأننى أتبعتهُ الأنفاسَ للتشييعِ

ومنه قول بعضهم ، وقد مات صديق له فى يوم ماطر [من الطويل] :

برُوحى الذى جاء الغمامُ يعودهُ فصادَفهُ نحوَ المنية قدْ سرَى

فما زالَ يبدى حُرْقةً وتنهداً ويبكى إلى أن بلَّ من دَمعه الثرَى

وقريب منه قول ابن رَشيق ، وقد غاب المعز صاحب أفريقية عن حضرته وكان العيد ماطراً [من البسيط] :

تَجَهَّمَ العيدُ وانهلَّتْ بوَادرُهُ وكنتُ أعهدُ منه البشر والضحكا

كأنما جاء يَطْوِى الأرضَ من بُعُدٍ شوقاً إليكَ فلما لم يجدْكَ بكَى

وبديعٌ قولُ الوزير الأديب أبى الأصبغ بن رشيد ، وقد هطلت بأشبيلية سحابة بقطر أحمر فى يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة [من المتقارب] :

لقد آنَ للناس أن يُقلِعُوا ويَمشُوا على المنهج الأقومِ

متىَ عُهِدَ الغيثُ ياغافلاً كلونِ العقيقِ أو العَنْدَمِ

أظنُّ الغمَامَ فى جوِّهَا بكتْ رَحمةَ للوَرَى بالدَّمِ

ولنذكر طرَفًا من محاسن حسن التعليل : فما جاء من ذلك قول البحترى ، [من المتقارب] :

طرف من حسن التعليل

ولوْ لم يكن ساخطاً لم أكنْ أذُمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا

وقول أبى هفان أيضا [من الطويل] :

ولو لم تصافحْ رجلُهاصفحةَ الثرَى لمـا كنتُ أدرى علةً للتيممِ

وقد أخذه ابن رشيق ، فقال [من الوافر] :

سألت الأرضَ لِمْ كانت مُصَلَّي ولِمْ كانت لنا طهراً وطيبا

فقالَتْ غيرَ ناطقةٍ : لأنى حَوَيتُ لـكل إنسان حبيبا

وقول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

إن يقعدوا فوْقى لغيرِ نزاهةٍ وعلوِّ مرتبـةٍ وعزٍّ ومكانِ

فالنارُ يعلوها الدخانُ وربما يعلو الغبار عمائم الفرسانِ

ولمؤلفه فى معناه [من السريع] :

إن يقعد الجاهلُ فوْقى ولمْ يرعَ ذمامَ العـلم والأصلِ

فالشمسُ يعـلو زُحلٌ فوقها وهى على الغـاية فى الفضـلِ

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن المعتز [من المنسرح] :

قالوا اشتكت عينهُ فقلتُ لهمْ من كثرة الفتك نالهـا وَصَبُ

حُمْرتُها منْ دماء ما قتلتْ والدمُ فى النصل شاهدٌ عَجَبُ

وقد أخذه ابنُ المعتز من قول الواثق بالله [الخفيف] :

لى حبيبٌ قد طالَ شوقى إليهِ لا أُسميهِ من حِذَارى عليهِ

لم تـكن عينهُ لتجحدَ قتلى ودَمى شاهدٌ على وَجنتيهِ

ولأبى خلف العكبرى فى مثله ، وقيل : لأبى محمد البافى الشافعى ، [من البسيط] :

لم تستعرْ عينهُ منْ وَرْدِ وَجنتِهِ إلا اخضاباً وحاشَاهَا مِنَ الوصَبِ

تَبَيَّنَتْ من محبّ كان يألفها شواهدَ الغدر فاحمرّت من الغضبِ

ومثله قول بعض الأندلسيين أيضا [من الكامل] :

قالوا الحبيبُ شكا جُعلتُ فداءهُ رَمَداً أضرّ بعينه كالعَنْدَمِ

فأجبتهمْ ما زالَ يفتكُ لحظهُ فى مهجتى حتى تلطخَ بالدّمِ

وقول أبى الفرج الببغاء [من الطويل] :

بنفسيَ مايشكوهُ مَنْ راحَ طرفهُ ونرجسهُ مما زهاهُ حُسنُهُ وَرْدُ

أراقت دمى ظلماً محاسنُ وجههِ فأضحى وفى عينيه آثارهُ تبدُو

غدتْ عينه كالخدّ حتى كأنما سقى عينه من ماء تور يده الخدُّ

لئن أصبحتْ رمداء مقلته مالكى لقد طالما استشفت بها مقلٌ رُمدُ

ومن بديع حسن التعليل قول ابن نباتة السعدى ، فى فرس أدهم محجل القوائم ذى غُرَّة [من الوافر] :

وأدهمَ يستمدُّ الليلُ منهُ وتطلعُ بينَ عينيهِ الثُّرَيَّا

سرَى خلف الصباح يطيرُ زهواً ويطوى خلفهُ الأفلاكَ طيًّا

فلما خافَ وشكَ الفوْتِ منهُ تَشَبَّثَ بالقوائم وَالمحيـَّا

وفى معناه ، وهو جيد إلى الغاية [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصَّ منهُ فخاض فى أحشائه

وقد أخذه ابن الشهيد الأندلسى ، وقصر عنه بقوله [من الكامل] :

وأغرّ قد لبسَ الدُّجى بُرداً فراقك وهو فاحمْ

يَحكى بغُرَّتهِ هلا لَ الفطر لاحَ لعين صائمْ

وكأنما خاضَ الصبا حَ فجاء مبيضَّ القوائمْ

ولطيف قول ابن قلاقس فيه أيضا [من الوافر] :

وأدهمَ كالغرابِ سوادَ لونٍ يطيرُ معَ الرياح ولا جناحُ
كساهُ الليلُ شملتهُ وولّى فقبّلَ بين عينيهِ الصباحُ

وما أحسن قول ابن القصار البغدادى فيه [من مخلع البسيط] :

أدهمُ كالليل ذو حُجُولٍ قد غوّرت صحه بِلَيْله
كأنما البرقُ خافَ منهُ فجاء مُستمسكاً بذَيْلِه

وما ألطف قول التهامي أيضاً [من البسيط] :

لو لم يكن رِيقها خمراً لما انتطقت بلؤلؤ مِن حَبَابِ الثغر مبتسمِ

و بديع قول الأرجانى فى التعليل [من البسيط] :

أبدَى صنَيعك تقصيرَ الزمانِ ففى وقتِ الربيع طلوعُ الوردِ من خجلِ

وقول أبى طالب المأمونى يصف دارا من أبيات [من الخفيف] :

وثراها من عنبر شيب بالمسـ ـكِ فإن هبّتِ الصَّبا فيه فاحا
ما بكاء الرياض بالطلِّ إلاّ خجلاً منْ رياضِها وافتضاحَا

وقوله أيضاً يمدح [من الوافر] :

وما جاراكَ صوبُ المُزْنِ لما جرَى وجرَى نداك وماحكاكَا
ولكنَّ الغمامَ عَنَى سجوداً على وجْهِ الثرى لما رآكَا

وما أحسن قول الصلاح الأربلى ، معللا عدم نزول المطر بأرضِ مصر غالباً [من البسيط] :

ماقصرَ الغيثُ عن مصرٍ وتربتها طبعاً ولكنْ تعدّاكم مِنَ الخجلِ
ولاجرَى النيلُ إلا وهْوَ معترفٌ بسبقكمْ فلذا يجرى علَى مهَلِ

و يقرب منه قول ابن رشيق القيرَوانى [من الطويل]:

وأهوَى الذى أهوَى لهُ البدرُ ساجداً ألستَ ترَى فى وجههِ أثرَ التُّرْبِ

ومن بديع حسن تعليل دنو السحاب من الأرض ، قول أبى العباس ابن حديدة اللخمى [من الكامل] :

يا رُبَّ مُثقلةٍ تنوء بثقلها تسقى البلادَ بوابلٍ غيداقِ
مرّت فُوَيق الأرض تسحب ذيلها والريحُ تحملها على الأعناقِ
ودنت فكاد الترب يُنهض نحوها كنهوض مشتاقٍ إلى مشتاقِ
فكأنما جاءتْ تقبلُ تربَها أوْ حاولتْ منها لذيذ عناقِ

وما أحسن تعليل أبى العلاء المعرى فى قوله [من الطويل] :

وما كَلَفُ البدرِ المنيرِ مذمةٌ ولكنهُ فى وجههِ أثرُ اللَّثمِ

ومن حسن التعليل ، ما أنشده عبد الملك بن إدريس الحريرىّ بديهاً ، وكان بين يدى المنصور أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة و يختفى بالسحاب تارة ، وهو [من الوافر] :

أرَى بدرَ السماء يلوحُ حيناً ويبدو ثمّ يلتحفُ السحابا
وذاكَ لأنهُ لما تبدّى وأبصرَ وجهكَ استحيا وغابا

ومثله ما حكى أن أبا الحسن النوبختى ، كان مع جماعة من أهله ، على سطح ابن سهل النوبختى ، فى ليلة من الليالى يشربون ، ومعهم إبراهيم بن زوزر المغنى وكان أمرد حسن الوجه ، وكان فى السماء غيمٌ ينجاب مرة ، ويتصل أخرى ، فانجاب الغيم عن القمر فانبسط ، فقال أبو الحسن النوبختى ، وأقبل على إبراهيم [من البسيط] :

لم يطلعِ البدرُ إلا من تَشوّقهِ إليكَ حتى يوافى وجهكَ النضِرَا

ثم لما غاب القمر تحت الغيم ، قال :

ولا تَغَيّبَ إلا عندَ خجلتهِ لما رآكَ فولّى عنكَ واستترا

ومن رقيق حسن التعليل قول ابن عمار ، حين أُخرج من الأندلس ، [من الطويل] :

عليَّ وإلا ما بكاء الغمائمِ وفيَّ وإلا ما صياح الحمائمِ

وعنّى أثار الرعدُ صرخة طالبٍ لثارٍ وهز البرقُ صفحةَ صارمِ

وهل لبستْ زُهرُ النجوم حدادها لمثلىَ أو قامت له فى المآتم

وهل شققتْ هوجُ الرياح جيوبها لغيرىَ أو حنت حنين الروائم

وما أرشق قول بعضهم [من الكامل] :

لو لم أُعانق من أحبُّ بروضةٍ أحداقُ نرجسها إلينا تنظرُ

ما شقّ جيبَ شقيقها حسداً ولا باتَ النسيمُ بذيله يتعثّرُ

ولبعضهم فيه أيضاً [من الطويل] :

ولما نضا وجهُ الربيع نقابهُ وفاحت بأطراف الرياض النسائمُ

فطارتْ عقولُ الطير لما رأينهُ وقدْ بُهتتْ مِنْ بينهنَّ الحمائمُ

وخفنَ جنوناً بالرياض وحسنها صدخنَ وفى أعناقهنَّ التمائمُ

ومنه قول وجيه الدين الأنصارى [من الطويل] :

بروحىَ معشوقُ الجمال فمالهُ شبيهٌ ولا فى حبهِ لىَ لائمُ

تثنّى فمات الغصنُ من حسدٍ لهُ ألم ترَهُ ناحتْ عليهِ الحمائمُ

ومنه قول بعضهم فى الآذريون ، ويسمى المنثور الرومى ، وهو ينضم ليلا ويتفتح نهارا [من المنسرح] .

عيونُ تبرٍ كأنها سرقتْ سوادَ أحداقها من الغسَقِ

فإن دجا ليلها بظلمتهِ ضممن من خوفها على السَّرَقِ

وما أحسن قول بعضهم أيضاً [من الخفيف]

وَرياضٍ من الشقائق أضحتْ يتهادى بها نسيمُ الرِّياحِ
زُرْتها والغمامُ يجلدُ منها زهراتٍ تفوقُ لَوْنَ الرّاحِ
قلتُ: ماذَنبها؟ فقالَ مجيباً: سرقَتْ حمرةَ الخدُودِ الملاحِ

وما أظرف قول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

ومعذّرٍ رَقّتْ حواشي وجههِ فقلوبنا وَجْداً عليه رقيقُ
لمْ يكسُ عارضهُ السوادَ وإنما نفضتْ عليهِ سوادها الأحداقُ

وقول غوث الدين بن العجمي فى العذار، وفى الخال [من الوافر] :

لهيبُ الخدِّ حين بدا لعيني هوَى قلبي عليه كالفَراشِ
فأحرَقهُ فصارَ عليهِ خالاً وهَا أثرُ الدخانِ على الحواشي

وقول مظفرٍ الأعمى فيه [من البسيط] :

لا تحسبوا شامةً فى خدِّهِ طبعتْ على صحيفةِ خدّ رَاقَ منظرُهُ
وإنما خدُّهُ الصافى تخالُ بهِ سَوادَ عينكَ خالاً حين تنظرُهُ

وما ألطف قول ابن رشيق فى تعليل حمرة الخد [من السريع] :

همتْ عذاراهُ بتقبيلهِ فاستَلَّ من عينيه سيفينِ
فذلكَ المحمرُّ من خدّهِ دِماءُ ما بينَ الفريقينِ

ومنه قول ابن حمديس الصقلى فى الخال [من الكامل] :

يا سَالباً قمرَ السماء جَمَالهُ ألبستني فى الحب ثوب سمائهِ
أشعلت قلبي فارتمى بشَرارةٍ علقتْ بخدِّكَ فانطفت فى مائهِ

ومن لطيف حسن التعليل، فى خال تحت الحنك، ما حكاه ابن رشيق، قال: كنت أجالس محمد بن حبيب، وكان كثيراً ما يجالسنا غلامٌ مليح، ذو خال تحت لحييه، فنظرَ إليَّ ابن حبيب يوماً، وأشار إلى الخال ثم أطرقَ ساعة

قال : ففهمت منه أنه يصنع شيئاً فيه ، فصنعت بيتين ، وأمسكت عنهما خوف الوقوع دونه ، فلما رفع رأسه قال : اسمع وأنشد [من الطويل] :

يقولون لِمْ من تحت صفحة خَدِّهِ تنزَّلَ خَالٌ كان منزلَهُ الخدُّ
فقلت رَأى بهْرَ الجمال فهَابَهُ فحطّ خضوعاً مثلَ ماخضع العبدُ

فقلت : أحسنت أحسن الله إليك . ولكن اسمع . قال: أو صنعت شيئاً ؟ قلتُ : نعم، وأنشدته [من الخفيف] :

حبذا الخالُ كائناًمنه بين الخـــدّ والجيد رِقْبَـةً وَحذَارَا
رَامَ تقبيلهُ اختِلاَساً ولكنْ خَافَ من لحظ طَرْفهِ فتوارَى

فقالَ : فضحتني قطع الله لسانك .

ولأبي سعيد المغربي وأجاد [من الرمل] :

إنّ للجبهة في قلبي هَوًى لم يكن عندي لَلوجهِ الجميلْ
يرقصُ الماء بها من طَرَبٍ ويميلُ الغصن للظلّ الظليلْ
وتودُّ الشمسُ لو باتتْ بها فلذا تصفرُّ أوْقاتَ الرحيلِ

ومثله قول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نهدٌ يهيم بحسنه مَن لم يَهِمْ ويُجيد فيهِ الشعر مَنْ لم يشعرِ
ما اصفروجه الشمس عند غروبها إلا لِفرقة حسن ذَاكَ المنظر

ولعله سرقهُ من قول ابن الرّومي [من البسيط] :

أمَّا ذُكاء فلم تصفرّ إذ جنحتْ إلا لفرقةِ ذَاكَ المنظر الحسنِ

وما ألطف قول عبد الله بن القابلة البستي [من الطويل] :

وَوَجهُ غزَالٍ رَقَّ حسناً جَمالهُ يرى الصبُّ فيه وَجههُ حين ينظرُ
تَعَرّضَ لي عندَ اللقاء بهِ رَشاً تكادُ الحيّامن مُحيّاهُ تقطرُ

ولم يتعرَّض كى أراهُ، وإنما أرادَ يُريِنى أن وَجهىَ أصفرُ

وما أحسن قول بعضهم فى مليح يطيل حمل الكأس ، وقد تشاغل بشم الآس [من الطويل] :

حبيبى وَعدْتَ الكأسَ منك بقبلةٍ وأعقبَ ذاكَ الوعدَ منكَ نِفارُ
فأوقفتها تحتَ الرَّجاء وقَلْبُهَا بهِ خوفَ خُلفِ الوعد منك شَرَارُ
وما كانَ هذَا لَونُها غيرَ أنها عَلاَها لطولِ الانتظار صفَارُ

وما أحلى قول ابن نباتة هنا [من الخفيف] :

لم يزلْ جودهُ يجورُ على الما لِ إلى أن كسا النضار اصفرارَا

ولابن الدهان الموصلى [من الكامل] :

تُرْدِى الكتائبَ كتبهُ فإذا سرتْ لم تدرِ أنفذَ أسطراً أمْ عسكرَا
لم يَحسُن الأترابُ فوق سطورها إلا لأنَّ الجيشَ يعقدُ عِثْيَرَا

ومن لطيف حسن التعليل ، ما أنشده الملك الأشرف ، شاه أرمن موسى ، فى مملوك له جميل ، وقعت عليه شمعة فأصابت شاربه [من المتقارب] :

وذِى هيفٍ زارَنى ليلةً فأمسى بهِ الهمُّ فى معزلِ
فمالتْ لتقبيلهِ شمعةٌ ولم تخشَ مِن ذَلكَ المحفلِ
فقلت لصَحْبي وقد حكمَتْ صوارمُ لحظيهِ فى مقتلِ
أتدرُون شمعتَنَا لِمْ هوتْ لتقبيل هذا الرشا الأكحلِ
درَتْ أنَّ ريقَتَهُ شهدَةٌ فمالت إلى إلفها الأول

ومن المضحك فيه قول ابن قلاقس ، فى أصفر الوجه ، ذى لحية حمراء ، [من المتقارب] :

لئنْ زادَ فى ذقنهِ حُمْرَةً بما زادَ فى الوجهِ من صُفْرَتِه

فمن كثرة الصفع فى رأسهِ تَصَفَّى لهُ الدَّمُ فى لحيتهِ

ومن ظريف حسن التعليلُ قولُ ابن النبيه ، وقد دخل على الصاحب صفى الدين بن شكر فى مرضه فوجده قد حُمَّ بقشعريرة [من الرجز المشطور] :

تبًّا لحماكَ التى أصلَتْ فؤادى وَلَهَا

هَلْ سألتكَ حاجةً فأنتَ تهتزُّ لها

فكانت جائزة هذين البيتين استخدامه على ديوان أوقاف الجامع المعمور بدمشق المحروسة بجراية وافرة وجارٍ موفور .

ومنه قول المتنبى ، مخاطباً لسيف الدولة ، وقد وقعت عليه الخيمة ، [من المتقارب] :

رأَتْ لوْنَ نورِكَ فى لونِهَا كلونِ الغزالةِ لا يغسلُ

* وأنَّ لها شرفاً باذخاً وأنَّ الخيامَ بها تخجلُ

فلا تنكرَنَّ لها صرعةً فمن فرَحِ النفسِ مايقتلُ

ولصاحب الدوح شاعر الحاكم ، وقد زلزلت مصر فى أيامه [من البسيط] :

ياالحاكمِ العدلِ أضحى الدينُ معتلياً نجلِ العلاَ وسليلِ السادَةِ النجبَا

ما زلزلتْ مصرُ مِنْ كيدٍ يرادُ بهَا وإنما رَقصتْ مِنْ عدلهِ طرَبَا

ولشرف الدين التيفاشى فى مثله [من البسيط] :

أمَا ترَى الأرضَ من زلزالهَا عجباً تدعو إلى طاعةِ الرحمنِ كلَّ تقِى

أضحَتْ كوالدةٍ خرْقاءَ مُرضعةٍ أولادَها دَرَّ ثدْىٍ حافلٍ غدِقِ

قدْ مهّدتهمْ مِهاداً غيرَ مضطربٍ وأفرَشتهمْ فراشاً غيرَ ما قلقِ

حتى إذا أبصرت بعضَ الذى كرهتْ مما يَشُقُّ مِنَ الأولادِ مِنْ خُلقِ

هزّتْ بهمْ مَهدَهمْ شيئاً تنبّههُمْ ثم استشاطَتْ وآلَ الطبعُ للخُرُقَ

فصكت المهدَ غضبَى وهىَ لافظةٌ   بعضاً على بعضهمْ مِنْ شدة النَّزَقِ

ومثله أيضا قول الحظيرى [من المجتث] :

يقولُ لى حينَ وَافى   قَدْ نلْتَ ما ترتجيهِ
فما لقلبكَ قد جَا   بخَفْقَةٍ تعْتريهِ
فقلتُ وصلكَ عُرْسٌ   والقلبُ يرقُصُ فيهِ

وفى معناه قول بهاء الدين[1] زهير [من مجزوء الكامل] :

لا تنكرُوا خفقانَ قلـــبي والحبيبُ لدىّ حاضِرْ
ما القلبُ إلا دارُهُ   دُقَّتْ لهُ فيها البشائرْ

وما ألطف تعليل خفقان القلب فى قول ابن رشيق [من الكامل] :

ومُهَفْهفٍ يحميه عن نظرِ الوَرَى   غيرَ ان سكنى الملك تحتَ قبابهِ
أوْمىَ إلىّ أنِ ائتنى فأتيتهُ   والفجرُ يرمقُ من خلال نقابهِ
وضممتهُ للصدْرِ حتى استوهبتْ   منى ثيابى بعضَ طيبِ ثيابهِ
فكأن قلبى منْ وَراء ضلوعهِ   طرَباً يخَبرُ قلبهُ عما بهِ

ومن لطيف حسن التعليل، وهو قريب من هذا المعنى، قول ابن بقى الأندلسى [من الكامل] :

بأبى غزَالاً غازلتهُ مُقلتى   بينَ العُذَيْبِ وَبينَ شطى بارِقِ
وسألتُ منهُ زيارة تشفى الجوَى   فأجابنى منْها بوعدٍ صادقِ
بتنا ونحنُ من الرَّجا فى خَيْمَةٍ   ومن النجوم الزهر تحتَ سرادقِ

---

(١) وينسبان إلى سلطان العاشقين أبى حفص عمر بن الفارض، ولكنهما بشعر البهاء زهير أشبه.

عاطيْتُه والليلُ يَسحب ذيْلَهُ صهباءَ كالمسكِ الفتيق الناشقِ
وضممتُه ضَمَّ الكميِّ لسيفِهِ وذؤابتاهُ حمائلٌ فى عاتقِى
حتى إذا مالَتْ به سنةُ الكرَى زحزحتُهُ شيئاً وكان مُعانقى
أبعَدْتهُ عن أضْلُعٍ تشتاقُهُ كى لا ينامَ على وسادٍ خافقِ

وقد ناقض ابن عيال اللبيب البيتَ الأخير والذى قبله بقوله [من مخلع البسيط] :

إن كانَ لا بدَّ من رُقادِ فأضلعى هاكَ كالوِسادِ
فنمْ على خَفْقِها هدوًّا كالطفلِ فى هزةِ المِهادِ

وقد تعصب لابن بقى قوم ، ولابن عيال آخرون ، وقالوا : إن بيتى ابن بقى عليهما اعتراضان : الأول : إفحاشه العبارة بقوله « أبعدته » وكان ينبغى أن يقول « أبعدت عنه أضالعاً » والثانى : ما ذكره ابن عيال ، فقال المتعصبون لابن بقى : أما الاعتراض الأول فسلَّم ، وأما الثانى فممنوع ، فان شعر ابن بقى يدل على أن خفقانه لكثرة قوته مما يمنع النوم ، بخلاف ما ذكره ابن عيال ، فان تشبيهه بتحريك المهد يقتضى أنه يسير ضعيف ، و يدل عليه قوله « هدوًّا » فقول ابن بقى أدل على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والرفق به ، وقد سئل ابن فضل الله عن فصل الحكومة بينهما فأجاب بقوله [من الكامل] :

قولُ ابن بقى عليهِ مأخَذٌ لكنهُ قول المحبِّ الوامِقِ
يكفيهِ فى صدق المحبةِ قولهُ « زحزحتهُ شيئاً وكان معانقى »
وأرادَ شيئاً ما ليهْدَأَ فى الكرَى « كى لا ينامَ على وسادٍ خافقِ »
ماحبهُ كذبٌ كدعوَى غيرِهِ ماالكاذبُ الدعوى نظيرُ الصادقِ
تا الله ماهذا فؤادُ متيَّمٍ كلا ولا هذا المَقالُ بلائقِ

ولَقَوْلُ من قد قال إن ضُلُوعَهَ خفقانُهَا كالمهدِ غــيرُ موافقِ
ما الحب إلا تذل مالَ له الحشَا وببره يهدَا فؤاد العاشقِ

وقد رد الصلاح الصفدى على ابن بقى بقوله [من الــكامل] :

أبعدتَهُ من بعــد ما زَحْزَحْتَهُ ما أنتَ عندذوىالغرام بعاشقِ
هذا يدُلُّ الناسَ منك على الجفا إذ ليْسَ هذا فعْلَ صَبٍّ وامقِ
إنشئتَ قلْأبْعَدْتَ عنهُ أضالعى ليكونَ فعْلَ المُسْتَهام الصَّادقِ
أوقُلْفبات على اضْطِراب جوانحى كالطفل مضطجعاً بمهْدٍ خافقِ

ومن بديع حسن التعليل فى العذار قول ابن عبد ربه [من الــكامل] :

ياذا الذى خَطَّ العذَارُ بخَدِّه خطين هاجا لوْعَةً وبلابلا
ما كنْتُأُقْطَعُأن لحظكصارم حتىرأيتُ بعارضَيكَ حمائلا

ومثله فى الحسن قوله أيضاً فى العذار [من الــكامل] :

ومُعَذَّرٍ نَقَشَ الجمالُ بخطه خدًّا له بدم القلوب مُضَرَّجا
لما تيقَّنَ أن عضْبَ جفونه من نرجس جعل النجادبنفسجا

وينظر إلى البيتين الأولين قول على بن حسن الاشبيلى [من المتقارب]

غزالٌ كحيــلٌ له ريقةٌ يشابُ بها المسكُ والقرْقَفُ
كأن العذار على خده نجادٌ ومقلته مرهفُ

ومثله قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

وأسمرُ اللون عَسْجَدِىّ يكاد يَسْتَمطر الجهاما
ضاقَ بحمل العِذارِ ذَرْعاً كالمهر لايعرف اللجاما
ونــكس الرأس إذ رآنى كآبةً وا كتسى احتشاما
وظن أن العذارَ مما يزيح عن قلبىَ الغراما

وما دَرَى أنهُ نباتٌ أنبَتَ في جِسْمِيَ السقاما
وهلْ ترى عارضيه إلاَّ حمائلاً حملتْ حُساما

ومثله قول ابن جكينا البغدادى [من الوافر] :

تبرَّمَ بالعذارِ وظَنَّ أنى أُقاطِعُهُ وأُخْرُجُ من يديهِ
وخافَتْ عارضاهُ خلاص قلبي من التبريح فانغلقت عليه

وما أحسن قول ابن الشقاق أيضاً [من البسيط] :

بخدِّ أحمد للأبصارِ مُعْتَبَرٌ عِذَارمسكٍ جرى فى صفحتى بَرَدِ
كأن وجْنَتهُ من حُسنه خجلتْ واسْوَدَّ عارضُهُ من شدَّة الحسد

ولطيف قول ابن الخباز فى العذار والخال [من الطويل] :

ولى كاتبٌ أَضْمَرْتُ فى القلب حبّه مخافة حسَّادِي عليه وعُذَّالى
له صنعةٌ فى خطِّ لام عذاره ولكن سهَا إذ نَقَّطَ اللام بالخال

وما أبدع تعليل ابن اللبانة للعذار بقوله [من مخلع البسيط] :

بدا على خده عذارٌ بمثله يُعْذَر اللبيبُ
وليس ذاك العذارُ شَعْراً لكنما سرُّهُ غريبُ
لما أراق الدماء ظلماً بدتْ على خدِّهِ الذنوبُ

وهذا كقول عبد الجليل المرسى أيضا [من الوافر] :

فطوَّقهُ الزمانُ بما جناهُ وعَلَّق فى عذاريه الذُّنوبا

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن رشيق فى العذار [من البسيط] :

خطَّ العذارُ لهُ لاماً بصفحتهِ من أجلها يستغيثُ الناسُ باللاَّمِ (١)

---

(١) يريد أن عبارة الاستغاثة فى كلام العرب تستعمل فيها لام فيقول المستغيث : ياالله للمسلمين ، مثلا ، ولكن اللام فى صدر البيت يراد بها العذار الذى يشبه اللام

وقد تفنن الشعراء فى تشبيه العذار باللام ، وقد عكس ابن غالب وأبدع وأبعد حيث قال [من الطويل] :

سأصنعُ فى ذم العذار بدائعاً فمن شاء يقضى بالدليل كما أقضى
ألا إنهُ كاللام واللامُ شأنُها إذا التصقت بالاسم آل إلى الخفض

فجعله محتملا لما شئت من الذم : إن شئت وجهت الخفض لانخفاضه للعمل المطلوب منه ، وإن شئت جعلته انخفاض حاله .

رجع إلى حسن التعليل .

ومن لطيف حسن التعليل ما جاء فيـه قول السراج الورّاق فى العـذار [من الرجز] :

وفاتك يجرحُ سيفُ لحظهِ مجرَّداً من جفنهِ ومُغمدا
خافَ على خدَّيه من لحاظهِ فبـات فى عِذَارِه مزرَّدا

ومنه قول ابن جكينا البغدادى [من المنسرح] :

عينـاكَ ترمى قلبي بأسهُمها فما لخدَّيك تلبَسُ الزَّرَدَا
ريقتهُ الشَّهْدُ والدليـل على ذلك نَمْلٌ بخدِّه صعَدَا

وما أحسن قول ابن معد القيروانى فيه [من الخفيف] :

أطلَعَ الحسنُ من جَبِينكَ شمساً فوقَ وردٍ من وجنتيكَ أطلاَّ
فكأنَّ العِذارَ خاف على الوَرْ دِ ذبولاً فمـدَّ بالشَّعْرِ ظِلاَّ

وللأمير سيف الدين المشد أيضاً [من السريع] :

يا من عذارُهُ وأصـداغُهُ حـدائقٌ همْتُ بأزهارها
لولم يكن خـدك لى كَعبةً لمـا تعلَّقْتُ بأستارها

ولأبى هلال العسكرى فى حسن التعليل أيضاً [من الكامل] :

ومُهفهفٍ قال الالهُ لِحُسْنِهِ كُنْ فتنةً لِلعالمينَ فكانَهُ

زعمَ البنفسجُ أنهُ كعِذاره حَسداً فسلُّوا من قفاه لِسانَهُ

ولبعضهم [من المتقارب]:

أتتني تؤنبني بالبكا فأهلاً بها وبتأنيبها
تقولُ وفي قولها حشمةٌ أتبكي بعينٍ تراني بها
فقلتُ إذا استحسنت غيركمْ أمرتُ الدموعَ بتأديبها

ولابن الخازن أيضاً [من الكامل] :

لوْ فاخرَتْ ذاتُ العمادِ بيوتَها عادَتْ مقوَّضةً بغيرِ عمادِ
لا تكذبنَّ فما لها دار إذا أنصفتني إلا صميمُ فؤادي
فلذاك لا تسقي السحائبُ أرضها إلا يزدْنَ حرارة الأكبادِ

ولابن قلاقس في بركة عليها قبة مذهبة [من الكامل] :

فَسقيةٌ نُصبتْ عليها قُبةٌ تزهُو بابريز لها متوقدِ
لوْ لم يكنْ ملِك على أرجائها ما شرُفتْ بمظلةٍ من عسجَدِ

ولابن الساعاتي أيضاً [من الكامل] :

لا تعجبنَّ لطالبٍ بلَغ المنى كهلاً وأخفقَ في الشباب المُقبلِ
فالخمرُ تحكم في العقول مُسِنَّةً وتُداسُ أوَّل عصرِها بالأرجلِ

ولبعضهم يرثي ابن البواب الكاتب [من الكامل] :

استشعرَ الكُتَّابُ فقدَكَ سالِفاً وقضَتْ بصِحةِ ذلكَ الأيامُ
فلِذاك سُوِّدتِ الدُّوِيُّ كآبةً أسفاً عليْكَ وشُقَّتِ الأقلامُ

ولصرَّدُر في جارية سوداء [من السريع] :

عُلِّقتها سوداء مصقُولة سوادُ قلبي صفةٌ فيها
ما انكسفَ البدرُ على تمِّهِ ونورهِ إلا ليَحكيها

لأجلها الأزمانُ أوقاتُها مُؤرّخات بلياليهـــا

وبديع فى معناه قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

دَعا بكِ الحُسْنُ فاستَجيبى يامِسكُ فى صِبْغَةٍ وطيبِ

تيهى على البيض واستَطيلى تيهَ شبابٍ على مَشيبِ

ولا يَرُعْكِ اسْوِدَادُ لوْنٍ كَمُقْلَةِ الشادِنِ الرَّبيب

فإنّمَا النورُ عن سَوادٍ فى أعيُنِ الناس وَالقلُوبِ

وقد أخذه ابن قلاقس فقال [من الخفيف] :

رُبّ سوْداء وهْىَ بيضاء معنى نافَسَ المِسكَ فى اسمِها الكافُورُ

مثلُ حبِّ العيُون يَحْسبهُ النّا سُ سواداً وإنما هُوَ نُورُ

والأصل فى هذا المعنى قول الوزير المهلبى [من الوافر] :

وسمّوْهُ مع القرْبَى غَريباً كَنُور العين سمّوْهُ سوادا

وما أحسن تعليل اليغمورى بقوله [من الرمل] :

أنا مِرآةٌ فإنْ أبصرتُمُ حَسَناً أنتمْ بها ذاكَ الحَسَنْ

أوْ تَرَوْاما ليْس يُرْضيكم فقَد صدِئَتْ إذ لم ترَوْها منْ زمنْ

وفى معناه قول ابن اللبانة [من الكامل] :

زَادُوا جفاءً فانتَقَصتْ مَوَدّةً ومِنَ الزِّيادة مُوجبُ النُّقْصانِ

أنا مثْلُ مرآةٍ صقيلٍ صفْحُها ألقى الوجُوه بمثـل ما تلقانى

ومن لطيف حسن التعليل قول الصفى الحلى [من المتقارب] :

وعدّتَ جميلاً فأخلفتَهُ وذَلكَ بالحُرِّ لا يجْمُلُ

وقُلت بأنكَ لى ناصِرٌ إذا قابل الجحفلَ الجحفَلُ

وكم قدْ نصرْتُك فى كرّةٍ تكسَّرَ فيها القنا الذُّبَّلُ

ولستُ أُمُنّ بفضلي عليكَ   فأعجَبُ بالقَوْل إذ أعجلُ
كما قاله البازُ في عزّةٍ   بهِ حينَ فاخرَهُ البُلبُل
وقالَ أراكَ جَليسَ المُلوك   ومِنْ فَوْق أيديهمُ تحمَل
وأنت كما علموا صامتٌ   وعن بَعْض ما قلتَهُ تنكل
وأحبَسُ مع أنني ناطقٌ   وحاليَ عِنْدَهمُ مُهْمَلُ
فقالَ صدقت ولكِنّهُم   بذا عرَفُوا أينا الأكمَلُ
لأني فَعلتُ وما قُلْتُ قط   وَأنْتَ تقُولُ ولا تَفْعلُ

ولابن القيسراني أيضاً [من البسيط]:

هذَا الّذِي سلبَ العشّاق نَوْمَهُمُ   أما ترى عَيْنَهُ مَلأى من الوَسَن

وللخباز البلدي أيضاً [من البسيط]:

لَيْلُ المحبين مطويٌّ جوانبُهُ   مشمّرُ الذّيل منسُوبٌ إلى القصر
إذا الحبيبان باتا تحت جانبه   غابَتْ أوائله في آخر السَّحر
ما ذاكَ إلا لأن الصُّبْح نمّ بنا   فأطلع الشّمْس من غيظٍ على القمر

ولصدر الدين بن الوكيل [من الكامل]:

لم يُصْلب الراووقُ إلا عِنْدما   قطع الطريق على الهُموم وساقها

وهو من قول سيف الدين المشد في مليح نصراني [من البسيط]:

يصبو الْحَبَابُ إلى تقبيل مَبْسِمِهِ   وتكتسي الرّاحُ من خدّيه أنوارا
من أجلِهِ أصْبَحَ الرّاوُوق منعكفاً   على الصّليب وشدّ الكاس زنارا

وما أحسن قول صدر الدين بن الوكيل أيضاً [من الطويل]:

أرَقْتُ دم الرّاووق حلاً لأنني   رأيت صليباً فوْقه وهوَ مشرك
وزَوّجْتُ بنت الكرْم لابن غمامةٍ   فصحّ على التّعْليق والشرطُ أملكُ

وما أحسن قول ابن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام ، وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين بن الوكيل حيث قال [من مجزوء الكامل]:

أنا لا أُكَلِّمُ واصِباً إلا بإذنٍ منه يُملَكْ
شَرْطِى شفاءُ الْهَا لِـكِينَ من الأذى والشَّرْطُ أملكْ

وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين قلتهما قديما وهما [من مجزوء الخفيف]:

بى من الحَبْش غادةٌ وصفُها لَيْسَ يُدْرَكُ
مَلكَ القلبَ شرطُها وكذا الشَّرْطُ أملكُ

رجعنا إلى حسن التعليل .

ولابن سناء الملك فيه [من السريع] :

يا بأبى مَنْ ذِكْرُه فى الحشا ضيفى وذِكرِى فى الحَشا ضَيفُهُ
لا تحسبونى نَاعساً إنَّمَــا سَجَدْتُ لمــا مَرَّ بى طَيفُهُ

⁂

شاهد التفريع

١٤٨ — أحلامُكمْ لِسقَامِ الجهلِ شافيةٌ
كما دِماؤكُمْ تَشْفِى مِنَ الكَلَبِ

البيت للكميت الشاعر ، من قصيدة من البسيط ، أولها :

هَلْ للشبابِ الذى قدْ فاتَ منْ طلبِ أمْ ليسَ غابرُهُ الماضى بمنقلبِ
دَعِ البكاءَ علىَ ما فاتَ مَطلبهُ فالدهرُ يأتى بألوانٍ منَ العجبِ

والأحلام : جمع حلم ـ بالكسر ـ وهو الأناة والعقل ، والكَلَبُ : جنون الكلاب المعترى من أكل لحم إنسان ، وشبه جنونها المعترى للانسان من عضها ، أو هو داء لا يصبر الانسان معه عن الأكل ساعة واحدة ، ولا دواء له أنجح من شرب دم ملك . قال ابن الأعرابى : كانت العرب تقول : من

أصابه الكَلَبُ والجنون لا يبرأ منه ، إلا أن يسقى من دم ملك ، فهو يقول : إن ممدوحيه أربابَ العقول الراجحة ملوكٌ وأشراف .

ومثله قول الحماسى ، وهو القاسم بن حنبل المزنى حيث قال [من الوافر] :

بُناةُ مكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ دماؤكم منَ الكَلَبِ الشفاء(١)

وقول عبد الله بن الزَّبِير الأسدى فى عبيد الله بن زياد [من البسيط] :

من خير بيتٍ علمناهُ وأكرَمِهِ كانتْ دماؤُهمُ تشفى من الكَلَبِ

وقريب من معناه قول العباس بن مرداس [من الطويل] :

وإنى منَ القوم الذينَ دماؤهمْ شفاءٌ لطلاب التِرَاتِ منَ الوَغْم(٢)

وقول البحترى مهنئاً من افتصد [من البسيط] :

لِيَهْنكَ البرءُ مما كنتَ تألمهُ وليهنكَ الأجرُ عقبى صائب الوصبِ

لئنْ فُصِدْتَ ابتغاء البرءِ من سَقَمٍ فقد أرقْتَ دماً يشفى من الكَلَبِ

والشاهد فى البيت : التفريع ، وهو : إثبات حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر ، على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ، فها هنا فرَّعَ على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل ، وَصفَهم بشفاء دمائهم من الكلب .

ومن التفريع قول الشريف الرضى [من الطويل] :

إذا فاتَ شيءٌ سمعَهُ دلَّ أنفهُ وإن فاتَ عينيهِ رَأى بالمسامعِ

وقول ابن المعتز أيضا [من السريع] :

كلامهُ أخدعُ منْ لحظهِ وَوَعدُهُ أكذبُ منْ طيفهِ

فبينا هو يصف خدع كلامه فرع خدع لحظه ، وبينا هو يصف كذب وعده فرع كذب طيفه .

وقوله أيضا يصف ساقى كأس ، حيث قال : [من الكامل] :

(١) الأساة : جمع آس ، وهو المداوى ، والكلم : كالجرح ، وزنا ومعنى

(٢) الوغم — بفتح فسكون — الترة ، والحقد الثابت

فكأنّ حمرة لونها من خدّه وكأنّ طيبَ نسيمها من نَشْرِهِ(١)

حتى إذا صب المزاجُ تبسمتْ عنْ ثغرها فحسبتهُ من ثغره

ومن التفريع الجيد قول الصَّنوبرى [من الكامل] :

ماأخطأت نوناته من صدغه شيئاً ولا ألفاته من قدّه

وكأنما أقلامهُ من شَعْرِهِ وكأنما قرطاسهُ من جلده

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا ، أنشده الصولى فى أبيات [من الوافر]

كأنّ دواتَهُ من ريق فِيهِ تُلَاقُ فنَشْرُها أبداً كريه

ومنه قول ابن النطاح يصف البحر [من المنسرح] :

يامادح البحر وَهْوَ يجهلهُ مهلاً فإنى قتلتهُ عِلْمَا

مكسبه مثل قعره بعداً ورزقهُ مثل مائه طَعْمَا

وذكرت بهذين البيتين ، قول ابن رشيق فى ذم البحر وركوبه [من مخلع البسيط]

البحرُ صعْبُ المَرام مُرٌّ لا جُعِلَتْ حاجتى إليه

أليس ماءً ونحنُ طينٌ فَما عسى صَبْرُنا عليه

قال ابن حمديس : اجتمعت مع أبى الفضل الكاتب جعفر بن المقترح بسبتة ، فذكر لى بيتى ابن رشيق ، ثم قال لى : أتقدر على اختصار هذا المعنى؟ قلت : نعم أقدر على ذلك، وأنشدته [من المجتث] :

لاأركبُ البحر خوفاً علىَّ منهُ المعاطب

طينٌ أنا وَهْوَ ماءٌ والطينُ فى الماء ذائبْ

(١) النشر ـ بفتح فسكون ـ الرائحة الطيبة ، أو مطلقا

فاستحسن ذلك إذ كان على الحال ، وأقام عنى أياماً ثم اجتمعت به فأنشد لنفسه فى المعنى [من المجتث] :

إنّ ابن آدم طينٌ — والبحرُ ماءٌ يذيبُهْ
لولا الذى فيه يُتلَى — مَاجازعندى رُكوبُهْ

فأنشدته لى فيه [من الطويل]:

وأخضر لولا آيةٌ ما رَكِبته — ولله تصريفُ القضاء بما شاءَ
أقولُ حذاراً من ركوب عبابه — أيارب إنّ الطين قد ركب الماء

ومن التفريع قولُ كشاجم [من المنسرح] :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفه — نسبتهُ للمريض موْصوفهْ
لوْ حوّل الله مالهُ غَنَماً — ماطمع الكلب منهُ فى صُوفَهْ

ومن المستحسن فيه قول الخوارزمى [من الكامل] :

سَمْحُ البديهة ليس يمسك لفظهُ — فكأنما ألفاظهُ من مالهِ
وكأنما عزماتهُ وسيوفهُ — منْ حَدِّهنَّ خُلِقْنَ من إقباله
متبسمٌ فى الخطب تحسبُ أنهُ — تحت العجاج ملثمٌ بفعاله

ومثله قول ابن جابر [من الطويل] :

كريمٌ شكتْ أموالهُ منْ سَمَاحه — كما قدْ شكتْ أعداؤهُ من سِنَانِهِ
فلوْ لمْ يُبدْ جمع العداة برمحه — لأغرقهمْ بحر الندى منْ بنانه

وقوله أيضا [من الطويل] :

يزيّن منها الخصرَ لطفٌ ورقة — كرقَّةِ معناها ولطف جوابها
وَتسمعنا حلو الجواب كأنما — قَدِ امتزجتْ ألفاظها برُضَابِهَا

وقوله أيضا [من الكامل] :

خضبتْ أناملَهَا فخلنا أنها مخضوبةٌ منْ حمرةٍ فى خدّها
و بكون قائم نهدِهَا رُمانةً حَقّقْتُ أنّ الغصنَ يُشبه قدّها

ولأبى جعفر الأندلسى أيضا [من الطويل] :

وكيف يكون الصبرُ عنها لعاشقٍ وقدْ حكّمتْ ألحاظها فى فؤاده
إذا أرسلتْ سودَ الغدائر خلتَها صبغن بما فى طرْفِهَا منْ سواده

ومن التفريع أيضا قول العسجدى [من السريع]:

رأيتهُ ممتطياً أشهبا يحملُ بازاً حمل قفازه
وطرْفُهُ أسبق منْ طرْفِهِ ولحظهُ أصيدُ منْ بازه

ومنه قول المتنبى على غير هذا النظام [من الطويل] :

أسيرُ إلى أقطاعه فى ثيابه على طِرْفه منْ داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا وروم العِبدّى هاطلات غمامه

وهذا التفريع تناوله من قول أبى تمام [من الطويل]:

وقالوا فما أولاك صِفْ بعضَ فعله فقلت لهم من عنده كلُّ ماعندى

وأصله قول أبى نواس يصف كلب صيد [من الرجز] :

أنعتُ كلباً أهلهُ فى كدّهِ قدْ سَعِدَتْ جدُودُهمْ بجدّه
وكلُّ خيرٍ عندهمْ من عنده وكلُّ رِفْدٍ عندَهمْ من رِفْده

وأخبث ما سمع فى باب التفريع ، قول ابن الرومى ، يهجو رجلا ، [من مجزوء المتقارب] :

لهُ سائِسٌ ماهرٌ يجولُ على متنهِ
ويطعنُ فى دُبرِهِ أفانينَ منْ طعْنه
بأطولَ من قرْنهِ وأغلظَ من ذهنهِ

ترجمة الكميت

والكميت (١) : هو ابن زيد الأسدى ، شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، فصيح ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بها . وكان فى أيام بنى أمية ، ولم يدرك الدوله العباسية ، ومات قبلها ، وكان معروفاً بالتشيع لبنى هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره .

قال ابن قتيبة : وكان بين الكميت والطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين ، حتى إن راوية الكميت . قال : أنشدت الكميت قول الطرماح [من الطويل] :

إذَا قُبِضَتْ نفسُ الطرماحِ أخلَقَتْ
عُرَى المجدِ وَاسترخى عِنانُ القصائدِ

فقال الكميت : إى والله وعنان الخطابة وَالرواية .

قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة ، وكان الكميت شيعياً عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصبا لأهل الكوفة ، والطرماح خارجيا صفريا قحطانيا عصبيا لقحطان من شعراء اليمن متعصبا لأهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع سائر اختلاف الأهواء ؟ قال : اتفقنا على بغض العامة

وحدَّث محمد بن أنس السلامى الأسدى ، قال : سئل معاذ الهراء : مَن أشعر النـاس ؟ قال : من الجَاهليين ، أم من الاسلاميين ؟ قالوا : بل من الجاهليين! قال : امرؤ القيس وزُهَير وَعبيد بن الأبرص ،قالوا : فمن الاسلاميين ؟ قال : الفرزدَق ، وجرير ، وَالأخطل ، والراعى ، فقيل له : يا أبامحمد ، مارأيناك

(١) للكميت ترجمة فى الأغانى (١٥ / ١١٣ - ١٣٠) ومهذب الأغانى (٥ / ٢٠٣ - ٢١٦) وطبقات الشعراء لابن قتيبة (٣٦٨ - ٣٧١) ليدن

ذكرت الكميت فيمن ذكرت . قال : ذاك أشعر الأولين والآخرين ! .

وحدّث محمد بن النوفلي قال : لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ماقال الهاشميات ، فسترها ، ثم أتى الفرزدق ، فقال له : يا أبا فراس : إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسدى . قال له : صدقت أنت ابن أخى ، فما حاجتك ؟ قال : نفث على لسانى ، فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك ، فان كان حسنا أمرتنى باذاعته ، و إن كان قبيحا أمرتنى بستره ، وكنت أولى (1) من ستره علىّ ، فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن ، و إنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشدنى ماقلته ، فأنشدته [من الطويل] :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض ِ أطْربُ *

فقال لى : ففيم تطرب يا ابن أخى ؟ فقلت :

* وَلا لعباً منى وَذُو الشوق ِ يلعبُ *

فقال : يا ابن أخى فالعب فانك فى أوان اللعب ، فقلت :

ولمْ تُلهنى دارٌ ولارسمُ منزل ولمْ يَتطرَّبْنِى بنانٌ مخضَّبُ

فقال : مايطربك يا ابن أخى؟ فقلت :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيةً أمرّ سليمُ القَرْن ِ أمْ مرّ أعضَبُ

فقال : أجل لم تتطير ، فقلت :

ولكنْ إلى أهل الفضائلِ والنُّهى وخير ِ بنى حوّاء والخيرُ يطلبُ

فقال: مَنْ هؤلاء ويحك ؟! فقلت:

إلى النَّفرِ البيض ِ الذينَ بحبهمْ إلى الله فيما نابنى أتقرّبُ

---

(1) فى الأصل «وكنت أول» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥-١٢٥)

فقال : أرحني ويحك مَنْ هؤلاء ؟ فقلت :

بنى هاشم رَهطِ النبيِّ فإننى　　بهم ولَهُمْ أرضى مِرَاراً وأغضبُ
خفضت لهم منى جناحَىْ موَدَّةٍ　　إلى كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحَبُ
وكنت لهمْ منْ هؤلاء وهؤلا　　مِجَنًّا على أنِّى أذمُّ وأُقصَبُ
وأُرْمى وَأرْمى بالعداوَةِ أهلها　　وإنى لأوذَى فيهمُ وأؤنبُ

فقال له الفرزدق : يا ابن أخى ، أَذِع ثم أذع . فأنت والله أشعر مَنْ مضى ومن بقى .

وحدث إبراهيم بن سعد الأسدى ، قال : سمعت أبى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال لى : من أىٍّ الناس أنتَ ؟ قلت : من العرب ، قال : أعلم فمن أىّ العرب أنت ؟ قلت : من بنى أسد ، قال : من أسدِ بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال : أهلا لىٌ أنت ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الكميت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى :

* طربتُ وَما شوقا إلى البيضِ أطرَبُ *

قال : فأنشدته حتى وصلت إلى قوله :

فمالىَ إلا آل أحمد شيعةٌ　　ومالى إلا مشعب الحق مشعبُ

فقال لى : إذا أصبحت فاقرأْ عليه السلام وقل له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة .

وحدّث نصر ابن مزاحم المنقرى أنه رَأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ورجل بين يديه ينشده [من الخفيف] :

* مَنْ لقلبٍ متيم مستهامِ [1] *

---

(١) هذا صدر مطلع قصيده هاشمية أيضا ، وعجزه قوله :
* غير ما صبوة ولا أحلام *

قال : فسألت عنه ، فقيل لى : هـذا الـكميت بن زيد الأسدى . قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جزاك الله خيرا ! وأثنى عليه .

وحدَّث محمد بن سهل صاحب الـكميت قال: دخلت مع الـكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد فى أيام التشريق : فقال له : جعلت فداك ألا أنشدك فقال : إنها أيامٌ عظامٌ ، قال : إنها فيكم : قال: هات ، و بعث أبو عبد الله إلى بعض أهله ، فقرّب ، فأنشده ، فـكثر البـكاء ، حتى أتى على هذا البيت ، [من الطويل] :

يُصيبُ بهِ الرَّامُونَ عنْ قوْسِ غيرِهمْ
فَيـا آخراً أسـدَى لهُ الغيَّ أوَّلُ

فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال: اللهم اغفر للكميت ما قدَّم وما أخر وما أسر وما أعلن ، وأعطه حتى يرضى .

وحدث صاعد مولى الكميت قال : دخلنا على أبى جعفر محمد بن على، فأنشده الـكميت قصيدته التى أولها :

* مَنْ لِقلْبٍ مُتيَّمٍ مُسْتهامٍ *

فأمر له بمال وثياب ، فقال الـكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت مَنْ هى فى يديه ، ولـكننى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها ، وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت ، وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وأسقته الـكميت ، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب ، فهملت عيناه وقال : لا والله لا أقبلها ، إنى لا أحبكم للدنيا .

وكان خالد بن عبد الله القسرى قد أُنشد قصيدة الـكميت التى يهجو فيها اليمن ، وهى التى أولها:

* ألا حُيِّيتِ عنّا يا مدينا *

فقال : فَعَلَهَا(١) ؟ والله لأقتلنه ، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهايةً في الحسن والكمال والأدب، فروَّاهن الهاشميات، ودسهن مع نخاس إلى هشام ابن عبد الملك ، فاشتراهن جميعا ، فلما أنسن به واستنطقهن رأى منهن فصاحة وأدبا ، فاستقرأهن القرآن فقرأن ، واستنشدهن الشعر فأنشدن قصائد الكميت الهاشميات ، فقال هشام : وَيْلَكُن! مَنْ قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميت بن زيد الأسدى ، قال : وفى أى بلد هو ؟ قلن : بالعراق ثم بالكوفة ، فكتب إلى خالد عامله فى العراق : ابعث إلى برأس الكميت بن زيد ، فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره ، فأخذ وحُبس فى الحبس ، وكان أبان بن الوليد عاملا على واسط ، وكان الكميت صديقه ، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له : أنت حر إن لحقته، والبغل لك ، وكتب له : أما بعد فقد بلغنى ما صرتَ إليه، وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعث إلى حُبَّى — يعنى زوجة الكميت وكانت ممن يتشيع أيضاً — فإذا دخلتْ عليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت ، فانى أرجو الاوبة لك ، قال : فركب الغلام البغل وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكراً وخبر الكميت بالقصة ، فبعث إلى امرأته وقص عليها القصة ، وقال لها : أى ابنة عم ، إن الوالى لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ، ولو خفتُ عليك ما عرضتك له ، فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته وقالت له : أقبل وأدبر ، ففعل ، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً فى كتفيك ، فاخرج على اسم الله تعالى ، وأخرجت معه جاريتين لها ، فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح حبيب بن بدير ومعه فتيان من أسد فلم يُؤْبَه

(١) فى الأغانى أنهم لما أنشدوا خالدا أوائل قصيدة الكميت قال خالد :
لا أبالى ما لم يجر لعشيرتى ذكر ، فأنشدوه ماقال فى قومه ، فقال : فعلها ؟ والله لأقتلنه .. إلخ مانقله المؤلف. ووقع فى المطبوعتين « فقال بعلها » محرفا

له ، ومشى الفتيان بين يديه إلى محلة شبيب بناحية الكناس ، فمر بمجلس من مجالس بني تميم ، فقال بعضهم : رجل ورب الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبوالوضاح : يا كذا وكذا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم ، وأومأ إليه بنعله ، فولى العبد مدبراً ، وأدخله أبو الوضاح منزله ، ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : وراءك لا أم لك فشق ثوبه ، ومضى صارخا إلى باب خالد فأخبره الخبر ، فأحضر المرأة فقال : يا عدوة الله ، احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين ، لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن ، فاجتمعت بنو أسد عليه ، وقالوا له : ما سبيلك على امرأة منا خدعت ، فخافهم فخلى سبيلها ، وسقط غراب على الحائط ونعب فقال الكميت لأبي الوضاح : إني لمأخوذ وإن حائطك لساقط ، فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله تعالى ، وكان الكميت خبيرا بالزجر ، فقال له : لابد أن تحولني ، فخرج به إلى بني علقمة وكانوا يتشيعون ، فأقام فيهم ، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب ، قال المستهل : وأقام الكميت مدة متواريا ، حتى إذا أيقن أن الطلب خفَّ عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووَجَلٍ ، وفيمن معه صاعد غلامه ، وأخذ الطريق على القطقطانة ، وكان عالما بالنجوم مهتديا بها ، فلما صار سحيراً صاح بنا هَوِّمُوا يا فتيان ، فهومنا ، وقام فصلى . قال المستهل : فرأينا شخصاً فتضعضعت له ، فقال : مالك ؟ قلت : أرى شخصاً مقبلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض بناحية فأطعمناه يد جزور فتعرّقها ، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، فارتحلنا وجعل الذئب يعوى ، فقال الكميت : ماله ويله ألم نطعمه ونسقه ؟ وما أعرفني بما يريد هو يدلنا أنا لسنا على الطريق ، تيامنوا يا فتيان ، فتيامنا فسكن عواؤه ، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام ، فتوارى في بني أسد وبني تميم ، وأرسل إلى أشراف قريش - وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص - فقال : يا أبا خالد ،

هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى ، هذا الكميت بن زيد لسان مضر ، وكان أمير المؤمنين قد كتب فى قتله فجاء حتى تخلص إليك وإلينا . قال : مروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء . فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها ، فإن علمت أنك تفى بها وإلا كتمتها عنك ، قال : وما هى؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحكم عامة وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله ، فقال : على خلاصه ، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه فى غير وقت دخول ، فقال له هشام : أجئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هى مقضية إلا أن تكون الكميت ، فقال : ما أحب أن تستثنى على فى حاجتى ، وما أنا والكميت ، فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت ، قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها ، قال : هى الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمان أمير المؤمنين وأمانى ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولا لم يقل مثله ، قال : قد أمنته وأجزت أمانك له ، فاجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا ، فقعد مجلسا وعنده الأبرش الكلبى ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط ، وامتدحه بقصيدته الرائية ، ويقال : إنه قالها ارتجالا ، وهى قوله [من مجزوء الكامل] :

* قِفْ بالديارِ وُقوفَ زائِرْ *

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليكَ منَ الوُقو ... فِ بِها وأنتَ غيرُ صاغِرْ

دَرَجَتْ عليكَ الغادِيا ... تُ الرائحاتُ منَ الأعاصِرْ

وفيها يقول :

فالآن صِرْتُ إلى أميَّةَ والأمورُ إلى المصائِرْ

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب فى يده ، فيقول له : اسمع ، ثم استأذنه

فى مرثية ابنه معاوية ، فأذن له ، فأنشده قوله [من الطويل] :

سأبكيكَ للدنيا وللدِّين، إننى رأيْتُ يدَ المعْرُوفِ بعدكَ شلَّتِ
أدامتْ عليكم بالسَّلاَم تحيةً ملائكةُ الله الكرام وصلَّتِ

فبكى هشام بكاء شديداً ، فوثب الحاجب فسكته ، ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المضرية بالهدايا ، وأمر له مسْلمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنه لا سلطان له عليهم ، قال : وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيراً .

وفى رواية أنه لما أجاره مسلمة بن هشام و بلغ هشاماً دعا به وقال له : أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال : كلا ، ولكنى انتظرت سكون غضبه، قال: أحضِرْنيه الساعةَ فانه لاجوار لك ، فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل إن أمير المؤمنين أمرنى باحضارك ، قال : أتسلمني ياأبا شاكر ؟ قال: كلا ، ولكنى أحتال لك ، ثم قال له : إن معاوية بن هشام قد مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعا شديداً فاذا كان من الليل فاضرب رِوَاقَكَ على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك فى الرواق ، فاذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون : هذا مستجير بقبر أبينا ، ونحن أحق باجارته ، قال : فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر فقال : ما هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر ، فقال : يجار من كان إلا الكميت فانه لا جوار له ، فقيل : فانه الكميت ، فقال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعا به ربَطَ الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر واهم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبة لنا ولا تفضحنا فى من استجار به ، فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الكميت فقال له : يا كميت ، أنت القائل :

وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها تردي بنا وهى شُزَّب

فقال : لا والله ، ولا أتان من أتن الحجاز وحشية ، ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد فانى كنت أتدهدى فى غمرة جهالة ، وأعوم فى بحر غواية ، أخنى على خطلها ، واستنفرنى وهلها ، فتحيرت فى الضلالة ، وتسكعت فى الجهاله ، مهرعا عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل ضلالا ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهذا مقام العائذ المبصر الهدى ، ورافض العمى ، فاغسل يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن الجرم ، ثم قال [من مجزوء الكامل] :

كم قالَ قائلكم لعاً ... لك عندَ عَثْرَتِهِ لعاثِرْ
وغفرتُمُ لذوى الذنو ... بِ منَ الأكابرِ والأصاغرْ
أبنى أُميَّةَ إنكم ... أهْلُ الوسائل والأوامرْ
ثِقَتى لِكلِّ مُلِمَّةٍ ... وعشيرَتى دونَ العشائرْ
أنتم معَادِنُ للخلا ... فةِ كابراً من بعْدِ كابرْ
بالتسعةِ المتتَابعِينَ خلائفاً ... وبخيرِ عاشِرْ
وإلى القيامة لا تزا ... لُ لشافع منكم وواتِرْ

وقطع الانشاد ، وعاد إلى خطبته فقال : إغضاء أمير المؤمنين وصباحته ، وسماحته ومناط المنتجعين [بحبله] ، من لا يحل حبوته لاساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه لجهل الجاهلين ، فقال له : ويلك يا كميت مَنْ زين لك الغواية ودلاك فى العماية ؟ قال : الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما ، فقال له : إيه يا كميت ألست القائل [من الطويل] :

فياموقداً ناراً لغيرك ضوءها ... ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

فقال : بل أنا القائل [من المتقارب] :

إلى آلِ بَيْتِ أبى مالكٍ ... مناخ هُوَ الأرْحَبُ الأسْهَلُ

نمتْ بأرحامنا الداخلا ت من حيثُ لا ينكرُ المدخلُ

بمُرَّةَ والنضْرِ والمالكيين رهطٌ هم الأنبلُ الأنبلُ(١)

وجدْنا قُرَيشاً قريشَ البِطَاح على ما بنى الأوَّلُ الأوَّلُ

بهم صَلَحَ الناسُ بعدَ الفسادِ وحيصَ من الفَتْقِ ما رعبَلوا(٢)

قال له : وأنت القائل [من الخفيف] :

لا كعَبْدِ المليك أو كوَليدٍ أو سُلَيمان بعده أو هِشَامِ(٣)

من يمت لا يمت فقيداً ومن يحيا فلا ذو إلٍّ ولا ذو ذمام(٤)

ويلك يا كميت ! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين [من مجزوء الكامل] :

فالآنَ صِرْتُ إلى أُمَيَّـــةَ والأمُورُ إلى المصائرْ(٥)

والآنَ صِرْتُ بها المصيـــبَ كمُهتدٍ بالأمس حائرْ

يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحةِ الأخايرْ

---

(١) في الأغاني (١٥ ـ ١١٨) « بمرة والنضر والمالكين » وفيه بعد هذا البيت بيت زائد عما هنا ، وهو قوله :

وبارى خزيمة بدر السما ء والشمس مفتاح ما نأمل

(٢) في الأصل «وغيض من الفتق» مصحفاً عما أثبتناه عن الأغاني، وتقول: حاص فلان الفتق ، تريد خاطه ، وهو بمعنى أصلح الفاسد ، و « رعبلوا » من قولهم : رعبل اللحم ، إذا قطعه ، ورعبل الثوب رعبلة ، إذا مزقه تمزيقا .

(٣) في الأغاني « أو سليمان بعد أو كهشام » .

(٤) الإل ـ بكسر الهمزة وتشديد اللام ـ العهد .

(٥) وقع في الأصول « المصائر » بالهمز وهو خطأ عربية ، لأن ياء « المصير » الذي هو مفرد أصلية ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني .

من عَبْدِ شمسٍ والأكا   برِ من أُميَّةَ فالأكابرْ
إن الخلافةَ والالا   فَ برغْمِ ذى حَسَدٍ وواغِرْ
دَلفَا من الشَّرفِ التليـ   ـدِ إليكَ بالرِّفْدِ الموافرْ
فحللتَ مُعتلجَ البطا   حِ وحلَّ غيرُكَ بالظواهرْ

قال : إيه ، فأنت القائل [من الوافر] :

فَقُل لبنى أُمية حيثُ كانوا   وإن خِفْتَ المهند والقطيعا
أجاعَ الله من أشبعتموهُ   وأشبعَ من بجورِكم أُجيعا
بمرضىِّ السياسة هاشمىٍّ   يكون حياً لأمته ربيعا

فقال : لاتثريب ياأمير المؤمنين ، إن رأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب ، قال : بماذا ؟ قال : بقولى الصادق [من الخفيف] :

أورثتهُ الحَصانُ أم هِشَامٍ   حَسَباً ثاقِباً وَوَجْهاً نَضيراً
وتعاطى بهِ ابنُ عائِشةَ البدْ   رَ فأمسَى لهُ رَقيباً نظيرَا
وكساهُ أبو الخلائفِ مروا   نُ سَنَاءَ المكارمِ المأثورا(١)
لم تَجَهَّم له البطاحُ ولكنْ   وَجَدَتْها لهُ معانا ودُورا

وكان هشام متكئاً ، فاستوى جالساً وقال : هكذا الشعر فليكن ، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : رضيت عنك ياكميت ، فقبَّل يده وقال: ياأمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد فى تشريفى فلا تجعل لخالد علىَّ إمارة ، قال : قد فعلت ، وكتب بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم

---

(١) فى الأصول « أبو الخلائق مروان » محرفا عما أثبتناه ، والخلائف : جمع خليفة ، وفى الأغانى مثل ما أثبتناه

وثلاثين ثوبا شامية ، وكتب إلى خالد أن يُخلى سبيل امرأته و يعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا ، ففعل

وللكميت مع خالد هذا أخبار عند قدومه الكوفة بالعهد الذى كتب له : منها أنه مر يوماً وقد تحدث الناس بعزله عن العراق ، فلما جاز تمثل الكميت وقال [من الطويل] :

أرَاها و إن كانَتْ تُحَبُّ كأنها سَحَابةُ صيفٍ عَنْ قليلٍ تقشَّعُ

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لاتنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ، ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط ، ثم خلى عنه ومضى ، رواه ابن حبيب

وحدث السلامى قال : كان هشام بن عبد الملك مشغوفا بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شىء وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام ، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك ، فقال : مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين ؟ لا أغمك الله ! فأخبره هشام بالقصة ، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول [من الكامل] :

أعَتَبتَ أم عَتَبتْ عليكَ صدُوفُ وعِتابُ مِثلكَ مِثلَهَا تَشْريفُ

لاتَقْعُدَنَّ تلومُ نَفسك دائِباً فِيها وأنتَ بِحُبِّها مَشغُوفُ

إنَّ الصَّرِيمة لا يقومُ بِمثلها إلا القَوىُّ بهَا وأنت ضعيفُ[1]

فقال هشام : صدقت والله ، وقام من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته وانصرف الكميت ، فبعث إليه هشام بألف دينار ، و بعثت إليه بمثلها

وحدث حبيش بن الكميت قال : وَفَدَ الكميتُ على يزيد بن عبد الملك ،

(١) فى الأغانى (١٥ - ١٢٢) « لا يقوم بثقلها » وهو أحسن مما هنا

فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سَلَّامة القَسّ(١) فأدخلت إليه والكميت حاضر فقال له . يا أبا المستهل ، هذه جارية تُباع ، أفترى أن نبتاعها ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثيلا فى الدنيا فلا تفوتنك ، قال : فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال الكميت [من الخفيف] :

هى شمسُ النهار فى الحُسْن إلا أنها فضِّلت بفَتْكِ الطِّراف(٢)

غَضَّة بَضَّة رَخِيمٌ لَعُوبٌ وعثةُ المَتْن شختَةُ الأطرَافِ(٣)

زانَها دلُّهـــا وثغرٌ نقىٌّ وحَدِيثٌ مُرَتَّل غيرُ جافِ

خُلقتْ فوْقَ مُنيةِ المتمنِّى فاقبل النصحَ ياابن عبدِ مناف

قال : فضحك يزيد ، وقال : قد قبلنا نُصحك يا أبا المستهل ، فأمر له بجائزة سنية .

وحدث ابن قتيبة قال : مر الفرزدق بالكميت وهو ينشد ، والكميت يومئذ صبى ، فقال له الفرزدق : ياغلام ، أيسرك أنى أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرنى أن تكون أمى ، فخجل الفرزدق وأقبل على جلسائه فقال : مامر بى مثلها قط

وقال محمد بن مسلمة : كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً ، وكانت ولادته أيام مقتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ستين ، ووفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد

وكان سبب موته ماحكاه حجر بن عبد الجبار قال : خرجت الجعفرية على

---

(١) فى الأصل « سلامة النفس » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ - ١٢٢)

(٢) فى الأغانى « فضلت بقتل الظراف »

(٣) فى الأصل « ثخنة الأطراف » محرفا عما اثبتناه موافقا لما فى الأغانى (١٥ - ١٢٢)

خالد القسرى وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم، فخرجوا فى التبابين ينادون: لبيك جعفر، لبيك جعفر، وعرَفَ خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم مايقول فزعاً، فقال: أطعمونى ماء، ثم خرج الناس إليهم، فأخذوا، فجعل يجىء بهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل منهم: احتضنه ويضرب حتى يفعل، ثم يحرق، فحرقهم جميعاً، فلما عزل خالد عن العراق وولِيه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن على رضى الله عنهما فأنشده قوله فيه [من الطويل]:

خَرَجْتَ لهم تمشى البَرَاحَ ولم تكن كَمَنْ حصنُهُ فيه الرِّتاج المُضببُ
وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماء فاغراً بعِدْلك والداعى إلى المَوْتِ ينعب

قال: والجند قيام على رأس يوسف بن عمر، وهم يمانية [1] فتعصبوا لخالد، فوضعوا ذُبَاب سيوفهم [2] فى بطن الكميت فوجؤوه بها وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره، فلم يزل ينزف الدم حتى مات

وحدث المستهل بن الكميت قال: حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه وأغمى عليه، ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال: اللهم آل محمد، اللهم آل محمد، ثلاثا، ثم قال: يابنى، وددت أنى لم أكن هجوت نساء كلب بهذا البيت وهو [من الوافر]:

معَ العُضْروطِ والعُسفاء ألقَوْا براذِعَهُنَّ غيرَ مُحْصَنينا

فعممتهن قذفا بالفجور، والله ما خرجت ليلا قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك، ثم قال: يابنى، إنه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق ويخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها فيحولون إلى قبور غير قبورهم، فلا تدفنى فى الظهر ولكن إذا مت فامض بى إلى موضع يقال له مكران فادفنى فيه، فدفن فى

(١) فى الأصول «وهم ثمانية» محرفا عما أثبتناه، والذى أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ - ١٢١)

(٢) فى الأصول «نعال سيوفهم» وأثبتنا ما فى الأغانى

ذلك الموضع، وكان أول من دفن فيه، وهو مقبرة بنى أسد إلى الساعة، والله تعالى أعلم

***

شاهد تأكيد المدح بما يشبه الذم

١٤٩ـ ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

البيت للنابغة الذبيانى، من[1] قصيدة من الطويل، يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمى من الحيرة، وأولها :

كِلينى لِهَمٍّ يا أميمةُ ناصِبِ ولَيْلٍ أُقاسيهِ بَطِىءِ الكَوَاكِبِ
تطَاوَلَ حتى قُلتُ لَيْسَ بمنقَضٍ ولَيْسَ الذِى يَرْعى النُّجُومَ بآيِبِ
وصَدْرٍ أَنَاخَ اللَّيلُ غارِبَ هَمِّهِ تَضَاعفَ فيهِ الهَمُّ من كلِّ جانبِ[2]
علَىَّ لِعَمْرٍو نِعمةٌ بَعدَ نِعمةٍ لوَالِدِهِ ليْستْ بذاتِ عقَاربِ[3]
حلَفْتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيَّةٍ ولا عِلمَ إلا حُسْنُ ظنٍّ بصاحبِ
لئن كانَ لِلقبرين قبرٍ بجلقٍ وقبرٍ بِصَيْدَاءَ الذى عِنْدَ حارِبِ
وللحارثِ الجفنىِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ لَيَلْتَمِسَنْ بالجَيْشِ دارَ المُحَارِبِ[4]

ومنها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٢) وفى شعر النصرانية (١٤٤)

(٢) فى الديوان وشعراء النصرانية

وصدر أراح الليل عازب همه

وهو المحفوظ .

(٣) فى الأصل « كوالده » محرفا عما أثبتناه عن مراجع عديدة

(٤) فى الأصل « وللحارث الجفنى تشييد قومه » وهو تحريف شنيع

فَهُمْ يتساقَوْنَ المنيّة بينَهُم ... بأيديهم بيض رقاقُ المَضارب

يَطيرُ فُضاضا بينَها كلُّ قَوْنس ... ويتْبعُهامنهمْ فَرَاشُ الحواجب

وبعده البيت ، وبعده :

تُوُرِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ ... إلى اليومقدْجربن كلَّ التجاربِ

إلى أن قال فيها :

لَهُمْ شيمةٌ لم يعطها الله غيرَهُمْ ... منَ الجود والأحلامُ غيرُعوازبِ (١)

مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإله وَدينهمْ ... قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ (٢)

رِقاقُ النعال طيبٌ حجزَاتهمْ ... يحيونَ بالريحان يومَ السباسِبِ

والفلول : جمع فل ، وهو الثلم ، وقراع الكتائب : مضاربة الجيوش .

والشاهد فيه : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كأنه قال : ولا عيب فى هؤلاء القوم أصلا إلا هذا العيب ، وهو فلول أسيافهم من المقارعة والمضاربة ، وهذا ليس بعيب ، بل هو نهاية المدح ، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن قوله : « غيرَ أنّ سيوفهم » يوهم أن ما يأتى بعده ذمّ ، فاذا كان مدحاً فقد تأكد المدح .

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزبير رَضى الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يردّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما ! فأخرجه إليه فى سيوف مُنتَضَاة ، فأخذهُ عُرْوَة رضى الله عنه من بينها . فقال له عبد الملك : بم عرفته؟ فقال : بقول النابغة ، وأنشده البيت .

ومن مليح هذا النوع قول أبى هفان [من الطويل] :

---

(١) فى الأصل « لهم سمة » محرفا عما أثبتناه عن عدة مراجع منها الديوان وشعراء النصرانية

(٢) فى الأصل « فما يرضون غير العواقب » محرفا

مثل من تأكيد المدح بما يشبه الذم

ولا عَيبَ فينا غيرَ أنّ سَماحنَا أضرّ بنا والبأسُ من كل جانبِ

فأفنَى الرّدَى أرْوَاحنا غيرَ ظالمٍ وأفنَى الندَى أموَالنا غيرَ عائبِ

وقول الآخر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهِ غيرما خوف قومهِ على نفسهِ أن لا يطول بقاؤها

وقول الشاعر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيكم غيرَ أن ضيوفكمْ تعابُ بنسيانِ الأحبة والوطنْ

ومثله قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنى قصدتهُ فأنستنِىَ الأيامُ أهلا وموطنَا

وقول الصفى الحلى [من البسيط] :

لا عيْبَ فيهمْ سِوَى أنّ النزيل بهمْ

يسلو عَنِ الأهلِ والأوْطانِ وَالحشَمِ

وَلمؤلفهِ رَحمهُ الله تعالى ، فيمنْ ألفَ الكتابَ باسمهِ الكريم ، [من الكامل]:

لا عَيبَ فيهِ سوَى مكارمهِ التى نَسَبَتْ لحاتم بخلَ كلّ بخيلِ

وقوله أيضا فى غيره [من الكامل] :

لا عَيْبَ فيه غيرَ أنّ يمينهُ تدعُ العديمَ مهنئاً بيسَارهِ

وما أحسن قول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولا عيبَ فى معروفهم غيرَ أنهُ يُبَيّنُ عجز الشاكرين عن الشكرِ

وقول ابن الرومى أيضا [من السريع] :

ليس به عيبٌ سوى أنهُ لا تقعُ العينُ على شبههِ

وما أحسن قول ابن الحجاج [من الطويل] :

أتوْني فعابوا مَنْ أحبُّ جهالةً ... وذاكَ على سمع المحبِّ خفيفُ
فما فيه عيبٌ غيرَ أنَّ جفونه ... مِراضٌ وأن الخصْرَ منه ضعيفُ

وقول أبي جعفر القرشي [من الطويل] :

فتىً لم تسافرْ عنه آمالُ آملٍ ... وليسَ لها إلا إليه إيابُ
ولا عيبَ فيه لامرىء غيرَ أنهُ ... تعابُ له الدنيا وليْسَ يعابُ

وما أبدعَ قولَ ابن نباتة ، يمدح الملك الأفضل ، صاحبَ حماة ، من قصيدة [من الكامل] :

لا عيبَ فيه سوى عزائم قصَّرَتْ ... عنها الكواكبُ وهيَ بعدُ تحلِّقُ

وقوله [من الخفيف] :

ليسَ فيه عيبٌ سوَى أنّ إحسا ... نَ يديه يستعبدُ الأحرارا

وقوله [من البسيط] :

لا عيبَ فيه أدامَ الله دولتهُ ... إلا عزائم مجدٍ عندَهُنَّ شرَهْ

وقوله [من الطويل] :

ولا عيبَ فيها غير سحرِ جفونها ... وأحببْ بها سَحَّارةً حين تسحرُ

وقوله [من الكامل] :

وتتابع المنن التي ما عيبها ... إلا رجوعُ الوصفِ عنها قاصرا

وبديع قول الآخر أيضا [من الخفيف] :

عيبُ تلكَ الخلال أن لم يعوَّذْ ... نَ بعيبٍ يكونُ فيهنَّ خالا

وظريفٌ قول بعضهم [من الطويل] :

ولا عيبَ في هذا الرشا غيرَ أنهُ ... لهُ معطفٌ لدْنٌ وخَدٌّ مُنَعَّمُ

وما أحسن قول بعضهم ، وهو من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح ، عكس هذا الباب [من البسيط] :

بيضُ المطَابخ لاتشكو ولائدهم   طَبخَ القُدُور ولا غَسلَ المناديلِ
لا تأكُلُ النار فى مغنى بيُوتِهمُ   إلا فتائلَ سُرجٍ أو قناديل

وتقدم ذكر النابغة فى شواهد الايجاز والاطناب (١)

* * *

تأكيد المدح بالاستدراك

١٥٠ — هوَ البَدْرُ إلا أنهُ البَحرُ زَاخِراً   سِوَى أنه الضرغام لكنهُ الْوَبْلُ

البيت لبديع الزمان الهمذانى ، من قصيدة من الطويل يمدح بها خلف بن أحمد السجستانى أولها :

سماء الدُّجى ماهذه الحدقُ النُّجل   أصَدْرالدُّجى حالٍ وجيدُ الضحى عطلُ

وفيها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره ، والبحث عن وطنه ووطره ، حيث قال :

يُذكِّرنى قُرْبُ العراقِ وديعة   لدَى الله لا يُسليه مالٌ ولا أهلُ
إذا وَرَد الحجاجُ وَافى رفاقَهمْ   بفوّارتى دَمعٍ هما النجلُ والسَّجْلُ
يُسائلُهمْ أينَ ابنهُ أينَ دَارُهُ   إليهم انتهى لم لَمْ يعُدْ هل له شُغلُ
أضاقَتْ له حالٌ أطالت له يَدٌ   أأخَّرَهُ نقصٌ أقدَّمهُ فضلُ
يقولون وافى حضْرَةَ الملكِ الذى   له الكَنَفُ المأمولُ والنائلُ الجزلُ
وفاضت عليهِ ديمةٌ خلفيَّةٌ   بها للغوادى عن ولايتها عزلُ
يذكِّرُهمْ بالله إلا صَدَقْتمُو   لدىَّ أجِدٌّ ما تقولون أم هزْلُ
سَلَوْنا للقيالِك الملوكَ وإنما   بمثلك عن أمثالهم مثلُنا يَسْلُو (٢)

---

(١) انظر ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ٦٦ فى ج ١ ص ٣٥٨ من هذا الكتاب)
(٢) فى الأصل « صبونا للقيالك الملوك »

ولما بَلَوْناكم تَلَوْنا مديحكم فياطيبَ ما نبلو و يا صِدْقَ ما نتلو
فِدًى لك من أبناءِ دهرك مَنْ غدا فلا قَوْلُهُ علمٌ ولا فعلُهُ عدلُ
أيا ملكا أدنى مناقبِهِ العلا وأيْسَرُ ما فيه السَّماحَةُ والبذل

و بعده البيت ، و بعده :

محاسنُ يُبْديها العيانُ كما ترَى و إن نحن حدثنا بها دفع العقل

وهى طويلة ، وقد مضى طرف منها فى مراعاة النظير .

والضرغام : الأسد ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر ، ومثله الوابل .

والشاهد فيه : أن الاستدراك الدال عليه لفظ لكن فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كالاستثناء فى إفادة المراد ، فالأولان استثنا آن ، وقوله « لكنه » استدراك يفيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لأنه استثناء منقطع، و« إلا» فيه بمعنى لكن، ومثله قول ابن قلاقس [من الطويل] :

هو الثغر إلا أنهُ الفجر طالعاً على أنه الكافورُ لكنه البَدْرُ

وقول بعضهم أيضا [من البسيط] :

يسعى به البرْقُ إلا أنه فَرَسٌ من فَوْقِهِ الموْت إلا أنه رجُلُ

وقول السرى الرفاء أيضاً [من البسيط] :

أما ترى الثّلْجَ قدخاطت أناملُهُ ثوباً يُزَرُّ على الدنيا بأزرار
نارٌ ولكنها ليست بمُبْدِيةٍ نوراً وماء ولكن ليسَ بالجارى

وقول التنوخى [من الكامل] :

غصْنٌ تأودَ فوقَ دِعْصٍ من نقاً ليل تبَلّجَ عن صبَاح مُسفِرِ
كالشمس إلا أنه مُتَنفس عن مسكة متبسمٌ عن جوْهَرِ

وقوله أيضا [من الطويل] :

وجوهٌ كأكباد المحبين رقةً ... ولكنها يومَ الهياجِ صُخُورُ

وقوله وأجاد [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقةٌ ... بَدَتْ لكَ في قَدَحٍ من نُضَارِ

هَوَاءٌ ولكنهُ ساكنٌ ... وماءٌ ولكنه غيرُ جارى

وما أحسن ما قال بعدهما، وهو من بديع التشبيه

كأن المديرَ لها باليمين ... إذا قام للسعى أو باليسارِ

تَدَرَّع ثوباً من الياسمين ... له فردُ كم من الجلنارِ

وهذا المعنى من قول بعضهم [من الطويل] :

و بكرٍ شربناها على الوردِ بكْرَةً ... فكانت لنا وردًا إلى ضحوةِ الغدِ

إذا قامَ مبيضُّ الثياب يديرُها ... توهَّمتُهُ يسعى بكم موَرَّدِ

ولأبى القاسم الطبرى [من الطويل]

قضيبٌ ولكن مَبسمُ النور ثغرُها ... وبدرٌ ولكنَّ المحاقَ بخصرِها

ولابن جابر الأندلسي أيضا [من الطويل] :

ولم ترَ عيني مثل جنَّةِ خدِّها ... ولكن حماها اللحظ بالصارمِ العَضْبِ

موَرَّدةُ الخدين معسُولة اللَّمَى ... سوَى أنها تفترُّ عن لؤلؤٍ رَطْبِ

وما أحسن قول بعضهم فى شكوى الزمان [من الطويل] :

ولى فَرَسٌ من نَسْلِ أعوَجَ سابقٌ ... ولكن على قَدْرِ الشعير يُحمحمُ

وأقسم ما قصَّرت فيما يزيدنى ... علوا ولكن عند من أتقدم

ترجمة بديع الزمان الهمذانى

و بديع الزمان[1] هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى ، قال فى

(١) للبديع ترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي (٤ — ٢٤٠ مصر)

حقه صاحب اليتيمة : هو بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومَنْ لم يلف نظيره [٢] فى ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ، وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه فى طُرَف النثر وملحه ، وغرر النظم ونكته ، ولم يرو أن أحدا بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب : فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها وَيؤديها من أولها إلى آخرها لايخرم منها حرفاً ، وينظر فى الأربع أو الخمس الأوراق من كتاب لا يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه، ويسردها سرداً ، وهذه حاله فى الكتب الواردة وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة فى معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها فى الوقت والساعة ، والجواب عنها فيها. وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطوره ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه كأحسن شىء وَأملحه، ويوشح القصيدة من قوله [٣] بالرسالة الشريفةمن إنشائه فيقرأ من النظم النثر ويروى من النثر النظم ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الشريفة [٤] ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النثر والنظم فيرتجله فى أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونَفَس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض القريحة، ومسارقة

---

(١) فى اليتيمة « ومن لم يلق » من اللقاء ، وهى أحسن لموافقتها قوله بعد « ولم يدرك قرينه »

(٢) فى اليتيمة « فى ظرف النثر » وما هنا أحسن لتوافقه مع « ملح » و « غرر » و « نكت »

(٣) فى الأصل «من قبله» وقد أثبتنا ما فى اليتيمة

(٤) فى اليتيمة « الرشيقة »

القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، وثمرات المده ، ومجاراة الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى ، وكان مع هذا كله مقبول الصورة ، خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص المودة ، حلو الصداقة ، مر العداوة

فارق همذان سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غض الحداثة ،وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده ، واستنفد علمه ، واستنزف بحره [1] ، وورد حضرة الصاحب فتزود من ثمارها ، وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية ، والتعيش في أكنافهم ، والاقتباس من أنوارهم .

ثم إنه قصد نيسابور فنشر بها بزه ، وأظهر طرزه ، وأملى بها أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الجد وغيره ، وضمنها ماتشتهى الأنفس ، وتلذ الأعين : من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رقيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول

فمن ذلك قوله : المقامة السادسة [2] عن أبي الفتح الاسكندري قال : حدثنا عيسى ابن هشام ، قال . اشتهيت[3] الأزاذ ، وأنا ببغداذ ، وليس معي عقدٌ على نقد ، فخرجت أخترق محالها حتى أحلني الكدْح بسوادي[4] يحدو بالجهد

---

(١) في الأصل « واستنزف سحره » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة

(٢) اقرأها في المقامات (٦٣ بيروت)

(٣) الأزاذ :ضرب من التمر الجيد

(٤) الكدح : السعي مع جهد ، وفي المقامات « الكرخ » محلة ببغداد والسوادي : الرجل من ريف العراق ، وريف العراق يسمى السواد .

حماره ، ويطرّف بالعقد إزاره ، فقلت : ظفرنا والله بصيد ، وحياك الله يا أبا زيد! من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ ومتى وافيت ؟ فهلم إلى البيت . فقال : لست بأبى زيد ، و إنما أنا أبوعبيد . فقلت : لعن الله الشيطان، أنسانيك طول العهد . كيف أبوك أشابٌ كعهدى، أم شابَ بعدى؟ فقال: قد نبت المرعى على دمنته[١]. فقلت: إنا لله [ونفسى فى سبيل الله[٢]] ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومددت يد البدار[٣] إلى الصدّار [أحرك زيقه[٢]] وأريد تمزيقه ، فقبض السوادى على خصرى بجُمعه ، وقال : نشدتك الله[٤] لامزقته ، فقلت : فهلم إلى البيت نصيب غداء[٥]، أو إلى السوق نشترى شِواء، والسوق أقرب، وطعامه أطيب، فاستفزته حُمَة القرمِ[٦] وعطفته عطفة النّهم[٧] وطمع ، ولم يدر أنه وقع . ثم أتينا شوّاء يتقاطر شواؤه عرقا ، وتتسايل جوانبه مرقا . فقلت له : زن لأبى زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء . واختر له من تلك الأطباق ، وأنضد عليه ورقا من[٨] الرقاق ، وشيئاً من ماء السُّماق[٩] ليأكله أبو زيد هنيئاً . فانحنى الشواء

(١) كناية عن موته
(٢) ليست هذه الجملة فى المقامات
(٣) البدار – بكسر الباء – المبادرة والاسراع . والصدار – بزنة الكتاب – القميص الصغير يلى الجسد
(٤) فى الأصل « أنشدتك الله » وما أثبتناه موافق لما فى المقامات
(٥) فى المقامات « نصب غداء » بالجزم فى جواب الأمر
(٦) استفزته : استخفته ، وحمة الشىء – بضم الحاء وفتح الميم مخففة – شدته ، وأصل الحمة إبرة العقرب التى تلدغ بها . والقرم – بفتح القاف والراء – الشهوة إلى أكل اللحم خاصة
(٧) فى المقامات « وعطفته عاطفة اللقم » فأما النهم فهو شدة الشهوة إلى الطعام ، وأما اللقم فهو الأكل السريع
(٨) فى المقامات « وانضد عليها ورق الرقاق »
(٩) السماق : حب أحمر صغير بالغ الحموضة

بساطوره ، على زبدة تنوره ، فجعلها كالكحل سحقا ، وكالطَّحْن دقًا(١). ثم جلس وجلست ، وما نبس وما نبسْتُ، حتى استوفيناه . فقلت لصاحب الحلوى : زن لأبي زيد من هذا اللُّوزنيج(٢) رطلين فهو أجرى فى الحلوق ، وأسرى فى العروق(٣) ولْيَكُنْ ليلى العُمر يومى النَّشْر(٤) رقيق الجلد كثيف الحشو، لؤلؤى الدهن، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ . فوزنه وقعد وقعدت ، وجرد وجردت(٥) ، حتى استوفيناه ، ثم قلت: ياأبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بثلج ليقصع هذه الصارة ، ويفثأ هذه اللقم الحارة(٦) ، اجلس يا أبا زيد حتى آتيك بسقاء، يحيينا بشربة ماء ، وخرجت وجلست بحيث أراه ولا يرانى ، أنظر ما يصنع به ، فلما أبطأت عليه قام السوادىُّ إلى حماره ، فاعتلق الشواء بإزاره . وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ فقال : أكلته ضيفا ، فقال: هاك وهاك ، متى دعوناك ؟ زن ياأخا القحبة عشرين [وإلا أكلت ثلاثا وتسعين] فجعل السوادى يبكى [ويمسح دموعه بأردانه] ويحل عُقَدَه بأسنانه . ويقول : كم قلت لذلك القُرَيْدُ ، أنا أبوعبيد وهو يقول أنت أبوزيد . وأنشأ يقول(٧) [من مجزوء الكامل] :

---

(١) الطحن ــ بكسر الطاء ــ الدقيق ، ووقع فى الأصل « والطين دقا » وهو تحريف ما أثبتناه من المقامات

(٢) اللوزينج : ضرب من الحلواء يصنع من خبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالجوز واللوز

(٣) فى المقامات « وأمضى فى العروق »

(٤) ليلى العمر : يعنى أنه صنع بالليل ، ويومى النشر : أى أخرج من مصنعه بالنهار

(٥) جرد : أخرج يده من بين ثيابه ، ووقع فى الأصل « جود » محرفا

(٦) الصارة : العطش ، ويقممها : يدفعها ويقهرها . ويفثا : يسكن ويهدىء

(٧) فى المقامات مكان هذه العبارة « فأنشدت » وهى أحسن

إعمل لرزقكَ كل آله لا تقعدَنَّ بذل حاله

وانهَضْ لكلِّ عظيمةٍ فالمَرْءُ يعجز لامحالهْ

ثم شجر بينه و بين أبى بكر الخوارزمى ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذانى ، وعلو أمره ، وقرب نجحه ، و بعد صيته ، إذ لم يكن فى الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب [والشعراء][1] ينبرى لمباراته ، و يجترىء على مجاراته ، فلما تصدى الهمذانى لمساجلته ، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومبادهات[2] ومناظرات ومناضلات ، وأفضى العنان إلى العنان[3] وقرع النبع بالنبع ، وغلب هذا قومٌ وذاك آخرون ، وجرى بينهما من الترجيح مايجرى بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين — طار ذكر الهمذانى فى الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، وأدَرَّ الله تعالى له أخلاف الرزق ، وأركبه أكتاف العز ، وأجاب الخوارزمى رحمه الله تعالى داعى ربه عز وجل ، فخلا الجو للهمذانى ، وتصرفت به أحوالٌ جميلة ، وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خُرَاسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى ثمرها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا بقى ملك ولا أمير ، ولا رئيس ولا وزير ، إلا استمطر منه بنَوْء ، وسرى معه فى ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم ، وألقى عصاه بهراة ، واتخذها دار قراره ، وجمع أسبابه ، ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفصل ، والطهارة والفضل ، والقديم والحديث ، حتى وُفق للتوفيق كله ، وخار الله عز وجل له فى مصاهرة أبى على الحسين بن محمد الخشنامى وهو الفاضل الكريم

(١) هذه الكلمة زائدة فى اليتيمة .

(٢) فى اليتيمة « ومباهاة » وما هنا أحسن ، والمبادهة : المغالبة ليعرف أيهما أسرع بديهة

(٣) فى اليتيمة « وأفضى السنان إلى العنان » وما هنا أحسن

الأصيل الذى لايزداد اختباراً ، إلا زيد اختيارا ، فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره ، وتعرف القرة فى عينه والقوة فى ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة ، وأثل معيشة صالحة ومروءة ظاهرة ، وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله تعالى فلبَّاه ، وفارق دنياه ، فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فى حادى عشرة جمادى الأخيرة ، وقيل : مات مسموما ، وقيل : عرض له داء السكتة فعجل دفنه وإنه أفاق فى قبره وسمع صوته بالليل ، وإنه نُبش فوُجد وقد قبض على لحيته من هول القبر وقد مات فقامت [عليه][1] نوادبُ الأدب ، وانثلم حد القلم . وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها ، ورثته الأفاضل مع الفضائل ، وبكته المكارم مع الأكارم ، على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقى على جبهة الأيام نظمُه ونثره . والله تعالى يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه .

وأنا أذكر من طُرف ملحه ولقط غرره[2] ماهو غذاء القلب، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس، فأقول :

فصل — من رقعة للخوارزمى وهو أول ما كاتبه به : أنا لقُرْب دار الأستاذ * كما طرب النشوان مالت به الخمر * ومن الارتياح للقائه * كما انتفض العصفور بَلَّله القطر * ومن الامتزاج بولائه * كما التقت الصهباء والبارد العذب * ومن الابتهاج لمزاره * كما اهتز تحت البارح الغُصن الرطب *

فصل — ورد للخوارزمى كتاب يتقلبُ فيه على جنب الحرد[3] ويتقلى على

(١) هذه الكلمة زيادة عن اليتيمة

(٢) فى اليتيمة « ولفظ غرره »

(٣) الحرد : النصب ، وحرد يحرد حرودا ، مثل جلس يجلس جلوسا ، وفيه لغة كضرب وأخرى كسمع .

جمر الضجر ، ويتأوه من خُمار الخجل ، ويذكر أن الخاصة قد علمت الفَلَج[١] لأينا كان ، فقلت : استُ البائن أعلم ، والأخبار المتظاهرة أعدل ، والآثار الظاهرة أصدق ، وحَلبة السُّباق أشهد ، والعودُ إن نشط أحمد ، ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب عُدْنا [٢] وله عندى إذا شاء كلُّ ما ساء ، ولن يعدم إذا أراد نقدا يُطير فراخه ، ونقفاً يُصم صماخه ، وما كنت أظنه يرتقى بنفسه إلى طلب مُساماتى بعدما سقيته نقيع الحنظل ، وأطعمته الخراء بالخَرْدل ، فان كان الشقاء قد استهواه ، والحين [٣] قد استغواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو منّى على ميعاد ، وأناله بمرصاد .

فصل — حَضْرَته التى هى كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم ، لا مشعر الحرم ، ومُنَى الضيف ، لا مِنَى الخيف ، وقِبلة الصِّلات ، لا قبلة الصلاة

فصل — من كتاب [٤] إلى أبيه : للشيخ لذة فى العتب والسب ، وطبيعة فى العنف [٥] والأسف ، فاذا أعوزه من يغضب عليه ، فأنا بين يديه ، وإذا لم

---

(١) الفلج — بفتح فسكون — الظفر والفوز والغلبة

(٢) هذا من قول الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لها
بالنعل ، والنعل لها حاضره

(٣) الحين — بفتح الحاء المهملة — الهلاك ، ووقع فى الأصل « الجبن » بالجيم والباء ، وهو محرف عما أثبتناه .

(٤) هكذا فى الأصل تبعا لما وقع فى اليتيمة ، والذى فى رسائل البديع أن هذه الرسالة موجهة إلى الشيخ أبى عبدالله الحسين بن يحيى ، وهو المعقول ، فان مستهل هذه الرسالة لا يوجه إلى والد ، ولم يعرف البديع بالعقوق . وختام الرسالة على تشبيه المرسل إليه بالوالد ، وليس على حقيقته

(٥) وقع فى الأصل « وطيبة فى العنف والعسف » محرفا عما أثبتناه

يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليس له قيمة ، والظفر به عزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ما شاء .

فصل — من رقعة إلى خلف : سمعت منشداً ينشد (١) :

لحَى الله صُعلوكاً مناه وهمه من العيش أنْ يلقى لبوساً ومَطعماَ

فقلت : أنا معنيّ بهذا البيت ، لأنى قاعد فى البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لين الثياب ، ويفاض عليّ نزل (٢) ، ولا يفوض إلى شغل ، ويملأ لى وَطب ، ولا يدفع بى خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز ، وماء الرأس — أيدك الله ! — كثير الخيوط ، والضيف كثير التخليط ، وصبٌّ هذا الماء خيرٌ من شربه ، وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأنى بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمذانى رَأى بهذه الحضرة من الإنعام ، ما لم يره فى المنام ، فكفّ عن الآثام (٣) ، وَلعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، فعدل به عادل السكر ، عن طريق الشكر ، وكأنه نسى مورده ، الذى أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللئيم إذا جاع ابتغى ، وإذا شبع طغى ، والهمذانى لو تُرِكَ بجلدته ، يرقص تحت رعدته ، ما تربع فى قعدته ، ولا تجشأ من معدته ، ولكنه حين لبس الحلة ، وركب البغلة ، وملك الخيل والخول (٤) تمنى الدول . ورَأس اليتيم يحتمل الوهن ، ولا يحتمل الدهن . وظهر الشقى يحتمل (٥) عدلين من الفحم ، ولا يحتمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعير ما نهق الحمير ،

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لعروة بن الورد

(٢) النزل : كل ما يقدم للضيف من لطائف الاكرام

(٣) فى اليتيمة بدل هذه الجملة « فكيف من الأنام »

(٤) الخول — بفتحتين — الخدم

(٥) فى اليتيمة « يحمل » فى الموضعين

ولو لم تقسع حاله لم يتسع مجاله . وكذا الكلب يزمن حين يسمن (١) ، ولا يتبع حين يشبع ، وعند الجوع يهم بالرجوع .

رقعة له إلى مستميح عاوده مراراً وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب ، كما تديمه بالأدب ؟.

عافاك الله ! مثل الانسان فى الاحسان كمثل الأشجار فى الاثمار ، سبيله إذا أتى بالحسنة أن يرفعه إلى سنه ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى ، وهما فؤادى و يدى . أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا الخلق النفيس ، لايساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثرده فى قصعة ، ولا صرفه فى ثمن سلعة . ولى مع الأدب نادرة ، جهدت فى هذه الأيام بالطباخ ، أن يطبخ من جيمية الشماخ (٢) لوناً فلم يفعل ، و بالقصاب أن يسمع أدب الكتاب (٣) فلم يقبل . وأنشدت فى الحمام ديوان أبى تمام فلم ينفذ ودفعت إلى الحجام مقطعات اللحام فلم يأخذ ، واحتيج فى البيت إلى شىء من الزيت ، فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتى بيت فلم يغن ، ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ، ولكن ليست تقع ؟ فما أصنع ؟ فان كنت تحسب اختلافك إلىّ إفضالا علىّ ، فراحتى ، أن لا تطرق ساحتى ، وفرجى ، أن لا تجى ، والسلام .

فصل — إن هذا الدين لذو تبعات : الصوم والفطام شديد ، والحج والمرام بعيد ، والصلاة والمنام لذيذ ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد ، والرأس

---

(١) هذا مأخوذ من قولهم فى مثل « جوع كلبك يتبعك »

(٢) قصيدة على حرف الجيم للشماخ بن ضرار الغطفانى

(٣) كتاب لابن قتيبة يعده مشايخ ابن خلدون من أصول كتب الأدب وأمهاتها ، والكثير أن اسمه « أدب الكاتب »

لا ينبت بَعد الحصاد ، والصبر الحامض، والعفاف اليابس ، والجدّ الخشن ، والصدق المرّ ، والحق الثقيل، والكظم وفى اللقمة العظم .

رقعة — ياشبر ، ما هذا الكبر؟ ويا فتر ما هذا الستر؟ ويا قرد ماهذا البرد ، ويا يأجوج ، ما هذا الخروج [1] ويا فقاع بكم تباع ؟ ويا فرانى ، متى ترانى ، ويالقمة الخجل، نحن ببابك ، ويا بيضة البقيلة من لنا بك ! ويا دبه ، ويا حبه ، ويا من فوق المكبه ، ويا من قرنه المذبه ، وَيا من خلفه المسبه، وَيادمل ما أوجعك ، وَيا قمل لنا حديث معك، إن رؤيت أوذيت ، السلام .

فصل — أعجوبه، ولكنها محبوبه [3] حين تصلى على النبى تنشاط [4] ، وتنزل عن قيراط ، يا هى صبراً ياخبيث ، إليك يساق الحديث ، إن عشنا وعشت رأيت الأتان تركب الطحان ، رُوح ولا جسد ، وصوت ولا أحد . والعود أحمق، ومتى فرْزَنْتَ يا بيدق [5] يا أسخف من ناقد على راقد . وَشرّ دهركَ آخره . أيا عجبا أيلد الأغرّ البهيم ، وولد آزر إبراهيم :

يا أيها العامُ الذى قَدْ رَابنى أنتَ الفداء لذكر عام أوّلاً

وما أفدّى العام ، لكن الأنعام ، ولا أشكو الأيام [6] ولكن اللئام ، عام أول عدنان . والعَام هذا العريان [7] لنا فى كل أوان أمير يملأ بطنه والجار

---

(١) فى اليتيمة « ويايأجوج ، متى الخروج ؟ »
(٢) فى اليتيمة « ويا من قربه المذبة » وما هنا أحسن
(٣) فى اليتيمة « ولكنها محجوبة »
(٤) فى الأصل « تنساط » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٥) فى الأصل «فرزندت» محرفا ، والفرز والبيدق : قطعتان فى لعبة الشطرنج
(٦) فى اليتيمة والرسائل « ولا أشكو الأنام »
(٧) فى اليتيمة والرسائل « والعام هذا القرنان »

جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع .

تبـدَّلت الأشياءُ حتىَّ لخلتها
سَتبدى غروب الشمس من حيثُ تطلعُ

كانت السيادة فى المطابخ ، فصارت فى المباطخ . أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ، ولئن سمنت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم :

رَأيتـكمْ لايصون العرض جارُكمُ ولا يَدِرُّ عَلىَ مرعا كم اللبنُ

فصْـلٌ — من كتاب إلى ابن فارس : نعم أيد الله تعالى الشيخ ، إنه الحمأ المسنون ، و إن ظنت الظنون ، والناس ينسبون لآدم، و إن كان العهد قد تقادم، وتركبت الأضداد (١) واختلط الميلاد . والشيخ يقول : قد فسد الزمان . أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى الدولة العباسية ؟ فقد رأينا آخرها وَسمعنا بأوّلها ! . أم فى المدة المرْوانية وفى أخبارها :

* لاَ تـكْسعِ الشوْلَ بأغبَارِهَا *

أم السنين الحَرْبية (٢) :

والسيفُ يغمدُ فى الطُّلَى والرُّمحُ يركزُ فى الكلى
ومَبيتُ حَجرٍ فى الفلاَ والحرَّتانِ وَكرْبَلاَ

أم البيعة الهاشمية (٣) [وعلى يقول : ليت] (٤) العشرة [منكم بِ]رأس

(١) فى الرسائل واليتيمة « وارتبكت الأضداد »
(٢) يريد بالسنين الحربية المدة التى تبدأ بحكم معاوية بن أبى سفيان لأن جده حرب بن أمية
(٣) يريد بالبيعة الهاشمية أيام ولاية على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه
(٤) الزيادة عن الرسائل ، ولا يتم الكلام إلا بها

من بنى فراس ، أم الأيام الأموية(١) والنفير إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز أم الإمارة العَدوية (٢) ، وصاحبها يقول : وهل بعد البزول إلا النزول ؟ أم الخلافية التَّيْمية(٣) ، وصاحبها يقول : طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام . أم على عهد الرسالة و يوم الفتح قيل: اسكتى يافلانة فقد ذهبت الأمانه ؟ أم فى الجاهلية وَلبيد يقول [من الكامل] :

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ فى أكنافِهمْ   وَبقيتُ فى خلف كجلدِ الأجرَبِ

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل] :

بِلادٌ بها كنا وكنا نحبها   إذ الناسُ ناسٌ وَالزمان زمانُ

أم قبل ذلك و يروى عن آدم عليه السلام :

* تغيرَت البلادُ ومن عليها *

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة (أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدماء) ما فسد الناس ، إنما اطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام، إنما امتد الظلام، وهل يفسدُ الشىء إلا عن صلاح ، ويمسى المرء إلا عن صباح

ومنه — اثنان قلما يجتمعان : الخراسانية والانسانية [وأنا] وإن لم أكن خراسانى الطينة ، فانى خراسانى المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث يثبُت ، لا من حيث ينبُت ، فاذا انضافت إلى خُراسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف، فالجُرْحُ (٤) جُبَار والجانى حِمَار،

---

(١) الأيام الأموية : عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنه من بنى أمية
(٢) الامارة العدوية: عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه من بنى عدى.
(٣) الخلافة التيمية: أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأنه من بنى تيم
(٤) هذا من قوله عليه الصلاة والسلام « جرح العجماء جبار » وجبار — بزنة غراب — أى هدر لا ضمان فيه ولا عقوبة ، والعجماء : الدواب

لا جنة ولا نار ، فلتحملني على هناتي، أليس صاحبنا يقول [من الخفيف] :

لا تلمني على ركاكة عقلي إذ تيقنت أنني همذاني

فصل — مثل الشيخ في التماس الخل ، كمثل المكدى في التماس الخل ، تقدم إلى الخلال فقال : يا منكوح العيال ، صب قليلا من هذا الخل في هذا الاناء، فقال الخلال : قبح الله الكسل ، هلا التمست بها اللفظ العسل .

فصل — حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال : رأيت الصفا والحجون وقوما يموجون ، وكعبة تزف عليها الستور ، وترفرف حولها الطيور ، و بيتا كبيتي، ولكن سل عن البخت ، لا عن البيت .

فصل — جرجان ، وما أدراك ما جرجان ؟ أكلة من التين ، وموتة في الحين، ونظرة إلى الثمار ، وأخرى إلى الحفار [1] ، ونجار إذا رأى الخراساني نجر التابوت على قده ، وأسلف الحفار على لحده ، وعطار يعد الحنوط برسمه، وبها للغريب ثلاث فتحات : أولها لكراء البيوت ، والثانية لابتياع القوت ، والثالثة لثمن التابوت .

فصل — من رقعه إلى وارث مال : العزاء [2] عن الأعزة رشد كأنه الغي ، وقد مات الميت فليحى الحي ، فاشدد على مالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، كان ذلك الشيخ وكيلك ، تضحك و يبكى لك ، وسيعجم الشيطان عودك ، فإن استلانه رماك بقوم يقولون : خير المال متلفه بين الشراب والشباب ومنفقه بين الحباب والأحباب ، والعيش بين القداح والأقداح ، ولولا الاستعمال ما أريد المال ، فإن أطعتهم فاليوم في الشراب ، وغداً في الخراب، واليوم واطربا

(١) في اليتيمة « والأخرى إلى التابوت والحفار » .

(٢) وقع في الأصول هكذا « إلى وارث ما العزاء عن الأحبة إلخ » والحروف واحدة ولكنها صحفت بسبب اختلاط الرسم

للكاس ، وغداً واحر با من الافلاس . يا مولاى هذا المسموع من العود يسميه الجاهل نقراً ، و يسميه العاقل فقرا ، وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زمر ، وهو غدا فى الأثواب جمر [1] ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار فى هذا العمل بضاعة .

فصول قصار وألفاظ وأمثال — المرء لا يعرف ببرده كالسيف لا يعرف بغمده . الحذق لا يزيد الرزق . والدعة لا تحجب السعة . إن للمتعة حدا وللعارية ردا . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء ، ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله . الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل . إنما يجذب السيف على الكلب لا على القلب ، والراجع فى شيئه كالراجع فى قيئه .

وهذه ملح وغرر من شعره فى كل فن : فمن ذلك قوله من قصيدة فى أبى القاسم ابن ناصر الدولة [من مجزوء الكامل] :

غُضِّى جفُونَكِ ياريا ضُ فقَدْ فَتنت الحورَ غمزا
واقنى حيَاءك يا ريا حُ فقد كدَدْتِ الغُصْنَ هزّا
وارْفق بجفْنـك يا غما مُ فقد خدَشْتَ الوردَ وَخزَا
خَلعَ الرَّبيعُ على الرُّبا ورُبوعها خزّا وبزّا
ومَطَارفاً قد نَقَّشَتْ فيها يدُ الأمطارِ طَرْزا
أسْرِ المطىّ إلى المدا مِ على جنىّ الوردِ جمزا
أو ما ترَى الأقطارَ قد أخَذَتْ من الأمْطَار عزّا
أوليسَ عجزاً أن يفو تكَ حُسْنُهَا أوليس عجْزَا

(١) فى اليتيمة ــ وهو الكتاب الذى أخذ عنه المؤلف كل ما فى هذه الترجمة ــ وقعت هذه الفاصلة « وهو غدا فى الإبواب سمر » .

حلّتْ عزاليها السّمَا ء فعادت البيداء نِزّا
وكأن أمْطَارَ الربيع إلى ندَى كفّيْكَ تُعْزَى

وله من أخرى [من الكامل] :

خَرَجَ الأميرُ ومن وَرَاءِ ركابهِ غيرى ، وعز علىَّ أن لم أخْرُجِ
أصبحتُ لا أدرى أأدعو طخمشى أم يكتكيني أم أصيح بترعجى
و بقيت لا أدرى أأركَبُ أبرشي أم أدهمى أم أشهبى أم دبرجي
ياسيد الأمراءِ مالى خَيْمَةٌ إلا السّماء إلى ذرَاها ألتجى
كَتِفِي بعيرى إن ظَعَنت ومفْرَشى كُمِّى وجِنْحُ الليل مطْرَحُ هودجى

وله من قصيده فى أبى عامر بن عدنان [من الكامل] :

لِيلُ الصبا ونهارُهُ سكْرَانٌ حدَثان لم يعركهما حدثانُ
يا زَفْرَةً لىَ لا يكاد أزيزُهَا يَسَعُ الضلوعَ إليك يا همذَانُ
قسما لقد فقَدَ العراق بى امرأً لَيْست تجودُ بردّه البُلْدَانُ
يادهر إن تك لا محالة مُزعجى عن خصلتى ولكل دهر شانُ(١)
فاعمد براحلتى هرَاةَ فإنها عَدْنٌ و إن رئيسها عَدْنَانُ(٢)

وله من قصيدة فى الأمير أبى على وهو بمرو [من البسيط] :

علىَّ أن لا أريحَ العيسَ والقتَبا وألبس البيضَ والظلماء واليَلبَا (٣)
وأتْرُكُ الخودَ معْسولا مُقبَّلها وأهجرُ الكأسَ تَقذْوشرْبَها طرَبا (٤)
حسبى الفلا مجلِساوالبومُ مطربةً والسَيرُ يسكِرنى من مَسّه تعَبا

ومنها :

---

(١) فى الديوان (٨١) «عن خطتى »
(٢) فى الديوان « وأنت رئيسها عدناف »
(٣) فى اليتيمة « وألبس البيض »
(٤) فى الأصل « يعرو شربها طربا » وأثبتناها فى الديوان

وطفلةٌ كقضيب البان منعطفاً ... إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظلّ تنثر من أجفانها حبباً ... دُوبى، وتنظم من أسنانها حبباً (١)
قالت وقد علقت ذيلى تودّعنى ... والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا درّ درّ المعالى لا يزال بها ... برقٌ يسوقك لا هوناً ولا كثبا (٢)
يا مشرعاً المنى عذباً موارده ... بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا
أطلعت لى قمراً سعداً منازله ... حتى إذا قلت يجلو ظلمتى غربا
كنت الشبيبة أبهى ما دجت دزجت ... وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا
أستودع الله عيناً تنتحى دفعاً ... حتى تؤوب وقلبا يرتمى لهبا
وظاعناً أخذت منه النوى وطراً ... من قبل يقضى الهوى من حكمه أربا
غُضّى عليك قناع الصبر إنّ لنا ... إليك أوبة مشتاقٍ ومنقلبا

ومنها:

أبى المقام بدار الذّل لى كرمٌ ... وهمّةٌ تصل التخويد والخببا (٣)
وعزمة لا تزال الدهر ضاربةً ... دون الأمير وفوق المشترى طُنُبا

ومنها:

---

(١) فى اليتيمة وقع المصراع الأول من هذا البيت * تظل تنثر من أجفانها دررا *
(٢) فى اليتيمة والديوان « برق يشوقك »
(٣) فى اليتيمة * وهمة تصل التوخيد والخببا * وكلا اللفظين له وجه ولكن ما هنا أدق ، والتخويد : صرعة السير ، وقيل : صرعة سير البعير خاصة . ويقال : خود البعير — بتشديد الواو — إذا أسرع وزج بقوائمه . والوخد — بفتح فسكون — ضرب من سير الابل ، وسعة الخطو فى المشى ، وفعله وخد يخد وخداً ، مثل وعد يعد وعداً ، ولم أجد المضعف من هذا الفعل فى مراجع اللغة التى بين يدى .

يا سيدَ الأمراء افخر فما ملكٌ إلا تمناكَ مولىً واشتهاكَ أبَا(١)

يامنْ تراهُ ملوكُ الأرض فوقهمُ كما يرَوْنَ على أبرَاجها الشهُبَا

لا تكذبنَّ فخيرُ القول أصدَقهُ ولا تهابنَّ فى أمثالهـا العرَبَا

فما السموألُ عهداً والخليلُ قِرًى

ولا ابن سُعْدَى ندًى والشَّنفَرَى غلبَا

منَ الأمير بمعشارٍ إذا اقتسموا مآثرَ المجـد فيما أسلفوا نهبَا

ولا ابنُ حجرٍ ولاذبيان يعشرنى والمازنىُّ ولا القيسىُّ منتدبَا(٢)

هذا لركبتهِ ، أوْ ذا لرهبتهِ أوْ ذا لرغبتهِ ، أوْ ذا إذا طربَا

والقصيدة كلها غرر ، وتقدم شىء منها فى شواهد التفريق .

وله من قصيدة أخرى ميكالية [من مجزوء الرمل] :

اذهب الكأس فعرف الـــفجر قدْ كادَ يلوحُ

وَهوْ للناس صباحٌ ولذى الرَّأى صبوحُ

لا يغـرَّنك جسمٌ صادقُ الحسن ورُوحُ

إنمـا نحنُ إلى الآ جال نغـدو ونروحُ

بينا أنتَ صحيحُ الجسم إذ أنتَ طـريحُ

فاسقنيها مثلَ ما يلفظهُ الدِّيكُ الذبيحُ

وله من أخرى ، فى الملك المعظم ، يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، [من الهزج] :

تعـالى الله ما شاء وزَادَ اللهُ إيمـانى

(١) فى اليتيمة « ولا ملك » وفى الديوان (ه) مثل ماهنا

(٢) فى الأصل « يعثرنى وأثبتنا مافى الديوان

أإفريدون فى التاج أم الاسكندر الثانى
أم الرجعة قد عادت إلينا بسليمانِ
أظلت شمسُ محمودٍ على أنجم سامان
وأمسى آل بهرامٍ عبيداً لابن خاقان
إذا ما ركب الفيلَ لحربٍ أوْ لميدانِ
رأتْ عيناك سلطاناً على منكب شيطان

وله من قصيدة فى جماعة من العمال حبسوا [من المنسرح] :

مالى أرى الحرّ ذاهباً دَمُهُ ولا أرى النذل ذاهباً ذهبهْ
أراحنا الله منك يا زمنا أرْعَنَ يصطادُ صقرَهُ خَرَبُهْ
يا ساغبا جائع الجوارح لا يسكن إلا بفاضل سَغَبَهْ
يا ضَرَماً فى الأنام متقداً والجودُ والمجدُ والنُّهى حَطَبُهْ
يا خاطباسا كتا وليس سوى نعى فتىً أوْ فتوّةٍ خُطَبُهْ
يا صائداً والعلى فَرِيسته وناهباً وَالجمالُ منتهبهْ
يا سادتى لا تَلِنْ عظامكُمُ لعضة الدَّهرِ إنْ يهج كَلَبُهْ(١)
فالدَّهرُ لونان لا يدومُ على حالٍ ، سريعٌ بالناس مُنْقَلَبُهْ
أتىَ بشرٍّ لمْ نرْتقبهُ كذا يأتى بخيرٍ وَليس نَرْتَقِبهْ(٢)

ومحاسنه كثيرة ، وقد أوردنا منها ما فيه مقنع ، رحمه الله ! .

***

(١) فى الأصل « لا تكن عظامكم » وفى اليتيمة « كعضة الدهر » تحرفا جميعا هنا

(٢) فى اليتيمة « وليس نحتسبه » ، وفى الديوان « أتى بخير » وقبله « يأتى بشر وليس نحتسبه »

شاهد الاستتباع

١٥١ — نَهَبْتَ من الأعمار ما لَوْ حَوَيْتَهُ
لَهُنِّئَتِ الدُّنيا بأنَّكَ خالدُ

البيت لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل (١) ، تقدَّم ذكر مطلعها ، وطرف منها في شواهد المقدمة ، ومنها قبل البيت :

أخُو غَزَوَاتٍ لا تغبُّ سيوفهُ رقابهمُ إلاّ وسيحانُ جامدُ (٢)

فلم يبق إلا مَنْ حماها من الظبا لمى شفتيها والثديُّ النواهدُ (٣)

تبكي عليهنّ البطاريقُ في الدُّجى وهنّ لدينا مُلْقَيَاتٌ كواسدُ

بذا قضت الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

ومنْ شرف الاقدام أنكَ فيهمُ على القتل مومومقٌ كأنك شاكد (٤)

وأنَّ دما أجريتهُ بكَ فاخرٌ وأنَّ فؤاداً رُعْتَهُ لك حامدُ

وكلٌّ يرى طُرُقَ الشجاعة والندى ولكنّ طبع النفس للنفس قائدُ

وبعده البيت ، وبعده :

فأنتَ حسامُ الملك والله ضاربٌ وأنتَ لواء الدّين والله عاقدُ

والشاهد فيه : الاستتباع ، وهو : المدح بشيء يستتبع المدح بشيء على

---

(١) اقرأها في الديوان (١ — ٢٦٨)

(٢) في الديوان «ما تغب سيوفه» يريد أن غزوات الممدوح — وهو سيف الدولة — لا تنقطع عن أعدائه إلا في زمن الشتاء ، تقول : غب وأغب ، إذا تأخر . وعبر عن الشتاء بجمود الماء في نهر سيحان

(٣) اللمى : سمرة الشفة . وهو فاعل حماها . يريد أن القتل أجهز عليهم حتى إنه لم يبق منهم إلا النساء اللاتي حماهن حسنهن البارع من القتل

(٤) مومومق : محبوب ، والشاكد : المعطي

وجه آخر، فانه وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا، حيث جعلها مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران: أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا ينبيء بعلو الهمة، كما قال الشاعر [من البسيط]:

إنَّ الأسودَ أسودَ الغاب همتها   يومَ الكريهة فى المسلوب لا السلبِ

والثانى: أنه لم يكن ظالما فى قتلهم، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده، ومثله قول المتنبى فى سيف الدولة [من الطويل]:

إلى كم تردُّ الرسلَ عما أتَوْا به   كأنهمُ فيما وهبتَ مَلاَمُ

فانه مدحه بالشجاعة والعز فى رد الرسل عما أتوا به، وصدِّهم عن مطلوبهم، والتهاونِ برسلهمْ، واستتبع فى باقى البيتِ مدحه بالكرَم، لعصيان الملام فى الهبات.

وعجيب هنا: قول أبى بكر الخوارزمى، المستشهد به فى التفريع، وهو [من الكامل]:

سمحُ البديهة ليس يملكُ لفظَهُ   فكأنما ألفاظهُ من مَالهِ

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم.

ومن شواهده قول بعض العراقيين يهجو بعض القضاة، وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته [من مجزوء الرمل]:

إنَّ قاضينا لأعمى   أم تراهُ يتعامى
سرقَ العيدَ كأن العيدَ أموالُ اليتامى

ورأيت فى اليتيمة هذين البيتين منسوبين للصاحب بن عباد، وذكر معهما بيتين آخرين فى معناهما، وإن لم يكونا مما نحن فيه، وهما [من المجتث]:

يا قاضياً باتَ أعمى   عندَ الهلال البعيدِ
أفطرْتَ فى رمضان   وصمت فى يوم عيد

ومن الاستتباع قول زكى الدين بن أبى الأصبع [من الطويل]:

تخيلَ أنّ القِرْن وافاهُ سائِلاً … فقابَلَهُ طَلقَ الأسرّة ذا بِشْرِ
ونادى فِرِندَ السّيفِ دُونكَ نحره … فأحسنُ ما تُهدَى اللآلى إلى النحر

وقد أخذ ابن نباتة المصرى نكتة النحر فقال [من الطويل]:

تَهنأ بعيدِ النَّحر وابق مُمتَّعاً … بأمثاله سامى العُلا نافذ الأمر
تُقلِّدُنا فيه قلائِدَ أنعم … وأحسنُ ما تبدُو القلائِدُ فى النحر

***

شاهد الادماج

١٥٢ — أُقلِّبُ فِيهِ أجفَانى كأنّى … أعدُّ بها على الدَّهْر الذّنُوبا

البيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدة من الوافر (١) يمدح بها على بن [محمد بن] (٢) سيار بن مكرم التميمى ، أولها :

ضروبُ الناس عُشاقٌ ضُرُوبا … فأعذرُهم أشفُّهم حبيبا(٣)
وما سَكنى سِوَى قتلُ الأعادِى … فهلْ مِنْ زَوْرَةٍ تشفى القلوبا
تظلُّ الطيْرُ مِنْها فى حَدِيثٍ … تَرُدُّ بهِ الصَّرَاصرَ والنعيبا(٤)
وقد لبسَتْ دِماؤهُمُ عليهِمْ … حِدَاداً لم تشقَّ لها جُيوبا
أدَمنا طعْنَهمْ والقتلَ حتى … خَلطنَا فى عِظامِهِمُ الكعُوبا

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ - ١٣٧)
(٢) الزيادة عن شرح العكبرى للديوان
(٣) أشفهم حبيبا : أراد أفضلهم حبيبا
(٤) الصراصر : جمع صرصرة ، وهى صوت النسر والبازى وغيرهما . والنعيب : صوت الغراب

كأنَّ خيولَنا كانتْ قديماً تُسَقَّى في قحوفهمُ الحليبَا
فمرَّتْ غيرَ نافِرةٍ عليْهِمْ تدوس بنا الجماجم والتَّريبَا(١)

إلى أن قال في وصف الليل :

أعَزْمي طالَ هٰذَا الليل فانظرْ أمِنكَ الصُّبح يَفرَق أن يؤوبا(٢)
كأنَّ الفَجْر حِبٌّ مستزارٌ يرَاعى مِنْ دُجُنَّتِه رقيبَا
كأنَّ نجومَه حَــلْيٌ عليْه وقدْ حذيتْ قوَائمـه الجبوبا(٣)
كأنَّ الجوَّ قاسَى ما أقاسى فصارَ سوَاده فيـــه شحوبا
كأنَّ دجاه يجذبها سهادى فليْسَ تغيب إلاَّ أنْ يَغيبَا

و بعده البيت ، و بعده :

وما ليلٌ بأطْوَل مِنْ نهَار يَظلُّ بلحْظِ حسَّادى مريبًا(٤)
وما موْتٌ بأبغضَ من حياة أرَى لهُمُ معى فِيها نَصيبا
عرفت نوائِبَ الحدثان حتى لو انتَسبتْ لكنت لَها نقيبا

وهي طويلة

وقريب من معنى البيت قول القاضي الفاضل [من الطويل] :

وقدْ خفَقتْ رَاياته فكأنَّها أناملُ فى عُمر العَدُوِّ تحاسِبُهْ

---

(١) التريب كالتريبة : واحدة الترائب ، وهي موضع القلادة من العنق

(٢) في الأصل « يفرق أم يؤبا » وما أثبتناه موافق لما في الديوان ، وهو الصواب ، و «أن يؤبا» منصوب على نزع الخافض ، والأصل من أن يؤوب ويفرق : يخاف . ويؤوب : يرجع

(٣) الجبوب — بفتح الجيم — وجه الأرض

(٤) في الديوان * يظل بلحظ حسادى مشوبا *

ويضارعه أيضاً قول ابن سناء الملك يرثى [من الكامل] :

أوسعت فيه الدهر عتباً مؤلماً ... فأجابنى بالبهت والبهتان(١)

قلبى يحاسبه على إجرامه ... ويعدها بأنامل الخفقان

وقول عكاشة بن عبد الصمد القمى فى وصف عوادة [من الكامل] :

وكأن يمناها إذا نطقت به ... تلقى على يدها الشمال حسابا

وقوله أيضا [من الطويل] :

إذا ماحكت بالعود رجع لسانها ... رأيت لسان العود عن كفها يملى

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

كأن دموعى إذ تكاثر وقعها ... تعد على الدنيا بهن المساويا

ولطيف قول ابن الخيمى فى سبحة [من السريع] :

وسبحة مسودة لونها ... يحكى سواد القلب والناظر

كأننى وقت اشتغالى بها ... أعد أيامك ياهاجرى

والشاهد فيه : الادماج ، وهو : أن يضمن كلاما سيق لمعنى ـ مدحاً كان أو غيره ـ معنى آخر ، فهنا ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر

مثل من الادماج

ومنه قول عبدالله بن عبدالله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان عبد الله قد اختلت حاله فكتب إلى ابن سليمان يقول [من الطويل] :

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن المهم المقدم

(١) فى الأصل « أوسعت الدهر فيه » ولايستقيم به وزن البيت

ففطن ابنُ سليمان لمراده ووصله واستعمله . وقول الصاحب بن عباد يمدح الوزير أبا الفضل بن العميد [من الخفيف] :

إن خيْرَ المدّاح مَنْ مَدَحَتْهُ شُعراء البلادِ فى كلّ نادى

فأدمج الافتخار فى أثناء المدح، وإنما ألم بهمن قول يزيد بن محمد المهلبىّ لابن مدبر حيث قال [من الخفيف] :

إن أكُنْ مهديا لكَ الشِّعْر إنى لابْنُ بيتٍ تهدَى له الأشعار

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى [من الطويل] :

فخراً بشعر من فتى كانَ أهلُه يهاديهمُ بالشِّعْر من كان يَشْعر

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

ولا زال كل رفيع الذّرى يَصوغ الجواهر فى المدْح لك

ومنه قول ابن المعتز فى وصف الخيرى [من المنسرح] :

قدْ نفَضَ العاشقُونَ ماصنعَ الهَجْرُ بألوَانِهمْ على وَرَقِهْ

وقول ابن نُباتة السعدى [من الطويل] :

ولا بُدّلى من جَهْلةٍ فى وصاله فَهلْ مِنْ حليم أُودِعُ الحلْم عِنْدَه

وقول وجيه الدولة فيه [من البسيط] :

أفْدِى الذِى زارَنى بالسّيْفِ مُشْتَمِلاً ولحَظُ عَيْنَيهِ أمْضى مِنْ مَضاربِهِ

فماخلَعْتُ نجاداً فى العِنَاق له حتى لَبِستُ وشاحاً من ذَوَائبه

وَباتَ أسْعَدُنا حظًّا بِصَاحبِهِ مَنْ كان فى الحُبِّ أشقَانا بِصاحبِه

وقول العفيف التلمسانى [من الخفيف] :

وأعِدْلى حديثَهُ فلسَمْعى فَرْطُ وجْدٍ باللؤْلُؤ المنثُور

ثم صِفْ لى ذؤَابةمنه طالت ودجَتْ فهىَ ليلة المَهْجُور

وقول بعض الأندلسيين [من الوافر] :

وحقك لا رضيتَ بذا ، لأنى جعلت وحقك القسم الجليلا

* * *

١٥٣ — * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ *

شاهد التوجيه

قيل : إن قائله بشار[1] بن برد ، وهو من الرمل ، وقبله :

* خاطَ لى عَمرٌو قَبَاء *

وبعده :

قلتُ شـعراً لَيْسَ يُدْرى أمَدِيح أمْ هجاء[2]

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما فى تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العبث به : سآتيك به لا تدرى أهو قباء أم دواج ، فقال له : إن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك ، ففعل الخياط ، فقال هذا البيت

ومثله ما حكاه ميمون بن هارون قال: تقدم جعيفران الموسوس[3] إلى يوسف الأعور القاضى بسر من رأى فى حكومة فى شىء كان فى يده من وقف له ، فدفعه عنه وقضى عليه ، فقال له : أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء ، فأمسك عنه ، وأمر برده إلى داره ، فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا به فقال له : ماذا

---

(١) انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموى (١٦٩ بولاق) فقد حكى عن ابن أبى الأصبع حكاية ينسب البيتان فيها إلى شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع

(٢) الذى أحفظه فى رواية هذا البيت :

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء

(٣) فى الأصل « جعيفر بن الموسوس » محرفا عما أثبتناه .

أردت بدعائك أردت أن يرد الله عليّ من بصرى ماذهب ؟ فقال له : والله لئن كنت وهبت لى هذه الدراهم لأستحيي منك إنك لأنت المجنون ، لاأنا ، أخبرنى كم من أعور رأيته عمى ؟ قال : كثير ، قال : فهل رأيت أعور صح قط ؟ قال : لا ، قال : فكيف توهمت على الغلط ؟ فضحك منه وصرفه

والشاهد فى البيت التوجيه : وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين ، فهنا يحتمل تمنى العوراء صحيحة وعكسه

أمثلة من التوجيه

ومن شواهده قولُ الشاعر فى الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران [من مجزوء الخفيف] :

بارَكَ الله للحسَنْ ... و لبُوارن فى الختن

ياابْنَ هارون قدْظفر ... تَ ولكن ببنت مَنْ

فلم يعلم ما أراد بقوله « ببنت من » فى الرفعة أو فى الحقارة

ومنه أيضاً قول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

لايأ كُل السِّرحان شِلْوَ طعينهمْ ... ممَّا عليهِ من القَنا المتكسِّرِ

فإنه يحتمل المدح ويكون المقتول منهم والرماح المتكسرة رماح أعدائهم ، ويحتمل الذم ويكون المقتول من أعدائهم والرماح لهم

ومنه أيضا قول المتنبى فى كافور الاخشيدى [من الطويل] :

ولله سِرٌّ فى علُاكَ وإنمـا ... كلامُ العِدَاضربٌ من الهَذيان

ومن محاسن التوجيه قول الوداعى [من البسيط] :

مَنْ أمَّ بابكَ لم تبرحْ جوَارحهُ ... تَروى أحاديث ما أوليتَ من مِنَن

فالعينُ عَنْ قُرَّةٍ والكفُّ عن صلةٍ ... والقلبُ عَنْ جابر والسَّمْع عن حسَن

فان هذا البيت يصدق على المعنى الواحد ، وهو أسماء الأعـلام من رواة

الحديث ، وعلى المعنى الآخر ، وهو المناسبة بين العين والقرة ، والكف والصلة ، والقلب والجبن ، والسمع والحسن

وقول السراج الوراق [من الوافر]:

يخَافُ التبرُ سَطوَةَ راحتيهِ ولوْنُ الخائفِ المُرْتاعِ أصفَرْ
يُقصِّر آل بَرْمك عنْ نداهُ فنعْماهم لدَى نُعْماهُ تُكْفَرْ
له فضلٌ لنـا منه رَبيـعٌ وبحر ندًى ولا أرضى بجعفر (١)

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل]:

خليلىَّ كم رَوض نزلت فناءه وفيه ربيـعٌ للنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرة به وكم مثلها فارقتها وهى تصفر (٢)

ومثله قول القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر يصف نهرا صافيا ، فى روض نزيه [من الطويل] :

إذا فاخرته الريح ولت عليلةً بأذيال كُثْبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

ومثله قول مؤلفه ، وهو مما كتب به على تربة بجوار قبر الامام الشافعى ، رضى الله عنه وأرضاه ! وهو [من الوافر] :

بأبواب الكرام وضعت رحلى لكى يُرْوَى بفيض الجود مَحْلِي
ومن أضحى نْزيل المجد يحيي بجعفر فضـله السامى المَحَلِّ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

(١) الجعفر : النهر الصغير ، وجعفر : اسم علم من أعلام البرامكة
(٢) النصف الثانى من هذا البيت من كلام تأبط شرا ، والبيت بتمامه :
فأبت الى فهم وما كدت آئبا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

[أتى][1]وهو بحرٌ لايقاس بفضله ربيع، وَكم يحيي إذا جاء جعفر

وقول عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من السريع] :

هويت أعرابية رِيقُهَا عذب، ولى فيه عذاب مذاب
رأسى بهاشيبان،والطَّرْف من نَبْهان ، والعذال فيها كلاب[2]

ومنه قول ابن النقيب أيضا يهجو [من الطويل] :

أرح ناظرى من عابس الوجه يابس له خُلُقٌ صعب ووجه مُقَطّب
أقول له إذ أيأستنى صفاته وَإن قيل إنى فى المطامع أشعب
متى يظفر الآتى إليك بسؤله وينجح من مسعاه قصد ومطلب
ولؤمك سيار وشرُّك ياسر ووجهك عباس وخلقك مصعب

ومما جاء فى التوجيه فى قواعد العلوم قول القاضى شرف الدين المقدسى ، فى شىء من قواعد الفقه وتلطف ماشاء [من السريع] :

احجج إلى الزهر لتحظى به وارم جمار الهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقفة[3] من قبل أن يحلق قد قصرا

ومنه فى الحديث قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

قالت أعندك من أهل الهوى حبر فقلت إنى بذاك العلم معروف

---

(١) سقطت هذه الكلمة من كافة الأصول .

(٢) فى خزانة ابن حجة (١٧٣) « رأسى بنو شيبان » . وشيبان ونبهان وكلاب : أعلام قبائل من العرب ، وشيبان : يحتمل الوصف من الشيب . ونبهان : يحتمل الوصف من التنبه الذى هو اليقظة . وكلاب: يحتمل أن يكون جمع كلب

(٣) فى الأصل * من لم يطف بالزهر فى وقته * وما أثبتناه موافق لما فى خزانة ابن حجة ، وهو من تمام التوجيه المقصود إليه فى البيت

مسلسل الدمع من عَيْنَيَّ مرسله على مُدَبَّجِ ذاك الخد موقوف (١)

وقوله أيضا [من الخفيف] :

عارضوا مرسل الظلام بنقل مُسْنَدٍ عن حِسَان تلك الفروع

عذلوا فى رواية الحب جفنى معَ جرح الدموع عند الهموع

عنعنوا نقلَ لوعتى عنْ دُموعى عنْ جفونى عن قلبيَ الموجوعِ

ومن التوجيه فى أسماء السور قول السراج الوراق [من الخفيف] :

كلُّ قلبٍ علىَّ كالصخر مالا نَ وهيهاتَ أن تلينَ الصخورُ

مُغلق الباب ما تلا سورة الفتح ، وقافٌ من دونهِ والطورُ

وقول أبى الحسين الجزار [من الكامل] :

أشكو لعدلك جور دهر جائرٍ فضلتْ بهِ فُضَلاؤه الجهالُ

مُنِعت به عقلاؤه إذ قُسِّمَتْ بالجور فى أنعامــهِ الأنفالُ

وقول المولى الفاضل على بن مليك [من الطويل] :

ألا يابنى الروم القتال فدونكمْ فأنا تدرّعنا الحديد إلى الحشر

ولا زالَ آيَ الفتح تتْلو رماحنا وأسيافنا تتلو بها سورة النصر

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الطويل] :

وزلزلةٍ كادت تهدُّ بعزمها أقاليم لا يبقى لها أبداً أثرُ

وواقعةٍ قد صارَ منها تغابنٌ على الروم لاتنفك أو يحصل الحشر

لقدْ سمعوا وقع الحديد فلا ترى لهم همة نحو القتال ولا كرُّ

(١) فى خزانة ابن حجة « مسلسل الدمع من عينى ومرسله » وهو أحسن ، و « عينى » فيه مفرد ، وهو فيما هنا مثنى

وله أيضا فى وقعة مصر [من الكامل] :

فدموعهم فى الذاريات وروحهمْ　　فى النازعات وكربهم لا يُقْدَرُ

لاَ معقلا يلقونه كلا ، ولاَ　　كهفاً ولوجأوا لقاف لأحصروا

شَمْسُ السعادة عنهمْ قدْ كُوِّرتْ　　وعلىُّ قدْرهمُ غدا يتقهقر

والملك طلقهم طلاَقاً بائنا　　ما دام عصرٌ فى الورى يتكرر

لما أبوْا تحريمَ ما قدْ سَنَّه　　وأتى بهِ المزَّمّل المدَّثر

ومنه فى أسماء القراء قول السراج الوراق [من الخفيف] :

يا جواداً له القرَى والقرَاءا　　ت وفيهِ منْ كلّ نفعٍ وخيرِ

إن مددتَ العطاء مدة وَرْشٍ　　ليسَ هذا علىّ بالمقصور

دمت لى نافعاً كما أنا راجٍ　　عاصماً لى منْ فجأة المحذور

ومن التوجيه فى النحو قول أمين الدين علىّ السليمانى [من الطويل] :

أُضيفَ الدُّجى معنىً إلى لون شعرهِ　　فطالَ ، ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبهُ نونُ الوِقَاية ما وقتْ　　على شرطها فعل الجفون من الكسر

وكان بالعراق عاملان : أحدهما : اسمه عمر (١) ، والآخر اسمه أحمد ، فعزل عمر عنْ ولايته ، واستقر مكانه أحمد بمال وَزَنه ، فقال فيه بعض الشعراء [من الوافر] :

أياعمرُ استعدّ لغير هذا　　فأحمد فى الولاية مطمئنٌ

فتصدق فيك معرفة وعَدْلٌ　　وأحمد فيه معرفة ووَزْنُ

---

(١) فى الأصل « عمرو » فى الموضعين وهو تحريف ، ويؤيده ما ذكر فى الشعر ، فان الذى فيه المعرفة والعدل من موانع الصرف هو « عمر »

ومثله قول كمال الدين الشريشي فى قاض عزل اسمه أحمد [من السريع] :

يا أحمد الرازىّ قمْ صاغراً عزلت عن أحكامكَ المسرفهْ
مافيكَ إلاالوزنُ ، والوزْن لا يمنعكَ الصَّرْف بلا معرفهْ

ومثله قول ابن عنين ، فيمن عزل عن وظيفته وكانت سيرته غير مشكورة [من المتقارب] :

شكا ابن المؤيد من عزله وذمّ الزمان وأبدى السفهْ
فقلت له لا تذمّ الزما نَ فتظلم أيامه المنصفهْ
ولاتغضبنّ إذا ماصُرِفْتَ فلا عَدْلَ فيك ولا معرفهْ

وقول بدر الدين الأسعردى فى بعض مدرسى العجم [من الطويل] :

يقولون إن المجد بالقصف مولعٌ فقلت لهم ما اعتاد شيئاسوى القصف
فقالوا أسا علماً ولفظا بمجلسٍ فَلِمْ مَنَعُوا عن صرفه راغم الأنف
فقلت لتأنيث بــه ولعجمةٍ فقالوا لقد تُلْجِي الضرورات للصرف
ولا بدّ من تقطيعه عند قبضه فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

ورشيق قول شرف الدين بن ريان [من البسيط] :

أتيت حانة خمار وصاحبها محارف متقن للنحو ذو لَسَن
وحوله كل هيفاء منعمة وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى إذ رأى عينى قد انصرفت إلى البناء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وَصف واعدل بمعرفة واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل]

خط ولاحظ ، وشعر ماله سعر ، أأنثر فيهما أم أنظم
كم جهدا أرفعُ قصتى ويحطها حظى وأنصب والحوادث تجزم

وبديعٌ قول الشهاب التلعفرى [من الكامل] :

وإذا الثنيةُ أشرقتْ وشممتَ من أرْجائها أرَجاً كنَشْرِ عبيرِ
سَلْ هضبَها المنصوبَ أينَ حديثُه الـمَرْفوعُ منْ ذَيلِ الصبا المجرُورِ

وله فى معناه أيضا [من الكامل] :

قُلْ للصبَا سِرّاً فإنَّ لها شذاً يُضحِي بما يُفضَى إليهِ مُذيعا
يا ذَيلَها المجرُورَ عنْ هضبِ الحِمى الـمنصوبِ هاتِ حديثها المرفوعا

وقول الصفى الحلى يصف رياض الميطور [من الكامل] :

إنْ جزتَ بالمَيطُورِ مبتهجاً بهِ ونظرتَ باطنَ دَوحهِ الممطورِ
وأراكَ بالآصال خفقَ هوائهِ الـممْدُودِ تحريكُ الهوَى المقصورِ
سَلْ بانهُ المنصوبَ أينَ حَديثهُ الـمرْفوعُ مِنْ ذيْلِ الصَّبا المجرُورِ

وذكرت بالمقصور والممدود هنا بيتين قلتهما ، وهما من هذا الباب الذى نحن بصدده [من الخفيف] :

رَبِّ مَنْ جاء نحوَنا بالفجُورِ لاتُجِرْهُ من شرِّ صَرْفِ الدُّهورِ
وأضِفْهُ إلى المنايا سريعاً لنراهُ الممدودَ فى المقصورِ

وظريف قول بعضهم أيضا [من السريع] :

عرِّجْ بنا نحوَ طاولِ الحِمَى فلم تزلْ آهلةَ الأربُعِ
حتىّ نطيلَ اليومَ وقفاً على الساكنِ أوعطفاً على الموضعِ

وقول أبى الفتح البستى أيضا [من الطويل] :

عزِلتُ ولم أذنبْ ولم أكُ جانياً وهذا لإنصاف الوزير خلافُ
حُذِفتُ وغيرى مُثْبَتٌ فى مكانه كأنِّى نونُ الجمعِ حينَ يضافُ

وقوله أيضا [من مجزوء الرمل] :

وبَصيرٍ بمعانى الشعرِ والإعراب جدًّا
قالَ لى لمـارَ آنى طالباً مالاً وَرِفْدَا
إنَّ مالى يا حبيبى لازمٌ لا يتعـدَّى

وقوله [من السريع]:

أُدْرِجْتُ فى أثناء نسيانـكمْ حتى كأنِّى أَلِفُ الوصلِ

وقوله أيضا [من البسيط]:

أفدى الغزالَ الذى فى النحو كلمنى مناظراً فاجتنيْتُ الشهدَ من شفته
وأوردَ الحججَ المقبولَ شاهدُها محققاً ليرينى فضْلَ معرفتـهْ
ثم افترقنا على رأىٍ رَضيتُ بهِ الرفعُ من صفتى والنصبُ من صفتهْ

وما ألطف قول السراج الوراق [من الخفيف]:

كم أُناديكَ مفرداً علماً أرْ فَعُهُ عالماً بشرط المنادى
وَجوابى مُلْغًى يحاكى للولاَ خبراً لو أتى بهِ ما أفادَا

وظريف قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط]:

ياساكناً قلبيَ المعنىّ وليس فيه سواهُ ثانى
لأىِّ معنى كَسَرْتَ قلبى وما التقى فيه ساكنان

قال الصلاح الصفدى : وهـذا المعنى فيه نقص ، لأن القلب ظرف لاجتماع الساكنين ، وحينئذ يكون الساكنان غير القلب ، والكسر إنما وقع على القلب ، لا على أحد الساكنين ، ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجهاً ، وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين ، وما رأيت فيهم من تَنَبَّه له .

وقد نظم الفقير مؤلف الكتاب بيتين ، راجيا سلامتهما من هذا الايراد ، وهما [من مخلع البسيط] :

قلبي من الهجْرِ في اضطرابِ ياساكنا فيهِ دُونَ ثانيِ
فكيفَ عاملتهُ بكسرٍ وما التقى فيه ساكنانِ

وفي معناه قول شرف الدين القيرواني ، في رجل عجز عن افتضاض عِرْسِهِ ليلة البناء ، وهو [من مخلع البسيط] :

كم ذكرٍ في الورى وأُنثى أولى منَ اثنين باثنتينِ
إن الليالي أتتْ بلَحْنٍ لجمعها بين ساكنين

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

يا ساكنا قلبي ذكرتك قبله أرأيت قبلي مَن بدا بالساكن
وجعلته وَقْفًا عليك وقد غدا متحركا بخلاف قلب الآمنِ
وبذا جرى الاعراب في نَحْوِ الهوى فاليكَ معذرتى فلستُ بلاَحِنِ

وما أحسن قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

بكيت وما يجدى البكاء عن العانى ولكنَّ تَشْتيت الأحبة أشجانى
كأنَّ زمانى ضاق لحناً فلم يكن ليَجْمَعَ بين الساكنين بأوطانى

ولمحاسن الشواء أيضا [من السريع] :

أرسلَ فَرْعًا ولَوَى هاجرى صُدْغًا فأعيا بهما واصفهْ
فخلت هذا حَيَّةً خلفهُ تسعىَ وهذا عقربا واقفهْ
ذا ألفٌ ليست لوصلٍ ، وذا واوٌ ولكن ليستِ العاطفهْ

وللسليمانى أيضا [من الطويل] :

نَصبتُ على التمييز إنسانَ مقلتى أُشاهدُ قداًّ منه نَصْبًا على الظرف
أأخشى فراقا بعدها أو قساوةً وقد جاءواوُ الصدغ للجمع والعطف

ومثله لمؤلفه [من السريع] :

تطمعنى فى الوصلِ أصداغهُ حين تريني أحرفَ العطفِ

ومن لطائف البهاء زهير قوله من هذا الباب [من الطويل] :

يقولونَ لي أنتَ الذي سارَ ذكرُهُ فمن صادرٍ يُثنِي عليه ووَاردِ
هَبُوني كما قد تزعمونَ أنَا الذي فأينَ صِلاَتِي منكمُ وعوائِدِي

ونظير ذلك ما اتفق لابن عنين ، وهو أنه مرض ، فكتب إلى الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، صاحب دمشق [من الكامل] :

انظر إليّ بعين مولًى لم يزلْ يُولِي النَّدَا وتلافَ قبلَ تلافِي
أنا كالذي أحتاجُ ما يحتاجهُ فاغنم دُعائي والثناءَ الوافي

فعاده الملك المعظم ، ومعه خمسمائة دينار ، وقال : أنت الذي ، وأنا العائد ، وهذه الصلة.

ومثله قول جعفر الأديب المصري [من الكامل] :

وَافيتُ نحوكُمُ لأرفعَ مبتدًا شعري وأنصبَ خفضَ عيشٍ أغبرَا
حاشاكُمُ أن تقطعوا صلةَ الذي أو تصرفوا منْ غير شيء جَعْفَرَا

وقول الأمير أمين الدين السليماني [من الطويل] :

وإني الذي أضْنَيْتَهُ وهَجَرْتَهُ فهل صلةٌ أو عائدٌ منكَ للذي

ولابن حجلة [من الكامل]

قَطَعَ الأحبةُ عادتي منْ وصلهمْ فكأنَّ قلبي بالتواصل ما غُذِي
فإذا سمعتمْ في النحاة بعاشق منعوه منْ صلةٍ لهُ فأنا الذي

وقول الآخر [من الكامل] :

لاتهجروا من لا تَعودَ هَجركم فهو الذي بلبان وصلكم غُذِي
وَرَفعتمُ مقدارهُ بالابتدا حاشاكمُ أن تقطعوا صلةَ الذي

وقول الآخر [من الكامل] :

لما رَأتْ عيناكَ أني كالذي أبدُو فينقصني السقامُ الزائدُ

وافَيْتنى ووَفيتَ لى بمكارم فَنَدَاكَ لى صِلةٌ وأنت العائدُ

ولابن حجلة أيضاً [من المتقارب] :

ومُشْتَرٍ من سَنَا وجهه بشمس لها ذلك الصدغ فَى(١)

كَوَى القلبَ منى بلامِ العِذارِ فعَرَّفنى أنها لامُ كَىْ

وما ألطف قول محاسن الشواء [من الوافر] :

وكنا خَمْس عشرةَ فى التِئَامٍ على رغْمِ الحسود بغير آفَهْ(٢)

فقد أصْبَحْتُ تنويناً وأضْحَى حبيبى لاتفارقُهُ الاضافَهْ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

لنا صَدِيقٌ له خِلاَلٌ تُعْرِبُ عن أصلِهِ الأخَسِّ

أضحت له مثلَ حيث كَفٌّ ودِدْتُ لو أنها كأمْسِ(٣)

ومثله قول أبى محمد الواسطى [من مخلع البسيط] :

لنا صديق فيه انقباضٌ ونحْن بالبَسْطِ نَستلِذُّ(٤)

لا يعْرف الفتحَ فى يديهِ إلا إذا ما أتاه أخْذُ

فكفهُ أينَ حين يُعْطَى شيئاً وبَعْدَ العطاء مُنْذُ

وقول عمر بن الوردى رحمه الله [من السريع] :

---

(١) بفتح الفاء وسكون الياء ، وأصله « فىء » ومعناه الظل

(٢) أراد بخمسة عشر هذا اللفظ ، والنحاة يقولون : إنه مبنى على فتح الجزءين لأنه تركب صدره وعجزه فصارا كلمة واحدة

(٣) « حيث » عند النحاة مبنية على الضم ، و « أمس » عندهم مبنية على الكسر ، فهو يقول : إن كف صديقه مثل حيث فى أنها بنيت على الضم من البخل والشح ، وأنه يتمنى أن تكسر

(٤) الأنسب بالوزن أن يكون * لنا صديق به انقباض *

قلت لنَحْويٍّ إذا عُرِّضا له بأوقات الرِّضَى أعْرَضا
يا حِبُّ لو أصبَحَ بابُ الرضى كيْفَ لما كنتَ كأمْسِ مَضَى

وقول ابن يعمور فى المجون [من الخفيف] :

ومليحٍ يعلِّم النَّحْوَ يحكى مُشْكلات له بلَفْظٍ وجيزِ
ما تميَّزْتُ حسنهُ قط إلاَّ قامَ إيرى نَصْباً على التمييز

وقول ابن الأردخل ومعناه المجيد فى البناء [من الكامل] :

أير أنامُ الليلَ وهو يقوم حامى الأهاب كأنَّه محمومُ
مُغرًى بطول الجرِّ إلا أنه ما زالَ مَفْتوحاً به المضمومُ

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

ومُبَخَّلٍ بالمال قلْتُ لعلهُ يَنْدَى وظنى فيه ظَنٌّ مخلَفُ
جَمْعُ الدراهم ليس جمْعَ سلامةٍ فأجابنى لكنهُ لا يُصْرَفُ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

كم يريدُ الخبَّازُ يرفَعُ رطلى وأُرجِّى بالنصب مشىَ أُمُورى
وإلى كم شِرَاىَ بالجرِّ منهُ وانصرافى بخاطرٍ مكسور

من التوجيه فى العروض

ومن التوجيه فى العروض والنحو قول السباسكونى يهجو عروضياً نحويا [من المنسرح] :

لا تنكروا ما ادَّعَى فلانُ من الشِّعْر إذا قال إنهُ شاعرْ
فالنَّحْو ثم العَرُوض قد شهدا له على الشعر أنهُ قادرْ
يقصرُ ممدودَهُ وينصبُهُ فى الجر نصب الغُرْمُول فى الآخرْ
يريك وهو البسيط دائرةً تجمع بين الطويل والوافرْ

ومن التوجيه فى علم العروض قول نصر الله بن الفقيه [١] المصرى [من الخفيف] :

و بقلبى من الفراقِ مَدِيدٌ ... و بَسيطٌ ووافرٌ وطويل
لم أكن عالماً بذاك إلى أنْ ... قَطَّع القلب بالفِراق الخليل

ولابن سارة فيه أيضاً [من السريع] :

وبى عروضىٌّ سَريع الجفَا ... وجْدِى به مثل جفَاه طَويلْ
قلت له قَطّعت قلبي أسًى ... فقال لى التقطيع دأب الخليل

وللسليمانى فيه أيضا [من مجزوء الكامل] :

لا تعذَلَنِّى فى العَرُو ... ضِ و إن رأيْتَ القَصْد جائرْ
دارَتْ علىَّ دوائرٌ ... فجَهَدْت فى فكِّ الدّوائر

ومنه قول الآخر [من الوافر] :

تقاطعَ صاحِبَاىَ على هناةٍ ... جرَتْ بعدَ التَّصافِى والتصافى
وداما لا يضمهما مكانٌ ... كأنهما معاقبة الزحافِ

من التوجيه فى صناعة الكتابة

ومن التوجيه فى صناعة الكتابة قول ابن الساعاتى [من الكامل] :

لله يومٌ فى سيوطَ وليلةٌ ... حلف الزمان بمثلهاَ لا يغْلط [٢]
بتنا وعمر الليل فى غُلَوائه ... وله بنور البدر فرعٌ أشمط
والطلُّ فى سلك الغصون كلؤلؤ ... رَطْبٍ يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفةٌ ... والرِّيح تكتب والغمام ينقِّطُ

---

(١) فى خزانة ابن حجة « ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى »

(٢) فى خزانة ابن حجة « لله يوم فى دمشق قطعته » وفيه « بمثله »

ومنه قول ابن لنكك المصري [من الطويل]:

قِف انظر إلى در السحاب كأنه نثارٌ وأحداقُ القرارات تلقطه
إذا كتبت أيدي الرياح على الثرى بنَوْرٍ فأيدي الغيم بالقطر تنقطه

وقول أبي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان [من الكامل]:

أأخا الفوارس لوْ رأيْتَ مواقِفِي والخيْلُ مِنْ تحْتِ الفوارس تنْحطُ
لقرأتَ مِنْهَا ما تخطُّ يدُ الوَغى والبِيضُ تشكلُ والأسنَّةُ تَنْقطُ

وقول الصاحب بن عباد يصف الوحل [من البسيط]:

إني رَكِبْتُ وكفُّ الأرْض كاتِبَةٌ على ثيابِي سُطُوراً لَيْسَ تنكتمُ
والأرْضُ مِحْبرَةٌ والحِبْرُ من لثق والطِّرْسُ ثوبي ويُمنى الأشْهَبِ القلم

وقول حازم في مقصورته يصف ماء [من الرجز]:

إذا علَا نشيشُهُ عود ما جُزّ منَ النّبْتِ الجميم وَدَحَا
ونَفَث الفضّةَ ذَوْباً وغدَا يَخُطُّ ما كان الزّمانُ قد محَا

وهو مأخوذ من قول أبي إسحاق بن خفاجة [من الكامل]:

وعَشيّ أُنْس أضجعتْني نِشْوَةٌ فيهِ تُمهِّدُ مضْجَعي وتُدَمِّثُ
خَلَعتْ عليّ به الأراكةُ ظلّها والغُصْنُ يُصغي والحَمامُ يُحدِّثُ
والشّمْسُ تجْنَحُ للغروب مريضَةً والرّعدُ يَرْقي والغمامةُ تنفثُ

ومثله قول ابن قاضي ميله [من الطويل]:

وجَوْنٍ مُرِنّ الرّعدِ يَـبْتَنُّ ودقه نَرَى بَرْقه كالحَيّة الصِّلّ تطرفُ
كأني إذا مالاحَ والرّعدُ مُعْولٌ وجفْنُ السحاب الجَوْنِ بالماء يذرفُ
سليمٌ وصوْتُ الرعدِ راقٍ وودقُهُ كنفثِ الرُّقى من سُوءِ ما أتكلّفُ(١)

(١) السليم : اللديغ ، وفي أمثالهم « السليم لا ينام ولا ينيم » وقد سموه بذلك تفاؤلا له بالسلامة ، كما سموا الصحراء مفازة اسم مكان من الفوز . وإنما هي مهلكة ، لأنهم تفاءلوا لسالكها بالفوز

وما أحسن قول ابن عبدالظاهر [من الخفيف] :

مُفردٌ فى جماله إن تبدّى خجلتْ منهُ جُملةُ الأقمارِ

كيفَ أرجو الوَفاء منهُ وعاملتُ غريماً منْ لحظهِ ذا انكسار

ذُو حواشٍ تلُوحُ من قلم الرَّيحان فى خدّهِ فجلّ البارى

فيهِ وجدِى مُحَقَّقٌ وسلوّى وكلامُ العذُول مثلُ الغبار

فلِسانى فى وصفهِ قلم الشعـــر ورقٌ المكتوبُ بالطُّومار

و بديع قول ابن جابر، وذكر الأقلام السبعة [من البسيط] :

تَعليقُ ردفك بالخَصْر الخَفيف لهُ ثُلثُ الجمال وقَدْ وَفَّتهُ أجفانُ

خدٌّ عليه رقاعُ الرّوض قد خلعت وفى حواشيهِ للصُّدْغين ريحَانُ

خطّ الشّبَاب بطومار العذار بهِ سطراً ففضاحهُ للنّاس فتّان

مُحققٌ نسخ صبرى فى هواه ومن توقيع مَدْمعىَ المنثور بُرهان

يا حُسن ما قلم الأشعار خطّ على ذاك الجبين فلاَ يَسلوه إنسان

أقسمْت بالمصْحَف السامى وأحرفه ما مرّ بالبال يوماً عنكَ سُلوَانُ

ولا غبارَ على حبّى فعندكَ لى حسابُ شوقٍ له فى القَلب ديوان

ولمؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الرمل] :

و بطومار الوفا ينسخ ما وقع القَلْبُ به إذ يَهجرُ

ويشمُّ القَلبُ ريحانَ الرضَى ليسَ فيــهِ لغبار أثرُ

فرجائى فيهِ قَدْ حققـه من رقاع عدُّها لا يُحْصَرُ

وله رحمه الله تعالى من أبيات أخرى [من مجزوء الرجز] :

يا صاحبَ الانشاء ما سوَاك عنه يخبر

عسى بطومار الوفا توقيع سَطرِى يُزبَرُ

وأجتني ريحانه دون غبار يضجر
ومن حواشي مجده أنسخ ما يكرر
ففي محقق الرجا منك الرقاع تسطر

ولابن مليك فيه أيضاً [من الكامل]:

فالخد بان الورد فيه محققاً والصدغ فيه مسلسل ريحانه

وما أبدع قوله بعده، وإن لم يكن مما نحن فيه:

والخال حين به تبدى أسوداً أيقنت أن شقيقه نعمانه

وقوله أيضاً [من السريع]:

وردى خد قد ذكا نشره عليه لما ضاع دار العذار
أقسم بالفضاح من عنبرى ريحانه ليس عليه غبار

وما أبدع قوله بعده أيضاً:

فاتر جفن بارد ريقه بينهما القلب من الوجد حار

وهذه الأبيات من قصيدة بديعة مطلعها:

ما كنت أدرى قبل نبت العذار أن يطلع الريحان فى الجلنار

من التوجيه فى علم الرمل

ومن التوجيه فى علم الرمل قول البهاء زهير [من الطويل]:

تعلمت علم الرمل لما هجرتنى لعلى أرى شكلا يدل على الوصل
فقالوا طريق قلت يارب للقا وقالوا اجتماع قلت يارب للشمل

وقول جمال الدين بن مطروح [من الطويل]:

حلا ريقه والدر فيه منضد ومن ذا رأى فى العذب دراً منضدا
رأيت بخديه بياضاً وحمرة فقلت لى البشرى اجتماع تولدا

من التوجيه فى الهندسة

ومن التوجيه فى علم الهندسة قول ابن جابر أو العلوى الأديب المصرى فى مليح منهدس وأجاد [من الطويل]:

يحيط بأشكال الملاحةِ وجْهُهُ كأن بهِ إقليدساً يتحدّث[١]
فعارِضُهُ خطٌّ استواءٍ وخالهُ به نقطةٌ والصُّدْغُ شكلٌ مثلَث[٢]

وقول ابن النبيه فى صبي يشتغل بالهندسة [من الطويل] :

وبى هندسيّ الشّكلِ يَسْبيك لَحْظه وخالٌ وخدٌّ بالعِــذَار مطرّز
ومُذْ خط بيكار الجمال عِذَاره كقَوْس علمنا أنما الخالُ مَرْكز

وقول ابن التلميذ أو أبى على المهندس المصرى [من الطويل] :

تَقَسَّم قلبى فى مَحبَّةِ مَعْشَر بكلّ فتى مِنهم هوَاى منوطُ
كأن فؤَادى مرْكزٌ وهُمُ له محيطٌ وأهوَائى إليه خطوط

وظريفٌ قول بعضهم [من الكامل] :

لما انثَنى وهوَ البَسيط تبَيَّنت لى منــه دائرةٌ كحَلْقَةِ خاتم
ورَأيْت فى الشكل المدَوَّر نقطَةً فحللت مَرْكزَها بخَطٍّ قائم

وقول ابن فلاس النحوى [من السريع] :

إن الرُّمَيلىَّ فتى راويَهْ للطِّبِّ والفَلسفَةَ العاليهْ
حازَ المسَاحات فأضحَى بها يستَنْبط الماء بلا ساقيهْ
كأنما ينزل مَخْروطه على عمودٍ قائم الزّاويَهْ

وقول هشام بن أحمد الرقشى [من الكامل] :

قد بيَّنَتْ فيه الطبيعة أنّها ببديع أعمَال المهَندِسِ باهرَه
عبثَتْ بمبسمهِ فخطتْ فوقهُ بالمسكِ قوساً من محيط الدائرَهْ

---

(١) فى خزانة ابن حجة « محيط بأشكال الملاحة وجهه »
(٢) فى خزانة ابن حجة « والشكل شكل مثلث »

من التوجيه في علم النجوم

ومنه في علم النجوم قولُ ابن جابر [من الكامل] :

يا حسنَ ليلتنا التي قد زارني ... فيها فأنجز ما مضى من وَعْدِهِ

قَوَّمْتُ شمسَ جماله فوجدتها ... في عقربِ الصُّدْغِ الذي في خدّهِ

من التوجيه في الموسيقى

ومنه في علم الموسيقى قول البدر بن لؤلؤ الذهبي [من الكامل] :

وبمهجتي المتحملونَ عشيةً ... والركبُ بينَ تلازم وعناقِ

وَحُداتهم أخذتْ حجازاً بعدَما ... غنّتْ وَراء الركب في العشاقِ

ومن التوجيه النظيف ، قول ابن نباتة المصرى ، في أسماء منتزهات دمشق [من الرجز] :

يا حبذا يومي بوادي جلّقٍ ... وَنزهتي معَ الغزال الحالي

من أوّل الجبهة قدْ قبلتهُ ... مرتشفاً لآخر الخلخالِ

ومحاسن التوجيه كثيرة ، فلنقتصر على هذه النبذة ، والله أعلم .

* * *

شاهد الهزل يراد به الجد

١٥٤ — إذا ما تميمىٌّ أتاكَ مفاخراً

فقلْ عدٌّ عنْ ذَا كيف أكْلُكَ للضبِّ

البيت لأبي نُوَاس من قصيدة من الطويل [١] ، يهجو تميماً وأسداً ، ويفتخر بقحطان ، أولها :

ألاَ حيِّ أطلالاً بسيحانَ فالعذبِ ... إلى مُرَعٍ فالبئرِ بئرِ أبي رُغبِ [٢]

---

(١) اقرأها في الديوان (١٥٨)

(٢) في الديوان « إلى برع » بالباء في مكان الميم ، و « أبي زعب » بالزاى ، وسيحان ـ بفتح فسكون ـ نهر بالشام ، وآخر بالبصرة . والعذب ـ بفتح فسكون ـ شجر . وبرع ـ بضم ففتح ـ جبل بتهامة

تمشّى بها عفْرُ الظباء كأنها أخاريدُ من رُوم يقسّمن فى نَهْبِ (١)
عليها منْ السرحاءِ ظلٌّ كأنهُ هذا ليلُ ليلٍ غير منصرمِ النحْبِ (٢)
تلاعب أبكارَ الغمامِ وتنتمى إلى كل زحلوق وخالفة صعب (٣)
منازل كانت من حذامِ وفَرْتنَا وتربيهما هندٍ فناهيكَ من تربِ (٤)

وبعده البيت، وبعده :

تُفَاخِر أبناء الملوك سفاهةً وبولُكَ يَجْرِى فوق ساقك والكعبِ
إذا ابتدر الناس الفعال فخذ عصىً ودعدع بعمزى يا ابن طالقة الذرْبِ (٥)

وهى طويلة.

والشاهد فيه : الهزل الذى يراد به الجد ، فان سؤال التميمى عن أكله الضب فى معنى الاستهزاء ، وإذا تأملته فى الحقيقة فهو جدّ ، لأن تميما يكثرون من أكل الضب ويُعَيَّرون به .

وكان الحيصَ بيصَ الشاعرُ تميمياً ، فقال أبو القاسم بن الفضل ، أو الرئيس على بن الأعرابى يهجوه [من الخفيف] :

---

(١) العفر ـ بضم فسكون ـ جمع عفراء ، وهى التى لونها العفرة . والأخاريد : الأبكار ، أو اللاتى فى صوتهن لين ، وكأنه جمع خريدة على غير قياس

(٢) فى الأصل « عليها من السرحان » وأثبتنا ما فى الديوان . والسرحاء : واحدة السرح ، وهي الشجرة الطويل . والهذاليل : جمع هذلول ، وهو أول الليل أو بقيته . والنحب : الأجل

(٣) فى الأصول « إلى كل زحلوق زحالقة صعب » وقد أثبتنا ما فى الديوان . والزحلوق ـ بزنة عصفور ـ النشيط

(٤) فى الأصل « منازل كانت من جذام » وحذام ـ بالحاء المهملة ـ من أسماء نسائهم .

(٥) فى الأصل « يا ابن ضالعة الزرب » محرفا عما أثبتناه عن الديوان . ودعدع : فعل من قولهم فى زجر الغنم : دع ، دع ، أو داع داع

كَمْ تبارى وَكَمْ تُطَوِّلُ طرْطو رَكَ ما فيك شعرةٌ من تميمِ
فكلِ الضبَّ واقرضِ الحنظلَ الأخـ ـضرَ واشرب ماشئت بوْلَ الظليم
ليس ذَا وَجْهَ منْ يُضيف ولاَ يَقْـ ـرِى ولا يدفع الأذى عنْ حريمِ

من أمثلة الهزل الذى يراد به الجد

ومن شواهده ما أنشده ابن المعتز لأبى العتاهية [من البسيط] :

أرقيكَ أرقيكَ باسم الله أرْقيكاَ منْ بُخْل نفسكَ علَّ الله يشفيكاَ
ما سِلْمُ كفكَ إلا مَنْ يناولها ولا عدوُّكَ إلا من يُرَجِّيكاَ

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

وقدْ علمتْ سلمى وإن كانَ بَعلُهَا بأنّ الفتىَ يهذى وَليسَ بفعَّالِ

قال ابن أبى الأصبع : ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا « وإن كان بَعْلها »

ومنه قول ابن جابر [من السريع] :

تزعمُ يا ظبىُ مساواتِها ولستُ أبدى لكَ تفنيدَا
إن كانَ ماتزعمُ عارِضْ لنَا مقلتها واحْكِ لنا الجيدَا

وقول ابن دانيال [من الخفيف] :

قلْ لغصن الأرَاكِ ويحكَ تحكى قدَّ محبوبتى ولَم تَخْشَ منىٌ
أنا لولا غفَلْتُ عنها فماستْ ما تعلمتَ أنتَ منها التثنِّى

وقول ابن نباتة المصرى [من الكامل] :

سلبتْ محاسنُكَ الغزالَ صفاتِه حتّى تحيّر كلُّ ظبى فيكاَ
لكَ جيدهُ ولحاظه ونفارهُ وغدا نظيرُ قرونه لأبيكاَ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الخفيف] :

عارَضَ البدرُ وجنتيها فقلنا عدّ عن ذا وقل لنا عن محاقكْ
أوثقَتْنِى بحبها ثمَّ قالتْ لىَ بالله كيفَ حالُ وثاقكْ

ولابن حجة الحموى فيه أيضا [من السريع] :

وصاحب تسمح لى نفسه بغدوة لـكنْ إذا ما انتشى
يضحك سِنِّى للغدَا عندهُ لـكننى أقلع ضرسى العشا

وقريب من معناه قول الأديب الاسطرلابى [من الطويل] :

لنا صاحبٌ نهوى محل فنائِهِ ولا يهتدى ضيفٌ محل فنائِهِ
نزلتُ عليـهِ مرّةً فأضافنى ولـكنْ إلى الأقصى أنى بغدائِهِ

وقريب من معناه قول بعضهم [من الوافر] :

نزلتُ علَى أبى سعدٍ فحَيَّا وهيأ عندهُ فُرُشَ المقيلِ
وقال علىَّ بالطباخ حتى يزيد من البواردِ والبقولِ
فغدَّانى برائحـــــة الأمانى وعَشَّانِى بميعادٍ جميلِ

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه [من الوافر] :

ألاَ يارِبَّ هب لى منك عمْراً كليلةِ كل ضيف بات عندهْ
فـكم أعطى كدُهْنِ اللوز لفظاً وكم مخض الـكلام بغير زُبْدَهْ
وَسَفَّفَنِى سفوفَ الريحِ منه ولعقنِى لعوقَ الماءِ عِنْدَهْ

✡ ✡ ✡

شاهد تجاهل العارف

١٥٥ — أيَاَ شجرَ الخابور مالكَ مورقاً
كأنَّكَ لم تجزع على ابن طريف

البيت لليلى بنت طريف الشيبانى ، ترثى أخاها الوليد بن طَرِيفٍ ، من أبيات من الطويل(١) ، أولها :

---

(١) اقرأها فى الأغانى (١١ ــ ٨) وفى ابن خلـكان (٣ ــ ١٠٤) مـع بعض تغيير و بعض نقص فى الأغانى

بتلٍّ نباتى رَسْمُ قبرٍ كأنه على عَلَمٍ فوق الجبال منيفِ (١)

تَضَمَّنَ جوداً حاتمياً ونائلاً وَسَوْرَةَ مقدام وقلب حصيفِ

ورأيت فى تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع ، وهو :

تضمن مجداً عاصمياً وَسودداً وهمة مقدام ورأى حصيف (٢)

وبعده البيت ، وبعده :

فتى لا يحبُّ الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قَناً وسيوفِ

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم معاودة للكرّ بين صفوف

كأنك لم تشهدْ هناك ولم تَقُمْ مقاماً على الأعداء غير خفيف

ولم تستلم يوماً لوردِ كريهةٍ من السردِ فى خضراء ذات لفيف (٣)

ولم تسع يوم الحرب والحرب واقعٌ وَسُمْرُ القنا يَنهزْنها بأنوفِ (٤)

حليفِ النَدى ما عاش يرْضى بهِ النَدى

فانْ مات لمْ يَرْضَ النَدى بحليفِ

فقدْناكَ فُقدانَ الشباب وليتنا فديناكَ منْ فتياتنا بألوف

ومازال حتى أزهق الموت نفسه شَجًى لعدوٍّ أو نجا لضعيفِ (٥)

ألاَ ياَ لقوْمى للحمامِ وَللبلَى وللأرضِ هُمّتْ بعده برجيفِ (٦)

---

(١) وقع فى الأصول « نثل نباثا » محرفا . ونباتى ـ بزنة سكارى ـ موضع بالبصرة . وفى ابن خلكان « بتل نهاكى »

(٢) الذى فى نسخة ابن خلكان « تضمن مجدا عد مليا وسوددا »

(٣) فى ابن خلكان « خضراء ذات رفيف »

(٤) فى ابن خلكان « والحرب لا قح » وفيه « ينكزنها بأنوف »

(٥) فى الأصل «أولحى لضعيف» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ابن خلكان

(٦) فى ابن خلكان « همت بعده برجوف » وفى الأغانى :

ألا يالقومى للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر منْ بين الكواكب قد هوَى ... وللشمس لما أزمعتْ لكسوف (١)

ولليثِ كلّ الليث إذْ يحملونهُ ... إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيف

ألا قاتلَ الله الرّدَى حيثُ أضمرتْ ... فتىً كانَ للمعرُوف غيرَ عيوف (٢)

فإن يكُ أرْدَاهُ يزيدُ بنُ مزْيَدٍ ... فربَّ زُحُوفٍ لفّهَا بزُحُوف

عليهِ سلامُ الله وَقفاً فإنني ... أرَى الموتَ وَقاعاً بكلّ شريف

11

ترجمة الوليد ابن طريف

وكان الوليد بن طريف هذا رأسَ الخوارج ، وأشدهم بأساً وصولةً ، وأشجعهم . وكان من بالشماسية لا يأمن طرُوقهُ ، واشتدت شوكته ، وطالت أيامه ، فوجه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مزيد الشيبانى ، فجعل يخاتله ويماكره ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد ، فأغرَوا به الرشيد ، وقالوا : إنه يتجافى عنه للرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يواعده ، وينتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مُغْضَب يقول فيه : لو وجهت أقل الخدم (٣) لقام بأكثر مما تقوم به أنت ، ولكنك مُداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهنّ إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ، فلقى الوليد عشية خميس فى شهر رمضان ، فيقال : إن يزيد جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه فى فيه ، وجعل يلوكه ويقول : اللهم إنها شدة شديدة ، فسهلها ، وقال لأصحابه : فداكم أبى وأمى ! إنما هى الخوارج ، ولها حملة ، فاثبتوا لهم تحت التراس ، فاذا انقضت حملتهم فاحملوا ، فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، وكان كما قال ، حملوا حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ،

---

(١) فى ابن خلكان « إذ هوى » وفيه «أزمعت بكسوف» وفى الأغانى « وللشمس همت بعده بكسوف »

(٢) فى ابن خلكان «ألا قاتل الله الجثا حيث أضمرت »

(٣) فى ابن خلكان « أحد الخدم » وكذا فى الأغانى

ثم حمل عليهم فانكشفوا ، واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة ، فاحتز رأسه ، وكان الوليد خرج إليهم حين خرج ، وهو يرتجز ويقول [من الرجز] :

أنا الوليدُ بنُ طريف الشارِى قسوَرَة لا يُصطَلَى بنارِى

* جَوْرُكُم أخرَجنى منْ دارِى *

فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صحبتهم(١) أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع والجوشن ، فجعلت تحمل على الناس ، فعُرِفت ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قَطَاة فرسها ، ثم قال لها : اغرُبِى ، غرّب الله عليك ، فقد فضحت العشيرَة ، فاستحيت وانصرفت ، وهى تقول الأبيات . وكان ذلك فى سنة تسع وَسبعين ومائة .

ولما انصرف يزيد بالظَّفَر حجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصيفنّ واشتونّ على فرسى أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك ، فأذن له ، فدخل ، فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسرّ وأقبل يصيح : مرحباً بالأعرابى ، حتى دخل وأجلس ، وأكرم ، وعرف بلاؤه ونقاء صدره ، ومدحه الشعراء بذلك . وكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد ، فقال فيه قصيدته التى أولها [من البسيط] :

أجرَرْتُ حبلَ خليعٍ فى الصبا غزِلِ
وقصرَتْ همُ العذال عَنْ عذَلى

هَاجَ البكاء على العين الطموح هوًى
مُفرّقٌ بينَ توديعٍ ومرتحلِ

---

(١) فى الأغانى « صبحتهم » أى جاءتهم صبحاً ، وهو خيرمما هنا بدليل ما بعده .

كيفَ السلوُّ لقلْب باتَ مختبلاً
يَهْذي بصاحبِ قلبٍ غيرِ مُختَبلِ

إلى أن يقول فيها :

يفترُّ عنـدَ افترار الحرْبِ مُبتسماً ... إذَا تغيرَ وجـهُ الفـارسِ البطَلِ
مُوفٍ على مُهجٍ فى يومِ ذِى رَهجٍ ... كأنهُ أجَـلٌ يسعى إلىَ أملِ
ينال بالرّفقِ ما تعيا الرجالُ بهِ ... كالموْت مُستعجلاً يأتى على مَهلِ

إلى أن يقول :

والمارقُ ابنُ طريفٍ قد دَلفْتَ لهُ ... بعـارضٍ المنايا مُسبلٍ هطِلِ (١)
لو أنَّ غيْرَ شَريكىٍّ أطَافَ بهِ ... فازَ الوليدُ بقِدْحِ الناضل الخضِلِ
ما كانَ جمعهمُ لمـا دَلَفْتَ لهمْ ... إلا كمثلِ جرَادٍ رِيعَ مُنجفلِ

ولليلى أخت الوليد بن طريف فيه مراث كثيرة منها قولها [من المتقارب] :

ذكرتُ الوليـدَ وأيامهُ ... إذ الأرضُ من شخصهِ بلقعُ
فأقبلتُ أطلبـهُ فى السماء ... كما يَبْتَغِي أنفـهُ الأجْدَعُ
أضاعـكَ قومُكَ فليطلبُوا ... إعارةَ مثـلِ الذى ضيعُوا (٢)
لوَ انَّ السيوفَ التى حَـدُّها ... يصيبـكَ تعْـلمُ ما تصنعُ
نَبَتْ عنكَ أو جعلَتْ هيبةً ... وَخوفاً لصولكَ لا تقطعُ

والخابور : نهر بين رأس عين والفرات يصب إليه .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، وسماهُ السكاكىّ : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ، وهى هنا التوبيخ ، فانها تعلم أن الشجر لايجزع على ابن طريف ،

---

(١) فى الأصل « قد زلفت له » محرفا عيا أثبتناه موافقا لما فى الديوان والأغانى
(٢) فى الأغانى وابن خلكان « إفادة مثل الذى ضيعوا »

لكنها تجاهلت واستعملت « كأن » الدالة على الشك ، والله أعلم .

* * *

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة فى المدح

١٥٦ — ألمعُ بَرْقٍ سَرَى أمْ ضَوْءُ مصباحِ
أمِ ابتسامَتُها بالمنظَرِ الضاحى

البيت للبحترى ، وهو من أول قصيدة [١] من البسيط ، يمدح بها الفتح ابن خاقان ، وبعده :

يا بؤسَ نفسٍ عليها جِدُّ آسفةٍ ... وشجوَ قلبٍ إليها جدَّ مرتاحِ
يهتزُّ مثلَ اهتزازِ الغصن أتعبهُ ... مرورُ غيثٍ منَ الوسمىِّ سَحَّاحِ
ويَرجعُ الليلُ مبيَضاً إذا ابتسمَتْ ... عَنْ أبيض خَصِرِ السمطين لمّاحِ
وَجَدت نفسكَ من نفسى بمنزلة ... هى المصافاةُ بين الماء والراحِ
أثني عليكَ بأنى لم أجدْ أحَداً ... يلحى عليكَ ، وماذا يزعم اللاحى
وليلةِ القصرِ والصهباء قاصرَة ... للهوِ بينَ أباريقٍ وأقداحِ
حييتُ خدَّيك بَلْ حييتُ من طَرَبٍ ... وَرداً بورْدٍ ، وتفَّاحاً بتفَّاحِ

وهى طويلة ، ومنها فى المَخْلَصِ :

كم نظرَةٍ فى جبالِ الشام لونظَرتْ ... رَوَت غليلَ فؤادٍ منكِ ملتاحِ [٢]
والعيسُ ترمى بأيديها على عجلٍ ... فى مهمهٍ مثل ظَهرِ الترسِ رَحْراحِ
تُهدِى إلى الفتحِ ، والنُّعمى بذاك له ... مَدحاً يقصِّرُ عنهُ كل مَدّاحِ

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ ـ ١١٣).
(٢) فى الديوان « كم نظرة لى حيال الشام لو وصلت » وهى أحسن مما هنا

والضاحى : الظاهر .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف للمبالغة فى المدح ، فانه بالغ فى مدح ابتسامها ، بحيث لم يفرق بينه و بين لمع البرق وضوء المصباح كما هو ظاهر .

*
* *

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة فى الذم

١٥٧ — * أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساء *

هو من الوافر ، وصدره :

* وما أدرى وسوفَ إخالُ أدرى *

وقائله زهير بن أبى سُلْمَى ، من قصيدة [1] طويلة ، قالها فى هجاء بيت من كلب من بنى عليم ، وكان بلغه عنهم شىء ، وكان رجل من بنى عبد الله ابن غطفان أتى بنى عليم ، فأكرموه لما نزل بهم ، وأحسنوا جواره و واسوه . وكان رجلا مولعا بالقمار ، فنهوه عنه ، فأبى إلا المقامرة ، فقُمِرَ [2] مرة فردوه عليه ، ثم قمر أخرى فردوه عليه ، ثم قمر الثالثة ، فلم يردوه عليه ، فترحَّلَ عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير ، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديداً ، فقال القصيدة ، وأولها :

عفا من آلِ فاطمةَ الجِوَاءُ فيمنٌ فالقوادمُ فالحساءُ
فذوهاش فميثُ عريتناتٍ عفتها الريحُ بعدكَ والسماء [3]

---

(١) اقرأها فى الديوان (٥٦ دار الكتب)
(٢) قمر — بالبناء للمجهول — غلب فى المقامرة
(٣) فى الأصل « فبيت عريتنات » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان وذوهاش وعريتنات : أرضان ، وميث — بكسر الميم — جمع ميثاء ، وهى مسيل الماء مثل نصف الوادى أو ثلثه

فلما أنْ تَحَمَّلَ آلُ ليلَى ... جرَتْ بيني وبينهمُ ظباء

جرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزِى ... نوًى مشمولة فمتى اللقاء (١)

كأنَّ أوابدَ الثيران فيهَا ... هجائنُ فى مَغابنها الطلاء (٢)

لقدْ طالبتها ولكل شىء ... إذا طالتْ لجاجتهُ انتهاء

وقد أغدُو على شَرْبٍ كرَامٍ ... نَشَاوَى وَاجدِينَ لما نشاء

لهمْ رَاحٌ وَرَاوُوقٌ وَمِسكٌ ... تعلُّ بهِ جُلودُهمُ وماء

أمشِّى بينَ قتلَى قدْ أصيبتْ ... دِماؤهمُ ولمْ تقطرْ دِماء (٣)

يجُرُّونَ البرُودَ وَقد تَمَشَّتْ ... حُميَّا الكأسِ فيهمْ والغناء

و بعده البيت ، و بعده :

فإنْ تكنِ النساءُ مُخبآتٍ ... فَحقٌّ لكل محصنةٍ هِداءُ

وكان زهير يقول : ما خرَجت قط فى ليلةٍ ظلماء إلا خفتُ أن يصيبنى الله عز وجل بعقوبة لهجائى قوماً ظلمتهم .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف للمبالغة فى الذم ، وفيه دلالة على أن لفظ « القوم » لا يطلق إلا على الرجال خاصة .

---

(١) فى الأصول * جرت سحا فقلت لها أخبرينى * والسنح : جمع سنيح وهو ما ولاك ميامنه من ظبى أو طائر أو غيرهما ، والعرب تتيامن به ، ولكن زهيرا تشاءم به . وأجيزى : انفذى

(٢) فى الأصل « فى مفانيها الطلاء » محرفا عما أثبتناه ، والمغابن : جمع مغبن ـ بزنة مجلس ـ وهى الابط وأصل الفخذ ، وكل ما خبىء من الانسان ، والطلاء : القطران

(٣) فى الديوان « قد أصيبت نفوسهم »

من شواهد تجاهل العارف للتدله فى الحب

١٥٨ — بالله يا ظبيات القاعِ قلنَ لنا
لَيلاىَ منكنّ أمْ ليلى مِنَ البشَر

البيت من قصيدة من البسيط ، واختلف فى نسبته : فنسب للمجنون ، ولذى الرمة ، وللعَرجىّ ، وللحسين بن عبد الله الغزى ، ونسبه الباخرزى ، فى دمية القصر ، لبدوىّ اسمه : كامل الثقفى (١) ، والأكثرون على أنه للعرجى ، وأول قصيدة كامل الثقفى(١) :

إنسَانةُ الحىُّ أم أدماءة السمُرِ   يا للنهى رقصها لحنٌ منَ الوتر
يَاماَ أميلح غزلاناً شدَنّ لنَا   من هؤُليّاء بينَ الضال والسمُرِ (٢)

وقال ابن داود فى الزهرَة : قال بعض الأعراب :

يا سَرحةَ الحىّ أينَ الرُّوحُ وا كبدِى   لهفاً تذوبُ و بيتِ الله من حسرِ
ما أنتِ عجماء عما قد سئلت فماَ   بالُ المنازلِ لم تنطق ولَم تحِرِ
يا قاتلَ الله غادات قرَعْنَ لنا   حبَّ القلوب بما استودعنَ من حوَرِ
عنت لنا وعيونٌ من براقعها   مكنونةٌ مُقَلُ الغزلان والبقَرِ

و بعده * ياما أميلح . . . . . . البيت * .

والقاع : أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، وتجمع على قيع وقيعة ، وأقواع ، وأقْوُع . والبشر : الإنسان ، ذكراً كان أو أنثى، واحداً أو جمعا . وقد يثنى ، وقد يجمع .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، للتدلهْ فى الحبّ ، وهو : التحير والدهش .

---

(١) وقع فى الأصول «كامل المنتقى» فى الموضعين، وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الدمية

(٢) فى الدمية وشواهد النحاة « من هؤليا ئكن الضال والسمر »

ومنه قول ذى الرمة [من الطويل] :

أياظبيةَ الوعساء بينَ جلاَجلٍ ... وبينَ النقا أأنت أم أُمُّ سالمِ

وما ألطف قول المتنبي [من الخفيف] :

أترَاها لكثرَةِ العُشاقِ ... تحسبُ الدمعَ خِلْقَةً فى المآقى

وقول القاضى الفاضل ، يمدح الملك العادل ، أبا بكر بن أيوب ، رحمه الله تعالى ! [من البسيط] :

أهذهِ سيرٌ فى المجد أمْ سوِرُ ... وهذهِ أنجمٌ فى السعد أم غررُ ؟

وأنملٌ أم بحارٌ والسيوفُ لها ... موجٌ وَإفرِنْدُها فى لجها دُرَرُ

وأنت فى الأرضِ أم فوق السماء وفى ... يمينكَ البحرُ أم فى وجهكَ القمرُ

وقوله فيه أيضاً وأجاد [من الوافر] :

أهذِى كفه أم غوثُ غيثٍ ... ولا بلغَ السحابَ وَلا كرامهْ

وَهذَا بشرُهُ أمْ لمعُ برْقٍ ... وَمنْ لِلبرْقِ فينَا بالإقَامهْ

وهذَا الجيشُ أم صَرْفُ الليالىِ ... ولاَ بلغَتْ حوَادثها زِحامَهْ

وَهَذَا الدهرُ أمْ عبدٌ لديهِ ... يُصرِّفُ عَنْ عزيمتهِ زمامهْ

وهذا نَصْلُ غمدٍ أم هِلالٌ ... إذا أمْسَى كَنُونٍ أم قُلاَمَهْ

وَهذَا الترْبُ أم خدٌّ لثمناَ ... وآثار الشفاهِ عليهِ شامهْ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

وإذا قلتُ أينَ دَارى وقالوا ... هِيَ هذِى أقولُ أينَ زَمانى

وقول مهيار الديلمى [من الطويل] :

سلاَ ظبيةَ الوادِى وما الظبيُ مثلها ... وإن كان مصقولَ التَّرَائِبِ أكحلا

أأنتَ أمرَتَ البدْرَ أنْ يَصدَعَ الدُّجى ... وَعَلَّمْتَ غُصنَ البَانِ أنْ يتَميَّلاَ

وقول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

فوالله ما أدرى أكانت مُدامةً من الكرم تُجنى أم من الشمس تُعصرُ

ومن البديع فى هذا الباب قول ابن هانىء الأندلسى فى المعز لدين الله بانى القاهرة [من الكامل] :

ابنى العوالى السمهريّةِ والموا ضى المشرفيّةِ والعديدِ الأكثرِ
منْ منكمُ الملكُ المطاع كأنهُ تحتَ السوابغِ تُبّعٌ فى حِمْيرِ

يحكى أنه لما أنشدها ترجّلَ العسكر كله ، ولم يبق راكب سوى المعز ، فلا يعلم بيت شعر كان جوابه نزول عسكر جرار غيره .

وما أجود قول التهامى يشكو السهر [من الكامل] :

قصُرَتْ جفُونى أم تباعدَ بينها أمْ مُقلتى خُلقتْ بلا أشْفار ؟

وماأبدع قول الشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره [من الكامل] :

أوميضُ برْقٍ بالأبيرق لاحا أم فى رُبا نجدٍ أرَى مِصباحا
أمْ تلكَ ليلى العامريَّة أسفرتْ ليلاً فصيرتِ المساء صباحا

وما أحسن قول الباخرزى [من الكامل] :

قالتْ وقدْ فتّشتُ عنها كلّ منْ لاقيتهُ منْ حاضرٍ أوْ بادى
أنا فى فؤادِكَ فارْمِ لحظكَ نحوهُ ترَنِى فقلتُ لها وأين فؤادِى

وفى معناه قول المولى الفاضل بن مليك يرثى ولده [من الخفيف] :

يا مكانَ الفؤادِ أينَ فؤادِى أتراهُ منهمْ على ميعادِ

وقول العميد أبى سهل محمد بن الحسن [من البسيط] :

يا دهرَنا أينا أشجى ببينهمُ أأنتَ أمْ أنا أمْ ريّا أم الدارُ
يا ليتَ شعرىَ ما ألوَى بجدّتها هوجُ الرّياحِ وصوْبُ الغيثِ مدْرارُ
أم صوْبُ دَمعى وأنفاسِى فهنّ لها بعدَ الأحبةِ أرْواحٌ وأمطارُ

وقول ابن المنير الطرابلسى [من البسيط] :

مَنْ ركّبَ البدْرَ فى صدْرِ الرُّدينىِّ ومَوَّهَ السِّحرَ فى حدِّ اليمانىِّ

وأنزَلَ النيِّرَ الأعلى إلى فلكٍ مدارُه فى القَبَاء الخُسْرُوَانىِّ

طرْفٌ رنا أمْ قُرابٌ سُلَّ صارمهُ وأغْيدٌ ماس أم أعطافُ خَطِّىِّ

وقول أبى نصر سعيد بن الشاه [من البسيط] :

أظاعِنٌ أم مقيمٌ أنتَ ياخَلَدِى فاننى أوّلُ الغادِينَ بعدَ غدِ

وما أحسن ما قال بعده أيضاً :

غداً أودِّعُ قوماً أوْدعوا كبدِى ناراً، وعهدِى بهمْ برداً على الكبدِ

أُبْدِى التجلُّدَ أحياناً فيَنهرُنى ريقٌ يجفُّ وخدٌ بالدُّموعِ ندِى

لا أنسَ يوْمَ تنازَعنا حديثَ نَوىً وقَوْلَها وهْىَ تبكى : خانَنى جلدِى

فدمعُها بَرَدٌ فوْقَ العقيقِ جرَى وريقُها ضَرَبٌ قدْ شِيبَ بالبرَدِ

كُنَّا إلى الوَصلِ قدْ مِلْنا فنغَّصهُ هذا الرحيلُ الذى مادارَ فى خَلدِى

وقول الوزير أبى سعد منصور بن الحسين الأبى [من المتقارب] :

أيا ربْعَ علوْةَ بِالمنحَنَى أأنتَ بِها مغرَمٌ أمْ أنا

ويا طللَ الحىِّ مابالُنا لبستَ البلى ولبستُ الضنى

وما أحسن قوله بعدهما أيضاً :

أناشدُكَ اللهَ فى قُرْبنا وأنّى ومنْ أينَ لى قرْبُنا

بشرْقىِّ سَلْمى لنا منزِلٌ رفيعُ القواعدِ عالى البنا[1]

أتتنى فقالتْ لأتْرَابها لنعمَ الفتى إنْ ثوَى عِندنا

فقلتُ لها أين مَغْناكمُ ونحنُ بُحزْوَى فقالتْ هنا

ولكنَّ منْ دُوننا باسلاً يغارُ علينا إذَا زُرْتَنَا

---

(١) سلمى : أحد جبلى طيىء ، والثانى أجأ

فشاوِرْ إذا جئتَ جُنحَ الظلامِ ... فإما علينا وإما لنا
فلما امتطيْتُ إليها الدُّجى ... دُفِعْتُ إلى تِرْبِها مَوْهِنَا
فقامتْ تَجُرُّ فُضولَ الرِّداءِ ... وتَسفِرُ للوَصلِ ما بيننا
تَبِعْتُ إلى خِدْرِهَا تِرْبَها ... فصدَّت وقدَ رابها أمرُنا
وقالتْ أترْضَى بغير الرضى ... بِكَوْنِكَ يا ضيفنا ضيفْنا

ومن المعجب هنا قول بعضهم [من الوافر]:

أقولُ له علامَ تميلُ عُجْباً ... على ضَعفى وقدُّكَ مستقيمُ
فقالَ تقولُ عنى فىَّ ميلٌ ... فقلْتُ له كذَا نقلَ النَّسيمُ

ومن ظريف ما سمع فيه قول الصورى [من مجزوء الرمل] :

بالذى ألْهَمَ تعذيـــبى ... ثناياكَ العذَابا
والذى صيَّر حظِّى ... منكَ هجراً واجْتنابا
والذى ألبسَ خدَّيْـــكَ ... منَ الوَرْد نِقابا
ما الذى قالتْهُ عينْا ... كَ لقَلبى فأجابا

ولأحمد بن حمديس [من الخفيف] :

أبروقٌ تلألأتْ أم ثغورُ ... وليالٍ دَجتْ لنا أمْ شعورُ
وغصونٌ تأوّدتْ أمْ قُدُودٌ ... حاملاتٌ رمانَهُنَّ الصُّدُورُ

ولابن شمس الخلافة [من الطويل] :

أشعرُكَ أم ليْلٌ وَوجْهُكَ أم قمَرْ ... ونَشْرُكَ أمِسكٌ وثغرُكَ أم دُرَرْ
وخَدّكَ أم وردٌ وريقكَ أم طلًى ... وجِسْمُكَ أم ماءٌ وقلبكَ أم حجَرْ
شككْنا على عِلمٍ ومَنْ غلبَ الهوى ... على قلبهِ غطّى على السمعِ والبصرِ

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيه [من البسيط] :

ألؤْلؤٌ نظمُ هذا الثغْرِ أم حبَبُ ... وقرْقفٌ طعمُ ذاكَ الرِّيقِ أم ضَرَبُ
وما أراهُ برَوْضِ الخدِّ وَرْدُ رُبًا ... أم جنةٌ بدَمِ العُشاقِ تختضبُ

وفى لحاظك سحر يستطال به على القلوب أم المسنونة القضب

ومن مجونه فيه قول بعضهم [من الطويل] :

ولم أدر إذ رق النسيم وعيشنا وصوت مغنينا وصهباء قرقف
أعيشى أم صوت المغنى أم الصبا أم الكاس أم دينى أرق وأضعف

وهو من قول الآخر [من الخفيف] :

اسقنى خمرة كرقة دينى أو كعقلى ولا تقل كحالى
خيفة من توهم الناس أنى قلت هذا فى معرض لسؤال

ولطيف قول الشيخ صلاح الدين الصفدى [من الطويل] :

أقول لهم قد رق عيشى والصبا وعقلى وكاساتى وصوت الذى غنى
فقال الذى أهوى: وخصرى نسيته فقلت له : والله قد جئت فى المعنى

ترجمة العرجى

والعرجى [1] هو عبد الله بن [عمر بن [2]] عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

وإنما لقب بالعرجى لأنه كان يسكن عرج الطائف ، وقيل : بل سمى بذلك لماء كان له ومال كان عليه بالعرج .

وكان من شعراء قريش ، وممن شهر بالغزل منهم ، ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك ، وتشبه به ، وأجاد ، وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المبالاة بأحد [3] فيهما ، ولم تكن له نباهة فى أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأرض الروم

---

(١) للعرجى ترجمة فى الأغانى (١-١٥٣) وفى مهذب الأغانى (٧-٢٩) وفى بعض نسخ الأغانى « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان »
(٢) الزيادة عن الأغانى
(٣) فى الأغانى مكان هذه الجملة « قليل المحاشاة لأحد منهما »

وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة ، وباع أموالا عظيمة وأطعم[١] منها فى سبيل الله تعالى حتى نفد كل ذلك ، وكان قد اتخذ غلامين فاذا جاء الليل نصب قدوره وقام الغلامان يوقدان ، فاذا نام أحدهما قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يصبحا يقول : لعل طارقا يطرق .

وحدث مصعب قال : كانت حَبَشِيَّةٌ من مولَّدات مكة المشرفة ظريفة صارت إلى المدينة المنورة ، فلما بلغها موت عمر بن أبى ربيعة اشتد جزعها وجعلت تقول: مَنْ لمكة وشعابها وأباطحها ونُزَهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ؟ فقيل لها: خَفِّضِى عليك فقد نشأ فتًى من ولد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، فقالت : أنشدونى من شعره شيئا ، فأنشدوها ، فقالت : الحمد لله الذى لم يُضَيِّع حَرَمه ، ومسحت عينيها .

وقال سلمة بن إبراهيم بن هشام : كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب ، فذكرنا قول العرجى [من الخفيف] :

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلكَ أينا ... أينَ تَصديقُ ما عهدتِ إلينا
فلقدْ خِفتُ منكِ أنْ تَصرِمى الحبـ ... ـلَ وأن تجمعى معَ الصُّرْمِ بَيْنَا
ما تقولينَ فى فَتًى هامَ إذْ ها ... مَ بمنْ لا يبالِ جهلاً ومينا[٢]
فاجعلى بيننا وبينكِ عدْلاً ... لا تَحيفى ولا يَحيفُ علينا
واعلمى أنَّ فى القضاءِ شُهوداً ... ويميناً فأحضِرى شاهدينا
خُلّتى لوْ قدرتُ منكِ على ما ... قلت لى فى الخلاءِ حينَ التقينا
ما تحرَّجتُ منْ دَمى علمَ اللهُ ولو كنتُ قدْ شهدْتُ حُنينا

(١) فى الأغانى « وأطعم ثمنها فى سبيل الله » .
(٢) كذا ، والذى فى الأغانى ومهذبه « بمن لا ينال جهدا وحينا » ، وهو ارق مما هنا

قال : فقال أيوب لأشعب : ما تظن أنها وعدته ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً وعدته أن تأتيه فى شِعْبٍ من شعاب العَرْج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارض شُغْلٍ فقطعها عن موعده ، قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كسير وعوير ، وكلٌّ غيرُ خيرٍ : فِنْدٌ أبو زيد مولى عائشة بنت سعد ، وزر العذق [1] مولى الأنصار ، قال : فمن الحكم العدل ؟ قال : حصين بن غُرَيْر [2] الحميرى ، قال : فما حكم به ؟ قال : أدَّتْ إليه حقه فسقطت المؤنة عنه ، قال : يا أشعب ، لقد أحكمت صناعتك ، قال : سل علامة عن علمه .

وحدث محمد بن مخارق قال : واعد العرجى ذات هوى له إلى شعب من شعاب عَرْج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف ، فجاءت على أتان لها معها جارية لها ، وجاء هو على حمار له ومعه غلام له ، فواقع هو المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونزا الحمار على الأتان ، فقال العرجى : هذا يوم قد غاب عُذَّاله .

وحدث الزهرى [3] وغيره أن العرجى خرج إلى جنبات الطائف [4] يوما متنزها ، فمر ببطن النقيع [5] فنظر إلى أم الأوقص — وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومى القاضى — وكان يتعرض لها ، فاذا رآها زمت نفسها [6] وتسترت منه ، وهى امرأة من بنى تميم ، فبصر بها فى نسوة جالسة وهن يتحدثن ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فعدل عنها ، ولقى أعرابيا من بنى نصر على بكر له ومعه

---

(١) فى الأغانى « وزور الفرق » ، وفى بعض نسخه « وزر الفرق »
(٢) فى الأغانى « حصين بن عرير » بالمهملة ، ولكنه ذكر فيه فى الأخبار الآتية بالمعجمة كما هنا
(٣) فى الأغاني « الزبيرى وغيره » وهو الصواب
(٤) فى الأصل « جنبان الطائف » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني
(٥) فى الأغانى « ببطن البقيع » .
(٦) فى الأغانى « رمت بنفسها » وأحسبه محرفا عما هنا

وَطَبْيَانِ من لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قَعُوده ولبنه ولبس ثيابه، ثم أقبل فمر على النسوة ، فصحن به : يا أعرابى ، أمعك لبن ؟ قال : نعم ، فمال إليهن ، وجعل يتأمل أم الأوقص ، وتواثب من معها إلى اللبن ، وجعل العرجى يلحظها وينظر أحيانا إلى الأرض كأنه يطلب شيئا ، وهن يشربن اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شىء تطلب يا أعرابى فى الأرض ؟ أضاع منك شىء ؟ قال : نعم ، قلبى ، فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق ، فعرفته فقالت: العرجى ورب الكعبة ، ووثبت وسترها نساؤها ، وقلن له : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك ، فمضى منصرفا ، وقال فى ذلك [من الوافر] :

أقولُ لصاحبىَّ ومثلُ مابى ... شكاهُ المرء ذُو الوجد الأليمِ
إلى الأخوينِ مثلهما إذا ما ... تــأوَّبهُ مؤرِّقــةُ الهمومِ
لحينى والبلاء لقيتُ ظُهْراً ... بأعلى النقعِ أخْتَ بنى تميم
فلما أنْ رأتْ عيناىَ منها ... أسيلَ الخدِّ فى خلق عظيم[1]
وعَيْنَىْ جؤذرٍ خشفٍ وثغراً ... كلوْن الأقحوان وجيدَ ريمِ[2]
حنا أتْرابها دُونى عليها ... حُنوَّ العائدات على السقيم

وحدث مصعب بن عبدالله عن أبيه ، قال : أتانى أبوالسائب المخزومى ليلة بعد ما رقد الناس[3] فأشرفت عليه ، فقال : سهرت وذكرت أخا لى أستمتع به فلم أجد سواك ، فلو مضينا إلى العقيق وتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته فى بعض ذلك بيتين للعرجى ، وهما [من الكامل] :

بَاتا بأنْعَم ِ ليلةٍ حتى بدا ... صُبحٌ تلوّح كالأغرّ الأشقرَ

(١) فى الأغانى « في خلق عميم »
(٢) فى الأغانى « وعينى جؤذر خرق » ويقال : خرق الظبى فهو خرق — كفرح فهو فرح — إذا دهش من فزع
(٣) في الأغاني « بعدما رقد السامر »

فتلازَما عندَ الفراقِ صبابةً أخْذَ الغريم بفضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ

فقال: أعده على، فأعدته، فقال: أحسن والله، امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته، قال: فلقينا عبدالله بن حسن [بن حسنٍ](١)، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة المنورة، فسلم ثم قال: كيف أنت ياأبا السائب؟ فقال له:

فتلازَما عِندَ الفِراقِ صبَابةً أخذَ الغَريمِ بِفضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفت إلى وقال: متى أنكرت صاحبك؟ فقلت: منذ الليلة، فقال: إنا لله، وأى كهل أصيبت به قريش؟ ثم مضينا فلقيه محمد بن عمران التيمى(٢) قاضى المدينة يريد مالا على بغلة له ومعه غلامه على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة، فسلم عليه ثم قال له: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال: * فتَلَازَما عندالفِراقِ صبَابَةً * وذكر البيت، فالتفت إلى وقال: متى أنكرت صاحبك؟ فقلت كما قلت آنفاً، فلما أراد المضى قلت: أفتدعه هكذا؟ والله لا آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق، قال: صدقت. ياغلام قيده بقيد البغلة، فوضعه فى رجليه، وهو ينشد البيت و يشير بيده إليه، يرى أنه يفهم عنه قصته، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه: احمله على بغلتى وألحقه بأهله، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره، فقال: قبحك الله ماجناً! فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغرَرْتنِى.

وكان العرجى يشبب بجيداء ــ وهى أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى ــ ليفضح ابنهالا لمحبة كانت بينهما، فكان محمد بن هشام يقول لأمه: أنت غضضت منى لأنك أمى، وأهلكتنى وقتلتنى، فتقول له: و يحك! وكيف ذلك؟ فيقول: لو كانت أمى من قريش ما ولى الخلافة غيرى.

---

(١) الزيادة عن الأغانى.

(٢) فى الأصل « التميمي » محرفا عما أثبتناه وهو موافق لما فى الأغانى

وكان العرجي في خلال ذلك يهجو محمد بن هشام ، فلم يزل مضطغنا عليه متطلباً سبيلا إليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس على البُلُسِ ثم حبسه وأقسم أن لا يخرج من السجن ما دام له سلطان ، فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

وروى أن السبب في حبس محمد بن هشام العرجي أنه لاحَى مولًى لأمية فأمضه[1] العرجي ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له ، فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده ، فهجم عليه في منزله فأخذه فأوثقه كتافا ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار ، فاستَعْدَت امرأة المولى عليه محمد بن هشام ، فحبسه .

وقيل : إن العرجي كان قد وكل بحُرَمه مولًى له يقوم مقامه بأمورهن ، فبلغه أنه يختلف إليهن[2] ، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن ، فقتله وأحرقه بالنار ، فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي ، وكان والياً على مكة المشرفة في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، فضربه ، وأقامه على البُلُسِ ، وسجنه .

وروى أن أشعب كان حاضرا العرجي وهو يشتم مولاه هذا ، وأنه طال شتمه إياه ، فلما أكثر ردُّ المولى عليه ، فاختلط العرجي[3] من ذلك وقال لأشعب : اشهد على ماسمعت ، فقال أشعب : وعلى م أشهد وقد شتمته ألفاً وشتمك واحدة؟ والله لو أن أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا شيئاً

ولما أخذ العرجي أخذ معه الحصين بن غرير الحميرى ، وكان صديقا له ، وخليطاً فجلدا وصب الزيت على رؤوسهما ، وأقيما على البُلُسِ بمكة ، فجعل العرجي ينشد [من الوافر] :

---

(١) أمضه : آلمه وأوجعه

(٢) في الأغاني « يخالف إليهن »

(٣) اختلط : أراد أنه غضب غضباً شديداً ، حتى لكأنما فقد عقله

سَيَنصرُنا الخليفةُ بَعْدَ رَبٍّ ... وَ يَغضبُ حينَ يُخبَرُ عن مَسَاقى
عَلَيَّ عبــاءةٌ بَلْقَاء ليست ... مع البَلْوَى تغيِّبُ نصفَ سَاقى
وتَغْضَبُ لى بأجمعهـــا قُصَىٌّ ... قطينُ البيت والدُّمْثِ الرقاقِ

ثم يصيح : ياغُرير أجياد يا غرير أجياد ، يعنى به الحصين بن غرير الجلود معه ، فيقول له : ألا تدعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ؟

ومر رجل على العرجى وهو واقف على البُلُسِ هو ورفيقه ، والناس مجتمعون ينظرون إليهما ، وكان الرجل صديقاً للعرجى ، وكان فأفاء ، فوقف عليه وأراد أن يتوجع لما ناله و يدعو له ، فلجلج لما كان فى لسانه كما يفعل الفأفاء ، فقال ابن غرير : لا فرجت من فيــك أبدا ، فقــال له الرجل : فــكانك إذا لا برجت منه أبدا .

ومر به صبيان يلتقطون النوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت ابن غرير إلى العرجى وقال له : ما أعرف فى الدنيا شيخين أشأم منى ومنك ، إن هؤلاء الصبيان لأهليهم عليهم فى كل يوم على كل واحد منهم مُدُّ نَوًى ، فقد تركوا لقطهم للنوى ووقفوا ينظرون إلى و إليك ، و ينصرفون بغير شىء فيضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم .

وكانت وفاة العرجى سنة (١)

ولما ولى الوليد بن يزيد الخلافة كان مضطغنا على محمد بن هشــام المخزومى لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام ، فقبض عليه ، وعلى أخيــه إبراهيم بن هشام ، وأَشْخِصَا إليه إلى الشام ، ثم دعا لهما بالسياط ، فقــال له محمد : أسألك

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه :
« هكذا فى الأصول التى بأيدينا ولم نقف له على تاريخ وفاة بعد مراجعة بعض المظان » .

بالقرابة، قال: وأى قرابة بينى و بينك، وهل أنت إلا من أشجع، قال: فأسألك بصهر عبد الملك، قال: لم تحفظه، قال: يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشي بالسياط إلا فى حَدٍّ، قال: ففى حَدٍّ أضربُكَ وَقَوَدٍ، أنت أول من سن ذلك على العرجى، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه، فما رَعَيْتَ حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولى ثأره، اضرب ياغلام، فضربهما ضرباً مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمره باستصفائهما (١) وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية، يعنى خالدا القسرى، ونَفْسَكَ نفسك إن عاش أحد منهم، فعذبهم عذاباً شديداً، وأخذ منهم مالا عظيما، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب، وكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته وجذبوه منها، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل إبراهيم لينظر وجه أخيه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً، ومات خالد القَسْرِىُّ معهما فى يوم واحد، وقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر هذه الأبيات [من المنسرح]:

قد راحَ نحوَ العراق مَشْخَلَبَهْ قُصارهُ السِّجْنُ بعدهُ الخَشَبَهْ
يركَبُها صاغراً بلا قَتَبٍ ولا خطامٍ وحولهُ جلَبَهْ
فقل لدعجاء إن مرَرتَ بها لن يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طلبه
قد جعلَ اللهُ بعد غَلْبَتِكم لنا عليكم بأمره الغلبَهْ
لستِ لهاشمٍ ولا إلى أسَدٍ ولا إلى نوفَلٍ ولا الحَجَبَهْ
لكنها أشجعٌ أبوكِ سَلِ الـ ـكلبى لا ما تُزَوِّقُ الكذبهْ

---

(١) فى الأصل « باستصفائهما » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى ويؤيده قوله فيما بعد « وأخذ منهم مالا عظيما » وهو معنى الاستصفاء

وحدث إسحاق قال : غنيت الرشيد يوماً فى عُرْضِ الغناء *أضاعونى وأى فتى أضاعوا * فقال لى : ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجى؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات ، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شىء ، فأتبعته بحديث مقتل ابنى هشام ، فجعل وجهه يُسْفِر وغيظه يَسْكن ، فلما انقضى الحديث قال لى: يا إسحاق لولا ما حدثتنى به من فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أماثل بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجى ، وسيأتى خبر هذا الشعر فى التضمين، إن شاء الله تعالى .

* * *

شاهد القول بالموجب أسلوب الحكيم

١٥٩ — قُلْتُ ثَقَّلْتُ إذ أتيْتُ مِرَاراً قال ثَقَّلْتَ كاهلى بالأيادى

البيت من الخفيف، وبعده :

قلتُ طَوَّلْت قال لا بل تَطَوَّلْــــت وأبرَمتُ قال حَبل ودادى

والبيتان منسوبان لابن حجاج ، ولم أرها فى ديوانه، ونسبهما سبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان لمحمد بن إبراهيم الأسدى .

والكاهل : الحارك ، أو مُقَدَّم أعلى الظهر مما يلى العنق ، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر ، أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق فى الصلب ، والأيادى : جمع يد، وهى النعمة .

وفى معنى البيتين قول ابن الخازن [من الوافر] :

لئن سَمَّيت إبراماً وثقلاً زيارات بهنَّ رفعتَ قَدْرى

فما أبْرَمْتَ إلا حَبْلَ ودي وما أثقلت إلا ظَهْرَ شكري

وقول ابن البغدادى [من الطويل] :

حَجَبْتَ إليه والعذول يحجنى عليه فكان العَذْلُ رنةَ حادى

فأجريت لكن مقلتى سنة الكرى وطلت ولكن هول برداى

والشاهد فيهما : القول بالموجب ، ويسمى أسلوب الحكيم ، وهو على ضربين : أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أُثبِتَ له حكم فتثبت تلك الصفة لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه ، والثانى : حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ، وهذا هو القسم المستعمل بين الناس ونظمه الشعراء ، ومما يستشهد به عليه قول الأرجانى [من الرمل] :

غالَطَتْنى إذ كست جسمى ضنىً   كسوةً أعْرَتْ من اللحم العِظاما
ثم قالت أنت عِنْدى فى الهوَى   مثل عينى ، صَدَقَتْ لكن سقَاما

وقد أخذه ابن نقادة أخذاً قبيحاً فقال [من الرمل] :

غالطتنى حين حاكى خَصْرُها   جسمىَ الممْرَضَ وَجْداً وغَراما
ثم قالت أنتَ عندى ناظرِى   ولعَمْرى صَدَقَتْ لكن سقاما

وقد أخذه آخر أيضاً فقال [من الوافر] :

شكَوْت صبابتى يوماً إليها   وما قاسَيتُ من ألم الغرامِ
فقالت أنت عندى مثلُ عينى   لقد صَدَقت ولكن فى السَّقَامِ

وقد وقع لمؤلفه رحمه الله هذا المعنى فى عروض قصير فقال [من الرمل] :

غالطتنى حينَ قالَتْ   والجوَى يبْدِى العظَاما
أنْتَ عندى مثلُ عينى   صَدَقتْ لكن سقَاما

ووقع له فى هذا النوع أيضاً وهى واقعة حال فقال [من مخلع البسيط] :

طلبت خصماً فلاذ منِّى   بظالم سِفْلَةٍ معاب
وقال ذا فى حِمَى كلَيْبِ   يَصْدُق لكن من الكلابِ

وما أصدق قول ابن حجلة [من الكامل] :

رؤساؤنا مَنْ جاءهم بقَصِيدَةٍ   كانَتْ بجوائزُهُمْ عليها شكْرَهُ

و إذا طَلَبت وظيفةً من حاكمٍ فابشر فقد ولاكَ لكن ظَهْرَهُ

وقوله أيضاً [من الوافر] :

شكَوْتُ إلى الحبيبة سوء حظى وما ألقاهُ من ألم البعادِ
فقالت أنت حظك مثل عينى فقلتُ نعم ولكن فى السوادِ

ولأبى عامر الجرجانى فيه [من المتقارب] :

عذيرىَ من شاطرٍ أغضَبُوهُ فجرَّدَ لى مرهفاً فاتكاً
وقال أنا لك يا ابن الحسين وهَلْ لى رجاءٌ سوى ذلكاَ

ومثله قول صدر الدين بن الوكيل [من الطويل] :

وبى مَنْ قسا قلباً ولان معاطفاً إذا قلت أدنانى يُضاعفُ تبعيدى
أقِرُّ برقٍ إذ أقولُ أنالهُ وكم قالها يوماً ولكن لِتَهديدى

وللسراج الوراق أيضاً [من الكامل] :

قالوا وقد ضاعَتْ جميعُ مَصَالحى لهمومِ دهرى ليْتَ لا حُمِّلْتَها
قد كانَ عندكَ يافلانُ صَرِيمَة فأجبْتُهم بعتُ الحمارَ و بعتُها

وله أيضا رحمه الله [من مجزوء الكامل] :

مُتَمارضٌ جَعَل التغا شى من خَبَائثهِ سبَبْ
و يقولُ ما أنا طَيِّبٌ صَدَقَ اللعينُ وما كَذَبْ

وله أيضا [من السريع] :

وسائلٍ يَسألُ منّى وقد أنشدْتُ شعراً يشبهُ الشعرى
يقول إن كنت لدى مَعْشَرٍ قد عبدوا البيضاء والصُّفْرَا
ما حصلَتْ دائرةٌ بينهم وات نعم بطّيخَةً خَضْرَا

وله أيضا [من المجتث] :

لقنته العذر عن تر ... ك حاجتى لو تصور
فقلت أنسيتها والنسـ ... ـيان أمر مقدر
فقال لست بناس ... فقلت مولاى أخبر

وله أيضا [من البسيط] :

وقائل قال لى لما رأى قلقى ... لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم ... محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وله أيضا [من الكامل] :

قالت جمعت لفاقة كسلا ... فانهض وقم وادأب لهم العائله
فأجبت هل تدرى لهم سببا ... قالت ولا وتدا وهذى الفاصله

ولابن سناء الملك رحمه الله [من السريع] :

لهفى على عشاقك الطرش ... العمى فى عشقك لا العمش
عاشقك القش ولا غرو أن ... تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا ... ما لا يرى قلت على الفرش

ولشمس الدين محمد التلمسانى [من مخلع البسيط] :

اسم حبيبى وما يعانى ... قد شغلا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا ... قالوا كوافى فقلت قلبى

وما أحسن قول بعضهم [من الخفيف] :

قلت للأهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح ... قلت أخشى ياغصن أن يستميلك

ولبعضهم فى معناه وإن لم يكن من هذا الباب [من الوافر] :

تُثَنِّى عِطْفَهُ خَطَرَاتُ دَلٍّ ... إذا لم تَثْنِهِ نَشَوَاتُ رَاحِ
يَميلُ معَ الوُشاةِ وأيُّ غُصْنٍ ... رَطيبٍ لا يميلُ معَ الرِّياحِ

وقد ألم به ابن سناء الملك فقال [من البسيط] :

يا عاطِلَ الجيدِ إلا مِنْ مَحَاسِنِهِ ... عَطَّلْتُ فِيكَ الحَشَى إلا مِن الحَزَنِ
فى سِلْكِ جِسمِى دُرُّ الدمعِ مُنْتَظِمٌ ... فَهَلْ لِجيدِكَ فى عِقْدٍ بِلاَ ثَمَنِ
لا تَخْشَ منى فإنى كالنَّسيمِ ضَنًى ... وَمَا النَّسِيمُ بِمَخْشِيٍّ على الغُصُنِ

وقولُ ابن نباتة هنا غايةٌ ، وهو [من الكامل] :

ومَلُولَةٍ فى الحُبِّ لمَّا أنْ رأت ... أثَرَ السقَام بِعَظْمِىَ المُنْهَاضِ
قالَتْ تغيَّرْتَ فقُلْتُ لهَا نَعَمْ ... أنا بالسَّقَامِ وأنْتَ بالأعْرَاضِ

ولعله من قول السراج الورّاق [من مخلع البسيط] :

قالَ صديقى ولَمْ يَعُدْنى ... وعارِضُ السُّقم فِىَّ أثَّرْ
لَقَدْ تغيرْتَ يا صديقى ... ويَعْلَم اللهُ مَنْ تغيرْ

وما أبدع قول ابن نباتة أيضا [من الطويل] :

أتارِكَةٌ بالحُزْنِ قلبى مُقيداً ... ودَمْعى على الخدَّيْنِ وهو طَليقُ
يقولونَ قَدْ أخلقْتَ جفْنَكَ بالبُكى ... نَعَمْ إنَّ جفْنى بالبكاءِ خَليقُ
دعُوا الدَّمْعَ لِلجَفْنِ القَريحِ مؤاخياً ... فانى فَقَدْتُ الخدَّ وهْوَ شقيقُ

وقوله أيضاً [من السريع] :

مُقبِّلُ الوَجهِ أدارَ الطِّلاَ ... وقالَ لى فى شُرْبِهَا عاتِبِى
عَنْ أحْمَرِ المشْرُوب ماتنتهى ... قلتُ ولا عَنْ أخضَرِ الشاربِ(١)

---

(١) فى الأصل « فقلت ولا عن أخضر الشارب » ولا يستقيم وزن البيت إلا مع حذف الفاء من « فقلت » كما أثبتناه .

ولابن الصائغ أيضا [من السريع]:

عارضني العُذّالُ في عارضٍ قالوا بلُطفٍ بَعْدَ ما أطنبُوا
ما آنَ بالعارض أنْ تَنْتهي قُلْتُ ولا بالشَّيْبِ لا تتعبُوا

وللشهاب محمود [من المتقارب]:

رأتني وقَدْ نالَ مني النحُولُ وفاضَتْ دُمُوعي على الخَدّ فيضا
فقَالت بعَيني هــذَا السّقَامُ فقُلْتُ صدَقْتِ وبالخَصْرِ أيضا

ولمحاسن الشواء، وهو من أحسن ما وقع في هذا النوع [من الطويل]:

ولما أتاني العاذلونَ عَدِمتُهُمْ وما فِيهمُ إلا لِلَحْمِيَ قارضُ
وقَدْ بُهِتُوا لمّا رأوني شاحبـاً وقالوا به عَيْنٌ فقلتُ وعارضُ

ومن هنا أخذ ابن النقيب قوله [من الطويل]:

ومابي سِوَى عينٍ نَظَرَتْ لحُسنِها وذاكَ لجِهلي بالعُيُون وغرّتي
وقالوا بهِ في الحُبِّ عينٌ ونَظْرَةٌ نعمْ صدَقُوا عينُ الحَبيب ونظرتي

وأصله من قول الأول [من الطويل]:

وجاؤا إليهِ بالتَمَاويذِ والرُّقَى وصبُّوا عليهِ الماءَ مِنْ ألم النكس
وقالوا بهِ مِن أعيُن الجنِّ نَظْرَةٌ ولو صدقُوا قالوا بهِ نظرَةُ الانس

ولابن الدويدة المعري من أبيات يخاطب بها من أودع قاضيا مالا فادعى ضياعه فقال [من الكامل]:

إن قالَ قَدْ ضاعَتْ فيصدُقُ أنها ضاعَتْ ولكنْ منكَ يَعني لوْ تعي
أو قالَ قد وقَعَتْ فيصدُقُ أنها وقَعَتْ ولكنْ مِنهُ أحسنَ موقع

ومثله قول على بن فضالة، أو ابن الرومي [من الوافر]:

وإخوَانٍ حسِبتُهُمُ دُرُوعا فكانُوها ولَكِنْ للأعادِي

وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وما ألطف قول السراج الوراق [من الوافر] :

شكى رمداً فقلت عساه كلت لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى فقلت نعم لقتل العاشقينا

وللصلاح الصفدى فى القول بالموجب [من الكامل] :

ولقد أتيت لصاحبى وسألته فى قرض دينار لأمر كانا
فأجابنى والله دارى ما حوت عيناً فقلت له ولا إنسانا

وله أيضا رحمه الله [من السريع] :

وصاحب لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يداً تشكرها قلت ولا راحه

وللنور الاسعردى أيضا [من المتقارب] :

سألت الوزير أتهوى النساء أم المرد جاروا على مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى كذا وكذا قلت من زوجتك

وله عندما عمى فى آخر عمره [من الوافر] :

سألت الله يختم لى بخير فعجله ولكن فى عيونى

وعلى ذكر عماه فما أعذب قوله [من السريع] :

يا سائلى لما رأى حالتى والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ولكننى سمحت بالعينين للأعور

وهو يشبه قول الجمال بن نباتة [من الطويل] :

يقولونَ مَنْ وطْءِ النِّساءِ خفَّ العمى فقُلْتُ دعُوا قَصْدِي فما فيهِ مِنْ شين
إذا كان شفْرُ العين دون محلِّها فعندِي أنا الأشفَارُ خيرٌ مِنَ العين

وقال الصلاح الصفدي [من السريع] :

صدَّقَ خِلِّي نَسَماتِ الصَّبا فيما رَوَت عنكُمْ وما شَكَّا
وقالَ لا أخبرَ مِنْها بما جاءت بهِ قُلتُ ولا أزكَى

وله أيضا رحمه الله [من الوافر] :

بَدَا في الخَدِّ عارِضُهُ فأضحى عليهِ مُعنِّفِي باللَّوْمِ يُغْرِي
وحاوَلَ أن يَرَى مني سُلُوًّا وقالَ لقدْ تعذَّرَ قلتُ صبرِي

وله أيضاً [من السريع] :

تقول صحبي إذ أتى منكم مشرف بالعَتْبُ في شكره
هل يلتقي أكرم من طيبه قلت ولا أطيب من نَشْرِه

وَللنور الاسعردي مماجنا للزين الاسعردي [من الخفيف]:

قلتُ يوماً للزَّيْنِ هَلْ تُثْبِتُ البعثَ وتنفي إنكارَهُمْ لِلْحشْر
قالَ أثْبِت فقُلْتُ ذقنك في استي قال أنفي فقلت في وسطِ جُحْرِي

وهو مأخوذ من قول الآخر [من السريع] :

جاء فلان الدين في وجْهِهِ أنفٌ لهُ كادَ يُوارِيهِ
قلت له : ماذا الفضا؟ قال لي ذَا مَنْخِرِي ، قلت: أنا فيه

ومثله قول الوداعي [من السريع] :

وذي دَلالٍ أحْوَرٍ أغيدٍ أصبحَ في عقدِ الهوَى شَرْطِي
طافَ على القوْم بكاساتِهِ وقالَ ساقي قُلْتُ في وَسطِي

وحذاق البديع أخلوا هذا النوع من لفظة لكن ، وخصوابها نوع الاستدراك ليحصل الفرق بينهما .

ولنذكر طرفا من ترجمة من نُسب البيت إليه

ترجمة ابن حجاج

أما ابن الحجاج فهو(١) أبو عبد الله الحسن بن أحمد البغدادى

قال الثعالبى فى حقه : هو من سحرة الشعراء(٢) وعجائب العصر، وفرد الزمان فى فنه الذى شهر به ، ولم يُسْبَق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه فى نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يريد من المعانى التى تقع فى طَرْزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبة المعانى ، وانتظامها فى سلك الملاحة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مَشُوبة بلغات المحدثين والمولدين(٣) وأهل الشطارة ، لكنه على علاته يتفكه الفضلاء بثمار شعره ، ويستملح الكبراء بينات فكره ، ويستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه(٤) ومنهم من يغلو فى الميل إلى مايضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء [والوزراء] (٥) والرؤساء فلم يخل قصيدة فيهم عن سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام ، مُجَاب إلى مقترحه من الصِّلات الجسام ، والأعمال المجدية التى ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طولَ عمره يعيش فى أكنافهم عيشة راضيةً ، ويستثمر نعمة صافية ضافية(٦)

فمن نظمه قوله يصف نفسه [من الخفيف] :

---

(١) اقرأ هذه الترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٣-٢٥ - ٨٧ مصر)

(٢) فى اليتيمة « سحرة الشعر » وهو أنسب بطريقة الثعالبى المبنية على السجع .

(٣) فى اليتيمة مكان هذه الكلمة « مشوبة بلغات الخلديين والمكديين »

(٤) فى الأصل «وفدغه» وقد أثبتنا لفظ اليتيمة إذ كان هو المنقول عنه

(٥) الزيادة عن اليتيمة .

(٦) وقع فى الأصل « نعمة طافية صافية » وأثبتنا لفظ اليتيمة

حَدَثُ السِّنِّ لم يزَلْ يَتَلَهَّى علمهُ بالمشـايخ العُلمَاءِ
خاطرٌ يصفَعُ الفرَزْدَقَ بالشِّعْرِ ونَحْوٌ ينيكُ أُمَّ الـكسائى

وقوله [من الوافر] :

ترَانى ساكناً حانوتَ عطرٍ فإنأنشدتُ ثار لكَ الـكنيف

وقوله [من مجزوء الكامل] :

شعرى الذِى أصْبَحْتُ فيهِ فضيحةً بَينَ الملاَ
لا يستَجيبُ لخَاطرى إلا إذا دخـل الخَلاَ

ومن ملحه أنه دعا يوماً مغنية ، وكانت قبيحة المنظر ، فلما دارت الـكؤوس تساكرت عليه وتناومت وهوجالس فقال [من مجزوء الرمل] :

خطَتِ البظرَاء لما عَاينتْ مِفتاحَ دبرى[1]
ورَجتْ منى خيراً قُلتُ لا تَرْجينخيرى
اقعُدِى عنى وهذا فافعليهِ معَ غـيرى
أنتِ فى دعوَةِ أُذنى لستِ فى دعوةِ أَيْرى

وحضر يوماً معصَديق له يكنىأبا الحسينفى دار رجلبخيل فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء فقال [من مخلع البسيط] :

يا سيدِى يا أبا الحُسين أنتَ رَفيعٌ بنقطتينِ
يا كَلْبَالضَّرْسلَنْيُدَاوى ضرسُكَ إلا بِـكلبتين[2]

---

(١) فى اليتيمة « حطت البظراء »
(٢) فى اليتيمة « ما يداوى »

ويحكَ قُلْ لى جننتَ حتى تلتمسَ الخبزَ مرَّتين

فى دارِ مَنْ خبزُه عليهِ ألفُ رقيب بألفِ عين

وحضر فى دعوة رجل آخر فأخر الطعام إلى المساء فقال [من مجزوء الكامل]:

ياصاحبَ البَيْتِ الذى ضيفَانُهُ ماتوا جميعاً(١)

حصَّلْتَنَا حتى نمُو ت بدائِنا عطَشاً وَجُوعا

مالى أرى فلكَ الرغيف لديكَ مشترفاً رفيعا

كالبَدْرِ لا نَرْجُو إلى وقتِ المَساء له طُلوعا

وصار صاحب الدعوة يجىء و يذهب فى داره فقال [من السريع]:

يا ذاهباً فى دَاره جائياً لغير ما معنى ولا فائِدَهْ

قد جُنَّ أضيافك من جُوعهم فاقرَأ عليْهم سُورةَ المَائِدَهْ

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية قد كان وليها، فكتب إليه [من الوافر]:

أيامن وجهُهُ قمرٌ منيرٌ يُضىءُ لنا ورَاحتُهُ سحابُ

إذا حَضَرَ الحساب أعدت ذكرى وتنسانى إذا حَضَرَ الشَّرَاب

أجبنى بالقنـــانى والمَثَانى ووجْهِكَ إنهُ نِعْمَ الجوَابُ

وكِلْنِى فى الحسابِ إلى إلهٍ يسائِلُنى إذا وُضعَ الحسابُ

وكان له صديق له ابن يكنى أباجعفر، وكان مشتهراً بالقحاب، فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فكتب إليه [من السريع]:

إياكَ والعفَّةَ إياكا إياكَ أنْ تفسد مَعنَاكا

أنتَ بخيرٍ يا أبا جعْفَرَ مادُمتَ صُلبَ الأيرنَيَّاكا

---

(١) فى اليتيمة « أضيافه ماتوا جميعا »

فنِكْ ولوْ أُمَّكَ واصفَعْ ولو أباكَ إن لامكَ فى ذا كا

وكان الرئيس أبوالفضل والوزير أبو الفرج قد دخلا الديوان لعقوبة أصحاب الوزير المهلبى عقب موته ، وأمرا بأن تلوث ثيـاب الناس بالنفط إن قربوا من الباب ، وكان المهلبى قد فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحُجِبَ وخاف من النفط فانصرفْ وقال [من مخلع البسيط] :

الصفْعُ بالنَّفط فى الثياب مالم يكن قَطُّ فى حسابى(١)

ليْسَ يقُومُ الوُصول عِندى مقَام خيطين مِنْ ثيابى(٢)

يا ربِّ مَنْ كان سَنّ هذا فزده ضِعفًا منَ العَذاب

وكان ابن شيرزاد(٣) قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله، فكتب إليه ابن الحجاج يقول [من مخلع البسيط] :

يامَنْ إلى مَجْدِهِ انقطَاعى ومَنْ به أخصبَتْ رباعى

قد زاد خوفى عليكَ جدا وعظمَ الأمْرُ فى ارتياعى

فى كلّ يَوْم سبع جديدٌ ينفِرُ مِنْ ذكرِهِ استماعى

تَغدُو إليْهِ بلاَ احتشامٍ ولا انقباضٍ ولا امتناع

وليْسَ قتْلُ السباع مِمـا يُدْرك بالْخَتْلِ والخداع

إنَّ صِراعَ السباع عندِى حاشاكَ ضَرْبٌ مِنَ الصُّدَاع(٤)

اعدلْ إلى الكأسِ والنَّدامَى والأكلِ والشربِ والسماعِ

---

(١) فى الأصل « الصفع بالنفط فى الحجاب » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة ، وهو المتجه ، بدليل عجز البيت الثانى .

(٢) فى الأصل « مقام خطين » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

(٣) فى اليتيمة « ابن شيراز » .

(٤) فى الأصل « ضرب من الصراع » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

وأمردٍ جامعٍ لشرطِ الـعناقِ والبـوسِ والجمـاعِ
بلىَ أجِـعْ لى السباعَ واطْرَحْ خَصْمِيَ فى بركة السِّباعِ

وقلده لوزير ناحيةً ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتابُ الصَّرف يوم الأحد ، فكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

يَا مَنْ إذا نظرَ الهلاَ لُ إلى محاسنهِ سجدْ
وإذا رَأتهُ الشمسُ كاَ دَتْ أن تموتَ منَ الحسدْ
يَوْمَ الخميس بعثتـنىِ وصرَفتنى يومَ الأحَـدْ
فالنـاسُ قدْ غنَّـوْا علىّ كما رَجعْتُ إلى البـلدْ
ما قاَمَ عمـرٌو فى الولاَ يةِ ساعـةً حـتى قعدْ

ومن شعره فى بواب أعور حجبه عن رئيس [من السريع] :

سمعتُ فيمن ماتَ أو من بقى بمقبـلٍ بوّابُهُ أعـورُ
وَاللوزَةُ المُرّة يا سيدى يفسدُ فى الطعمِ بها السكرُ

ومنه أيضاً [من البسيط] :

إنى ابتليتُ بأقوامٍ موَاعـدُهمْ تزيدُ فوقَ الذى ألقاه منْ محَنِ
ومَنْ يذُقْ لسعة الأفعى وإن سلمتْ منها حَشاشتهُ يفزَعْ منَ الرّسنِ (١)

وقال [من السريع] :

فقرٌ وذلٌ وخمولٌ معاً أحسنتَ يا جامعَ سفيانِ (٢)

---

(١) فى هذا المعنى تقول العامة من أهل مصر « الذى تلدغه الحية يخاف من الحبل »

(٢) جامع سفيان : يضرب مثلا للشىء الجامع لكل شىء ، ومثله سفينة نوح ؛ وقبل البيت الذي رواه المؤلف قوله :

والله قولوا لي ولا تغضبوا لست من الحق بغضبان

وكتب إلى أبي أحمد بن نُوابة ، وقد شرب دواء مسهلا [من الخفيف] :

يَا أَبَا أَحمدٍ بِنفسيَ أَفْدِيـــكَ وأهلي منْ سائرِ الأَسْواءِ
كيفَ كان انحطاط جعسك في طا عةِ شربِ الدواءِ يَوْمَ الدواءِ
كيفَ أمسى مسَالُ مبعَرِكِ النذْ لِ خضيباً بالمِرَّة الصفراءِ (١)
يَا أبَا أحمدٍ وَنصحكَ عندِى واجبٌ للأخاء فاحفظْ إخائى (٢)
رُبَّ ريحٍ يومَ الدواءِ دبورٍ شوَّشتْ فى عصاعصِ الأغنياءِ
قدَّروها فساً وقد كَنَ الجعـــسُ لهُمْ فى مهبِّ ذاكَ الفُساءِ
فاذَا الفرشُ فى خليج سُلاحٍ ذائبٍ فى قوامِ جسمِ الماء
فاتقِ الله أن تغرَّكَ ريحٌ عَصفَتْ فى جوانب الأحشاء
لاَ تنفس خناقَ سرمكَ عنها أوْ تخلى سَبيلهُ فى الخلاَءِ
والغداَء الغداء فاحذرْ بأن تفـــسو فوقَ الفراش بعدَ الغدَاءِ
احْترِسْ إنها نصيحة كهلٍ حَنَّكتهُ تجاربُ الآراءِ
غيرَ أنى أصبحت أضْيَعَ فى القوْ مِ من البدرِ فى ليالى الشتاءِ

وقال يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادَّعَى عنده أنه هجاه ، وأبو الفضل يومئذ بشيراز ، وابن الحجاج ببغداد ، من السريع] :

يَا سامعَ الزور وَبهتانهِ وَدَافعَ الحَق وَبرهانهِ
عجبتُ من رَأيكَ فىَّ الذى أنكرَنى منْ بعدِ عِرْفَانهِ

(١) فى اليتيمة « سبال مبعرك » وفيه « فى المرة الصفراء »
(٢) فى اليتيمة « واجب فى الاخاء »

13

فكيف تخشى ذمَّ مَنْ مَدْحه ... فيكَ يُرَى أوَّلَ ديوانهِ

وَمَنْ لهُ فى شعرهِ مذهبٌ ... ذكرُكَ منهُ نَوْرُ بستانهِ

تمضى ليَاليهِ وَأيامهُ ... وَسرُّهُ فيكَ كاعلانهِ

ولستُ بالساكن فى منزلٍ ... ينبو ولوْ يوْماً بسكانهِ

ولاَ الذى يرهبُ فى الحق منْ ... سلطان ذى عز لسلطانهِ

قلْ للذى جهزَ فى السعى بى ... تجارةً عادَتْ بخسرانهِ

ياذَا الذى لابدّ من صفعهِ ... ألفاً وَمنْ تعْريكِ آذانهِ

لا تغتررْ أنكَ من فارسٍ ... فى معدن الملك وأوطانهِ

لوْحدّثتْ كسرى بذا نفسهُ ... صفعتهُ فى جوفِ إيوانهِ(١)

وَقال يهجو بخيلا [من المتقارب]:

وذى همةٍ فى حضيض الكنيف ... وقرنين فى فلك المشترِى

دَخلتُ عليهِ انتصافَ النهارِ ... علىَ غفلةٍ حينَ لم يشعر

وَبيْنَ يدَيهِ رغيفانِ معْ ... سكرجةٍ كان فيها مرى

فلما قعَدْتُ فساَ فسوةً ... فلم تخْطُ عصفتها منخرِى

وأقبلَ يضرُطُ فى إثْرِهَا ... فقلتُ أقومُ، وإلاَّ خرِى

وقريب منه قول الآخر [من المتقارب]:

تغيرَ إذ جئتهُ للسلامِ ... وأرْعدَ لما رَآنى دخلتُ

فقلتُ لهُ لا يرعكَ الدُّخولُ ... فما جئتُ واللهِ حتى أكلتُ

وقال فى صديق عاتبه على هفوة فاستدركها بشرّ منها [من مجزوء الخفيف]:

لى صديقٌ جنىَ علىّ مراراً فأكثرَا

(١) فى الأصل « فى جوف ديوانه » محرفا عما أثبتناه

ثمّ لمـا عتبتـهُ غسلَ البولَ بالخرا

وقال فى إنسان مات بالقولنج [من مجزوء الرجز] :

يا أيها الثاوى الذى أفلحَ لو كانَ خَرَا
لمثل ذا اليـوْمِ يُقاَ لُ من خرَى فقد برَا

ومن مجونه الحسن أيضا قوله [من السريع] :

قالتْ وقد قلت اعبثى لى بهِ يوماً وقد قامت وقد ناماَ
لو كانَ إسرافيلُ فى راحتى ينفخُ فى أيركَ ما قاماَ

ومثله قوله أيضاً فى المجون [من البسيط] :

تقولُ لى وَهْىَ غضبى من تدللها وقد دعتنى لشىء رُبما كانا
إن لم تنكنى نيكَ المرء زوجتهُ فلا تلمنى إذا أصبحْتَ قَرنانا
كأنّ أيركَ شمعٌ فى رَخاوتهِ فكلما عرَكْتهُ رَاحتى لانا

وقد تبعه السراج الوراق ، فقال [من مجزوء الكامل] :

طوَتِ الزيارةَ إذ رَأتْ عصرَ المشيب طوَى الزيارهْ
ثمّ انثنتْ لمـا انثنىَ بعدَ الصـلابة كالحجارهْ
وَبقيتُ أهرَبُ وَهىَ تسـألُ جارَةً من بعـد جارهْ
وتقولُ يا ستى استرَحــنا لاَ سراجَ وَلاَ منارَهْ

وقال أيضا [من المتقارب] :

إذَا يئسَ المرءُ من أيرهِ رَأت عِرْسُهُ اليأس من خيرهِ
ومنْ كانَ فى سنهِ طاعناً فقد عدمَ الطعنَ فى غيرهِ

وَقال أيضا [من المجتث] :

ياقومِ عالجتُ أيرى بالحشوِ لما تـكعكْ

ولمْ يصحّ ودادِي منْ غادةٍ مذْ توعّكْ

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

قامَ ، فلما دنوْتُ منهَا نامَ وما مثلُ ذاكَ خجلهْ

وكلّ كفى لفرطِ جذْبِي لهُ وَما للجبانِ حملهْ

وَأصبعى لاَ تزالُ جنباً لهُ وَلاَ هِمّة اسِفْلهْ

فزَحزَحتْ وانثنتْ وقالتْ قومُوا انظرُوا عاشقاً بوصلهْ

فقلتُ هذَا لفرطِ حبي قالت دع الترّهاتِ باللهْ

قلتُ أقيمُ الدليلَ قالتْ لو قامَ ما احتجتَ الأدلّهْ

وقال الشهاب ابن جلنك [من الوافر] :

وعلقٍ منْ بنى الأتراكِ ألمىَ لهُ عينانِ وُكِلْتَا بهتكِي

ظَفِرْتُ بِهِ عَلَى رَغْمِ اللّيَالى فلَمْ يدْخُلُوا كثرَ فى التشكّي

يَقولُ عميرةُ ادفعنى عليهِ ولاَ تجزعْ وهانَ علىّ صكّى

فلم أدفعْ عليهِ فظَلّ أيرِى يُقبلُ باب مفسَاهُ وَيبكى

وقال آخر [من السريع] :

وَرُبّ علقٍ قال لى مرّةً يريدُ توبيخى عَلى ظنهِ

أيركَ هذاماتَ قلتُ انحنى كرَامةُ الميت فى دفنهِ

وعكس ذلك ملغزاً فيه [من السريع] :

وصاحبٍ مازلتُ دهْرِى لهُ بكلّ مليحٍ أتمناهُ

يعجبنى الشىء فأختارُهُ لهُ بجهدِ علمَ اللهُ

إن ماتَ لاَ يمكننى دفنهُ . وإنْ يعشْ يوماً دفنّاهُ

وقال الصلاح الصفدى مضمناً [من الخفيف] :

لىَ أيرٌ ينامُ لؤماً وشؤماً إنْ أنا نلتُ من حبيبٍ وصالاَ

وإذا ماغدوتُ في البيتِ فرداً طلبَ الطعنَ وحدهُ والنزالا

وللسراج الوراق مضمنا أيضا [من الكامل] :

عهدى بأيرِى وهو فيه تيقظ كم قام منتصباً إذا نبهتهُ
والآن كالطفل الصغير بمهدهِ يزدادُ نوماً كلما حركتهُ

وقال غيره أيضا [من الطويل] :

تعقفَ فوقَ الخصيتين كأنهُ رِشاءٌ على رأس الركيّةِ ملتفُّ
كفرخٍ لهُ يومانِ يرفعُ رأسهُ إلى أبويه ثم يسقطهُ الضعفُ

ولنرجع إلى شعر ابن الحجاج ، ومنه وهو من هذه المادة [من الكامل] :

أسفى عليهِ ممدّداً فوْقَ الخصى شبهُ العليل فديتهُ من نائمِ
طمعُ الغوانى فى انتظارِ قيامهِ طمعُ الروافض فى انتظار القائمِ

وقال وهو فى غاية الحكمة [من السريع] :

لما رأتهُ قائماً صفقتْ كذلكَ الناسُ معَ القائمِ

وقال من قصيدة ، وقد راوده بعض الوزراء على الخروج للقتال ، [من المنسرح] :

أهوَى انحدارى والحزمُ يكرههُ وتاركُ الحزم يركبُ الغررَا
لأننى عاقلٌ ويعجبنى لزُومُ بيتى وأكرهُ السفرَا
الخيْشُ نصفَ النهار يعجبنى والماءُ فى الكوز بارداً خصرَا (١)
والشربُ فى روشنى أقولُ بهِ كما أرَى الشمس منهُ والقمرَا (٢)

---

(١) فى اليتيمة « والخيش وسط النهار » وهو تحريف عما هنا ، وفيه فى عجز البيت * والماء بالثلج باردا خصرا *

(٢) فى اليتيمة « كما أرى الماء منه والقمرا »

ولاَ أقودُ الخيلَ المتاقَ ، بلَى أسوقُ وسطَ الأزقة البقرَا

منْ كلِّ جاموسةٍ يقبلها رأسٌ بقرْنيهِ يفلقُ الحَجرَا(١)

قدْ نفخ الشحمُ بطنَها فغدَا كأنهُ بطنُ ناقةٍ عُشَرَا(٢)

أحسنُ فى الحربِ من صفوفكمُ عندى قعودى أصَفِّفُ الطُّرَرَا(٣)

هيهاتَ أن أحضر القتال وأنْ ترى بعينيك فيه لى أثرَا

بل الذي لا يزالُ يعجبنى الـدّبيبُ فى الليل خائفا حذرَا

آتى إلى تلك وهى نائمةٌ وذا إلى ذاك بعد ما سكرا

وضجةُ النيك كلما ضرطتْ وَاحدةٌ تحت واحدٍ نَخَرَا

وقولُ بَعضِ المميزينِ وَقدْ شمّ فسانا بأنفهِ سَحرَا(٤)

فى جعس هذا فطوره وَأرى أنَّ خرا ذاك بعد ما اختمرا .

الدّفُّ يومَ الصبوحِ يعجبنى والبوقُ والنّايُ كلما زَمَرَا(٥)

وَحربتى كلمَا رَميتُ بهاَ مقتلَ سُرْمٍ خَضبتها بخرَا(٦)

هذا اعتقادى وهكذا أبدا أرَى لنفسى فأنتَ كيفَ تَرَى

(١) فى اليتيمة « من كل جاموسة لعنبلها » والعنبل ـ بضم العين والباء ـ البظر

(٢) فى اليتيمة « قد نفخ الشحم جوفها فغدا »

(٣) فى اليتيمة « غدا قعودى أصفف الطررا »

(٤) فى الأصل « خبّ فسانا » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة

(٥) روى هذا البيت فى اليتيمة هكذا :

الدف يوم الصبوح دبدبتى . وبوقى النـاى كلما زمرا

(٦) روى هذا البيت فى اليتيمة هكذا :

وخريتى كلما رميت بهـا مقتـل ذقن خضبتها بخرا

ومن شعره أيضا قوله [من السريع] :

قدْ وقع الصلحُ على غلمتى ۞ فاقتسَموهُ كارةً كارَهْ

لاَ يدبرُ البقالُ إلا إذا ۞ تصالحَ السّنَّوْرُ والفاره

وهذا مثل للعوامّ يقولون : فى مصالحة السنور والفار خراب بيت العطار ،
وقال من أخرى [من السريع] :

فُديتَ لِى يا سيدى وَحدِى ۞ وعشت ألفى سنةٍ بعدى

قد رحل النرجس فاشرب على ۞ محاسن المنثور وَالورد

من لى بها عندك مشمولةً ۞ قد أصبحَتْ معدومةً عندى

يمزجها لى رشأ أُغيدٌ ۞ بريقهِ أحلىَ منَ الشهدِ

نهاية الحرّ مجسّ آسته ۞ وَريقـهُ فى غاية البرْدِ

جنىَ منَ البستان لى وَرْدَةً ۞ أحسَن من إنجازِهِ وَعدى

فقال والوردة فى كفهِ ۞ مع قدحٍ أذكى من الندّ

اشْرَبْ هنيئاً لكَ يا عاشقى ۞ ريقى من كفى على خدّى

وقال أيضا [من الوافر] :

فتاةٌ ما عرفنا قطّ منها ۞ بحمد الله إلا كلّ خير

فما تهوى سوى آيار شهراً ۞ وليس إمامها غير الزبير

وقال من أخرى [من مخلع البسيط] :

صبيـةٌ بَظْرُها بجنبى ۞ يبيت مثل الصبى المخضّبْ

مفعول باب استها بأير الفـ ۞ ـاعل فوق الفراش يُنْصبْ

وُسرْمُها أمس كان غراً ۞ لم يتفقهْ ولاَ تأدّبْ

فاليوم قد صار منذ قاسى ۞ أيورَ أهل الزنى وَجرّبْ

إذا رأى الأير من بعيدٍ ۞ بوّق فى وجهه وَدَبْدبْ

وديوان شعره كبير جدا ، وفيما أوردناه منه مقنع ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأخيرة عام إحدى وتسعين وثلاثمائة ، بالنيل، وهو نهر وبلد معروف بأرض العراق مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة حفره الحجاج ابن يوسف وسماه باسم نيل مصر ، ثم حمل ابن الحجاج إلى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر الصادق ، وأوصى بأن يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكان من كبار الشيعة المغالين فى حب أهل البيت .

قال أبو الفضل بن الخازن رأيت أبا عبدالله بن حجاج فى المنام بعد موته فسألته عن حاله فأنشدنى [من مشطور الرجز] :

أفْسَدَ حُسْن مذهبى فى الشعرِ سوء المذهَبِ
وحملِىَ الجِدَّ على ظَهْرِ حصانِ اللَّعِبِ
لم يرْض مولاىَ على سبِّى لأصحابِ النبي
وقال لى ويْلَكَ يا أحمــق لِمْ لمْ تَتُبِ
مِنْ سبِّ قومٍ مَنْ رجا ولاءهم لم يَخِـبِ
رُمْتَ الرِّضا جهلاً بما أصــلاكَ نارَ اللهــبِ

قال هبة الله بن الدباس : أنشدنا ابن الخازن هذه الأبيات بمحضر جماعة من أهل الأدب ، فقالوا : والله إنها لنفَس ابن حجاج ، وكتبوها عنه .

ولما مات رثاه الشريف الرضى الموسوى بقصيدة منها [من المتقارب] :

نَعَوْهُ على حُسْنِ ظنى به فلله ماذا نَعَى النَّــاعيــانِ
رضيعُ ولاء له شُعبةٌ من القلبِ مثلُ رضيعِ اللبانِ

وما كنتُ أحسَبُ أن الزمانَ ... يَفلُّ مضاربَ ذاك اللسانِ(١)

بكيتُكَ للشُّردِ السائرا ... تِ تعنق ألفاظها بالمعانى

ليَبْكِ الزمانُ طويلاً عليكَ ... فقد كنتَ خِفّةَ روحِ الزمانِ

ترجمة محمد ابن ابراهيم الأسدى

وأما محمد بن إبراهيم الأسدي فقد ذكره العماد الكاتب فقال: هو من أهل مكة، لقى أبا الحسن التهامى فى صباه، ومولده بمكة المشرفة، ومنشأه بالحجاز وتوجه إلى العراق، وخدم الوزير أبا القاسم المغربى، ثم بلغ خراسان وعُمِّرَ إلى أن بلغ حد المائة، ولقى القرن بعد القرن والفئة بعد الفئة، وتوفى بغزنة سنة خمسمائة، ومن شعره [من الطويل]:

كفى حزَناً أنى خدَمتكَ برْهةً ... وأنفقتُ فى مَدْحيكَ شَرْخَ شبابى

فلم يُرَ لى شكرٌ بغير شكايةٍ ... ولم يُرَ لى مدحٌ بغير عتابِ

***

شاهد الاطراد

١٦٠ — إن يَقْتُلوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ ... بعُتَيْبَةَ بْنِ الحارثِ بنِ شِهَابِ

البيت من الكامل، وهو لربيعة من بنى نصر بن قُعَين يرثى ذؤاباً ابنه، ويقال: قائله داود بن ربيعة الأسدى، وبعد البيت:

بأحبِّهِمْ فقداً إلى أعدائِهِ ... وأشدِّهم فقداً على الأصْحَابِ

والثَّلُّ: الهدم، يقال: ثل الله عروشهم، أى هدم ملكهم، ويقال للقوم إذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم: قد ثُلَّ عرشهم، والمعنى: إن تبجحوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت فى عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث، وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة.

---

(١) فى الأصل «يغل مضارب ذاك اللسان» محرفا عما أثبتناه.

والشاهد فيه : الاطراد ، وهو أن يأتى الشاعر باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم »

من أمثلة الاطراد

ومن شواهده الشعرية قول دريد بن الصِّمَّة يرثى أخاه عبد الله [من الطويل] :

قتلنا بعبد الله خيرَ لِداتِهِ ذؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب

يروى أن سبرة بن عياض الجُشَمى أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد التى منها هذا البيت ، فلما وصل إليه قال : كاد يبلغ به آدم ، ولما وصل إلى قوله منها :

ولولا سَوَادُ الليل أدركَ رَهْطَنَا بذى الرمث والأرْطَى عياضَ بن ناشب

قال عبد الملك : ليت الليل أمهله ساعة ، أو قال : وددت أنه كان بقى عليه فُوَاق من النهار

ومنه قول الأعشى [من الطويل] :

أقيْسُ بن مسعود بن قيس بن خالدٍ وأنت امرؤٌ ترْجو بقاءَكَ وائلُ

وقول الحارث بن دوس الايادى [من الرمل] :

وشبابٍ حَسَنٍ أوجُهُهم من إياد بن نزار بن مَعَدّ

وقول أبى تمام الطائى [من السريع] :

مناسبٌ تحسَبُ من سَرْدها منازلاً للقمر الطالعِ

كالدلو والحوت وأشْرَاطِهِ والبطن والنجم إلى التابعِ

نوح بن عمرو بن حوى بن عمرو بن حوى بن الفتى المانعِ

فأتى بستة وقابلها بستة لولا أنه نغص بذكر الفتى فى سادس جد، ولم يرد فتى السن ، وإنما أراد الفتوة ، ولكنه موهم . والتالع : الدبران ، كأنه تلع جيده : أى مده ، وقوله أيضا وهو ظاهر التكلف الذى يأباه الاطراد [من الكامل] :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سمكهم لا يفهم

وقال الآخر [من الخفيف] :

من يكُنْ رَامَ حاجةً بعُدَتْ عنـــهُ وأعْيَتْ عليه كلَّ العياءِ

فَلها أحمد المرجّى بن يحيى بـــن معاذ بن مسلم بن رجاء

وقال ابن دريد وجمع ثمانية أسماء فى بيت واحد [من الطويل] :

فنِعْمَ أخو الجلى ومستنبطُ النَّدَا ومَلجأ محزونٍ ومَفْزَعُ لاهثٍ

عياذ بن عمرو بن الحُلَيْس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارثِ

وقول بعضهم فى تهنئة الصاحب بن عباد [من الكامل] :

تَهْنِى ابنَ عبادِ بن عباس بن عبـــد الله نُعْمَى بالكرامةِ تَرْدفُ

وقول الأديب يعقوب بن أحمد النيسابورى فى السيد أبى القاسم على بن موسى الموسوى [من الطويل]:

يقولون لى هل للمكارم والعُلاَ قِوَامٌ ففيه لو علمت دَوامُهَا

فقلت لهم والصدق خُلْقٌ أَلِفْتُهُ علىُّ بن موسى الموسوِىُّ قوامُهَا

وقوله فيه أيضاً [من المتقارب] :

يقولُ صديقى ألا دُلَّنى على برْمَكِ الجودِ أو حاتمِ

فقلت وأقْسمت : ربُّ العلا على بن موسى أبو القاسمِ

وقول الباخرزى من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الحسين بن طلحة [من المتقارب] :

أبا الحسَنِ السيد الأريحىَّ محمد بن الحسين بن طلحهْ

وقول أمية فى القاضى منصور بن محمد الأزدى [من الكامل] :

قالت تُفَتِّشُ عن أولى المجـدِ مَنْ فى الأنامِ لطالبِ الرِّفْدِ

فأجبْتُ قاضينا وسيّدنا منْصور بن محمد الأزدى

وقول الأديب أبي الحكم مالك بن المرحل يمدح الفقيه الفاضل أبا عبد الله ابن يربوع [من البسيط] :

صحبتُ فى عمرنا ناساً أولى حَسَبٍ حازوا الثناء بموْروثٍ ومَطْبوع (١)

فلم أجد فاضلا فيما صحبت سوى محمد بن أبى العيش بن يربوعِ

وقول ابن باتلين من أبيات [من الكامل] :

لاموا على ظمئى إليك فما دَرَوْا فى ماء خدّكَ ما حلاوةُ موردِى

طوراً أُحيى بالأقاحِ وتارةً فى الخدّ بالرّيحان والوردِ النّدى

وجهٌ كما سَفَرَ الصباحُ وحولهُ حسنى بقايا جِنحِ ليلٍ أسودِ

وكأنما خَافَ العيونَ فألبستْ وجناتهُ زرداً مخافةَ معتدِى

أنّى يخاف من استجار محبةً بمحمد بن على بن محمد

وقول السراج الوراق فى ولد هذا الممدوح، وهو أكمل مما قبله [من الكامل]:

فله الجمالُ غدا بغير منازعٍ ولىَ الجوَى فيه بغير قسيمِ

وكذا العلاَ لمحمد بن محمد بن على بن محمد بن سليمِ

وقول ابن أبى الأصبع [من البسيط] :

أجلُّ مَلْكٍ إلى العَلْيَاء منسوب محمد بن أبى بكر بن أيوب

ولمؤلفه فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم [من مجزوء الرجز] :

فاق بجميعَ الأقرانْ وساد كلَّ الأعيانْ

ولم يفتهُ فضلٌ بل زادفوق الاحسان

---

(١) فى الأصل « صحبت فى عمرى » ولا يستقيم به وزن البيت

أبو البقا يحيى بـــن شاكر بن الجيعانْ (١)

ومنه ما كتبه مجد الدين بن الظهير الحنفى على إجازة [من مجزوء الرجز]

أجازَ ما قد سألوا بشَرْطِ أهل السَّنَدِ
محمد بن أحمد بـــن عمرو بن أحمد

ولأبى جعفر الأندلسى فى مثله أيضاً [من الرجز] :

أذنت أن يَرْوُوا جميعَ ما به حدَّثنى كلُّ إمامٍ سالكِ
يقول ذا متبعاً لشَرْطِهِ أحمد بن يوسف بن مالك

ومن البديع فيه قول ابن معايا الشاعر يمدح الخليفة بالأندلس إدريس بن حمود من أبيات [من الرمل] :

وكأن الشمسَ لما أشْرَقَتْ فانثنت عنها عيونُ الناظرِين
وجه إدريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وكان وهو فى حالة الانشاد وراء الحجاب على عادة خلفائهم فى ذلك ، فلما بلغ إلى قوله :

انظرونا نقتبس من نوركم إنهُ من نورِ رَبِّ العالمين

أمر برفع الحجاب حتى نظر إليه .

ومن المجون فيه قول ابن مهدى الكسروى فى ضرطة وهب بن سليمان [من مجزوء الرمل] :

إن وهب بن سليما ن بن وهب بن سعيد
حمل الضَّرْطَةَ للرَّىِّ على ظهرِ البريدِ
فى مهماتِ أمورٍ منهُ بالركض الشديد

---

(١) فى الأصل « أبو البقاء بن يحيي بن شاكر » ولا يستقيم معه وزن البيت .

استهُ تَنطقُ يوم الجحفـل بالأمر الرشيدِ
لم يُجِدْ فى القول فاحتا ج إلى دُبْرٍ مُجيدِ

وضرطة وهب هذا ذاع أمرها، وشاع ذكرها، وأكثر شعراء عصره من النظم فيها بما الاعراض عن ذكره أليق، والاضراب عن نشره أنسب . ذكر على ابن يحيى قال : ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب ، ولا أحسن أدبا، خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغاء فقال : هات الآن حدثنى ياأباالحسن بعجائبكم ، وما أظنك تحدثنى بأعجب من خبر ضرطة وهب بحضرة القاضى ، وما سير من خبرها ، وما قيل فيها ، ومن العجائب أنها بشهادة القاضى فليس يزيلها الانكار ، وجعل يضحك ، وسليمان بن وهب هذا تنقلت به الأحوال إلى أن استوزره المهتدى ، ثم قبض عليه الموفق أخو المعتمد ، وعلى ابنه عبيد الله بعد أن استكتبهما، فنكبهما ، ومات سليمان فى محبسه ، ورثاه الشعراء بمراث كثيرة ، والله أعلم .

* * *

١٦١ — ما ماتَ مِنْ كَرَمِ الزمانِ فإنهُ يحيا لدى يحيى بن عبد اللهِ

شاهد الجناس للستوفى

البيت لأبى تمام من قصيدة من الكامل [١] يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أولها :

إحدَى بنى عمرو بْنِ عبد مَنَاهِ بين الكَثِيبِ الفَرْد فالأمْواهِ
ألقى النَّصيفَ فأنتِ خاذلةُ الهوى أُمنيةُ الخالى ولهوُ اللاهى [٢]

---

(١) اقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤١ بيروت) وانظر نقدا لصدر المطلع وعجز البيت السادس فى الموازنة للآمدى (٣٤ بتحقيقنا)

(٢) فى الديوان « فأنت خاذلة المها »

رَيًّا يعارضُ خَصْرُها أَرْدافَهَا وتطيبُ نكهتُهَا بلا استنكاهِ [١]
عَرَضَتْ لنا يومَ اللوَى فى خُرَّدٍ كالسِّرْبِ حُوَّلِيَّ وُلْمسِ شفاهِ [٢]
بِيضٌ يلوحُ الحسن فى وجناتها والملحُ بين نظائرٍ أشباهِ [٣]
لم تجتمع أمثـالها فى موطنٍ لولا صفاتٌ فى كتاب الباهِ [٤]
ومفنِّدٍ لوَّامة نَهْنَهْتُهُ عن مُفْلِظٍ لعدُوِّهِ نَجَّاهِ [٥]
ومؤنب لى كى أفيق وإننى لأصم عن ياه وعن بهياه [٦]
دعنى أقم أَوَدَ الشباب بوصلها إن السِّفاه بها لغـير سَفاهِ [٧]
فاذا انقضت أيام تشييع الصبا أظهرت توبة خاشعٍ أواهِ
ومعاودٍ للبيد لا يهفُو به هافٍ ولا يزهاه فيها زاه
مُهْدٍ لألطَافِ الثّنَاء إلى فتىً كالبدرِ لا صَلِفٍ ولا تيّاهِ
لأبى الغريب غرائباً من مدحتى فى غير تعقيدٍ ولا استكراه [٨]

---

(١) فى الديوان « ريا يجاذب خصرها أردافها » وفيه «على استنكاه»
(٢) فى الديوان «عرضت لنا يوم الحمي »
(٣) فى الديوان « بيض يجول الحسن »
(٤) فى الأصل « لولا صفات فى الـكتاب الناهي » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان ، وفى الموازنة (ص ٢٤ بتحقيقنا)
(٥) فى الأصل « عن ملفظ » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان . والمفند : المخطيء . ونهنهته : زجرته أو كففته ، والنجاه : الذى يستقبل الناس بما يكرهون ، وهو من صفات المفند
(٦) فى الديوان « ومؤيه بى كى أفيق » والمؤيه : المنادى .
(٧) فى الأصل « إن الشفاه بها لغير شفاه » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان .
(٨) فى الديوان « لأبى الغريب غرائبا من مدحه »

و بعده البيت ، و بعده :

كالسيف ليس بزُمَّلٍ شِهْدارةٍ يوماً ولا بِغَضُبَّةٍ جَبَّاهِ (١)

وهى طويلة ، والزمل — بضم الزاى وتشديد الميم — الجبان الضعيف ، والشهدارة — بالكسر — الفاحش والنمام المفسد بين الناس والقصير والغليظ .

والشاهد فيه : الجناس المستوفى، وهو: أن يكون اللفظان المتفقان من نوعين كاسم وفعل .

ومن الشواهد الشعرية عليه قول محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدى الكوفى وهو ابن أخت إبراهيم بن أدهم رحمهما الله [من الطويل] :

وسميته يحيي ليحيا فلم يكن إلى رَدِّ أمر الله فيه سبيل
تفاءلت لو يغني التفاؤل باسمه وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى [من البسيط] :

للسودِ فى السود آثار تَركْنَ بها وَقعاً منَ البيض يثنى أعين البيضِ

وقول أبى الفتح البستى فى السلطان عين الدولة [من الوافر] :

بسيف الدولةِ اتسقتْ أمورٌ رَأيناها مبدَّدةَ النظامِ
سَمَا وحَمَى بنى سامٍ وحامٍ فَليسَ كمثلهِ سامٍ وحامِ

وقوله أيضا [من السريع] :

قلت لطَرْف الطبع لماونَى ولم يطع أمرى ولا زَجرِى
مالكَ لاتجرى وأنت الذى تجرى مدى العلياء إذ تجرى
فقالَ لى دَعنى ولا تؤذنى إلى متىَ أجرى بلاَ أجرِ

(١) فى الأصل « ولا معضو بة جباه » وقد أثبتنا مافى الديوان . والعضبة : كثير العضب ، والجباه : الذى يلقى الناس بما يكرهون .

وقول على بن أحمد الحليمى البديهى الملقب بنقيب الشعراء من أبيات وهى [من البسيط] :

فعاطنى قهوةً صهباء صافيةً ... بها تطايرَ عنْ قلبى الجوَى شفقا

منْ كفّ ساقٍ إذا ماجاءنا فَسقَى ... دَعا إلى حبّهِ أهواءَ مَنْ فَسَقَا

وقول الغزى أيضاً [من البسيط] :

لمْ نلقَ غيرَكَ إنساناً نلوذُ بهِ ... فلا برحْتَ لعينِ الدَّهر إنْسانا

وقول الصفى الحلى فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الناصر حسنا وهو [من الكامل] :

أسْبَلْنَ منْ فوْقِ النُّهودِ ذوائِبَا ... فتركْنَ حبَّات القلُوبِ ذوائِبا

ومثله قول الامام أبى الحسن نصر المرغينانى [من الطويل] :

ذوائبُ سودٌ كالعناقيدِ أسبلتْ ... فمنْ أجلها منّا النُّفوسُ ذوائبُ

وقول ابن نباتة فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الأفضل صاحب حماة [من الكامل] :

مابتُّ فيكِ بدمعِ عينى أشرَقُ ... إلاّ وأنتِ منَ الغزَالةِ أشرَقُ

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فى مطلع قصيدة مهنئا بالشفاء لمن ألف هذا الكتاب باسمه الكريم [من الكامل] :

بدْرُ الهنا بشفاء ذَاتكَ أشرَقا ... وأغصَّ مَنْ يَجفُو علاكَ وأشرَقا

وما ألطف قول بعضهم [من المجتث] :

القلْبُ منِّىَ صَبٌّ ... والدَّمعُ منِّىَ صَبٌّ

وقد أخذه ابن نباتة وحصر المعنيين فى ركن واحد فقال [من الكامل] :

دَمعى عليكَ مُجانسٌ قلبى ... فانظرْ على الحالينِ فى الصَّبِّ

ومثله قول مجير الدولة بن عبد الظاهر ملنزافى كوز [من مجزوء الوافر] :

وذِى أُذُنٍ بِلا سَمْعٍ   لهُ قلْبٌ بِلا قلْبِ
إذَا استولَى على صبٍّ   فقلْ ما شئْتَ فى الصَّبِّ

وما أحسن قول ابن شرف [من مجزوء الرجز] :

يا ناوِياً فى معشرٍ   قد اصطلى بنارِهِمْ
إنْ تبْكِ منْ شِرارهِمْ   على يدَىْ شِرارهِمْ
أو تُرْمَ منْ أحجارهِمْ   وأنت فى أحجارهِمْ
فما بقيتَ جارَهمْ   ففى هواهُمْ جارِهِمْ
وأرْضِهمْ فى أرْضهمْ   ودارِهِمْ فى دارِهِمْ

وقول ابن فضالة المجاشعى القيروانى ، وقيل : ابن شرف [من السريع] :

إنْ تُلقكَ الغُرْبةُ فى معشرٍ   قدْ أجمعوا فيكَ على بغضهمْ
فدارِهِمْ ما دُمتَ فى دارِهِمْ   وأرْضِهِمْ مادُمتَ فى أرْضِهمْ

* * *

شاهد جناس التركيب

١٦٢ — إذَا مَلِكٌ لمْ يكُنْ ذَا هِبهْ   فدَعْهُ فدَوْلتهُ ذَاهِبهْ

البيت لأبى الفتح البستى، من المتقارب .

والشاهد فيه: جناس التركيب، وهو : المتفق لفظاً وخطا .

وما أحسن قول الشاعر فيه [من مجزوء الرمل] :

عضَّنا الدهرُ بِنابهْ   ليْتَ ما حلَّ بِنابهْ

وقول شمسويه المصرى فى غلام يبيع الفرانى [من الخفيف]

قلتُ للقلبِ مادَهاكَ أجِبنى   قال لى بائعُ الفرَانِى فرَانِى

ناظـراهُ فيما جنى ناظراهُ أو دَعانى أمُتْ بما أودَعانى

وقول أبى الحسن المرغينانى [من مجزوءِ الرمل] :

صارَ مَتْنى مثلَ قَوْسٍ نزعتْ مُذْ صارَمتنى

وقول الحاكم أبى حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ألاَ ياَ سـيداً خُلقَتْ يداهُ لثرْوَةِ مُعـدمٍ أوْ يُسْرعَانى

مَضى العسرُ الذى قاسيْت فاعدلْ إلىَ يُسرَيْنِ نحوَكَ يُسرعَانِ

وقول بعض المغاربة ، وأجاد [من الخفيف] :

لَبسَ البرْنسَ المليحُ فباهَى وَدَرَى أنني محبٌّ فتَاها

لوْ رأتهُ زليخةٌ حينَ وافىَ لتمنتـهُ أنْ يـكونَ فتَاها

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

رَبٍّ سهِّلْ على فتَاتى فتَاتى لترَى هلْ سَلاَ فتَاها فتَاهَا

علمتهُ جفونهَا آىَ سحْرٍ ماتلاَهىَ عنْ حبهَا مُذْ تلاَهَا

وقول الباخرزى أيضا [من السريع] :

قدْ مُلئَتْ زَوْزَنُ من سادةٍ لهمْ نفوسٌ بالعلى عَارِفَاتْ

ما أغتدى إلا وَمن عندهمْ عارفةٌ عندىَ أو عَارِفاتْ

قدْ بقِىَ الفخرُ بهمْ والندَى والبأسُ والبخلُ مع العارفاتْ

ومثله قول أبى بكر اليوسفى [من السريع] :

وَرَدتْ مالـينَ فألفيتُهَا رُمانَةً حَبَاتُهـا المـكرُماتْ

أُصيحُ من ظرفٍ سـجاياهمُ عَاشَ الوفاء المحضُ والمـكرُماتْ

وقول أبى الفضل الميكالى [من البسيط] :

تفرق الناسُ فى أرْزَاقهمْ فِرَقاً فلاَبسٌ مِنْ ثرَاء المالِ أوْ عَارِى

كذا المعائشُ فى الدّنيا وَسا كنها مقسومة بينَ أدماثٍ وأوْعارِ
مَنْ ظنَّ باللهِ جوْراً فى قضيته افترَّ عنْ مأثمٍ فى الدين أوعارِ

وقوله يهجو [من المتقارب] :

لئنْ أنتَ ناصبتَ بدرَ الدُّجى ونازعتَ شمسَ الضحى أوْجَها
لما كنتَ أفضلَ فى حالةٍ منَ الكلبِ عندِى ولاَ أوْجَهَا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الوهاب [من الرمل] :

حَارَ فى سُقمِى مِنْ بعدِهِمُ كلُّ منْ فى الحى دَاوَى أو رَقَى
بعدَهم لا ظلُّ وَادى المنحنىَ وَكذَا بانُ الحِمىَ لاَ أورَقَا

وقول الشمس الخجندى إمام المسجد الشريف النبوى [من الكامل] :

حَسبى جوَارُ محمدٍ وكفى بهِ دَفعاً لمـا ألقاهُ منْ أوصابىِ
لمْ أخشَ ضَيماً فى حماهُ ولا أذىً أنّى وجبرَائيلُ قد أوْصَابىِ

وقول الصلاح الصفدى فيه [من المجتث] :

ياَ منْ إذَا ما أتاهُ أهلُ المودّة أولمْ
أناَ محبُّكَ حَقًّا إن كنتَ فى القومِ أولمْ

ترجمة أبى الفتح البستى

والبستى(١) هو : أبو الفتح على بن محمد ، الكاتب .

قال الثعالبى ، رحمه الله تعالى ا فى حقه : هو صاحب الطريقة الأنيقة ، فى التجنيس الأنيس ، البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتى فيه بكل طريفة ولطيفة . وقد كان يبلغنى شعره العجيب الصنعة ، البديع الصبغة .

من كل معنىً يكادُ الميتُ يعشقهُ حُسناً وَيعبدهُ القرطاسُ والقلمُ

---

(١) اقرأ هذه الترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤ – ٢٨٤ مصر) ولأبى الفتح البستى ترجمة قصيرة فى ابن خلكان (٢–٥٢)

مما أراه فأرويه ، وألحظه فأحفظه ، وأسأل الله تعالى بقاه ، حتى أرزق لقاه ، وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة ، وإن لم تتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت الأمنية حكم القدر ، وطلع على نيسابور طلوع القمر ، فزاد العين على الأثر ، والاختبار على الخبَر ، ورأيته يغترف فى الأدب من البحر ، وكأنما يوحى إليه فى النظم والنثر ، مع ضربه فى سائر العلوم بالسهم العائر ، وأخذه منها بالحظ الوافر ، وجمعته وإياى لحمة الأدب ، التى هى أقوى من قرابة النسب ، فما زلت فى قدماته الثلاث بنيسابور بين سرور وأنس مقيم ، ومن حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته فى جنة ونعيم ، أجتنى ثمر الغرائب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده ، ولم تكن تغبنى كتبه فى غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار ودّه ، وكرم عهده .

ومن خبره : أنه كان فى عنفوان أمره كاتبا لبايتوز ، صاحب بست ، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين ، وأسفرت الواقعة بينه وبين بايتوز عن استمرار الكشفة به ، أعيت أبا الفتح صحبته فتخلف ودل الأمير عليه فاستحضره ومنّاه ، واعتمده لما كان قبل معتمداً له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله فى آلته وكفايته ومعرفته ، وهدايته وحنكته ودرايته .

قال : فحدثنى أبو النصر العتبى قال : حدثنى أبو الفتح قال : لما استخدمنى الأمير سبكتكين ، وأحلنى محل الثقة الأمين ، عنده فى مهمات شانه ، وأسرار ديوانه . وكان بايتوز بعد حيا ، وحسادى يلوون ألسنتهم بالقدح فىّ والجرح لموضع الثقة بى ليًّا ، أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شىء من تلك الأقوال ، ويقرطس غرض القبول بعض تلك النبال ، فحضرته ذات يوم وقلت : إن همة مثلى من أرباب هذه الصناعة لا ترتقى إلى أكثر مما رآنى الأمير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه ، وتقريبه واختياره لمهمات أموره وأسراره ، غير أن حداثة عهدى بخدمة مَنْ كنت به موسوما ، واهتمام الأمير

بنقض ما بقى من شأنه، يقتضيان أن أسأله الاعتزال فى بعض أطراف مملكته ، ريثما يستقر هذا الأمر فى نصابه ، فيكون ما آليه من هذه الصناعة ، أسلم من التهمة ، وأقرب إلى السداد ، وأبعد من كيد الحساد ، فارتاح لما سمعه ، وأوقعه من الاحماد موقعه ، فأشار علىّ بناحيـة الرخج ، وحكمنى فى أرضها أتبوأ منها حيث أشاء ، إلى أن يأتينى الاستدعاء ، فتوجهت نحوها فارغ البال ، رافه العيش والحال ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القـدم من مخاضات التهم . وكنت أدلجت ذات ليلة ــ وذلك فى فصل الربيع ــ أؤم منزلا أمامى ، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ، ففتح ضياء الشروق طرفى علىّ قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر ، معمومة بالنور والزهر ، وأمامها أرض كأنها بطون الحيات فى صفاء ماء الحياة ، وقد فغمنى من نسيم هوائها عَرْفُ المسك السحيق ، بالعنبر الفتيق ، فاستطبت المكان ، وتصورت منه الجنان ، وفزعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال ، فكشف أول سطر من الصفحة عن بيت شعر ، وهو [من مجزوء الكامل] :

وإذا انتهيتَ إلى السلا مة فى مداكَ فلا تجاوزْ

فقلت : والله هذا هو الوحى الناطق ، والفأل الصادق ، وتقدمت بعطف ضِبْنِى إليها ، وعشت ستة أشهر بها فى أنعم عيش وأرخاه ، وأهنأ شرب وأمراه ، إلى أن أتانى كتاب الأمير فى استدعائى إلى حضرته بتبجيل وتأهيل ، وترتيب وترحيب ، فنهضت إليها ، وحظيت بما حظيت منها إلى يومى هذا .

قال : فكان اختباره ذلك أحد ما استدل به الأمير على عقله وجودة رأيه ، وتدبيره ورزانته ، ودرج به إلى محله ومكانته ، وصار من بعده ينظم بأقلام منثور الآثار عن حسابه ، وينسج بعباراته وشى فتوحه ومقاماته . وهلم جرا إلى زمن السلطان المعظم يمين الدولة ، وأمين الملة محمود بن سبكتكين ، فقد كتب له عدة فتوح ، قال فى أحد كتبه « كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها ،

والأرض مشرقة بنور ربها ـ إلخ » واستمر إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده و إرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه عز وجل فى سنة أربعمائة من الهجرة النبوية .

ولنذكر من مليح نثره ونظمه ما رقّ له وراق ، وحلا فى الأذواق .

فمن فصوله القصار ، وأمثاله التى انتشر فضلها وسار : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، من أطاع غضبه أضاع أربَه . عادات السادات سادات العادات. من سعادة جدك وقوفك عند حدك . أفحش الاضاعة الاذاعة . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك . إذا بقى ماقاتك فلا تأس على مافاتك. ربما كانت الفطنة فتنة ، والمحنة منحة . من حصن أطرافه حسن أوصافه . أحصن من الجنة لزوم السنة . الرد الهائل خير من الوعد الحائل . طلوع العقوق أفول الحقوق . الحدة والندامة فرسا رهان ، والجود والشجاعة شريكا عنان . والتوانى والخيبة رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . نعمَ الشفيع إلى عدوك عقله . مسلك الحزن حزْن . الخلاف غلاف الشر . المراء يهدم المروءة . رضي المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . عسى تحظى فى نمدك برغدك . ربما أغنت المداراة عن المباراة . لا ضمان على الزمان . من لزم السلم سلم . ليكن قرينك من يزينك إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم السرعة ذو السرعة لكل حادث حديث . البشر نور الأصحاب . ما كل خاطر بعاطر . ما لخرق الرقيع مرقع . إن يكن لنا مطمع فى دَرَكٍ دركٌ ، فأعفنا من شَرَكٍ شرك . الغيث لايخلو من العيَث .

ومن شعره فى الغزل وغيره [من البسيط]:

يايوسفَ الحسنِ ليلى بعدَ فرقتكمْ	يحكى سنِى يوسفٍ طولاً وتعذيبَا
والشأنُ فى أننى أرمى لأجلكمُ	بمثلِ ما قد رَمى إخوانُكَ الذيبَا

ومنه [من الكامل] :

قالتْ وقد رَاودتها عن قبلةٍ تشفى بها قلباً كئيباً مغرَمَا
قَدّمْ يداً من قبل أن تدنى يَداً ومبرّةً من قبلِ أن تُدنى فَمَا
إنَّ الغرَامَ غَرَامةٌ فمَتى تـكنْ بي مُغْرَماً فلتَحملن لى مَغْرَمَا

وَمنه [من الكامل] :

أرأيتَ ماقد قال لى بدر الدُّجى لمـا رَأى طرفى يُديمُ سُهودَا
حتَّى مَ ترمقنى بطرفٍ سَاهرٍ أقْصِرْ فلستُ حبيبكَ المفقودَا

ومنه [من الخفيف] :

رُبَّ يومٍ للأنس فيهِ فراغٌ ولـكأسِ السرورِ فيهِ مساغُ
بيْننا للبخور غَيمٌ ، وللما وَرْدِ طش ، وَللغوالى رداغُ

ومنه [من الـكامل] :

يومٌ له فضـلٌ علىَ الأيامِ مزَجَ السحابُ ضياءهُ بظلامِ
فالبرْقُ يخفقُ مثلَ قلبِ هائمٍ وَالغيمُ يبكى مثلَ طرفِ هامِى
وكأنَّ وجهَ الأرضِ خدُّمتيمٍ وُصلتْ دموعُ سحَابهِ بسجَامِ
فاطلب ليومكَ أربعاً هنَّ المنى وبهنّ تصفو لذَّةُ الأيامِ
وجهَ الحبيبِ ومَنظراً مُستشرفا ومُغَنِّيًا غرداً وكأسَ مُدامِ

ومنه فى وصف الـكتب والخط وَالبلاغة [من الوافر] :

كتابك سيدى جَلَّى همومى وجَلّ به اغتباطى وابتهاجِى
كتابٌ فى سرائرِهِ سرُورٌ مُناجيهِ منَ الأحزَان ناجِى
فكمْ معنى لطيفٍ درجَ لفظٍ هُنَاكَ تزاوجَا أىَّ ازدواجِ [1]

(١) فى اليتيمة * فـكم معنى لطيف ضمن لفظ *

كَرَاحٍ فى زجاجٍ بل كروحٍ سرى فى جسمِ معتدلِ المزاجِ

ومنه أيضا [من الطويل] :

بنفسىَ من أهدَى إلىَّ كتابهُ فأهدى لىَ الدُّنيا مع الدين فى درجِ
كتابٌ معَانيهِ خلالَ سطورهِ لآلىءُ فى دَرْجٍ كوا كبُ فى بُرْجِ

ومنه [من البسيط] :

لما أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ عن كل برٍّ وفضلٍ غير محدودِ
حكتْ معانيهِ فى أثناء أسطرهِ آثارَكَ البيض فى أحوالىَ السودِ

ومنه [من البسيط] :

ما إنْ سمعت بنوّارٍ لهُ ثمرٌ فى الوقت يمتعُ سمعَ المرء وَالبصرَا
حتى أتانى كتابٌ منكَ مبتسمٌ عن كل لفظٍ ومعنى يشبهُ الدرَرَا
فكانَ لفظك من لألائهِ زَهراً وكانَ معناهُ فى أثنائه ثمَرَا
تسابقا فأصاباَ القصدَ فى طَلَقٍ لله مِنْ ثمرٍ قد سابَقَ الزّهرَا

ومنه [من الوافر] :

إذَا أحببتَ أن تحظى بسحرٍ فلاَ تَخْتَرْ على لفظى وشعرِى
فأحسنُ من نظام الدرّ نظمِى وآنَقُ من نِثَارِ الوردِ نثرِى

وَمنه فِى الفقهيات [من الطويل] :

عليكَ بمطبوخِ النبيذ فانهُ حلالٌ إذا لم يخطف العقلَ وَالفهمَا
ودَعْ قولَ من قد قالَ إنّ قليلهُ يُعينُ على الاسكار فاستوَيا حكمَا(١)
فليسَ لمـا دون النصاب قضية النصاب وإن كان النصابُ به تمّا

(١) فى اليتيمة « معين على الاسكار »

ومنه فى معناه [من البسيط] :

معاشرَ الناس أصغوا قد نصحتُ لكمْ ... فى الراحِ حكمٌ مليحٌ غيرُ ممقوتِ
قليلها مُستباحٌ والكثيرُ عمًى ... كغرفةٍ فردةٍ منْ نهرِ طالوتِ (١)

ومنه فى الطبيات والفلسفيات [من الخفيف] :

لا يغرَّنك أننى ألينُ اللمس ... فعزمى إذا انتضيتُ حُسامُ (٢)
أنا كالورْدِ فيهِ راحةُ قومٍ ... ثمَّ فيهِ لآخرينَ زكامُ

ومنه [من المتقارب] :

خَفِ اللهَ واطلبْ هُدَى دينهِ ... وبعدَهما فاطلب الفلسفَهْ
لئلاَّ يغرَّكَ قومٌ رَضوا ... منَ الدين بالزور والسفسفَهْ
ودعْ عنكَ قوماً يعيبونهاَ ... ففلسفة المرء كلُّ السفَهْ

ومنه فى النجوميات [من البسيط] :

قد غضَّ من أملى أنّى أرى عملى ... أقوى من المشترى فى أولْ الحمَلِ
وأننى راحلٌ عما أُحاولهُ ... كأننى أستدرُّ الحظ منْ زُحَلِ

ومنه [من البسيط] :

إذا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً ... فاحكم على ملكه بالويلِ والحربِ
أما ترى الشمس فى الميزان هابطةً ... لما غدا برج نجم اللهو والطربِ

ومنه [من البسيط] :

لا تعجبنَّ لدهرٍ ظلَّ فى صَبَبٍ ... أشرافهُ وعلاَ فى أوْجِهِ السَّفلُ

---

(١) فى اليتيمة « والكثير حمى » وهو الصواب ؛ والحمى : الذى حماه الله ومنع من أن تقربه . وفى الحديث « ألا وإن لكل ملك حمي ، ألا وإن حمى الله محارمه »

(٢) فى الأصل « ألين المس » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة ؛ وفى اليتيمة « فغر بى إذا انتضيت جسام »

وانظرْ لأحكامِهِ أنَّى تقادُ بِها فالمشترِى السّعد عالٍ فوقَهُ زُحلُ(١)

ومنه [من الوافر] :

سلِ اللّهَ الغنى تسألْ جوَادا أمِنتَ على خزائنِهِ النَّفادَا(٢)

وإنْ أدْناكَ سلطانٌ لفضْلٍ فلاَ تغفلْ ترَقُّبَكَ البعادَا

فقدْ تُدنِى الملوكُ لَدَى رِضاها وتُبعدُ حِينَ تحتقدُ احتقادَا

كما المرِّيخُ فى التَّثْليثِ يُعطى وفى الترْبيع يَسلبُ ما أفادا

ومنه [من الرمل] :

شرفُ الوَعْدِ بِوعْدٍ مِثلِهِ مثلٌ ما فيهِ زَيغٌ وزَلَلْ(٣)

ودليلُ الصدْقِ فِيما قُلتهُ شرَفُ المرّيخِ فى بيتِ زُحَلْ

ومنه فى الإخوانيات [من المتقارب] :

لِقاؤُكَ يُدْنى مُنَى المُرْتجى ويفتحُ بابَ الهوَى المرْتَجِ

فأسرِعْ إلينا ولا تُبطئَنْ فإنا صِيامٌ إلى أنْ تجى

ومنه [من الكامل] :

عِندى فدَيتكَ سادةٌ أحرَارُ وقلوبُهمْ شوقاً إليكَ حِرارُ

وشرَابنَا شُرْبُ العلومِ ورَوْضُنَا نُزَهُ الحديثِ ونَقْلُنا الأشعارُ

فامنُنْ علينا بِالبدَارِ فإنما أعمارُ أوْقاتِ السُّرُور قِصارُ

ومنه [من الخفيف] :

لا تظُنَنَّ بِى وبرُّكَ حىٌّ أنَّ شُكرِى كشكرِ غيرى موَاتُ

---

(١) فى اليتيمة « أنى تقاربها »

(٢) فى اليتيمة * سل الله العظيم تسل جوادا *

(٣) فى اليتيمة « الوعد » فى الموضعين ، بعين مهملة .

أنا أرْضٌ وراحتاكَ سماءٌ والأيادِى وبْلٌ وشكرى نَبَاتُ

ومنه [من البسيط]:

منْ شاء عيشاً رخِيًّا يستفيدُ بهِ فى دِينهِ ثمّ فى دُنياه إقبالاَ

فلينظُرنَّ إلى منْ فوقَهُ أدباً ولينظرنّ إلى منْ دُونه مالاَ

ومنه [من الطويل]:

أفِدْ طبعكَ المكْدودَ بالجدّ راحةً قليلاً وعلِّلْهُ بشىء من المزْحِ

ولـكنْ إذا أعطيته ذاكَ فليكنْ بمقدارِ مايعطى الطعامُ من الملحِ

ومنه [من المتقارب] :

إذا ما اصطفيتَ امرأً فليكنْ شريفَ النِّجارِ زَكِىَّ الحسبْ

فنذلُ الرِّجالِ كنذْلِ النَّباتِ فـلاَ لِلثِّمارِ ولا لِلحطبْ

ومنه [من الطويل] :

عفاء على هذا الزَّمانِ فإنهُ زَمانُ عقوقٍ لا زَمانُ حُقُوقِ

فكلُّ رفيقٍ فيهِ غيرُ موافقٍ وكلُّ صديقٍ فيهِ غيرُ صدُوقِ

ومنه [من البسيط]:

كأنَّنى فرَسُ الشطْرنج ليسَ لهُ فى ظلّ رابطهِ ماءٌ ولا علَفُ

ومنه قوله فى المشاورة [من الوافر] :

خصائصُ منْ تشاوِره ثلاثٌ فخذْ مِنها جَميعاً بالوَثيقهْ

ودادٌ خالصٌ ووُفورُ عقْلٍ ومعرِفة بحالكَ فى الحقيقهْ

فمَنْ حصلتْ لهُ هذِى المعانِى فتابعْ رأيهُ والْزمْ طريقهْ

وقوله أيضاً [من الكامل]:

إنْ كنتَ تطلبُ رُتبةَ الأحرَارِ فاعمدْ لِحـلمٍ راجحٍ ووَقارِ

وحذَارِ منْ سفهٍ يَشِينُكَ وصفهُ   إنَّ السَّفاهَ بذِي المروءةِ زارى
إنَّ السَّفيهَ إذا تصدَّى لامرئٍ   متحــلم ونهـــاه بالأضرار
فالماء يُطفى وهوَ لَيْنٌ مسُّهُ   عذبٌ مذاقتهُ لَهيبَ النّار

ومنه [من الوافر] :

وما استوْفى شُرُوطَ الحزْم إلاّ   فتى فى خُلقهِ سهْلٌ وَحزْنُ

ومثله قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

فليسَ كمالُ المرْءِ بالخيرِ وحدَهَ   إذَا لم يكنْ فى المرْءِ شىءٌ منَ الشّرِّ

ومحاسن أبى الفتح البستى كثيرة ، رحمه الله تعالى ! وفيما أوردناه كفاية .

* * *

شاهد الجناس المفروق

١٦٣ — كلُّكمْ قدْ أخذَ الجا   مَ ولاَ جامَ لنَا
ما الّذِى ضرَّ مُديرَ الـــجامِ لوْ جاملنَا

البيتان من مجزوء الرمل ، وهما لأبى الفتح البستى أيضاً .

والشاهد فيهما: الجناس المفروق، وهو : المتفق لفظا لا خطا ، كقول المعتمد ابن عباد يحكى قول جارية له فى محنته [من مجزوء الرجز] :

قالتْ لقدْ هِنَّا هُنَا   موْلاىَ أينَ جاهنَا
قلتُ لهــا إلهنــا   صيَّرنا إلى هُنــا

وقول المطوعى [من الوافر] :

أميرٌ كلُّهُ كرمٌ سعدْنَا   بأخذِ المجدِ عنهُ واقْتباسِهْ
يُحاكِى النِّيلَ حينَ يرُومُ نيْلاً   ويحكى باسلاً فى وقتِ بأسِهِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

لاتعرضنّ على الرُّواةِ قصيدةً ... مالم تبالغْ قبلُ في تهذيبها
فمتى عرضْتَ الشعْرَ غيرَ مهذبٍ ... عدُّوهُ منكَ وساوِساً تهذِي بها

وقول ابن أسد الفارقي [من الطويل] :

غدَوْنا بآمَالٍ ورُحنا بخيبةٍ ... أماتتْ لنا أفهامَنا والقرائحا
فلاَ تلقَ منَّا غادِياً نحوَ حاجةٍ ... لتسألهُ عن حالهِ والقَ رائحا

وقول أبي الفتح البستي (١) [من البسيط] :

إنْ سلَّ أقْلاَمهُ يوماً ليُعْملها ... أنساكَ كلَّ كميٍّ هزَّ عامِلهُ
وإنْ أقرَّ على رَقٍّ أناملهُ ... أقرَّ بالرِّقِّ كتَّابُ الأنام لهُ

وقوله أيضاً (٢) [من مجزوء الوافر] :

إلى حتْفِي سعى قدَمى ... أرَى قدَمى أراقَ دَمِي(٣)
فكم أنقدُّ منْ ندَمٍ ... وليسَ بِنافعٍ ندَمى

وقوله (٤) [من الكامل] :

كم منْ أخٍ قدْ هدَّمتْ أخلاَقهُ ... في آخرٍ ما قدْ بنى في الأوَّلِ
نسيَ الوَفاء ولستُ أنسى عهدَما ... شاهدْتُ منهُ في الزّمانِ الأطوَلِ
يرْمى سهاماً إنْ أسرَّ المقتَ لي ... بالكيدِ لا يقصدْنَ غيرَ المقتلِ

وقوله (٥) [من الهزج] :

---

(١) البيتان في يتيمة الدهر للثعالبي (٤-٢٩١) كما هنا ، وفي تاريخ ابن خلكان (٢-٥٢) وفيه في أولها « إن هز أقلامه »
(٢) البيتان في اليتيمة (٤-٣٠٤)
(٣) في اليتيمة « مشى قدمى »
(٤) الأبيات في يتيمة الدهر (٤ - ٣٠١)
(٥) الأبيات في يتيمة الدهر (٤ - ٣٠٣)

جُعلنا أجنبيَّين بلا جُرْمٍ ولا تبلِ
وأقصينا وما خُنّا وماز ُغنا عن العدْلِ
فقلْ لى ياأخا السُّودَ دِ وَ الهمَّةِ والفضلِ
إلى كم نحن ُفى ضيقٍ وفى عزلٍ وفى أزْلِ
أما تَنْشَطُ أنْ تُملِى على الكُتّاب أنْتم لِى

وقوله (١) [من مجزوء الخفيف] :

لايسوُأنْكَ إنْ برّا نِىَ دَهرٌ فَلَمْ يَرِشْ
أنتَ عِشْ سالمًا فانَّـــكَ إنْ عِشتَ أنتعشْ

وقول العميد بن سهل [من الطويل] :

عجبتُ منَ الأقْلاَم لم تندَ خُضْرةً وباشرْنَ منهُ كفَّهُ والأناملا
لو انَّ الوَرَى كانوا كلاَماً وأحرُفاً لـكانَ نعمْ منها وكانَ الأنامُ لاَ

وقول أبى بِشر المأمونى بن على الخوارزمى مهنئاً بعض أصحابه بزفاف [من المنسرح]:

بدْرُدُجى أصحبوهُشمسَ ضُحى بارَكَ ربُّ السماء فيها لَهْ
ضمَّتهما هالةُ الوِصال معا منْ ذا رَأى النيرَيْنِ فى هالَهْ

وقول أبى بكر اليوسفى يصف أقلاماً، وهى [من الكامل] :

قصباتُ فضلٍ قدْ جرَتْ قصباتُها مجْرَى موافى كبْوةٍ وعِثارِ
يكتبْنَ فى القرْطاسِ أخبارَ النُّهى بلُعابِ منقارٍ لهـا منْ قارِ

وقول صدر الدين الخجندى [من السريع] :

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤ ــ ٢٩٩) .

أنفق حبوراً واسترقَّ العلاَ ولا تخفْ خشيةَ إملاَقِ
الناسُ أكفاءٌ إذا قوبلوا إن فاقَ شخصٌ فبالانفاقِ

وما ألطف قول ابن نباتة [من الكامل] :

قمراً نراهُ أمْ مليحاً أمرَدا ولحاظهُ بينَ الجوانحِ أمْ ردَى

وسبقه إلى ذلك الأمير أبو الفضل الميكالى فقال [من الرجز] :

يا منْ دَهاه شعرُهُ وكانْ غضًّا أمرَدا
سيَّان فاجا أمرَدا فى الخدِّ شَعْرٌ أمْ ردَى

ولأبى الفضل فى هذا أيضا قوله [من مخلع البسيط] :

لنا صديقٌ تجيدُ لقاً راحتُنا فى أذَى قفاهُ
ماذاقَ من كسبهِ ولكنْ أذَى قفاهُ أذَاقَ فاهُ

وله أيضا [من مجزوء الرجز] :

لنا صديقٌ إنْ رأى مُهفْهفاً لا َطفَهُ
وإنْ يكنْ فى دَهرنا ذُو أبنةٍ لاطَ فَهُو

وله أيضا [من الطويل] :

لقدْ راعنى بدرُ الدُّجى بصدودِهِ ووكَّل أجفانى برَعْيِ كوَاكبهْ
فياجزَعى مهلاً عساه يعودُ لى ويا كبدِى صبراً على ما كوَاكَ بهْ

وللشهاب محمود فيه [من الوافر] :

ولم أرمثلَ نشرِ الرَّوْض لما تلاقَيْنا وبنتَ العـامرىّ
جرَى دمعى وأوْمضَ برْقُ فيها فقالَ الرَّوْضُ فى ذَا العامِ رِيِّى

ولابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

قدْ سبى قلبى غزالٌ فاتنٌ سلْ بهِ كيفَ اعتدىَ فى سلبهِ

أنا لا أعتبهُ فيما جرَى صفَحَ اللهُ لهُ عَنْ ذَنْبِهِ

وقوله أيضاً [من الرمل] :

أيها العــاذلُ في حبيٍّ لها خَلِّ نفسى فى هوَاها تحترِقْ

ما الذى ضرَّكَ منِّى بعدَ مَا صارَ قلبي من هواها تحتَ رقْ

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط] :

أسرعْ وسرْ طالبَ المعالى بـكلِّ وادٍ وكلِّ مَهْمَـهْ

وإنْ لحَىَ عاذلٌ جهولٌ فقلْ لهُ : يا عَذولُ مَهْ مَهْ

وقوله رحمه الله تعالى [من مجزوء الرجز] :

إنَّ الذى مـنزلهُ من سُحْبِ عيني أمرعَا

لم أدرِ منْ بَعدِيَ هلْ ضيَّعَ عهدى أمْ رَعَى

وقول قاضى القضاة بهاء الدين السبكى [من الـكامل] :

كنْ كيفَ شئتَ ، عن الهوَى لا أنتَهِى

حتَّى تعودَ لى الحياةُ وأنتَ هِى

ومثله قول أبى نصر القشيرى [من مجزوء الـكامل] :

تقبيلَ خدِّكَ أشتهى أملٌ إليـهِ أنتهى

إن نلتُ ذلكَ لم أبَلْ بالرُّوح منى أن تهِى

وعلى الحقيقة أنتَ هِى

شاهد الجناس المطرف

١٦٤ — يَمُدُّونَ مِنْ أيدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ

هو صدر بيت من الطويل، وتمامه :

* تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ *

وقائله أبو تمام ، من قصيدة[1] يمدح بها أبا دلف العجلى ، أولها :

عَلى مثلها من أَرْبُعٍ ومَلاَعبِ
أُهينتْ مصوناتُ الدموعِ السواكبِ[2]

وهى طويلة ، وما أحسن قوله فى مخلصها :

إذا العيسُ قدلاقت أبادلفٍ فقدْ تَقَطَّعَ ما بينى وبين النوائب[3]
هنالك تلقَ الجودفى حيث قُطِّعَتْ تمائمهُ والمجد وافى الذوائبِ[4]
تـكادُ عطاياهُ تجنُّ جنونها إذا لم يُعَوِّذْهَا بنغمة طالبِ[5]

وهذا البيت ممـا انتقد به على أبى تمام حتى قال بعضهم :[6] وما باله ينسبها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى ؟ هلافك إسارها وعجل خلاصها ولم ينتظر بها نغمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبي [من الـكامل] :

وعطاء مالٍ لو عَدَاهُ طالبٌ أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا

وقد تداول الناس هذا المعنى ، فقال مسلم [من الطويل] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (٤٠)
(٢) فى الديوان « أذيلت مصونات الدموع » والمعنى واحد ، وانظر هذا المطلع فى الموازنة (٤١٦ بتحقيقنا)
(٣) فى الديوان « إذا العيس لاقت بى » وهى أظرف
(٤) فى الديوان « هنالك تلقى المجد » وفيه « والجود مرخي الذوائب »
(٥) فى الأصل « بنعمة طالب » بعين مهملة ، وهو تحريف لايتفق مع ماوجه إلى البيت من النقد ، والذى أثبتناه موافق لما فى الديوان ، ومافى الوساطة (٧٤ طبع مطبعة الحلبى)
(٦) هذا الـكلام بنصه فى « الوساطة بين أبى الطيب المتنبى وخصومه » إلى آخر الشواهد التى ذكرها على تداول الشعراء هذا المعنى .

أخٌ لىَ يعطينى إذا ما سألتُهُ و إن لم أُعَرِّضْ بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية [من المتقارب] :

و إنا إذا ما تركنا السؤالَ فمعروفهُ أبداً يبتدينا(١)

و إن نحنُ لم نبغ معروفهُ فمعرُوفهُ أبداً يبتغينا

وقال أبو تمـام الطائى [من الطويل] :

فأضحتْ عطاياهُ نوازعَ شُرَّدا تسائلُ فى الآفاق عن كلِّ سائلِ

وقال أيضا [من الكامل] :

ورأيتنى فسألت نفسكَ سَيْبَهَا لى ثم جُدْت وما انتظرتَ سؤالى

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله المتقدم :

* أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا *

ولنرجع إلى شعر أبى تمـام — ومن محاسن قصيدته هذه قولُه :

يرى أقبح الأشياء أوْبَةَ آملٍ كستهُ يدُ المأمول حلَّةَ خائبِ

وأحسن من نَوْرٍ يفَتِّحُهُ الندَى بياضُ العطايا فى سواد المطالبِ

وهذا البيت من أحسن الشواهد على المقابلة ، وهو مأخوذ من قول الأخطل [من الطويل] :

رأينا بياضاً فى سوادٍ كأنهُ بياض العطايا فى سواد المطالبِ

ويحكى أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله :

* على مثلها من أرْبُعٍ وملاعبِ *

قال : من أراد يُبَكِّتُهُ : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

---

(١) عجز هذا البيت فى الوساطة « فلم نبغ نائله يبتدينا »

التوليد نوع من البديع

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد ، فان هذا القائل وَلّدَ من الكلامين كلاما يناقض غرض أبى تمام من وجهين : أحدهما : خروج الكلام عن النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء ، والثانى خروج الكلام من أن يكون بيتا من الشعر إلى أن صار قطعة من النثر .

ومن لطيف التوليد قول بعض العجم ، وهو توليد المتكلم ما يريد من لفظ نفسه [من الوافر] :

كأنَّ عِذَارهُ فى الخدّ لامٌ ومبسمهُ الشهى العذب صادُ
وطرّةُ شَعْرِه ليلٌ بَهِيمٌ فلا عجب إذا سُرِقَ الرُّقادُ

فانه ولد من تشبيه العذار باللام ، وتشبيه الفم بالصاد ، لفظة لص ؛ وولد من معناها ، ومعنى تشبيه الطرة بالليل ، ذكر سرقة النوم ؛ وهذا من أغرب توليد سمع .

رجع إلى الكلام على البيت : عواص : جمع عاصية ، من عصاه : ضربه بالسيف ، أو العصا ، وعواصم : من عصمه حفظه وحماه ، وقَوَاض : من قضى عليه حكم ، وقواضب : من قضبه قطعه .

والشاهد فيه : الجناس الناقص المطرف

من شواهد الجناس المطرف

ومن الشواهد عليه قول البحترى [من الطويل] :

فانْ صَدَفَتْ عنا فَرُبّةَ أنفسٍ صَوَادٍ إلى تلك الوجوه الصوادفِ

وما أنشده الشيخ عبد القاهر ، وهو [من الطويل] :

وكم سَبَقَتْ منهُ إلىَّ عوارفٌ ثنأى على تلك العوارف وارفُ
وكم غررٍ مِنْ برِّهِ ولطائف فشكرى على تلك اللطائف طائفُ

وقول الآخر [من الطويل] :

عَذِيرِىَ مَنْ دهرٍ مُوارٍ موارِبٍ لهُ حسناتٌ كلهنَّ ذنوبُ

وقول البهاء زهير (١) [من مجزوء الكامل] :

---

(١) تنسب هذه الأبيات لأبى حفص سلطان العاشقين ابن الفارض ، ولكنها بشعر البهاء زهير أشبه

أشكو وأشكرُ فعلَهُ فاعجبْ لشاكٍ منهُ شاكرْ

ومنها :

طَرْفى وطَرْفُ النجم فيـــكَ كلاهما ساه وساهرْ
يَهْنيكَ بَدْرُكَ حاضرٌ ياليت بدرى كان حاضرْ
حتى يَبِينَ لناظرى مَنْ منهُما زاهٍ وَزاهرْ

وقول المعتمد بن عباد ، وقد كتب به إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس أُنس ، وهو [من الخفيف] :

أيها الصاحب الذى قارنت عيـــنى ونفسى منهُ السنا والسناء
نحنُ في المجلس الذى يهبُ الرَّا حة والمسمع الغِنَى وَالغناء
نتعاطى التى تُنَسِّى من اللذَّةِ والرِّقة الهَوى وَالهواء
فأتهِ تلقَ راحةً ومُحَيًّا قدْ أعدّا لكَ الحيا والحياء

وقول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

منازلُ قلبـى ليسَ فيهنَّ نازلُ سواكَ ، ولى شوقٌ للقياك دائمُ
فيا راكبَ الوَجْناءِ هلْ أنت عالمٌ فِدَاؤكَ نفسى كيف تلك المعالمُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من السريع] :

أرى أُناساً مَنْ أراد الرِّضى منهمْ رجا ما ليسَ بالممكنِ
سيانِ أنْ يُعْطُوا وأنْ يمنعوا قدْ ضاعَ منهمْ كرمُ المحسنِ

وما أحسنَ قول ابن شرف الماردينى من قصيدة [من الوافر] :

هلالٌ فى برُوجِ السعدِ سارٍ غزَالٌ فى مُرُوج العزِّ سارحْ

***

شاهد الجناس المذيل

١٦٥ — إنَّ البكاءَ هُوَ الشِّفَا
ءُ منَ الجوَى بينَ الجوَانِحْ

البيت من مجزوء الكامل المرفل ، وقائلته الخنساء من قصيدة[1] ترثى بها أخاها صخراً ، أولها :

يا عينُ جُودِى بالدُّمُو ... عِ المستهلاَّتِ السوَافحْ
فَيْضاً كما فاضتْ غرُو ... بُ المُتْرَعَاتِ منَ النوَاضحْ[2]

و بعده البيت ، وَ بعده :

وابكى لصَخرٍ إذ ثوَى ... بينَ الضريحَةِ والصفائحْ[3]
أمسىَ لدَى جَدَثٍ تُذيـعُ ... بتربْهِ هُوجُ النوافحْ[4]
والسيدُ الجَحْجَاحُ وابْـنُ ... السادةِ الشمِّ الجحاجحْ

والشاهد فيه : الجناس المذيل ، وهو : ما كان بأكثر من حرف .

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه [من الطويل] :

وكُنا متىَ يغزو النبيّ قبيلةً ... نَصِلْ جانبيهِ بالقنَا والقنَابِلِ

---

(١) اقرأها فى أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء (٢٥ بيروت)
(٢) فى أنيس الجلساء :

فيضا كما فاض الغرو ... ب المترعات من النواضح

(٣) وفيه « فابكى لصخر » والضريحة والضريح : الشق فى وسط القبر ، والصفائح : الحجارة العراض .
(٤) فى أصل هذا الكتاب « رمسا لدى جدث » وهى رواية فى البيت ، وقد تخيرنا رواية الديوان . والرمس والجدث كلاهما القبر ، وتذيع بتربه : تذهب به وتنسفه ، والهوج : جمع هوجاء ، وأصلها الناقة التى تركب رأسها ، وقد استعارتها للريح ، والنوافح : أرا البادرة .

وقول النابغة أيضاً [من الطويل] :

لهـا نارُ جنٍّ بعدَ إنسٍ تحـوَّلوا وَزالَ بِهِمْ صَرْفُ النوى والنوائبِ

وقول الآخر فى رثاء [من الطويل] :

فيالكَ مِنْ حَزْمٍ وعـزمٍ طوَاهمَا جديدُ الردَى تحتَ الصفا والصفائحِ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الـكامل] :

بينَ الجَوانحِ لوعلمتَ منَ الجوَى نارٌ عليها سكبُ دَمعى يصنعُ

فدَعِ المدَامعَ فى مدَى جرَيانِها فالدّمعُ بعْـدَ فراقهمْ لا يمنعْ

تتمة — قد ذكر المصنف رحمه الله تعالى بقية أقسام الجناس ، ولم يذكر لها شواهد شعرية ، فلنذكر منها شيئا تتميما للفائدة .

من شواهد الجناس المشتق

فمن شواهد الجناس المشتق قول أبى تمام [من الطويل] :

وأنجدتُمُ من بعدَ إتهامِ داركمْ فيا دمعُ أنجدنى على ساكنى نجدِ

وقول محمد بن وهيب [من الطويل] :

قَسمتَ صُرُوفَ الدّهرِ بَأساً وَنائلاً

فَمـالُكَ مَوْتور وَسيفكَ وَاترُ(١)

وقول الصاحب بن عباد [من المتقارب] :

وَقائلةٍ لِمْ عرَتكَ الهمومُ وأمرُكَ ممتَثَلٌ فى الأممْ

فقلتُ ذَرِينى علي غُصتّى فإنّ الهمُومَ بقَدْرِ الهِمَمْ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الخفيف] :

قدْ نعمنا بِسفحِ نعمانَ لـكنْ عقّنى البعدُ والعقوقُ قبيحُ

قلْ لأهلِ الخيامِ أما فؤادِى فجريحٌ لـكنَّ حبى صحيحُ

---

(١) موتور : أراد به أنه هالك فى الجود ، وواتر : أراد به أنه ماض فى رقاب الأعداء

ولبعضهم وهو بالجناس المطلق أشبه [من المتقارب] :

إذا أعطشتْكَ أكفُّ اللِّئام ... كفتْكَ القناعةُ شِبْعاً وريَّا
فكنْ رَجُلاً رِجْلُهُ في الثرى ... وهامةُ همَّتـه في الثريَّا

وما أحسن قول كشاجم في خادم أسود مشهور بالظلم [من السريع] :

يا مُشبِهاً في لونهِ فعلهُ ... لم تُخْطِ ما أوْجبت القسمهْ
فِعلُكَ منْ لوْنكَ مُستخرجٌ ... والظلمُ مُشتقٌّ منَ الظلمهْ

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من الطويل] :

على بابكَ المعمورِ لا زالَ عالياً ... مَطيَّاتُ آمالِ البريةِ واقفهْ
فجودُكَ موجودٌ وطَوْلُكَ طائلٌ ... وعُرفكَ معروفٌ وكفُّكَ واكفهْ

وما أحسن قول بعض المتأخرين في هذا النوع أيضاً [من البسيط] :

عانيتُ طيفَ الذي أهوَى وقلتُ لهُ
كيفَ اهتدَيتَ وجنحُ الليلِ مسدولُ

فقالَ آنستُ ناراً مِنْ جوانحكمْ ... يُضيء منها لدَى السَّارِين قنديل
فقلتُ نارُ الجوَى معنىً وليسَ لها ... نور يُضيء فما ذَا القوْلُ مَقبولُ
فقالَ نِسبتُنـا في الأمرِ واحدةٌ ... أنا الخيالُ ونارُ الشوقْ تخييلُ

وقد نبه على الاشتقاق في قوله « نسبتنا في الأمر واحدة »

من شواهد الجناس المطلق

ومن الجناس المطلق، ويفرق بينه وبين المشتق بأن معنى المشتق يرجع إلى أصل واحد، والمطلق كل ركن منه يباين الآخر، قولُ الشاعر [من الكامل] :

عربٌ تَراهمْ أعجمينَ عنِ القِرَى ... متنزِّلينَ عنِ الضيوف النُّزَّلِ
فأقمتُ بينَ الأزْدِ غيرَ مزوَّدٍ ... ورحلتُ عن خوْلانَ غيرَ مخوَّلِ

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

بجانبِ الـكَرْخِ منْ بغدادَ عنَّ لنا ظبيٌ ينفِّرُهُ عنْ وصلنا نفرُ

ظفيرَتاه على قتْلِي تظافرَتا يا منْ رأى شاعِراً أوْدَى بهِ الشعَرُ(١)

وقال أبو فراس الحمدانى [من البسيط] :

فما السُّلافُ آزْدَهتني بلْ سوالِفهُ ولا الشَّمُولُ دهتني بلْ شمائلهُ

ومثله قول البهاء زهير

يا منْ لعبت به شمولٌ ما ألطفَ هذهِ الشمائل

وللبحترى فيه أيضاً [من الخفيف] :

وإذَا ما رياحُ جودِكَ هبَّتْ صارَ قوْلُ الوُشاةِ فيها هباءَ

وظريف قول ابن العفيف [من الوافر] :

أراكَ فيمتلى قلبى سرُوراً وأخشى أنْ تشطَّ بكَ الدِّيارُ

فجرْ وَاهجُرْ وصدَّ ولا تَصِلْني رَضيتُ بأنْ تجورَ وأنتَ جارُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب] :

تولَّى شبابى فولَّى الغرامُ ولازَم شيبِي لزُومَ الغريمِ

ولوْ لم يصدِّقِ بازيُّهُ لما صارَمتْنى مهاةُ الصَّريم

ومن شواهد الجناس المحرف قول أبى تمام [من الكامل] :

من شواهد الجناس المحرف

هنَّ الحمامُ فإن كسرْتَ عيافةً منْ حائهنَّ فإنهنَّ حِمَـامُ

وقول أبى العلا المعرى [من الطويل] :

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا مانصه « قوله ظفيرتاه ، كذا فى النسخ ، والشاهد فيه ، والمعروف بالضاد » قلت : والمغاربة ينطقون الضاد ظاء ، فلعله جاء به على منطقهم .

لغيرى زَكاةٌ منْ جَمالٍ فانْ تكنْ زكاةَ جَمَالٍ فاذكرى ابنَ سبيلِ

وقولُ الحريرى [من السريع] :

لله مَنْ ألبسى فَرْوةً أضحتْ منَ الرِّعدةِ لى جُنَّهْ

ألبسنيها واقِياً مُهجتى وُقِّىَ شرّ الانسِ والجِنَّهْ

سيكتسى اليومْ ثنائى وفى غدٍ سيكسى سُندُسَ الجنَّهْ

وقول الآخر [من مجزوء الكامل] :

قلبٌ وقلبٌ فى يَديـــكَ معذَّبٌ ومُنعمُ

ظمآنُ يطلبُ قطرةً تشفى صداهُ وَينعمُ

وبديع قول سلطان بلنسية أبى عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز وهو يعالج سكرات الموت وقد أشرف على الفوت [من الوافر] :

إلهَ الخلقِ هبْ لى منكَ عفواً تحطّ به وتغفرُ منْ ذُنوبى

وسعتَ الخلقَ إجمالاً ولطفاً فهلْ لى فى نوالك منْ ذَنُوبِ

وما أبدع قول ابن الفارض [من الكامل] :

هلاّ نَهاكَ نُهاكَ عنْ لوْمِ امرئ لم يُلفَ غيرَ منعَّمٍ بشقاءِ

وقول شيخ شيوخ حماة [من الوافر] :

لِعينى كلَّ يومٍ فيكَ عَبْرَهْ تُصيِّرُنى لأهلِ العشق عِبْرَهْ

وقول ابن النقيب [من الخفيف] :

لاَ أجازِى حبيبَ قلبى بظُلْمِهْ أنا أحنى عليهِ منْ قلبِ أُمهْ

جوْرُه مِثلُ عدْلهِ عندَ منْ يهـــواهُ مِثلى وظُلْمُهُ ظَلْمُهْ

وقول البهاء زهير [من المتقارب] :

زهى وردُ خدَّيكَ لكنَّهُ بِغيرِ النَّواظرِ لم يُقطفِ

وقدْ زَعموا أنهُ مُضعف ... وما عَلموا أنهُ مُضْعِفى

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

حلَّ عقدَ الصبرِ مِنِّى عقدُها ... إذْ سبَتْ قَلْبى بما فى قُلْبِهَا

تحسبُ الدُّرَّ على لبَّتِهـا ... أنجماً قـدْ حُلِّىَ البدْرُ بِهَا

من شواهد الجناس المضارع

ومن شواهد الجناس المضارع ـ وهو : ما أبدل من أحد ركنيه حرف من مخرجه أو قريب منه ـ قولُ الشريف الرضى [من البسيط] :

لا يذكرُ الرمْلَ إلاَّ حنَّ مغتربٌ ... لهُ إلى الرَّملِ أوْطارٌ وأوْطانُ

وقول ابن نباتة [من الكامل] :

رقَّ النسيمُ كرِقَّتى منْ بعدكمْ ... فكأننا منْ حبكمْ نتغايرُ

ووعدْتُ بالسلوَانِ واشٍ عابكمْ ... فكأننا فى كذْبنا نتخايرُ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

سلبَ القلبَ غزالٌ قدُّهُ ... قدْ حَكى البَانَ لنا والسَّلَمَا

نونُ صُدْغيهِ إذَا أبصرَهُ ... كاتبٌ ألْقى إليهِ القَلَمَا

وقوله أيضاً [من الكامل] :

أمرَ الشبابُ قضيبَ معطفها ... فَهفا فَنالتْ منْ دُمى أملا

أسرَ الهوَى مُهجَ الأنامِ لها ... إذْ هزَّ منْ أعطافِها أَسَلاَ

من شواهد الجناس اللاحق

ومن شواهد الجناس اللاحق ـ وهو عكس المضارع ـ قولُ البحترى فى مطلع قصيدة [من الخفيف] :

هلْ لما فاتَ منْ تَلَافٍ تلافِى ... أمْ لِشاكٍ منَ الصبابةِ شافِى

يقول فيها ، وهو من المستشهد به على هذا النوع

عجبَ الناسُ لاعتزَالى وفى الأطْـرافِ تُلْفَى منازلُ الأشرَافِ

وقعودِى عن التَّقلُّبِ والأرْ ضُ لمثلى رحيبةُ الأكنافِ
لستُ عنْ ثرْوةٍ بلغتُ مدَاها غيرَ أنى أمرُؤ كفانِى كفافِى

وقول أبى هلال العسكرى [من الوافر] :

أُراعى تحتَ حاشيةِ الدَّياجى شقائقَ وجنةٍ سقِيتْ مُدَاما
وإنْ ذُكِرَتْ لواحظُ مقلتيهِ حسبتُ قلوبنا مطرتْ سِهاما
وإن مالت بِعِطفيهِ شمُول سقانا منْ شمائلِهِ سَقاما

وقول الآخر [من الطويل] :

نظرتُ الكثيبَ الأجرَعَ الفرْدَ مرَّةً
فرَدَّ إلىَّ الطَّرْفَ يَدْمَى ويدْمَعُ

وقول ابن جابر [من المديد] :

بادِرِ الحسنَ الذِى منحتْ فاسترِقْ منْ خدِّها نظرَا
قهرَ الأغصانَ معطَفُهَا حينَ وافى حاملاً قمَرَا

الجناس اللفظى

ومن شواهد الجناس اللفظى — وهو : ما تماثل ركناه وتجانسا خطا ، وخالف أحدهما الآخر فى حرف فيه مناسبة لفظية ، كما يكتب بالضاد والظاء ، ويلحق به ما يكتب بالتاء والهاء ، أو بالنون والتنوين ، وهذا نوع قليل جداً — قال الأرجانى [من الوافر] :

وبيضُ الهندِ منْ وجدِ هوازٍ باحدَى البيض منْ عُلْيَا هوازِنْ

وقال ابن العفيف [من الرجز] :

أحسنُ خلقِ اللهِ وجهاً وفَمَا إنْ لم يكنْ أحقَّ بالحسنِ فَمَنْ

الجناس المقلوب

ومن شواهد الجناس المقلوب — ويسمى جناس العكس ، وهو : الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ، ويخالف

أحدهما الآخر فى الترتيب — قولُ العباس بن الأحنف [من الوافر] :

حُسامكَ فيهِ للأحبابِ فتحٌ ورمحكَ فيهِ للأعداء حتفُ

وقول القاضى أبى بكر البستى [من الطويل] :

حكانِى بَهارُ الرَّوْض لما أَلِفته وكلٌّ مشوقٍ للبهارِ مُصاحبُ
فقلتُ لهُ ما بالُ لوْنكَ شاحباً فقالَ لأنى حينَ أُقلبُ راهبُ

وزاد على هذا المعنى ابن عبد الله الغواص [1] [من الرمل] :

مَنْ عذيرِى مِنْ عذُولى فى قمرْ قامرَ القلبَ هواهُ فقمرْ
قمـــرٌ لم يُبقِ منى حبُّهُ وهواهُ غيرَ مقلوبِ قمرْ [2]

ومثله قول قمر الدولة بن دواس [من مجزوء الرمل] :

أجملى يا جُمْلُ إنى رجلٌ ما فيهِ قَلْبهْ
أو يكنْ ذَاكَ فإنى قمرٌ ما فيهِ قلبهْ [2]

وقول بعضهم [من المتقارب] :

وتحتَ البرَاقعِ مَقلوبُها تدِب على صحْنِ خدٍّ ندِى [3]
تُسالمُ مَنْ وطئتْ خدَّهُ وتسلُبُ قلبَ الشجىِّ الأبعدِ

وقول الآخر [من الطويل] :

فقالتْ تُرى ماذَا الذِى أنتَ قانعٌ بهِ منْ هوَ انا قلتُ مقلوبُ قانعِ [4]

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر (٤ / ٤٤٢ بتحقيقنا) منسوبين له أيضاً .

(٢) مقلوب قمر هو « رمق » والرمق: بقية الحياة ، يعنى أن حبه وهواه لم يبقيا منه غير ذلك .

(٣) مقلوب البراقع هو « عقارب »

(٤) مقلوب قانع هو « عناق »

وقول ابن العفيف مع زيادة التورية [من السريع] :

أسكرنى باللحظِ والمقلةِ الـــكحلاء والوَجنـةِ والكاسِ
ساقٍ يُرينى قلبـهُ قسوةً وكلُّ ساقٍ قلبـهُ قاسِ

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الخفيف] :

قلَبَ الدَّنَّ مَنْ أحبُّ فأضحتْ نفحةُ النَّدِّ من مُحيَّاهُ تُهْدَى
قال لى اعجبْ فقلتُ ماذَا عجيبٌ كلُّ دنٍّ قلبتَهُ صارَ نَدّا

وقول أبى نصر أحمد بن الحسين الباخرزى [من السريع] :

مَنْ عاذِرى مِنْ عاذِلٍ قالَ لى ويْحكَ كم تعشقُ يا مُغْرَمُ
وآلم القلبَ ولا غرْوَ إذْ كلُّ مَـلومٍ قلبهُ مولِمُ

وقول النيلى [من مخلع البسيط] :

إذا رأيتَ الوَداع فاصبرْ ولا يهمنَّكَ البعـــادُ
وانتظرِ العوْدَ عنْ قريبٍ فإن قلبَ الوَداع عادُو

وما أحسن قول الوداعى فى مليح ينتف [من الطويل] :

تعشقتُ ظبياً ناعسَ الطرفِ ناعماً إلى أنْ تبدَّى الشعرُ والعشقُ ألوانُ
وقالوا أفِقْ مِنْ حبِّهِ فهوَ ناتفٌ فقلتُ عكستمْ إنما هوَ فتَّانُ

وما أبدع قول ابن نباتة فى الأمير بهرام [من مجزوء الخفيف] :

قيلَ كلُّ القلوبِ منْ رَهبِ الحبِّ تضطربْ
قلتُ هذا تخرُّصٌ قلبُ بَهرام ما رَهبْ

ومن الغايات فيه قول عبد الله بن رواحة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه أمدح بيت قالته العرب ، وهو [من البسيط] :

تحملهُ الناقةُ الأدْماء معتجراً بالبردِ كالبدرِ جلَّى نورهُ الظلما

وقال ابن أبي الأصبع : رأيت في بعض الكتب : أن هذا البيت ، أحد بيتين مجرورين لكعب بن زهير، وهما :

تحمله الناقة الأدماء معتجراً بالبُرْدِ كالبدر جلى ليلةَ الظلمِ

وفى عطافيه أو أثناء برْدته مايعلمُ اللهُ من دينٍ ومنْ كرَمِ

أقول : ورأيت في حماسة أبي تمام ، نسبة البيت الذى ذكره ابن أبي الأصبع ، لأبى دهبل الجمحى ، فى الأزرق المخزومى ، يرثيه فى أبيات أخر .

وما ألطف قول القائل [من الطويل] :

وألفيتهمْ يستعرضونَ حوَائجاً إليهم ولوكانتْ عليهمْ جوَائحا

ومثله قول الآخر [من الخفيف] :

إن بين الضلوع منِّىَ ناراً تتلظَّى فكيف لى أن أطيقا

فبحقى عليكَ يا منْ سقانى أرَحيقاً سقيتنى أمْ حريقاً

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

قلتُ لما لاحَ لى منهـا شعاعٌ وبريقٌ

أشقيقٌ أمْ عقيقٌ أمحريقٌ أم رَحيقُ

وقول الآخر ، وهو من الغايات هنا [من الرمل] :

لبقٌ أقبل فيهِ هيَفٌ كلُّ ما أملك إن غَنَّى هِبَهْ

وأحسن ما فى هـذا النوع : أن يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافيته ، كقول الشاعر [من مجزوء الكامل] :

رقتْ شمائلُ قاتلى فلذاك رُوحى لا تقرُّ

ردَّ الحبيبُ جوابهُ فكأنهُ فى اللفظ دُر

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الكامل] :

رضّتْ فؤادى غادةٌ ما كنتُ أحْسبُها تَضُرّ
ردّتْ رَسولى خائباً فمدامعِى أبداً تدِرّ

وما ألطف قول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

بين نَعْمَانَ وسَلعٍ ملأ ليسَ منهم لمحبٍّ ألمُ
كلّ منهمْ ببَدْرٍ حلّ فى فَلَكِ العلياء فاعْرف مَنْ هُمُ

وقوله [من السريع] :

قد بانَ عُذْرى فى مليحٍ لهُ لحظُ رشاً يلْحَظُ عن ذُعْرِ
إنى على الهجْرِ مطيعٌ لهُ ممتثلٌ فى السرِّ والجهْرِ

وقوله [من الرمل] :

أبداً أبْسُطُ خدِّى أدباً لكُمُ يا أهلَ ذاك العلَمِ
أمَلِى أنِّى أرى رَبعَكم فبهِ يذهَبُ عنِّى ألمى

من شواهد الجناس الملفق

ومن شواهد الجناس الملفق ، وهو : أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين ، قولُ المطوعى [من الطويل] :

وكم لجباهِ الرّاغبينَ إليه منْ مجالِ سُجُودٍ فى مَجالسِ جودِ

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الطويل] :

وساقٍ غدا يَسْعَى بكأس وطَرْفهُ يجَرِّدُ أسيافاً لغيرِ كِفاحِ
إذا جرَحَ العُشّاق قالوا أقمتَ فى مَدَارجِ راحٍ أم مَدَارِ جِرَاحِ

ولطيف قول القاضى أبى على عبد الباقى بن أبى حصين وقد ولى قضاء المعرة وهو ابن عشرين سنة ، وأقام فى الحكم خمس سنين ، وهو [من الوافر] :

وليتُ الحكمَ خمساً وهْيَ خمسٌ لعَمْرى والصبا فى العُنْفُوَانِ
فلم تَضَعِ الأعادى قَدْرَ شانى ولا قالوا فلان قدْ رَشانى

وما أعذب قول ابن عنين هنا [من الخفيف] :

خبروهـا بأنهُ ما تَصَدَّى   لسلوٍّ عنهـا ولوْ ماتَ صَدّا

جناس الاشارة

ومن أنواع التجنيس جناس الاشارة ، وهو : أن لا يظهر التجنيس باللفـظ بل بالاشارة ، كقول الشاعر [من الرمل] :

حُلِقَتْ لحيـةُ موسى باسمِهِ   وبِهرونَ إذا ما قُلِبَا(١)

ومثله قول الأديب نصر بن أحمد الخبزأرزى [من الطويل] :

لقد عمرت فى وجه سَحْبَانَ لحيـةٌ   وما عمرت إلا وفى العقلِ تخريبُ

فَلَيْتَ اسم موسى فَوْقها متمكنٌ   و إن غاب موسى فاسم هارونَ مقلوبُ

ومثله قول أبى روح الهروى [من الهزج] :

حقيقٌ لك أن تَطْعَـــمَ عَفْصًا وهو معكوسُ(٢)

وأن يلبس جنباكَ الذى مقلوبه طوسُ(٣)

متى يحسن التجنيس

ثم التجنيس إنما يستحسن إذا كان سهلا لا أثر للكافة عليه ، وأما إن خرج عن هذا الحد فانه معيب عند أهل النقد ، و يذهب ببهجة الشعر وحسنه ، وهذا وقع فى أكثرشعر المتأخرين ، وقد حكى صاحب الحديقة أن ابن حمديس أخبره أن عبد الله بن مالك القرطبى عمل قصيدة يقول فيها [من الكامل] :

حَيَّيْتَ إذ حييت حادى عيسِهِمْ   فكأن عيسى من حُداةِ العيسِ

فقال فيه بعض الشعراء [من الكامل] :

ثَقَّلْتَ بالتجنيس خِفَّةَ روحِهَا   ما كان أغناها عن التجنيسِ

---

(١) مقلوب هرون هو « نوره » وهو مسحوق يزيل الشعر

(٢) مقلوب عفص هو « صفع » وهو الضرب على القفا .

(٣) الذى مقلوبه طوس هو « سوط » وهو ما يضرب به

ولحبكَ التجنيسَ جئْتَ ببدعةٍ فجعلتَ عيسى من حُدَاةِ العيسِ

* * *

شاهد رد العجز على الصدر

١٦٥ — سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطِمُ وجْهَهُ وليسَ إلى داعي النَّدَى بسَريعِ

البيت من الطويل ، و بعده :

حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدينِهِ وليس لمـا فى بيْتِهِ بمُضيعِ

وقائلهما الأقيشر الشاعر ، وكان شريباً للخمر ، منهتكا به ، لا يدخل فى يده شىء إلا أنفقه فيه ، وكان له ابن عم موسر ، فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثر ذلك ، فمنعه وقال له : إلى كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فى شرب الخمر ؟ والله لا أعطيك شيئاً أبدا ، فتركه حتى اجتمع قومه فى ناديهم ، وهو فيهم ، ثم جاء فوقف عليهم ، فشكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمه ، فقالهما .

والشاهد فيه: رد العجز على الصدر، وسماه المتأخرون التصدير، وهو: أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى آخر البيت واللفظ الآخر فى صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ، أو صدر المصراع الثانى .

ومن شواهده قول بعضهم [من الطويل] :

تمنَّتْ سُلَيْمَى أن أموتَ صَبابَةً وأهْوَنُ شَىْءٍ عندنا ما تمنتِ

ومثله قول الآخر [من الكامل] :

سُكْرانِ سكرُ هوًى وسكرُ مُدَامَةٍ أنى يُفِيقُ فتًى به سُكْرَانِ

وقول أبى نواس [من مجزوء الكامل] :

وحياةِ رأسِكَ لا أعو دُ لمثلها وحياةِ راسِكْ

وقول ابن جابر [من مخلع البسيط] :

جمال هذا الغزال سحرٌ ... ياحبذا ذاك الجمالُ
هلالُ خديه لم يُغيَّبْ ... عنى وإن غيِّب الهلالُ
غزالُ إنس يَصيدُ أُسْداً ... فاعجب لما يصنعُ الغزالُ
دَلالُه دلَّ كلَّ شَوْقٍ ... عليه إذ زانهُ الدلالُ
كمالهُ لا يخافُ نقصا ... دامَ لهُ الحسنُ والكمالُ
نِبالهُ قد رمتْ فؤادِى ... لا أخطأت تلكمُ النبالُ
حلالُ وصلى لهُ حرامٌ ... وحكم قتْلى له حلالُ
زُلالُ ذاك اللَّمى حياتى ... وأين لى ذلك الزُّلالْ
قِتالهُ لا يُطاقُ لكنْ ... يعجبنى ذلك القتالُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الطويل] :

منازلُ ليلى إن خلَتْ فلَطَالما ... بها عَمَرَتْ فى القلب منى منازلُ
وسائلُ شَوْقى كلَّ يوم تزورُها ... وماضُيعت عندَ الكرام الوسائلُ

وقول أبى الفتح البستى [من البسيط] :

سَحْبَانُ مِنْ غيرمالٍ باقِلٌ حصِرٌ ... و باقِلٌ من ثراء المال سَحْبَانُ

ترجمة الأقيشر

والأقيشر [1] اسمه المغيرة بن عبد الله ، ينتهى نسبه لمضر بن نزار ، و يكنى أبا معرض ، وعمر طويلا ، ولقب بالاقيشر لحمرة وجهه ، وكان يغضب من هذا اللقب . اجتاز يوما على مجلس لبنى عبس فناداه أحدهم ياأقيشر ، فزجره الأشياخ ثم عاد الأقيشر ومعه رجل وقال له : قف معى ، فاذا أنشدت بيتا قل : ولم ذاك ؟ ثم أتى مجلس القوم وقد عرف الشاب ، فأقبل عليه وقال [من الوافر] :

---

(١) للأقيشر ترجمة فى الأغانى (١٠-٨٤ - ٩٧ بلاق)

أتدعونى الأقيشرَ ذاكَ إسمى ... وأدعوكَ ابنَ مُطفِئَة السراجِ

فقال له الرجل : ولم ذاك ؟ فقال :

تُناجى خِدْنَها فى الليلِ سِراً ... وربُّ الناس يعلم ما تُناجى

وقال محمد بن سلام : كان الأقيشر كوفياً خليعا ماجنا مدمنا للخمر، وهو الذى يقول لنفسه [من المتقارب] :

فإن أبا مُعْرِضٍ إذ حسا ... من الرّاح كأساً على المنبرِ

خطيبٌ لبيبٌ أبو معرض ... إذا لِيمَ فى الخمر لم يَصبرِ

أحلَّ الحرامَ أبو معرض ... فصارَ خليعاً على المكبرِ

يحب اللئام ويلحى الكرام ... وإن أقصروا عنه لم يُقْصرِ (١)

وكان الأقيشر عنينا لا يأتى النساء، وكان يصف ضد ذلك من نفسه، فجلس يوما رجل من قيس فأنشده الأقيشر [من الكامل] :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى مَيْعَةٍ ... عَسِرِ المكَرَّةِ ماؤهُ يتَفَصَّدُ (٢)

مرحٌ يطيرُ من المرَاح لعابهُ ... ويكادُ جلدُ إهابه يَتَقَدَّدُ

ثم قال للرجل: أتبصر الشعر ؟ قال: نعم، قال : فما وصفت؟ قال: فرسا، قال : أفكنت لو رأيته ركبته؟ فقال: إى والله، وأثنى عطفه، فكشف الأقيشر عن أيره وقال:

---

(١) فى الأغانى « يجل اللئام »

(٢) فى الأصل « ذى منعة » بالنون . وأراه تحريفا عما أثبته ، والميعة : النشاط ، وفى الأغانى « بمشرف ذى شعرة » وفى ديوان الحماسة (٤ ــ ٣٥٥ بتحقيقنا) بيتان مثل هذين إلا فى القافية ، وقد روى التبريزى فى شرحه (٤ ــ ٣٥٦ بتحقيقنا) ثلاثة أبيات منها هذان البيتان مع بعض تغيير ونسبها للأقيشر .

هذا وصفت ، فقم فاركبه ، فوثب الرجل عن مجلسه وهو يقول : قبحك الله من جليس ! .

وشرب الأقيشر يوما فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى ، وعندهم مخنث يغنيهم ، فطرب الأقيشر فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا قام الأعمى يسعى فى حوائجهم ، وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد فى ذلك جهده ، فقال الأقيشر [من الطويل]:

ومُقْعَدِ قوم قد مَشَى من شرابنا … وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصَرَا

شراباً كريح العنبر الورد ريحهُ … ومسحوق هنديٍّ من المسك أذفرا

وحدث رجل من بنى أسد قال : سمعت عمة الأقيشر تقول له يوماً : اتق الله فقم فصل ، فقال : لا أصلى ، فأكثرت عليه ، فقال : قد أبرمتنى فاختارى خصلة من خصلتين: إما أن أصلى ولا أتطهر ، وإما أن أتطهر ولا أصلى ، قالت: قبحك الله ! فان لم يكن غير هذا فصل بلا وضوء ، فقام فصلى بغير وضوء

وقال أبو أيوب المدائنى : حدثت أنه شرب يوماً فى بيت خمار بالحيرة فجاءه شرطى من شرط الأمير ليدخل عليه ، فأغلق الباب ، فناداه الشرطى : اسقنى نبيذا وأنت آمن ، فقال : والله ما آمنك ، ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضع له أنبوباً من قصب فى الثقب وصب فيه نبيذا من داخل ، والشرطى يشرب من خارج حتى سكر فقال الأقيشر [من الرمل] :

سألِ الشُّرْطيُّ أن نَسْقِيَهُ … فسقيناهُ بأنبوب القصبْ(١)

إنما نَشربُ من أموالنا … فاسألِ الشرطيَ ما هذا الغضبْ

وعن الهيثم بن عدى قال: كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر ، وكان

(٣) فى الأغانى «فسلوا الشرطى».

يتنسك فأتاه الأقيشر، فسأله، فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أريدها جملة ولكن مُر القهرمان أن يعطيني كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفد ، فأمره بذلك ، فكان يأخذها فيجعل درهما لطعامه ، ودرهما لشرابه ، ودرهما لدابة تحمله إلى بيوت الخمارين، فلما نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله ، فأعطاه ، وفعل بها مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعل بها مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فسأله فقال له قيس: لا أبالك كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا ، فانصرف وهو يقول [من الطويل] :

ألم تَرَ قيْسَ الأكمَهَ ابنَ محمدٍ يقُولُ ولا تلْقَاهُ للخير يفْعَلُ
رأيتُكَ أعمى العينِ والقَلْبِ مُمسكا وماخيرُ أعمى القلبِ والعينِ يَبْخلُ(١)
فلوْ صمَّ تمت لَعنَـةُ اللهِ كلُّهـا عليهِ وما فيهِ من الشَّرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه

واختصم قوم بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فقالوا :نجعل بيننا أول من يطلع علينا ، فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران ، فقال بعضهم لبعض: انظروا مَنْ حَكَمنا ، فقالوا : يا أبا مُعرض قد حكمناك ، قال : فيماذا ؟ فأخبروه ، فمكث ساعة ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

إذا صليْت خمساً كلَّ يومٍ فإن الله يَغفرُ لى فُسوقى
ولم أُشرِكْ بِرَبٍّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحَبلِ الوثيقِ
وهذا الحَقُّ لَيس به خفاء فَدَعنى من بُنيّات الطرِيقِ

وقال ابن الكلبي : كان الأقيشر يأتى الحيرة ليشرب الخمر ، فلما دخل شهر رمضان منعه ابن عم له يقال له أسيد من الخروج إليها والشرب فيها ، فلقيه صاحب له وقد شحب لونه وهزِل فقال له : مالى أراك متغير اللون يا أبا معرض؟ فقال [من الكامل] :

(١) فى الأصل «ينحل» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى، وأقوله «ممسكا».

إما تراني قد هَلَكْتُ فإنما رمضانُ أهلكني ودبنُ أسيدِ

هذا يُصَرِّدُني فلستُ بشاربٍ وأخٌ يُؤرِّقُني مع التَّصريدِ

قال : وشرب الأقيشر من حانوت خمارٍ حتى أنفد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شيء ، وجلس في تبن في جانب البيت إلى حلقه مستدفئاً به ، فمر عليه رجل ينشد ضالة فقال : اللهم اردُد عليه واحفظ علينا ، فقال له الخمار : سَخِنَتْ عينك ! أي شيء يحفظ عليك ربك ؟ فقال : هذا التبن لا آمن أن تأخذه فأموت من البرد ، فضحك الخمار وردّ عليه ثيابه ، وقال له : اذهب فاطلب ماتشرب به ، ولا تجئني بثيابك فإني لاأسترهنُها أبدا بعد هذا

وحكي عنه أنه أتى يوماً من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يجده ، وانتظره ، فدخلت امرأة عبادية فقال لها : مافعل فلان ؟ قالت : مضى لحاجته وأنا امرأته ، وقيل : إن الخمار كان اسمه حنينا وإن المرأة قالت له : أنا أم حنين فما تريد ؟ قال : نبيذا ، قالت : بكم ؟ قال : بدرهمين ، فقالت له : هلم درهميك وانتظرني ، قال : لا ، بل أكون معك ، قالت : أنت وذاك ، فمضت وتبعها فدخلت داراً لها بابان فخرجت من أحدها ، وجلس هو ينتظر ، فلما طال جلوسه خرج بعض أهل الدار فقال : مايحبسك[1] ؟ فأخبره القصة ، فقال : تلك امرأة محتالة من العباديين يقال لها أم حنين ، فعلم أنه خدع فقال [من الخفيف] :

لاتغُرَّنَّ ذاتُ خُفٍّ سِوانا بَعْدَ أختِ العبادِ أُم حُنينِ[2]

وعدَتنا بدِرهمين شِواءً وطِلاءً مُعجلا غيرَ دينِ[3]

---

(١) في الأغاني « ما يجلسك » .

(٢) في الأغاني * لم يغرر بذات خف نسوانا *

(٣) في الأغاني :

وعدتنا بدرهمين نبيذا أو طلاء معجلا غير دين

ثم أَلوَتْ بالدِّرْهمين جميعاً ... ياالقومي لضَيْعَةِ الدِّرْهمين
عاهَدَت زَوجَها وقد قال إنى ... سَوفَ أغدُو لحاجتى ولدينى
فدَعت كالحصانِ أبيضَ جَلْداً ... وافِرَ الأيرِ مُرْسل الخُصيتين
قال ما أجرُ ذا هُديتِ فقالت ... سَوْف أعطيكَ أجرَهُ مرتين
فابدأ الآنَ بالسِّفاح فلما ... سالَحَتْهُ أرضتهُ بالأجرتين(١)
تَلَّهَا لِلجبينِ ثمَّ امتَطَاها ... عَارمَ الأيرِ أفحجَ الحالبيْنِ
بَينا ذاكَ منهُما وهْىَ تحوِى ... ظَهرهُ بالبنانِ والمعصمينِ
جاءها زَوجُها وقد شِيمَ فيها ... ذُو انتِصابٍ مُوثق الأخدعيْن
فتأسَّى وقالَ ويْلاً طويلاً ... لحُنَيْن مِنْ عَار أمّ حُنين(٢)

قال : فجاء حنين الخمار فقال: يا هذا ما أردت إلا هجائى وهجاء أمى ! قال: أخذت منى درهمين ولم تعطنى شرابا ، فقال : لا ، والله لاتعرفك أمى ولاأخذت منك شيئاً قط، فانظر إلى أمى فان كانت صاحبتك غرمت لك الدرهمين ، قال : لاوالله لاأعرف غير أم حنين وماأهجو إلا أم حنين وابنها، فان كانت أمك فأياها أعنى، وإن كانت أم حنين أخرى فاياها أعنى، قال : فاذاً لايفرق الناس بينهما، فقال : ماعلى؟ أترى أن درهمىّ يضيعان على؟ فقال :هلم إذا أغرمهما لك ، لابارك الله لك فيهما ! .

وحكى أنه تزوج بابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم ، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً، فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين، وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال [من المتقارب]:

---

(١) فى الأغانى * ... أرضته بالآخريين * ولعله محرف عما هنا .
(٢) فى الأغانى * . . . وقال ويل طويل * بالرفع ، وهو وجه حسن فى العربية .

كفاني المجوسيُّ مهرَ الرّبابِ فداءٌ المجوسيِّ خالٌ وعمْ
شهدتُ عليكَ بطيبِ الأرومِ وأنكَ بحرٌ جوادٌ خضَمْ[(١)]
وأنكَ سيدُ أهلِ الجحيمِ إذا ما تردَّيتَ فيمنْ ظلم
تجاورِ هامانَ فى قعرها وفرعونَ والمكتنى بالحكَمْ[(٢)]

فقال المجوسيّ : ويحكَ ! سألتَ قومكَ فلمْ يعطوكَ شيئا ، وجئتنى : فأعطيتك فجزيتنى هذا القول ، ولم أفلت من شرك ، فقال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبى جهل ؟ ثم جاء إلى عكرمة بن ربعى التميمى فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال [من المتقارب] :

سألتُ ربيعةَ مَنْ شرُّها أباً ثم أمًّا ، فقالوا لِمَهْ
فقلتُ لأعلمَ مَنْ شركمْ وأجعلَ للسبِّ فيكمْ سِمَهْ[(٣)]
فقالوا لعكرمةَ المخزياتُ وماذا يرى الناسُ فى عكرمهْ
فإنْ يكُ عبداً زكاَ مالهُ فما غيرُ ذا فيهِ منْ مكرُمَهْ

ومن شعر الأقيشر قوله [من السريع] :

يا أيها السائلُ عما مضى منْ علمِ هذا الزمنِ الذاهبِ
إن كنتَ تبغى العلمَ أو أهلهُ أوْ شاهداً يخبرُ عن غائبِ
فاختبرِ الأرضَ بأسمائِها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وكان الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق ، ومدح أخيه زكرياء ،

---

(١) روى هذا البيت فى الأغانى هكذا :
شهدت بأنك رطب المشاش وأن أباك الجواد الخضم
(٢) فى الأغانى * تجاور قارون *
(٣) فى الأغانى * وأجعل بالسب فيه سمه *

فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونى(١) منه ، فجمعوا بعراً وقصباً ، بظهر الكوفة ، وجعلوه فى وسط إرَةٍ ، وأقبل الأقيشر ، وهو سكران من الحيرة ، على بغل أبى المضاء رَجل مُكارٍ ، فأنزلوه عن البغل ، فغاروا وأخذوا الأقيشر ، فشدُّوه رباطاً ، ثم وضعوه فى تلك الارة ، وألهبوا النار فى ذلك القصب والبعر وجعلت الريح تَسفع وجهه وجسمه بتلك النار ، فأصبح ميتاً ، ولم يُدْرَ مَنْ قتله ، وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة المشَرّفة .

*

* *

من شواهد رد العجز على الصدر

١٦٦ — تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجدٍ
فَمَا بَعْدَ العشيةِ مِنْ عَرَارِ

البيت للصمة القشيرى ، من أبيات من الوافر ، وهى :

أقولُ لصاحبي وَالعيسُ تَهْوِى ... بِناَ بينَ المنيفةِ ، فالضمارِ

وبعده البيت ، وبعده :

ألاَ يا حبذا نفحاتُ نجدٍ ... وَرَيَّا رَوْضِهِ بعدَ القِطَارِ
وأهلكَ إذ يَحُلّ الحىُّ نجداً ... وأنتَ على زمانكَ غيرُ زارِ
شهورٌ ينقضينَ وَمَا شَعَرْنَا ... بأنصافٍ لهنَّ ولا سرَارِ
فأما ليلهنَّ فخيرُ ليلٍ ... وأقصَرُ ما يكونُ منَ النهارِ

وقيل : الأبيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلى .

ومن ظريف ما يحكى هنا أن على بن عيسى الرّبعى النحوى — وكان يرمى

---

(١) هكذا فى الأصل ، وقد حذف نون الرفع لما اجتمعت هى ونون الوقاية ، والأصل « تريحوننى » وذلك أحد ثلاثة أوجه فى مثل ذلك ؛ وهو أضعفها ، وثانيها بقاؤها بحالها ، وثالثها أن تدغم إحداهما فى الأخرى .

بالجنون ـ مرّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق ، فحل الربعى سَرَاوِيله ، وجلس على أنف السكران ، وجعل يضرط ويشمه ، ويقول :

تمتعْ مِنْ شميمِ عَرَارِ نجدٍ فما بعدَ العشيةِ مِنْ عَرَارِ

وعلى ذكره فانه كان مبتلى بالكلاب : سأل يوماً أولاد الأكابر ، الذين كانوا يحضرون عنده أن يمضوا معه إلى كلواذا ، فظنوا ذلك لحاجة عرضت له ، فركبوا خيولا ، وخرجوا ، وجعل هو يمشى بين أيديهم ، فسألوه الركوب ، فأبى عليهم ، فلما صار بخرابها أوقفهم على ثلم ، وأخذ كساء وعصا ، وما زال يعدو إلى كلب هناك ، والكلب يثب عليه تارة ، ويهرب منه أخرى ، حتى أعياه ، فعاونوه عليه ، حتى أمسكوه له ، فأخذَ يعضُّ على الكلب بأسنانه عضاً شديدا والكلب يستغيث ويزعق ، فما تركه حتى استشفى ، وقال : هذا عضنى منذ أيام ، وأردت أن أخالف قول الأول [من السريع] :

شاتمنى كلبُ بنى مسمعٍ فصنتُ عنهُ النفسَ والعرْضَا
وَلَمْ أجبهُ لاحتقارى لهُ ومن يعضُّ الكلبَ إن عضّا ؟

وهذان البيتان ، أنشدها أبو عمرو بن العلاء ، عن ثعلب فى المبرد ، ومنه أخذ الناجم [من الوافر] :

عذيرِى منْ أخى سفهٍ رَمانِى بما فيهِ فقلتُ لهُ سلامَا
أبى لى أنْ أجيبكَ أنّ قَدْرِى أبى لى أن أنازعكَ الكلامَا

ومن عجيب ما يحكى فى التطير أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما خرج من القاهرة إلى جهة البلاد الشامية ، أقام ظاهر البلد لتجتمع العساكر وعنده الأعيان من [رجال] الدولة والعلماء والأدباء ، فأخذ كل واحد يقول شيئا فى الوداع والفراق ، وكانَ فى الحاضرين معلم أولاده ، فأخرج رأسه منْ بين الحاضرين ، وأشار إلى السلطان منشداً :

تمتعْ منْ شميم عَرَارِ نجدٍ　　فما بعدَ العشيةِ منْ عَرَارِ

فانقبض السلطان والناس ، وتطيروا من ذلك ، وكان الأمر على ما قال ، فانه لم يعد إلى مصر بعدها ، واشتغل بالبلاد الشرقية ، وفتوح القدس والسواحل ، إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وهذه الواقعة لا يستغرب مثلها من معلم أطفال ، فان لهم نوادر يعجز جحا عن حدها ، ويقصر هَبَنَّقَةُ عن شأوها .

من نوادر معلمى الصبيان

فمن ذلك ماحكاه بعضهم ، قال : عَبَرْتُ على معلم ، وهو يملى على غلام بين يديه (فريقٌ فى الحبة وفريقٌ فى السعير) فقلت له : ياهذا : إن الله لم يقل إلا (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) ، فقال : أنت تقرأ على حرف أبى عاصم بن العلاء الكسائى ، وأنا أقرأ على حرف أبى حمزة بن عاصم المدنى ، فقلت له : معرفتك بالقراء أعجب إلى من معرفتك بالقرآن ، وانصرفت .

وقال آخر : مررت بخربة ، وإذا معلم واقف على أربع ينبح نبيح الكلاب فجعلت أنظر إليه ، وإذا صبى قد رفع ستراً وخرج ، فقبض المعلم عليه ، فقلت للمعلم : عرفنى خبركَ ، قال : نعم هذا صبي أؤدّبه وهو يبغض التأديب ويفر منه فيدخل إلى داخل ، فلا يخرج ، فاذا طلبته بكى ويؤذيهم ، وله كلب يلعب به ، فأنبح له فيظن أنه كلبه فيخرج إلىّ ، فآخذه .

وقال آخر لبعض المعلمين : مالى لا أرى لك عصاً ، قال : لا أحتاج إليها . إنما أقول : من لم يرفع صوته بالهجاء فأمه زانية ، فيرفعون أصواتهم ، وهذا أبلغ من العصا وأسلم .

وآذى معلماً رائحة الفساء ، فصاح بالصبيان : ويلكم تخرجون الريح . فجحدوا جميعا ، فصاح واحد منهم : يا معلم فعله أخى ، فقال المعلم : أترانى لا أعلم أنها فسوته ، ولكن أعلل نفسى بالأباطيل .

وقال صبي للصبيان : هل لكم فى أن نغلب اليوم معلمنا ؟ قالوا : نعم ، قال : تعالوا حتى نشهد عليه أنه مريض ، فجاء واحد وقال : أراك ضعيفا ، وأظنك ستُحَمّ . فلو أتيت المنزل فاسترحت وقمت أنا مقامك ، فقال : يا فلان ، زعم فلان أنى عليل ، فقال : صدق والله ، وهل يخفى هذا على جميع الصبيان؟ إن سألتهم أخبروك ، فسألهم فشهدوا ، فقال : انصرفوا اليوم وتعالوا غداً .

وضرب معلم صبيا ، فقيل له : ما ذنبه ؟ قال : أنا أضربه قبل أن يذنب ، لئلا يذنب .

وقال بعضهم : رأيت صبيا تعلّق بآخر ، وأحضره بين يدى معلم ، وقال : يا أستاذى : هذا عضّ أذنى ، فقال : والله ما عضضتها ، وإنما هو عضّ أذن نفسه ، فقال المعلم : يا ابن الخبيثة ، هو صار جملا حتى يعضّ أذن نفسه .

وقال الجاحظ : رأيتُ معلما يبكى ، فقلتُ لهُ : ما يبكيك ؟ قالَ : سَرَقَ الصبيان خبزى .

وقرأ صَبيٌّ على معلم : (همُ الذينَ يقولُونَ لاَ تنفقوا إلاَّ منْ عند رسولِ الله) فقال المعلم : من عند أبيك القرنان أولى ، فانه كثير المال يا ابن الفاعلة ، أتلزم النبى صلى الله عليه وسلم نفقة لاتجبُ عليه ؟ أعجبك كثرة ماله ؟ .

وقال معلم لصبى : ما هجاء حمار ؟ فقال : حاء راء ميم كاف . فقال المعلم : يا ابن الفاعلة : أقول لك هجاء حمار وتقول هجاء حر أمك .

ونوادرهم كثيرة فلا حاجة إلى الاطالة بها .

وما أحسن قول بعض المعلمين ببلخ ـ وقد جلس حديث عهد بتعليم الصبيان ـ [من مجزوء الكامل] :

ما طَارَ بينَ الخافقينِ أقلُّ عقلاً مِنْ مُعلمْ
ولقدَ دَخلنا فى الصنا عةِ منْ قَريبٍ ، رَبِّ سلمْ

عود إلى بيت الشاهد

وَلنَرجع إلى الْكلام على البَيت المستشهد بِهِ على النّوع

وقد ضمنه أبوجعفر الأندلسى فقال [من الوافر] :

لقدْ كرّ العِذَارُ بوَجنتيهِ كمَا كرَّ الظلامُ علىَ النهارِ

فغابَتْ شمسُ وَجنْتهِ وجَاءتْ علىَ مَهلٍ عشيّاتُ العرَارِ

فقلتُ لناظرِى لمـا رآها وقَدْ خلطَ السوادُ بالاحمرارِ

تمتعْ منْ شميمِ عرَارِ نجْدٍ فمـاَ بَعْدَ العشيةِ منْ عرَارِ

والشميم: مَصْدَر كالشم. والعرار — بفتح العين — بهار البر. واحدته بهاء. وهو ورد ناعمٌ أصفر، طيب الرائحة .

والشاهدفى البَيت : مجىء اللفظ الآخر فى حشو المصْراع الأول، ومنه قول جرير [من الطويل] :.

سَقى الرّملَ جَوْنٌ مُستهلٌ غمامةٍ

وَما ذاكَ إلا حُبّ منْ حلّ بالرّمـلِ

وقول زهير [من الوافر] :

كذلكَ خِيمُهُمْ ولـكلّ قومٍ إذا مستهمُ الضرّاء خـيمُ

وقول أبى تمام [من الوافر] :

ولمْ يحفظْ مُضاعَ المجدِ شىءٌ منَ الأشياء كالمـال المضاعِ

وقول الخليع الشامى[1] [من الـكامل] :

خُذْ ياغلامُ عنانَ طَرْفكَ فاثنهِ عنىّ فقدْ ملكَ الشمول عنانى

وقول أبى الفتح البستى [من السريع] :

أشفقْ على الدرهمِ وَالعينِ تسلمْ من الغيبةِ وَالدّينِ

فقوّةُ العَـينِ بانسانهَا وقوّةُ الانسانِ بالعَـينِ

(١) كذا

وقول أبى جعفر البحاث ، وقد حلم بخيال حبيبٍ له ، فنبهه ذلك الحبيب [من البسيط] :

يامن ينبهنى عن رَقدَةٍ جمعَتْ بَيْنى وَ بينَ خيالٍ منهُ مأنوسِ
دعْنى فانكَ محْروسٌ ومرتقبٌ وَخلِّنى وخيالاً غيرَ محْروسِ

وَقول الغزى [من الوافر] :

فلوْ سمحَ الزمانُ بها لضنَّتْ وَلوْ سمحَتْ لَضَنَّ بها الزمانُ

ولابن جابر فيه [من الخفيف] :

بينَ تلكَ الخيامِ أكرَمُ قومٍ ضُربتْ للندَى عليهمْ خيامُ
قدْ أقامـوا بينَ العقيقِ وسلعٍ فحياةُ النفوسِ حيثُ أقامـوا

وله أيضا [من الخفيف] :

خجلتْ عندَ مانظرتُ إليها وانثنتْ وهى بين تيهٍ ومنْعِ
إنمـا وَرْدُ خدّها زرْعُ طرفى حينَ يرنو فـكيف أحرَمُ زَرعى

ترجمة الصمة القشيرى

والصِّمة [1] هو : ابن عبدالله بن الطفيل بن قُرَّة بن هبيرة القشيرى ، شاعر إسلامى ، بَدوى ، مُقلّ من شعراء الدولة الأموية ، ولجده قرة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليهِ وسلم . وهُو : أحد وفود العَرب عليهِ . وكان الصِّمة يهوى ابنة عم له [دِنيةً] ، يقال لها : العامرية[2]، أوثر عليه فى تزويجها غيره ، لأن

---

(١) تجد للصمة القشيرى ترجمة فى الأغانى (٥ ـ ٣١ بلاق) .

(٢) فى الأصل « ابنة عم له يقال لها ذُبَّة » وهو من عجائب التحريف وقد أثبتنا ما فى الأغانى ، والذى يظهر أن كلمة « دنية » التى زدناها عن الأغانى ، ومعناها القرابة القريبة، يعنى أن أباها أخو أبيه لا ابن عمه ، قد انحرفت عن موضعها . فظنها الناسخ اسم ابنة العم وحرفها .

عمه لؤم فى السماح بالمهر ، وكان قد اشتط فيه ، ولؤم أبوه فى إكماله ، فأنف الصمة من فعلهما وخرج إلى طبرستان فأقام بها إلى أن مات .

وحكى ابن دأب أن الصمة هوى امرأة من بنى عمه يقال لها : العامرية بنت عطيف ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه بها ، وخطبها عامر بن بشر الجعفرى ، فزوجه إياها ، فلما بنى بها زوجها وجد بها وجداً شديداً ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها : جبرة ، فأقام معها يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وقال [من الطويل] :

لعمرِى لئنْ كنتمْ على النأىِ والقلى ... بكمْ مِثلُ مَابى إنكمْ لصَديقُ

إذا زَفرَاتُ الحبِّ صَعدنَ فى الحشَى ... رُدِدْنَ ولم ينهجْ لهنّ طريقُ

وقال أيضا [من الطويل] :

إذا ما أتتْنا الريحُ منْ نحو أرضكمْ ... أتتنا بِريَّا كمْ فطابَ هبوبُها

أتتنا بريحِ المِسْكِ خالَطَ عَنْبرًا ... وريحِ الْخزَامَى باكَرَتْها جنوبُها

قال : وخرج الصمة فى غزو إلى الديلم ، فمات بطبرستان .

وحكى عن رجل من أهل طبرستان ، قال : بينا أنا أمشى فى ضيعة لى ، فيها ألوان من الفاكهة والزعفران ، إذا بانسان مطروح عليه أثواب خُلْقَان ، فدنوت منه ، فاذا هو يتحرك ، ويتكلم ، فأصغيت اليه ، فاذا هو يقول بصوت خفىّ ، [من الطويل] :

تعز بصبرٍ لاَ وَرَبكَ لا ترَى ... سنامَ الحمى أُخرَى الليالى الغوابرِ

كأنّ فؤادى من تذكره الحمَى ... وأهلِ الحمَى يهفو بهِ ريشُ طائرِ

فما زال يردد هذينِ البيتين حتى فاضت نفسه ، فسألت عنه ، فقيل لى : هذا الصمة بن عبد الله القشيرى .

***

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٧ — وَمَنْ كانَ بالبِيضِ الكَوَاعِبِ مُغْرَماً
فَمَا زِلتَ بالبيضِ القَوَاضِبِ مُغْرَمَا

البيت لأبى تمـام ، من قصيدةٍ (١) من الطويل ، يمدح بها محمد بن يوسف الطائى ، أولها :

عَسَى وطنٌ يَدْنو بهمْ ولعلما ... وأَنْ تعتبَ الأيام فيهمْ فَرُبمَا
لهمْ منزل قد كان بالبيض كالدّمى ... فصيحَ المعانى ثم أصبح أعجمَا
وَرَدَّ عُيونَ الناظرينَ مهانةً ... وقد كان مما يرجعُ الطرفَ مكرمَا
تَبدَّلَ غاشيهِ بريمٍ مُسلمٍ ... تَردَّى رداءَ الحسنِ كَيفاً مسلمَا
ومنْ وَشى خزٍ لمْ ينمنم فرنده ... معالم يذكُرْن الكتاب المنمنما(٢)
وَبالحَلى إنْ قامتْ ترنم فوقها ... حمامٌ إذا لاقى حماما ترنَّمَا
وَبالخَدلَةِ الساقِ المخدَّمةِ الشوى ... قلائص يتلونَ القسى المخدَّمَا(٣)
لقدْ أصبحَ الثغرانِ سدَّين بعدما ... رأوْا سَرَعَانَ الذُّلِّ فَذًّا وتوأَمَا
وكنتَ لناشيهمْ أباً ولكهلهمْ ... أخاً ولذى التقويس والكبرةِ ابْنَمَا

وبعده البيت ، وبعده :

ومنْ تيمتْ سمرُ الحسانِ وأُدمها ... فما زلْتَ بالسمر العوالى متيما(٤)

وهى طويلة بديعة .

والكواعِبُ : جمع كاعب ، وهى : الناهدة الثدى . والبيض القواضب : السيوف القواطع .

(١) انظرها فى الديوان (٢٩٤)
(٢) فى الديوان « ومن وشى خد »
(٣) فى الديوان *قلائص يتبعن القسى المخدما* وفيه بين هذا البيت والذى بعده ستة أبيات
(٤) فى الديوان * وما تيمت سمر الغوانى وأدمها *

والشاهد فى البيت : مجىء اللفظ الآخر فى آخر المصراع الأول . ومنه قول أبى الأسود الدؤلى [من الطويل] :

وما كلُّ ذى لبٍّ بمؤتيكَ نُصْحَهُ ... وما كلُّ مُؤتٍ نصحهُ بلبيبِ

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وجُوهٌ لوانَّ الأرضَ فيها كواكبٌ ... تَوَقَّدُ للسارى لكانتْ كواكبا

وقول ابن الرومىّ [من الكامل] :

رَيْحَانُهمْ ذهبٌ على دُرَرٍ ... وشَرَابهمْ دُرَرٌ على ذهبِ

وقول ابن جابر [من الخفيف] :

لكَ نفسى إذا بَدَتْ لكَ نجدٌ ... فلقدْ سرَّنى الزّمانُ بنجدِ

فلتلكَ الخيامِ عندىَ عهدٌ ... وأبى اللهُ أن أُضيِّعَ عهدِى

وما أبدع قول البديع الهَمذانى فى معنى بيت أبى تمام المستشهد به هنا، وهو من شواهد البيت قبله [من مجزوء الكامل] :

وَهوَاى للبيضِ الصِّبا ... حِ هَوَاكَ للبيضِ الصِّفَاحِ

***

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٨ — وإنْ لم يكن إلاَّ مُعرّجُ ساعةٍ ... قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلُهَا

البيت لذى الرمة، من قصيدة من الطويل، قالها فى صاحبته مية، أولها :

خليلىَّ عُدَّا حاجتى منْ هوا كما ... ومَنْ ذَا يُواتى النفسَ إلا خَليلُها

ألمَّا علَى الدار التى لوْ وجدتُما ... بها أهلَها ما كان وَحْشاً مَقيلُها

وبعده البيت، وبعده :

لقدْ أشرِبَتْ قلبى لمىٍّ مودّةً ... تَقَضَّى الليالى وَهْوَ باقٍ وسيلُها

مُهَفْهَفَةُ الكشحين رُؤدٌ شَبابُها مُبَتَّلَةٌ خَوْدٌ نَبيلٌ حُجولُها
وَقدْ تيَّمَتْ قلبي فليسَ بنازعٍ وَقدْ شَفَّهُ هِجرانُها وَمطولُها

روى عن سليمان بن عباس ، قال : أخبرنى أبى ، قال : مررت فى أرض بنى عقيل، فرأيت جارية بيضاء ، تَدَافَعُ فى مشيها تدافع الفرس المختال ، تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النسور، لم أر أكمل جمالا منها ، فوقفتُ لأكلمها ، فقالت لى عجوز بفناء منزلها : مالك ولهذا الغزال النجدى ، الذى لاحظ لك فيه سوى قول القائل [من الطويل] :

ومالكَ منها غيرُ أنك نائلٌ بعينيكَ عينيها وأيركَ خائبُ

فقالت لها الفتاة : دعيه ياأماه يكن كما قال ذو الرمة :

و إن لم يكنْ إلا معرَّجُ ساعةٍ قليلا فانى نافعٌ لى قليلها

ومنه قول يزيد بن الطثْرية [من الطويل] :

أليسَ قليلاً نظْرَةٌ إنْ نظَرْتها إليكِ، ولكنْ ليس منكِ قليلُ

وقول أبى إسحاق الموصلى [من الخفيف] :

إنَّ ماقلَّ منكَ يكثرُ عندى وكثيرٌ ممن تحبُّ قليلُ

وَقول الخوارزمى [من مخلع البسيط] :

إذا ملكتم فلا تَتيهُوا وإن حكمتم فلا تجورُوا
تعطَّفوا وارحموا محبًّا قليلكم عنده كثيرُ

وقول المتنبى [من الوافر] :

وجُودُك بالمقامِ وَلوْ قليلاً فماَ فيماَ تجودُ بهِ قليلُ

وقول أبى نصر أحمد الميكالى [من الوافر] :

قَليلٌ مِنكَ يكفينى ولكنْ قليلكَ لا يقالُ لهُ قليلُ

وقد ألمَّ بهذا المعنى شرف السادة : محمد بن عبيد الله الحسينى البلخى بقوله من قصيدة طويلة [من الكامل] :

ولرُبما سمحَ البَكِيُّ بدَرِّهِ وَشفى الغليل تعللٌ بقليلِ

والتعريج : الاقامة على الشيء وحَبْس المطى على المنزل .

والمعنى : إن لم يكن إلمَاماً ـ أى نزُولاً قليلاً بالدار ـ إلا تعريج ساعة فان قليلها ينفعني و يشفى غليل وجدى .

والشاهد فيه : مجيء اللفظ الآخر فى صدر المصراع الثانى ، وما أحسن قول ابن جابر [من الخفيف] :

صَفحوا عَنْ مُحِبهمْ وأقالوا مِنْ عِثارِ النوى ومَنُّوا بوصلِ

لستُ أستوجبُ الوِصالَ وَلكنْ أهلُ تلكَ الدّيارِ أكرَمُ أهْلِ

ترجمة ذى الرمة

وذو الرمة(١) هو : أبو الحارث غَيْلَان بن عُقْبة ، ينتهى نسبه لنزار، الشاعر المشهور، أحد فحول الشعراء .

يقال : إنه كان ينشد شعره فى سوق الابل ، فجاء الفرزدق فوقف عليه ، فقال له ذو الرمة : كيف ترى ماتسمع يا أبا فراس ؟ قال : ماأحسن ماتقول ! قال : فما لى لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قَصَّر بك عن غايتهم بكاؤك فى الدِّمَنِ ، ووصفكَ الأبعار والعطَن .

قال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بذى الرمة ؟ والرجز برؤبة بن العجاج ،

---

(١) لذى الرمة ترجمة فى الأغانى (١٦ ـ ١١٠ بلاق) وتزيين الأسواق (١ ـ ٩٣) وخزانة الأدب للبغدادى (١ ـ ٥٠) وابن خلكان (٢ ـ ١٣٧) والشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٣٣) .

فقيل له : إن رُؤْبَةَ حيٌّ ، فقال : نعم ، ولكنه ذهب شعره كما ذهب مطعمُهُ وملبسهُ ومنكحهُ . فقيل له : فهؤلاء الآخرون . فقال : مرقعونَ مهدَّمون ، إنما هم كَلٌّ على غيرهم .

وذو الرمّة : أحد عشاق العرب المشهُورين بذلك ، وصاحبتُهُ ميّة ابنة مقاتل (١) ابن طَلَبة بن قيس بن عاصم المنقرى . وقيس بن عاصم : هو الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم ، فأكرمه وقال له : أنت سيد أهل الوبر . وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها فى شعرِهِ ، وإياهما عَنَى أبو تمام الطائى فى قصيدته البائية بقوله [من البسيط] :

مَا رَبْعُ ميةَ معموراً يُطيفُ بِهِ ... غيلانُ أبْهى رُبًا من رَبْعها الخرِبِ

وقال ابن قتيبة : قال أبو ضرار الغنوى (٢) : رأيت ميّة وإذا معها بَنُون لها ، فقلت : صفها لى ، فقال : مسنونة الوجه ، طويلة الخدّ ، شماء الأنف ، عليها وسمُ جمال . قلت : أكانت تنشدك شيئا مما قال فيها ذو الرمة ؟ قال : نعم .

ومكثت مية زماناً تسمع شعْرَ ذى الرمة ولا تراه . فجعلت لله عليها أن تنحرَ بدنةً إذا رأته ، فلما رأته رأت رجُلا دميما أسود ، وكانت من أهل الجمال ، فقالت : واسوءتاه ! وابؤساه ! فقال ذو الرمة [من الطويل] :

على وَجْهِ مَيٍّ مسحة مِنْ ملاحةٍ ... وتحتَ الثياب العار لو كان باديًا (٣)

ألم ترَ أنّ المـاء يخبثُ طعْمُهُ ... وإن كان لون الماء أبيضَ صافيًا

---

(١) هكذا سمى ابن خلكان أباها ، وقال ابن قتيبة « مية بنت فلان ابن طلبة »

(٢) هكذا فى ابن خلكان عن ابن قتيبة . وهو إحدى نسخ الشعر والشعراء ، وفى أخرى « ابن سوار الغنوى » ومثله فى الأغانى .

(٣) فى الشعراء « وتحت الثياب الشين »

فيا ضَيْعة الشعر الذى لجَّ فانقضى بمىٍّ فلم أملك ضلالَ فؤاديا (١)

ومن شعره السائر فيها [من الطويل] :

إذا هبَّتِ الأرواحُ من نحو جانبٍ به أهْلُ مىّ هاجَ قلبى هُبُوبُها

هوًى تذرف العينانِ منهُ ، وإنما هوَى كلِّ نفس أين حَلَّ حبيبُها

وكان ذو الرمة يُشَبِّب بخرقاء أيضاً ، وهى من بنى البكاء بن عامر بن صعصعة . وسبب تشبيبه بها أنه مر فى سفر ببعض البوادى فاذا خرقاء خارجة من خباء ، فنظر إليها فوقعت فى قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها ، فقال : إنى رجل على ظهر سفر وقد تخرقت إداوتى فأصلحيها لى ، فقالت : والله ما أحسن العمل وإنى لخرقاء — والخرقاء : التى لا تعمل شيئا لكرامتها على أهلها — فشبب بها ذو الرمة ، وسماها خرقاء ، وإياها عنى بقوله [من الطويل] :

وما شَنَّتا خرقاء واهية الكُلَى سقَى بهما ساقٍ فلم يتبَلَّلاَ

بأضْيَعَ من عينَيْكَ للدمعِ كلما تذكَّرْتَ ربْعا أو توهمت منزِلا

وقال المفضل الضبي : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى : هل لك فى أن أريك خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ فقلت : إن فعلت فقد بررتنى ، فتوجهنا جميعا نريدها ، فعدل بنا عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا أبيات شعَر ، فاستفتح بيتا ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسَّانة بها فوه (٢). والحُسَّانة أشد حسنا من الحسناء ، فسلمت وجلست ، فتحدثنا ساعة ثم قالت : هل حججت قط ؟ قلت : غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى منْسَكٌ من

---

(١) فى الشعراء « ولم أملك ضلال فؤاديا »

(٢) فى الأصل « بها قوة » وقد أثبتنا ما فى الشعراء لأنه أصل هذه الترجمة وعنه أخذ المؤلف

مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذى الرمة حيث يقول [من الوافر] :

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطَايا ... على خَرْقاءَ واضعةَ اللثامِ

وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه ! وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيْدَحَ ، وكان هذا الاسم علماً عليها، بقوله [من الوافر] :

رأيْتُ الناس يَنْتَجِعُونَ غيثاً ... فقلت لصَيْدَحَ انتجعى بلالا(١)

و بقوله [من الطويل] :

إذا ابْنَ أبى موسى بلالاً بلغتِهِ ... فقامَ بفأس بين عَيْنَيْكِ جازرُ (٢)

وقد أخذه من قول الشماخ فى عرَابة الأوسي يخاطب ناقته [من الوافر] :

إذا بلَغتِنِى وحملتِ رحلى ... عرَابَةَ فاشْرَقى بدمِ الوتينِ

وجاء بعدهما أبو نواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد بن الرشيد [من الكامل] :

و إذا المطىُّ بنا بَلَغْنَ محمداً ... فظُهُورهُنَّ على الرجالِ حَرَامُ

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة — وقد كانت نجَتْ على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — فلما وصلت إليه قالت له : يارسول الله ، إنى نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ما جزيتيها(٣).

---

(١) يرويه النحاة * سمعت النـاس ينتجعون غيثا * ويحكون النصب والرفع فى كلمة « الناس » على روايتهم

(٢) يروى * فقام بفأس بين وصليك جازر *

(٣) كذا ، وتخرج على أن زيادة الياء لاشباع كسرة التاء ، ولها نظائر.

ومعنى الأبيات الثلاثة أنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتنى ، وأغنيتنى ، إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضاً عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود، لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح.

وقد نظم أبو نواس هذا المعنى أيضا عائبا على الشماخ قوله [من الوافر]:

أقولُ لناقتى إذ بلَّغَتْنى ... لقد أصبَحْتِ منى باليمينِ
فلم أجعلك للغرْبان نحلاً ... ولا قُلْتُ اشْرَقِى بدَمِ الوتينِ

وكان لذى الرمة إخوة : هشام ، وأوفى ، ومسعود ، فماتَ أوفى ثم مات ذو الرمة بعده ، فقال مسعود يرثيهما ، هكذا قال ابن قتيبة ، وقال فى الحماسة فى المراثى خلاف ذلك ، والأبيات التى قالها مسعود هى [من الطويل] :

تعَزَّيت عن أوْفى بغَيْلاَنَ بعدَهُ ... عزاءً وجَفْنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ
ولم يُنْسِنى أوفى المصيبات بعدهُ ... ولكن رأيت القرْحَ بالقرحِ أوجعُ

فى جملة أبيات قالها .

وأخبار ذى الرمة كثيرة والاختصار أولى .

والرمة — بالضم — قطعة من حبل ، وتكسر ، ولقب بذلك لقوله فى الوتد [من الرجز] :

* أشْعثَ باقى رُمَّةِ التقليدِ *

ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة، وأنشد [من البسيط] :

يا قابضَ الروحِ عن نفسى إذا احتُضِرَتْ ... وغافِرَ الذنبِ زحزِحنى عن النارِ

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى !

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٩ — دعانى من ملامكما سفاها فداعى الشوق قبلكما دعانى

البيت للأرجانى، من قصيدة[1] من الوافر، يمدح بها الوزير سعد الملك أولها:

إذا لم تقدرا أن أن تسعدانى على شجنى فسيرا واتركانى

وبعده البيت، و بعده:

وأين من الملام لقى هموم يبيت ونضوه ملقى الجران
أميل عن السلو وفيه برء وأعلق بالغرام وقد بلانى[2]
وأعجب من حنينى فى التنائى وأعجب من صدودك فى التدانى[3]
ألا لله ما صنعت بعقلى عقائل ذلك الحى اليمانى
نواعم ينتقبن على شقيق برف ويبتسمن بأقحوان
دنون عشية التوديع منى ولى عينان بالدم تجريان
فلم يسحن إكراماً جفونى ولكن رمن تخضيب البنان

وهى طويلة.

والسفاه والسفه والسفاهة: خفة الحلم، وتثلث سينه، وقيل: هو نقيضه، أو الجهل.

والشاهد فيه: وقوع أحد اللفظين المتجانسين فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول، وهما دعانى الأولى بمعنى اتركانى ودعانى الثانية من الدعاء، ولمؤلفه فيه [من الخفيف]:

ناظراه إذا تنكر تيها فى الذى أورث الحشى ناظراه

* * *

(١) اقرأها فى الديوان (٤٠٣)
(٢) فى الديوان «وقد برانى».
(٣) فى الديوان «وتعجب من حنينى»

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٠ - وإذا البلابِلُ أفْصَحَتْ بلغَاتِها فانْفِ البلابل باحتِسَاءِ بلابِلِ

البيت للثعالبى ، من الكامل ، والبلابل الأولى : جمع بلبل ، وهو الطائر المعروف ، والثانية : جمع بلبال ، وهو البرحاء فى الصدر ، والثالثة : جمع بلبلة ، وهى قناة الكوز التى يصب منها الماء ، والاحتساء : الشرب .

والشاهد فيه : مجىء المتجانس الآخر فى حشو المصراع الأول .

ترجمة أبى منصور الثعالبى

والثعالبى [١] هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى ، والثعالبى : نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فراء

قال ابن بسام فى حقه : كان فى وقته راعى تلَعَات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين فى زمانه ، والمصنفين بحكم قرانه [٢] ، سار ذكره سير المثل وضربت إليه آباط الابل ، وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب ، طلوع النجم فى الغياهب . وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر [راو لها وجامع [٣]] من أن يستوفيها حد أو وصف ، أو يوفى حقوقها نظم أو رصف .

وقال فى حقه البَاخَرْزِىُّ صاحب دمية القصر : هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان ، وكنت وأنا فرخ أزغب ، فى الاستضاءة بنوره أرغب ، وكان هو ووالدى [بنيسابور [٤]] لصيقى دار ، وقريني جوار [٥] فكم حملتُ كتباً تدور بينهما فى الاخوانيات ،

---

(١) للثعالبى ترجمة فى ابن خلكان (١-٥٢١) .
(٢) فى الأصل « بحكم أقرانه » وأثبتنا ماف ابن خلكان نقلا عن ابن بسام
(٣) الزيادة عن ابن خلكان نقلا عن ابن بسام .
(٤) زيادة عن دمية القصر
(٥) فى الدمية « وقريبى جوار »

وقصائد يتقارضان بها فى المجاوبات ، وما زال بى رؤوفا وعلى حانياً ، حتى ظننته أبا ثانيا ، رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج تياره ! ! (١) .

ومن شعره ما كتبه إلى الأمير أبى الفضل الميكالى يعاتبه [من السريع] :

ياسيِّداً بالمكرمات ارتدَى ... وانتعل العيُّوقَ والفَرْقدَا

مالكَ لاتجرى على مُقْتَضَى ... مودة طال عليها المَدَى

إن غبتُ لم أُطلَبْ وهذا سليـمانُ بن داودَ نبىُّ الهدَى

تفقَّدَ الطيرَ على شُغْلِهِ ... فقال: مالى لا أرى الهدْهُدَا

ومنه [من السريع] :

وسائلٍ عن دمْعِيَ السَّائلِ ... وحال لوْنى الكاسِفِ الحائلِ

قلت له والأرضُ فى ناظرى ... أوسَعُ منها كفة الحابلِ

بليتُ والله بمملوكة ... فى مُقلتيها ملَكا بابلِ

فان لحانى عاذلى فى الهوَى ... يوماً فما العاذلُ بالعادلِ

ومنه [من الكامل] :

لا كانَ فى عينى مَجَالٌ للسِّنَهْ ... وجعلْتُ عِرْضى عرْضةً للألسنَهْ

إن ذقْتُ طَعمَ العيش بعْدَكَ ساعةً ... ورأيت يومَ البين إلاَّ كالسَّنَهْ

ومنه [من الخفيف] :

---

(١) فى الدمية بعد هذا الكلام وقبل ذكر المختار من شعره ، ما نصه : « ووقعت إلى بعد وفاته مجلدة من أشعاره وفيها ثمار بيانه ، وعليها آثار بنانه فالتقطت منها ما يصلح لكتابى هذا من أوساط عقودها ، وأناسى عيونها ، فمن ذلك ما كتب به إلى الأمير أبى الفضل الميكالى ـ إلخ .

هذه ليلةٌ لها بهجةُ الطا ووسِ حُسناً واللونُ لونُ الغُداف

رقد الدَّهرُ فانتبهنا وسارقـــناهُ حظاً من السرور الوافى

بمُدامٍ صافٍ وخلٍ مُصافٍ وحبيبٍ وافٍ وسعدٍ موافى

ومنه [من السريع] :

طالعُ سعدى غيرُ منحُوسِ فأسقنى يا طاردَ البُوسِ(١)

كأساً كعين الديك فى روضةٍ كأنها حلَّةُ طاوسِ

ومنه [من السريع] :

وَيوم سعدٍ حسَنِ البشْرِ عَذْبِ السجايا طيب النَّشْرِ

لم تَقْذَ عيــنى بأذاهُ ولم يطر فؤادى بيَدِ الذُّعْرِ

ولم يرعنى لا ولا ساءنى كعادة الأيامِ فى الشَّرِّ

شبهتهُ منتزعا من يد الأحـداثِ ذاتَ الشرّ والضُّرّ

باللـبن السَّائغِ ذاكَ الذى من بين فَرْثٍ ودمٍ يجرى

وكتب إلى أبى نصر سهل بن مَرْزُبَان وقد لسعته عقرب على قدمه ، فلما وجد وقتلت زال الوجع ، وحصل الشفاء المرتجع [من الكامل] :

يا عمــدة الأمراء والوُزراء يا عُدَّةَ الأدباء والـشُّعراء

يا غرَّةَ الزمن البهيم وناظرَ الــكرم الصّميم وواحدَ الفضلاء

أرأيت همة عقرب دبَّتْ إلى قدمٍ بها تخطو إلى العلْيــاء

لما ارتقتْ للسعِ أعظَمَ مرتقى أخنت عليها رتبةُ العظماءِ(٢)

---

(١) فى الدمية « طالع يومى » وفيها « فسقنى ياطارد البوس »

(٢) فى الدمية « لمـا ارتقت باللسع »

إن ذقت ضرّاء العقارب فاستعن بعقاربِ الأصداغ فى السّراء (١)

يا طيب لسعةِ عقربٍ درياقُها ريقُ الحبيب بقهوةٍ عذراء (٢)

وقال الثعالبى : قال لى سهل بن مرزُبان: إن من الشعراء من شلشل، ومنهم من سلسل ، ومنهم من قلقل، ومنهم من بلبل ، فقال الثعالبى: إنى أخاف أن أكون رابع الشعراء ، أراد قول الشاعر [من الرجز] :

الشعراء فاعلمنَّ أربعهْ فشاعرٌ يجرى ولا يُجرَى معهْ

وشاعرٌ من حقِّهِ أن ترفعهْ وشاعرٌ من حقه أن تسمعهْ

* وشاعرٌ من حقهِ أن تصفعهْ *

وأراد بقوله « منهم من شلشل » قول الأعشى [من البسيط] :

وقد أروحُ إلى الحانات يتبعنى شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شلشلٌ شوِلُ

وأراد بقوله « منهم من سلسل » قول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

وأراد بقوله « منهم من قلقل » قول المتنبى [من الطويل] :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى قلاقل هم كلهن قلاقل

قال الثعالبى : ثم إنى قلت بعد ذلك بحين [من الكامل] :

فاذا البلابل أفصحت بلغاتها فانفِ البلابلَ باحتساء بلابل (٣)

---

(١) فى الدمية « إن ذقت ضراء العقارب فابقين » وأحسبه محرفا عما هنا

(٢) فى الدمية « ترياقها »

(٣) البلابل الأول : جمع بلبل وهو طائر غرد ، والبلابل الثانى جمع بلبال وأراد أذهب عنك الهواجس والخواطر ، والبلابل الثالث جمع بلبلة وهى فى الأصل قناة الكوز التى يصب منها الماء وأراد منها الخمر من باب إطلاق اسم المحل على الحال .

وللثعالبيّ ، يصفُ فرساً ، أهداه له ممدوحه [من الكامل] :

يأوَاهبَ الطِّرْفِ الجوادِ كأنما قدْ أنعَلوهُ بالرّياحِ الأرْبعِ

كالجاحمِ المشبوب أو كالهاطل الـمصبوبِ أو كالباشق المتسرّعِ (١)

لاشيءَ أسرَع منهُ إلاخاطرِى في شكرِ نائلكَ اللطيفِ الموقعِ

ولوَ انني أنصفتُ في إكرَامهِ لجلاَلِ مُهديه الكريم الألمعىِ (٢)

أقضمتهُ حبّ الفُؤاد لحبه وجعلتُ مربطهُ سوادَ الأدْمعِ (٣)

وخلعتُ ثمّ قطعْتُ غيرَ مُضيقٍ بُرْدَ الشباب لجله والبرْقعِ

وله [من المجتث] :

سقياً لدهر سُرُورِى والعيشِ بين السرَارِى

إذ طير سعدى جوَارٍ مع امتلاك الجوارِى

وغيْمُ لهوى مَطيرٌ وَزَنْدُ أُنسىَ وَارِى

أيام عيشى كعودى وقدْ ملكتُ اختيارى (٤)

أجرى بغير عذارٍ أجنى بغير اعتذار

وله في الشكوى [من الوافر] :

---

(١) في الدمية « أو كالباسق المتفرع » وما هنا أجود ، وقدسقط البيت من الوفيات .

(٢) في الدمية « الكريم الأورع » وفى ابن خلكان مثل ما هنا .

(٣) في الدمية « سواد المدمع » وهذا البيت متأخر في الدمية عما ذكر هنا بعضه ، وفى ابن خلكان مثل ما هنا لفظا وترتيبا .

(٤) في الدمية « أيام عيشى كفودى » وهو تحريف صوابه ماهنا ، لأن فود الشباب أسود ، وأراد أن عيشه مستقيم له على ما يحب .

ثلاثٌ قدْ رُميت بهنّ أضحتْ لنار القلب منى كالأثافى(١)

دُيونٌ أنْقَضَتْ ظهرى وَجورٌ من الأيام شَابَ لهُ غُدافى

وفقدانُ الـكَفَاف وَأىُّ عَيشٍ لمنْ يمنى بفقدان الـكفافِ

وللثعالبى تآليف كثيرة ، منها : فقه اللغة ، [وسحر البلاغـة] (٢) وسر البراعة ، ومن غاب عنه المطرب ، ومؤنس الوحيد ، وأجلها وأحسنها « يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر » ، وفيها يقول ابن قلاقس :

أبيات أشعار اليتيمهْ أبكار أفـكار قديمـهْ

ماتوا وَعاشتْ بعدهمْ فلذاك سميتِ اليتيمهْ

وشعره مدون ، وكانت ولادته : سنة خمسين وثلثمائة . و وفاته : سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! !

* * *

١٧١ فمشغوفٌ بآيات المثانِى ومفتونٌ برنات المثانى

هو من الوافر ، وقائله : أبو عبد الله [وأبو] محمد القاسم الحريرى (٣) ، من أبيات ، أولها :

بها ما شئت من دِينٍ ودُنْيا وجِيرَانٍ تَنَافَوْا فى المعانى(٤)

---

(١) فى الدمية « ثلاث قد منيت بهن »

(٢) الزيادة عن ابن خلـكان ، والجملتان اسم لـكتاب واحد ، وهو معروف مطبوع فى دمشق .

(٣) اقرأها فى أثناء المقامة الثامنة والأربعين من مقاماته (ص٣٨٩ بولاق سنة ١٢٧٢ هـ)

(٤) تنافوا : اختلفوا ، وبين فى بيت الشاهد والذى بعده وجوه اختلافهم ، وأنهم ضروب فى البراعة والفضل .

وبعده البيت ، وبعده :

وَمضطلعٌ بتلخيص المعانى ومطلعٌ إلى تخليص عانى
وكم من قارىء فيها وقارٍ أضرّا بالجفون وبالجفان(١)
وكم من مُعَلِّم للعلم فيها وَناد للندى حلو الجانى
وَمغنًى ما تزال تُغَنُّ فيهِ أغاريدُ الغوانى والأغانى(٢)
فَصِلْ إن شئت فيها من يصلّى وإما شئت فادنُ من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات منطلق العنان

والمثانى الأول : القرآن أو مائتى منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة إلى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفصل ، والمثانى الثانية من أوتار العود التى بعد الأول واحدها مثنى .

والشاهد فيه : مجىء المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول، ومثله قول ابن جابر [من الكامل] :

زرت الديار عن الأحبة سائلاً ورجعت ذا أسف ودمع سائل
ونزلتُ فى ظل الأراكة قائلاً وَالرّبعُ أخرسُ عن جواب القائل

ترجمة الحريرى

والحريرى[٣] هو أبو عبد الله [وأبو[٤]] محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان

(١) القارىء : اسم فاعل من القراءة ، والقارى : اسم فاعل من قرى الضيف . والجفون : جمع جفن العين وهو راجع إلى القارىء ، والجفان : جمع جفنة وهى القصعة التى يقدم فيها الطعام للضيف وهذا راجع إلى القارى .

(٢) تغن : تسمع ، وأصله من الغنة وهى صوت من الخيشوم .

(٣) للحريرى ترجمة فى ابن خلكان (٢-١٦٥ النيل) وفى معجم الأدباء لياقوت الرومى (١٦-٢٦١-٢٩٣) وفى مطلع مقاماته المطبوعة ببولاق (عام ١٢٧٢ من الهجرة) .

(٤) زيادة لا بد منها ، وقد كناه ابن خلكان وياقوت بأبى محمد، وسيذكر المؤلف ولديه وليس فيهما من اسمه محمد .

البصرى الحَرَامِىّ ، صاحب المقامات . كان أحد أئمة عصره ، ورُزق الحظْوة التامة فى عمل المقامات . وفضلُها أكثر من أن يحصر ، وأشهر من أن يذكر . ومن عرفها حق معرفتها ، استدل بها على فضل هذا الرجل ، وغزارة مادته ، وكثرة اطلاعه . وكانَ سبب وضعها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله ، قال : كان أبى جالسا بمسجد بنى حَرَام ، فدخل شيخ ذو طِمرَيْنِ ، عليه أهبة السفر رثّ الحال ، فصيح الكلام ، حسن العبارة ، فسأله الحاضرون : من أين الشيخ؟ فقال : من سَروج ، فاستخبروه عن كنيته ، فقال : أبو زيد ، فعمل أبى المقامةَ المعروفة « بالحرامية » ، وهى الثامنة والأربعون ، وعزاها إلى أبى زيد المذكور واشتهرت ، فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنو شروان بن خالد بن محمد القاشانى ، وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأشار على والدى أن يضمَّ إليها غيرها ، فأتمها خمسين مقامة . وقد وجدت نسخ كثيرة من المقامات بخط مصنفها ، وفيها بخطه أيضا أنه صنفها للوزير جلال الدين بن عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى العز على بن صدقة ، وزير المسترشد أيضا . قال ابن خلكان : ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى ، لكونه بخط المصنف وأما تسميته الراوى لها بالحارث بن همام فانما عنى به نفسه ، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « كلكمْ حَارث ، وكلكم همام » . فالحارث : الكاسب والهمام : الكثير الاهتمام . وقد بَسطت الكلام على مايتعلق بذلك فى شرحى على المقامات .

ويقال : إن الحريرى كان عملها أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاها ، فلم يصدقه فى ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هى لرجل مغربى من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال :

أنا رجل منشىء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعة عينها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله سبحانه وتعالى عليه بشىء من ذلك ، فقام خجلا . وكان فى جملة من أنكر دعواه أبو القاسم على بن أفلح ، الشاعر المشهور ، فلما لم يعمل الرسالة المقترحة عليه أنشد فيه بيتين ، وقيل : هما لابن جكينا البغدادى ، وهما [من المنسرح] :

شيخٌ لنا منْ ربيعةِ الفرسِ ينتفُ عُثنونهُ منَ الهوَسِ
أنطقهُ اللهُ بالمشانِ كما رَمَاهُ وَسْطَ الديوانِ بالخرَسِ

وكان الحريرى يزعم أنه من رَبيعة الفرس . وكانَ مُولَعا بنَتْف لحيتهِ عندَ الفكرة . وكان يسكن فى مشان البصرة . وهو بفتح الميم[1] وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ونون : بلدة فوق البصْرَة ، كثيرة النخيل ، موصوفة بشدة الوخم وكان أصله منها ، ويقال : إنه كان له بها ثمانية عشرَ ألف نخلة ، وإنه كان من ذوى اليسار ، ولما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات وَسيرهن ، واعتذرَ منْ عيهِ وحَصَرهِ بالديوان بما لحقه من المهابة .

ويقال : إنه كان قذراً فى نفْسه وشكله ولبْسه ، قَصيرا دميا بَخيلا ، مولعاً بنتف لحيته ، فنهاه أمير البصرة وتوعدهُ على ذلك ، وكان كثير المجالسة له ، فبقى كالمقيد ، لا يتجاسر أن يعبث بلحيته ، فتكلم فى بعض الأيام بكلام أعْجَب الأمير ، فقال له : سلنى شَيئا حتى أعطيك ، فقال : تقطعنى لحيتى . قال قد فعلت .

---

(١) وقع فى أصل هذا الكتاب « بضم الميم » لكن الذى فى وفيات الأعيان لابن خلكان أنه بفتح الميم ، ولم أجد الضم منصوصا عليه فى غير أصول هذا الكتاب ، والأغلب أنه تحريف . وقد أثبتنا ما فى ابن خلكان ، إذ كانت هذه الترجمة منقولة عنه .

وجاءه شخص غريب يزوره و يأخذ عنه شيئا ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم ذلك عنه ، فلما التمس منه أن يملى عليه قال له : اكتب [من البسيط] :

ما أنتَ أولُ سارٍ غرّهُ قمرٌ   ورائدٍ أعجبتهُ خضرةُ الدِّمَنِ
فاخترْ لنفسك غيرى، إنى رَجلٌ   مثلُ المعيدىِّ فاسْمَعْ بى ولا ترنى (١)

فخجل الرجل وانصرف عنه .

وقالَ القاضى جابر بن هبة الله : قرأت المقامات علىَ الحريرى ، فى سنة أربع عشرة وخمسمائة ، فقرأت قوله [من الرجز] :

يا أهلَ ذا المغنى وُقِيتُمْ شراً   ولا لقيتمْ ما بَقِيتمْ ضُراً
قدْ دفعَ الليلُ الذى اكفهرّا   إلى ذَرَاكُمْ شعثاً مغبرّا

فقرأته سغباً معتراً ، وكنت أظنه كذاك ، ففكر ، ثم قال : لقد أجدْتَ فى التصحيف ، و إنه لأجود ، فرُبّ شعث مغبر غير محتاج . والسغب المعتر موضع الحاجة ، ولو لا أنى قد كتبت خطى إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت علىّ لغيرته كما قلت .

وللحريرى تآليف حسان . منها : درة الغواص فى أوهام الخواص . ومنها ملحة الاعراب فى النحو وشَرْحها أيضا . وله ديوان رسائل ، وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات . فمن ذلك قوله [من البسيط] :

قالَ العواذلُ ما هذا الغرَامُ بهِ   أمَا ترى الشعر فى خدّيه قد نبتا
فقلتُ : والله لو أنّ المفنِّدَ لى   تأملَ الرشدَ فى عينيه ما ثبتا
ومنْ أقامَ بأرض وهى مجدبةٌ   فكيف يَرحل عنها والربيعُ أتى

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

كم ظباء بحاجرٍ   فتَنَتْ بالمحاجرِ

---

(١) فى المطبوعتين «مثل المعيدى تسمع بى ولا ترنى» ولا يستقيم عليه الوزن، وهو غير مستقيم عربية إذ ليس في الكلام مايقتضى جزم «تسمع» و «ترى»

ونفوسٍ نفائسٍ حذرتْ بالمحاذرِ
وشجونٍ تظافرَتْ عند كشف الظفائرِ[1]
وَتَثنٍ لخاطرٍ هاجَ وجداً بخاطري
وعِذَارٍ لأجلهِ عاذلي عادَ عاذري

وله أيضا [من البسيط] :

لاَ تَخطونَّ إلى خطء ولاء خطا
مِنْ بعد مَا الشّيبُ في فودَيك قد وَخَطَا
وأيّ عذرٍ لمنْ شابتْ ذَوَائبهُ
إذَا سعى في ميادينِ الصبَا وَخطَا

ومن ألغازه [من الخفيف] :

مِيمُ موسى منْ نونِ نصْرٍ ففتشْ أيهَا ذَا الأميرُ ماذَا عنَيتُ

معنى ميم أصابه الموم ، وهو البرسام ، ويقال : هو أثر الجدرى ، والنون : السَّمكة ، يعنى أكل سمكة نصْر فأصابه الموم . ومنها [من الخفيف] :

بَاء بكر بلام ليْلَى فَمَا ينـــفكُ منها إلاّ بعين وهَاءِ

البكر : الجمل، وباء أقرّ به . واللام : الزرع، فلازمته ليْلَى فما ينفك منها مما تلطمه فى وجهه إلا بعين واهية من اللطم .

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً ذكرت منها طرفاً فى شَرْحى علَى المقامَات .

---

(١) هكذا ورد فى الأصل، وقد كتب مصحح مطبوعة بلاق بهامش النسخة ما نصه « قوله الظفائر ، المعروف فيه لغة الضاد » اهـ . أقول : ولو أنه قيل :

وشجون تضافرت عند كشف الضفائر

بالضاد فى « تضافرت » وفى « الضفائر » ــ لتم ما وضع البيت من أجله ، ولسلم من الاعتراض .

وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة . وتوفى فى سنة عشر — وقيل: خمس عشرة — وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حَرَام . نسبة إلى طائفة من العرب، سكنوا فى هذه السكة . وخلف ولدين ، هما : نجم الملك عبد الله ، وقاضى قضاة البصرة: ضياء الاسلام عبيد الله، رحمهم الله تعالى .

***

١٧٢ — أَمَلْتُهُمْ ثُمَّ تأملتهمْ فَلَاحَ لى أَنْ ليسَ فيهمْ فلاَحْ

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

البيت للأَرَّجانىّ ، من السريع، من قصيدة يمدح بها شمس الملك[1] بن نظام الملك ، أولها :

صوتَ حمام الأيكِ عندَ الصباحْ جدَّدتَ تَذكارىَ عهدَ الصباحْ[2]

عَلمتنا الشجوَ فيا من رأى عُجْماً يعلمنَ رجالا فصاحْ

ألحانُ ذاتِ الطوْقِ فى غصنها مُذْكرتى أيامَ ذاتِ الوشاحْ

لاَ أشكرُ الطائرَ إنْ شاقنى عَلىَ نوًى منْ سَكنى وَانتزاحْ

وَإنماَ أشكرُ لَوْ أنَّهُ أعَارَنى أيضاً إليهِ جنَاحْ[3]

إلى أن يقول فى مديحها :

ياَ كعبة للجودِ مأهولةً إذا غدَا الوفدُ إليها وَرَاحْ

يفديك قومٌ حاولوا ضلة تناولَ المجدِ بأيدٍ شحاحْ

معاَشرٌ أموَالهمْ فى حمىً وعرضُهُم من لؤمهم مُستباحْ

والقصيدة طويلة .

وفلاح الثانية: الفوز ، والنجاة ، والبقاء فى الخير .

---

(١) أقرها فى الديوان (ص ٨٠) واسم شمس الملك عثمان بن نظام الملك حسن بن على

(٢) فى الديوان « جدد تذكارى »

(٣) فى الأصول « وأنما أشكوه لو أنه » وأثبتنا ما فى الديوان

والشاهد فيه : مجيء المتجانس الآخر ، في صدر المصراع الثاني ، ومثله قول الأمير أبي الفضل الميكالي [من الخفيف] :

إنّ لي في الهوَى لساناً كَتوماً   وفؤاداً يخفي حريقَ هوَاهُ
غيرَ أني أخافُ دَمعي عليهِ   ستراهُ يبدي الذي ستراهُ

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٣ — ضرَائبُ أبْدَعتَهَا في السماحْ
فلسنا نَرَى لكَ فيها ضَرِيباً

البيت نسبه للبحتري غالبُ شراح التلخيص؛ وليس الأمر كذلك ، وإنما هو للسري الرفاء ، وقد سَرق معناه من بيت البحتري ، فلذا سبق الوهم إلى نسبته إليه ، و بيت البحتري لفظه [من المتقارب] :

بَلَوْنا ضرَائبَ مَنْ قد نَرَى   فما إن رَأينا لفتح ضريبَا

وهو من قصيدة (١) من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان ، أولها :

لوَتْ بالسلام بناناً خضيباً   ولحظاً يشوقُ الفؤادَ الطرُوبَا
وَزَارتْ على عجلٍ فا كتسى   لزوْرَتها أبرَقُ الحَزْنِ طيبَا (٢)
فكانَ العبيرُ بهَا وَاشياً   وجَرْسُ الحليِّ عليها رَقيبَا

وهي طويلة .

و بيت السري الرفاء من قَصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد . أولها :

تعنفني إن أطلتُ النحيباَ   وأسبلتُ للعين دمعاً سكوبَا
وَأوْفى المحبين في حبهِ   محبٌّ بكى يومَ بينٍ حبيبَا

(١) اقرأها في الديوان (١ ـ ٥١)
(٢) في الأصل « أبرق الجيد » وما أثبتناه عن الديوان .

دَعَا دَمعَـهُ ودعتْ دَمعها فبَلّلَ منها ومنـهُ الجيوبَا
غداةَ رمتهُ بسهمِ الجفونِ ومدّتْ إليهِ بناناً خضيبَا
وعَهْدى بها لا تديمُ الصدودَ ولا تتَجَنَّى علىّ الذنوبَا
ليالىَ لا وصلُنا خلسةٌ نراقب للخوف فيها الرّقيبَا
ولا برق لذاتنا خُلَّبٌ إذا ما دعونا لوصْلٍ خَلوبَا
وكم لى وللبـين من مَوْقفٍ يميت بلحظ العيون القلوبَا
إذا ما انتَضَى اللَّحظُ أسيافَهُ تدرعتُ للصبرِ بُرْداً قشيبَا

ومنها فى المديح :

فكم لك من سُوددٍ كالعبيرِ أصابَ من المَدح ريحاً جنوبَا
ورأىٍ يكشفُ ليلَ الخطوبِ ضياء إذا الخطْبُ أعيا اللبيبَا
ومُشتمـلٍ بنِجَاد الحسـامِ يحل شبَا الحرب بأساً مُهيبَا
مـلأتَ جوانبَهُ رهبَةً فأطرق والقلب يُبدى وجيبَا
كسَوْتَ المكارم ثوب الشباب وقد كن أُلبسْنَ فينا المشيبَا

و بعده البيت ، و بعده :

تخلَّصتنى من يدِ النـائباتِ وأحللتنى منْكَ ربعاً خصيبَا
ومُلِّـكتَ مدحى كما ملـكت بنو هاشم بُرْدها والقَضيبَا
وإنى لواردُ بحر القريضِ إذا ورد المـادحونَ القَليبَا
ولستُ كمن يسترد المديح إذا ما كساه الكريمُ المشيبَا
يحلِّى بمدحتِهِ غـيرَهُ فيمسى محلى و يُضحى سليبَا

وقد استعمل السرى معنى البيت المستشهد به ، فقال يمدح ابن فهد أيضاً [من الوافر] :

سمَتْ بأبي الفوارسِ في المعالى ضَرائبُ مَالَهُ فيها ضريبُ

والضرائب : جمع ضريبة ، وهى الطبيعة التى ضُرب الرجل وطبع عليها ، والضريب : المَثِيل .

والشاهد فيه : مجىء الملحق بالمتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول .

ومثله قول عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السنهورى الخطيب [من الكامل] :

تُبْدِى ضُرُوب محاسنٍ لسنائرَى بين الوَرى يوماً لهن ضَريبا

ومنه قول بعضهم [من السريع] :

ثَلْبُكَ أَهْلَ الفضل قد دلنى أنك مَنْقُوصٌ ومثلوبُ

ترجمة السرى الرفاء

والسرى[1] هو [ابن] [2] أحمد الكندى المعروف بالرفاء، قال الثعالبى فى حقه: السرى ، وما أدراك ما السرى ، سرى كاسمه ، صاحب سر الشعر ، الجامع بين نظم عقود الدر والنفث فى عقد السحر ، ولله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ، وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق فى كعبة الظرف [3] ، وكتبت من ذلك محاسن وملحا ، و بدائع وطرفا ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح .

---

(١) انظر ترجمة السرى الرفاء فى وفيات الأعيان لابن خلكان (١-٣٥٨ النيل) وفى معجم الأدباء لياقوت (١١-١٨٢ - ١٨٩ مصر) ثم انظر ترجمة مطولة له فى يتيمة الدهر (٢-١٠٣ مصر) .

(٢) زيادة لا بد منها ، ففى يتيمة الدهر « السرى بن أحمد الكندى » وفى معجم الأدباء لياقوت « السرى بن أحمد بن السرى أبو الحسن الكندى المعروف بالسرى الرفاء » وفى الوفيات « أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء الموصلى الشاعر المشهور » .

(٣) فى اليتيمة « ويعلق فى كعبة الفكر » وهو أنسب بسجع الثعالبى

بلغنى أنه أُسلم صبياً فى الرفائين بالموصل ، فكان يرفو و يطرز إلى أن قضى باكورة الشباب وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه وذكر أن صديقاً كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل فى [سوق] (١) البزازين يطرز فكتب إليه يقول [من السريع] :

يكفيك من جملة أخبارى يُسْرى من الحُبِّ و إعْسَارى
فى سوقَةٍ أفضلهم مرتَدٍ نقصاً ففضلى بينهم عارى
وكانت الابرةُ فيما مَضَى صائنةً وجهى وأشعارى
فأصْبَحَ الرزق بها ضيقاً كأنه من ثُقْبِها جارى

قال : ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب ، واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، و بعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى وغيره من الصدور فارتفق بهم ، وارتزق منهم ، وسار شعره فى الآفاق ، ونظم حاشيتى الشام والعراق ومن ملحه قوله من قصيدة(٢) [من الطويل] :

عليلة أنْفَاس الرِّياحِ كأنما يعل بماء الورد نرْجِسُهَا الندِى
يشقُّ جيوبَ الوردِ فى شَجَراتها نسيمٌ متى ينظر إلى الماء يبردِ
و باديها الشرقى لازال رائحٌ يحل عقود المزن فيك و يغتدى

وقال [من الكامل] :

تلك المكارمُ لاأرى مُتأخِّراً أولى بها منهُ ولا مُتَقَدِّما
عفواً أظَلَّ ذوى الجرائم ظِلُّهُ حتى لقد حَسَدَ المطيعُ المجرمَا

---

(١) زيادة عن اليتيمة

(٢) وقع ثالث هذه الأبيات فى اليتيمة أولها

وهو من قول أبي تمام :

وتكفَّلَ الأيتامَ عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتامُ

وقال من قصيدة أيضاً [من الوافر] :

ليالينا بأحناء النعيمِ سُقيتِ ذهاب مُذْهبة الهموم (١)
مضَتْ بك رأفة الأيام فينا وغفلةُ ذلك الزَّمن الحليمِ
وكنا منك في جنات عيشٍ وَفَتْ حُسْناً بجنات النعيمِ
رياضُ محاسنٍ وسنا شموسٍ وظلٌّ دساكرٍ وجنى كرومِ
وأجفانٌ إذا لحظت جسوماً خلَعْنَ سقَامهن على الجسومِ

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حُسْنَ الرُّسُوم وما تَمَشَّى إليها الدَّهْرُ في صور البعادِ
وإذ طيرُ الحوادث في رُباها سواكنُ وهي غَنَّاء المرادِ
مذاكي حلبةٍ وشروب دَجْنٍ وسامر فتيةٍ وقدورُ صادِ
وأعين ربْرَبٍ كحلت بسحرٍ وأجسادٌ تَضَمَّخُ بالجسادِ

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز [الجرجاني] (٢) حيث قال [من الوافر] :

وأجفانٍ تروى كلَّ شيء سوَى قلبٍ إلى الأحباب صادِ
بذاك جُزيتُ إذ فارقت قوماً لبست لبينهم ثوبَيْ حِدادِ

---

(١) في اليتيمة «ليالينا بأحياء الغميم» وأحسبه محرفا عما هنا، وفيها «سقيت ذهاب مذهبة الغيوم»

(٢) زيادة عن اليتيمة

مَعَادِنُ حكمةٍ وغيوثُ جَدْبٍ وأنجُمُ حيرةٍ وصدُور نادِ

وقال السرى الرفاء [من البسيط] :

وفِتيـةٍ زهَرُ الآداب بينَهُمُ أبهى وأنضَرُ من زهر الرياحينِ

مَشَوْا إلى الرّاح مشى الرخ وانصرفوا والراحُ تمشى بهم مشى الفرازينِ (١)

وقال فى معناه أيضاً [من السريع] :

راحُوا عن الرّاحِ وقد أبدلوا مشىَ الفرازين بمشى الرِّخاخْ (١)

وقال فى قلب معناه ، ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يُبْدِى لعَيْنِكَ كلما عاينتـهُ قِرْنين جالا مُقْدِماً ومُخَـاتلا

فكأن ذا صاح يسيرُ مقوماً وكأن ذا نَشْوَان يخطرُ مائلا

ومحاسنه كثيرة ، وقد ضمنت هذا المؤلف منها ما فيه مستمتع ، إن شاء الله تعالى ! ومن شعره [من الطويل] :

رأيتُكَ تبنى للصَّديق نوافذاً عدوُّكَ من أوصابها الدهرَ آمنُ

وتكْشِفُ أسرار الأخلاء مازحاً ويارُبَّ مزحٍ عاد وهو ضَغَائِنُ

سأحْفَظُ ما بينى وبينَكَ صائناً عهُودَكَ، إن الحرَّ للعهد صائِنُ

فألقاكَ بالبشْرِ الجميل مُدَاهناً ولى منك خل ما علمتُ مُدَاهِنُ

أنَمُّ بما استودعتـه من زجاجةٍ ترى الشىء فيها ظاهراً وهو باطِنُ

***

(١) الرخ : قطعة من قطع الشطرنج تسير فى اعتدال من الجوانب الأربعة لاتقف عند حد ، والمراد بمشيتها هنا الاعتدال ، والفرازين : جمع فرز ، وهى الوزير فى لعبة الشطرنج ، وتسير فى كل اتجاه من غير حد ، والمراد هنا المشى على غير اعتدال .

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٤ — إذا المرء لم يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فلَيْسَ على شىء سِوَاهُ بِخَزَّانِ

البيت لامرىء القيس ، من قصيدة من الطويل [1] أولها :

قفا نبْكِ من ذكرى حبيب وعِرفان ورسْمٍ عفَتْ آياته منذ أزمانِ
أتَتْ حِجَجٌ بعدى عليها فأصبحَتْ كخط زَبُورٍ فى مَصاحِفِ رُهْبَانِ [2]
ذكَرْت بها الحىَّ الجميع فهيَّجَتْ عقابيلَ سُقْمٍ من ضميرٍ وأشجَانِ
فَسَحَّتْ دموعى فى الرداءِ كأنَّهَا كلى من شَعيبٍ ذات سَحٍّ وتَهْتانِ [3]

و بعده البيت ، و بعده :

فاما ترَيْنى فى رحالةِ جابرٍ على حَرَجٍ كالقرِّ تخْفِقُ أكفانى
فيارُبَّ مكْرُوبٍ كَرَرتُ وراءهُ وعانٍ فككتُ القِدَّ عنه ففدَّانى [4]
وفتيانِ صدْقٍ قد بعثْتُ بسُحْرَةٍ فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونَشْوانِ [5]
وخَرْقٍ بعيدٍ قد قطعْتُ نياطَهُ على ذات لوثٍ سهوة المشى مذعانِ

ومعنى البيت : إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه .

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى حشو المصراع الأول .

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٨٤ مصر) وفى شعراء النصرانية (٦٦ بيروت)

(٢) فى شعراء النصرانية : « أتت حجج بعدى عليه » والضمير للرسم ، وفى الديوان مثل ما هنا ، ومن رواه « عليها » فانما أعاد الضمير على الآيات

(٣) فى الأصل* فسحت دموعى فى الردى فكأنها* وما أثبتناه موافق لما فى الديوان وشعراء النصرانية

(٤) فى شعراء النصرانية « فككت الكبل » وفى الديوان « فككت الغل » ومعنى الجميع واحد .

(٥) يروى « عاث وسكران »

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٨٥ — لو اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الاحْسَانِ زرتكُمُ
والعَذْبُ يهجَرُ للافْرَاطِ في الخصَرِ

البيت لأبي العلاء المعرى ، من قصيدة[١] من البسيط ، يمدح بها أبا الرضاء المصيصى أولها:

يا ساهرَ البرقِ أيقظ راقدَ السَّمُرِ ... لعل بالجزع أعواناً على السهرِ[٢]

وإن بَخِلتَ على الأحياء كلهم ... فاسْقِ المواطِرَ حياً من بنى مَطَرِ[٣]

ويا أسيرة حجْلَيها أرى سفهاً ... حمل الحلىّ لمن أعيا عن النَّظَرِ

ما سِرْتُ إلا وطيفٌ منك يَصْحَبُنى ... سُرًى أمامى وتأويباً على أثرى

لوحطَّ رحلىَ فوق النجم رافعُهُ ... ألفيت ثَمَّ خيالاً منك منتظرى[٤]

يوَد أن ظلامَ الليــل دامَ لهُ ... وزِيدَ فيه سَوَادُ القلب والبَصَرِ[٥]

وبعده البيت ، وبعده :

---

(١) اقرأها فى سقط الزند (التنوير ٣٠/١ بولاق) و (ص١١٤ من القسم الأول من طبعة دار الكتب المصرية) .

(٢) فى الأصل « أيقظ ساهر السمر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط والسمر : ضرب من الشجر يعظم ويطول ، والجزع : منعطف الوادى ، والمعنى أن صاحبه نام فى ظل السمر وترك مساعدته لقلة رعايته فطلب إلى البرق أن يكثر من دويه ليوقظه

(٣) فى السقط « وإن بخلت عن الأحياء » وفى الأصل « فاسق المواطن » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط وهو الجارى على طريقة أبى العلاء من جناس الاشتقاق .

(٤) فى الأصل « لوحط قدرى » وأثبتنا ما فى السقط .

(٥) قال التبريزى : إنما يود الخيــال أن يدوم له الظلام ويزاد فيه سواد القلب والبصر ليكون سببا لئلا يفارقه .

أبَعْدَ حَوْلٍ تناجي الشوقَ ناجيةٌ هلاَّ ونحنُ على عَشْرٍ من العُشَرِ (١)
كم بات حولك من ريمٍ وجؤذرةٍ يستَجْدِيانك حُسْنَ الدَّلِّ والحور (٢)
فما وهبت الذى يَعْرفن من خلقٍ لكن سمحت بما ينكرنَ من دُرَرِ
وما تركت بذات الضَّال عاطلةً من الظباء وَلا عارٍ من البَقَر
قَلَّدتِ كلَّ مهَاة عقْدَ غانيةٍ وفزتِ بالشكر فى الآرام والعُفُرِ
وربَّ ساحبِ وَشْيٍ من جآذرها وكان يرفل فى ثوبٍ منَ الوَبر
حَسَّنْتِ نظم كلامٍ توصفين به ومنزلا بكِ معموراً من الخَفَرِ
فالحسن يظهر فى شيئين رونقهُ بيتٍ من الشِّعْر أو بيت من الشَّعَرِ

وهى طويلة ، ومنها :

ماجَتْ نُمير فَهاجتْ منكَ ذا لبَدٍ والليثُ أفتكُ أفعالا من النَّمِرِ
همُّوا فأمُّوا فلما شارفُوا وقَفُوا كوَقفة العَير بينَ الوردِ والصَّدَرِ
وأضعفَ الرعبُ أيديهمْ فطعنُهُمُ بالسمْهرِيّة دُونَ الوخْز بالإبَرِ
تُلقِى الغوَانى حفيظ الدرّ من جزَعٍ فِيها وتُلقى الرِّجالُ السَّردَ من خوَرِ (٣)
فكم دِلاصٍ على البطحاء ساقِطَةٍ وكم جُمَان مَعَ الحصباءِ مُنتثرِ

الخصر - محركة - البرد، والمعنى أن بعدى عنكم إنما هو لكثرة إنعامكم على

---

(١) فى الأصل « أبعد حي تناجي الشوق » وهو محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط .

(٢) فى السقط « من ريم وجازية » والجازية : البقرة الوحشية .

(٣) فى السقط « من جزع عنها » وحفيظ الدر : الذى يحتفظ به منه ويصان وينفس ، والسرد : الدروع ، والخور - بفتح الخاء والواو - الضعف

والشاهد فيه : مجيء أحد الملحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول .

ومعنى البيت مأخوذ من قول البحترى السابق في ترجمته ، وهو هذا [من الكامل] :

أخجلْتَنِي بندَى يديكَ فَسَوَّدت   ما بَيْنَنا تِلكَ اليَدُ البيْضَاءُ
وقَطعتنى بالوَصل حتى إننى   مُتخَوفٌ أن لا يكون لقَاءُ

وفى معناه قول دِعْبِل الخزاعى [من الكامل] :

أصلَحْتَنِي بالبرِّ بل أفْسَدْتَنِي   وتركتنى أتَسَخَّط الاحسانا

وقول عبدالجليل بن وهبون المرسى [من البسيط] :

قل للرشيدِ وقد هَبّتْ عوارفُهُ   أسرفْتَ ياديمةَ المَعْرُوف فاقتصِدِ
أشكو إليكَ النَدَى من حيث أشكُرُهُ   لو فاضَ فيضاً على البَحْرَيْنِ لم يزدِ

وهو معنى مطروق تداوله الشعراء وأكثروا من استعماله ، فمنهم من يستوفيه ومنهم من يقتصر فيه

وقد ضمن السراج الوراق عجز بيت أبى العلاء المعرى هذا فقال [من البسيط] :

لكم أيادٍ عذابٌ لى مَوَاردُها   والوفدُ منهنّ بين الوِرْدِ والصدر
والبرْدُ يمنعنى منها على ظَمَئِى   والعَذْبُ يُهجَرُ للافراطِ فى الخصَرِ

ورأيت فى بعض كتب الأدب أن ابن عمار اجتاز على أكرم أهل زمانه ، وأعلم وقته وأوانه ، الوزيرِ أبى محمد بن القاسم الفهرى ، فما عرَّج عليه ، فعتب عليه بسبب ذلك ، فكتب إليه [من البسيط] :

لم يثْنِ عنكَ عِنَانى سلوة خَطَرت   على فُؤادى ولا سَمعى ولا بصرى
وقصْرُكَ البيْتُ لو أنى قَضَيْتُ به   حجِّى ، وكفُّكَ منه مَوضعُ الحجرِ
لكِنْ عدتنى عنكم خَجلَة سَلفَتْ   كفانىَ القَوْلُ فيها قول معتذرِ

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم　　والعذب يهجر للافراط فى الخصر

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٦ — فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى　　أطنين أجنحة الذباب يضير

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله ، ونسبه صاحب الدر الفريد لعبدالله ابن محمد بن عيينة المهلبى ، قال : وكان على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا عبدالله هذا إلى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه ، فتوعده على ، فقال عبد الله:

أعلىّ إنك جاهل مغرور　　لا ظلمة لك لا ولالك نور

أبعثت توعدنى أن استبطأتنى　　إنى بحربك ما حييت جدير

و بعده البيت ، و بعده :

و إذا ارتحلت فإن نصرى للأولى　　أبواهم المهدى والمنصور

بنيت عليه لحومنا ودماؤنا　　وعليه قدر سعينا المشكور

والضير : الضرر

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى آخر المصراع الأول

وفى معنى البيت قول أبى فراس الحمدانى [من الطويل]:

ورب كلام مر فوق مسامعى　　كما طن فى لوح الهجير ذباب

ولبعض الأعراب [من الكامل] :

أو كلما طن الذباب زجرته　　إن الذباب إذن على كريم

ولبعضهم أيضا [من الطويل] :

فما كل كلب نابح يستفزنى　　ولا كلما طن الذباب أراع

١٧٧ــ وقَدْ كانَتِ البيضُ القَواضبُ في الوغَى بوَاتِرَ فَهيَ الآنَ من بَعْدِهِ بُتْرُ

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

البيت لأبي تمام من قصيدة(١) من الطويل يرثي بها محمد بن حميد، وتقدم ذكر مطلعها في شواهد التدبيج(٢) ومنها قبل البيت(٣)

فتًى سلبَتْهُ الخيلُ وهو حِمَاً لها وبزته نارُ الحرْب وهوَ لهَا جَمْر

قضى طاهرَ الأثوابِ لم تبْقَ بقعةٌ غداة ثوى إلا اشتَهَتْ أنها قبرُ(٤)

والبواتر: السيوف القواطع، والبتر: جمع أبتر، وهو المقطوع

والمعنى: لم يبق بعده من يستعملها استعماله

والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في صدر المصراع الثاني، والله أعلم

* * *

١٧٨ــ تَجَلَّى به رُشْدِي، وأثْرَتْ به يدِي وفاضَ به ثَمْدِي، وأوْرَى به زَنْدِي

شاهد التسجيع

19

البيت لأبي تمام أيضاً من قصيدة من الطويل(٥) يمدح بها نصر بن منصور ابن بسام الكاتب، وأولها:

أأطلالَ هندٍ طالمَا اعتضْتِ من هندِ أقايضتِ حُورَ العين بالعُور والرُّمد(٦)

(١) انظرها في الديوان (٣٦٨ بيروت) وفيه أن القصيدة في رثاء بني حميد: محمد وقحطبة وأبي نصر.

(٢) ارجع إلى (ج ٢ ص ١٧٨ من هذا الكتاب)

(٣) البيتان ليسا متصلين في الديوان، والذي فيه أولهما و بعده بيت الشاهد ثم بعد ثمانية أبيات ثاني هذين البيتين.

(٤) في الديوان «مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة»

(٥) انظرها في الديوان (١١٤ بيروت)

(٦) في الديوان «ساء ما اعتضت من هند» وهو الصواب وفيه «بالعور والربد» وانظر هذا المطلع في الموازنة (٤٢٥ بتحقيقنا)

إذا شِمْنَ بالألوان كُنَّ عِصابةً ... منَ الهِندِ والآذان كُنّ من الصغْد(١)

أعجْنَا عليكَ العيسَ بَعدَ مَعاجها ... على البيضِ أترابًا على النؤى والوتْدِ(٢)

فلا دمعَ أو يقْفُو على إثره دمٌ ... ولا وجدَ مالم تَعْىَ عن صفَة الوجد(٣)

ومنها فى وصف الممدوح :

فتى جُوده طَبعٌ ولَيْسَ بِحافلٍ ... أفى الجور كان الجُودمنهُ أو القَصْدِ(٤)

إذا طرَقتهُ الحَادثات بِنسكبةٍ ... تَخضْنَ سقاءً منهُ ليس بَذى زُبد(٥)

ونبهْنَ مِثلَ السَّيف لو لم تَسلّه ... يَدان لسلتّهْ ظُباه من الغِمْدِ

سأحمَدُ نَصراً ماحييتُ و إنَّنِي ... لأعلم أن قَدْ جلّ نصْرٌ عن الحمد(٦)

و بعده البيت ، و بعده :

فانْ يَكُ أربى عَفوُ شكرى على ندَى ... أُناسٍ فقدْ أربى نَداهُ على جَهْدِى

والرشد: الهداية، والثروة : كثرة العدد من الناس والمال، والثمد ـ بسكون الميم وتحرك ـ الماء القليل لامادة له، أو مايبقى فى الجلد ، أو مايظهر فى الشتاء و يذهب فى الصيف ، والرواية فى ديوانه بلفظ « يجرى » بدل ثمدى(٧) ومعنى « أورى به زندى » صارذا وَرْىٍ ، وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب .

---

(١) فى الأصل « والآذان كن من العقـد » وما أثبتناه عن الديوان . والصغْد ـ بضم فسكون ـ موضع بسمر قند

(٢) فى الديوان « لعجنا » بلام الجواب ، وفيه « من النؤى والود » بفتح الواو وتشديد الدال ، وهى لغة فى الوتد قلبت فيها التاء دالا ثم أدغمت .

(٣) فى الديوان « فلا دمع ما لم يجر فى إثره دم »

(٤) فى الديوان « فليس بحافل » وهى أدق معنى .

(٥) فى الديوان « إذا مخضته الحادثات »

(٦) انظر نقد هذا البيت فى الموازنة (١٨٣ بتحقيقنا)

(٧) فى نسخ الديوان التى بين يدى كما فى البيت المستشهد به « وفاض به ثمدى » .

والشاهد فيه : مجىء السجع فى النظم

ومن الشواهد عليه قول أبى الطيب المتنبى [من البسيط] :

فَنَحْنُ فى جَذَلٍ، والرُّوم فى وَجَلٍ ، والبَرُّ فى شُغُلٍ ، والبحرُ فى خَجَل

* * *

١٧٩ — تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ، بالله مُنْتَقِمٍ ، لله مُرْتَقِبٍ، فى الله مُرْتَغِبِ

شاهد التشطير

البيت لأبى تمام أيضاً، من قصيدة من البسيط(١) يمدح بها المعتصم بالله حين فتح عمورية ، أولها :

السَّيفُ أصدَقُ أنباءً من الكتُبِ ... فى حَدِّه الحَدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ

بيضُ الصفَائحِ لا سُودُ الصَّحائفِ فى ... متونهن جلاءُ الشك والرِّيبِ

والعِلْمُ فى شُهُبِ الأرماح لامِعَةً ... بينَ الخميسين لا فى السبعة الشُّهُبِ(٢)

أينَ الرِّوَايةُ أو أينَ النجُومُ وما ... صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كذبِ(٣)

تَخَرُّصاً وأحاديثاً مُلَفَّقَةً ... ليست بِنَبعٍ إذ عُدَّت ولا غَرَبِ

عجائباً زَعموا الأيامَ مُجْفِلَةً ... عنهُنَّ فى صفرِ الأصفار أو رجبِ

وخوَّفوا الناس من دهياءَ داهيةٍ ... إذا بدا الكوْكبُ الغربىُّ ذو الذنبِ

وصيَّرُوا الأبرُجَ العُليا مُرَتبةً ... ما كان مُنقلباً أو غير مُنقلبِ

يقْضُونَ بالأمرِ عَنْهَا وَهْىَ غافِلةٌ ... ما دار فى فَلَكٍ منها وفى قُطُبِ

لو بَيَّنَت قط أمراً قَبلَ موقعِهِ ... لم يَخْفَ ماحلَّ بالأوثان وَالصُّلُبِ

---

(١) انظرها في الديوان (٧ بيروت) .

(٢) فى الأصل « والعلم فى شهب الأرماح» وها أثبتناه عن الديوان .

(٣) فى الديوان « بل أين النجوم » .

فَتْحُ الفُتُوحِ تعالى أن يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ من الشِّعْرِ أو نثرٌ من الخطبِ

فتح تَفَتَّحُ أبوابُ السَّماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القُشُبِ

وهي طويلة بديعة ، وأشار بمطلعها إلى كذب المنجمين ، فإنهم كانوا أجمعوا على أنها لا تفتح في تلك الغزاة ، فيسر الله تعالى ذلك وأكذبهم .

والمرتغب في الله : الراغب فيما يقرب به من رضوانه، والمرتقب : المنتظر للثواب الخائف للعقاب .

والشاهد فيه : التشطير ، وهو : جعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها ، وهو ظاهر فيه .

ومنه قول مسلم بن الوليد في قصيدته السابقة في تجاهل العارف [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَجٍ ، في يومِ ذِي رَهَجٍ ، ... كأنهُ أجلٌ ، يسعى إلى أملِ

وقول ذي الرمة [من البسيط] :

كحلاء في بَرَجٍ ، صفراء في نعج ... كأنها فضةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ

وقول كشاجم(١) [من الوافر] :

هلالٌ في إضاءتهِ حياءً ... شهابٌ في سماحتهِ اتّقادُ

وقول ديك الجن [من الكامل] :

حرّ الإهابِ وسيمه ، برُّ الإيا ... بِ كريمه ، محْضُ النِّصابِ صميمهُ

وقول الصفي الحلي [من البسيط] :

بكلِّ مُنتصرٍ ، لِلفتحِ مُنتظرٍ ، ... وكلِّ مُعتزمٍ ، بالحقِّ مُلتزمِ(٢)

---

(١) لعله قد سقط قرين لهذا البيت ، فانه لا يظهر فيه التشطير بالهيئة التي تراها في كل ما ذكر من الشواهد ، وإن كان في قوله « هلال في إضاءته ، شهاب في سماحته » سجع على هيئة أخرى

(٢) في الأصل « وكل مغترم » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في خزانة الحموي (٢١٥ بلاق)

وقول ابن جابر [من البسيط] :

يا أهلَ طيبةَ فى مغناكمُ قمرٌ   يهدى إلى كلِّ محمودٍ منَ الطرُقِ
كالغيثِ فى كرمٍ ، والليثِ فى حرمٍ،   والبدرِ فى أفقٍ ، والزهرِ فى خُلقِ

***

شاهد المماثلة

١٨٠ — مَها الوَحشِ إلاَّ أنّ هاتا أوانسٌ
قنا الخطِّ إلاَّ أنَّ تِلكَ ذَوابِلُ

البيت لأبى تمام، من قصيدة من الطويل (١) يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أولها :

متى أنتَ عنْ ذُهليةِ الحىِّ ذاهلُ   وقلبكَ منها مدّةَ الدّهرِ آهِلُ
تُطِلُّ الطلولُ الدَّمعَ فى كلِّ موْقفٍ   وتمثُلُ بالصبرِ الدِّيارُ المواثلُ
دوارسُ لم يجْفُ الرَّبيعُ رُبوعها   ولا مرَّ فى أغفالِها وَهْوَ غافلُ
فقدْ سحبتْ فيها السحائبُ ذَيلها   وقدْ أخملتْ بالنوْرِ منها الخمائلُ
تعفينَ منْ زادِ العُفاةِ إذا انتحى   على الحىِّ صَرْفُ الأزمةِ المتحاملُ
لهمْ سلفٌ سُمرُ العوالى وسامرٌ   وفيهمْ جَمالٌ لا يغيضُ وجامِلُ
ليالىَ أضْلَلْتَ العزاء وخذَّلت   بِعقلك آرامُ الظباءِ الخواذِلُ(٢)
منَ الهيفِ لوْأنَّ الخلاخِلَ صُيرَتْ   لها وُشُحاً جالتْ عليها الخلاخِلُ(٣)

وبعده البيت ، وبعده :

(١) انظرها فى الديوان (٢٥٥ بيروت)
(٢) فى الديوان : «وخزلت * بعقلك أرآم الخدور العقائل »
(٣) فى الموازنة (١٣٠ بتحقيقنا) نقد طويل لهذا البيت

هوًى كان خلساً، إنّ من أحسن الهوى هوًى جُلْتُ فى أفنائه وَهْوَ خامل(١)

وهى طويلة .

ومها الوحش - بفتح الميم - بقره ، والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر: مرفأ للسفن بالبحرين ، و إليه تنسب الرماح الخطية لأنها تباع به لالأنه منبتها .

والشاهد فيه : المماثلة ، وهى : أن يكون ما فى أحد الفقرتين أو شطرى البيت مثل ما يقابله من الآخر فى الوزن دون التقفية ، وقد تأتى ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرىء القيس السابق فى التشبيه [من المتقارب] :

كأنّ المدامَ وصوبَ الغمام وريح الخزامى ونشرَ العطر

ومن شواهد المماثلة على أصل الباب فى التزام الوزن دون التقفية قول الشاعر [من المتقارب] :

صفوح كريمٌ رَصينٌ إذا رأيتَ العقُولَ بدا طيشُها

نداه سحوحٌ على أنفسٍ بهِ اخضرَّ لما سقى عيشُها

والبيت الأول أردت، ومن أمثلة المماثلة قول البحترى [من الطويل] :

فاحجمَ لما لم يجدْ فيكَ مطمعا وأقدَمَ لما لم يجدْ عنكَ مهرَبا

وقول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

فإذا عفا لم يُلْفَ غير مُملكٍ و إذا سطا لم يلق غيرَ مُعفَّرِ

وقول أحمد بن المغلس [من الخفيف] :

إنْ يواجهْ فطوْدُ حلمٍ ركينٌ أوْ يُفاوضْ فبحرُ علمٍ غزيرُ

أو يَجُدْ واهباً فغيث مطيرٌ أوْ يصلْ واثباً فليث هصورُ

وقول العمانى أيضاً [من الكامل] :

---

(١) فى الديوان « هوى حلت فى أفيائه وهو خامل »

سلسلْ خُطوطكَ ماغدا مُتسلسلاً　　شاطى الجمامِ الزُّرْق بالأغصانِ
واسجعْ بِشعرِكَ ماغدا مُتصلصلاً　　شادِى الحمامِ الوُرْق بالألحانِ

وقول الباخرزى من قصيدة نظامية [من الكامل] :

وافرحْ فما يلقى لسدِّكَ هادِمٌ　　وامرحْ فمـا يلقى لحدِّك ثالمُ
فإذا سخوْتَ فإنَّ سَيْبَكَ عارضٌ　　وإذا سطوْتَ فإن سيفكَ عارمُ
فلذاكَ تخشى منْ قناكَ مطاعنٌ　　ولذاكَ تُغشى مِنْ قِراكَ مطاعمُ

وقول الوزير محمد بن على بن حسول فى شكاية الأيام [من المجتث] :

أأسلمتْنِى　　وذنبى　　للشيبِ فيهِ افترَاقى
منَ الظِّباء العوَاطى　　إلى الضباعِ العوَاقى

وقول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

جاءتْ تجرّ فرُوعاً خلْفَ ذِى هيَفٍ　　وبلَّغتْ صبَّهَا منْ لثمها الأملا
فأرْسلتْ غَسَقاً وأطلعتْ قمرا　　وألمتْ بَرَداً وأرْشفَتْ عسلاَ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

تبسَّمتْ فتباكى الدُّرُّ منْ وجلٍ　　وأقبلتْ فتولَّى الغصنُ ذا عجبِ
تفترُّ عنْ حَبَبٍ يبدُو على ذَهَبٍ　　يُهديكَ مِنْ شَنَبٍ ضرْباً من الضَّرَبِ

* * *

١٨١ — مودّتهُ تدومُ لـكلِّ هوْلٍ　　وهلْ كلٌّ مودّتهُ تدومُ

شاهد القلب

البيت للأرجانى، من قصيدة من الوافر(١)، يمدح بها نجم الدين أبا عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن محمود، أولها :

لأىِّ وميض بارقةٍ أشيمُ　　ومرْعَى الفضل فى زَمنى هَشيمُ

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٣٧٠ بيروت)

أَسِيتُ وخدُّ ليل الشَّعر منى بكفِّ الصبح من شيبي لطيمُ(١)
وضمَّ إلىَّ أفكارى جناحِى فلى فى عُشّ مُطرَحى جُثُومُ(٢)
فعذْراً إنْ تغيرَ عهدُ شِعرى وقدْ يُغضى على الزللِ الحليمُ
وما قصرْتُ عنْ شأوٍ ولكنْ سقيمٌ كلُّ ما نظم السقيمُ

إلى أن قال :

أَحِبُّ المرْء ظاهرُهُ جميلٌ لصاحبهِ وباطنهُ سليمُ
يؤول دعوَتى ويجيبُ طوْعاً إذا ما عنَّ لى شرَفٌ مرُومُ
وفى الفتيانِ كل ربيطِ جأشٍ يرَى حرْبَ الزمانِ ولا يَخيِم

وبعده البيت .

والشاهد فيه : القلب ، ويسمى المقلوب ، والمستوى ، وسماه الحريرى بمالا يستحيل بالانعكاس ، وهو : أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده ، وغايته: أن يكون رقيق الألفاظ، سهل التركيب، منسجما فى حالتى النظم والنثر .

وقد انعقد الاجماع على أن أبلغ الشواهد عليه هذا البيت لما حوى من رقة الألفاظ وانسجام المعانى .

قال أبو جعفر الأندلسى : وأسهل منه قول بعض المتأخرين [من الخفيف]:

نالَ سرٌّ العلا بما قدْ حواهُ أوْحدٌ قامَ بالعلا رسلانُ

وفيه نظر لا يخفى .

ومن الشواهد المقبولة عليه قول الشاعر أيضاً [من الرمل] :

عُجْ تنم قُرْبكَ دعْدٌ آمناً إنما دَعْدٌ كبرْقٍ مُنتجعْ

وقول بعضهم أيضاً [من المتقارب] :

---

(١) أسيت : حزنت ، ووقع فى الأصول « أشب » محرفا ، وأثبتنا ما فى الديوان

(٢) هذا البيت لا يوجد فى الديوان المطبوع فى بيروت .

أراهُنَّ نادمْنهُ ليلَ لهوٍ وهلْ ليلهُنَّ مُدَانٍ نهارَا

وقول الحريرى من أبيات المقامات [من مجزوء الرجز] :

أُسْ أَرْملاً إذا عرَا وارْعَ إذا المرء أسا
أُسنِدْ أخا نباهةٍ أبن إخاء دنسا
أُسل جناب غاشم مشاغب إن جلسا
أسر إذا هب مرا وارم به إذا رسا
أُسكن تقو فعسى يُسعِفُ وقت نكسا

ومن القلب(١) قول سيف الدين المشد [من مجزوء الكامل] :

ليل أضاء هلالهُ أنى يُضىء بكوكب

وقول الآخر [من المتقارب] :

أرَانا الإلهُ هلالاً أنارَا

وقول الصيرفى المغربى [من مجزوء الخفيف] :

قلقَتْ فيكَ هذِهِ هذِهِ كيْفَ تقلقُ
قرفت يمن ميـة هى من مى تفرق
فترَى لَحْنَ مُقتفٍ فتْقَ منْ حلَّ يرْتُقُ

وقول الصفى الحلى أيضاً [من المجتث] :

يَلِذُّ ذُلى بنِضوٍ لَوْ ضَنَّ بى لذَّ ذُلى

---

(١) القلب فى هذا البيت فى كل كلمة منه على حدتها : فليـل ، وأضاء ، وهلاله ، وأنى ، ويضىء ، وبكوكب ، كل كلمة من هـذه الكلمة تنقلب كطردها .

يلمُّ شملى لحسنٍ إن سحَّ لى لمَّ شملى

وقول الحسن (١) النظيرى النحوى الملقب بذى اللسانين [من الوافر] :

لسيدنا الامام أبى المطهَّرْ فضائلُ أربعٌ كالزهرِ تُزْهِرْ

ضياء فائض ، رأى عيار ، عطاء ساطع ، رهطٌ مُطَهَّرْ

وقول ابن خروف (٢) النحوى [من الرمل] :

واشربوا كلَّ صباحٍ لبناً واشربوا كلَّ أصيلٍ عسلاَ

واعكسوا ذاكَ إلى أعدائِكمْ مِنْ قسىِّ النبعِ أوْ رُقْشِ الفلا

وقول بعض المغاربة [من السريع] :

قدْ أقبل الشهرُ وإقبالُهُ يأتى بمـا أُجرى ترْتيبه

فوجـه الـبر فمقـلوبه يجزيك عن برك مقلوبه

وقول سيف الدين بن المشد ملغزا فى هاروت [من الرجز] :

ما اسمٌ إذا صحفْتهُ فهو نبيٌّ مرْسلُ

وهو إذا عكسته كتابهُ المـنزَّلُ

ومن القلب نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقول الشاعر [من الكامل] :

عدَلوا فما ظلمتْ لهمْ دُولٌ سعدُوا فما زالتْ لهمْ نِعَمُ

بذلوا فما شحَّتْ لهمْ شيمٌ رفعوا فما زلَّتْ لهمْ قدَمُ

---

(١) القلب فى ثانى هذين البيتين فى كل واحد من الأربعة ، فضياءفائض وحده ينعكس كطرده ، ورأى عيار وحده ينعكس كطرده ، وهكذا عطاء ساطع ،ورهط مطهر

(٢) العكس فى هذين البيتين فى كلمة «لبن» وكلمة «عسل» فمقلوب الأول «نبل» ومقلوب الثانى «لسع» ومن هنا تفهم معنى ثانى البيتين

فهو دعاء لهم ومدح ، فاذا انقلبت كلماته صار دعاء عليهم وهجواً بأن يقال :

نعم لهم زالت فما سعدوا   دول لهم ظلمت فما عدلوا
قدم لهم زلت فما رفعوا   شيم لهم شحت فما بذلوا

* * *

شاهد التشريع

١٨٢ — يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيةَ إنها   شرَكُ الرَّدى وقرارَةُ الأكدار

البيت للحريري من الكامل ، وبعده :

دار متى ما أضحكت   في يومها   أبكت غداً   تبًّا لهــا من دار
وإذا أظلَّ سَحابُها   لم ينتفع   منهُ صدى   كجهامــه الغرّارِ
غاراتهــا ما تنقضي   وأسيرُها   لا يفتَدَى   بجلائل الأخطار
كم مُزْدَهٍ بغُرورها   حتى بدا   متمــــردا   متجاوز المِقْدار
قلبت له ظَهر المجن   وأولَغَتْ   فيه ألمُدَى   ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمر   مُضــيعاً   فيهــا سدًى   من غير ما استظهار
واقطعْ علائق حُبِّهــا   وطــلابها   تلق الهدى   ورفاهــة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت   من كيدها   حرْبَ العدا   وتوثّبَ الغــدار
واعــلم بأن خطوبهــا   تَفْجَــالو   طال المدى   ودنَتْ سرى الأقدار

والدنية : الخسيسة ، وشرك الردى : حبالة الهلاك ، وقرارة الأكدار : مقر الهموم والأوصاب المكدرة للعيش

والشاهد فيه : التشريع ، وسماه ابن أبي الأصبع « التوأم » وهو : بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما ، فهذا البيت ومابعده إذا أنشد على هيئته كان من ثماني الكامل ، وإذا أسقطت الجزءين الأخيرين منه كان من ثامنه فتبقى صورته

يا خاطب الدُّنيا الدنية إنها شركُ الرَّدى

ومن الواقع من كلام العرب فى هذا النوع قول بعضهم [من الكامل] :

وإذا الرِّياح معَ العشى تناوَحتْ هوجَ الرئال نكَبْنهُنَّ شمالاَ
ألفَيتنــا نقرى العبيطَ لضيْفِنَا قبلَ القتال ونقتلُ الأبطالا

فهذان البيتان إذا أنشدا تامين كانا من الضرب التام المقطوع من الكامل، وإذا اقتصرت على الرئال والقتال كانا من الضرب المجزوّ المرفل منه ، ولا شك أن هذا النوع لا يتأتى إلا بتكلف زائد وتعسف ، فانه راجع إلى الصناعة لا إلى البلاغة والبراعة، وأوسع البحور فى هذا النوع الرجز ، فانه قد استعمل تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا ومن أمثلته قول الأرجانى [من الرجز] :

صبٌّ مقيمٌ سائرٌ فؤَادُهُ طوعُ الهوَى مَع الخليط المنجـدِ
غائبُ قلبٍ حاضرٌ وِدادُهُ لمن نأى فى عهـدِهم والمعْهَدِ
لهُ جوًى مخامرُ يعتـادهُ إذا اشتـكى طيفَ الـكرى فى العوّد
لصبرِهِ مكابرُ إيقادُهُ حشوُ الهوَى بعـدَ الحسان الخرّدِ
وَدَمعُهُ مُكَاثرُ اشتداده خوْفَ النوَى يقولُ للهَـمِّ ابعـدِ

وقول الحريرى أيضاً [من الـكامل] :

جُودِى علىَ المتحسرِ الصبِّ الجـوِى وتعطفى بوصالهِ وَترَحَّمِى
ذا المبتلى المتفـكر القلب الشجى ثم اكتفى عنْ حالهِ لاتظلمِى

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرجز] :

يرْنُو بطرَفٍ فاترِ مهـمارَنا فهـو المنىَ لا أنتهى عن حبه
يهفو كغصن ناضرِ حلو الجنى يشفى الضنى لاصبر لى عن قرْبه
لو كان يوما زائرى زال العنا يحـلو لنــاَ فى الحبِّ أن نسمى به

أنزلته في ناظري لما دنا قد سرّنا إذ لم يحل عن صبه

وقوله أيضاً [من الكامل] :

من لى بآنسة تنا م لحاظها من غير نوم بل تديه وتفتن
قالت ألست تخاف حين تزورنى سطوات قومى كم تبوح وتعلن
فأجبتها فى نيل وصلك لم أكن لأخاف لومى فهو عندى هين

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الكامل] :

يا راحلا يبغى زيارة طيبة نلت المنى بزيارة الأخيار
حى العقيق إذا وصلت وصف لنا وادى منى يا طيب الأخبار
وإذا وقفت لدى المعرف داعياً زال العنا وظفرت بالأوطار

وقول الرشيد النابلسى [من الرجز] :

لم الحشى معذب موجع على المدى صب الفؤاد مغرم
بناره ملتهب ملذع ما خمدا أواره والضرم
حكم فيه أشنب ممنع من الفدا فهو الأسير المسلم
مبتعد مجتنب مودع تعمدا وهو الغريب الأمم
زمانه تعتب وولع قد أكدا من عز فهو يحكم
ما الحب إلا لهب ومدمع تجددا ولوعة وسقم
يا هل إليه سبب ممتع يولى يداً من لبه محترم
ما أنا إلا أشعب أو أطمع فيما عدا فما إليه سلم

وقول ابن نقادة [من الرجز] :

جمر غرامى واقد يحكى لظى شراره فى القلب ليس ينطفى

ودمع عيني شاهد على الهوى مِدْرَارُهُ والوجْدُ مالا يختفِي
والنوم عني شاردُ لا يُرْتَجَى مـزارُه فيالَصبٍّ مُدْنَفِ
هل في الهوى مساعد لما عَنَى إعْذَارُه في حب ظبي أهيفِ
مائلُ قدٍّ مائدُ إذا انثنى خَطَّارُهُ كالغُصنِ المهفهَفِ
فلحظُه لي صائد إذ ينتضى بَتَّارُهُ هل في الجنون مشرفي
قلبي عليه وَاجد لما نأى مزَاره بين الأسى والأسَفِ
أرغبُ وَهْوَ زاهد وَهو المنى أختاره من لي به فأشتفي
أسْهَرُ وهو راقدُ لما جفا نِفَارُهُ عرَّضني للتلف
وَجْدِي عليه زائد مِنَ الجوى إسعاره بين الدموع الذُّرَّف

وقول صلاح الدين القواص ، ويقال : إن هذه القصيدة تقرأ على ثلثمائة وستين وجهاً [من البسيط] :

داء ثَوَى بفؤادٍ شَفَّهُ سقم لمحنتي من دواعي الهم والكمدِ
يا أضلُعي لهب تذكو شرارتُه من الضنى في محل الروح والجسد
يوم النوى طال في قلبي به ألم وحرقتي وبلائي فيه بالرصد
توجعي من جوًى شبَّتْ حرارتُه مع العنا قدرني لي فيه ذو الحسدِ
أصل الهوى مُلْبِسي وجداً به عدم لمهجتي من رشا بالحسن منفردِ
تتبعي وَجْهَ من تزهو نضارته لما جنى مورثي وَجْدًا إلى الأبَدِ

وهذا القدر من هذا النوع كاف .

*

* *

شاهد
لزوم ما يلزم

سأشكرُ عمراً إن تراخَتْ منيتي ... أيادىَ لم تُمْنَنْ وإن هى جلَّتِ

١٨٣ - فتًى غيرَ محجوبِ الغنى عَنْ صديقه ... ولا مظهِرَ الشكوَى إذا النعْلُ زلَّت

رأى خلَّتى من حيث يَخفَى مكانها ... فكانتْ قذَى عينَيْهِ حتى تجلَّت

الأبيات (١) من الطويل، وقائلها عبدالله بن الزَّبير الأسدى فى عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما، وكان سببها ماحكاه أبو غسانة قال: بلغنى أن أول من أخذ نسيئةً فى الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتى عبدُالله بن الزَّبير الأسدى فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثًّا، فدعا وكيله وقال له: اقترض مالا، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئاً، قال: فأربحهم ماشاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم باثنى عشر ألفاً، فوجهَ بها إليه مع تخت ثيابٍ، فقال عبدالله بن الزَّبير الأبيات.

ويحكى أن رسول سيف الدولة بن حمدان ورد على أبى الطيب المتنبى برقعة فيها البيت الأخير من هذه الأبيات وسأله إجازته، فأثبت فى الرقعة تحته [من الطويل]:

لنَا مَلكٌ ما يطعَمُ النَّوْمَ همُّهُ ... ممَاتٌ لحَيٍّ أو حياةٌ لميِّتِ

ويكبر أن تَقْذَى بشيء جفونُهُ ... إذا ما رأتهُ خَلَّةٌ بكَ قرَّتِ

جزَى اللهُ عنِّى سيفَ دولة هاشمٍ ... فانَّ نَداهُ الغَمْرَ سَيْفِى ودَوْلَتِى

ومعنى «لم تمنن» لم تقطع ولم تخلط بمنة وإن عظمت، وقوله «إذا النعل زلت» كناية عن نزول الشر وامتحان المرء، يقال: زلت القدم، وزلت النعل به، والخلة -بالفتح- الحاجة والفقر والخَصَاصة، وفى المثل «الْخَلَّةُ تدعو إلى السَّلَّةِ» أى السرقة، والقذى: ما يقع فى الشراب

(١) اقرأ ثلاثتها فى مهذب الأغانى (٥-٢٢٦) وفى ديوان الحماسة (٤-١٤٣) وأولها وثانيها فى دلائل الاعجاز (١١٤) ووقع فى الأصول فى ثانى هذه الأبيات «فتى غير محجور الغنى» وأثبتنا ما فى الأمهات التى عندنا

والشاهد فيها : لزوم مالا يلزم ، وهو هنا مجيء اللام المفتوحة المشددة قبل حرف الروى، وهو التاء ، وذاك ليس بلازم فى مذهب السجع لتحققه بدونه ، وفيها نوعان من لزوم مالا يلزم : أحدهما التزام الحرف ، والثانى فتحه ، وقد يكون الأول بدون الثانى ، و بالعكس

ومن شواهده قول امرىء القيس [من الطويل] :

فمثلكِ حُبلى قد طَرَقْتُ ومُرْضع فألهيتُها عَنْ ذى تمائم مُحْولِ
إذا ما بكى مِنْ خلفها انحرفت لهُ بشق وتحتى شِقُّها لم يُحَوَّلِ (١)

وما يقع من هذا الباب لمتقدم فهو غير مقصود منه ، وأما المتأخرون فقصدوا عمله ، وأكثروا منه ، حتى إن أباالعلاء المعرى عمل من ذلك ديواناً كاملامنفرداً عن ديوان شعره المعروف بسقط الزند ، ومنه قوله [من الطويل] :

لكَ الحَمْدُ أمواهُ البلادِ بأسرها عِذَابٌ وخُصَّتْ بالملُوحةِ زَمزمُ
هُوَ الحَظُّ عيرُ الوَحش يَستافُ أنفهُ خُزَامى وأنفُ العَوْد بالعُود يُخْزَمُ

ومن هذا المعنى قول أبى تمام الطائى [من المنسرح] :

والحظ يُعطاه غيرُ طالبهِ ويُحرِزُ الدُّرَّ غيرُ مُجْتلِبِهْ
تلكَ بناتُ المخاض راتِعةٌ والعَوْدُ فى كُورهِ وفى قَتَبِهْ

وقول الآخر [من المتقارب] :

أيا دَهرُ ويحكَ ماذا الغَلَطْ لئيمٌ علاَ وكريمٌ هَبَطْ
حِمَار يُسيَّب فى رَوْضةٍ وطِرْفٌ بِلاَ علفٍ يُرْتَبَطْ

وقول الآخر [من الخفيف] :

رُبَّ عَيْرٍ يَرْعَى ويُعْلف فى المِصر وليثٍ يجُوعُ فى صَحْرَاءِ
وحشيش يَرْوى على ضِفَّة النهر ونَبْعٍ يظْما على غير ماءِ

وقول الهيثم النخعى [من البسيط] :

(١) الذى فى ديوان امرىء القيس وشروح المعلقات « انصرفت له »

قدْ يُرْزقُ الأحمقُ المأفونُ فى دعةٍ ويُحرمُ الأحوذىّ الأرحبُ الباعِ
كذا السوام تصيبُ الأرض ممرعة والأسدُ مرتعها فى غيرِ إمراعِ

ولطيفٌ قولُ الشيخ بدر الدين بن الصاحب [من مجزوء الكامل] :

رزقُ الضعيف بعجزهِ فاقَ القوىَّ الأغلبا
فالنسرُ يأكلُ جيفةً والنحلُ يأكلُ طيبا

رجع إلى شعر أبى العلاء المعرّى ، فى لزوم مالا يلزم .

ومنه قوله [من الكامل] :

من شواهد لزوم ما لا يلزم

أنا صائمٌ طولَ الحياة ، وإنما فِطرى المماتُ فعندَ ذاكَ أعيِّدُ
لوْنانِ منْ صُبحٍ وليلٍ شَيَّبا رأسى وأضعفنى الزمانُ الأيِّدُ
قالوا فلانٌ جيدٌ لصديقهِ لاتكذِبوا مافى البريةِ جيدُ
فأميرُنا نالَ الإمارةَ بالخنا وفقيهنُا بصلاتهِ مُتصيِّدُ
كنْ كيفَ شئتَ مُهجَّناً أوخالصاً فاذا رُزقتَ غِنًى فأنتَ السيدُ
واصمتْ فما كثرَ الكلامُ منِ امرئٍ إلاَّ وقالوا : إنهُ مُتزيِّدُ

وقوله [من السريع] :

كلْ واشرب الناس على خبْرةٍ فهُمْ يمرُّونَ ولا يَعذُبونْ
ولا تُصدِّقْهمْ إذا حدَّثوا فانى أعهدُهمْ يكذبونْ
فإن أرَوْكَ الودّ عنْ حاجةٍ ففى حبالٍ لَهُمُ يجذبونْ

ومن مليح ما جاء فيه قول أبى نواس [من الكامل] :

أما وزند أبى علىّ إنهُ زندإذا استوْريتَ سهّلَ قدْحكا
إنّى لَيأبَى الصنعَ عالى همتى منْ غيركم ويعافُ إلا مدْحكا

20

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي فيه وهو مصنف المقامات اللزومية ، وهي خمسون مقامة بناها على لزوم مالا يلزم [من المنسرح] :

يا هائماً بالدلال والخفرِ ألصقْتَ خدَّ العزيز بالعَفَرِ
إياك ذنب الهوَى وزلته فليس ذنبُ الهوَى بمغتفَرِ
ماعَزَّ في الحبِّ مَنْ يُساجلهُ لو كان ذا معشرٍ وذا نفَرِ
ومنْ غدا وَالُّلجَيْنُ شافعهُ أخاق به أنْ يفوز بالظفرِ

وله أيضا فيه [من مخلع البسيط] :

كلُّ حبيبٍ لهُ دلالُ وَربما شابهُ ملالُ
وأنت أنتَ الحبيبُ لـكنْ منْ دون إسعافك الهلالُ

ولأبي الفضل الميكالي فيه مع التعمية باسم [من الوافر] :

غزالٌ ينثني ويريك غصناً ويرنو تارة ويريكَ رِيمَا
كريمٌ كلهُ ظَرْفٌ ولـكنْ إذا سميتهُ فاقلبْ كريما

وله أيضا فيه [من المتقارب] :

تعز عن الحرص تعزز بهِ ففي الطمع الذلُّ والمنقصهْ
وَلا تُنْزِلَنْ أبداً حاجـةً بمن كابدَ البؤسَ والمخمَصهْ
ولو نالَ نجم الدُّجى ثروة وأوطأشمس الضحى أخمُصَهْ

ولابن جابر الأندلسي فيه [من الطويل] :

ولمـا وقفنا كي نودعَ منْ نأى وَلم يبق إلا أن تُحَثَّ الركائبُ
بكينا وحَقٌّ للمحبِّ إذا بكى عشية سارت عن حماهُ الحبائبُ

ولأبي جعفر الغرناطي فيه [من البسيط] :

ناولتهُ وَرْدةً فاحمرَّ من خجلٍ وقالَ وجهِيَ يغنيني عن الزَّهَرِ

الخد وَرْدٌ، وعيني نرجس، وعلى خَدِّى عِذَار كريحانٍ على نَهَرِ

ومما يلحق بهذا النوع : ما يختبر به الأدباء أفكارهم ، ويشحذون به قرائحهم ، من التزام حروف جميعها مهملة ، أو جميعها معجمة ، أو لا تنطبق معها الشفتان ، إلى غير ذلك من التفننات ، كقول الخطيرى الوراق وجميع الحروف مهملة [من الطويل] :

صدودُ سعادٍ أحدرَ الدمعَ مُرْسلا وأسأر حرًّا لم أحاوله أوّلا
مُحلِّلة صدًّا أراهُ محرماً محرمة وَصلا أراه محللاَ
أواصل لا أسلو هواها ملالةً وكم آملٍ للوصل هامَ وماسلاَ
لها طولُ صدٍّ للمسهد مؤلم وَوصلٌ له طعمٌ أراهُ معسلاَ

وقول أحمد بن الورد [من الكامل] :

علم العدو ملالة اللوّام ودوام صدك وهو صدٌّ حمام
لولاك ما حَدَرَ السهادُ دموعَهُ ولما أطار كراهُ حرُّ أوام
ردّ السلام وما عداك مسلما وأراك أهل هواه سر كلام
كم حاسد لك أو مصدّ ودادهُ ومعلل أهداهُ طولَ ملامِ

وقول ابن سلام [من المنسرح] :

وصالُ دعدٍ أراه حالَ وما أحال عهداً لها مَدَى العُمُر
وطالما راحَ وَرْدُها حَرَماً مُصارماً للورودِ والصدر

وأبيات الحريرى العاطلة حلية هذا النوع ، وهى [من السريع] :

أعدد لحسادك حدّ السلاح وأورد الآمال ورد السماح
وَصارم اللهوَ ووصل المها وأعمل الكُومَ وسُمْرَ الرِّماحْ
واسع لإدراك محلٍّ سَمَا عمادهُ ، لا لادّراع المراحْ

والله ما السوددُ حَسْوُ الطلا ولا مراد الحمد ورد وراحْ
واهاً لحرّ صدره واسعٌ وهمه ما سرَّ أهل الصلاحْ
مَوْرده حلو لسؤاله وماله ما سألوه مطاحْ
ما أسمع الآمل ردًّا ولا ماطله والمطل لؤم صُراحْ
ولا أطاع اللهو لما دعا ولا كسا راحاً لهُ كأسَ راحْ
سوّده إصلاحه سرّه وَرَدْعهُ أهواءه والطماحْ
وحَصَّل المدحَ له علمه مامُهِرَ العور مُهورَ الصحاحْ

وقول الخطيرى ، وحروفه لا تنطبق فيها الشفتان [من مجزوء الرجز] :

ها أنا ذا عارى الجلدْ أسهرنى الذى رَقَدْ
آهٍ لعينٍ نظرتْ إلى غزال ذى غَيَدْ
أرْيتنى يا ناظرى صيْدَ الغزال للأسدْ
إنّ الضنَى لهجره يا عاذلى هدَّ الجسدْ
حشا حشاى إذ نأى نار الغضا حين شَرَدْ
يا غادراً غادَرَنى على لظى نارٍ تقِدْ
هلاّ اصطنعت ناحلاً لا يشتكى إلى أحدْ

وقوله وفى كل كلمة همزة [من الخفيف] :

بأبى أغيداً أذاب فؤادى إذ تناءى وأظهر الاعراضا
رَشأ يألَفُ الجفاء فإن أقبـل أبْدَى لآمِليهِ انقباضا

وقول الحريرى ، وحروفه معجمة كلها [من الخفيف] :

فَتَنَتْنِي فجننتنى تَجنٍّ بتجنٍّ يفتنُّ غِبَّ تجنّى
شغفتنى بجفن ظبيٍ غضيضٍ غنجٍ يقتضى تغيُّضَ جفنى

وقوله ، وهو كلمة مهملة ، وكلمة معجمة [من مخلع البسيط] :

اسمحْ فبثُّ السَّماح زَيْنٌ ... وَلاَ تُخِبْ آملاً تَضيَّفْ

وَلا تُجِزْ رَدَ ذى سؤالٍ ... فَنَّنَ أمْ فى السؤال خففْ(١)

وَلا تظنَّ الدُّهورَ تُبقِي ... مالَ ضَنِينٍ وَلَوْ تقشفْ

وَاحلمْ فجفنُ الكرامِ يُغْضى ... وصدرُهمْ فى العطاء نَفْنَفْ(٢)

وَلا تخنْ عهدَ ذى وِدَادٍ ... ثَبْتٍ وَلاَ تبغِ ماتزيفْ

وقول بعضهم ، وليس فيه حرف متصل بغيره [من الخفيف] :

زَارَ دَاوُدَ دارَ أرْوَى ، وأرْوَى ... ذاتُ دَلّ إِذَا رَأتْ دَاوُدَا

ومثله قول أبي الفضل الأوانى [من المنسرح] :

وَادِدْ أوِدَّاءَ وادعَ ذَا وَرَعٍ ... وَدارِ دَارا إنْ زاغ أوْ دَارَا

وَزُرْ وَدُودًا وأدنِ ذا أدبٍ ... وَدَرْ ذراه إنْ زارَ أوْ زَارَا

ومنه قول بعضهم ، وهو يجمع حروف المعجم كلها [من البسيط] :

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمثلِ الشمسِ إذْ بَزَغتْ ... يَحظَى الضجيعُ بها نجلاء مِعطارَا

وقول أبي جعفر اليزيدى [من الكامل] :

وَلقدْ شَجتنى طفْلَةٌ بَرزَتْ ضُحًى ... كالشمس خَثْماء العظامِ بذِي الغَضَا

وأحسن منه قول ابن حمديس الصقلى [من البسيط] :

مُزَرْفَنُ الصُّدْغِ يسطو لحظهُ عبثاً ... بالخلقِ جذلان إنْ أشكُ الهوَى ضحكَا

وهذا الباب واسع ، والاختصار به أليق .

---

(١) فنن : أى نوع وخلط حتى ثقل

(٢) النفنف : ما اتسع من الأرض شبه به صدرهم فى سعته

وعبد الله[1] بن الزبير ـ بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة ـ وهو ابن الأشيم ابن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ . ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان من شيعة بنى أمية ، وذوى الهوى فيهم ، والعصبية لهم ، والنصرة على عدوهم ، فلما غلب مُصْعَب ابن الزُّبَير رضى الله عنهما على الكوفة أُتى به أسيراً فمنَّ عليه ووَصَله ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب بن الزُّبَير رضى الله عنه . ثم عمى عبد الله بن الزَّبِير بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان عبد الله هذا يكنى أبا كثير ، وهو أحد الهجَّائين للناس المرهوب شرهم .

وكان ناس من بنى علقمة بن قيس قتلوا رجلا من بنى الأشيم ، من رهط عبد الله بن الزَّبير دِنْيَةً ، فخرج عبد الرحمن ابن أم الحكم وافداً إلى معاوية رضى الله عنه ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بنى أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير : خذ من بنى عمك ديتين لقتيلك ، فأبى ابن الزبير ـ وكان عبد الرحمن يميل إلى أهل القاتل ـ فغضب عليه عبد الرحمن ، وردَّه عن الوفد من منزل يقال له : فياض ، فخالفه ابن الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية ، فعاذ به ، فأعاذه وقام ، وأمره بأن يهجو ابن أم الحكم ، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه ، فقال فيه ابن الزبير ، من قصيدة طويلة [من الطويل] :

وأنتم بنو حام بن نوح أرى لكمْ ... شفاهاً كأذنابِ المشاجرِ وُرَّما[2]

---

(1) لابن الزبير الأسدى ترجمة فى تاريخ دمشق لابن عساكر (المختصر ٧ ـ ٤٢٣) وفى الأغانى (١٣ ـ ٣٣) وفى مهذب الأغانى (٥ ـ ٢٢٠)

(2) فى المطبوعتين * كآذان المساحر ورما * وأثبتنا ما فى الأغانى ومهذب الأغانى

فان قلتَ خالى من قُرَيْش فلم أجد من الناس شرًّا من أبيك وألأما

ولما بلغ عبدالرحمن بن أم الحكم أن عبدالله بن الزبير هجاه غضب عليه وهدم داره وأحرقها ، فأتى معاوية رضى الله عنه فشكا إليه ، وتظلم لديه منه ، وقال: قد أحرق لى دارا قد قامت على بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادعيت ؟ فقال : هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك ، فقال معاوية رضى الله عنه للمنذر : ماعندك فى هذا ؟ قال : إنى لم آبه لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنى لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطانى عشرين ألف درهم وسألنى أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت ، فقال معاوية : إن دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ، وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم : أى الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إنى لأعرف داره ، وماهى إلا خصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا[1] فنخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

وكان عبد الرحمن ابن أم الحكم لما ولى الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة المنورة ، فسألته امرأة عبدالرحمن عنه ، فقال لها : تركته يسأل إلحافا ، وينفق إسرافاً . وكان محمقاً ، ولاه معاوية خالُه عدةَ أعمال ، فذمه أهلها وتظلموا منه ، فعزله واطرحه ، وقال له : يابنىّ ، قد جهدت أن أُنَفِّقَكَ وأنت تزداد كسادا ، وقالت له أخته أم الحكم بنت صخر : يا أخى ، زَوِّجِ ابنى بعض بناتك فقال : ليس لهن بكفء ، فقالت له : قد زوجنى أبوسفيان أباه ، وأبوسفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ، فقال : يا أخية ، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهى الزبيب ، وقد كثر الآن الزبيب عندنا فلانزوج إلا الأكفاء

---

(١) فى الأصول «ويخادعونا فنخدع» بحذف نون الرفع

وكان عبدالله بن الزبير قد مدح أسماء بن خارجة الفزارى بقصيدة طويلة منهـا [من الطويل] :

تراه إذا ما جئتَهُ متهللا كأنك تُعطيه الذى أنت نائلُهُ[١]

ولو لم يكن فى كفِّهِ غيرُ روحه لجاد بها فليتق الله سائلُهْ

فأثابه ثوابا لم يَرْضه فغضب وقال يهجوه [من الطويل] :

بَنَتْ لـكم هندٌ بتلذيع بَظْرِها دكاكينَ من جصٍ عليها المجالسُ

فوالله لولا رَهْزُ هندٍ ببظرها لعد أبوها فى اللئام العوابس[٢]

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه واعتذر من فعله بضيقة شـكاها ، وأرضاه ، وجعل له على نفسه فى كل سنة وظيفة ، واقتطعه إلى جانبه ، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله ، وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جِصًّا فى بناء إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت

ولما ولى مصعب بن الزُّبير العراق دخل عليه عبدالله بن الزَّبير الأسدى ، فقال له : إيه يا ابن الزَّبير أأنت القائل[٣] [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى * كأنك تعطيه الذى أنت سائله *

(٢) فى الأصول « لو لا رهن هند » وأثبتنا ما فى الأغانى .

(٣) ورد هذان البيتان فى الأغانى وفى مهذب الأغانى هكذا :

فنى رجب أو غرة الشهر بعده تزوركم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفا دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

وهما على هذا الوجه من قصيدة لعبدالله بن الزبير ، يقولها وقد أمر المختار الخارجى بهدم دار أسماء بن خارجة . لمـا كان له من سوء الأحدوثة عند الشيعة ، ولـكن صاحب الأغاني يعود فيرويهما بعد ذلك على مثل ماجاء فى الأصول فى نفس الخبر الذى نقله المؤلف هنا عنه .

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال : أنا القائل لذلك ، فقال : إن الحقين ليأبى العذرة ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، قال : فاصنع ما أنت صانع ، فقال : أما أنا فلا أصنع بك إلا خيراً ، أحسنَ إليك قوم فاجتبيتهم وواليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً ، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره[1] ، فلما قتل مصعب اجتمع عبدالله بن الزُّبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان فى مجلس ، فعرف ابن الزبير خبره ، وكان عبيدالله هو الذى قتل مصعباً ، فاستقبله ابن الزبير بوجهه وقال له [من الطويل] :

أبا مطرٍ شَلّتْ يمينٌ تفرعت بسيفك رأسَ ابن الحَوارِىّ مُصعَب[2]

فقال له ابن ظبيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ فقال : لا نجاة ، هيهات ، سَبَقَ السيفُ العذَلَ ، وكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه فى نوم ولا يقظة ، كان يُهَوَّلُ عليه فى منامه فلا ينام ، حتى نَحِلَ جسمه ونهك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

وحدث خالد بن سعيد عن أبيه ، قال : كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمرو ابن الزبير بن العوام ، فلما أقامه أخوه عبدالله ليقتص منه بالغ كل ذى حقد عليه فى ذلك وتدسس فيه من يتقرب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه

---

(١) فى الأصول : « ويشبب بذكره » ، وأثبتنا : ما فى الأغانى ، وهو الصواب .

(٢) فى الأغانى : « تقرعت » محرفا ، والمراد بقوله « تفرعت رأس ابن الحوارى » علت رأسه بالسيف . والحوارى : هو الزبير بن العوام ، رضى الله تعالى عنه ! وامه صفية بنت عبد المطلب ، عمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقال له : حوارى رسول الله .

شيئاً بينة ، ولا يطالبه بحجة ، و إنما يقبل قوله ثم يدخله إلى السجن ليقتص منه ، فكانو يضربونه والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الأرض والحيطان مما يمر به ، ثم أمر بأن ترسل عليه الْجِعْلَانُ فكانت تدب عليه فتثقب لحمه وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث حتى مات على تلك الحالة ، فدخل الموكل به وهو يبكى على أخيه عبد الله بن الزبير وفى يده قدح لبن يريد أن يتسحر به ، فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبعده الله ! وشرب اللبن ، ثم قال : لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه فى مقابر المشركين ، فدفن ، فقال ابن الزّبير يرثيه ويؤنب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخلاوندياً [من الطويل]:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... كبيرَ بنى العوّام إن قلت مَنْ تعنى [1]

ستعلم إن جالتْ بك الحربُ جَوْلة ... إذا فوّقَ الرامون أسهُم من تُغنى

فأصبحتِ الأرحام حين وليتها ... بكفيك أكراشاً تجرُّ على دِمْنِ [2]

عقدتم لعمرٍو عقدةً وغدرتمُ ... بأبيض كالمصباح فى ليلةِ الدَّجْنِ [3]

وكبَّلْتـه حولاً يجودُ بنفسـهِ ... تنوء به فى ساقِهِ حلَقُ اللبْنِ [4]

فما قال عمرٌو إذ يجود بنفسهِ ... لضاربه حتى قضى نَحْبَهُ دعنى

---

(١) رواية الأغانى « إن قيل من تعنى »

(٢) دمن ــ بكسر الدال وسكون الميم ــ حقد ، واحدته دمنة ، ويقال : « فى قلب فلان دمنة » ، أى حقد ثابت ، ويقال « قد دمن قلب فلان على فلان » بوزان فرح .

(٣) الدجن ــ بفتح فسكون ــ إظلام الغيم ، ويقال : هذا يوم دجن ، والداجنـة : السحابة ذات الدجن ، وتقـول : دجنت السماء ، وأدجنت ، وأدجن المطر : أى دام أياماً .

(٤) فى المطبوعتين « حلق البين » وأثبتنا ما فى الأغانى ومهذب الأغانى

فى أبيات أخر أعرضت عن ذكرها حفظا لمقام عبد الله بن الزبير وصحبته.

وحدث العبسى قال : لما قُتل عبد الله بن الزُّبير صَلَبَ الحجاجُ جسمه وبعث برأسه إلى عبد الملك فجلس على سريره وأذن للناس ، فدخلوا عليه ، وقام عبد الله ابن الزَّبير فاستأذنه فى الكلام ، فقال له : تكلم ولا تقل إلا خيراً ، وتوخَّ الحق فيما تقوله ، فأنشأ يقول [من الطويل] :

مَشَى ابن الزبير القَهْقَرَى فتقدمت أميةُ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ
وجئت المعالى يا ابن مروان سابقاً أمام قريشٍ تبغض الغدراتِ[1]
فلا زلتَ سباقاً إلى كل غايةٍ من المجد نجاء من الغَمَرَاتِ

فقال له : أحسنت فسَلْ حاجتك ، فقال : أنت أعلى عيناً بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال له : لا ، ولكن أبياتك فى المحلِّقِّ وفى الحجاج التى قلتها ، فأنشده [من الطويل] :

كأنى بعبد الله يركبُ رَدْعَهَ وفيه سنانٌ زاعبيٌّ مجرَّبُ[2]

---

(١) ورد هذا البيت فى مهذب الأغانى هكذا :
وجئت المجلى يا ابن مروان سابقا أمام قريش تنفض العذرات
وظنى أن عجز البيت على ما هنا أحسن

(٢) يقال « رمح زاعبى » بالزاى ، وبعين مهملة — وهى منسوبة إلى رجل من الخزرج ، كان يعمل الأسنة . هكذا قال أبو العباس المبرد ، وقال غيره : الرماح الزاعبية ، هى : العسالة التى إذا هزت تدافعت كالسيل الزاعب يزعب بعضه بعضا : أى يدفعه . وياء النسبة — على هذا الوجه — إما أن تكون للنسبة إلى السيل الزاعب لمعنى التشبيه به ، وإما أن تكون للنسبة إلى الرمح الزاعب ، من نسبة الشيء إلى نفسه للتأكيد كالأحمرى .

وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقت به وبمَنْ آساه عَنْقَاء مُغْرِبُ (١)
تَوَلَّوْا فخلّوه فشال بِشلْوِهِ طويلٌ من الأجذاع عارٍ مشذّبُ
بكفّيْ غلامٍ من ثقيفٍ نمت به قريش وذو المجد التليد مُعَقّبُ

فقال له عبد الملك بن مروان : لا تقل غلام ، ولكن همام ، وكتب له الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى .

ودخل عبد الله بن الزَّبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه ، وكان بشر قد بلغه عنه شيء يكرهه فجفاه ، فلما وصل إليه ووقف بين يديه وجعل يتأمل مَنْ حواليه من بني أمية ويجيل نظره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئاتهم ، فقال له بشر : نظرك يا ابن الزبير يدل على أن وراءه قولا ، فقال : نعم ، قال : قل ، فقال [من الوافر] :

كأنَّ بني أميــة حول بشر نجومٌ وَسْطَها قمر منــيرُ
هو الفرعُ المقدَّمُ من قريش إذا أُخذَت مآخذها الأمورُ
لقــد عمَّتْ نوافلهُ فأضحى غنياً من نوافله الفقيرُ
جبرت مَهِيضَنا وعدَلت فينا فعاش البائِسُ الــكلُّ الــكبيرُ (٢)
فأنْتَ الغيث قد علمت قريش لنا والوا كفُ الجَوْنُ الْمَطِيرُ (٣)

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه .

---

(١) فى الأغانى ومهذبه «به وبمن أسناه عنقاء مغرب »

(٢) فى الأغانى ومهذبه «فعاش البائس الكل الفقير» وبقية القوافى مثل ما هنا، فتكون القافية متكررة فى بيتين متجاورين ،وهذا عيب من عيوب القافية ولو أن العبارة كانت هكذا «فعاش البائس الكل الكسير» لكانت أفضل .

(٣) الجون — بفتح فسكون — الأسود ، والسحاب الأسود أملأ السحائب بالمطر .

وعن عبد الله بن عباس قال : أخبرني بعضُ مشيْخة بني أسد أن ابن الزُّبير لما قَفَلَ(١) من قتال الأزارقة بعث بعثاً إلى الري، قال: فكنت فيه، وخرج الحجاج إلى القنطرة -يعني قنطرة الكوفة التي بزيارة(٢)- ليعرض الجيش، وجعل يسأل عن رجل رجل مَنْ هو، فمر به ابن الزُّبير فسأله من هو، فأخبره، فقال له : أنت الذي تقول [من الطويل] :

تخير فأما أن تزور ابن ضابىء   عُمَيْراً وإما أن تزور المهلبا

فقال : بلى أنا الذي أقول [من الطويل] :

ألم تر أني قد أخذت جعيلة   وكنت كمن قاد الحبيب فأسمحا(٣)

فقال له الحجاج : ذلك خير لك، فقال :

وأوقدت للأعداء يامي فاعلمي   بكل سُرًى ناراً فلم أر مجمحا

فقال له الحجاج : قد كان بعض ذلك، فقال :

ولا يعدم الداعي إلى الخير تابعاً   ولا يعدم الداعي إلى الشر مجدحاً

فقال له الحجاج : إن ذلك كذلك، فامض إلى بعثك، فمضى إلى بعثه، فمات بالري .

---

(١) قفل : رجع .
(٢) زيارة : كذا، ولم أعثر على تصويبه
(٣) في الأغاني « كمن قاد الجنيب »

قد تم ـ بحمد الله تعالى وعَوْنه وحسن تيسيره ـ طبع الجزء الثالث من كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص » تصنيف السيد عبد الرحيم ابن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الرابع مفتتحاً بشرح شواهد « السرقات الشعرية » ، وهو آخر أجزاء الكتاب ، نسأل الذى بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله ، وييسر أمر إتمامه ، إنه ولى ذلك ، ومنه العَوْن .



مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ

عَلَى شَوَاهِدِ التَّلْخِيصِ

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى
المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه
محمد محيي الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية



عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، و بإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

شاهد سرقة الشعر المذمومة

١٨٤ — إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدْتَهُ
علىَ طَرَف الهِجْرانِ إنْ كانَ يَعقِلُ
وَيرْكبُ حَدَّ السَّيفِ منْ أنْ تَضِيمَهُ
إذا لمْ يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

البيتان لمَعْن بن أوس المزنى ، من قصيدة من الطويل[١] ، قالها فى صديق يستعطفه ، وكان معن متزوجاً بأخته فطلقها ، فأقسم أن لا يكلمه ، وأولها :

لَعمرُكَ ما أدْرى وَإنِّى لأوْجَلُ ... على أينا تعْدو المنيةُ أوَّلُ
وَإنى أخُوكَ الدائم العهدِ لم أحُلْ ... إنْ ابزاكَ خصمٌ أونَبَا بِك منزلُ[٢]
أحاربُ منْ حاربْتَ منْ ذى عداوةٍ ... وأحبسُ مالى إن غَرِمْتَ فأعقِلُ[٣]
وَإن سُؤْتَنِى يوماً صفحتُ إلى غدٍ ... ليُعقب يوماً منك آخَرُ مُقْبِلُ
كأنك تَشْفِى منك داءَ مساءتى ... وَسُخطى ومافى رَيثتى ما تَعَجَّلُ[٤]
وَإنى على أشياء منك تَريبُنى ... قديماً لذو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ
سَتقطعُ فى الدُّنيا إذا ماقَطَعْتَنى ... يمينَكَ فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدَّلُ
وَفى الناس إنْ رَثتْ حبالُكَ وَاصلٌ
وَفى الأرض عنْ دَارِ القِلَى مُتحَوَّلُ

---

(١) اقرأها فى ديوان معن (٥٧) وفى ديوان الحماسة (١٣٢/٢ من شرح التبريزي بتحقيقنا)

(٢) فى الحماسة « لم أخن» فى مكان « لم احل » وذكر هذه الرواية فى الشرح ، وفى المطبوعتين «أباراك خصم» وأثبتنا ما فى الحماسة والديوان .

(٣) أعقل : يريد أنه يغرم الدية معه

(٤) فى الديوان « وما فى ريبتى ما تعجل » وكذلك هو فى الحماسة وذكر فى شرح الحماسة أنه يروى مثل ماهنا ، والريثة : ضد العجلة، ومثله الريث.

وبعده البيتان ، وبعدهما :

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنتى   وَبدّل سوءاً بالذى كنتُ أفعلُ

قَلَبْتُ له ظَهْرَ الْمِجَنِّ فلم أدُمْ   على ذاكَ إلا رَيثما أتحوّلُ

إذا انْصَرفَتْ نفسى عَن الشيء لم تكَدْ

إليْـهِ بوجْـهٍ آخرَ الدهـر تُقبلُ

وهذا البيت الأخير ، مثل قول حسان بن ثابت ، رضى الله عنه ! [من الطويل] :

إذا انصرَفتْ نفسى عَن الشيء مرّةً

فلستُ عليـهِ آخرَ الدَّهرِ مُقبلاَ

وشفرة السيف : حده ، والمَزْحل - بالزاى المعجمة والحاء المهملة — من زحل عن مكانه زحولاً إذا تنحى وتباعد ، والمزحل : مصدر بمعنى الزحول ، ومعناه : أنه لا يبالى أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه ضيم ، أو يلحقه هضم ، أو احتقار ، متى لم يجد عن ركوبه مبعداً ولا معدلا .

والشاهد فيهما : سرقة الشعر المذمومة ، وهى : أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظة ، ويسمى نسخاً وانتحالاً .

حكى أن عبد الله بن الزَّبير دخل على معاوية ، فأنشده هذين البيتين ، فقال : لقد شَعرتَ بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبدُ الله المجلس حتى دخل معنُ ابن أوس ، فأنشد القصيدة ، وفيها البيتان المذكوران ، فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير ، وقال له : ألم تخبرنى أنهما لك ؟ فقال : اللفظ له ، والمعنى لى ، وبعدُ فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره .

ومن السرقة المذمومة أن يبدل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها ، كما يقال فى قول الحطيئة [من البسيط] :

دَعِ المكارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها
وَاقعُدْ فانكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى

ذَرِ المآثِرَ لاَ تذهَبْ لِمَطْلَبِهَا
وَاجلسْ فانكَ أنتَ الآكل الكاسى

وكقول امرىء القيس [من الطويل] :

وُقوفاً بِها صحبى علَىَّ مَطِيَّهُمْ يقولون لاتَهلِكْ أسىً وتجمَّلِ

وقد أورده طرفة فى داليته ، إلا أنه أقام « تجلد » مقام « تجمل » .

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه [من الطويل] :

وَمَا الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتَهُمْ وَلاَ الدَّارُ بالدَّارِ التى كنتَ تعلمُ

فأورده الفرزدق فى شعره ، إلا أنه أقام « تعرف » مقام « تعلم » .

وقريب من هذا أن يبدل بالألفاظ ما يضادّها فى المعنى ، مع رعاية النظم والترتيب ، كقول ابن أبى فنن [من الكامل] :

ذَهَبَ الزمانُ برهط حسّانَ الأُولىٰ كانَتْ مَناقِبهم حديثَ الغابرِ
وَبقيتُ فى خَلْفٍ تحلُّ ضيوفُهُمْ فِيهِمْ بِمَنْزِلةِ اللئيمِ الغادِرِ
سُودُ الوُجُوهِ لَئيمةٌ أحسابُهمْ فُطْسُ الأُنوفِ منَ الطرازِ الآخِرِ

فانه عكس قول حسان بن ثابت الأنصارى [من الكامل] :

بيض الوجُوهِ كريمةٌ أحسابُهمْ شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأوّلِ

وهى من أبيات يمدح بها أولاد جَفْنَةَ ، وهم ملوك الشام :

أولادُ جفنةَ حولَ قَبْرِ أبيهمُ مثلُ النجومِ تُجاهَ بدرٍ أكمل

يُغْشَوْنَ حتى ما تهرُّ كلابهمْ   لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المقبلِ
يسقونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ   بَرَدَى يُصفَّقُ بالرَّحيقِ السلسلِ

وأخذ قوله « و بقيت فى خلف » من قول لبيد [من الكامل] :

ذهَبَ الذينَ يُعاشُ فى أ كنافهمْ   وَبقيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ

وعلى ذكره فما أحسن قول السراج الوراق [من الكامل] :

زعمُوا لبيداً قالَ فى عصرٍ لهُ   وَبقيتُ فى خلفٍ كجلدِ الأجرَبِ
وأرَاهُ أعدَى خلفهُ من خلفهِ   جرَباً وأعيا الدّاء كلَّ مُجرِّبِ
وتضاعفَ الجربُ الذى عدوَاهُ لاَ   تنفكُّ عن ماضٍ ولا مُتعقِّبِ
وتفاقمَ الداءُ العُضالُ فخلفنا   بلغَ الجذامَ وعصرنا عصرُ الوَبِى

وليت شعرى ماذا يقول الناظم أو الناثر فى عصرنا هذا والخلف الذى فيه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهمندار العرب [من السريع] :

كنا إذَا جئنا لمنْ قبلكمْ   أنصفَ فى الترحيبِ بعدَ القيامْ
والآنَ صرْنا حينَ نأتيكمُ   نقنعُ منكم بلطيفِ الكلامْ
لاَ غيَّرَ اللهُ بكمْ خشيةً   مِنْ أنْ يجى مَنْ لا يرُدّ السلامْ

وسرقة الشعر مذمومة ، حتى قال فيها الحريرى ، فى إحدى مقاماته :

واستراق الشعر عند الشعراء ، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء ، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار.

وأول من ذم ذلك طَرَفَةُ بقوله [من البسيط]:

وَلاَ أُغيرُ عَلىَ الأشعارِ أَسْرِقها
عنها غَنِيتُ ، وشرُّ الناسِ من سَرَقَا

وأبو تمـام الطائى ضجَّ من سرقة محمد بن يزيد الأموى شعره ، فقال [1] [من الخفيف] :

مَنْ بنو بحدل من ابنُ الحبابِ مَنْ بَنُو تغلب حُدَاةُ الكلابِ
مَنْ طُفيل وعَامرٌ وَمَنِ الحا رثُ أو مَنْ عُتَيْبة بن شِهابِ [2]
إنما الضيغم المصُورُ أبو الأشـــبالِ جبَّارُ كل خيسٍ وغابِ [3]
منْ عدَتْ خيلهُ على سَرحِ شعرِى وَهوَ للْحَيْن رَاتعٌ فى كتابى [4]
غارَة أسخنَتْ عيونَ المعـانى وَاستباحت محارم الآدابِ [5]
لو ترَى منطقى أسيراً لأصبحـــتَ أسيراً لعبرةٍ وَانتحاب [6]
ياعذَارَى الأشعار صِرتنّ من بعــــدى سَبايا تُبعنَ فى الأعرابِ [7]
طَالَ رَغبى إليكَ يا رَبٌّ يا رَبٌّ وَرَهبى لديكَ فاحفظ ثيابى [8]

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٨٧ بيروت) وفيه فى أولها «غداة الكلاب »
(٢) فى الديوان « من طفيل من عامر » وفيه « أم من عتيبة »
(٣) فى الديوان « مناع كل خيس »
(٤) فى المطبوعتين « وهو للجبن راتع » وأثبتنا ما فى الديوان ، والحين ـ بفتح الحاء المهملة ـ الهلاك
(٥) فى الديوان « أسخنت عيون القوافى » وفيه « واستحلت محارم الآداب »
(٦) فى الديوان « أسيرا ذا عبرة واكتئاب »
(٧) فى الديوان « يا عذارى الكلام »
(٨) روى هذا البيت فى الديوان هكذا :
طال رعبى يارب مما ألاقيـــه ورهبى إليك فاحفظ ثيابى

وكان البحترىّ قالَ قصيدةً ، فى أبى العباسِ بن بسطام (١) ، أولها [من المنسرح] :

مَن قائل للزمان ما أربُهْ فى خُلُقٍ منهُ قد بَدَا عجبهْ

فعارضهُ فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة ، يمدح بها الموفق أولها (٢) [من المنسرح] :

أجدّ هذا المقال أم لعبهْ أم صدق ما قيل فيه أم كذبه

فاستعارَ مِنْ ألفاظها ومعانيها ما أوجبَ أن قالَ البحترىّ (٣) فيه ، [من المنسرح] :

ما الدهرُ مستنفد ولاَ عجبه تسومنا الخسفَ كلهُ نُوبه (٤)

نالَ الرضى مادحٌ وممتدحٌ فقل لهذا الأمير ماغضبُهْ

أجلى لصوصَ البلاد يطردهمْ وظلّ لِصَّ القريض ينتهبهْ (٥)

أُردُدْ علينا الذى استعرت وَقل قولكَ يعرفْ لغالب غَلَبُهْ

وقد ذم ابن الرومى البحترى بالسرقة ، فقال (٦) [من البسيط] :

قبحاً لأشياء يأتى البحترىّ بها من شعره الغثّ بعد الكدّ والتعب

كأنها حينَ يُصغِى السامعونَ لها ممن يُمَيِّزُ بين النَّبْعِ وَالْغَرَبِ (٧)

---

(١) اقرأها فى الديوان (١-٣٢)

(٢) هى فى ديوان البحترى منسوبة لعبيدالله بن عبدالله (١-٣٤ مصر)

(٣) اقرأها فى الديوان (١- ٣٧ مصر)

(٤) فى الديوان « لا الدهر مستنفد »

(٥) فى الديوان « أجلى لصوص البلاد يطلبهم » وفيه « وبات لص القريض »

(٦) اقرأها ضمن قصيدة فى الديوان (١-٤٠٨-٤٣٦)

(٧) النبع ـ بفتح فسكون ـ شجر تصنع منه القسى والسهام . والغرب ـ بفتح الغين والراء ـ ضرب من الشجر

رُقى العقارب أو هذرُ البُنَاة إذا
أضحوا على شُعَبِ الجدران فى صَخَبِ (١)

سمينُ ما انتحلوهُ من هنا وَهنا والغثّ منه صريحٌ غيرُ مؤتشبِ (٢)

يسىءُ عفاً فانْ أكدت مسائلهُ أجادَ لصاً شديدالبأس والكلبِ (٣)

حيٌّ يغيرُ على الموتى فيسلبهمْ حُرَّ الكلام بجيشٍ غيرذى لَجَبِ (٤)

ما إن تزال تراهُ لابساً حُللاً أسلابَ قوم مضوا فى سالف الحِقَبِ

شعرٌ يغير عليهِ باسلاً بَطَلاً فينشدُ الناسَ إياه على رَقَبِ

حتى إذا كفّ عن غارَاته فلهُ شعر يئنُّ مُقَاسيه منَ الوَصبِ

شعر كنافض حُمَّى الخيبرى لهُ بردٌ وكربٌ فمن يرويه فى كَرَبِ

قل للعلاءِ أبى عيسى الذى نصلت به الدواهى نصول الآل فى رجبِ (٥)

أيسرِقُ البحترىُّ الناسَ شعرهمُ
جهراً وأنتَ نكالُ اللصّ ذى الرّيبِ

وَتارةً يترز الأروَاحَ منطقهُ والخلقُ ما بين مقتولٍ ومغتصبِ (٦)

---

(١) فى المطبوعتين « أو هذرالبنات » وأثبتنا مافى الديوان ، وفى الديوان « أضحوا على شعف الجدران » والبناة : جمع بان ، وشعف الجدران : أعاليها

(٢) فى الديوان « سمين ما نحلوه » وفيه « صريح غير مجتلب » وهو خير مماهنا

(٣) فى الديوان « أكدت وسائله »

(٤) فى الديوان « عبد يغير على الموتى »

(٥) فى المطبوعتين « قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت » وفيهما « نصول الآل » وكلاهما تحريف ، وأراد أبا عيسى العلاء بن صاعد الوزير ، ونصلت : ذهبت ، والآل : جمع ألة ، وهى الحربة ، يشير إلى ما كان العرب عليه من ترك القتال فى شهر رجب

(٦) فى المطبوعتين « وتارة يبرز الا رواح » وأثبتنا ما فى الديوان ، ويترز : اراد به يزهق الأرواح

نكله إن أناساً قبله ركبوا بدون ماقد أتاه باسق الخشب
إذا أجاد فأوجب قطع مقوله فقد رمى شعراء الناس بالحرب (١)
وإن أساء فأوجب قتله قوداً بمن أمات إذا أبقى على السلب (٢)

ولا يخفى على ذى لب ما فى هذه الأبيات من التشنيع على البحترى والانتقاص من حقه ، وفيه يقول ابن الحاجب أيضاً [من الخفيف] :

والفتى البحترى سارق ما قا ل ابن أوس فى المدح والتشبيب (٣)
كل بيت له يجود معنا ه فمعناه لابن أوس حبيب

وللسرى الرفاء من قصيدة خاطب فيها (٤) أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي ، وقد سمع أن الشاعرين الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك فى أيام الوزير المهلبى [من الكامل] :

بكرت عليك مغيرة الأعراب فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
وردَ العراقَ ربيعةُ بن مكدم وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما فى الفتك، لا فى صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه جلب التجار طرائف الأجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا مقرونة بغرائب الكتاب
شناً على الآداب أقبح غارة جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلّى قفرة وحذار من وثبات ليثى غاب (٥)

(١) فى الديوان « فقد وهى شعراء الناس »
(٢) فى الديوان « بمن يميت إذا أبقى »
(٣) ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس .
(٤) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢-١٤٥ بتحقيقنا)
(٥) فى اليتيمة « وحذار من حركات ليثى غاب »

لا يَسْلبان أخا الثراء ، وإنما يتناهبان نتائج الألباب
إنْ عزَّ موجودُ الكلامِ عليهما فأنا الذى وقفَ الكلامُ ببابى
أو يهْبِطَا من ذِلَّةٍ فأنا الذى ضُربتْ على الشرف المطلِّ قِبابِى
كم حاولا أمدِى فطال عليهما أن يُدْركا إلا مُثَارَ تُرابى
عَجَزَا ولن تقفَ العبيدُ إذا جرتْ يومَ الرهانِ مواقفَ الأربابِ
ولقد حميْتُ الشعرَ وَهْوَ لمعْشَرٍ رمم سِوَى الأسماء والألقاب(١)
وضرَبْتُ عنه المدَّعِينَ وإنما عن حَوْزَةِ الآداب كان ضِرَابِى
فغدَتْ نبيطُ الخالديةِ تدَّعى شعرى وترْفُل فى حَبيرِ ثيابى
قومٌ إذا قصدوا الملوكَ لِمطْلَبٍ نُقضت عمائمُهم على الأبواب
من كل كَهْل تستطيرُ سبالُهُ لوْنين بين أنامل البواب
مُغْضٍ على ذلّ الحجاب بِرُدْه دامى الجبين تجبُّهُ الحجاب
ومفوَّهين تعرَّضا لجرابتى فتعرضت لهما صدورُ حِرابى
نظرا إلى شِعْرى يروق فترَّبا منهُ خدود كواعبٍ أتراب(٢)
شربَاهُ فاعترَفا له بعذوبةٍ ولرُبَّ عذْب عادَ سوطَ عذاب
فى غارةٍ لم تنْثلم فيها الظُّبا ضرْباً ولم تنْدَ القنا بخضاب
تركَتْ غرائبَ منطقى فى غُرْبة مسبيَّةً لا تهتدى لاياب
جرْحى وما ضُربتْ بحدّ مُهنَّدٍ أسْرى وما حُمِلَتْ على الأقتاب
لفظ صقلْتُ متُونه فكأنه فى مُشْرِقات النَّظْمِ درُّ سحاب

(١) الذى فى اليتيمة «وهو لمعشر ذم سوى الأسماء»
(٢) فى اليتيمة «نظرا إلى شعر يروق»

وكأنما أجريْتُ في صفحاته حرّ اللُّجين وخالص الزِّرْياب(١)

أغريت في تحبيره فرُوَاتهُ في نُزْهةٍ منهُ وفي استغراب

وقطعتُ فيه شبيبة لم تشتغل عن حُسْنه بصِباً ولا بتصابي

وإذا ترقرق في الصَّحيفة ماؤه عبقَ النسيمُ فذاك ماء شبابي

يُصغي اللَّبيبُ له فيقسمُ لبَّه بين التعجُّب منه والاعجاب

جِدّ يطير شَرارُهُ ، وفكاهة تستعطفُ الأحبابَ للأحبابِ

أعززْ على بأن أرى أشلاءَهُ تَدْمى بظُفْر للعدو وناب

أفنٰ رماه بغارةٍ مأفونةٍ باعتْ ظِباء الروم في الأعراب

إني أُحذِّر من يقول قصيدةً غرَّاء خِدْنَيْ غارةٍ ونهاب

إني نَبَذْتُ على السَّواء إليكما فتأهّبا للقادح المنتاب

وإذا نبذْتُ إلى امرئ ميثاقهُ فليستعدَّ لسطوَتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعذوبة .

وله من قصيدة يمدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة ويتظلم إليه من الخالديين وقد ادعيا شعره (٢) ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرمَ الناسِ إلا أن يعدَّ أباً فاتَ الكرامَ بآباء وآثارِ

أشكو إليكَ حليفَيْ غارةٍ شهرَا سيفَ الشِّقاق على إنتاج أفكاري(٣)

ذئْبين لو ظفرا بالشِّعر في حرم لمزَّقاه بأنياب وأظفار

---

(١) اللجين : الفضة ، والزرياب : الذهب

(٢) في يتيمة الدهر (٢/ ١٠٢ بتحقيقنا) « وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره »

(٣) في اليتيمة « على ديباج أفكاري » .

سلاّ عليه سيوفَ البغى مُصلَتةً   فى جحفل من شنيع الظلم جرّار(١)

وأرخصاه فقلْ فى العطر مُمتهناً   لديهما يُشترى من غير عطار

لطائمُ المسك والكافور فائحةٌ   منهُ ومُنتخب الهندىِّ والغار(٢)

وكلَّ مُسفِرة الألفاظ تحسبها   صحيفةً بين إشراق وإسفار

أرقتُ ماء شبابى فى محاسنها   حتى ترقرق فيها ماؤها الجارى

كأنها نفَسُ الريحانِ تمزجهُ   صبا الأصائل من أنفاس نوّارِ

إن قلّداك بدُرٍّ فهو من لُجَجِى   أو ختّماك بياقوتٍ فأحجارِى

باعا عرائسَ شعرى بالعراق فلا   تبعَد سباياه من عُونٍ وأبكار

مجهولةَ القدْرِ مظلوماً عقائلُها   مقسومةً بين جهّال وأغمار

ما كان ضرّهما والدرُّ ذو خطرٍ   لو حلّياه ملوكا ذاتَ أخطارِ

ومارأى الناسُ سبياً مثلَ سبيهما   بيعتْ نفيستهُ ظلماً بدينار

والله ما مدحا حيًا ولا رثيا   ميْتًا ولا افتخرا إلا بأشعارى

هذا وعندىَ من لفظٍ أشعشِعهُ   سُلافةً ذاتَ أضواء وأنوارِ

كريمةً ليس من كرْم ولا التشمت   عروسها بخمارٍ عند خمّارِ

تنشا خلالَ شغافِ القلب إن نشأت   ذاتُ الحباب خلال الطين والقار

لم يبقَ لى من قريض كان لى وزَراً   على الشدائد إلا ثقلُ أوزارى

أراهُ قد هُتكت أستارُ حرْمتهِ   وسائر الشعر مستوراً بأستار

---

(١) فى اليتيمة «فى جحفل من صنيع الظلم جرار»

(٢) اللطائم : جمع لطيمة وهى وعاء المسك ، والهندى والغار : من الأعواد ذات الريح الطيبة ، وقال الشاعر :

رب نار بت أرمقها   تقضم الهندى والغارا

كأنه جَنَّةٌ راحت حدائقُها من الغبيَّيْنِ فى نارٍ وإعصار[١]
عارٍ من النَّسب الوَضَّاح مُنْتَسب فى الخالديين بين العُرّ والعار

وله من قصيدة [٢] فى أبى إسحاق الصابى ، وقد ورد عليه كتاب الخالديين بأنهما منحدران إلى بغداد فى سرعة [من الخفيف] :

قد أظلَّتْك يا أبا إسحاق غارةُ اللَّفظ والمعانى الرقاق[٣]
فاتخذْ مَعقِلاً لشعرك يَحميـــهِ مُروقَ الخوارج المرّاق
قبل رقْراقة الحديدتريق السُّـ مّ فى صفْو مائه الرَّقْراق
كانَ شنُّ الغارات فى البلد القفْـــر فأضحى على سَرير العراق
غارة لم تــكن بسُمْر العوالى حين شُنَّتْ ولاالسيوف الرِّقاق
جالَ فُرْسانُها على جُلوسا لا أقلّتهُمُ ظهورُ العتاقِ
فجعتْ أنفسُ الملوك أبا الهيْـ جاء حرْباً بأنْفسِ الأعلاق
بقوافٍ مثلِ الرياض تمشَّتْ بين أنوارها جياد السَّواقى[٤]
بدَع كالسيوف أرْهفْنَ حُسْناً وسقاهُنَّ رَوْنقَ الطبع سَاقِى
مشرقات تُريك لفظاً ومعْنًى حُمْرَةَ الحلْى فى بياض التَّراقِى
يا لها غارةً تُفَرّقُ فى الحوْ مةِ بين الْحَمَام والأطواقِ
تَسِمُ الفارس المقدَّم بالعا رِ وبعضُ الاقدام عارٌ باقى[٥]

(١) الاعصار : ريح شديدة تصحبها نار غالبا
(٢) اقرأها فى يتيمة الدهر (٢/٤٦ : بتحقيقنا)
(٣) فى اليتيمة « والمعانى الدقاق » وهى خير لئلا تتكرر كلمة « الرقاق » مع قافية الخامس
(٤) فى الأصول «جياد السواقى» وأثبتنا ما فى اليتيمة
(٥) فى اليتيمة «تسم الفارس السميدع بالعار»

لو رأيتَ القريض يُرْعَدُ منها بين ذاك الارعاد والابراق

وقلوب الكلام تخفق رُعْباً عنْ تَثَنِّى لوائهـا الخفاق(١)

وسيوفَ الضلالِ تفتِكُ فيها بعذَارى الطُّرُوس والأوراق

والوجوهَ الرِّقاق داميةَ الأبْـــشارِ فى معرك الوُجوه الصِّفَاق

لتنفَّسْتَ رحمةً للخدود الــحُمْر منهُنّ والقدُود الرِّشاق (٢)

والرياض التى ألحَّ عليها كاذِبُ الوَدْق صادقُ الاحراق

والنجوم التى تظلُّ نجومُ الــأرض حُسَّادَها على الاشراق

بعد ما أُحْيِنَ فى سماء المعالى طُلَّعاً وانْتَثرْن فى الآفاق

وتخيَّرْتُ حلْيَهُنَّ فلم يعــدُ خيار النحور والأعناق(٣)

وقطعتُ الشبابَ فيه إلى أن همَّ بُرْدُ الشباب بالاخلاق(٤)

فهوَ مثلُ المدامِ بين صَفاء وبهـاء ونفحـةٍ ومـذَاق

منطق يُخْجِلُ الرَّبيعَ إذا حلَّ عليه السحابُ عقْدَ نِطاقِ

ياهلالَ الآداب يا ابن هلالٍ صرَفَ اللهُ عنكَ صَرْفَ المحاق!

سوف أُهْدِى إليك من خدَم المجــد إماءً تعافُ قُبْحَ الاباق

كلَّ مطبوعةٍ على اسمكَ بادٍ وَسْمُها فى الجباه والآماقِ

وما اشتملت عليه هذه القصيدة وما قبلها من الرقة والانسجام وحسن الأسلوب وجودة السبك يمهد العذر فى الاطالة بهما ، مع ما فيهما من التزيد من السرى وكثرة التشنيع على الخالديين وسلبهما من التحلى بالآداب ، إذ مقامهما

(١) فى اليتيمة «تحت ثنيى لوائها الخفاق»
(٢) فى اليتيمة « للخدود السمر»
(٣) فى اليتيمة « فلم تعد »
(٤) الاخلاق ـ بكسر الهمزة ـ مصدر «أخلق الثوب» أى بلى ورث

فيه مشهور، ومحلهما منه على الألسنة مشكور ومذكور، وناهيك بأبى إسحاق الصابى نقداً للأدب، وقد قال فيهما مادحا [من الطويل] :

أَرَى الشاعِرَيْن الخالدِيَّيْن سيَّرا قصائد يَفْنى الدهرُ وَهْيَ تخلَّدُ
جواهر من أبكار لفظ وعُونهِ يُقصِّرُ عنها راجزٌ ومُقصِّدُ
تنازَعَ قومٌ فيهما وتناقضوا ومرَّ جِدالٌ بينهم يتردَّدُ
فطائفة قالت: سعيدٌ مقدَّمٌ وطائفة قالت لهم: بل محمدُ
وصارُوا إلى حُكمى فأصاحتُ بينهم وما قلتُ إلا بالَّتى هى أرْشدُ
هُما فى اجتماع الفضلِ زوْجٌ مؤلف ومعناهما من حيث يثبت مفردُ
كذا فرْقدا الظلماء لما تشاكلا علاً أشكلاً هل ذاك أم ذاك أحمدُ
فزوْجهما ما مثله فى اتِّفاقِهِ وفرْدُهما بين الكواكب أوْحدُ
فقاموا على صلحٍ وقالوا جميعهم: رَضِينا، وساوى فرْقدَ الأرض فرْقدُ

وما أحسن وأعدل هذه الحكومة من أبى إسحاق، فمامنهما إلا محسن ينظم فى سلك الابداع ما فاق وراق، ويكاثر ببدائعه ومحاسنه الأفراد من الشام والعراق وقد مر فى أثناء هذا المؤلف من بديع عجائبهما، ورفيع صنائعهما، ما يحق له أن يكتب بالنضار واللجين [(١)]، على آماق العين.

ترجمة معن ابن أوس

ومعن هو [(٢)] ابن أوس بن نصر بن زيادة [(٣)] بن أسحم، ينتهى نسبه إلى مزينة، وهى امرأة، وأبوها كاب بن وبرة، وأبو بنى مزينة عمرو بن أدبن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار، وهوشاعر مجيد فحل، من مخضرمى الجاهلية

---

(١) النضار ــ بضم النون، بزنة الغراب ــ الذهب. واللجين ــ بصورة المصغر ــ الفضة

(٢) تجد لمعن بن أوس ترجمة فى الأغانى (١٠ ــ ١٦٤ بلاق)

(٣) فى الأغانى «بن زياد» بغير تاء

والاسلام ، وله مدائح في جميع (١) أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ، وقد وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعينا به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التي أولها [من الطويل] :

تأوّبهُ طيفٌ بذات الجراثم   فنامَ رفيقاه وليس بنائمِ (٢)

وعُمِّرَ بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم

وحدث محجن الخزاعي قال : كان معاوية يُفَضِّلُ مزينة في الشعر ، ويقول : كان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الاسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس .

وحدث العتبي قال : كان معن بن أوس مئناثاً (٣) ، وكان يحسن صحبه بناته وتربيتهن ، فولد لبعض عشيرته بنت ، فكرهها ، وأظهر جزعا من ذلك ، فقال معن (٤) [من الطويل] :

رَأيتُ رجالاً يَكرَهونَ بناتِهمْ   وفيهنَّ لا تُكذَبْ نساءٌ صَوَالحُ

وَفيهنَّ والأيام تعثرُ بالفتىَ   نَوَادِبُ لاَ يمللنهُ وَنَوائِحُ

وحدّث [أبو] (٥) سعيد بن عمرو الزبيدي ، قال : كانت لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثور ، وكان لها محبا ، وكانت حضرية نشأت في الشام ، وكانت في معن أعرابية ولُوثة ، فكانت تضحك من عَجْرَفته ، فسافر إلى الشام في بعض أعوامه

---

(١) في الأغاني «وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم»

(٢) في الأصول « بذات الحرائم » وأثبتنا ما في الأغاني والديوان المطبوع بمصر (ص ٣٠) وقد روى في الديوان هذا البيت مطلع قصيدة في مدح عاصم ابن عمر بن الخطاب

(٣) مئناث : أي كثير البنات

(٤) اقرأهما في الأغاني وفي الديوان (ص ٣٩)

(٥) الزيادة عن الأغاني

فضلّتِ الرفقة عن الطريق ، وعـدلوا عن المـاء ، فطوِوا منزلهم ، وساروا يومهم وليلتهم ، فسقط فرس معن فى وِجَارِ ضبّ : سقطت يده فيه ، فلم يستطع الفرس أن يقوم من شـدة العطش حتى حمله الرفقة حمـلا فأنهضوه ، وجعل معن يقوده ، ويقول (١) [من الرجز] :

أَوْ شهِدَتْنى وجَوادِى ثورُ والرأسُ فيهِ مَيَـلٌ ومورُ
* لضحكَتْ حتَّى يميلَ الـكورُ *

وحـدّث العتبىُّ قال : قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير ، فأنزله دار الضيفان ، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان ، فأقام يومه لم يطعم شيئاً ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتَيْس هرم هَزِيل ، فقال : كلوا من هذا ، وَهُم نيف وسبعون رجـلا ، فغضبَ معن ، وخرَجَ من عنده . فأتى عبد الله ابن عباس ، فقراه وحمله وكساه . ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل ، وقال يهجو عبد الله بن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس ، رضى الله عنهم (٢) [من الطويل] :

ظللنا بمستنّ الرياح غُدَيَّةً إلى أن تعالى اليومُ فى شرِّ محضرِ (٣)
لدَى ابن الزبير جالسين بمنزلٍ من الخير والمعروف والرِّفدِ مُقفرِ (٤)
رَمانَا أبو بكرٍ وقد طالَ يوُمنا بتيْسٍ من الشاء الحجازىّ أعفرَ (٥)

(١) ليس هذا الرجز فى ديوان معن
(٢) اقرأ الأبيات فى الديوان (ص٦٩) وهى مع الخبر فى الأغانى
(٣) فى الديوان «إلى أن تعالى الليل» وهى أوفق بالقصة ، ومحضر : أصله مصدر بمعنى الحضور ، وأراد منه القوم الحاضرين معه .
(٤) مقفر : خال ، وهو وصف المنزل
(٥) الشاء : اسم جمع للضأن من الغنم ، والأعفر : الذى لونه العفرة ، وهى لون أبيض تخالط بياضه حمرة

وقالَ اطعموا منــهُ ونحنُ ثلاثة   وسبعونَ إنساناً فيالؤمَ مخبرِ
فقلتُ لهُ : لاَ تقرَبَنْ فأمامَنا   جفانُ ابن عباس العلاَ وابن جعفرِ
وكُن آمناً وارْفُقْ بتيسك إنهُ   لهُ أعنز ينزو عليها وأبشرِ(١)

وحدَّث محمد بن معاوية الأسدى ، قال : قدم معن بن أوس المزنىّ البصرة ، فقعد ينشد فى المربد ، فوقف عليه الفرزدق ، فقال : يا معن ، من الذى يقول [من الوافر] :

لعمركَ مامزينة رَهطُ معنٍ   بأخفافٍ يَطأنَ ولاَ سنَامِ(٢)

فقال مَعن : أتعرف يا فرزدق الذى يقول [من الوافر] :

لَعمرُكَ ما تميمُ أهلُ فلجٍ   بأرْدَاف الملوك وَلاَ كرَامِ

فقال له الفرزدق : حسبك ، فإنما جرَّبتك . قال : جرّبت وأنت أعلم ، فانصرف وتركه .

وحدّث الأصمعى ، قال : دخلت خضراء روح (٣) ابن حاتم المهلبى ، فاذا أنا برجل من ولده على فاحشة يوما(٤) ، فقلت : قبحك الله ! هذا موضع كان أبوكَ يضرب فيه الأعناق ويعطى اللُّها ، وأنت تفعل فيه ما أرى ، فالتفت إلىَّ من غير أن يزول عنها ، وقال [من الوافر] :

---

(١) وقع فى الديوان «له أعين ينزو عليها» محرفا شنيع التحريف ، ووقع فى أصل هذا الكتاب فى آخر هذا البيت « وأبسر » بالسين مهملة ـ وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغانى

(٢) وقع فى الأغانى « بأخفاف تطاق » ووقع فى الديوان « بأجفان تطاق ولا سنام »

(٣) فى الأصل « دخلت قصرا روح بن حاتم » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٤) فى الأصول « على فاحشة يؤتى » وأثبتنا ما فى الأغانى ، وهو الذى يصلح مع قوله « وأنت تفعل » وقوله بعد « من غير أن يزول »

وَرِثنا المجدَ من آباء صدقٍ ... أسأنا فى ديارهمُ الصنيعَا

إذا الحسبُ الرفيعُ توَا كَلتهُ ... بناةُ السوء أوشكَ أن يضيعَا(١)

قال : والشعر لمعن بن أوس المزنىّ .

وحدث الحرمازى ، قال : سافر معن بن أوس إلى الشام ، وخلف ابنته ليلى فى جوار عمرو بن أبى سلمة(٢) ، وأمه أمّ سلمة ، رضى الله عنهما ، وفى جوار عاصم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فقال له بعض عشيرته : مَنْ خلفت على ابنتك ليلى بالحجاز ، وهى صبية ، ليس لهـا من يكفلها ؟ فقال معن(٣) له : [من الطويل] :

لعمركَ ماَ ليلى بدار مضيعةٍ ... وَما شيخها إنْ غاب عنها بخائفِ

وإنّ لها جارَين لنْ يغدرَا بها ... رَبيبَ النبىِّ وابنَ خيرِ الخلائفِ

وحدّث عبد الملك بن هشام، قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدّة من أهل بيته وولده : ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به ، فذكروا لامرىء القيس ، والأعشى ، وطَرَفَةَ ، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا ، فقال عبد الملك : أشعرهم والله الذى يقول(٤) [من الطويل] :

وَذى رَحم قَلَّمْتُ أظفارَ ضِغْنهِ ... بحلمىَ عنه ، وهو ليسَ لهُ حلمُ

إذَا سُمْتهُ وصل القرَابة سامنى ... قطيعتها ، تلكَ السفاهةُ والظلمْ (٥)

(١) وقع فى الأصول وفى الأغانى « بنات السوء » بالتاء المفتوحة وهو فى شعر معن « بناة » على أنه جمع بان جمع تكسير كغزاة ورماة وقضاة

(٢) فى الأصل «عمر بن أبى سلمة» وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) البيتان فى الديوان (ص٥٦)

(٤) الأبيات فى الديوان ضمن قصيدة (ص ١) وهذه الأبيات ليست متصلة هناك

(٥) فى الديوان « تلك السفاهة والاثم » وفى الأغانى مثل ما هنا

فأسعى لكى أبنى ويهدم صالحى   وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم[١]
يحاول رغمى لا يحاول غيره   وكالموت عندى أن ينال له رغم[٢]
فما زلت فى لين له وتعطف   عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته   وإن كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا : ومن قائلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن أوس المزنى .

وحدث سليمان بن عياش[٣] السعدى عن أبيه ، قال : خرج معن بن أوس المزنى إلى البصرة ليمتار منها و يبيع إبلاً له ، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته ، فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها : ليلى ، وكانت ذات جمال و يسار فخطبها فأجابته ، فتزوجها ، وأقام عندها حولا فى أنعم عيش ، فقال لها بعد حول : يا ابنة عم ، إنى قد تركت ضيعة لى ضائعة ، فلو أذنت لى فأتيت أهلى ورأبت مالى[٤] فقالت : كم تقيم ؟ قال : سنة ، فأذنت له ، فأتى أهله ، فأقام عندهم وأزمن عنها — أى طال مقامه — فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة ، فسألت عنه ، فقيل لها : إنه بعمق ، وهو ماء لمزينة ، فخرجت حتى إذا كانت قريباً من عمق ، نزلت منزلا ، وأقبل معن فى طلب ذود له قد أضلها، وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر — قال : والبت الطيلسان — وعمامة غليظة . فلما رفع له القوم مال إليهم ليستسقى ، ومع ليلى ابن عم لها ، ومولى من مواليها جالس أمام خباء له . فقال له معن : هل من ماء ؟ قال : نعم ، و إن شئت سويقاً ، و إن شئت

---

(١) صدر هذا البيت فى الديوان «فيسعى إذا أبنى ليهدم صالحى * وهى خير مما هنا وفى الأغانى
(٢) حفظى فى عجز هذا البيت * وكالموت عندى أن يحل به الرغم *
(٣) فى الأغانى «سليمان بن عباس السعدى»
(٤) رأبت — بالباء الموحدة — أصلحت ولعل أصله « رأيت مالى » مع أن لها هنا معنى جيدا ، ووقع فى الأغانى « وزممت من مالى »

لبناً ، فأناخ معن ، وصاح مولى ليلى : يا منهلة : وكانت منهلة وصيفة : تقوم على معن عندهم بالبصرة . فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح فى يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها . فقالت : يا مولاتى هذا والله معن ، إلا أنه فى جبة صوف و بتّ صوف . فقالت : هو والله عيشهم الحق مولاى ، فقولى له : هـذا معن فاحبسه ، فخرجت الوصيفة مسرعة له ، فأخبرت المولى ، فوضع معن القدح من يده ، وقال : دعنى حتى ألقاها فى غـير هذا الزىّ ، فقالت له : لست بارحاً حتى تدخل عليها . فلما رأته قالت : أهذا العيش الذى نزعت إليه يا معن ؟ قال : إى والله ياابنة عم ، أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخُزَامى والرُّخَامى والسَّخْبَر والكمأة لأصبت عيشاً طيباً ، فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثياباً لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يحدثها(١) . ثم غدا متقدما بها إلى عمق ، حتى أعدّ لها طعاما ، ونحر ناقة وغنما ، وقدمت على الحىّ ، فلم يبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها ، فلم تدع منهنّ امرأة إلا وصلتها . وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أمّ حقة ، فقالت لمعن : هذه والله خير لك منى فطلقنى ، وكانت قد حمات ، فدخله من ذلك همٌّ وقام ، ثم إن ليلى رحلت إلى مكة المشرفة حاجةً ومعن معها ، فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق قال معن : يا ليلى كأن فؤادى يعرّج إلى ماهنا(٢) ، فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل إلى البصرة ، فقالت : ما أنا ببارحة مكانى حتى ترحل معى إلى البصرة أو تطلقنى ، فقال : أما إذ ذكرت الطلاق

---

(١) فى الأصول «يهرجها» وأثبتنا ما فى الأغانى ، إذ كانت هذه الترجمة مأخوذة عنه بحروفها .

(٢) فى الأغانى «كأن الفوادى ينعرجن إلى هنا» وأكبر الظن أنه محرف عما ثبت فى أصول هذا الكتاب

فأنت طالق ، فمضت إلى البصرة ومضى إلى عمق ، فلما فارقته ندم على ذلك وتبعتها نفسه ، فقال فى ذلك(١) [من الطويل] :

توهّمتُ رَبْعاً بالمعبّرِ واضحا   أبتْ قرّتاه اليوم إلا تَرَاوحا

أربّتْ عليه رأدة حضرمية   ومرتجز قد كان فيه المضابحا(٢)

إذا هى حلت كربلاء فلعلعاً   فجوزَ العذيب دُونها فالنوائحا(٣)

وبانتْ نواها منْ نواك وطاوعتْ

مع الشانئين الشامتات الكواشحا(٤)

فقولا لليلى هل تعوّضُ نادماً   لهُ رجعةً قال الطلاق ممازحا

فانْ هى قالتْ لا فقولا لها بلى   ألاَ تتقين الجارياتِ الذوابحا(٥)

وهى طويلة .

ولما انصرف وليست ليلى معه ، قالت له امرأته أم حقة : ما فعلَت ليلى ؟ قال : طلقتها ، قالَت : والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك ، فطلقنى أنا أيضاً فقال لها معن [من الوافر] :

أعاذلَ أقصرِى ودَعى بَتاتى   فإنكِ ذاتُ لو مات حمات(٦)

---

(١) الأبيات في الديوان « ص٧٧»

(٢) فى الديوان «أربت عليها» وفى الأغانى «أريت عليها» وفى الأصل « كأن فيه المصالحا » وأثبتنا مافى الأغانى والديوان .

(٣) فى الأصل « لحوز العذيب » بالحاء مهملة ، وأثبتنا في هذه الكلمة مافى الديوان والأغانى وفيهما « بعدها » فى مكان «دونها»

(٤) فى الأغانى والديوان « مع الشاميين الشامتين الكواشحا » وما هنا أحسن

(٥) فى الأغانى والديوان «ألاتتقين الحادثات الذوابحا» وهي بمعنى ماهنا

(٦) فى الأغانى والديوان «ودعى بياتى» وأحسب أن ماهنا خير . والبتات : الطلاق ، والبيات : الغارة على الأعداء ليلا ، وأراد بلومات حمات شديدة

وإنّ الصبحَ مُنتظرٌ قريب ... وإنكِ بالملامة لنْ تفَاني
نأت ليلى فليلى لنْ تُواتى ... وضنتْ بالمودّةِ والثبات(١)
وحلّتْ دارُها سفَوَان بعدى ... فذا قارٍ فمنحرفَ الفرات(٢)
تُرَاعى الريف دَائبةً عليها ... ظلالُ اللف مختلط النبات(٣)
فَدَعها أوْ تناولها بِعنْسٍ ... من العيدىّ فى قُلُصٍ شحات(٤)

وقال أيضا فى مطالبة أم حقة له بالطلاق [من الطويل] :

كأن لم يكن يا أمّ حقة قبل ذَا ... بميطان مصطافٌ لنا ومرابعُ
وإذْ نحن فى عصر الشباب وقد عفا ... بنا الآن إلا أن يعوِّض جازعُ(٥)
فقدْ أنكرته أمُّ حقةَ حادثاً ... وأنكرها ماشئتَ والودُّ خادعُ
وَلوْ آذَنتنا أمُّ حقةٍ إذ بنا ... شبابٌ وإذ لما تَرُعنا الرّوائعُ(٦)
لَقلنا لهـا بينى بليل حميدَةً ... كذاكَ بلا ذمٍّ تؤدّى الودائعُ(٧)

ومر عبد الله بن عباس بمعن بن أوس وقد كف بصره ، فقال له : يا معن ، كيف حالك ؟ فقال له : ضعف بصرى ، وكثر عيالى ، وغلبنى الدين ، قال :

---

(١) فى الأغانى «وليلى لا تواتى»
(٢) فى الأغانى «بمنخرق الفرات»
(٣) فى الأغانى روى هذا البيت هكذا :
تراعى الريف دانية عليها ... ظلال أنف مختلط النبات
(٤) روى هذا البيت فى الأغانى :
فدعها أو تناولها بعس ... من العودى فى قلص سحات
(٥) في الأغانى «غصن الشباب» وفيه «نعوض جارع»
(٦) فى الأصل «وإذ لما تروع الروائع» وأثبتنا ما فى الأغانى
(٧) فى الأغانى «تؤدى الصنائع»

وكم دينك؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فبعث بها إليه ؛ ثم مر به من الغد ، فقال له : كيف أصبحت يامعن ؟ فقال [من الطويل] :

أخذتُ بعين المال حتى نهكته وبالدّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى سألتُ القرض عند ذوى الغنى وردّ فلانٌ حاجتى وفلانُ

فقال له عبدالله : الله المستعان ، إنا بعثنا لك بالأمس لقمة فما لكتها حتى انتزعت من يدك ، قال : فأى شيء للأهل والقرابة والجيران ؟ فبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى ، فقال معن يمدحه [من الطويل] :

وإنك فرعٌ من قُريش وإنما تمجُّ النَّدى منها البحورُ الفوارعُ
ثَوَوْا قادة للناس ، بطحاء مكة لهم ، وسقاياتُ الحجيج الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تبك منهم على حادث الدَّهْر العيونُ الدوامعُ

ومن شعره أيضاً قوله [من مجزوء الخفيف] :

رُبما خُيِّرَ الفتى وَهْوَ للخير كارهُ

* * *

شاهد حسن الاتباع

١٨٥ ــ مَنْ رَاقَبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجته وفاز بالطيباتِ الفاتكُ اللهج

***

١٨٦ ــ مَنْ راقب النــاس ماتَ غما وفاز باللذةِ الجَسُورُ

البيت الأول لبشار بن برد من أبيات[1] من البسيط منها :

لو كنتِ تَلْقَيْنَ مانلقى قسَمْتِ لنا يوماً نعيشُ به فيــكُمْ ونبتهجُ
لا خيرَ فى العيش إن دُمنا كذا أبداً لا نلتقى وســبيلُ الملتقى نَهَجُ

(١) روى فى المختار من شعر بشار بيتين أولهما بيت الشاهد وثانيهما ثالث هذه الأبيات بتغيير سنذكره

قالوا حرام تلاقينا فقلتُ لهم ... مافى التلاقى ولا فى غيره حرج[(١)]

وبعده البيت ، وبعده :

أشكو إلى الله همّاً لايفارقنى ... وشرّعا فى فؤادى الدهر تعتلجُ

والفاتك اللهج : الجرىء الشجاع الذى له ولوع بالقتل

والبيت الثانى لسَلْم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها :

بان شبابى فما يحورُ ... وطالَ من ليلىَ القصيرُ

أهدى لى الشوق وهو خلوٌ ... أغَنُّ فى طرفهِ فتورُ

وقائل حين شَبَّ وَجْدِى ... واشتعلَ المضمرُ الستيرُ

لو شئت أسلاكَ عن هواهُ ... قلبٌ لأشجانه ذكُور

فقلتُ لا تعجلَنْ بلومى ... فانما يُنبىء الخبيرُ

عذّبنى والهوى صغيرٌ ... فكيفَ بى والهوى كبيرُ

وبعده البيت

ووقفت فى الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما :

كأنهُ والقنا دَوَانٍ ... يومٌ على ليلةٍ مغيرُ

يُريك تحت العجاج وجها ... يضلُّ فى نوره البصيرُ

والجسور : الشديد الجرأة

والشاهد فيهما : حسن أخذ الثانى من الأول ، ويسمى حسن الاتباع ، فان بيت سَلْم أجود سبكا ، وأخصر لفظا

حدّث أحمد بن صالح قال : لما بلغ بيت سَلم الخاسر بشاراً غضب وأشط

---

(١) روى هذا البيت فى المختار هكذا :

قالوا حرام تلاقينا ، لقد كذبوا ... مافى الزام ولا في قبلة حرج

وحلف لايدخل إليه ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيا ، فاستشفع سلم إليه بكل صديق له وكل من يشتمل عليه رده ، فكلموه فيه ، فقال : أدخلوه ، فاستدناه ثم قال : ياسلم من الذى يقول :

* من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته *

قال : أنت يا أبا معاذ جعلنى الله فداك ، قال : فمن الذى يقول :

* من راقبَ الناسَ مات غما *

قال : تلميذك وخرِّيجك وعبدك يا أبا معاذ ، فاجتذبه إليه وقنَّعه بمخصرة كانت فى يده ثلاثا ، وهو يقول : لا أعود يا أبا معاذ إلى ماتنكره ، ولا آتى شيئاً تذمه ، إنما أنا عبدك وصنيعك ، وهو يقول له : يا فاسق ، أتتجرأ على معنى سهرت له عينى وتعب فيه فكرى وسبقتُ الناس إليه فتسرقه ثم تختصر لفظاً تقربه به لتزرى على وتذهب بيتى ؟ وهو يحلف له أن لا يعود ، والجماعة يسألونه ، فبعد جهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ، ثم رجع له ورضى عنه

وحدث أبومعاذ النميرى ، قال : لما قال بشار بيته « من راقب الناس إلخ » قيل له : يا أبا معاذ ، قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا قال : وما هو ؟ فأنشد بيت سلم هذا ، فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله وددت أنه ينتمى فى غير ولاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأنى أغرم ألف دينار ، محبة منى لهتك عرضه وأعراض مواليه ، قال : فقيل له : ما أخرج هذا القول منك إلا غم ، قال : أجل ، فوالله لاطعمت اليوم طعاما ولاصمت

ومن حسن الاتباع قول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

من شواهد حسن الاتباع

خلقْنَا بأطراف القنا فى ظهُورهم عيوناً لها وقعُ السيوف حواجبُ

فانه أحسن اتباع قول بعضهم [من الطويل] :

خلقنا لهم فى كلِّ عين وحاجب · بسُمر القنا والبيض عيْناً وحاجبا

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة إلى انهزامهم ، حيث أوقع الطعن والضرب على ظهورهم

ومن الشواهد الحسنة على حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب أخت الحجاج وأترابها ، وهو [من الطويل] :

وهُنَّ اللواتى إن برَزْنَ قتلننى و إن غِبن قَطّعن الحشى حسراتِ

فأحسن اتباعه ابن الرومى بقوله [من الكامل] :

ويلاه إن نَظَرت و إن هى أعرضت وقعُ السهام ونزعهن أليم

وقول البحترى [من الكامل] :

أخجلتنى بِندَى يديك فسوّدت ما بيننا تلكَ اليدُ البيضاءُ

صِلةٌ غدت فى الناس وهىَ قطيعةٌ عجبٌ ، وبرٌّ راح وهو جفاءُ

فأحسن أبو العلاء المعرى اتباعه فقال [من البسيط] :

لو اختَصَرْتم من الاحسان زرتكُمُ والعذبُ يُهجَر للافراط فى الخَصَرِ

لأنه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته ، وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان

وقول عنترة العبسى [من الكامل] :

إنى امرؤ من خير عبْسٍ منصباً شَطْرِى ، وأحمى سائرى بالمُنْصُلِ

فأحسن اتباعه الفقيه منصور المصرى فى شريف سبه وكان شرفه من جهة أبيه دون أمه ، فقال [من المجتث] :

من فاتنى بأبيه ولم يفُتْنى بأمهْ

ورامَ شتمىَ جهلا سكتُّ عن نصف شتمهْ

وحسن الأخذ فيهما ظاهر لايخفى

ولمؤلفه فى عكس هذا [من مجزوء الرجز] :

من فاتنا بأمه ولم يفتنا بأبه
سكتُ عن جليه وقولُنا فى المشتبهْ

وفى معنى البيتين الأولين قول بعضهم [من الوافر] :

لقد نلتَ المفاخرَ من قُريش كما نلتَ الرذلة من نمار
فنصفُكَ كاملٌ لا عيبَ فيه ونصفُكَ كاملٌ من كل عار

وقول ابن الرومى [من الطويل] :

تخذتكمُ درعا حصينا لتدفعوا نبالَ العدى عنى فكنتم نصالَها
وقد كنتُ أرجو منكم خير ناصر على حين خذلانِ اليمين شمالَها
فان كنتمُ لا تحفظون مودتى ذماماً فكونوا لا عليها ولا لَها
قفوا وقفة المعذور عنى بمعزِل وخلّوا نبالى للعدَى ونبالَها

فأحسن ابن سناء الملك اتباعه بقوله [من الكامل] :

أعددتكم لدفاع كلّ مُلمة عوناً فكنتم عون كل ملمةِ
وتخذتكم لى جُنّةً فكأنما نظر العدوّ مقاتلى من جُنتى
فلأنفضنّ يدىَّ يأساً منكم نفضَ الأنامل من تراب الميت

وقال ابن الرومى [من البسيط] :

سد السّداد فمى عما يريبكمُ لكن فمُ الحال منى غير مسدود

فأحسن ابن أبى الاصبع اتباعه فقال [من الكامل] :

هبنى سكت أما لسانُ ضرورتى أهجى لكلّ مقصّر من منطقى

وقول سُليك بن سُلَكة [من الطويل] :

تبسّمُ عن ألْمَى اللثات مُفلّج خليقِ الثنايا بالعذُوبة والبردِ

وما ذقته إلا بعينى تفرُّساً كما شِيمَ ماء فى السحابة من بُعْدِ

وقال نُصَيب [من الطويل]:

كأن على أنيابها الخمرَ شجَّها بماء النَّدى فى آخر الليل غابقُ

وما ذقتَه إلا بعينى تفرُّساً كما شِيمَ فى أعلى السحابة بارقُ

وأحسن بشار اتباعهما بإيجازه فقال [من البسيط]:

يا أطيب الناس ريقاً غير مُختَبرٍ إلا شهادةَ أطراف المساويكِ

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى، فمنه قول ابن الرومى [من الطويل]:

وما سرُّ عيدان الأراك بريقها تناوحها فى أيكها تتهصَّرُ

لئن عدمت سقيا الثرى إن ريقَهَا لأعذبُ من هاتيك سقياً وأخصَرُ

وما ذقتُه إلا بشَيْمِ ابتسامها وكم مَخْبَرٍ يبديه للعين مَنظرُ

بدا لى وميضٌ شاهد أن صَوْبه عريضٌ وما عندى سوى ذاك مُخْبِرُ

وقول أحمد بن إبراهيم الكاتب [من الخفيف]:

فمتى ترشفى سواكَ أراكٍ يبطل المسك نشرُ ذاك السِّواك

بأبى ثغرُك النقىُّ الذى نَمَّتْ على طِيبِه فروعُ الأراك

وقول بعضهم [من المتقارب]:

وثغر لها طيبٌ واضحٌ لذيذ المقبَّلِ والمبتَسَمْ

وما ذقته غير ظنى به وبالظنِّ يقضى على ما اكتتم

وقول المتوكل الليثى [من الوافر]:

كأن مُدَامة صَهْبَاء صِرْفاً تُصفَّق بين راووق ودَنٍّ

تُعَلُّ بها ثنايا أم سلمى فراسة مُقلتى وصحيحُ ظنى

وما أعذب قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل]:

يا ظبية تخشى إذا نظرت فتكات سود لحاظها الأسد
إن قلت ريقك خمرة شهدت قضب الأراك بأنه شهد

وقول البهاء زهير [من الطويل] :

وتبسم عن ثغر يقولون إنه حباب على صهباء كالمسك تنفح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه ولم أر عدلاً وهو سكران يطفح

وقو السموأل بن عادياء اليهودي [من الطويل] :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

وقال أبو الطيب [من البسيط]

* أفناهم الصبر إذ أبقاهم الجزع *

وقال الأسود بن يعفر [من الكامل] :

يسعى بها ذو توأمين كأنما قنأت أنامله من الفرصاد

فأحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن فقال [من السريع] :

تبكي فتذري الدر من نرجس وتلطم الورد بعناب

وتقدم ذكره في شواهد التشبيه

وقال أبو تمام يصف قصائده [من الطويل] :

يراها عياناً من يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجى وهو شاسع
يود وداداً أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقا إليها مسامع

وقال الأخطل يصف بعض القيان[1] [من المنسرح] :

جاءت بوجه كأنه قمر على قوام كأنه غصن

(١) القيان : جمع قينة ، وهي الأمة المغنية .

حتى إذا ما استوت بمجلسها   وصار فى حجرها لها وَثَن
غنت فلم تبق فيّ جارحة   إلا تمنّت أنها أذن

والمرقص المطرب فى هذا المعنى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل]

إذا ما بَدَتْ ليلى فكلىَ أعين   وإن هى ناجتنى فكلّى مسامع

وقال مسلم بن الوليد [من البسيط] :

تجرى محبتُهـا فى قلب عاشقها   مجْرَى الْمُعَافَاةِ فى أعضاءِ مُنْتَكِسِ

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال [من المديد] :

فتمشّتْ فى مَفَاصلهم   كتمشّى البُرْءِ فى السقَمِ

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن [من الكامل] :

منعَ البقـاء تقلُّبُ الشمْسِ   وطلوعُهَا من حيثُ لا تُمسى
تجرى على كبدِ السماء كما   يجْرِى حِمَامُ الموْتِ فى النفْسِ

وقد مر طرف من هذا المعنى فى ترجمة أبى نواس فى أوائل الفن الأول

وحدث أبو بكر ابن هارون بن عبد الله المهلبى ، قال : كنا فى حلقة دعبل الشاعر ، فجرى ذكر أبى تمام ، فقال دعبل : كان يتبع معانىّ فيأخذها ، فقال له رجل فى مجلسه : ما من ذاك أعزك الله؟ فقال : قلت [من الطويل] :

وإن امرأ أسْدَى إلىّ بشـافعٍ   إليهِ ويَرْجو الشكر منى لأحمَقُ

فأخذه أبو تمام فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسْدَى إليكَ صَنيعةً   مِنْ جَاهِهِ فـكأنها من مالِهِ

فقال الرجل : أحسن والله ، فقال دعبل : كذبت والله ، قبحك الله! فقال الرجل : إن كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن كان أخذه منـك لقد أجاد فصار أولى ببيتك فى الحالتين ، فغضب دعبل وقام .

وقد أخذ ابن قلاقس هذا المعنى فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسْدَى إليك بشافعٍ خيراً فذاك الخيرُ خيرُ الشافعِ

ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف إلا نازعهم إياه المتأخرون ، وطلبوا الشركة معهم فيه ، إلا قول عنترة [من الكامل] :

وخَلاَ الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفعْلِ الشارب المُترَنِّمِ

هَزِجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِه قَدْحَ المكبِّ على الزناد الأجْذَمِ

وقال الجاحظ : نظرنا فى الشعر القديم والحديث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض ، غير قول عنترة فى الأوائل ، وأنشد البيتين ، وغير قول أبى نواس فى المحدثين [من الطويل] :

تُدَارُ علينا الرَّاح فى عَسْجَديَّةٍ حبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ

قَرَارَتُها كِسْرَى وفى جنباتها مَهًا تَدَّريها بالقِسِىِّ الفوارس

فللرَّاحِ ما زُرَّتْ عليه جُيُوبها وللماء ما دارتْ عليه القَلاَنِسُ

فانه أراد بالعسجدية كؤوسا مذهبة فيها صور منقوشة ، وهى صورة كسرى ، وصور المها والفوارس ، ومعنى البيت الأخير منها أن حَدَّ الخمر من هذه الصور التى فى الكؤوس إلى التراقى والنحور ، وأنها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها إلى مافوق رؤوسها ، وقد يكون الْحَبَابُ هو الذى انتهى إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والمعنى الأول أبدع ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من حدها ممزوجة ، وزعم بعضهم أن أبا نواس اهتدى إليه من قول امرئ القيس [من الطويل] :

فلما استَطَابُوا صَبَّ فى الصحن نصْفَهُ ووافَوْا بماء غير طرْقٍ ولا كَدِرْ

جعل الماء والشراب قسمين ، فتسلَّق أبو نواس عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصور .

وذكرت بأبيات أبى نواس هذه تضمين أبى الحسين الجزار لها فى يوم نوروز

وكتب به إلى بعض أصحابه ناقلا المعنى من وصف الكأس المصورة إلى وصف الصفاع يوم النوروز ناقلا الراح من اسم الخمر إلى جمع راحة ، وهى اليد ، وهو [من الطويل] :

كتبتُ بها فى يوم لَهْوٍ وهامتى ... تمارسُ من أبطاله ما تمارسُ
وعندى رجالٌ للمُجُون تَرَجَّلَتْ ... عمائمُهم عن هامهم والطيالسُ
فللراح ما زرّتْ عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانسُ
مساحِبُ من جرّ الزقاقِ على الصفا ... وأضغاثُ أنطاعٍ جنىٌّ ويابس

وما زال العلماء بالشعر وجهابذة المعانى يرون أن قول عنترة السابق أوحد فَرْدٌ ويتيمٌ فذٌّ ، وأنه من المعانى العُقْم التى لا تولد ، على أن ابن الرومى قد تعلق بذيله فى معنى البيت الأول وزاد عليه بقوله [من الطويل] :

إذا ارتفعت شمسُ الأصيل ونَفَّضَتْ ... على الأفقِ الغربىِّ وَرْساً مذعذعا
وودَّعتِ الدنيا لتقضى نَحْبَها ... وشوَّل باقى عُمْرِها فتشعشعا
ولاحظَتِ النُّوَّار وهى مريضةٌ ... وقد وضعَتْ خدًّا إلى الأرض أضرَعا
كما لاحظت عُوّادها عينُ مُدْنَفٍ ... توجَّع من أوصابها ما توجعا
وبين إغضاء الفراق عليهما ... كأنهما خِلّاً صفاء تودَّعا
وقد ضَرَبَتْ فى خُضْرَةِ الروض صُفْرَةٌ ... من الشمس فاخضرّ اخضراراً مُشَعْشَعا
وظلّتْ عيونُ الروض تخضلُّ بالندى ... كما اغرورقتْ عينُ الشجىِّ لتدمعا
وأذكى نسيمُ الرَّوض رَيْعَانَ ظلِّهِ ... وغَنَّى مُغَنِّى الطيرِ فيه فرَجَّعا
وغرَّدَ ربعىُّ الذباب خلاله ... كما حَثْحَثَ النشوان صنجاً مشرَّعا
فكانت أرانينُ الذباب هنالكم ... على شدَوات الطير ضَرْباً مُوَقَّعا

وقال أبو محمد عبد المجيد بن عبدون [من البسيط]:

ساروا ومسكُ الدياجى غيرُ منهوبِ وطُرَّةُ الشرق غُفْلٌ غير تذْهيبِ

على رُباً لم يزلْ شادى الذباب بها يلهى بآنق ملفوظ ومضْروبِ

كالنيد فى قُبَبِ الأزهار أذرعه قامَتْ له بالمثانى والمضاريبِ

وقال أبو بكر بن سعيد البطليوسى [من الطويل] :

كأن أهازيجَ الذبابِ أساقِفٌ لها من أزاهير الرِّياض محَاريبُ

وقال السلامى فى وصف زُنبُور [من الطويل] :

إذا حك أعلى رأسِهِ فكأنما بسَالِفَتيه من يديه جوَامِعُ

وتعرض حازم فى مقصورته لتشبيه عنترة بقوله [من الرجز] :

ألقى ذراعاً فوق أخرى وَحكَى تكلف الأجْذَم فى قطْع السَّنَى

كأنَّمَا النَّورُ الذى يفْرَعُهُ مُقْتَدِحاً لزنده سَقْطٌ وَرَى

فقصر عنه التقصير البين ، وأخل بذكر الاكباب والحك ، ولهما فى هذا التشبيه موقع بديع ، مع التكلف البادى على قوله «تكاف الأجذم فى قطع السنى» ثم رام أن يزيد فيه فقال «كأنما النور — البيت » وقوله « يفرعه » أى يعلوه عند إلقاء ذراعه على الأخرى ، والسقط — مثلث السين — ما يسقط من النار عند القدح .

ولا خفاء فى أن المعانى الشهيرة البارعة الحسن كتشبيه عنترة هذا لا ينبغى أن يتعرض لأخذها متعرض إلا بالزيادة البينة البديعة الموقع ، والعبارة الناصعة السهلة ، حتى يتبين الفضل للثانى على الأول ، والشفوف[1] للآخذ على المأخوذ منه ، وإلا كان فاضحاً لنفسه ، وماسخاً للمعنى الذى تعرض لأخذه

(١) كذا ، ولعله «والتفوق»

ترجمة سلم الخاسر

وسَلْم الخاسر[(١)] هو ابن عمرو مولى بنى تَيْم بن مرة[(٢)] ثم مولى آل أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ، وهو شاعر بصرى مطبوع متصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار بن برد وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ، ولقب بالخاسر - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل : لأنه لما مات أبوه واقتسم ورّاثه ماله وقع فى قسم سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر لذلك ، وقيل : لأنه ورث عن أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب و بقى لا شىء عنده ، فلقبه الجيران ومن يعرفه سلماً الخاسر ، وقالوا : أنفق ماله على ما لا ينفعه ، ثم مدح المهدى والرشيد وقد كان بلغه اللقب الذى لقب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : أكذب بهذا المال جيرانك ، فجاءهم بها وقال لهم : هذه المائة ألف التى أنفقتها ، وربحت الأدب ، فأنا سلم الرابح ، لا سلم الخاسر ، وقيل : إنه لما باع المصحف واشترى بثمنه طنبوراً فكان يقال له : ويلك هل فعل أحد ما فعلت ؟ فيقول : لم أجد شيئاً أسر به به إبليس وهو أقر لعينه من هذا .

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال : كان سلم تلميذ بشار إلا أنه تباعد ما بينهما فكان سلم يقدم أبا العتاهية ويقول : هو أشعر الجن والانس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما [من الوافر] :

تعالى الله ياسلْمُ بْنَ عمْرٍو أذلّ الحرصُ أعْناق الرجالِ

---

(١) لسلم الخاسر ترجمة فى الأغانى (٢١ /٧٣-٨٤ الساسى) وفى مهذب الأغانى (٩/ ٤٥)

(٢) فى الأصول «مولى بنى تميم بن مرة» محرفا ، والذى يوضح تحريفه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أحد بنى تيم

هَبِ الدُّنْيا تصيرُ إليك عفْواً أليْسَ مصيرُ ذاكَ إلى الزَّوالِ؟

قال: وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه، وقال: لعمرى لقد صدق، إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا، وما فتشت عن حريص قط بعيبة إلا انكشف لى عما أذمه به، وبلغ ذلك سلما، فغضب على أبى العتاهية وقال: ويلى على الجرار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أنى حريص وقد كنز البدَرَ، وهو يطالب، وأنا فى ثوبىَّ هذين لا أملك غيرهما، وانحرف عن أبى العتاهية.

وحدث القضاعى أن سلما كتب إلى أبى العتاهية [من السريع]:

ما أقْبح التزهيد من واعظٍ يزهِّدُ النـاسَ ولا يزهَدُ
لو كان فى تزهيدِهِ صادقاً أضْحى وأمسى بيتُه المسجدُ
ورَفضَ الدنيا فلم يلْقَها ولم يكن يَسْعَى ويسترْفِدُ
يخـاف أن تَنفَدَ أرْزاقُه والرزقُ عندَ الله لا يَنفَدُ
الرزقُ مقسومٌ على مَنْ تَرَى ينـالُه الأبيضُ والأسوَدُ
كلٌّ يوفَّى رزْقَه كامـلاً من كفَّ عن جَهْدٍ ومن يَجْهَدُ

وحدث العباس بن عبد الله قال: كنا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشد شعره فى الزهد، فقال لى قُثَمُ: يا عباس، اطلب لى الجماز الساعة حيث كان وجئنى به، ولك شىء، فطلبته فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت له: أجب الأمير، فقام حتى أتى قثمَ فجلس فى ناحية مجلسه، وأبو العتاهية ينشد، ثم قام إليه الجماز فواجهه، وأنشده أبيات سَلْمٍ هذه، فقال أبو العتاهية: مَنْ هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجماز، وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله حيث تقول له، وأنشد البيتين السابقين، قال: فقال أبو العتاهية للجماز: يابن أخى، إنى لم أذهب فى شعرى الأول حيث ذهب خالك، ولا أردت أن أهتف به، ولا أذهب فى حضورى

و إنشادى حيث ذهب من الحرص على الرزق ، والله يغفر لكما ، ثم قام وانصرف

وحدث أبو محمد اليزيدى أنه حضر مجلس عيسى بن عمرو ، وحضر سلم الخاسر ، فقال له : يا أبا محمد ، اهجنى على روى قصيدة امرىء القيس [من المديد]:

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَل مُخْرِجٍ كفَّيْه من سِتَرِهْ

قال : فقلت له : ماذا دعاك إلى هذا ؟ قال : كذا أريد ، فقلت : أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر ، فلْتَسَعْكَ العافية ، فقال : إنك لتحتجر غاية الاحتجار منى ، وأريد أن توهم عيسى أنى مفحَم لا أقدر على ذلك ، فقال لى عيسى : أسألك يا أبا محمد بحقى عليك إلا فعلت ، فقلت [من المديد] :

رُبَّ مغمورٍ بعافيةٍ غَمط النعْماء من أشَرِهْ
وامرئٍ طالتْ سلامتهُ فرماهُ الدهرُ من غِيَرِهْ
بسهامٍ منه مقْوِيةٍ نَقَضَتْ منه قُوَى مِرَرِهْ
وكذاك الدهر مُنْقَلِبٌ بالْفتى حالَيْن من عُصُرِهْ
يخلطُ العُسْرَى بِمَيْسَرَةٍ ويسارَ المرء فى عُسُرِهْ
عقَّ سَلم أمَّهُ صِغَراً وأبا سَلم على كِبَرِهْ
كلَّ يومٍ خلْفَهُ رَجُلٌ رامحٌ يسْعى على أثَرِهْ
يولج الغُرْمُولَ سُبَّتَهُ كولوج الضبِّ فى جُحُرِهْ

قال : فاغتم سلم وندم ، وقال : هكذا تكون عاقبة البغى والتعرض للشر ، فضحك عيسى وقال : قد جَهِدَ الرجل أن تدعه وصيانته ودينه ، فأبيت إلا أن يدخلك فى حر أمك .

وحدث محمد النوفلى ، قال : كان المهدى يعطى مروان[1] وسلما الخاسر عطية واحدة ، فكان سلم يأتى باب المهدى على البِرْذَوْن الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام ، ولباسه الخز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ،

(١) يريد مروان بن أبى حفصة ، وسيتمم اسمه فى تمام الحديث

ورائحة المسك الطيب والغالية تفوح منه، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو كبل وقميص وسراويل وعمامة من كرباس وخف كبل وكساء غليظ، وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلا، فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله، فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس، قال: نعم، أعرف سعره فآمن خيانة الغلام، ولا أشترى لحما فيأكله ويطبخ منه، والرأس آكل منه ألوانا: آكل من عينيه لونا، ومن غلصمته لونا، ومن دماغه لونا.

وحدث الحسن الربيعي، قال: كان سلم الخاسر قد بلى بالكيمياء، فكان يذهب بكل شيء له باطلا، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا، وأنه لا يصل له أحد إلا ليلا، فسأل عنه، فدلوه عليه، قال: فدخلت إليه إلى موضع مغور، فدققت الباب، فخرج إلى، فقال: مَنْ أنت عافاك الله؟ فقلت له: رجل مُعْجَب بهذا العلم، قال: لا تشهرني فاني رجل مستور، وإنما أعمل للقوت، قال: فقلت: إني لا أشهرك، وإنما أقتبس منك، قال: فاكتم ذلك، قال: وبين يديه كوز شَبَهٍ صغير، فقال لي: اقلع عُرْوَته، فقلعتها، فقال: اسبكها في البوْتقَة، فسبكتها، فأخرج شيئا من تحت مُصَلَّاه، فقال: ذُرَّه عليه، ففعلت، فقال: أفرغه، فأفرغته، فقال: دعه معك فاذا أصبحت فاخرج به وبعه وعد إلى، فأخرجته إلى باب الشأم فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما، ورجعت إليه وأخبرته، فقال: اطلب الآن ما شئت، فقلت: تفيدني، قال: بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحد، فأعطينه، وكتب لي صفة، فامتحنتها فاذا هي باطلة، فعدت إليه، فقيل لي: قد تحول، فاذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه، والكوز شبه، ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه، فانصرفت، وعلمت أن الله تعالى أراد بي خيرا، وأن هذا كله باطل.

وحدث أبو المستهل الأسدى قال : كان سلم الخاسر يُهاجى والبةَ بن الحباب فأرسلنى إليه سلم فقال : قل له [من المنسرح] :

والبةَ بْن الُحباب يا حَلَقِى لستَ منَ اهلِ الزّناء فانطلق

تُدخِلُ فيك الغرمول تولجهُ مثلَ ولوج المِفتاحِ فى الغَلَقِ

فأتيت إليه فقلت له ذلك ، فقال : قل له : يا ابن الزانية سَلْ عنك ريعان التميمى ، يعنى أنه ناكه ، وكان ريعان لوطيا آفة من الآفات ، وكان غلامه ظريفا ، وكان يقول : نكت الهيثم بن عدى ، فمن ترونه يفلت منى بعده .

وحدث أبو المستهل قال : دخلت يوما على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطيس يرثى ببعضها أم جعفر وببعضها أقواما لم يموتوا ، وأم جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، ويستعجلوننا ، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد ، فنعد لهم مثل هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلنا فيه على أنه قيل فى الوقت .

وحدث زكرياء بن مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر أن يهب له شيئا ، وقد خرجت له جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق [من البسيط] :

يا أم سَلْمٍ هداكِ الله زُورينا كيما ننيكك فرداً أو تنيكينا

ما إنْ ذكرتك إلاهاجَ لى شَبَقٌ ومثلُ ذكراك أم السَّلْمِ يُشْجينا

قال : فجاء سَلْم ، فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحب أن تعفينى عن استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها .

وحدث محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيع على المهدى ، وأبو عبيد الله الوزير جالس يعرض كتبا ، فقال له أبو عبيد الله : مر هذا أن يتنحى ، يعنى الربيع ، فقال له المهدى : تَنَحَّ ، قال : لا أفعل ، فقال : كأنك ترانى بالعين الأولى ، قال : لا ، بل أراك بالعين التى أنت بها ، قال : فلم لا تتنحى إذ

أمرتك ؟ فقال له : أنت ركن الاسلام ، ومذ قتلت ابن هذا فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها ، فقام المهدى مذعورا ، وأمر بتفتيشه ، فوجد بين جوربه وخفه سكين فردت الأمور كلها إلى الربيع ، وعزل أبو عبيد الله ، وولى يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر فيه [من مجزوء الكامل] :

يعقوبُ ينظرُ فى الأمو ر وأنتَ تنظر ناحيه
أدخلته فعلا عليـــك كذاكَ شؤمُ الناصيهْ

قال : وكان بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زنديق ، فقال له المهدى : هذا حسد منك ، فقال : افحص عن هذا ، فان كنت مبطلا بلغت فى الذى يلزم مَنْ كَذَبَكَ ، فأتى بابن أبى عبيد الله فقرره تقريرا خفيا ، فأقر ، فاستتابه فلم يتب ، فقال لأبيه : اقتله ، فقال : لا تطيب نفسى بذلك ، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله .

وكان ابن أبى عبيد الله هذا المقتول من أحمق الناس ، وهب له المهدى جارية ثم سأله المهدى عنها ، فقال : ما وضعت بينى وبين الأرض خشبة أوطأ منها ، حاشا سامعى ، فقال المهدى لأبيه : أتراه يعنينى أو يعنيك ؟ قال : لا ، بل يعنى أمه الزانية ، لا يكنى .

وحدث يحيى بن الحسن قال : حدثنى أبى قال : كنت أنا والربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدعت ، وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشدَّها ، فقال له الربيع : من الرجل ؟ فلم يجبه ، حتى إذا اعتل قال للربيع : أنت الرجل الذى رأيت فى نومى أنه شد الكعبة ، فأى شىء تعمل بعدى ؟ قال : ما كنت أعمل فى حياتك ، وكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدى ما كان ، فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع [من البسيط] :

وابنُ الذى جبَرَ الاسلامَ يومَ وَهى واستنقَذَ الناسَ من عمياء صيخُود

قالت قريشٌ غداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ أين الربيع؟ وأعطَوْا بالمقاليد
فقام بالأمْر مئناساً بوَحْدَتِه ماضى الضريبة ضرَّابُ القَماحيد (١)
إنَّ الأمور إذا ضاقت مَسالِكُها حلّتْ يدُ الفضل منها كلَّ معقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضل قد بَنيا رِوَاق مجدٍ على العباس مَمدودِ

قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

وحدث أبو دعامة قال : قال سلم الخاسر فى الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين [من الكامل] :

قد بايعَ الثقلانِ مهدىَّ الهُدَى لمحمدِ ابنِ زُبيْدَة ابنةِ جعفرِ
ولّيته عهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ فدمَغْتَ بالمعروف رأسَ المنكر

فأعطته زبيدة مائة ألف درهم .

وحدث ميمون بن هارون قال : دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى فى يوم نوروز ، والهدايا بين يديه ، فأنشده [من مجزوء الوافر] :

أمِنْ رَبْعٍ تسائلُهُ وقد أقْوَتْ منازلُهُ (٢)
بقلبى مِنْ هَوَى الأطلا لِ حُبٌّ ما يُزايلُهُ (٣)
رويدكمُ عن المشغو فِ ، إنَّ الحب قاتلُهُ
بلابلُ صدره تَسْرِى وقد نامت عوَاذِلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيـــلِ منْ تُرْجى فواضلُهُ

(١) في مهذب الأغانى «فقام بالأمر مئناس بوحدته» والقماحيد : جمع قمحودة وهي مؤخر القذال

(٢) أقوت منازله : أقفرت وخلت من الأنيس

(٣) يزايله : يفارقه ويغادره

رأيتُ مكارمَ الأخلا ق ما ضمتْ حمائلهُ
ولستُ أرَى فتًى في النا س إلا الفَضْل فاضِلهُ
يقول لسانُه خيراً فتفعـلهُ أناملهُ
ومهما تَرْجُ من خيرٍ فانَّ الفضل فاعلهُ

وكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين فقال لابراهيم: ما تسمع؟ قال: أحسن مسموع، وفضلُ الأمير أكبر منه، فقال: خذوا جميع ما أهدى إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذاك التمثال، فاني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير، ثم قال: لاوالله، ما هكذا يفعل الأحرار، يُقَوَّمُ ويدفع لهم ثمنه، ثم نهديه، فقوم بألفي دينار، فحملها إلى القوم من بيت ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم.

وحدث الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه، فمنعه، فقال اسمع إذن ماقلته، فأنشده [من مجزوء الرمل]:

حدثوني أنَّ سَلْماً يشتكى جارة أيره
فهو لا يحْسُدُ شيئاً غيرَ أيرٍ في استِغيرهْ
وإذا سَرَّكَ يوماً ياخليلي نَيْلُ خيره
قُمْ فمُرْ راهبَكَ الأصـــلعَ يقْرَعْ بابَ ديرهْ

فضحك منه سلم، وأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحب جُعِلت فداك أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا.

وحدث أبو دعامة قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده [من مجزوء الكامل]:

* حَيِّ الأحبّةَ بالسَّلَامْ *

فقال الرشيد : حياهم الله ، فقال :

* أعلى وَداعٍ أم مقام *

فقال الرشيد : حياهم الله على أى ذلك كان ، فأنشده :

لم يبق منك ومنهمُ غيرُ الجلود على العظام

فقال الرشيد : بل منك ، وأمر باخراجه ، وتَطَيَّرَ منه ومن قوله ، فلم يسمع باقى شعره ، ولا أثابه بشىء .

وقال القاسم بن موسى بن مزيد بن يزيد بن مزيد : ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغسانى ، فانى حسدته على قول سلم الخاسر فيه [من مجزوء الرجز] :

لعاصم سماء عارضُها هتّانْ
أمطارُها الابريز واللُّـــجيْنُ والعقيان(١)
ونارُهُ تنادِى إذ خبتِ النيرَانُ
الجودُ فى قحطانٍ ما بقيتْ غسّانُ
اسْلَمْ ولا تُبالى ما فعلَ الاخوَانُ
صلّتْ له المعالِى والسيفُ والسّنانُ
ماضرٌّ مُرْتجيهِ ما فعل الزّمانُ
مَنْ غاله مَخُوفٌ فهوَ له أمانُ

وعاصم بن عتبة هذا هو جد أبى الشمر الغسانى ، وكان صديقا لسلم الخاسر

(١) فى مهذب الأغانى روى هذا البيت هكذا :
مطارها اللجين والدر والعقيان

كثير البر به والملاطفة له ، فأعطاه على هذه الأبيات سبعين ألف درهم ، وكان جملة ما وصل إلى سلم الخاسر منه خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال : إني ميت ، ولا وارث لى ، و إن مالى مأخوذ ، فأنت أحق به ، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم .

وحدث حماد عن أبيه قال : استوهب أبى من الرشيد تركة سلم الخاسر وقد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث ، فحصل منها خمسين ألف دينار

وحدث أبو دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفى ، وخلف مما أخذه منه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتدّه قديماً ، فقبضه الرشيد ، فتظلم إليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : هذا خادمى ونديمى والذى خلّفه من مالى فأنا أحق به ، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

ولما مات سلم الخاسر قال أَشْجَعُ السُّلمى يرثيه [من السريع]:

يا سَلْمُ إن أصْبَحْتَ فى حفْرَةٍ ... مُوسداً ترباً وأحجارا

فرُبَّ بيتٍ حَسَنٍ قُلْتَهُ ... خَلّفْتَهُ فى الناس سيارا

قلدته ترباً وسيرته ... فكان فخراً ذاك أو عارا

لو نَطَقَ الشعر بكى عبرةً ... عليه إعلاناً وإسرارا

***

١٨٧ — هَيْهَاتَ أن يأتى الزَّمانُ بمثْلِهِ ... إن الزَّمانَ بمثلهِ لَبَخِيلُ

* * *

١٨٨ — أعْدَى الزمان سَخَاؤه فَسخَا به ... ولَقَدْ يكونُ به الزمانُ بخيلا

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل يرثي بها محمد بن حميد، وكان قد استشهد في بعض غزواته ، وأولها [(١)] :

بأبي وغير أبي ، وذاكَ قليلُ ثاوٍ عليه ثرى السباخ مَهيلُ
خذلته أسرته كأنَّ سراته جهلوا بأن الخاذل المخذولُ
أكالُ أشلاءِ الفوارس بالقنا أضحى بهنّ وشلوهُ مأكولُ
كفى فقتْلُ محمدٍ لي شاهدٌ إنَّ العزيزَ مع القضاء ذليلُ
إن يستضم بعد الإباء فانه قد يُستضامُ المُصْعَبُ المعقولُ [(٢)]
مستحسنٌ وجهُ الردى في معركٍ قُبْحُ الحياة بحومتيه جميل [(٣)]
أنسى أبا نَصْرٍ ؟ نسيتُ إذن يدي في حيْثُ ينتصر الفتى ويُنيل

وبعده البيت ، وما أحسن ما قال بعده :

ما أنتَ بالمقتول صبراً ، إنما أملى غَدَاةَ نعيكَ المقتولُ

والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر ابن عمار صاحب طرابلس الشام ، وكان قد خرج إلى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه وخرج إلى آخر فهرب منه ، وأولها :

في الخد إنْ عزمَ الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحُولاً
يا نظرةً نفت الرقادَ فغادَرَت في حدِّ قلبي ما حييتُ فُلولا [(٤)]

( ) اقرأها في الديوان (٣٧٥ بيروت)
(٢) في الأصل رواية هذا البيت هكذا :
إن يستضم بعد الاباء فانه يقتاد لخل الصرمة المعقول
وأثبتنا ما في الديوان
(٣) في الديوان « وجه الحياة بحومتيه جميل »
(٤) في الديوان « يانظرة نفت الرقاد وغادرت »

كانت من الكحلاء سؤلى إنما أجلى تمثل فى فؤادى سولاَ

يقول فى مديحها:

محِك إذا مَطَلَ الغريمُ بدَينهِ جعَلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا[1]

نَطِقٌ إذا حط الكلام لثامهُ أعطى بمنطقه القلوب عقولا

و بعده البيت ، و بعده :

فكأنَّ بَرْقاً فى مُتون غمامةٍ هنديهُ فى كفِّهِ مسلولاَ

ومحل قائمه يسيلُ مواهباً لو كنَّ سَيْلاً ما وَجَدْنَ سبيلاَ

رقَّتْ مضاربه فهنَّ كأنما يُبدينَ من عشقِ الرقابِ نحولاَ

أمعفرَ الليثِ الهزَبْرِ بسوطهِ لمن ادَّخَرْتَ الصارمَ المصقولا

واستمر فى وصف الليث إلى أن قال :

قبضتْ منيتهُ يديه وعُنقه فكأنما صادَفْتَهُ مغلولا

سمعَ ابنُ عمته به وبحالهِ فغدا يهرولُ أمسِ منكَ مهولاَ[2]

وأمرُّ مما فرَّ منه فِرارُه وكقتلهِ أن لا يموتَ قتيلا

تَلَفُ الذى اتخذَ الجراءة خلةً وَعظَ الذى اتخذ الفرارَ خليلاَ

لو كان علمكَ فى الالهِ مقسَّماً فى الناس ما بعثَ الالهُ رسولاَ

لو كان لفظكَ فيهمُ ما أنزل التوراة والفرْقان والانجيلاَ

لو كان ما تعطيهم من قبل أن تعطيهمُ لم يعرفوا التأميلاَ

فلقد عُرفت وما عُرفتَ حقيقةً ولقد جُهلتَ وما جُهلت خُمولا

نطقتْ بسودَدِك الحمامُ تغنيا وبما تجشمها الجيادُ صهيلاَ

---

(١) محك ـ بفتح الميم وكسر الحاء ـ اللجوج ، وقالت أعرابية :

إذا الخصوم اجتمعت جثيا وجدت ألوى محكا أبيا

(٢) في الديوان « فنجا يهرول منك أمس مهولا »

ما كل مَنْ طَلَبَ المعالى نافذا فيهـا ولا كل الرجال فُحُولا

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو ، وأنا أستغفر الله تعالى لى وله .

والشاهد فى البيتين : كون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة .

وهذا الأخذ مذموم مردود ، لفوات الفضيلة وعدم الفائدة ، فإن المصراع الثانى من بيت أبى الطيب مأخوذ من المصراع الثانى من بيت أبى تمام ، لكن مصراع أبى تمام أجود سَبْكا ، لأن قول أبى الطيب « ولقد يكون » بلفظ المضارع لم يصب محزَّه ، إذ المعنى على الماضى ، والمراد « لقد كان » .

و ينظر إلى بيت أبى تمام قول الشريف الموسوى فى الصاحب بن عباد [من الكامل] :

يا طالِباً مِنْ ذا الزمان شبيهَهُ هيهات كلَّفْتَ الزمانَ مُحَالا

و ينظر إلى صدر بيت المتنبي قول السَّلامى فى الوزير سابور [من الكامل]:

أعدَى الزمانَ نَدَى أبى نصر فلو سُمْنَاهُ أن يهبَ الصبى لم يَبْخَلِ

وما أحسن قول القاضى الفاضل فى هذا المعنى [من الكامل] :

مَضَتِ الدهورُ وما أتينَ بمثلِهِ ولقد أتى فَعَجَزْنَ عن نُظَرائِه

ومن الأخذ المذموم قول بعض الأعراب [من السريع]:

وريحها أطيبُ من طِيبها والطيبُ فيه المسك والعَنْبَرُ

وقول بشار بعده [من الرمل] :

و إذا أدنَيْتَ منْهُ بَصَلاً غلبَ المسْكُ على ريح البَصَلْ

وقول أشجع السلمى [من الكامل] :

وعلى عدوِّكَ يا ابن عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ

فإذا تَنَبَّهَ رُعتَه و إذا غفَا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

وقول أبي الطيب بعده [من الوافر] :

يرَى في النَّوم رُمحكَ في كُلاَهُ ويخشى أن يرَاهُ في السُّهَادِ

وكذا قول السرى الرفاء و إن كان فيه زيادة المعنى وحلاوة السبك ، وهو [من البسيط] :

تَرُوعُ أحشاءهُ بالكتب وَهْوَ لهَا خَوْفَ الرَّدَى ورجاء السِّلْم مُسْتَلِمُ

لا يَشْرَبُ الماء إلا غَصَّ من حَذَرٍ ولا يَهُوِّمُ إلا راعَهُ الحُلُمُ

وقد ألم به الشهاب محمود فقال من قصيدة [من البسيط] :

كأن هاربهُمْ والخوف يَطْلُبُهُ يبدو لديه مثالٌ منه أو مَثَلُ

فإن تنبهَ يوماً راعَهُ ، وإذا غفَا جلَتْه عليه في الكرَى المقَلُ

وقول الخنساء [من الطويل]:

وما بلغ المُهْدُونَ للناس مدحَةً و إن أطنبُوا إلا وما فيك أفْضَلُ

وقول أشجع [من الطويل] :

وما ترك المداح فيكَ مقالةً ولا قال إلا دونَ ما فيكَ قائلُ

وهذا الباب واسع لا طاقة لأحد على حصره ، وهذه النبذة كافية فيه إن شاء الله تعالى .

* * *

١٨٩ — لَوْحَارَ مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لم يجِدْ إلا الفِراقَ على النفُوس دَلِيلاَ (١)

* * *

شواهد عماية المأخوذ والمأخوذ منه

١٩٠ — لَوْلا مُفَارَقَةُ الأحْبَابِ ماوَجَدَتْ لَهَا المنَايا إلى أرْواحِنَا سُبُلاَ

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها نوح بن عمرو

(١) في الديوان (٢٤٢) « لو جاء مرتاد المنية »

السكسكى ، أولها :

يومَ الفرَاقِ لقد خُلِقْتَ طويلا لم تُبْقِ لى صبراً ولا معْقُولا[1]

و بعده البيت ، و بعده[2] :

قالوا الرحيل فما شَكَكْتُ بأنها نَفْسٌ عن الدنيا تُريدُ رَحيلاَ

الصبرُ أجمَلُ غيرَ أن تَذَلُّلى فى الحب أحْرَى أن يكونَ جَميلاَ

أتظُنُنى أجِدُ السَّبيلَ إلى العزَا وَجدَ الحِمامُ إذن إلىَّ سبيلاَ

ردُّ الجمُوحِ الصعبِ أيْسَرُ مطلباً من رد دمعٍ قَدْ أصابَ مَسِيلاَ

وهى طويلة .

والارتياد : الطلب ، و إضافة المرتاد إلى المنية بيانية ، أى المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت فى الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن لها دليل عليها إلا الفراق .

ومثله قول الحِمَّانى [من الكامل] :

ولقَدْ نظَرْتُ إلى الفراق فلم أجد للمَوْتِ لو فقِدَ الفراق سبيلا

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها سعيد ابن كلاب الطائى وأولها :

أحيا وأيسَرُ ما لاقَيْتُ ما قتلا والبينُ جارَ على ضعفى وما عَدَلا

والوَجدُ يَقْوَى كما يَقْوَى النوى أبداً والصبرُ يَنْحَلُ فى جسمى كما نَحَلاَ

و بعده البيت ، و بعده :

بما بجفنَيْكِ من سحرٍ صلى دنفاً يهْوَى الحياة ، وأما إن صدَدت فلاَ

إن لا يَشِبْ فلقد شابَتْ له كبدٌ شَيْباً إذا خَضَبَتْهُ سلوة نَصَلاَ

يجَنُّ شوقاً فلولا أن رائحةً تزورُه فى رياح الشرق ما عقَلاَ

(١) فى الديوان « لم تبق لى جلدا »

(٢) بيت الشاهد تال للبيت الذى أوله « قالو الرحيل »

هافانظُرى أوفظُنّى بى ترَىْ حُرَقاً مَنْ لم يذق طرَفاً منها فقد وألاَ(١)

عَلَّ الأميرَ يرَى ذلى فَيَشْفَع لى إلى التى تركتنى فى الهوى مثَلاَ

وهذا البيت من المخالص القبيحة التى عِيبَتْ على المتنبى ، وسببُ القبح كونه جعل ممدوحه ساعياً بينه و بين محبو بته فى الوصال ، وفى ذلك ما فيه ، وقد سبقه أبو نواس إليه بقوله [من الطويل] :

سأشكو إلى الفَضْلِ بن يحيى بن خالد هواكِ لعل الفَضْلَ يجْمَعُ بيننا

وقد سبقهما إلى ذلك قيس بن ذريح (٢) حين طاق لُبْنَى فتزوجت غيره فندم على ذلك وشَبَّب بها فى كل مغنى ، فرحمه ابنُ أبى عتيق ، فسعى فى طلاقها وأعادها إلى قيس ، فى خبر طويل ، فقال يمدحه [من الوافر] :

جزَى الرحمن أفْضَلَ ما يجازى على الاحسان خيراً من صديق

وقد جرَّبْتُ إخوانى جميعاً فما ألفيت كابْنِ أبى عتيق

سَعَى فى جمع شملى بعد صَدْعٍ ورأى حِدْتُ فيه عن الطريق

وأطفأ لوْعَةً كانت بقلبى أغَصَّتْنى حرَارتها بريقى

فلما سمع ذلك ابن أبى عتيق قال لقيس : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المدح فما سمعه أحد إلا وظننى قواداً .

ولنرجع إلى الكلام على البيتين .

والشاهد فيهما : مماثلة المأخوذ المأخوذ منه ، فيكون أبعد من الذم ، والفضل للأول إن لم يكن فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو

---

(١) الحرق ــ بضم الحاء وفتح الراء ــ جمع حرقة ، وأراد لواعج الغرام وآلامه ، ووألَ : نجا . تقول : وأل يئل ، مثل وعد يعد ووصف يصف

(٢) فى الأصول « قيس بن الذريح »

مذموم جدا ، فأبو الطيب أخذ معنى بيت أبى تمام كله مع بعض الألفاظ كالمنية والفراق والوجدان ، و بَدَّلَ النفوس بالأرواح .

ومنه قول أبى تمام [من الوافر] :

مقيمُ الظن عِندك والأمانى وإن قَلِقَتْ ركابى فى البلادِ
ولا سافَرْتُ فى الآفاق إلا ومِنْ جَدْواكَ رَاحِلتى وزادى (١)

وقول المتنبى [من الوافر]:

محبك حيثما اتجهَتْ رِكابى وضَيْفُكَ حيث كنتُ من البلادِ

وقول القاضى الأرجانى [من الكامل] :

لم يُبكنى إلا حديث فِرَاقِكم لما أسَرَّ به إلى مُوَدِّعِى
هو ذلك الدُّرُّ الذى أوْدَعْتُمُ فى مَسْمَعى ألقيته مِنْ مَدْمَعى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه [من الطويل] :

وقائلة ما هذه الدرر التى تُسَاقِطُهَا عيناك سِمْطَيْنِ سِمطينِ
فقلت هو الدرُّ الذى قد حَشَا به أبو مُضَرٍ أذنى تَسَاقَطُ من عينى

وقول إبراهيم بن العباس فى ابن الزيات الوزير (٢) [من المتقارب] :

نَجَا بك لؤْمُك منجى الذبابِ حَمَتْهُ مقاذيرُه أن يُنالا

وقول ابن حجاج بعده [من الوافر] :

على أنى أظنك كنتَ تنجو بعِرْضك من يدى مَنْجى الذباب

وقول أبى نواس [من الطويل] :

تسترْتُ من دهرى بظلّ جناحه فعينى ترى دهرى وليس يَرَانى

(١) فى الديوان والموازنة :

* وماسافرت فى الآفاق إلا *

(٢) كذا ذكر جماعة منهم صاحب اليتيمة ، والذى فى أخبار أبى تمام أن المقول فيه محمد بن عبد الملك بن أبان

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

سترْتُ بظله من رَيب دهرى فطال على النوائب أن تراَنى

وقول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخمَّارةٍ من بنات اليهود نرى الزق فى بيتها شائلاَ
وزَنا لها ذهباً جامداً فكالَتْ لنا ذهباً سائلاَ

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

وخمَّاراً أعدَّ الكأس ظِئراً لطارقةٍ فلم ترْضِعْهُ غيْلاَ
أوفِّيهِ خلاص التبر وزناً فيسكبه ويعطينيه كيلاَ

ولابن حمديس فى مثله [من المتقارب] :

وضعتُ بميزانها درهمى فسيَّلَ بالكأس دينارَها

وقول جحْظَة البرمكى، أو على بن جبلة [من الرمل] :

بأبى من زارنى مكتتما خائفا من كل شىء جزِعاَ
زائر نَمَّ عليه حسنه كيف يخفى الليل بدراً طلعا
راقَبَ الغفلة حتى أمكنَتْ ورعى السامرَ حتى هجعاَ
ركبَ الأهوالَ فى زوْرته ثُمَّ ماَ سلَّمَ حتىَّ ودَّعاَ

وقول المتنبى [من الخفيف] :

بأبِى مَنْ وَدِدْتُهُ فافترَقْنَا وقضَى الله بعدَ ذاكَ اجتماعاَ
وافترَقْنَا حوْلاً فلمَّا التقينا كانَ تسليمهُ علىَّ وداعاَ

وقول الحسين بن الضحاك [من الرمل] :

بأبِى زوْرٌ تلفَّتَ له فتنفسْتُ عليهِ الصُّعَدَا
بينما أضحكُ مسرُوراً بهِ إذْ تقطَّعتُ عليهِ كمَدَا .

وقول الآخر أنشده الصولى [من الخفيف] :

زَائرٌ زَارَنى يُشيِّعُهُ الشوْ قُ قَريبُ الهوَى بَعيدُ المرَامِ
كانَ عَنىِّ أوْحَى انصرَافاً مِنَ اللحْـــظِ وَأخفى مِنْ طَارقٍ فى المنَامِ (١)

وقول العباس بن الأحنف [من الخفيف] :

سَألونَا عنْ حَالِنَا كيفَ أنتمْ فقَرَنَّا وَدَاعَنــاَ بالسـؤالِ
ماَ حللنا حَتىَّ افترَقنا فمَا نفــرِقُ بَينَ النزُولِ وَالارْتحالِ

وقول كشاجم ، و يُعزى لأبى الحسين بن طاهر بن محمد النسجرى الكاتب [من الكامل] :

بِأبى وأمى زَائرٌ مُتقنعٌ لَمْ يَخف ضوء البدر تحت قناعهِ
لَمْ أستَتِمَّ عِناَقَهُ لِقـدُومهِ حتى ابتدأتُ عناَقهُ لوَدَاعِهِ
وَمَضى فأبقىَ فى فؤادى حسرَةً تركتهُ مَوْقوفاً على أوْجَاعِهِ

ومنه قول الآخر [من الخفيف] :

زار يُهدِى السلاَمَ لم أرَ فصْلاً بَينَ توْدِيعهِ وَبينَ السلاَمِ

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

زَارَنا حَتى إذا ماَ سَرَّنا بِالقرْبِ زَالاَ

ولأبى الشيص فى معناه [من السريع] :

يا حَبذَا الزوْرُ الذى زَارَا كَأنهُ مُقتبسٌ نارَا
نَفسى فِدَاءٌ لكَ منْ زَائرٍ ماَحلَّ حَتى قيلَ قدْ سارَا (٢)

---

(١) أوحى : أسرع

(٢) فى الأصل * نفسى فدا لك من زائر ، ولا يتم وزن الشطر حتى تضم إليه الهمزة

وقد عكس ابن أبى البشر الصقلى الكاتب بيت جحظة الأخير ، فقال :
يهجو ثقيلا [من الرمل] :

وثقيلٍ قدْ شَنِئْنَا شخصهُ ... مُذْ عرفناهُ مُلحّاً مُبْرِماَ
ثقلَ الوطـــأة فى زَوْرَتهِ ... ثمّ ماَ وَدَّعَ حتى سَـــلمَا

* * *

شواهد السلخ

١٩١ ـ هُوَ الصنع إنْ يَعْجَلْ فخيرٌ ، وَإنْ يَرِثْ
فللرَّيثُ فِى بعضِ المَوَاضِعِ أنفَعُ

* * *

١٩٢ - وَمِنَ الخيرِ بُطءُ سَيبكَ عنىّ
أسرَعُ السحْب فى المَسيرِ الجَهَامُ

البيت الأول لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

أمَا إنهُ لَوْلاَ الخليطُ المودّعُ ... وَرَبْعٌ عفاَ منهُ مصيفٌ ومرْبعُ
لَرُدَّتْ على أعقَابِهَا أريَحِيـــة
مِنَ الشوْقِ وَاديهاَ مِنَ الدَّمْعِ مُترَعُ

وهى طويلة ، وسيأتى طرف منها فى التلميح ، إن شاء الله تعالى .

والريث : الابطاء .

والبيت الثانى لأبى الطيب ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها علىّ ابن أحمد الخراسانى المرىّ أولها :

لا افتخارٌ إلا لِمنْ لا يُضَامُ ... مُدْرِكٍ أوْ مُحَارِبٍ لاَ ينامُ
ليسَ عَزْماً ما مرّضَ المرءُ فيهِ ... ليسَ همّا ما عاقَ عنهُ الظلاَمُ

وَاحتمالُ الأذَى وَرُؤيةُ جانيـــهِ غِذاء تَضوَى بهِ الأجسَامُ

ذَلَّ منْ يغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخفُّ منهُ الحِمَامُ

كلّ حِلمٍ أتى بِغيرِ اقتدارٍ حُجةٌ لاَجِىءٌ إليها اللئامُ

مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهوَانُ عليهِ ما لجرْحٍ بميتٍ إيلامُ

يقول فى مديحها :

خيرُ أعضائنا الرُّؤوسُ وَلـكنْ فضلتهَا بقصدِكَ الأقدَامُ

قَدْ لَعمرِى أقصرْتُ عنكَ وَللوَفْـــدِ ازدِحَامٌ وللعطَايا ازدِحَامُ

خِفْتُ إنْ صِرْتُ فى يمينكَ أنْ يأ خُذَنِى فى هبَاتكَ الأقوَامُ

وَمِنَ الرُّشدِ لَمْ أزُرْكَ على القُرْ بِ، على البُعْدِ يُعْرَفُ الإلمَامُ

و بعده البيت ، و بعده :

قُلْ فكمْ منْ جَوَاهرٍ بنظَامٍ وُدُّها أنها بِفيكَ كلاَمُ

هَابَكَ الليْلُ وَالنهارُ فلوْ تنْــهاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الأيامُ

والسَّيْب : العطاء ، والْجَهَام : السحاب الذى لا ماء فيه ، أو الذى هراق ماءه .

والشاهد فى البيتين : الالمام ، و يسمى : السلخ ، وهو : أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام : إما أبلغ من المأخوذ منه ، أو دونه ، أو مثله ، فبيت المتنبى أبلغ من بيت أبى تمام ، لاشتماله على زيادة بيان المقصود ، حيث ضرب المثل بالسحاب .

* * *

١٩٣ — وَإذَا تألَّقَ فى الندىّ كلامُهُ الـــمَصْقُولُ خلْتَ لسانَهُ مِنْ عضبهِ

* * *

شاهد مجىء المأخوذ دون المأخوذ منه

١٩٤ — كأنَّ ألسُنَهُمْ فى النطق قَدْ جعلتْ
عَلَى رِمَاحِهِمُ فى الطعْنِ خُرْصَانَا

البيتَ الأول للبحترى ، من الكامل ، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، أولها :

مَنْ سَائِلٌ لمعذبٍ عَنْ خطبهِ أَوْ صَافحٌ لمقصرٍ عنْ ذَنبهِ

وهى طويلة يقول فى مديحها :

وَإذَا اسْتهلَّ أبُوعَلِىٍّ بالندَى جَاء الغمَامُ المستهِلُّ بسكبِه
وَإذَا احتبىَ فى عقدهِ من حِلمِهِ يوْماً رَأيتَ مَتَالِعاً فى هَضْبه

و بعده البيت . و بعده :

وإذَا دَجَتْ أقلامُهُ ثُمَّ انتحَتْ بَرَقَتْ مَصَابيحُ الدُّجى فى كُتْبِهِ
فاللفظُ يقرُبُ فَهمهُ فِى بُعْدِه مِنـــا وَيَبعُدُ نَيلُهُ فى قُرْبِهِ
وَكأنَّها وَالحسْنُ مَعْقُودٌ بهَا شَخْصُ الحبيب بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

ومعنى تألق : لمع ، والندىّ : المجلس الغاص بأشراف الناس ، والمصقول : المنقح ، وَالعَضْب : السيف القاطع ، شبه لسانه بسيفه .

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها أبا سهل الأنطاكىّ ، أولها :

قَدْ عَلِمَ البينُ منا البينَ أجفَانَا تَدْمَى وألَّفَ فى ذَا القلب أحزَانَا
أمّلْتُ ساعةَ سَارُوا كشْفَ مِعْصَمِهَا لِيَلْبثَ الحَىُّ دُونَ السيرِ حيرَانَا

وَلَوْ بَدَتْ لأتاهتْهُمْ فحجَّبها صَوْنٌ عقولَهُمُ منْ لحظها صَانَا

إلى أن قال فى مديحها :

ماَ شيّدَ اللهُ منْ مجدٍ لسَالفهمْ إلا وَنَحْنُ نَرَاهُ فيهمُ الآنَا

إنْ كُوتبُوا أوْ لُقُوا أوْ حُورِبُوا وُجدُوا

فى الخطِّ وَاللفْظِ والهَيجاء فُرْسَانَا

و بعده البيت ، و بعده :

كأنهمْ يَرِدُونَ المَوْتَ منْ ظمإٍ أوْ ينشقُونَ مِنَ الْخَطِّ رَيْحَانَا

وخرصان الرماح : أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الأسنة ، وواحدها : خُرْص بالضم والكسر ، يريد وصف فصاحة ألسنة الممدُوحين وطلاقتها .

والشاهد فى البيتين : مجىء المأخوذ دون المأخوذ منه ، فبيت المتنبي دُون بيت البحترى ، لأنه قدفاته ما أفاده البحترى بلفظى «تألق ، والمصقول» من الاستعارة التخييلية ، حيث أثبت التألق والصقالة للكلام ، كاثبات الأظفار للمنية ، ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف ، وهو استعارة بالكناية .

* * *

مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

١٩٥ — وَلَمْ يكُ أكثرَ الفتيانِ مالاً

وَلكنْ كانَ أرْحَبَهُمْ ذِرَاعاَ

* * *

١٩٦ — وليسَ بأوْسعهمْ فى الغنى ولكنّ معرُوفَهُ أوْسعُ

البيت الأول لأبى زياد الأعرابى ، من أبيات من الوافر ، وقبله :

لهُ نارٌ تُشَبُّ عَلَى يفَاعٍ إذَا النيرَانُ أُلبِستِ القِناعاَ

وَرَحب الذراع : كناية عن الوصف بالسخاء ، يقال : فلان رحب الذراع ، وواسع الذراع ، أى سخى .

والبيت الثانى لأشجع السُلَمى ، من قصيدة من المتقارب ، يمدح بها جعفر ابن يحيى البرمكى .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، قال : لما ولى الرشيدُ جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ، ثم دخل الشعراء ، فأنشدوه ، وقام أشجع فى آخرهم ، فاستأذن فى الانشاد فأذن له ، فأنشده قوله :

أتَصبرُ للبين أمْ تجزَعُ ... فإنَّ الدِّيار غداً بَلْقَعُ
غداً يتفرَّقُ أهْلُ الهوَى ... وَيكْثرُ باكٍ ومُسترجعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوِّية بينَ أقطَارِها ... مَقاطعُ أرْضِينَ لاَ تُقْطَعُ
تجَاوَزْتهَا فوْقَ عيرَانةٍ ... مِن الرِّيح فِى سيرِها أسرَعُ
إلى جعفرٍ نَزَعَتْ رَغبةٌ ... وأىُّ فتىً نحوَهُ يُنزَعُ
فما دُونهُ لامرئ مَطْمَعٌ ... ولا لامرئ غيره مَقنعُ
وَلاَ يرْفعُ الناسُ منْ حَطّهُ ... وَلاَ يَضَعُونَ الذى يرْفَعُ
تُرِيدُ الملوكُ مَدَى جعفرٍ ... ولاَ يَصنَعُونَ كما يَصنعُ

وبعده البيت ، وبعده :

تلوذُ المُلُوكُ بآرائه ... إذَا نابها الحدثُ الأفظعُ
بَديهتهُ مثلُ تَدْبيرهِ ... مَتَى رُمْتهُ فهو مُستجمعُ
وكم قائلٍ إذْ رَأى ثرْوَتى ... وَماَ فى فُضُول الغنى أصنعُ
غَدَا فى ظلال نَدَى جعفرٍ ... يجرُّ ذُيولَ الغنى أشجعُ

فقُلْ لخرَاسانَ تَحياَ فَقَدْ أتاها ابن يَحيي الفتَى الأروَعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيي ضاحكا ، وَاستحسن شعره ، وَجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار ، قال : ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد ، وأمر وَنهى ، فوجم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع ، فأنشده [من السريع] :

أمْسَتْ خرَاسَانُ تُعزَّى بما أخطأها من جعفر المُرْتجَى

كانَ الرشيدُ المُعْتلِى أمْرُهُ وَلَّى على مشرقها الأبْلَجَا

ثمَّ أرَاهُ رَأْيُهُ أنهُ أمْسى إليهِ منهم أحوَجَا

فكم بهِ الرحمنُ منْ كُربةٍ فى مُدةٍ تقصُرُ قدْ فَرَّجَا

فضحك جعفر ، وقال : لقد هَوَّنت علىَّ العزل ، وقمت لأمير المؤمنين بالعذر ، فسَلْنى حاجتك ، فقال : كفانى جودك ذل السؤال ، فأمر له بألف دينار أخرى .

والشاهد فى البيتين مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

وقد ألم أبو الطيب بهذا المعنى فقال [من المتقارب] :

بمصْرَ ملوك لهمْ مالَهُ ولكنهمْ مالهمْ هِمَّهْ

ومثله قول بعضهم فى مرثية ابن له [من الكامل] :

والصَّبْرُ يُحْمَدُ فى المَوَاطِنِ كلِّهَا إلَّا عَليْكَ فإنَّهُ مَذْمُومُ

وقول أبى تمام بعده [من الطويل]

وقد كان يُدْعَى لابسُ الصَّبْرِ حازماً فأصْبَحَ يُدْعَى حازماً حينَ يَجزَعُ

وقول بكر بن النطاح [من الطويل] :

كأنك عند الكرفى حوْمَةِ الوغى تفر من الصف الذى من ورائكا

وقول أبي الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنَّهُ والطَّعنُ من قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ من خَلْفِهِ أن يُطعنَا

ترجمة أبي زياد الأعرابي

وأبو زياد الأعرابي اسمه يزيد بن الحر الكلابي ، وقيل: يزيد بن عبدالله بن الحر الكلابي ، قدم بغداد من البادية أيام المهدي ، لأمر أصاب قومه ، فأقام ببغداد أربعين سنة ، وكان العباس بن محمد يجرى عليه فى كل يوم رغيفاً ثم قطعه فقال أبو زياد فى ذلك [من الطويل] :

فان يَقْطَعِ العباس عنى رغيفَهُ فما فاتنى من نعمة الله أكثر

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

أراكَ إلى كُثْبان يَبْرِين شيقاً وهذا لعمرى لوْ قنعتَ كثيبُ

فأينَ الأراكُ الآن والأيكُ والغضَا

ومُستخبرٌ عمَّنْ أحبُّ قريبُ

وصنف أبو زياد هذا كتاب النوادر ، وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة ، وقال الصاحب جمال الدين أبو الحسن على بن القفطى : رأيت من بعض نسخة المجلد الثالثَ عشرَ ، وهو آخر الكتاب ، وكان بخط بانوسة معلم بنى مقلة ووَرَّاقهم . وله كتاب الفرق ، وكتاب الابل ، وكتاب خلق الانسان .

ترجمة أشجع السلمى

وأشجع [1] هو ابن عمرو السلمى ، ويكنى أبا الوليد ، وهو من ولد الشريد السلمى ، تزوج امرأة من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها ، فولدت له هناك أشجع ،ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقدمت به أمه البصرة، فطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال ، فماتت بها . ونشأ أشجع بالبصرة ، فكان مَنْ لا يعرفه

(١) تجد للأشجع السلمى ترجمة فى الأغانى (١٧ : ٣٠-٥١) وعنها أخذ المؤلف

يدفع نسبه . ثم كبر وقال الشعر ، فأجاد وعدّ في الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود . فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخَوَانِ : أحمد وحريث ابنا عمرو ، وكان أحمد شاعراً ، ولم يكن يقارب أشجع ، ولم يكن لحريث شعر ، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها ، فنزل على بنى سليم ، فتلَقَّوْهُ وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة ، وأصفاه مدحه ، فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به ، وأثرى ، وحسنت حاله فى أيامه ، وتقدم عنده . وحدَّثَ أسد بن جديلة ، قال : حدثنى أشجع السلمى ، قال : شخصتُ من البصرة إلى الرقة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالتنى خَلَّة ، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائح ببابه : من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم ، فأمرنا بالبكور فى يوم الجمعة، فبكرنا وأدخلنا ، فقدم واحد واحد منا ينشد على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سنا وأرقهم حالا ، فما بلغ إلىّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطين ، فقال لى : أنشد ، فخفت أن ابتدىء فى أول قصيدتى بالنسيب فتجب الصلاة و يفوتنى ما أردت ، فتركت النسيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها [من الطويل] :

تذكر عهدَ البيض وَهْوَ لها تِربُ ... وأيامَ تُصْبِى الغانياتِ ولا يصبو

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملكٍ يَستفرقُ المالَ جودُهُ ... مكارمهُ نهبٌ ومعروفه سَكْبُ (١)

وما زال هارون الرضا بن محمد ... له من مياه النصر مَشرَبُها العذبُ

(١) فى الأغانى «مكارمه نثر»

متى تبلغ العيسُ المراسيلُ بابهُ بنافهناك الرحْبُ والمنزل الرحْبُ
لَقدْ جمعتْ فيكَ الظنونُ ولم يكنْ بغيرِكَ ظنٌّ يستريحُ لهُ قلبُ
جمعتَ ذوي الأهواء حتى كأنَّهم على منهج بعدَ افتراقِهمُ ركْبُ
بعثتَ على الأبناء أبناء دُرْبة فلم يَقِهِمْ منهمْ حصونٌ ولا دربُ (١)
وما زلْتَ ترميهمْ بها مُتفرِّداً أنيساكَ حزمُ الرأيِ والصارمُ العضْبُ (٢)
جهدتُ فلم أبلغ علاكَ بمدحة وليس على من كان مجتهداً عَتْبُ

فضحك الرشيد . ثم قال : خفتَ أن يفوت وقتُ الصلاة ، وينقطع المديح عليك ، فبدأت به وتركت النسيب ، وأمرني أن أنشده النسيب ، فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم، وأمر لي بضعفها .

وحدَّث قدامة بن نوح قال : جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له ، فجاءه أعرابي من بني هلال ، فشكا واستماح بلفظ فصيح ، وكلام مثله يعطف المسئول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقول الشعر ياهلالي ؟ قال كنت أقوله وأنا حدَث أتملَّح به ، ثم تركته لما صرت شيخا ، قال : فأنشدني لشاعركم حُمَيد بن ثور ، فأنشده قوله [من الكامل] :

لِمَنِ الديارُ بجانب الحمس كمخط ذي الحاجات بالنقْسِ (٣)

حتى أتى على آخرها ، فاندفع أشجع ، فأنشده مديحا ، قاله فيه على وزنها وقافيتها [من الكامل] :

---

(١) كذا ، وأحسبه « بعثت على الأعداء أبناء دربة » ووقع في الأغاني « بنيت على الأعداء » محرفا في كلمة أخرى ،

(٢) وقع في الأصل «أينسالك» محرفا عما أثبتناه عن الأغاني

(٣) في الأغاني :

لمن الديار بجانب الحمس كمحط ذي الحاجات بالنفس

ذَهبَتْ مكارمُ جعفرٍ وفعالُهُ   في الناس مثلَ مَذاهِبِ الشمسِ
ملكٌ تسُوسُ له المعالىَ نفسُهُ   والعقلُ خيرُ سياسة النفسِ
فاذا ترَاءتهُ الملوكُ ترَاجعُوا   جهرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ساد البرامكَ جعفرٌ وهمُ الأولى   بعدَ الخلائف سادةُ الانسِ
ماضرّ مَنْ قصدَ ابن يحيي راغباً   بالسعدِ حلّ بهِ أم النحسِ (١)

فقال له جعفر : صِفْ موْضعنا هذا ، فقال [من الوافر] :

قُصُورُ الصالحيةِ كالعذَارَى   لبسنَ ثيابهنّ ليوْمِ عرْسِ
مُطِلاتٍ على قصرٍ كسته   أيادِى الماءِ وشياً نسجَ غَرْسِ (٢)
إذَا ما الطلُّ أثرَ فِى ثرَاهُ   تنفسَ نوْرُهُ منْ غير نفسِ
فتصبغهُ السماء بصبغ وَرْسٍ   وتَصبَحهُ بأكؤسِ عين شمسِ (٣)

فقال جعفر للأعرابي : كيف ترى يا هلالى صاحبنا ؟ قال : أرى خاطره طوع لسانه ، و بيانَ الناس دون بيانه ، وقد جعلت له ما تصلنى به ، قال : بل نفردك (٤) يا أعرابى ونرضيه ، فأمر للأعرابىّ بمائة دينار ، ولأشجع بمائتى دينار .

وحدّث أشجع قال : كنت ذات يوم فى مجلس بعض إخوانى أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبى شيخ البصرى ، صاحب جعفر بن يحيى ، فقام له جميع القوم غيرى ، ولم أعرفه فأقوم له ، فنظر إلىّ ، وقال: من هذا الرجل؟

---

(١) فى الأغانى « ماضر من قصد ابن يحى راجيا »
(٢) فى الأغانى « مطلات على بطن كسته »
(٣) فى الأغانى « فتغبقه السماء بصبغ ورس »
(٤) كذا ، وفى الأغانى « بل نفدك يا أعرابى » وأحسبه محرفا عن « نرفدك » وفى مهذب الأغانى « بل نصلك يا أعرابى » وما رأيناه أقرب .

فقيل : أشجع السلمى الشاعر ، فقال : أنشدنى بعض شعرك ، فأنشدته ، فقال : إنك لشاعر ، فما يمنعك من جعفر بن يحيي ؟ فقلت : ومن لى بجعفر بن يحيي ؟ فقال : أنا ، فقل أبياتاً ولا تطل فانه يملّ الاطالة ، فقلت له : لست بصاحب إطالة ، وقلت أبياتاً على نحو ما رسم لى وصرت إليه ، فقال : تقدمنى إلى الباب فلم يلبث أن جاء ، فدخل وخرج أبو رمح الهمدانى ، صاحبُ جعفر بن يحيي ، فقال : أشجع ، فقمت إليه ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاستنشدنى فأنشدته [من الكامل] :

وترى الملوكَ إذا رأيتهمُ كلٌّ بعيدُ الصوت والْجَرْسِ

الأبيات المارة قريباً ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم .وكان أشجع يحب الثياب، فكان يكترى الخلعة فى كل يوم بدرهمين،فيلبسها أياماً، ثم يكترى غيرها فيفعل بها مثل ذلك ، قال: فابتعت ثيابا كثيرة بباب الكرخ،فكسوت عيالى وعيال إخوتى حتى أنفقتها ، ثم أتيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيي ، فقال : أنشدنى ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل بن يحيي ؟ [فقلت: ومَنْ لى بالفضل بن يحيي ؟][(١)] قال : أنا لك ، فأدخلنى عليه فأنشدته [من الطويل] :

وما قدَّمَ الفضلُ بنُ يحيي مكانهُ على غيرهِ بلْ قدَّمتْهُ المكارمُ
لقدْ أرْهبَ الأعداء حتى كأنهُ على كلِّ ثغرٍ بالمنية قائمُ

فقال : كم أعطاك جعفر ؟ قلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

---

(١) هذه الزيارة ساقطة من اصول هذا الكتاب ، ولا يتم الكلام إلا بها ، وهي ثابتة فى الأغانى

وحدّث داود بن مهلهل، قال: لما خرج جعفر بن يحيي ليُصْلح أمر الشام نزل فى مَضْرِبه، وأمر باطعام الناس، فقام أشجع فأنشده [من الكامل]:

فئتان طاغيةٌ وباغيةٌ جلَّتْ أمورهما عن الخطبِ
قدْ جاءكم بالخيل شازبةً ينقلنَ نحوكم رَحَى الحربِ (١)
لم يبقَ إلا أنْ تدُورَ بكم قدْ قامَ هاديها على القُطْبِ (٢)

قال: فأمر له بصلة ليستْ بالسنية، وقال له: دائم القليل خير من منقطع الكثير، فقال له: ونَزْرُ الوزير خير من جزيل غيره، فأمر له بمثلها.

قال: وكان يُجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه.

وحدّث إسحاق الموصلى، قال: دخلت على الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر ابن يحيي بشىء لم أسمع ابتداءه، وقد علا صوته، فلما رآنى مقبلا، قال لجعفر: أترضى باسحاق؟ فقال جعفر: والله مافى علمه مطعن إن أنصفَ، فقال لى: أى شىء تروى للشعراء المحدثين فى الخمر؟ أنشدنى منْ أفضل ما عندك، وأشده تقدما، فعلمت أنهما كانا يتماريَان فى تقديم أبى نواس، فعدلت عنه إلى غيره، لئلا أخالف أحدهما، فقلت له: لقد أحسن أشجع السلمى فى قوله [من الكامل]:

ولقد طعنْتُ الليل فى أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم
يتمايلونَ على النعيم كأنهمْ قُضُبٌ من الهندىِّ لمْ تتثلَّمِ
وسعى بها الظبىُ الغريرُ يزيدُها طيباً ويغشمها إذَا لمْ تغشم
والليلُ مشتمل بفضل ردَائه قد كادَ يحسرُ عنْ أغرَّ أرثمِ (٣)

(١) شازبة: ضامرة، ووقع فى الأصول «شاذبة» ووقع فى الأغانى «شاربة» ووقع فى مهذب الاغانى «سارية» وكل ذلك تصحيف

(٢) فى الأصول «قد قام هاربها» وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى ومهذبه

(٣) فى رواية من روايات الأغانى «والليل منتقب بفضل ردائه» وفى أخرى كما هنا

فاذا أدارتها الأكفُّ رأيتها تثني الفصيحَ إلى اللسان الأعجمي
وعلى بنانِ مُديرِها عقيانة من مسكها وعلى فضولِ المعصم(١)
تَغلي إذا ما الشعريان تلظتا صيفاً وتسكن في طلوع المرزم
ولقدْ فضضناها بخاتم ربها بكراً وليس البكرُ مثلَ الأيِّمِ
ولها سكون في الاناء وخلفها شغب يطوِّح بالكميِّ المعلمِ
تعطي على الظلمِ الفتى بقيادِها قسْراً وتظلمه إذا لم تُظلمِ (٢)

فقال لي الرشيد : قد عرفت تعصبك على أبي نواس ، وأنك عدلت عنه ، متعمداً (٣) ، ولقد أحسن أشجع ، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس [من المديد] :

ياشقيقَ النَّفْسِ منْ حكم نمتَ عَنْ ليلي ولم أنمِ

فقلت له : ماعلمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين ، وإنما أنشدت ماحضرني فقال : حسبك ، قد سمعتَ الجواب ، وكان في إسحاق تعصب على أبي نواس لشيء جرى بينهما .

وحدَّث إسحاق ، قال : اصطبح الواثق في يوم مَطيرٍ ، واتصل شربه ، وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صَرْعَى وهو معنا على حالنا ، فما حول أحد منا من مضجعه ، وخدم الخاصَّة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أمرهم ، وقال لهم : لا تحركوا أحداً منهم عن مضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام

(١) في الأصول « من كسبها » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في مهذب الأغاني ، وفي الأغاني « من لونها »
(٢) في الأصول « بقتادها » محرفا عما أثبتناه عن الأغاني .
(٣) في الأصول « معتمدا » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

وأمر بانباهنا ، فانتبهنا ، وقمنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه ، وهو جالس ، وفي يده كأس ، وهو يروم شربها والخُمَار يمنعه ، فقال لي: يا إسحاق أنشدني في هذا المعنى شيئاً ، فأنشدته قول أشجع السلمي :

* ولقد طعنتُ الليل في أعجازه *

إلى آخر الأبيات ، فطرب ، وقال : أحسن والله أشجع ، وأحسنت يا أبا محمد ، أعد بحياتي ، فأعدتها وشرب كأسه عليها ، وأمر لي بألف دينار .

وحدَّث علي بن الجهم، قال : دخل أشجع على الرشيد ، وقد مات ابن له ، والناس يعزونه ، فأنشده [من السريع] :

نقصٌ منَ الدين ومنْ أهلِهِ ... نقصُ المنايا منْ بني هاشمِ

قدَّمتَهُ فاصبرْ عَلىَ فقدهِ ... إلى أبيــهِ وَأبِي القــاسمِ

فقال الرشيد : ما عزاني أحدٌ اليوم أحسن من تعزية أشجع ، وأمر له بصلة .

وحدَّث عمر بن علي أن أشجع السلميّ كتب إلى الرشيد ، وقد أبطأ عنه شيء أمر له به [من الطويل] :

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً ... لها عَنَقٌ بينَ الرُّواةِ فسيحُ(1)

بأنَّ لسانَ الشعر ينطقه الندَى ... ويخرسهُ الإبطاء وهو فصيحُ

فضحك الرشيد ، وقال : لن يخرس لسان شعرك ، وأمر بتعجيل صلته .

وحدَّث أشجع ، قال : دخلت على الأمين ، حين أجلس مجلس الأدب

(1) وقع في الأصول «ألا أبلغ» بزيادة «ألا» عما في الأغاني ، ولا يستدعيها الوزن ، ويجب معها وصل همزة «أبلغ»

للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ، ثم يقوم ، فأنشدت [من الكامل] :

ملكٌ أبوهُ وأمهُ من نَبْعَةٍ فيها سراجُ الأمةِ الوهاجُ
شربَتْ بمكةَ في رُبَى بَطْحائِها ماء النبوة ليس فيهِ مزاجُ

قال : فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم .

وحدث سعيد بن زهير وأبو دعامة ، قالا : كان انقطاع أشجع إلى العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فقال الرشيد للعباس يوماً : يا عم ، إن الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي و بسبب أم جعفر ، وَلم يقل أحد منهم في المأمون شيئاً ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه . فذكر العباس ذلك لأشجع ، وأمره أن يقول فيه ، فقال [من المديد] :

بيعةُ المأمون آخذَةٌ بعنانِ الحق في أُفُقِهْ
أحكمت مرآته عُقَداً تمنعُ المحتال في نفقهْ
لن يفكَّ المرء رِبقتها أو يفكَّ الدين من عنقهْ
وله من وجهِ والده صورةٌ تمّتْ ومن خلقهْ

قالا : فأتى العباس الرشيدَ وأنشده إياها واستحسنها ، وسأله : لمن هي ؟ فقال : هي لي ، فقال : قد سررتني مرتين باصابتك ما في نفسي و بأنها لك . وما كان لك فهو لي ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه .

وحدث علي بن الفضل السلمي قال : أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر ابن المنصور ، وهو حدث ، وصله به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف ، فقال أشجع في جعفر بن المنصور [من الخفيف] :

اذكروا حُرْمةَ العواتكِ منا … يا بنى هاشم بن عبدِ منافِ
قدْ وَلدْنا كم ثلاثَ ولادَا … تِ خلطن الاشرافَ بالأشرافِ
مهدَتْ هاشماً نجوم قصىٍ … من بنى فالج حجورُ عفَافِ [1]
إن أرماح بهْثَةَ بْنِ سليمٍ … لعجافُ الأطراف غير عجافِ [2]
معشرٌ يطعَمُونَ من ذروة الشوْ … ل ويُسقَوْنَ خمرة الأقحاف [3]
يضربون الجبَّارَ فى أخْدعيْهِ … ويُسَقُّونَهُ نقيعَ الذُّعافِ

فشاع شعره وبلغ المنصور، ولم يزل [أمره[4]] يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعدوفاة أبيها بزوجها الرشيد[5] فأسنى جوائزه، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء.

وحدث مهدى بن سابق قال: أعطى جعفرُ بن يحيي مروانَ بن أبى حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً، وأعطى أشجع وقد أنشده معهم ثلاثة آلاف، وكان ذلك فى أول اتصاله به، فكتب إليه أشجع [من مجزوء الكامل]:

أعطيتَ مروان الثلاَ … ثينَ التى دلَّتْ رِعاثَه [6]

---

(١) فى الأغانى وبلغ المنصور ومهذبه «وبنو فالغ حجور عفاف»

(٢) هكذا وقع فى الأصول موافقا لما فى الأغانى، ووقع فى مهذب الأغانى «بمجاف الأطراف غير عجاف»

(٣) فى الأغانى ومهذبه «ويسقون خمرة الأنحاف»

(٤) الزيادة عن الأغانى

(٥) فى الأصول «بعد وفاه أبيها وتزوجها الرشيد» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ومهذبه

(٦) فى الأغانى «الثلاثين التى ذلت رغاثه» وهو تحريف، وما أثبتناه موافقا لما فى أصول هذا الكتاب مستقيم

وأبا البصير ، وإنما أعطيتنى مَعَهُمْ ثلاثَهْ
ما خاننى حَوْكُ القريـــض ولا اتهمت سوى الحداثَهْ(١)

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى

وحدث محمد بن الحارث الخراز قال : كان لأشجع جارية يقال لها ريم ، وكان يَجِدُ بها وجداً شديداً ، فكانت تحلف له أنها إن بقيت بعده لم تتعرض لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدته التى يرثى بها الرشيد [من الطويل] :

وليس لأحزان النساء تَطَاوُلٌ ولكنَّ أحزان الرجال تَطُولُ
فلا تَبْخَلى بالدمع عنى فانَّ مَنْ يَضَنُّ بدمعٍ فى الهوى لبخيلُ (٢)
فلا كنت ممن يُتْبِعُ الريحَ طرفَهُ دَبورا إذا هَبَّتْ صبا وقبُولُ (٣)
إذا دارَ فىءٍ أتبعَ الفىءَ طرفه يميلُ مع الأيام حيث تميلُ

وقال فيها أيضاً [من الطويل]

إذا غَمَضَتْ فوقى جفونُ حُفَيْرَةٍ من الأرض فابكينى بما كنْتُ أصنَعُ
تُعَزِّكِ عنى بعد ذلكَ سَلْوَةٌ وأن ليس فيما وَارتِ الأرضُ مَطْمَعُ
إذا لم تَرَىْ شخصى ،وتَغْنيكِ ثروتى ولم تَسْمَعى منى ، ولا منكِ أسمعُ(٤)

---

(١) فى الأصول « ما خاننى خود القريض » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى ومهذبه « فان من يضن بدمع عن هوى لبخيل »

(٣) كذا ، وفى الأغانى ومهذبه * دبور إذا هبت له وقبول * وهو أحسن مما هنا .

(٤) كذا فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، وقد جعله فى مهذب الأغانى « وتغنك ثروتى » مجزوما بالعطف على جواب الشرط « تعزك عنى — إلخ » وليس الجزم بضربة لازب .

فحينئذ تَسْلين عنى ، وإن يكن ... بكاءٌ فأقصَى ما تُبَكِّينَ أربَعُ

قليلا ورَبُّ البيتِ يا ريمُ ما أرَى ... فتـاةً بمنْ ولى به المـوت تقْنَعُ

بمَنْ تدفعين الحادثات إذا رَمَى ... عليك بها عامٌ من الجدب يطْلُعُ

فيومئذٍ تَدْرِينَ من قد رُزِئتِهِ ... إذا جعلت أركانُ بيتكِ تُنْزَعُ

قال : فشكته إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليهـا ، ومدح فيه الفضل أيضاً ، فاختير شعره على شعر أخيه ، وهو [من الطويل] :

ذَكَرْتَ فراقاً والتفرقُ يَصْدَعُ ... وأىُّ حياةٍ بعد مَوْتكَ تَنْفَعُ (١)

إذا الزمن الغدارُ فَرَّقَ بيننا ... فمالىَ فى طيبٍ من العَيْشِ مَطْمَعُ (٢)

ولا كانَ يومٌ يا ابن عمرو وليلةٌ ... يبددُ فيها شملنا ويُصَدَّعُ

فألطم وجهاً فيك كنت أصونه ... وأخشعُ مما لم أكن منهُ أخشعُ (٣)

ولا كان يوم فيه تَثْوِى رَهينةً ... فتروى بجسمى الحادثات وتَشْبَعُ (٤)

ولو أننى غُيِّبْتُ فى الترب لم تُبَلْ ... ولم يَرَكَ الراؤون لى تَتَوَجَّعُ

وهل رجلٌ أبصَرْتَه متوجعاً ... على امرأة أوعينُه الدهرَ تدمَعُ

ولـكن إذا ولَّتْ يقولُ لها اذهبى ... فمثلك أخرى سوفَ أهْوَى وأتبَعُ (٥)

---

(١) فى الأغانى « والفراق يصدع »

(٢) فى الأغانى « إذا الزمن الغرار »

(٣) فى الأغانى « فألطم وجها كنت فيه أصونه » وما هنا أحسن

(٤) فى الأصول « ولا كان يوم فيه سوء رهبته » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وهو أصح

(٥) وقع فى الأصول * ولـكنها مهما تولت يقل سوى * وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني .

ولو أبصرت عيناكَ ما بي لأبصرت ... صبابةَ حزن غيمها ليس يُقْشَعُ (١)
إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديح فانه ... مَنيعُ الحمى معروفُهُ ليسَ يمنعُ
وزُرْهُ تزر حلماً وعلماً وسودَداً ... وبأساً به أنف الحوادث يُجْدَعُ
وأبدِعْ إذا ما قلت في الفضل مدحةً ... كما الفضل في بذل المواهب يُبْدِعُ

في أبيات أخر، قال: فأنشدها أشجع الفضلَ وحدثه بالقصة، فوصل أخاه وجاريته، ووصله.

وحدث الحسين الجعفي قال: كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها، فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء في داره، فجزع لذلك وبكى، وأنشأ يقول [من الخفيف]:

وَيْحَهَا هل دَرَتْ على مَنْ تنوحُ ... أسقيمٌ فؤادُها أم صحيحُ ؟
قمرٌ أطبقُوا عليه ببغْدَا ... دَ ضريحاً، ماذا أجَنَّ الضَّريحُ ؟
رحِمَ الله صاحبي ونَديمي ... رحمةً تغتدي، وأُخرى تَرُوحُ !

ودخل أشجع على الرشيد في عيد الفطر، فأنشده [من السريع]:

استقْبِلِ العيدَ بعُمْرٍ جديدْ ... مَدَّت لك الأيامُ حَبْلَ الخلودْ
مُصَعِّدًا في دَرَجات العلا ... نجمُكَ مَقْرُونٌ بِسَعْد السُّعودْ
واطوِ رداء الشمْس ما أطلَعَتْ ... نوراً جديداً كلَّ يوم جديدْ
تمضي لك الأيام ذا غِبْطَةٍ ... إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عيدْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يغنى بهذه الأبيات.

وحدث محمد بن عبد الله بن مالك قال: كان حرب بن عمرو الثقفي نخاساً،

(١) في الأغاني « صبابة قلب غيمها ليس يقشع »

وكانت له جارية مغنية ، وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها ويستمعونها وينفقون فى منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون إليه ، فقال فيها أشجع [من السريع] :

جارية تهتز أردافها مشبهة الخلخال والقلب
أشكو الذى لاقيت من حبها وبغض مولاها إلى ربى
من بغض مولاها ومن حبها سقمت بين البغض والحب
فاعتلجا فى الصدر حتى استوى أمرهما فاقتسما قلبى (١)
فعجل الله شفائى بها وعجل السقم إلى حرب

وأخباره كثيرة ، وهذا القدر منها كاف .

وحدث ابن أشجع السلمى قال : مر أبى وعماى أحمد ويزيد ، وقد شربوا حتى انتشوا ، بقبر الوليد بن عقبة وإلى جانبه قبر أبى زبيد الطائى، وكان نصرانياً وكان أبو زبيد لما احتضر أوصى أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ ، والقبران مختلفان كل منهما متوجه إلى قبلة أهل ملته ، قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأحاديثهما ، ويتذاكرون أخبارهما ، فأنشأ أبى يقول [من الوافر] :

مررت على عظام أبى زبيد وقد لاحت ببلقعة صلود
وكان له الوليد نديم صدق فنادم قبره قبر الوليد
أنيسا ألفة ذهبا فأمست عظامهما تأنس بالصعيد
وما أدرى بمن تبدو المنايا بأحمد أم بأشجع أم يزيد

قال : فماتوا والله كما رتبهم بالشعر ، فكان أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد.

* * *

(١) فى الأغانى «فاختلجا فى الصدر» ولكل منهما وجه ، ومعناهما متقارب

شاهد الأخذ الخفى والمعنيان متشابهان

١٩٧ فلا يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحَاهُمْ سَوَاء ذو العِمَامَةِ والخِمَارِ

* * *

١٩٨ ومَنْ فى كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كمن فى كفِّهِ منهُمْ خِضَابُ

البيت الأول لجرير، من قصيدة [1] من الوافر.

والأرب: الحاجة، واللحى — بالضم والكسر — جمع لحية، وهى شعر الخدين والذقن. والخمار — بالكسر — النَّصِيف، وهو ما ستر الرأس، وكل ما ستر شيئاً فهو خمار.

والمعنى: لا يمنعك من الحاجة كونُ هؤلاء على صورة الرجال، لأن الرجال والنساء منهم سواء فى الضعف.

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى، من قصيدة من الوافر [2] يمدح بها سيف الدولة، ويذكر فيها خضوع بنى كلاب وقبائل العرب له، وأولها:

بغيرِكَ راعياً عبثَ الذئابُ وغيرَكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرَابُ
وتملك أنفُسَ الثقلين طُرّاً فكيف تَحُوزُ أنفُسَهَا كلابُ
وما تَرْكُوكَ مَعْصِيَةً ولكن يُعَافُ الوِرْدُ والموْتُ الشرابُ [3]
طلبتهمُ على الأمْوَاهِ حتى تخوف أن تُفَتِّشَهُ السحابُ

وهى طويلة يقول فيها:

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (ص١٩٠) وفيه *فلا تمنعك من أرب لحاهم*.

(٢) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٧٥)

(٣) وقع هذا البيت فى الأصول

وما تركوك ضيعة ولكن يعاف الورد والماء السراب

وهو تحريف شنيع فى عدة مواضع، وقد أثبتنا صوابه عن الديوان

ولكن ربهم أسرى إليهم ... فما نفع الوقوف ولا الذهاب

ولا ليل أجن ولا نهار ... ولا خيل حملن ولا ركاب

رميتهم ببحر من حديد ... له فى البر خلفهم عباب

فمساهم وبسطهم حرير ... وصبحهم وبسطهم تراب

وبعده البيت ، وبعده :

بنو قتلى أبيك بأرض نجد ... ومن أبقى وأبقته الحراب

عفا عنهم وأعتقهم صغاراً ... وفى أعناق أكثرهم سخاب (١)

وكلكم أتى مأتى أبيه ... فكل فعال كلكم عجب عجاب (٢)

كذا فليسر من طلب الأعادى ... ومثل سراك فليكن الطلاب

والشاهد فى البيتين : الأخذ الخفى مع تشابه المعنيين ، فتعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبى الطيب عنه بمن فى كفه قناة ، وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبى الطيب عنها بمن فى كفه خضاب

ومن الأخذ الخفى قول الطرماح [من الطويل] :

لقد زادنى حباً لنفسى أننى ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل

وأنى شقى باللئام ، ولا ترى ... شقياً بهم إلا كريم الشمائل

وقول أبى الطيب [من الكامل]

وإذا أتتك مذمتى من ناقص ... فهى الشهادة لى بأنى كامل

---

(١) السخاب ــ بكسر السين ــ قلادة تتخذ من سلك وغيره وليس فيهامن الجوهر شىء يلبسهاالصبيان

(٢) فى الديوان * فكل فعال كلكم عجاب *

شاهد نقل المعنى المأخوذ إلى موضع آخر

١٩٩ — سُلِبُوا وأشْرَقَتِ الدماءُ عليهمُ محمرَّةً فكأنهُمْ لم يسْلَبُوا

***

٢٠٠ — يبسَ النَّجيعُ عليه وَهْوَ مجَرَّدٌ من غمدِهِ فكأنما هُوَ مُغْمَدُ

البيت الأول للبحترى من قصيدة من الكامل يمدح بها إسحاق بن إبراهيم (١) وأولها :

عارضْنَنَا أُصُلاً فقلنا الرَّبرَبُ حتى أضَاءَ الأقحوانُ الأشنَبُ

وأخْضَرَّ مَوْشِيِّ البُرود وقد بَدَا منهنّ ديباجُ الخدودِ المذْهَبُ

أومَضْنَ من خَلَلِ السُّجوف فراعنَا بَرْقانِ خالٍ ما يُشَام وخُلبُ (٢)

ولو أنني أنصفْتُ فى حكم الهَوَى ما شِمْتُ بارقةً ورأسى أشْيَبُ

إلى أن قال فيها :

ما إن ترى إلا توَقُّدَ كوكبٍ من قومس قد غاب فيه كوكبُ

فمجدّلٌ ومُوَسدٌ ومُرَمَّلٌ ومضَرَّجٌ ومُضَمَّخٌ ومُخَضَّبُ

وبعده البيت ، وبعده :

ولو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن لمجدّهم من جد بأسكَ مهْرَبُ (٣)

وهى طويلة .

ومعنى البيت : أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم .

وقد أخذ هذا المعنى السرى الرفاء فقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٦٢ مصر)

(٢) فى الديوان « من خلل الستور » وفيه « برقان خال ماينال »

(٣) فى الديوان « من أخذ بأسك »

لما تراءى لك الجمعُ الذى نزَحَتْ أقطارُه ونأت بُعْداً جوانبُهُ

تركتهُمْ بين مصبوغ ترائبُهُ من الدماء ومخضوب ذوائبُهُ

فحائدٌ وشهابُ الرمح لاحِقُه وهاربٌ وذُبابُ السيف طالبُهُ

يَهْوِى إليه بمثل النجم طاعِنُهُ ويَنْتَحيه بمِثلِ البَرْقِ ضاربُهُ

يكسوه من دَمهِ ثوباً و يسلبُهُ ثيابَهُ فهوَ كاسيهِ وسالبُهُ

وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب [من الطويل] :

وفَرَّقْتُ بين ابْنَىْ هشيم بطعنةٍ لها عاند يكسو السليب إزارا(١)

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الكامل (٢) أيضاً ، يمدح بها شجاع بن محمد الطائى ، أولها :

اليومَ عهدُكمُ فأينَ الموْعِدُ هيهاتَ ليسَ ليَوْمِ موْعِدِكم غَدُ

الموتُ أقْرَب مخْلَباً من بيْنِكم والعيشُ أبعَدُ منكم لا تَبْعَدوا

إن التى سفكت دمى بجفُونِها لم تَدْرِ أن دمى الذى تتَقلَّدُ

قالت وقد رأت اصفرارى مَنْ به وتنهَّدَتْ فأجبتُها المتنهِّدُ

فمضت وقد صَبَغَ الحياء بياضَهَا لونى كما صبغ اللجينَ العَسْجَدُ

فرأيْتُ قرنَ الشمس فى قمر الدجى متأوداً غصنٌ بهِ يتأوَّدُ

عدويةٌ بدويةٌ منْ دونِها سلبُ النفوس ونارُ حربٍ توقدُ

وهوَاجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ وذوابل وتوعدٌ وتهددُ

أبلتْ مودَّتَها اللَّيالِى بعدَنا ومشَى عَليها الدهرُ وهو مقيدُ

---

(١) فى الأصل « لها عائد » محرفا عما أثبتناه ، والعاند – بالنون – العرق الذى يسيل دمه فلا يرقأ ، وهو أيضا الطعن يكون يمنة ويسرة

(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ٣٢٧)

أبرحْتَ يامرضَ الجفون بممرضٍ مَرِضَ الطبيبُ له وعِيدَ العوَّدُ (١)

وهي طويلة ، يقول فى مديحها :

كنْ حيثُ شئتَ تسرْ إليكَ ركابُنا فالأرضُ واحدةٌ وأنت الأوْحدُ

وَصُنِ الحسامَ ولاَ تذلهُ فانهُ يشكو يمينكَ والجماجمُ تشهدُ

و بعده البيت وبعده :

ريّان لو قَذَف الذى أسقَيْتَه لجرى من المهجاتِ بحرٌ مزبدُ

ما شاركتْهُ منيةٌ فى مهجةٍ إلا وشفْرَتهُ على يدها يدُ

والنجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف ، والغمد ـ بالكسر ـ جفن السيف .

والشاهد فى البيتين : نقل المعنى الآخر المأخوذ إلى محل آخر ، فمعنى بيت المتنبي أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف ، فنقل المعنى من القتلى والجرحى إليه .

***

شاهد مجيء معنى المأخوذ أجمل

٢٠١ — إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تميم حَسبْتَ الناسَ كلهمْ غضابًا

***

٢٠٢ — وَليسَ لله بِمُستنكرٍ أنْ يجمعَ العَالَمَ فِي وَاحِد

البيت الأول لجرير ، من قصيدة من الوافر تقدم ذكر أولها فى شواهد الاستخدام ، ومنها قبل البيت :

---

(١) فى الأصول : « أبرمت يا مرض الجفون » ، وقد أثبتنا ما فى الديوان .

لنا حوضُ الحجيج وساقِيَاهُ ... ومَنْ وَرِثَ النبوَّةَ والكتابَا
ألسنَا أكثرَ الثقلين حيًا ... ببطنِ مِنًى وأكثرَهُمْ قِبَابَا

و بعده البيت ، و بعده :

فلاَ وَأبيكَ مالاَقيتُ حيّاً ... كيَرْبُوعٍ إذا رَفعُوا النقاَبَا
فَغُضّ الطرْفَ إنكَ مِنْ نُميرٍ ... فلاَ كعباً بلغْتَ ولاَ كِلاَبَا

والمعنى : أن بنى تميم يقومون مقام الناس كلهم .

والبيت الثانى لأبى نُوَاس ، من أبيات من السريع ، كتبها للرشيد مادحاً الفضل بن الربيع ، وهى :

قولاَ لهَارُونَ إمامِ الهدَى ... عندَ احتفالِ المجلس الحاشِدِ
نصيحةُ الفضلِ وإشفاقهُ ... أخلى له وجهكَ مِنْ حاسِدِ
بصادِقِ الطاعَةِ ديانها ... وَوَاحِدِ الغائبِ والشاهدِ
أنتَ علىَ ما بِكَ مِنْ قدرَةٍ ... فلسْتَ مثلَ الفضلِ بالوَاجِدِ
أوْحَدَهُ اللهُ فما مِثلهُ ... لطالبٍ ذَاكَ ولاَ نَاشِدِ

و بعده البيت .

حدَّث سعيد بن حميد : أن أبا تمام الطائىّ دخل على ابن أبى دُؤادٍ ، فقال له : أحسبك عاتباً يا أبا تمام (١) ، فقال له : إنما نعتب على واحد وأنت

(١) فى الأصول «أحسبك غائبا ياأبا تمام» وفيها «إنما نغيب على واحد» وفيها «فكيف نغيب عنك» وكل هذا تحريف ما أثبتناه موافقا لعدة مراجع من أمهات الكتب منها تاريخ ابن خلكان (١ — ٦٨ بتحقيقنا فى أثناء ترجمة أحمد بن أبى دؤاد) قال «ودخل أبو تمام عليه يوما وقد طالت أيامه فى الوقوف ببابه ولا يصل إليه ، فعتب عليه مع بعض أصحابه فقال له ابن أبى دؤاد : =

ناس جميعاً ؟ فـكيف نعتب عليكَ ؟ فقال له ابن أبى دُؤادَ : من أين أخذت
ذه اللفظة ؟ فقال : من قول الحاذق أبى نواس ، وأنشد البيت .

والشاهد فى البيتين : مجىء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه ، فان
ت جرير يخص بعض العالم ، وبيت أبى نواس يشمله .

وقد جاء فى معنى البيتين قول المتنبي [من الكامل] :

نُسِقُوا لنا نسَقَ الحسابِ مُقدَّما وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخـرا

وقوله أيضاً [من الطويل] :

مَضيَ وَبنُوهُ وانفرَدْتَ بفعلهِ وألفٌ إذا ما جُمِّعَتْ واحدٌ فرْدُ

وقوله [من المنسرح] :

هدية ما رَأيتُ مُهدِيهَا إلا رَأيْتُ العباد فى رَجلِ

وقول الوزير المغربى [من البسيط] :

حتى إذا ما أرَادَ الله يُسعدُنى رَأيتهُ فرأيْتَ الناسَ فى رَجلِ

وقول أبى الفرج الببغاء يميل إلى المبالغة [من الخفيف] :

و إذا ماحَلاْتَ فى بلْدَةٍ فهْـــو جميع الدنيا وأنت الأنامُ

وقول ابن قلاقس من قصيدة [من المتقارب] :

دَعوْتُكَ فاحضُرْ فلَيسَ الجميع إذَا غِبْتَ ـ لا غبْتَ ـ كالحضَّرِ

وقدْ جمـعَ اللهُ فيـكَ الأنامِ وَليسَ عَليـهِ بِمُستنـكرِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

= أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا
كيف نعتب عليك ـ إلخ»

عَلىَ الشهادَةِ بالفضل المبينِ لهُ كلٌّ المذاهبِ وَالآراء وَالمللِ
مدَحتهُ فَمَدَحتُ الناسَ قاطبةً لأننى منهُ ألقى الناسَ فى رجُلِ

وقد ضمن القيراطىّ بيت أبى نواس فقال يهجو [من السريع] :

تجَمعتْ مِنْ نُطَفٍ ذاتهُ حتى بدَا فى قالب فاسِدِ
ليسَ علىَ الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحدِ

ومثله ما أجاب به قابوسَ صاحبَ جُرْجان ، الصاحبُ بن عباد حين هجاه بقوله [من المنسرح] :

قدْ قَبَسَ القابساتِ قابُوسُ ونجمهُ فى السماء منحوسُ
وكيفَ يُرْجى الفلاحِ من رَجُلٍ يكونُ فى آخرِ اسمهِ بُوسُ

وجواب قابوس [من السريع] :

مَنْ رَامَ أنْ يهْجُو أبَا القاسمِ فقدْ هَجا كلٌ بنى آدمِ
لأنهُ صوِّرَ مِنْ مُضغةٍ تجَمَّعَتْ منْ نُطفِ العالمِ

ومثله لأبى أحمد العروضى [من الكامل] :

لو كانَ يُورَثُ بالتشابهِ ميتٌ للملكتَ بالأعضاء مالاً يملكُ
بغل مخائلهُ تخبِّرُ أنهُ فى الناس من نطفِ الجميع مُشبَكُ

ومنه قول ابن المسجف [من السريع] :

ابن العلائىٌّ لهُ فقحةٌ شيعيةٌ تصبُو إلى القائم
أبخلُ من كلبٍ ولكنهُ بسُرْمِهِ أجوَدُ من حاتِمِ
كفاهُ هَجْواً أنهُ واحدٌ صوِّرَ منْ كل بنى آدَمِ

ولقد أجاد أبو نعيم البزار الشاعر الواسطى بقوله [من الطويل] :

لَقد كمل الرحمن شخصكَ فى الورَى فلاشان شَيئاً من كمالكَ بالنقص
ومنْ جمَعَ الآفاقَ فى العين قادرٌ على جمع أشتاتِ الفضائل فى شَخْصِ

فانه زادَ على أبى نواس بالمبالغة والتمثيل ، لأن الانسان إذا فتح عينه رأى نصف العالم .

وكان الوزير مؤيد الدين بن العلقمى ــ أذاقه الله العلقم ، من زقوم جهنم ! ــ قد طالع المستعصم فى شخص من أمراء الجبل ، يعرف بابن شرف شاه ، وقال فى آخر كلامه « وهو المدبر » فوقع المستعصم له [من السريع] :

وَلاَ تُساعدْ أبداً مدبراً وكنْ معَ اللهِ على المدبِرِ

فكتب ابن العلقمى أبياتاً فى الجواب ، منها [من السريع] :

يا مالكا أرْجُو بحبىٌ لهُ نيْلَ المنَى والفوْزَ فى المحشَرِ
أرشدْتَنِى لازلت لى مُرْشداً وهادِياً من نورك الأنورِ
أبنتَ فى بيْت هُدًى قلتهُ عن شرفٍ فى بَيتكَ الأطهرِ
فضلكَ فضلٌ مالهُ منكرٌ لَيْسَ لضوء الشمْسِ من مُنكرِ
أن يجمعَ العالمِ فى واحدٍ فليسَ للهَ بِمستنكرِ

فقلب بيت أبى نواس ، فجعل عجزه صدراً .

والعلقمى هذا كان وزير المستعصم ، وكان هو الركن الأكبر فى مجىء التتار إلى بغداد ، وخراب ذلك الإقليم ، وهدم ذلك الجناب العظيم ، فعليه منَ الله ما يستحقه ! .

* * *

شاهد مجيء المأخوذ نقيض المأخوذ منه

٢٠٣ — أجدُ الملامةَ في هواكَ لذيذةً   حُبا لِذكركَ فليلمني اللوَّمُ

* * *

٢٠٤ — أأحِبُّهُ وأحبُّ فيهِ ملامة   إنَّ الملامة فيهِ مِنْ أعدائه

البيت الأول لأبي الشيِّص، من أبيات من الكامل، وقبل البيت :

وَقفَ الهوَى بي حيثُ أنتَ فليسَ لي
مُتأخَّرٌ عَنهُ وَلاَ مُتقدَّمُ

و بعده البيت، و بعده :

أشبهتَ أعدائي فصرتُ أحبهمْ   إذ كانَ حظي مِنكَ حظي منهُمُ

وَأهنتني وأهنتُ نفسي عامداً   ما مَنْ يهونُ عليكَ مِمَّنْ يُكرمَ

والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدةٍ من الكامل يمدح بها سيف الدولة، أولها :

القلبُ أعلم يا عذُولُ بدائهِ   وَأحق مِنكَ بجفنهِ وبمائهِ

فوَمَنْ أحبُّ لأعصينَّكَ في الهوَى   قسماً بهِ وَبحُسنهِ وَبهائهِ

و بعده البيت، و بعده :

عجبَ الوُشاةُ من اللحاةِ وقولهمْ   دَعْ ما نراكَ ضعفْتَ عَنْ إخفائهِ

ما الخلُّ إلا مَنْ يودُّ بقلبهِ   وَيرَى بطرفٍ لا يرَى بسوائهِ

إنَّ المعينَ علىَ الصبابةِ بالأسى   أولىَ برحمةِ ربهاَ وَإخائهِ

مَهلاً فانَّ العذلَ منْ أسقامهِ   وترفقاً فالسمعُ مِنْ أعضائهِ

وَهَبِ الملامةَ في اللذاذة كالكرَى   مطرُودَة بسُهادهِ وَبُكائهِ

لاَ تعذلِ المشتاقَ في أشوَاقهِ   حتى يكونَ حشاكَ في أحشائهِ

إنَّ القتيلَ مُضرَّجاً بدمُوعهِ   مِثلُ القتيلِ مُضرَّجاً بدمائهِ

والعشق كالمَعْشُوق يَعذبُ قُربه للمبتلى وينال من حَوْبائِهِ
لو قلْتَ للدنفِ الحزين فَدَيْتُهُ مِمَّا به لَأَغرته بفـــدائِهِ

وقد أخذ المتنبي قوله * لا تعذل المشتاق فى أشواقه * البيت من قول البحترى [من الطويل] :

إذا شئتَ أن لا تعذِلَ الدهرَ عاشقاً على كمدٍ من لوعة البين فاعْشَقِ

والشاهد فى البيتين : كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه ، فبيت أبى الطيب نقيض بيت أبى الشيص ، والأحسن فى هذا النوع أن يبين السبب كما فى هذين البيتين إلا أن يكون ظاهرا كما فى قول أبى تمام [من الوافر] :

ونغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاه أحلى على أُذُنَيْهِ من نَغَم السَّماع

وقول المتنبي [من الخفيف] :

والجراحاتُ عنده نَغَماتٌ سُبقت قَبْلَ سَيْبِه بسؤال

أراد أبو تمام أن صوت السائل لعطاء ممدوحه أحلى وألذ على سمعه من نغمات السماع وألحان الغناء ، وأراد أبو الطيب أن عادة ممدوحه الاعطاء بغير سؤال ، فإن سبقت نغمة من سائلى عطائه أثر ذلك فيه تأثير الجرح فى المجروح

وفى معنى بيت أبى تمام قول البحترى [من الكامل] :

نَشْوان يَطْرب للسؤال كأنما غناه مالك طيء أو مَعْبَدُ

وكذلك قول المتنبي [من البسيط] :

كأن كلَّ سؤالٍ فى مَسَامِعِهِ قميص يوسُفَ فى أجفَان يَعْقُوبِ

وفى معناه قول أبى العلاء المعرى [من الطويل] :

فما ناح قُمْرِيٌّ ولا هَبَّ عاصفٌ من الريح إلا خاله صَوْتَ سائِلِ

وقد أخذ بعض المغاربة بيت أبى الشيص فقال [من الكامل] :

هُدِّدت بالسلطان فيكَ وإنما أخشى صُدُودكَ لا من السُّلطانِ

أجدُ اللذاذة في الملام، فلو درَى أخذَ الرُّشا منّي الذي يَلحاني

وأصل هذا المعنى لأبي نُوَاس فانه قال [من الوافر] :

إذا غادَيْتَني بِصَبُوح عَذْلٍ فَمَزُوجاً بِتَسْمِيَةِ الحبيبِ

فإني لاأعُدّ اللومَ فيهِ عليْكَ إذا فعَلْتَ من الذنوبِ

وفي معناه قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

من ذَمَّ عاذلهُ فإني شاكرٌ للعُذَّل

تَسمْعي لهم كالقَلْبِ مِنْ ذِكْرِ الأحبة ممتلى

ما ضَرَّني إغراؤهم بالعَذْلِ إذ لم أقبلِ

تَعَبُ الملامِ عليهمُ وحَلَاوة التذكار لي

ومنه قول ابن الرومي أيضاً [من الوافر] :

تلذُّ ليَ الملامة في هوَاه كَمَرْآه وأستَحْلِي أذَاها

ترجمة أبي الشيص

وأبو الشِّيص[1] اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم ، وهو عم دعبل الخُزَاعيّ ، وأبو الشيص : لقب غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر ، وكان من شعراء عصره ، متوسط المحل فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمي وأبي نواس ، فخمل ، وانقطع إلى أمير الرقة عُقْبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي فمدحه بأكثر شعره ، وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره ، فقلّ ما يُرْوَى له في غيره شعر .

وحكى عبدالله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له : مَنْ أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه ، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء

(١) تجد ترجمة أبي الشيص في الأغاني (١٥ ـ ١٠٨ بولاق) وعنها صدر المؤلف

على العطشان ، وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك ، وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه .

ومن شعره فى مدح أمير الرقة قوله [من الكامل] :

لا تُنكِرِى صَدِّى ولا إعْرَاضى ليس المقِلُّ عن الزمان بِرَاضِ
شيئان لا تَصْبُو النساء إليهما حَلْىُ المَشيب وحُلَّة الانفاض
حَسَرَ المشيب قناعَهُ عن رأسِهِ فرمَيْنَهُ بالصَّدِّ والاعراض
ولرُبما جعلَتْ محاسِنَ وجهه لجفونِهَا غَرَضاً من الأغراض

يروى عن أبى الشيص أنه قال : لما أنشدت هذه القصيدة لعُقْبة بن جعفر أمر بأن تُعَدّ ، وأعطانى لكل بيت ألف درهم

وحدث أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبِلٌ فى مجلس ، فقالوا : لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر ، فاندفع رجل منهم فقال : اسمعوا منى أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت [من الطويل] :

إذا ما علَتْ منَّا ذُؤابَةَ واحدٍ وإن كان ذا حلم دَعَتْهُ إلى الجَهْلِ
هَلِ العيشُ إلا أن تَرُوحَ مع الصبي وتَغْدُو صريع الكأس والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لقبه الرشيد صريع الغوانى ، فقال له مسلم : صدقت ، ثم أقبل على أبى نواس وقال له : وكأنى بك يا أبا على قد أنشدت [من البسيط] :

لا تَبْكِ ليلى ولا تَطْرب إلى هِنْدِ واشرَبْ على الوَرْدِ من حَمْراء كالوَرْدِ
تَسقيك من عَيْنِها خَمْرا ومن يَدِها خَمْراً فما لك عن سُكْرَين من بُدِّ

فقال له : صدقت ، ثم أقبل على دِعبل فقال له : يا أبا على ، وكأنى بك تنشد قولك [من الكامل] :

* أين الشباب وأيةً سلكا *

الأبيات المارة فى إيهام التضاد ، فقال له : صدقت ، ثم أقبل على أبى الشيص

فقال له : وأما أنت يا أبا جعفر فكأنى بك وقد أنشدت قولك [من الكامل] :

* لا تُنكِرِى صَدِّى ولا إعْرَاضى *

الأبيات السابقة قريبا ، فقال له : لا ، ما هذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته ، قالوا : فأنشِدْنَا ما بدالك ، فأنشدهم الأبيات الميمية السابقة ، فقال أبو نواس : أحسنت والله وجوَّدت ، وحياتِكَ لأسرقَنَّ هـذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشهر ما أقول ويموت ماقلت ، قال : فسرق أبو نواس قوله * وقف الهوى بى ... البيت * سرقا خفيا فقال فى الخصيب [من الطويل] :

فَمَا جازَهُ جودٌ ولا حلَّ دُونَهُ ولـكن يَسيرُ الجود حيث يَسيرُ[1]

فسار بيت أبى نواس وسقط بيت أبى الشيص

وحدَّث رُزَين بن على الخزاعى أخو دعبل ، قال : كنا يوما عند أبى نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصارى ، فقال أبو نواس لأبى الشيص: أنشدنى قصيدتك المخزية ، قال : وماهى ؟ قال : الضادية ، فما خطر بخَلَدى قولك * ليس المقل عن الزمان براض * إلا أخزيتك استحسانًا لها ، فان الأعشى كان إذا قال قصيدة عرضها على ابنته ، وكان قد ثقَّفَهَا وعلمها مابلغت به استحقاقَ التحكيم والاختيار لجيد الكلام ، ثم يقول لها: عدى المخزيات، فتعد قوله [من البسيط]

أغر أرْوَعُ يُسْتَسقَى الغمام بهِ لَوْ قارَعَ الناس عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبه ذلك من شعره ، فقال أبو الشيص : لا أفعل ، إنها ليست عنـدى عقد در مفصل ، ولكنى أكاثر بغيرها ، ثم أنشده الأبيات الميمية المذكورة أيضاً فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأبيت أن تخلى عن سلبك ، أوتدرك

---

(١) وقع عجز هذا البيت فى بعض الأمهات ومنها تاريخ ابن خلكان فى ترجمة أحمد بن محمد القسطلى الشاعر

* ولـكن يصير الجود حيث يصير *

فى هربك ، قال : بل اترك طلبى[1] فكيف ترى أنت هذا الطراز ؟ فقال : أرى نمطاً خسروانيامذهبا حسناً فكيف تركت قولك [من الخفيف] :

فى رداء من الصَّفيح صقيل وقميصٍ من الحديدِ مُذَال

قال : تركته كما ترك مختار الدرَّتين إحداهما بما سبق فى خاطره و زين فى ناظره

قال ابن فضل الله : رأيت بخط الفاضل كمال الدين أبى العباس أحمد بن العطار الشيبانى الكاتب رحمه الله تعالى ما صورته : ذكر أن أباالشيص كان لو قيل له : ابْنُ مَنْ أنت ؟ لقال * وقف الهوى بى ... البيت * ولو قيل لشهاب الدّين التلعفرى ابن من أنت ؟ لقال * هذا العذول عليكم مالى وله * ثم قال : وهذه القصيدة مشهورة سيارة دائرة محفوظة على ألسنة العالم ، وعارَضَها جماعة من معاصريه فلم يتفق لهم ما اتفق له فيها . انتهى .

أقول : ولا بأس بذكر طرف منها ليعلم صدق مقاله ، قال [من الكامل] :

هذا العذول عليكم مالى وَلَهْ أنا قدرضيتُ بذا الغرام وذاالوَلَهْ

إلى أن يقول فيها :

أألومُكم فى هجركم وصدُودكم ما هذهِ فى الهجر منكم أوَّلَهْ

قسما بكم قد صرتُ مما أشتكى حىَّ الدُّجى وعدمتُهُ ما أطولَهْ

يا سائلى عن شرح حالى فى الهوَى تَركى الجوَابَ جوابُ هذى المسألَهْ

يا راحلين وفى أكلّة عيسهمْ رَشَأ عليه حَشَا المحبِّ مُقَلْقَلَهْ

أسَرَتْ له العشّاقَ نظرةُ وجنَةٍ بسوى اللواحظِ لا تبيت مُقَبَّلَهْ

لو لم يُصِبْ صُدْغيه عارض خدهِ ما أصْبَحَتْ فى سالِفَيْهِ مُسلسلَهْ

وقد استعمل هذا المعنى أيضا فقال [من الكامل] :

هَبْ أن خدك قَدْ أصيب بعارض ما بال صدغك راح وهُو مسَلسَلُ

---

(١) كذا ، وفى الأغانى « بل أقول فى طلبى »

رجع إلى أخبار أبى الشيص

وحدَّث موسى بن معروف الأصفهانى قال : دخل أبو الشيص على أبى دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج ، فقال له : يا أبا الشيص ، سل هـذا الخادم أن يحل أزرار قميصه ، فقال : الأمير أعزه الله أحق بمسألته ، قال: قدسألته فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئاً ، فقال [من السريع] :

وشـادنٍ كالبَدْر يجلو الدُّجى   فى الفَرْق منه المسكُ مذْرُورُ

يحاذرُ العـينَ على صَدْرِهِ   فالجَيْبُ منهُ الدَّهْرَ مَزْرُورُ

فقال أبو دلف : وحياتى لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الخادم : قد أحسن والله كما قلت ، ولـكنك أنت ما أحسنت ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى .

وحدَّث علىّ بن سعيد الشيبانى ، قال : تعشق أبو الشيص قَيْنَةً لرجل من أهل بغداد ، فـكان يختلف إليها و ينفق عليها فى منزل الرجل ، حتى أتلفَ مالا كثيراً ، فلما كف بصره وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص وشكا إلىَّ وجْدَهُ بالجارية واستخفاف مولاها به ، وسألنى المضى معه إليه ، فمضيت معه إليه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذن لنا ، فدخلت أنا وأبو الشيص ، فعاتبته فى أمره ، وعظَّمت عليه حـقَّه ، وخوَّفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه : فكان يأكل فى بيته ، و يحمل معه نبيذه ونَقْلَه ، فمضيت معـه ذات يوم إليها ، فلما وقفنا على بابهم سمعنا صُرَاخاً شديداً من الدار ، فقال لى: مالها تصرخ ؟أتراه قد مات لعنه الله؟! فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا ، وَإذا هو قد حسَرَ كميه و بيده سوط ، وقال لنا ادخلا ، فدخلنا ، وَإنمـا حمله على الاذن لنا الفرَق منى ، فدخلنا ، وعاد الرجل إلى داخل يضربها ، فاستمعنا عليه ، واطلعنا ، فاذا هى مشدودة على سُلَّم ، وهو يضربها أشد الضرب ، وهى تصرخ ، وهو يقول لها : وأنت أيضا فاسرقى الخبز

فاندفع أبو الشيص فى المكان على الحال يقول فى ذلك [من السريع] :

يقولُ والسوطُ على كفهِ قدْ حزَّ فى جلدتها حَزَّا
وهْىَ على السلّم مشدُودةً وأنتِ أيْضافاسرقىالخبزا

قال : وجعل أبو الشيص يرددهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما ، فقال لى : ياأبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بمـا تحب ، فان أشاع هـذه البيتين فَضَحنى ، فقل له يقطع هذا ولا يشيعهما ، وله علىَّ يومان فى الجمعـة ، ففعلت ذلك ، وَوَافقته عليـه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات .

وحـدَّث على بن محمد النوفلى عن عمه ، قال : كان أبو الشيص صديقا لمحمد ابن إسحاق بن سليمان الهاشمى ، وهما حينئذ مملقان ، فنالَ محمـد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، فجفا أبا الشيص وتغير له ، فـكَتب إليه [من البسيط] :

الحمدُ للهِ رب العـالمين على قُرْبى وَبُعدِكَ منى ياابن إسحاقِ (١)
ياليْتَ شعْرِى متى تجْدِى علىَّ وقدْ أصبحْتَ ربَّ دنانير وأوراقِ
تجْدِى علىَّ إذَا ماَ قِيلَ مَنْ رَاقِ
والتفّتِ السّاقُ عندَ الموتِ بالساقِ (٢)

(١) فى الأغانى «قربى وبعدك منه يابن إسحاق» وهو المناسب ، والضمير فى «منه» عائد إلى الله تعالى

(٢) يريد تجدى على يوم تكون روحى فى النزع ، وقد أخذ هذا من قوله تعـالى (كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) من سورة القيامة

يومٌ لعمرى تهمُّ الناسَ أنفسُهُم   وليس تنفعُ فيه رُقيةُ الراقى

وحدَّث أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال : كانت لأبى الشيص جارية سوداء اسمها تبر ، وكان يتعشقها ، وفيها يقول [من المنسرح] :

لم تنصفى يا سمية الذهب   تتلف نفسى وأنتِ فى لعب

يا ابنةَ عمِّ المسك الزكى ومَنْ   لولاكِ لم يُتَّخذ ولم يطبِ

ناسبكِ المسك فى السواد وفى الريح فأكْرِمْ بذاكِ من نسب

ومن لطيف شعره قوله [من الوافر] :

وقائلةٍ وقد بَصرتْ بدمعٍ   على الخدَّين منُحدرٍ سكوبِ

أتكذبُ فى البكاء وأنتَ خِلْوٌ   قديماً ما جسرتَ على الذنوبِ

قميصكَ والدمُوعُ تجول فيه   وَقلبكَ ليسَ بالقلب الكئيبِ

نظيرُ قميص يوسف حين جاءوا   على أبابه بدم كذوبِ

فقلتُ لها فداكِ أبى وأمى   رَجمْتِ بسوء ظنك فى الغيوبِ

أمَا وَاللهِ لوْ فتشتِ قلْبى   لسركِ بالعويلِ وبالنحيبِ

دُمُوعُ العاشِقينَ إذَا تلاَقوْا   بظهْرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره . وله مراث فى عَينيه قبل ذهابهما و بعده فحدث محمد بن القاسم بن مهرويه . قال : أنشدت إبراهيم بن المدبر أبيات أبى يعقوب الخريمى التى يرثى بها عينيه يقول فيها [من الوافر] :

إذا ما ماتَ بعضك فابْكِ بعضاً   فان البعضَ من بعضٍ قريبُ

فأنشدَنى لأبى الشيص يبكى عينيه [من المنسرح] :

يا نفس ابكى بأدمع هُتُنِ   ووا كفٍ كالجمان فى سَنَنِ

على دَليلى وقائدِى و يدِى   وَنُورِ وجهى وسائس البدنِ

أبكي عليها بها مخافةَ أنْ تقرِنَني وَالظلامَ فى قَرَنِ

وقال أبو هفان : حدثني دِعبل ، أن امرأة لقيتْ أبا الشيص ، فقالت : يا أبا الشيص ، عَميتَ بَعدِي ، فقال : قبحكِ الله ! دَعوْتنى باللقبِ ، وعيرتنى بالضرر .

وحدَّث أبو العباس بن الفرات ، قال : كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيلة ، وخلفه غلام له شيخ على بغل له هرمٌ وما فيهم إلا نضوٌ ، فأقبل عليَّ عبيد الله بن سليمان ، فقال : كأنهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول [من الكامل] :

أكلَ الوجيفُ لحومها وَلحومهُمْ فأتَوْكَ أنقاضاً عَلَى أنقاضِ

وكانتْ وفاة أبي الشيص سنة ست وتسعين ومائة ، مقتولا . حدث عبيدالله ابن الأعمش ، قال : كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى يشرب مع خادم له . فلما ثمل نام عنده ، ثم انتبه فى بعض الليل ، فذهب يدب إلى خادم لعقبة ، فوجأه بسكين ، فقال له : وَيحكَ قتلتنى والله ، وما أحب أن أفتضح ، وأنى قتلت فى مثل هذا ، ولا تفتضح أنت بى ، وَلكن خذ دستيجة فاكسرها ولونها بدمى واجعل زجاجها فى الجرح ، فاذا سئلت عنى فقل : إنى سقطت فى سكرى على الدستيجة فانكسرت فقتلتنى . ومات من ساعته ، ففعل الخادم ما أمره به .

ودفن أبو الشيص، وَجزع عقبة عليه جزعا شديداً ، فلما كان بعد أيام سكر الخادم وتحدث بما كان . فصدق عقبة الخبر ، وأنه هوالذى قتله ، فلم يلبث عقبة أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضرب به حتى قتَلَه .

* * *

٢٠٥ــ وترى الطيرَ على آثارنا رأىَ عينٍ ثقةً أن ستُمارْ

أخذ المعنى وإضافة ما يحسنه إليه

* * *

٢٠٦ــ وقدْ ظُلِّلَتْ عقبانُ أعلامِهِ ضحى بعقبانِ طيرٍ فى الدماء نَوَاهِلِ
أقامتْ معَ الراياتِ حتَّى كأنها منَ الجيشِ إلاَّ أنها لم تُقاتِلِ

البيت الأول للأفوه الأودىّ ، من قصيدة من الرمل أولها :

إن ترَىْ رأسِىَ فيه نزَعٌ وشوَاتى خلة فيها دوَار

يقول فيها :

إنما نعمةُ قوم متعةٌ وحياة المرء ثوبٌ مُستعار
حتم الدهر علينا أنهُ ظَلَفٌ ما نالَ مِنَّا وجُبَار(1)

ظلف : باطل ، وجبار : هدَر.

وهذه القصيدة من جيد شعر العرب ، وهى التى نهى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن إنشادها لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام ، وإياه عنى بقوله فيها :

رَيَّشَتْ جرْهمُ نبلاً فرَمَى جرْهمًا منهنَّ فوقٌ وغرار

والبيتان الأخيران لأبى تمام من قصيدة من الطويل ، يمدح بها المعتصم والافشين ، وأولها :

غدَا الملكُ معْمُورَ الحرا والمنازل مُنَوَّرَ وَحْفِ الروض عذبَ المناهلِ(2)
بمعتصم بالله أصبـــح مَلْجأً .ومُعْتَصما حرزاً لكلِّ مُوائلِ
لقد ألبسَ الله الامام فضائلا وَتَى طرَفَيْهَا باللُّهى والفَوَاضل(3)
فأضْحَتْ عطاياه نَوَازعَ شرَّدَا تُسائل فى الآفاق عَنْ كل سائل(4)

---

(1) فى اللسان (ط ل ف) « حكم الدهر »
(2) وقع فى الأصول « معمور الحوا » وأثبتنا ما فى الديوان (٢٤٧) والحرا الناحية ، والوحف : الريان ، والمناهل : جمع منهل ، وهو الحوض
(3) فى الديوان « وتابع فيها باللهى »
(4) فى الديوان « نوازع شزبا »

مواهبُ جُزْنَ الأرضَ حتى كأنما أخذنَ بأهْدَابِ السَّحابِ الهَوَاطِل [1]

ومنها في مديح الافشين :

شهدت أميرَ المؤمنين شهادةً كثيرٌ ذَوُو تصديقها في المحافل

لقدلَبَّسَ الافشينُ قَسْطَلَةَ الوغَى مخشابنصلِ السيفِ غيرَ مُوَاكل [2]

وجَرَّد من آرائه حين أضْرِمَتْ به الحرب حَدَّامن حدود المَنَاصلِ

وثارَتْ به بين القنابل والقنــا عزائمُ كانت كالقنا والقنابلِ [3]

رأى بابكٌ منه التي لا شوَى لها سوَى سِلمِ ضيْمٍ أوصفيحة قاتلِ [4]

تراه إلى الهيجاء أول راكبٍ وتحت صبير الموْت أولَ نازلِ [5]

تَسَرْبَلَ سربالامن الصبر وارتدى عليه بعضب في الكريهة فاصلِ

وبعده البيتان

والنواهل : جمع ناهلة ، من نهل إذا روى ، والرايات : الأعلام.

ومعنى البيت الأول إنك ترى الطير كائنة على آثارنا ، لوثوقها واعتمادها أن سنطعمها من لحوم مَنْ نقتلهم من أعدائنا .

ومعنى البيتين الأخيرين أن رايات الممدوح التي هي كالعقبان قد صارت

---

(١) في الديوان «مواهب جدن الأرض» وفيه «أخذن بأذناب السحاب»

(٢) قسطلة الوغى: غباره ، والصوت يكون في الحرب . والمخش: الجرىء على العمل ، ونصل السيف: حده ، والمواكل : التكلة الذى يكل أموره إلى غيره ليقضيها

(٣) في الديوان «وسارت به» وكان في الأصول «بين القبائل» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما في الديوان

(٤) وقع في الأصول «التي لا شرالها» محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٥) في الديوان «رأوه إلى الهيجاء»

مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى ، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى ، فتلقى ظلالها عليها ، والعقاب يطلق على الراية الضخمة ، قال الشاعر [من الرجز] :

وهْوَ إذا الحربُ هفا عُقَابهُ   مِنْ جمرِ حَرْبٍ تلتظى حِرَابه

وقال الآخر [من البسيط] :

ورُبَّ ظلٍّ عُقابٍ قَدْ وقَيْتُ به   مُهرى من الشمس والأبطال تجتلدُ

والشاهد فى الأبيات : أن يؤخذ بعضُ معنى المأخوذ منه و يضاف إليه ما يحسنه فان أبا تمام لم يلم بشىء من معنى قول الأفوه « رأى عين » ولا قوله « ثقة أن ستمار » ولكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذى أخذه بقوله « إلا أنها لم تقاتل » و بقوله « فى الدماء نواهل » و بقوله « أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش » وبهذه الزيادة يتم حسن قوله « إلا أنها لم تقاتل» لأنه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير إلا أنها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن ، لأن إقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة أنها أيضا تقاتل مثل الجيش ، فيحسن الاستدراك الذى هو رفع التوهم الناشىء من الكلام السابق ، بخلاف وقوع ظلها على الرايات ،

وما ذكر فى الأبيات من أن الطير تتبع جيشه لتغتذى مما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء ، وأولُ من نطق به الأفوهُ هذا ومنه قول النابغة فى القصيدة السابقة فى تأكيد المدح بما يشبه الذم [من الطويل] :

إذا ما غَزَوْا بالجيش حلَّقَ فوقهم   عَصَائبُ طيرٍ تهتدِى بعَصَائب

يُصاحِبْنَهُمْ حتى يغزْن مغَازَهُمْ   من الضاريات بالدِّماء النوائب[1]

(١) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب ، وهو متغير فى أكثر كلماته ، وأوضح رواية فى إنشاده :

يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم   من الضاريات باللحوم الدوارب

تَراهُنَّ خلفَ القوم خُزْراً عيُونها جلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانب (١)
جوانح قَدْ أيقنَّ أنَّ قبيلَهُ إذا ما التقى الجمعَانِ أولُ غالب
لهنَّ عليهم عادة قد عرَفنَهَا إذا عُرِّضَ الخطى فوقَ الكواثب (٢)

وقول أبى نواس [من المديد]:

وإذا مجَّ القنا عَلقاً وتراءى الموتُ فى صُوَرِهْ
راحَ فى ثنيى مُفاضتِهِ أسدٌ يَدمَى شبَا ظُفرِهْ
تتأيَّا الطيرُ غُدْوَتَهُ ثقةً بالشِّبعِ من جزَرِهْ

ولما سمع محمود الورَّاق أبانواس ينشد هذه الأبيات قال: ماتركت للنابغة شيئاً حيث يقول * إذا ما غزوا * وأنشد الأبيات، فقال له أبونواس: اسكت فإن كان أحسن الابتداع فما أسأت الاتباع

وتبع أبانواس مسلم فقال [من البسيط]:

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقن بها فهُنَّ يَتبعْنَهُ فى كل مُرتحَلِ

ومن هذا المعنى قول حُميد بن ثور الهلالى يصف ذئبا [من الطويل]:

إذا مَا غدَا يَوْماً رأيت غمامَةً من الطير يَنظرْنَ الذى هُوَ صانع (٣)

ومنه قول مروان بن أبى الجنوب يمدح المعتصم [من البسيط]:

لا تَشبعُ الطيرُ إلا فى وقائعِهِ فأينما سارَ سارتْ خلفَهُ زُمرَا
عوَّارفا أنهُ فى كل مُعترَكٍ لا يُغمِدُ السيفَ حتى يكثر الجزَرَا

---

(١) وقع فى الأصول «فى ثياب المراتب» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان. وثياب المرانب ـ بالنون قبل الباء ـ ثياب يقال لها المرنبانية كأنها متخذة من جلود الارانب

(٢) وقع فى الأصول * إذا عرض الخطى فوق الكتائب * وأثبتنا ما فى الديوان، والكواثب: جمع كاثبة، وهى أمام قربوس السرج

(٣) فى الموازنة للآمدى «إذا ما غزا» وهو تحريف صوابه ما هنا

وأخذه بكر بن النطاح فقال [من مجزوء الكامل] :

وترى السباعَ من الجوا رح فوقَ عسكرنا جوانح
ثقــــة بأنا لا نزا ل نميرُ ساغبَها الذبائح

وأخذه ابن جهور فقال [من البسيط] :

ترى جوارحَ طيرِ الجو فوقهمُ بينَ الاسنةِ والراياتُ تختفقُ

وأخذه آخر فقال [من الطويل] :

ولستَ ترى الطيرَ الحوائم وُقَّعاً من الأرض إلا حيثُ كان مُواقعاً

ومنه قول الكميت بن معروف [من الوافر] :

وقد سترت أسنَّتهُ المواضى حُدَيُّ الجو والرَّخَمُ السِّغابُ

ومنه قول بعضهم [من البسيط] :

والطيرُ إن سارَ سارت فوق موكبهِ عوارفاً أنه يسطو فيقريها

وقد أحسن المتنبي بقوله [من الطويل] :

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جماجمُهْ

وله فى قريب منه [من البسيط] :

يُطمعُ الطيرَ فيهم طولُ أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقعُ

وقد أشار إلى هذا المعنى أبو فراس بقوله [من الطويل] :

وأظمأُ حتى ترتوى البيضُ والقنا وأسغَبُ حتى يشبعَ الذئبُ والنسْرُ

ومنه قول ابن شهيد الأندلسى [من الطويل] :

وتدرى سباعُ الطير أن كماتهُ إذا لقيت صيدَ الكماة سباعُ
تطيرُ جيــاعاً فوقهُ وتردُّها ظُباه إلى الأوكار وهيَ شباعُ

وقد يقع اتفاق الشاعرين فى اللفظ والمعنى جميعاً أو فى المعنى وحده، ويكون ذلك من قبيل توارد الخاطر ، كما يحكى أن سليمان بن عبدالملك أتى بأسارى من الروم وكان الفرزدق حاضراً، فأمره سليمان أن يضرب عنق واحد منهم، فاستعفى

فما أغنى ، وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب ، فلم يستعمله ، وقال : إنما أضرب بسيف أبى رَغْوَان سيفِ مُجَاشع ، يعنى سيفه ، ثم ضرب به الرومى ، فنبا السيف ، فضحك سليمان ومَنْ حوله ، فقال الفرزدق [من البسيط] :

أيَعْجَبُ الناسُ أن أضحكتُ سيِّدَهُمْ خليفةَ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ

لم يَنْبُ سيفى من رُعْبٍ ولا دَهَشٍ عن الأسير ولكن أخّرَ القدَرُ

ولن يُقَدِّم نفساً قبل ميتتها جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْصَامَةُ الذكَرُ

ثم أغمد سيفه وهو يقول [من الرجز] :

ما إنْ يُعَابُ سيدٌ إذا صبَا ولا يُعَابُ صارمٌ إذا نبَا

ثم جلس يقول : كأنى بابن المراغة ـ يعنى جريراً ـ وقد هجانى فقال :
[من الطويل] :

بسيفِ أبى رَغْوَانَ سيفِ مُجَاشعٍ ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

وقام فانصرف ، وحضر جرير ، فأخبر الخبر ، ولم ينشد الشعر ، فأنشأ يقول البيت بحروفه ، وزاد

ضَرَبْتَ به عندَ الامام فأرْعِشَتْ يَدَاكَ وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ[1]

فأعجب سليمان ما شاهد ، ثم قال جرير : يا أمير المؤمنين كأنى بابن القين ـ يعنى الفرزدق ـ قد أجابنى فقال [من الطويل] :

ولا نَقتُلُ الأسْرَى ولكن نَفُكُّهُمْ إذا أثقَلَ الأعناقَ حملُ المَغَارِمِ

ثم حضر الفرزدق فأخبر بالهجو دون ما عداه ، فقال مجيباً :

كذاكَ سيُوفُ الهند تَنْبُو ظُبَاتُها وتقطَعُ أحياناً مَنَاطَ التمائمِ

ولا نَقتُلُ الأسرَى ولكن نَفُكُّهُمْ إذا أثقَلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

وهل ضربةُ الرُّومىِّ جاعلةٌ لكم أباً من كليبٍ أو أخاً مثلَ دارمِ

---

(١) فى الأصول «وقالوا مجدب» وأثبتنا ما فى الديوان

ويضارع هذا مايحكى أن المهدىّ أتى بأسرى من الروم، فأمر بقتلهم، وكان عنده شبيب[1] بن شبة، فقال له: اضرب عنق هذا العلج، فقال: ياأمير المؤمنين، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق، فعير به قومه إلى اليوم، فقال: إنما أردتُ تشريفك، وقد أعفيتك، وكان أبو الهول الشاعر حاضراً، فأنشد [من الطويل]:

جَزعتَ منَ الرُّومى وهو مقيَّدٌ ... فكيفَ إذَا لاَقيته وَهْوَ مطلقُ

دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لِقتلهِ ... فكادَ شَبيبٌ عندَ ذلكَ يَفْرَقُ

فَنحٌ شبيباً عن قِرَاعِ كتيبةٍ ... وأدْنِ شبيباً منْ كلام يُلَفَّقُ

ومن نوادر الخواطر ما يحكى عن ابن ميَّادة أنه أنشد يوما لنفسه، [من الطويل]:

مُفيدٌ ومِتلافٌ إذاما أتيتهُ ... تهَللَ واهتز اهتزاز المهندِ

فقيل له: أين يذهب بك؟ هذا للحطيئة، فقال: الآن علمت أنى شاعر إذْ وافقته على قوله ولم أسمعه.

ومنه ما حكى الصفى الحلى أنه نظم بيتا من جملة أبيات، وهو [من الكامل]:

تهْوَى مواضيكَ الرقابَ كأنما ... منْ قبلُ كان حديدها أغلالاَ

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتاً لا يعلم قائله، وهو [من البسيط]:

تهوى الرقابَ مواضيها فتحسبها ... تودُّ لوْ أصبحتْ أغلالَ من أسَرَا

فأسقط بيته الذى نظمه، ثم إنه نظمه بعد ذلك فى بديعيته، فقال: [من البَسيط]:

تهوى الرقابَ مواضيهم فتحسبها ... حديدَها كان أغلالاً من القدَمِ

ولنذكر منْ أخذ المتأخرين بعضهم من بعضٍ ما يحلو فى الأذواق، وتتحلى

---

(١) كذا، ويقع فى بعض الأمهات «شبيب بن شيبه»

به الأوراق.

فمن ذلك قول القاضي الفاضل في مليح مُعذر [من الطويل] :

وكنتَ وكنَّا والزمانُ مُساعدٌ فصرتَ وصِرْناوَهُوَغير مُساعدِ

وَزَاحمني في وِرْد ريقكَ شاربٌ ونفسيَ تأبيَ شركها في الموارِدِ

أخذه العز الموصلي ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنتَ لي وَحدي وَوَجهكَ رَوْضَتي

وكُنا وكانت للزمان مواهبُ

فعارضني في ورد خدكَ عارضٌ وزاحمني في ورد ثغركَ شاربُ

وقول ابن سناء الملك [من الطويل] :

وفي القَلب تَصديعٌ ، وفي الوصل جَبْرُه

وَفِي الخد دينارٌ وفِي الجفنِ كسرُهُ

أخذه ابن نباتة فقال [من مجزوء الكامل] :

في خـــده وجفُونه للحسن دينارٌ وكَسرُ

وقد تلاعبَ الشعراء بهـذا المعنىَ إلى أن وصل للمعمار ، فقال : [من مجزوء الرمل] :

كم حَوَى جفْنيَ معنىً قلتُ ألفاً وكسورا

وقول السراج الوَراق [من السريع] :

يا ساكناً قَلبي علَى أنهُ بوجـــده في قَلقٍ دائبِ

قَلبَي من خوف النوى واجبٌ وأنتَ لم تخرج عن الواجبِ

أخذ ابنُ نباتة نكتة الواجب وسبكها في قالب آخر ، فقال في رامي بندق [من السريع] :

أسعدْ بها يا قمرى برزةً سعيدةَ الطالعِ والغاربِ
صرعْتَ طيراً وسكنتَ الحشَى فما تعدّيتَ عنِ الواجبِ

وقول أبى الحسين الجزار، وكتب به إلى بعض الرؤساء، يَسْتَدْعى قطراً [من الطويل] :

أيا عَلَم الدينِ الذى جُود كفِّهِ براحته قَدْ أخجَلَ الغيْثَ والبَحْرَا
لئن أمْحلَتْ أرْضُ الكُنافةِ إنّنى لأرْجُولهامن سُحْبِ راحتِكَ القَطْرَا

فتحلىّ ابنُ نباتة بهذا القطر فقال [من مخلع البسيط] :

لجود قاضى القُضَاةِ أشكُو عَجْزِى عن الحلْوِ فى صِيَامى
والقَطْرُ أرْجُو ولا عَجِيبٌ للقَطْرِ يُرْجَى مِنَ الغَمَامِ

وقول محيى الدين بن عبد الظاهر [من مجزوء الكامل] :

شكرا لنَسْمَة أرضكم كم بَلَّغت عنى تَحيّهْ
لا غَرْوَ أن حفِظت أحا ديثَ الهوى فهى الذكيّهْ

أخذه الصلاح الصفدى فقال [من الكامل] :

ياطيبَ نَشْرٍ هَبَّ لى من أرضكم فأثار كامِنَ لوْعتى وتهتّكى
أهدى تحيتكم وأشْبَهَ لطفكم وروى شذا كم إنَّ ذا نشرٌ ذكى

وأشار إلى هذه السرقة ابن أبى حجلة فقال [من الكامل] :

إن ابن أيبكَ لم تزل سرقاتُه تأتى بكل قبيحةٍ وقبيحِ
نَسَبَ المعانى فى النسيم لنفْسه جهلا فراح كلامُهُ فى الريحِ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً مقتبساً [من الكامل] :

بأبى فتاةٌ من كمال صفاتها وجمال بَهجتها تحارُ الأعينُ
كم قد دفعتُ عواذلى عن وجهها لما تبدَّت بالتى هى أحْسَنُ

أخذه ابن نباتة بقافيته ولكن زاده إيضاحاً فقال [من الكامل] :

ياعاذلى شمس النهار جميلة   وجمالُ فاتنتى ألذ وأزينُ
فانظر إلى حسنيهما متأملا   وادفع ملامك بالتى هى أحسنُ

وألمّ به العز الموصلى فقال [من الخفيف]:

قد سلونا عن المليح بخَوْدٍ   ذاتِ وَجْهٍ به الجمالُ تفنّنْ
ورجعنا عن التهتك فيه   ودفعناه بالتى هى أحسَنْ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً وكتب به من منهل بطريق الحجاز يسمى عيون القصب [من الطويل] :

كتبتُ لكم من أعيُنِ القصَبِ التى   لها من معانيكم ومن نفسها طَرَبْ
فإن أطربَ التشبيبُ فيها بذكركم   فكم أطرب التشبيب من أعين القصب(١)

أخذه المعمار فقال فى مشبب [من مجزوء الرجز] :

هويته مشبباً   بعادُه بَرَّحَ بى
تَيَّمَ قلبي بالحجا   ز من عُيون القصَبِ(١)

وقول شيخ شيوخ حَماة موريا بالورد المنسوب إلى نصيبين [من مخلع البسيط]

أفدِى حبيباً رُزقتُ منهُ   عَطفَ مُحب على حبيب
بوجنةٍ ما أَنَمَّ ربحى   وقد غدا وردُها نصيبى

أخذه ابن نباتة فقال [من الطويل] :

فَدَيتُكَ غُصناً ليس يَبْرَحُ مُثمرا   من الحسن فى الدنيا بكلّ غريب
تَفَتَّح فى وَجناته الوردُ أحمرا   فياليْتَ ذاك الوردَ كان نَصيبى

وقوله أيضاً فى أسماء متنزهات دمشق وهى السهم وسطرى [من السريع]:

قالوا أما فى جلّقٍ نُزْهة   تُنْسيكَ ما أنتَ به مُغرَى

(١) أراد من الحجاز ضربا من النغم معروفا بهذا الاسم ، وأراد من عيون القصب المزمار

يا عاذلى دُونَكَ من لحظه سَهْماً ومن عارضه سَطْرا

أخذه الجلال ابن خطيب داريا فقال وأبدل السهم بعقرى وهو من متنزهاتها أيضاً [من الطويل] :

سألتكما إن جئتما الشام بكْرَةً وعاينتما الشقراء والغوطَةَ الخضْرَا
قِفا واقرآ منى كتابا كتبتُهُ بدمعى لكم مقرى ولا تنْسَيَا سطرا

وفى مثله للنور الأسعردى [من الطويل] :

وريم جلالى خمرةً مُزَّةً جلَتْ همومى وقد عاينْتُ فى خده سَطْرَا
ورَبْوَتُه الشقراء ناعمةٌ غَدَتْ فيا حُسْنها من بَرْزةٍ ليتها عَذْرَا

وقول مجير الدين بن تميم فى سَجَّادة [من الطويل] :

أيا حُسنها سجادة سندسية يرى للتقى والزهد فيها تَوَسُّمُ
إذا ما رآها الناسكون ذوُو الحِجى أمامَهم صَلَّوْا عليها وسَلَّموا

أخذه ابن نباتة فقال [من الخفيف] :

إن سَجَّادتى الحقيرَةَ قَدْراً لم يَفتها فى بابكَ التعظيمُ
شرفَتْ إذْ سعَتْ إليك فأمْستْ وعليها الصلاةُ والتَّسليمُ

وتطفل عليها ابن الوردى فقال [من المقتضب] :

سَجَّادتى أذْكَرَتْنى منك الذى كنت أعلم
أهديْتُها لمحبٍّ صلّى عليها وَسَلّم

وقوله أيضاً فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته [من السريع] :

كم قُلتُ لما فاضَ غيظاً وقَدْ أُزيحَ عن مَنْصبه المُعْجب
لا تَعْجَبُوا أن فارَ من غيْظِهِ فالقَلْبُ مَطبُوخ على المنْصب

ألم به الشرف النصيبى فقال [من الكامل] :

وَلَوْكَ إذ علموا بجهلك منصباً علماً بأنك عن قليلٍ تبرخُ
طبخوا بنارِ العزْلِ قلبكَ بعدَذا وكذا القلوب على المناصبِ تُطْبخُ

وقوله أيضا [من الوافر] :

دعيتُ فكان أكلى فخذَ طيرٍ ولم أشْرَب من الصهباء نقْطهْ
وما يوْمى كأمسٍ وذاكَ أنى أكلتُ أوزة وشَرِبتُ بَطّهْ

أخذه الصلاح الصفدى بقافيته فقال [من المقتضب] :

شوَى الأوز فأضْحَتْ فى حُمْرَة الخد بَسْطَهْ
فقلت تَشْوى أوزا أم كنت تَشْرَب بطه

وقوله أيضا وتقدم فى حسن التعليل [من الطويل] :

حبيبي وَعَدْتَ الكأس منك بقبلةٍ وأعقَبَ ذاكَ الوعْدَ منك نفارُ
وما كان هذا لونَها غير أنها علاها لطول الانتظار صفارُ

أخذه ابن الصاحب فقال [من مخلع البسيط] :

يا حابس الكأس لا تردها من بَعْد حَبْس الدنانِ حَسْرَهْ
واغنم مزاجا لها لطيفا أورثه الانتظارُ صفْرَهْ

وقول ابن العفيف [من مجزوء الرمل] :

كان ما كانَ وزَالا فاطّرِحْ قيلاً وقالا
أيها المعرِضُ عنى حسبُكَ الله تعالى

أخذ المجد بن مكانس بعضه فقال [من مخلع البسيط] :

يا غُصناً فى الرياضِ مالا حَمَّلْتنى فى هواكَ مالا
ياراتماً بعد ما سبَانى حسبُكَ رَبُّ السما تعالى

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

إنى لأشكو فى الهوى ما راح يفعَلُ خَدُّهُ
ما كان يدرى ما الجفَا لكن تفتّحَ وردُهُ

أخذه الصلاح الصفدى وزاده نكتة أخرى فقال [من الطويل]:

أقولُ له ما كان خدُّك هكذا ولا الصُّدْغ حتى سال فى الشَّفَق الدُّجى
فمِنْ أين هذا الحسنُ والظرف قال لى تَفَتَّح وَرْدى والعِذارُ تخرَّجا

وقول الوداعى من قصيدة [من الكامل] :

بخلتْ علىَّ بدُرِّ مَبْسمها فغَدتْ مطوَّقةً بما بَخلتْ

أخذه ابن نباتة فقال [من الكامل]

بخلَتْ باللؤلؤ ثغرها عن لاثمٍ ففدَتْ مطوقة بما بخلَتْ بِهِ

ومحاسن المتأخرين كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى

ترجمة الأفوه الأودى

والأفْوَه الأوْدِى[1] اسمه صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف ابن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة ، وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك « فارس الشهباء » وفى ذلك يقول الأفوه [من الطويل] :

أبى فارسُ الشهباء عمرو بن مالكٍ غَدَاةَ الوغى إذ مال بالجد عاثِرُ

ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان ، وقال الكلبى : وكان الأفوه من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم فى حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وتعد كلمته [من البسيط]

لنا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومهِمُ وإن بنى قَوْمُهُمْ ما أفسدُوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها ، وكان بينه وبين قوم من بنى عامر دماء ، فأدرك بثأره ، وزاد ، فأعطاهم ديات من قَتَلَ فضلا عن قتلى قومه ، فقبلوه وصالحوه فقال يفتخر عليهم [من الطويل] :

نقاتلُ أقواما فنَسبِى نساءَهُمْ ولم يَرَ ذو عِزٍّ لنسْوَتِنَا حِجْلَا
نَقُودُ ونأبى أن نُقَادَ ولا نَرَى لقوم علينا فى مكارمهم فَضْلَا

(١) للأفوه الأودى ترجمة فى شعراء النصرانية (٧٠) والشعراء لابن قتيبة (١١٠) والأغانى (١١ ـ ٤٤)

و إنا بطاء المشى عند نسائنا كما قُيِّدَتْ بالصيف نَجْدِيَّة بزلا
نظَلّ غيارى عند كلّ ستيرةٍ تقلب جيداً واضحاً وشَوًى عَبْلاَ
و إنا لَنُعطى المالَ دون دمائنا ونأبى فما نستام دُونَ دمٍ عَقْلا

وقال أبو عمرو : أغار بنو أوْدٍ وقد جَمعها الأفوهُ على بنى عامر ، فمرض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله يزيد بن الحارث الأودى ، وأقام الأفوه الأودىّ حتى أفاق من وَجَعِهِ ، وخرج يزيد بن الحارث فلقى بنى عامر وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فلما التقَوْا عرف بعضهم بعضاً ، فقالت لهم عامر : ساندونا فما أصابنا كان بيننا و بينكم ، فقالت أود وكانوا قد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتى نأخذ طائلتنا ، فقام أخو المقتول وهو رجل من كعب بن أود فقال : يا بنى أود والله لتأخُذُنَّ بطائلتى أو لأنتَحِين على سيفى ، فاقتتلت أود و بنو عامر ، فظفرت أود وأصابوا مغنما كثيرا ، فقال الأفوه فى ذلك [من الوافر] :

ألا يا لَهْفَ لو شَهِدَتْ قناتى قبائلُ عامرٍ يوْم الصليبِ (١)
غداة تجمعت كعب إلينا حلائف بين أفناء الحُرُوبِ (٢)
فلما أن رأونا فى وغاها كآسادِ العرينةِ والحجيب (٣)
تداعَوْا ثم مالوا عن ذراها كفعل الجامعات من الوجيبِ (٤)
وطارُوا كالنَّعامِ ببطن قوٍّ مزايلةً على حذر الرقيبِ (٥)

وهو القائل (من البسيط) :

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لا سراة لهم ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

---

(١) فى الأغانى « لو شدت قناتى » وفيه « يوم الصبيب » .
(٢) فى الأغانى « جلائب بين أبناء الحريب » .
(٣) هذا البيت غير مذكور فى الأغانى ولا فى شعراء النصرانية
(٤) فى الأغانى وشعراء النصرانية :
تداعوا ثم مالوا فى ذراها كفعل معانت أمن الوجيب
(٥) فى الأغانى « وطاروا كالبغام » وفيه « مواءلة على حذر » .

تهدى الأمور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد

وهو القائل [من السريع] :

والمرء ما يصلح له ليلة بالسعد تفسده ليالى النحوس

والخير لا يأتى ابتغاء به والشر لا يفنيه ضرح الشموس

وهو القائل [من الوافر] :

بلوت الناس قرناً بعد قرن فلم أر غير ذى قيل وقال

ولم أر فى الخطوب أشد هولاً وأصعب من معاداة الرجال

وذقت مرارة الأشياء طراً فما شىء أمر من السؤال

قال عبد الله بن الزبير : هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب

* * *

الاقتباس

٢٠٧- إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل

وإن تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

البيتان من السريع ، وقائلهما أبو القاسم بن الحسن الكاتبى .

ومعنى « أزمعت » أجمعت على الأمر وثبتُّ عليه ، والجرم — بالضم — الذنب ، والصبر الجميل : هو الذى لا شكوى فيه ، كما أن الصفح الجميل هو الذى لا عتب فيه ، والهجر الجميل هو الذى لا غيبة فيه

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من القرآن العظيم

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم فى وكيل بدار القاضى يدعى بالعز [من السريع]:

لا تقرب الشرع إذا لم تكن تخبره فهو دقيق جليل

وو كل العز الذى وجهه على نجاح الأمر أقوى دليل

ولا تمل عنه إلى غيره فحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أظرف قول بعضهم فى ذم وكيل اسمه كثير [من المقتضب] :

كثير شأنك عندى وعند غيرى قليل

وحق من هو حسبى ما أنت نعم الوكيل

من شواهد الاقتباس

٢٠٨ — قالَ لى إنَّ رَقيبى سَيء الخُلق فَدَارِهْ
قلتُ دَعنى وَجهكَ الجنـــةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

البيتان للصاحب بن عباد ، من الرمل .

والرقيب : الحافظ والحارس ، والمداراة : الملاطفة والمخاتلة

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من الحديث ، ولفظه : « حُفَّت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . والحفوف : الاحاطة بالشىء .

والمعنى : أن وجهك لحسنه جنة ، فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب ، كما أنه لا بد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكاليف .

وفى مثله قول بعضهم [من الطويل] :

وَلِلهِ فى عَرْضِ السموات جَنةٌ ولكنها محفوفةٌ بِالمكارِهِ

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

ووَالله لولاَ أنهُ جنـةُ المنىَ لما كانَ محفوفاً لنا بالمكارهِ

وقول ابن نُبَاتة السعدى [من مجزوء الكامل] :

عَنْ خـدِّهِ منعَ الرّقيـــبُ وَبعدَهُ دَاجى عِذَارِهْ
وَاهاً لها من جنَّة حُفَّتْ بِأنوَاعِ المكارهْ

وقول الصفى الحلى [من مجزوء الكامل] :

يا جنـة الحسن التى حُفَّتْ لدينا بالمكارهْ
إنى لِوَجهكَ عاشقٌ ولِمنظرِ الرُّقباء كَارِهْ

وقول ابن نباتة فى جارية صَوَّرت بوجهها حية وعقرياً بغالية [من الطويل] :

قتيلُكِ ما أذكى الهوى جُلَّنارهِ إلى أن تبدَّى الخدُّ فى جُلَّنارهِ
رأى حيةً فى وجنتيك وعقرباً نعمْ جنَّةٌ محفوفة بالمكارهِ

وقريب منه قول الأبله الشاعر البغـدادى ، وكان له ميل إلى بعض أولاد البغاددة ، فعبر على باب داره فوجد خلوة ، فـكتب على الباب [من السريع] :

دارُكَ يا بدرَ الدجى جنة — بغـيرها نفسى لاَ تلهُو
وقدْ رَوَى فى خـبرٍ أنهُ — أَكثر أهل الجنةِ البلهُ

ذكرت بهذا ما حكى ابنُ عَسَاكر ، عن سلمة بن عاصم ، قال : ما لقينى الأصمعى قط إلا قال : « أرجو أن تـكون من أهل الجنة » قال : فقال لى جليس له : إنما أراد أنك أبْلَه ، لأن أكثر أهل الجنة البله، قال : لا يبعد ، فقد كان ماجِناً ، انتهى

ترجمة الصاحب بن عباد

والصاحب ابن عباد [١] ، هو : إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ابن أحمد بن إدريس الطالقانى ، والطالقان : اسم لمدينتين : إحداهما بخراسان ، والأخرى : من أعمال قزوين ، وهذه هى التى منها الصاحب ، ومولده بها ، أو باصطخر ، سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وهوأول من سُمِّيَ بالصاحب من الوزراء لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبى ، فسماه الصاحب فغلب عليه ، ثم سمِيَ به كل من ولى الوزارة بعده، وقيل: سُمى به لأنه كان يصْحَبُ الوزيرا بن العميد، فقيل له: صاحب ابن العميد ، ثم خفف فقيل : الصاحب

وقال الثعالبى فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، وَجلالة شأنه فى الجود والـكرم ، وتفرده بغَايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، إلى أن قال : ولـكنى أقول: هو صَدْرُ المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وَينبوع الفضل والاحسان . وكانت حضرته محط رحال الأدباء والشعراء ، وموسم فضائلهم، ومَتْرع [٢] آمالهم ، وأمواله مصروفة إليهم،

(١) تجد للصاحب بن عباد ترجمة فى يتيمة الدهر (٣-١٨٨ بتحقيقنا) وفى تاريخ ابن خلـكان (١ - ٢٠٦ بتحقيقنا) .
(٢) فى المطبوعتين « ومنزع آمالهم » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

وصنائعه مقصورة عليهم . ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جاب إليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام ، و بدائع الافهام ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول ، وذوب العلوم ، وثمار الخواطر ، ودرر القرائح ، فبلغ فى البلاغة ما يعد فى السحر ، و يدخل فى باب الاعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتى الشرق والغرب ، واحتفّت به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يُرْبى عددهم على شعراء الرّشيد ، ولا يقصرُون عنهم فى الأخذ برقاب القوافى ، وملك رق المعانى ، فانه لم يجتمع بباب ملك ولا خليفة ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء : كأبى نوَاس وأبى العتَاهية ، والعتابى ، والنميرى ، ومسلم بن الوليد ، وأبى الشيص ، وأشجع السلمى ، ومروان بن أبى حفصة ، وغيرهم . وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والرى ، وجرجان . مثل : السلامى ، والخوارزمى ، والمأمونى ، والبديهى ، والرستمى ، والزعفرانى ، وَالضبى ، والجرجانى ، وأبى قاسم بن أبى العلاء ، وابن بابك ، وابن القاشانى ، والبديع الهمذانى ، وأبى الفرج الساوى ، وغيرهم ، ومدحه مكاتبَةً(١) الشريفُ الرضى ، وابن حجاج ، والصابى ، وابن سكرة الهاشمى ، وما أحسن قول الصاحب المتقدم فى شواهد الادماج [من الخفيف] :

إنّ خيرَ المداحِ مَنْ مدحته ... شُعراء البلاد فى كل نادى

قال : وسمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة فى حِجْرِها ، ودرج فى وَكْرِها ، ورضع أفاويق دَرِّها ، وورثها عن أبيه ، كما قال الرستمى فيه [من الكامل] :

وَرِثَ الوزارة كابراً عن كابرٍ ... مَوْصُولَةَ الاسناد بالاسناد

يروى عَنِ العباس عبّادٌ وزا ... رتَه وإسْماعيلُ عَنْ عبّادِ

(١) فى المطبوعتين «ومدحه كاتبه الشريف الرضى» وهو خطأ تصويبه عن اليتيمة .

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحبُ من الوزارة ، قال له : لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ، مالنا فيها من إرث الأمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

قال : وحدثنى عون بن الحسين الهمذانى ، قال : كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب بن عباد ، فرأيت فى دستور كاتبها ، وكان صديقى ، مبلغ عمائم الخز التى صرفت فى تلك الشتوية للعلويين والفقهاء والشعراء خاصة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين ، قال : وكان يعجبه الخز ، ويأمر بالاستكثار منه فى داره ، فنظر أبو القاسم الزعفرانى يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوّنة ، فاعتزل ناحية ، وأخذ يكتب شيئاً ، فنظر إليه الصاحبُ ، وقال : علىَّ به ، فاستمهل الزعفرانى ريثما يتم مكتوبه ، فأمر الصاحبُ بأخذ الدرج من يده ، فقام ، وقال : أيد الله مولانا الصاحب [من الرجز] :

اسمعهُ ممنْ قاله تزدَدْ به عُجْباً فحسن الورد فى أغصانه

فقال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً ، منها [من المتقارب] :

سِوَاكَ يَعُدُّ الغنى َما اقتنى وَيأمرهُ الحِرْصُ أنْ يخزنَا
وَأنتَ ابنَ عبَّادٍ المُرْتجى تَعدُّ نوالكَ نيـــلَ المُنى
وَخيرُكَ مِنْ باسِطٍ كفَّهُ وممنْ ثنــاهَا قريبُ الجَنى
غمَرْتَ الوَرى بصنُوفِ النَّدَى فأصغرُ ما ملكُوهُ الغِنى
وَغادَرْتَ أشعرَهُمْ مُفحَماً وَأشكرَهُمْ عاجزاً ألكنا
أيا مَنْ عطاياهُ تُهدِى الغنى إلى رَاحتَىْ مَنْ نأى أوْ دنَا
كَسَوْتَ المقيمينَ وَالزائرينَ كُساً لم يُخَلْ مثلها ممكنا
وَحاشيةَ الدَّارِ يمشونَ فى ضُرُوبٍ مِنَ الخزِّ إلاَّ أنَا
ولسْتُ أذكِّرُ لِى جارِياً عَلى العهدِ يحسن أنْ يُحسنَا

فقال له الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له : احملنى يا الأمير ، فأمر له بناقة وفرس و بغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت مركوباً غيرها لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة ، ودُرّاعة ، وقميص ، وسراويل ، وعمامة ، ومنديل ، ومُطْرَف ، و رداء ، وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز أعطينا كه .

قال : وحدثنى أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدى ، قال : شهدت أبا محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده [من البسيط] :

هذا فؤادُكَ نُهبى بينَ أهواءِ وذاكَ رأيكَ شُورَى بينَ آراءِ

هوَاكَ بين العيون النُّجْلِ مقتسم داء لعمرُكَ ما أبلاهُ من داءِ

لاَ تستقرُّ بِأرْضٍ أوْ تسيرَ إلى

أُخرَى بشخصٍ قريبٍ عزمهُ نائى

يوماً بحُزْوَى وَيوْماً بالعقيق وَبالعذَيب يوْماً وَيوْماً بالخليصاءِ

وَتارَةً ينتحى نجداً ، وآونةً شعبَ الغُوَيْرِ ، وَيوْماً قَصْرَ تيماءِ

قال : فرأيت الصاحب مقبلا عليهِ ، حسن الاصغاء إلى إنشاده ، حتى عجبِ الحاضرون ، فلما بلغ إلى قوله :

أدْعى بأسماء نبزا فى قبائلها كأنَّ أسماءَ أضحتْ بعضَ أسمائى

ألقيتُ شعرى وألقتْ شَعْرَهَا طرَبًا فألفَا بينَ إصباحٍ وإمساءِ

مال الصاحب عن دَسْته طربا ، حتى بلغ قوله فى المدح :

لوْ أنَّ سحبَان جاراه لأسحبهُ على خطَابته أذيالَ فأفاءِ

أرى الأقاليمَ قدْ ألقتْ مقالدَهَا إليهِ مستلقيات أىَّ إلقاء

فساَس سبعتهاَ منهُ بأرْبَعةٍ أمرٍ ونهْى وتثبيت و إمضاء

كذاكَ توحيدهُ أَلوَى بأربعة كفرٍ وجبرٍ وتشبيهٍ وإرجاء
نعم تجنبَ لا يومَ العطاء كما تجنب ابنُ عطاء لثغةَ الراء

فاستعاده وطرب للمعنى ، فلما ختمها بهذه الأبيات :

أطرِى وأطرِب للأشعار أنشدُها أحسنْ ببهجة إطرابى وإطرائى
ومنْ منائح مولاَنا مدائحه لأنَّ منْ زَندهِ قدْحى وإيرائى
فَخذْ إليكَ ابنَ عبادٍ محبرَةً لا البحترىُّ يدانيها ولاَ الطائى

قال له : أحسنت ، أحسنت ، ولله أنت ، وتناول النسخة ، وتشاغل بإعادة النظر فيها . ثم أمر له بخلعة من ملابسه ، وفرس من مراكبه ، وصلة وافرة .

قال : وحدثنى أبو الحسن محمد بن الحسن النحوى ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلىَّ أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر ، بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وما وراء النهر ، يريدنى فيها على الانحياز إلى حضرته ليلقى إلىَّ مقاليد ملكه ويَعتمدنى لوزارته ، قال : وكان فيما اعتذرت به إليه من تركى امتثال أمره ذكر طول ذيلى بكثرة حاشيتى ، وحاجتى لنقل كتبى خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلى .

وحدثنى أيضا قال : سمعتُ الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك فى رَيعان شبابى ، فلما تقَوَّضَ ذلك المجلس وانصرف القوم وقد حلَّ الافطار أنكرتُ ذلك بَينى وَبين نفسى ، وعجبتُ من إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، وعاهدتُ الله أن لا أخلَّ بما أخلَّ به إذا قمت يوماً مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً مَنْ كان فيخرج منْ داره إلا بعد الافطار ، وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من ألف نفسٍ مفطرة .

وكانت صِلاَته وصدقاته ونفقته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها فى جميع السنة

قال : وحدثنى أبو الفضل الهمذانى بديعُ الزمان ، قال : لما أدخلنى أبى إلى الصاحب و وصلت إلى مجلسه واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لى : يابنى اقعد، كم تسجد؟ كأنك هدهد! .

وكان الصاحب فى الصغر إذا أراد المضى إلى المسْجد ليَقرأ تعطيه والدته ديناراً ودرهما فى كل يوم ، وتقول له : تصدّقْ بهذا على أول فقير تلقاه ، فجعل هذا دأبَهُ فى شبابه إلى أن كبر وماتت والدته ، وَهو على هذا يَقول للفراش فى كل ليلة : اطرحْ تحتَ المطرح دينارا ودرهما ، لئلا ينساه، فبقى على هذا مدة ، ثم إن الفراش نَسى ليلة منَ الليالى أن يطرح له الدرهم والدينار، فانتبه وصلى وقَلَبَ المطرح ليأخذ الدينار والدرهم ، فما رآهما ، فتطير من ذلك ، وظن أنه قرب أجله فقَال للفرّاشين : شيلوا كل ما هنا من الفرش وأخرجوه وأعطوه لأول فقير تَلقونه حتى يكون كفارة لتأخير هذا الخير . فَلقوا فقيراً أعمى هاشميا على يد امرأة وهو يبكى ، فقَالوا له : تقَبل هذا ، فقَال : ما هُو ؟ فقَالوا : مطرح ديباج ومخادُّ ديباج ، فأغمى عليه . فأعلموا الصاحب بأمره ، فأحضره وسقَاهُ شراباً بعد مارش عليه الماء ، فلما أفاق سأله قال : اسألوا هذه المرأة إن لم تصدقونى ، فقال له : اشرح ، فقَال : أنا رجل شريف ولى ابنة من هذه المرأة خَطبها رجلٌ فزوجناه بها ، ولى سنتان آخذ القدر الذى يفضلُ منْ قوتنا أشترى لها به قطعة صفر أو صفرية ، أوما أشبه ذلك ، فلما كان البارحة قالَتْ أمها : اشتهيْتُ لها مطرح ديباج ومخاد ديباج فقلت لها: من أين لى ذلك ؟ وجرى بينى وَبينها خصومة إلى أن سألتها أن تأخذ بيدى وتخرجنى حتى أمضى على وجهى، فلما قال لى هؤلاء هذا الكلام حق لى أن يغشى علىّ ، فقَال الصاحب : لا يكون الديبَاج إلا مع ما يَليق به على بالانماطيين ، فجئ بهم فاشترى منهم الجهاز الذى يَليق بذلك المَطرح ، وأحضر زوجَ الصبية ، ودفع إليه بضاعة سنية .

قال : وحدثنى أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب بن عباد فطاولته الحديث ، فلما أردت القيام قلت : لعلى طولت ، فقال : لا ، بل تَطَوَّلْتَ

يحكى أن الصاحب استدعى فى بعض الأيام شراباً ، فأحضروا قدحاً ، فلما أراد أن يشرب به قال له بعض خواصه : لا تشرب به فانه مسموم ، وكان الغلام الذى ناوله واقفا ، فقال للمحذر : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال : تجربه فى الذى ناولك إياه ، قال : لا أستجيز ذلك ولا أستحله ، قال : فجربه فى دجاجة ، قال : التمثيل بالحيوان لا يجوز ، ورد القدح وأمر بقلبه ، وقال للغلام : انصرف عنى ولا تدخل دارى ، وأمر باقرار جاريه وجرايته عليه ، وقال : لا يدفع اليقين بالشك ، والعقوبة بقطع الرزق نذالة .

يقال : إن ابن الخطيرى أتى يوماً إليه ، فقام له ، فمر مسرعا لأجله ، فضرط ، فقال : يامولانا هذا صرير التَّخْت ، فقال : بل صفير التَّحْت ، فذهب واستحيا وانقطع ، فكتب إليه [من البسيط] :

قل للخطيرىِّ لا تَذْهَبْ على خجل ... بضَرْطَةٍ أشْبَهتْ نايا على عُودِ

فانها الريحُ لا تستطيع تُمسِكُهَا ... إذ أنت لَسْتَ سليمان بن داودِ

وكان الصاحب قد وَلَّى عبد الجبار الأسترا باذى قاضى القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوماً ولم يترجل له ، وقال : أيها الصاحب ، أريد أن أترجل للخدمة ، ولكن العلم يأبى ذلك ، وكان يكتب فى عنوان كتابه إلى الصاحب « داعيه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « وليه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « عبد الجبار بن أحمد » فقال الصاحب : نظن القاضى يؤول أمره إلى أن يكتب « الجبار »! .

وقال الصاحب يوما : ما أفظعنى إلا شاب بغدادى ورد علينا إلى أصبهان فقصدنى ، فأذنت له ، وكان عليه مرقعة ، وفى رجله نعل طاق ، فنظرت إلى حاجبى

فقال له وهو يصعد إلىّ : اخلع نعلك ، فقال : ولم ؟ لعلنى أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنى الضحك وقلت : أتراه يريد أن يصفعنى بها .

وقال بديع الزمان الهمذانى : كنت عند الصاحب ابن عباد ، فأتاه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب ، وهى [من الوافر] :

غنينا بالطُّبُولُ عن الطلول ... وعن عَنْس عُذَافرة ذَمُول
وأذهلنى عقَارى عن عقَارى ... ففى است أم القضاة مع العُذُول
فلست بتارك إيوانَ كسرَى ... لتوضِحَ أو لحَوْملَ فالدَّخُول
وضبٍّ بالفلا ساع وذئبٍ ... بها يَعْوى وليثٍ وَسْطَ غِيل
إذا ذبحوا فذلك يوم عيد ... وإن نحرُوا ففى عُرْسٍ جليل
يَسُلُّونَ السيوفَ برأس ضب ... هراشا بالغداة وبالأصيل
بأية رتبة قدَّمتمُوهَا ... على ذى الأصل والشرف الجليل
ألا لو لم يكن للفرس إلا ... نِجَار الصاحب العَدْل النَّبيل
لكان لَهُمْ بذلِكَ خيرُ عز ... وجيلُهُمُ بذلك خيرُ جيل

فلما بلغ إلى هنا قال له الصاحب : قَدْك ، ثم اشرأبَّ ينظر إلى الزوايا وأطراف القوم ، فلم يرنى ، وكنت فى زاوية من زوايا البيت ، فقال : أين أبو الفضل ؟ فوثبت وبُسْت الأرض بين يديه ، فقال : أجبه عن ثلاثتك ، قلت : وما هى ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك ، فقلت : ولا مهلة للقول إلا بما تسمع :

أرَاكَ على شفَا خطَرٍ مهُول ... بما أودَعْتَ نفسَك من فضُول
طلبت على مكارمِنا دليلاً ... متى احتَاجَ النهارُ إلى دَليل
ألَسْنَا الضاربِينَ جزًى عليهم ... فأىّ الخِزْىِ أقعدُ بالذليل
متى فرع المنابرَ فارسىّ ... متى عرف الأغرّ من الحجُول

متى عَلِقَتْ وأنت بهم زَعِيمٌ أكفُّ الفُرْس أعْرَافَ الخيولِ
فَخَرْتَ بملء ماضغتيك فخراً على قَحْطَانَ والبيت الأصيلِ
وحقك أن تُبَارينا بكسرى فمأثور ككسرى فى الرَّعيلِ
فخرت بنحو مَلْبُوس وأكلٍ وذلك فخر رَبَّاتِ الحجُولِ
تفاخرهن فى خد أسيل وفَرْعٍ من مَفَارقها رَسيلِ
فأمجَدُ من أبيك إذا أثرْنَا عراة كالليوث وكالنصُولِ

قال : فلما أجبته بهذه الأبيات نظر الصاحب بن عباد إلى الرجل فقال : كيف ترى ؟ فقال : لو سمعت به ما صدقت، قال : فاذن جائزتك إن وجدتك بعدها فى مملكتى أمرت بضرب عنقك ، ثم قال : لا تَرَوْنَ رجلا يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية يرجع إليها .

قال : وحدثنى أبو منصور اللجيمىّ قال : أهدى العميرى قاضى قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميرىّ عَبْدُ كافِى الكُفَاة وإنِ اعتَدَّ من وُجُوه القُضَاة
خَدَمَ المجلس الرفيعَ بكُتْبٍ مُفْعَمَاتٍ من حُسْنِها مُتْرَعَاتِ

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنـا منَ الجميـع كتاباً وَرَدَدْنَا لِوَقْتِهَا البَاقِيَاتِ
لست أستغنم الكثيرَ فطبْعِى قولُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِى قولُ هاتِ

قال : وكتب إليه بعض العلويين يخبره بأنه قد رزق مولوداً ، ويسأله أن يسميه ويكنيه ، فوقع فى رقعته « أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قُرَّة ، والنفس مسرة مستقرة ، فالاسم على ليعلى الله أمره ، والكنية أبو الحسن ليحسن الله ذكره ، فانى لأرجو له فضل جده ، وسعادة جده وقد بعثت ديناراً من مائة مثقال ، قاصداً فيه مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة

عام ، ويخلص خلوص الذهب الابريز من نُوَبِ الأيام ، والسلام »

وكتب إليه أبو حفصٍ الوراقُ رقعة نسختها « لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ـ تنفع المؤمنين ، وهز الصمصام يعين المصلتين ، لما ذكرت ذكراً ولا هززت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ويكد الجواد ، وحال عبد مولانا أدام الله تأييده فى الحنطة مختلفة ، وجُرْذانُ داره عنها منصرفة ، فان رأى أن يخلط عبده ، بمن أخصب رحله عنده ، فعل إن شاء الله » فوقع عليها « أحسنت أبا حفص قولا ، وسنحسن فعلا ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك فى الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى » .

قال : وسمعت أبا النصر بن عبد الجبار العتبي يقول : كتب بعض أتباع الصاحب إليه رقعة في حاجة ، فوقع فيها ، ولما وردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبى العباس الضبي ، فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع ، وهو ألف واحدة ، وكان ختام الرقعة « فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل » وأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً ، يعنى أفعل .

قال : و بلغ الصاحب أن بعض المتشاعرين انتحل شيئاً من شعره ، فكتب إليه [من المقتضب] :

سرقتَ شعرى ، وغيرى يُضَام فيه ويُخْدَعْ
فسوف أجزيك صَفْعاً يكدُّ رَأساً وأخْدَعْ
فسارقُ المال يُقْطَعْ وسارق الشعر يُصْفَعْ

قال : فاتخذ الليل جملا وهرب من الري .

وقال محمد بن المرزبان : كنا بين يدى الصاحب ليلة فنعس ، وأخذ إنسان يقرأ سورة الصافات ، فاتفق أن بعض الأجلاف من أهل ماوراء النهر نعس أيضاً

وضرط ضرطة منكرة ، فانتبه الصاحب وقال : يا أصحابنا ، نمنا على الصافات وانتبهنا على المرسلات.

وقال أيضاً : انفلتت ليلةً ضرطةٌ من بعض الحاضرين ، والصاحب في الجدل فقال على حدته : كانت بيعة أبي بكر ، خذوا فيما أنتم فيه ، يعني أنه قيل في بيعة أبي بكر رضي الله عنه إنها كانت فلتة .

ولما كان الصاحب ببغداد قصد القاضي أبا السائب عُتْبَة بن عبيد الله لقضاء حقه ، فتثاقل في القيام له ، وتحفز تحفزاً أراه به ضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بِضَبْعه وأقامه ، وقال : نعين القاضي على قضاء حقوق أصحابه ، فخجل القاضي واعتذر إليه

وحدثني غيره قال : كتب إنسان رقعة إلى الصاحب أغار فيها على رسائله ، وسرق فيها جملة من ألفاظه ، فوقع فيها « هذه بضاعتنا ردت إلينا » ووقع في رقعة استحسنها « أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون » ووقع في كتاب لبعض مخالفيه « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان قد ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه لمعاودة حضرته « ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت» ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال « التصرف لا يلتمس بالتكفف ، إن احتجنا إليك صرّفناك ، وإلا صرَفناك » وعزل الصاحب عاملا بقُمّ فكتب إليه « أيها العامل بقُم ، قد عزلناك فقم » وسأل أبا الحسين الربعي عن مسألة ، فأجاب جواباً أخطأ فيه ، فقال له : أصبت ، فقبل الأرض بين يديه شكراً ، فلما رفع رأسه ، قال : عين الخطأ ، ووقع إليه بعض منهي الأخبار أن رجلا ممن ينطوى له على غير الجميل يدخل داره في غمار الناس ثم يتلوم على استراق السمع ، فوقع « دارنا هذه خان ، يدخلها مَنْ وَفى ومن خان » .

قال : وبلغني عن القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال:

انصرفت يوما من دار الصاحب ، وذلك قبل العيد ، فجاءنى رسوله بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها [من الكامل] :

يا أيها القاضى الذى نَفْسى له مَعَ قُرْبِ عهدِ لقائه مُشْتاقه
أهْدَيْتُ عِطراً مثلَ طيبِ ثنائه فكأنما أهـدى له أخْلاَقَهْ

قال: وسمعته يقول : إن الصاحب يَقْسِم لى من إقباله وإكرامه بجرجان ، أكثر ممـا يتلقانى به فى سائر البلدان ، وقد استعفيته يوما من فَرْط تحَفِّيه بى وتواضعه لى ، فأنشدنى لنفسه [من الكامل] :

أكرِمْ أخاك بأرض مَوْلِدِهِ وأمدّه مِنْ فعْلِكَ الْحَسَنِ
فالعِـزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَس وأعَزُّه ما نيـلَ فى الْوَطَنِ

ثم قال لى : قد فرغت من هذا المعنى فى قصيدتك العينية ، فقلت : لعل مولاى يريد قولى [من الطويل] :

وشَيَّدْتُ مجدى بين قومى فلم أقل ألا لَيْتَ قومى يعلمون صَنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى « يا ليت قومى يعلمون ، بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين » .

قال : وأنشدنى أبو حنيفة الدهستانى للصاحب ما كتب به إلى أبى هاشم العلوى وقد أهدى إليه يوم أضحى عطراً فى طبق فضة [من الكامل] :

اقبَلْ من الطيب الذى أهديتهُ ما يسرقُ العـطارُ من أخْلاَقِكْ
والظرف يوجب أخذهُ مَعَ ظَرْفِهِ فَأضِفْ به طبقاً إلى أطْبَاقِكْ

قال : وبلغنى عن الصاحب أنه قال : ما استأذنت قط على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة، فأذن لى فيه ، وما أذكر أنه تبذَّل بين يدى ومازحنى إلا مرة واحدة ، فانه قال لى فى شجون الحديث : بلغنى أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال ، فأظهرت الكراهة

لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا نفرغ معه إلى الهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلةً حتى عاودتُ مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى المزاح والهزل .

قال : وسمعت أبا الحسين العلوىّ الهمذانى الوصىّ قال : لما توجهت تلقاء الرىّ فى سفارتى إليها من جهة السلطان ، فكَّرْتُ فى كلام أُلْقِى به الصاحب ، فلم يحضرنى ما أرضاه ، وحين استقبلنى فى العسكر وأفضى عنانى إلى عنانه جرى على لسانى «ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» فقال «إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون» ثم قال : مرحبًا بالرسول ابن الرسول ، والوصى ابن الوصى» .

قال : وسمعت عونًا الهمذانىّ يقول : إن الصاحب أُتى بغلام مثاقف ، فلعب فاستحسن الصاحب صورته ، وأعجب بخفته ، فقال لأصحابه : قولوا فيه شيئًا ، فلم يرضه ما قالوا ، فقال [من السريع] :

مثاقف فى غاية الحِذْقِ ... فَاقَ حِسَانَ الغَرْبِ والشَّرْقِ
شَبَّهْتُهُ والسيف فى كَفِّه ... بالبَدْرِ إذْ يَلعبُ بالبَرْقِ

قال : وسمعت سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب الماء والثلج ، ينشد فى أثره [من الرجز] :

قَعْقَعَةُ الثلج بماء عذبِ ... تستخرج الحمدَ مِنَ اقصى القلب

ثم يقول : اللهم جَدِّدِ اللعنة على من منع الحسين الماء .

وقال غيره : كان ابن عباد فصيحا مُفَوَّها ، لكنه يتقعَّر فى خطابه ، ويستعمل وَحْشِىَّ الكلام حتى فى انبساطه ، وكان يعيب التيه ويتيه ، ولا ينصف من يناظره ، وقيل : كان مشوه الصورة ، وصنف فى اللغة كتابا سماه « المحيط » فى سبع مجلدات وله كتاب «الكافى» فى الترسل ، وكتاب الأعياد ، وكتاب « الامامة» ذكر فيه فضائل على رضى الله عنه وأثبت إمامة من تقدمه ، وكان شيعيا جلدًا كآل بُوَيْه

معتزلياً وكان يقول: شاركت الطبرانى فى إسناده ،ويقال : إنه نال من البخارى وقال : هو حَشْوِىّ لا يُعَوَّل عليه ، ولما عزم على الاملاء تاب إلى الله تعالى ، واتخذ لنفسه بيتاً سماه «بيت التوبة» ولبث أسبوعا على الخير ، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته ، ثم جلس للإملاء ، وحضر خلق كثير ، يحكى أنه خرج متحنكا متطلسا بزى العلماء ، وحضر خَلْقٌ ، فكان المستملى الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف إليه ستة كلٌّ يبلغ صاحبه ، وكان ينفذ إلى بغداد فى السنة خمسة آلاف دينار تُفَرَّقُ على الفقهاء والأدباء ، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة ، ومرض فى الأهواز بالاسهال ، فكان إذا قام عن الطست ترك إلى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم ، فكانوا يودون دوام علته ، فلما عوفى تصدق بنحو خمسين ألف دينار .

وهذه غرر من فقر الصاحب تجرى مجرى الأمثال :

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب. من طالت يده بالمواهب، امتدت إليه ألسنة المطالب . من كفر النعمه ، استوجب النقمه . من نبت لحمه من الحرام ، لم يحصده غيرُ الحسام . من يكن الْحَذَّاء أباه ، جادت نعلاه . من لم تهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة . ربَّ لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال . الشمس قد تغيب وتشرق ، والروض يذبل ثم يورق . والبدر يأفَل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع . العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر . الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعه . بعض الحلم مذله ، وبعض الاستقامة مزله : كتاب المرء عنوان عقله بَلْ عيار قدره ، ولسان فضله بل ميزان علمه . إنجاز الوعد ، من دلائل المجد . واعتراض المطل ، من أمارات البخل . وتأخير الاسعاف ، من قرائن الاخلاف . لكل أمر أجل ، ولكل وقت رجل . شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر . كفران النعم ، عنوان النقم . للصدر نفثة إذا أحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج . قد يصلى البرىء بالسقيم ،

و يؤخذ البر بالأثيم . ما كل طالب حق يُعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه .

ملح وظرف من ألفاظه :

أخبرنى عن سَفْرَتك، وما حصل بها فى سُفْرتك . وجدت حرًّا يشبه قلب الصَّبِّ ، و يذيب دماغ الضَّبِّ . لا اعتراض بين الشمس والقمر ، والروض والمطر . مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير . زائرٌ وجهه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم . فِقَرٌ كما جيدت الرياض، وفصول كما تغامزت المقل المراض. ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما تنفست الأسحار . نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد . كتابك رُقْيَة السليم ، وغُرَّة العيش البهيم . عشرته ألطف من نسيم الشمال ، علىَ أديم الماء الزلال . وألصق بالقلب، من علائق الحب . شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد .

رقعة استزارة — هذا اليوم يا سيدى طارونى ، يعجبنى جوه الفاختى ، و إذ قد غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا ، فان نشطت للحضور ، شاركتنا فى السرور ، و إلا فلا إكراه ولا إجبار ، ولك متى شئت الخيار .

رقعة أخرى — غداً ياسيدى ينحسر الصيام ، وتطيب المدام ، فلا بد أن تقيم أسواق الأنس نافقة ، وتنشر أعلام السرور خافقة ، فبالفتوة فانها قسم الظرافة ، تفرض حسن الاسعاف ، ولو ران المروءة حاجة محتاج ، بادرتها ولو على جناح الرياح .

أخرى — نحن ياسيدى فى مجلس غنيٍّ إلا عنك ، شاكر إلا منك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مجامرُ الأترج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت

رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام مُنادى الطرب ، وطلعت كواكبُ الندماء ، وامتدّت سَماء الند ، فبحياتى لمـا حضَرت لنحصُل بك فى جنّة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعِقْد

أخرى — نحن وحياتك فى مجلس راحهُ ياقوت ونَوْرُه در ، ونارنجه ذهب وترجسه دينار ودرهم يحملهما زَبرجد ، وألسنَة العيـدان تخاطبُ الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لـكنا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وعباب أخـذت جدته ، فأحب أن تـكون إلينا أسرع من المَـاء فى انحداره ، والقمر فى مَدَاره

تهنئة ببنت — أهلا وسهلا بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ومبشرة بأخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون (١)

ولو كانَ النساء كمثلِ هذى لَفُضِّلت النساء على الرجالِ

فما التأنيثُ لاسم الشمس عَيباً ولاَ التذ كيرُ فخراً للهلالِ

فاذّرع ياسـيدى بها اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثـة والرجال يخـدمونها ، والذكور يعبدونهـا ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثـة ، وقد زينت بالـكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وَبها قوام الأبدان ، ومِلاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، والجنـة مؤنثة ، وَبهـا وُعِد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيتَ ، وَأطال بقاءك ما غرف النسلُ والولد ، وماَ بقى الأبد ، وَما عمّر لُبَدُ .

رقعة فى مُدَاعبة — خبر سيدى عندى وإن كتمه عنى ، واستأثر به دونى ،

---

(١) البيتان لأبى الطيب المتنبى ، وهما من الوافر

وقد عرفت خبره البارحة فى شربه وأنسه ، وغناء الضيف الطارق وعرسه ، *وكان ما كان مما لست أذكره * وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاى امتطى الأشهب ؟ فكيف وجد ظهره ، وركب الطيار ، فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف فى سعة أم مضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال فى الجملة بالكرة ، فليتفضل بتعريفى الخبر ، فلا يسعه الانكار ، ولا يغنى عنه إلا الاقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبومرة(١) كما ساعده ، فنصلى للقبلة التى صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التى خطب عليها هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، الكثير الفرسان

وله ديوان شعر ، ومن محاسنه قوله [من مجزوء الرجز] :

وشادن جماله ... تقصر عنه صفتى
أهوى لتقبيل يدى ... فقلت لا بل شفتى(٢)

وقوله [من الكامل] :

رشأ غدا وجدى عليه كردفه ... وغدا اصطبارى فى هواه كخصره
وكأن يوم وصاله من وجهه ... وكأن ليلة هجره من شعره
إن ذقت خمراً خلتها من ريقه ... أو رمت مسكا نلته من ثغره

وقوله [من السريع] :

ياخاطراً يخطر فى تيهه ... ذكرك موقوف على خاطرى
إن لم تكن أشرف من ناظرى ... عندى فلا متعت بالناظر

وقوله [من مخلع البسيط] :

قل لأبى القاسم الحسين ... يانور قلبى ونور عينى

---

(١) أبو مرة : كنية إبليس

(٢) فى الوفيات « فقلت قبل شفتى » .

البدرُ زَيْنُ السماء حُسْنًا وأنت زين لكل زينِ

وقوله [من البسيط] :

دب العذَارُ على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يَسْعَى به وَقَفَا
كأنهُ كاتبٌ عَزَّ المدادُ لهُ أراد يكْتُبُ لاما فابتدا أَلِفا

وقوله فى مليح ألثغ [من السريع] :

وشادنٍ قلتُ له ما اسمهُ فقال لى بالغَنْجِ عبَّاثُ
فصِرْتُ من لثغتهِ ألثغاً وقلت أين الكاثُ والطاث

وقوله فى حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبةٍ من عِنَبٍ من المُنَى مُتَّخَذَهْ
كأنها لؤلؤة فى وَسْطِهَا زمُرُّدَهْ

وقوله [من الطويل] :

بَعَثْنَا من النارنج ما طاب عَرْفُهُ فظل على الأغصان منه نَوَافِجُ
كُرَات من العِقْيَانِ أحكم خَرْطُهَا وأيدى الندامى حَوْلَهُنَّ صَوَالِجُ

وقوله [من السريع] :

لو فَتَقُوا قلبي رأَوْا وَسْطَهُ سَطْراً قد امتد بلا كاتبِ
حب على بن أبى طالب وحب مولاى أبى طالبِ

وقوله للقاضى أبى بشر الجرجانى [من الوافر] :

يَصُدُّ الفَضْلُ عنا أى صَدٍّ وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلتُ له جَعَلْتَ الواوَ عينًا فان الضعف أجمع فى الموده

وقوله [من مخلع البسيط] :

قولوا لاخواننا جميعا مَنْ كُلُّهم سيد مُرَزّا(١)

---

(١) «مرزا» أصله مرزأ ـ بالهمزة ـ فقلبت ألفا لانفتاح ما قبلها، والمرزأ ـ بصيغة اسم المفعول من المضعف العين ـ الكريم، والرجل من قوم مات خيارهم.

مَنْ لم يَعُدْنا إذا مَرِضنا … إنْ مَاتَ لم نَشهدِ المعزّى

أين هذه الحشمة من قول أبى الحسن اللحام الحرانى [من مجزوء الرجز] :

إنى اعتللتُ عـلةً … سقطتُ منها فى يدِى
وكانَ فى الاخوان مَنْ … لم أرَهُمْ فى العُوَّدِ
فقلتُ فِيهِمْ كلهمْ … قَوْلَ امْرِىءٍ مُقتصِدِ
أيْرُ الذى قَدْ عَادَنَا … فى استِ الذى لم يعُدِ

ومثل قول الصاحب قول الآخر [من مخلع البسيط] :

قُلْ للذى لمْ يَعُدْ سَقامى … وَقلبهُ مُشْرَبٌ حَزَازَهْ
مَنْ لم يعدْنا إذَا مَرِضنَا … إنْ مَاتَ لمْ نَشْهدِ الجَنَازَهْ

ومن قول الصاحب فى العيادة أيضاً [من البسيط] :

حقُّ العيادَةِ يَوْمٌ بعدَ يَوْمينِ … وَجلسةٌ مثْلُ رَدِّ الطَّرْفِ فى العين
لاَ تبرمنَّ مريضاً فى مُساءلة … يكفيكَ مِنْ ذاكَ تَسْآلٌ بحرفينِ

وقال الثعالبي : سمعت أبا الفتح البستى ، يقول : لم أسمع فى إنفاذ الحلوى إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حَلاَوَةُ حبكَ يا سيدِى … تُسَوِّغُ بعثى إليكَ الحلاَوَهْ

فقلت له : وأنا لم أسمع فى النثار أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنتُ أنثر ما تستحقُّ … نثرتُ عليكَ سُعُودَ الفلكْ

وللصاحب فى الهجاء والمجون [من السريع] :

قَالَ ابن مشوىّ لِغلمانهِ … وَقدْ حَشوهُ بأيور العبيدْ
لئِنْ شكرتم لأزيدنكمْ … وَإنْ كفرتمْ فعذابى شديدْ

وقال فى الغويرى [من السريع] :

إنّ الغويرىّ لهُ نكهةٌ ... بنتنها أربتْ على الكُنُفِ
يا ليتهُ كانَ بلا نكهةٍ ... أوْ ليتنى كنتُ بلاَ أنفِ

وقال فيمن زوّج أمه [من مجزوء الكامل] :

زوّجتَ أمُّكَ يا فتى ... وكسوْتنى ثوْبَ القلقْ
والحرُّ لا يهدى اللحو ... م إلى الرجال على الطبقْ

وقال [من الوافر] :

أبُو العباس قدْ أضحى فقيهاً ... يتيهُ بفقههِ فى الناس تيهَا
وذلك أنَّ لحيته أتتنى ... تناظر فقحتى فخريتُ فيها

وقال [من السريع] :

حبُّ علىّ بن أبى طالبٍ ... هوَ الذى يُهدى إلى الجنهْ
إن كانَ تفضيلى لهُ بدعةً ... فلعنــةُ اللهِ علَى السنهْ

وقال فى شهر رمضان [من الخفيف] :

قدْ تعدّوْا على الصيامِ وقالُوا ... حرُمَ الصبُّ فيهِ حسْنَ العوائدْ
كذبُوا ، فى الصيام للمرء مهما ... كان مستيقظا أتمُّ الفــوائدِ
موْقفٌ بالنهار غـيرُ مُرِيبٍ ... واجتماع بالليلَ عنـدَ المساجدِ

وقال [من الكامل] :

رَاسلتُ مَنْ أهوَاهُ أطلبُ زَوْرةً
فأجابنى : أو لستَ فِى رَمضانِ
فأجبتهُ والقلبُ يخفقُ صبوَةً ... أتصُومُ عنْ برٍّ وعنْ إحسانِ
صُمْ إنْ أرَدْتَ تحرجاً وتعففاً ... عنْ أنْ تكدَّ الصبَّ بالهجرانِ
أولا فزرْنى وَالظلام مُجَلّلٌ ... واحْسبهُ يوما مرّ من شعبانِ

وقال يرثى أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لى أودَى كثيرُ بن أحمدٍ وذلك رُزءٌ فى الأنام جليلُ

فقلتُ دعُونى والعلانيكه معاً فمثْلُ كثيرٍ فى الرجال قليلُ

وقال الثعالبى : سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : أنشدنى الصاحب لنفسه من تُنَفّه هذا البيت [من الطويل] :

لئنْ هوَ لم يكففْ عقارب صُدْغهِ

فقولوا لهُ يسمحْ بِدِرْياقِ ثغرهِ

فاستحسْنتهُ جدا ، حتى حممتُ من حسدى له عليه ، ووددتُ لو أنه بألف بيت من شعرى . قال الثعالبى : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيدالله هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية فى المذاكرة ، فقال : أتعرف من أين سَرَقَ الصاحبُ معنى البيت ؟ فقلت : لا والله ، فقال: إنما سَرقه من قول القائل، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل]

لدَغَتْ عينك قلبى إنما عينكَ عقربْ

لـكن المصةُ من ريــــقكَ دِرْياقٌ مُجرّبْ

فقلت: لله درالأمير ، لقد أوتى حظّاً كبيراً من التخصص، بمعرفة التلصص .

ومما هجى به الصاحب * وما زالت الأملاك تهجى وتمدح * قول أبى العلاء الأسدى [من البسيط]

إذا ظفرت بحيى فى مُرقّعةٍ يأوى المَساجد حراً ضره بادِى

فاعلم بِأنَّ الفتىَ المسكينَ قدْ قذفَتْ

بهِ الخطوبُ إلى لؤم ابن عبّاد

وقول السلامى [من مجزوء الرمل]

يا ابن عباد بن عبا س بن عبد الله جرها

تُنكرُ الجبر وأخرجـــت إلى العالم كرها

وقول غيره [من السريع]

صاحبنا أحوَاله عاليـــه لكنما غرفته خاليـــه
وَ إن عرفتَ السرَّ من دائهِ لم تسأل الله سوَى العافيه

والجروح قصاص ، فانه قال يهجو قاضيا [من الهزج]

لنا قاضٍ له رأس من الخفة مملوه
وفى أسْفله داء بعيدٌ منكمُ السُّوه

ذكر آخر أمره — لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وأنتابته أمراض الكبر ، وجعل ينشد قوله [من الوافر]

أناخَ الشيب ضيفاً لم أرِدهُ ولكن لا أُطيقُ لهُ مَردَا
رداء للرَّدَى فيهِ دليلٌ تردَّى مَنْ به يوماً تردَّى

ولما كنى المنجمون عن عرضه فى سنة موته بما يفيد ذلك قال [من الرجز]:

يا مالكَ الأرْواح والأجسامِ وَخالق النجوم والأحكامِ
مُدبرُ الضيـــاء والظلام لا المشترى أرجُوهُ للانعام
ولا أخاف الضرَّ منْ بَهْرَامِ وَإنما النجومُ كالأعلام
والعـــلم عند الملك العلام يا رب فاحفظنى من الأسقام
وَوقِّنى حـــوادثَ الأيامِ وَهجنةَ الأوزَارِ وَالآثامِ
هبنى لحب المصطفى المقنام وصنـــوهِ وآلهِ الكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره هذه الأبيات ، [من الطويل]

أرَى سنتى قد آذنَتْ بعَجائبِ وربىَ يكفينى جميعَ النوائبِ

وَيدفع عنى ما أخاف بِمَنِهِ ... وآمَنُ ما قَدْ خَوَّفُوا منْ عواقب
إذَا كانَ مَنْ أجْرَى الكواكبَ أمْرُهُ
مُعينى فما أخشَى صرُوفَ الكواكب
عليكَ أيا ربَّ الأنام توكلى ... فحطنى من شرِّ الخطوب الحوازب
فكم سنةٍ حذرتها فتزحزحتْ ... بخيرٍ وَإقبال وجدٍّ مصاحب
ومنْ أضمرَ اللّهُمَّ سوءاً لمهْجتى ... فرد عليه الكيدَ أخيبَ خائب
فلست أريد السوء بالناس إنما ... أريد بهم خيراً مَرِيعَ الجوانب
وأدفع عنْ أموالهمْ ونفوسهمْ ... بجدّى وجهدى باذلاً للمواهب
ومنْ لم يسعهُ ذَاكَ منى فاننى ... سأكفاه إن الله أغلبُ غالبِ

وبلغه عن بعض أصحابه شماتة، فقال [من الطويل]:

وكم شامتْ بى بعدَ موتى جاهل ... بظلم يسُلُّ السيفَ بعد وفاتى
ولوْ علمَ المسكين ما ذَا ينالهُ ... من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ولم يسعد أحدٌ بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب، فانه لما توفى أغلقَت مدينة الرى، واجتمع الناس على باب قصره، وَحضر مخدومه فخر الدولة وسائر الأمراء والقوّاد، وقد غيروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام النعش، وقعد للعزاء أياماً.

ورثاه الناس بمراث كثيرة، منها قول أبى القاسم بن أبى العلاء الأصفهانى من قصيدة [من البسيط]:

هذى نوَاعى العلا مذ متّ نادبة ... من بَعْدِ مَا نَدَبتكَ الخُرَّدُ العينُ
تبكى عليكَ العطايا والصلاتُ كما ... تبكى عليكَ الرَّعايا وَالسلاطينُ

قامَ السعاة وكانَ الخوف أقعدَهمْ واستيقظوا بعد ما مُتَّ الملاعينُ
لا يعجب الناسُ منهم إنهم انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطينُ

ومن قصيدة لأبى سعيد الرستمي [من الطويل]:

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى أخُو أَملٍ أو يستماحُ جَوَادُ
أبي الله إلا أنْ يموتَا بموْتهِ فما لهما حتى المعـــادِ معادُ

ومن قصيدة لأبي الفياض الطبرى [من الوافر]:

خليلي كيف يقبلك المقيلُ ودهركَ لا يقيلُ ولا يقيلُ
ينادِى كل يوم فى بنيه ألاهُبُّوا فقدْ جدَّ الرحيلُ
وهمْ رَجلان منتظر غفول ومبتدر إذا يدعى عَجولُ
كأن مثــال من يفنى ويبــقى رعيــل سوف يتلوه رعيــل
فهم ســفر وليس لهم ركاب وهم ركب وليس لهم قفُولُ
تدور عليهمُ كأسُ المنــايا كما دارت على الشَّرب الشَّمول
ويحــدوهم إلى الميعــاد حادٍ ولــكن ليس يَقْدُمهم دليــل
ألم تر من مضى من أولينا وغالتهم من الأيام غُولُ
قد احتالوا فما نفع الحويل وأعوَلْنَا فما نفع العويل
كذاك الدهر أحوالٌ تَزولُ وأعمال تحول ولا تؤول
لنا منهْ وإن عفنا وخفنــا رسولٌ لا يُصابُ لديه سُولُ
وقد وَضَحَ السبيلُ فما لخلق إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنه أمد قَصيرٌ ولــكن دونه أمل طويل
أرَى الاسلام أسلمه بنُوه وأسلمهم إلى وَلَهٍ يَهول
أرى شمس النهار تــكاد تخبو كــأن شعاعها طرْفٌ كليل

أرى القمر المنير بدا ضئيلا بلا نور فأضناه النحول
أرى زُهْرَ النجوم مُحَدَّقات كأن سراتها عور وحُول
أرى وجه الزمان وكل وجه به مما تكاءده فلول
أرى شم الجبال لها وَجيبٌ تكاد تذوب منه أو تزول
وهذا الجوّ أكلَفُ مقشعرّ كأنّ الجوّ من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها عقيم إذا هبت وأعذبها بليل
وللسحب الغِزَار بكل فج دموع لا يذاد بها المحول
نعى الناعى إلى الدنيا فتاها أمين الله فالدنيا ثَكول
نعى كافى الكفاة فكل عين بما تقذى العيون به كفيل

وهى طويلة يقول فى آخرها :

أأحيا بعده وأقرّ عيناً حياتى بعده هدر غلول
حياتى بعده موت وَحِيٌّ وعيشى بعده سم قتُول

ومن قصيدة الشريف الرضىّ الموسوىّ [من الكامل] :

أكذا المَنُونُ تقطرُ الأبطالا أكذا الزمانُ يُضَعْضِعُ الأجبالا(١)
أكذا تُصَاب الأسْدُ وهى مدلة تحمى الشُبُولَ وتمنع الأغيالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طَغَتْ لُججاً وأوردت الظماء زُلالاَ
يا طالب المعروف حلق نجمه حطَّ الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى كان الأنامُ على نَدَاهُ عِيَالا

ولأبى عيسى بن المنجم لما استوزر أبو العباس الضبى بعد موت الصاحب ولقب بالرئيس الجليل [من البسيط] :

والله والله لا أفلحتم أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس

(١) فى الديوان « تقنطر الأبطالا »

إن جاء منكم جليلٌ فاجلبوا جَلَبى أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسى

ومدائحه ومراثيه كثيرة يطول الشرح بذكرها

وقال ابن أبى العلاء الأصفهانىّ : رأيت فى المنام قائلا يقول لى : لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك ؟ فقلت: ألجمتنى كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ، وخفت أن أقصر وقد ظن بى الاستيفاء لها ، فقال: أجز ما أقول [من الطويل] :

ثوَى الجودُ والكافى معاً فى حُفَيرَةٍ

فقلت :

ليأنَسَ كلٌ منهما بأخيهِ

فقال :

هما اصطَحَبَا حيَّيْنِ ثم تعانَقَا

فقلت :

ضجيعينِ فى لحدٍ بباب دريه

فقال :

إذا ارْتَحَلَ الثاوُونَ عن مُسْتَقَرِّهِمْ

فقلت :

أقاما إلى يوم القيامة فيهِ

وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ، ثم نقل إلى أصبهان ودفن فى قبة تعرف بباب دريه ، قال ابن خلكان : وهى عامرة الآن ، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض ، رحمه الله وعفى عنه !

***

من شواهد الاقتباس

٢٠٩ — لئن أخطأتُ في مَدْحِيـــ ـــك ما أخطأتَ في مَنْعى(١)
لَقَدْ أنزَلْتُ حاجاتى بوادٍ غيرِ ذى زَرع

البيتان من الهزج ، وينسبان لابن الرومى، لكن رأيت فى الأغانى نسبتهما إلى إسماعيل القراطيسىّ ، ولفظه : حدّث أحمد بن بشر المرثدىّ قال : مدح إسماعيل القراطيسىّ الفضل بن الربيع ، فحرمه ، فقال فيه ، وذكر البيتين ، وذكر قبلهما بيتاً آخر ، وهو :

ألاَ قُل للذى لم يَهْــــدِهِ الله إلى نَفْعِي

ورأيت فى كتاب الدر الفريد بعد البيت الأول بيتين ، وهما :

لِسَانِى فيك مُحْتَاجٌ إلى التَّخليعِ والقَطْعِ
وأنيَــابِى وأضرَاسِى إلى التكسير والقَلْعِ

والشاهد فيهما : الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الأصلى ، فان معناه فى القرآن وادٍ لا ماء فيه ، وهنا نقله إلى جَنَاب لا خَيْرَ فيه ولا نفع

ومثله قول الخباز البلدى [من الطويل] :

ألا إن إخوانى الذين عَهِدْتهم أفاعى رمالٍ لا تُقَصِّرُ عن لَسْعى
ظَنَنْتُ بهم خيراً فلما رأيتهُمْ نَزَلْتُ بوادٍ منهُمُ غير ذى زرع

وقول الآخر [من السريع] :

جميعُ ما يفعلهُ كلفَةٌ إلا أذاهُ فَهْوَ بالطبعِ
من حل منا بفناه له حل بوادٍ غيرِ ذى زرعِ

ولمؤلفه وقد نقله إلى المدح [من مجزوء الوافر] :

عجبت لمطلبى أنّى يقابَلُ منك بالمنعِ

(١) فى الأصول « فى مدحك لما » وأثبتنا ما فى نسخ التلخيص

وما أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرْعِ

ترجمة إسماعيل القراطيسى

والقراطيسى هو إسماعيل بن معمر ، الكوفى ، مول الأشاعثة ، وكان مألفا للشعراء ، وكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده و يقصفون و يدعوا لهم القيان وغيرهن من الغلمان ، و يساعدهم، و إياهم يعنى أبو العتاهية بقوله [من مجزوء الوافر] :

لقد أمسى القراطيسىُّ رأساً فى الكساجبة

يعنى الكشاخنة .

ومن شعره [من السريع] :

ويلى على ساكن شَطّ الصَّرَاهْ مرر حُبِّه علىَّ الحياهْ

ما تنقضى من عجب فكرتى من خصلة فَرَّطَ فيها الولاه

تَرْكُ المحبينَ بلا حاكمٍ لم يقعدوا للعاشقين القضاه

يقول فيها :

وقد أتانى خبرٌ ساءنى مَقَالُهَا فى السرِّ واسَوْأتاهْ

أمثل هذا يبتغى وَصْلَنَا أما يرى ذا وجْهَهُ فى المراه

قال القراطيسى : قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت فى معنى قولى هذا شيئا ؟ فقال : نعم ، ثم أنشدنى [من السريع] :

جاريةٌ أعجبهَا حُسْنُهَا ومثلها فى الناس لم يُخْلَقِ

خبرْتُهَا أنى محِبٌّ لها فأقبلَتْ تضحكُ من منطقى

والتفتت نحو فتاة لها كالرشا الوسنان فى قَرْطَقِ

قالَتْ لها قُولى لهذا الفتى انظُرْ إلى وجهك ثم اعشَقِ

وحدّث أبو هفان عن الجماز قال : اجتمع يوما أبو نُوَاس وحُسَين الخليع

وأبو العتاهية فى الحمام ، وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع اليوم ؟ فقال القراطيسى [من مجزوء الوافر] :

ألاَ قُومُوا بأجْمَعِكُمْ إلى بَيْتِ القَرَاطِيسِى

فَقَدْ هَيَّا لنَا نُزُلاً غلامٌ فارهٌ طُوسِى

وقد هَيَّا زُجَاجَاتٍ لَنَا من أرْضِ بَلْقِيسِ

وأَلْوَاناً من الطَّيْرِ وألْوَاناً من العِيسِ

وقَيْنَاتٍ من الحُورِ كأَمْثَالِ الطَّوَاوِيسِ

فنيكوهنَّ فى ذاكم نَقُمْ فى طاعةِ ابليس

* * *

٢١٠ — قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أن يَكُونَا إنَّا إلى الله رَاجِعُونَا

من شواهد الاقتباس

البيت من مخلع البسيط ، وقائله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه ، وذكر صاحب قلائد العقيان أنه قيل فى الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وقال : شهدت، وفاته سنة سبع وخمسمائة ، وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء ابن أزرق وهو يبكى ملء عينيه ، ويقلب على ما فاته كَفَّيْه ، وينادى بأعلى صوته ، أسفاً على فوته :

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

والشاهد فيه : الاقتباس مع تغيير يسير فى التقفية

ومن الأمثلة الشعرية فى الاقتباس قول الأحوص [من الطويل] :

إذا رُمْتُ عنها سلْوَةً قال شافعٌ من الحبِّ : ميعادُ السلوِّ المقابِرُ

ستَبقى لها فى مُضْمَرِ القلبِ والحشا سَرَائرُ ود يومَ تُبْلَى السرائرُ

وقول البديع الهمذانى [من المتقارب] :

لآلِ فريغون فى المكرمات   يدٌ أولا واعتذار أخيرا
إذا ما حَلَلْتَ بمغناهُمُ   رأيتَ نَعِيماً ومُلكا كبيرا

وقول الأبيوردى [من الكامل] :

وقصائد مثل الرياض أضعتها   فى باخلٍ ضاعَتْ به الأحساب
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا الـ   ـممدوح قالوا ساحرٌ كذّابُ

وقول محمد الشجاعى [من الرمل] :

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى   فَسَواءٌ أقبلُوا أم أدْبَرُوا
بدت البغضاء من أفواههمُ   والذى يخْفُونَ منها أكثرُ

وقول القاضى منصور الهروى [من الطويل] :

ومنتقبٍ بالورد قَبّلْتُ خدّهُ   وما لفؤادى من هَوَاهُ خَلاصُ
فأعْرَضَ عنى مُغْضَباً قلت لا تَجُرْ   وقَبّلْ فهى إن الجروح قصاصُ

وقول أبى الفضل عبد الله بن محمد الحبرى [من الكامل] :

أشكو الأقارب لا يغبُّ جفاهم   يبغى أذاى صغيرُهم وكبيرُهُمْ
هُمْ يُعلنون لدَى اللقاء مَوَدّتى   والله يَعْلَمَ ما تُكِنّ صُدُورُهُمْ

وقول أبى منصور عبد الرحمن بن سعيد [من الخفيف] :

خلة الغانيات خلة سوء   فاتّقُوا الله ياأولى الألباب
وإذا ماسألتموهنّ شيئا   فاسألوهنّ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب

وقول الحكيم [من الوافر] :

سَبَقْتَ العالمين إلى المعالى   بصائب فكرة وعلوِّ هِمّهْ
ولاحَ بحكمتى نورُ الهدى فى   ليالٍ للضّلالةِ مُدْلَهِمّهْ

يريد الجاهلون ليُطفئوهُ ويأبى اللهُ إلا أن يُتمَّهْ

وقول أبي عبد الله الأبيوردي [من الوافر] :

أردْتُ زيارة الملكِ المُفَدَّى لأمْدَحَهُ وآخذ منه رِفْدَا
فَعَبَّسَ حاجباً فقرأتُ : أما مَنِ استَغْنى فأنت له تَصَدَّى

وقول الخباز البلدى [من الطويل] :

كأن يميني حين حاوَلَتْ بَسْطَهَا لتَوْديعِ إلفي والهَوَى يَذْرِفُ الدَّمْعَا
يمينُ ابن عمرانٍ وقد حاول العَصَى وقد جُعِلت تلك العصى حَيَّةً تَسْعَى
وقائلة هل تملكُ الصبرَ بعدهم فقلت لها لا والذي أخرج المرعى

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيبُ وخلّف القَلْبَا يُبْدِي الغرام ويظهر الكربا
قد قلت إذ سار السَّفينُ به والشوقُ يَنْهَبُ مُهجتي نَهْبَا
لو أن لى عزًّا أصول به لأخذت كل سفينة غصبا

وقول الأستاذ أبي محمد العبد لكانى [من المتقارب] :

إذا كنت متخذاً ضَيْعَةً فإياك والشركاء الوُجُوهَا
ودار الملوكَ فان الملوكَ إذا دخلوا قَرْيَةً أفسدوها

وقول الأمير نصر الدين أحمد الميكالى [من المقتضب] :

ياقَوْمَنا لا تُضيعُوا ذمامَ كلِّ حميمِ
ولا تخلُّوا جُحُوداً بحق خلّ قديمِ
وذكروا النفس حقاً بقولِ ربٍ رَحيمِ
إنى أخافُ عليكم عذاب يومٍ عظيمِ

وقول بعضهم يهجو بخيلا [من الهزج] :

رأى ضَيْفَكَ فى الدار وكَرْبُ الجوع يَغْشاهُ
على خبزك مكتوباً سَيَكفيكهمُ الله

وقول محمد بن نصر الباخرزى [من الخفيف] :

وفتاة ألبَسْتُها من ثيابى مَلْبَساً فيه نزْهَةٌ ونَعيمُ
غَدَرَتْ بى وغادرتنى وحيداً إن رَبِّى بكيدهن عليمُ

وقول المطوعى [من السريع]:

انظر إلى وجه صديق لَنَا كَيْفَ محا الشَّوْكُ بهِ النَّقْشَا
قد كتب الدهر على خده بالشَّعْر (والليل إذا يغشى)

وقول الأديب شهاب الدين أحمد الأمشاطى [من الوافر] :

وفَتّاكِ اللواحظِ بعْدَ هَجْرٍ حَبَا كَرَماً وأنْعَمَ بالمَزارِ
وظلَّ نهارَهُ يرمى بقلبي سِهَاماً من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمُقْلَتيهِ وحكم النوم فى الأجفان سارى
تبارَكَ من توَفَّا كم بليلٍ ويعلم ما جرحتمْ بالنهارِ

وقول شيخ شيوخ حماة [من البسيط] :

يا نَظْرَةً ما جَلت لى حُسْنَ طلعته حتى انقَضَتْ وأدامتنى على وَجَلِ
عاتبْتُ إنسان عينى فى تَسَرُّعِهِ فقال لى (خلق الانسان من عَجَلِ)

وقوله أيضاً [من السريع] :

أدْمَعَتْ عينى فمن أجْلِ ذا بكى على حالىَ مَنْ لا بَكَى
أوْقَعَنى إنسانها فى الهَوَى (يا أيها الانسان ما غرَّكا)

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

وأغْيَدَ حارت فى القلوب لحاظه وأسهرَتِ الأجفانَ أجفانهُ الوَسْنَى

أجِلْ نظراً فِى حاجبيهِ وَطرْفهِ
تَرَى السحرَ منهُ قَابَ قَوسين أوْ أدْنَى

وقول ابن قرناص [من مجزوء الكامل]:

إنَّ الذينَ ترَحلوا نزلوا بعينٍ ساهرَهْ
أسكَنتهُم فى مقلتى فاذَا همُ بالساهرَهْ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرمل] :

رب فَلاَّح مليح قال يا أهل الفتوَّه
كفلى أضعفَ خَصرى فأعينُونى بقوَّه

وقول الحافظ العلامة ابن حجر العسقلانْى [من الكامل] :

خَاضَ العوَاذِلُ فِى حَديثِ مَدَامعى
لمـا جرَى كالبَحرِ سرعةَ سَيرهِ
فَحَبستُهُ لأصُونَ سِرَّ هوَاكُمُ
حَتَّى يخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيرِه

وقد سبق إلى هذا الاقتباس ، الفقيه الواعظ إبراهيم بن سعيد البردشيرى بقوله [من الكامل] :

خالِلْ إذَا خاللتَ خلا خَيِّراً وَبِهِ تمسك تقتبس من خيرهِ
واهْجر أناساً مهْجِرِين أولى جفاً فالهجْرُ سامعه دريئة ضيره
وَإذَا رَأيتهم فأعرضْ عنهُمُ حتى يخوضوا فى حديث غيرهِ

وما أحسن قول بعضهم وأصدقه [من الكامل] :

أما السماحُ فقد مضى وقد انقضى فَتَسَلَّ عنهُ ولاَ تَسَلْ عَنْ خيرهِ
واسكتْ إذا خاض الوَرَى فى ذكره حتى يخوضوا فى حَدِيث غيرهِ

وقول الآخر [من المتقارب] :

دخلتُ على كافرٍ دارَهُ وأشجارُ بُستانِه زاهرَهْ

وقد وافقَ الزهرُ نقشَ البساطِ فعينى لما أبصرَتْ حائرهْ

جنانٌ تُزَخْرَفُ للكافرينَ ونحن نُحالُ على الآخرهْ

فان يكُ فى الحشرِ حالى كذا فتلك إذاً كرَّةٌ خاسِرَهْ

وأحسن ابن سناء الملك فى بعض مطالعه بقوله [من الكامل] :

رَحلوا فلست مسائلا عن دارهم أنا باخعٌ نفسى على آثارهم

وما ألطف قول ابن عبد الظاهر فى معشوقه نسيم [من الكامل] :

إن كانت العشاقُ فى أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولاَ

فأنا الذى أتلو عليهم ليتنى كنتُ اتخذتُ معَ الرسول سبيلاَ

وقول المعمار [من مخلع البسيط] :

ابنُ الجمالىّ مات حقّا برّح بى موته وآذَى

وَرحتُ أقرا عليهِ جهراً ياليتنى مِتٌّ قبل هذا

ومن أفحش السخف وأقبحه إدراج المفحشين من الشعراء الآيات الشريفة فى أشعارهم على طريق المجون والسخف ، كقول القائل [من السريع] :

أوحى إلى عشاقه طرْفُهُ هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعدونْ

وردفُه ينطق من خلفه لمثل ذا فليعمل العاملون

وكقول أبى نواس [من مجزوء الرمل] :

خط فى الأرداف سطرٌ فى عروض الشعر موزون

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقول ابن العفيف التلمسانى [من مجزوء الرجز] :

يَا عَاشقِينَ حَاذِرُوا مبْتسماً عَنْ ثغرِهِ
فطرْفُهُ الساحرُ مُذْ شَككتم فِى أمْرِهِ
يُرِيدُ أنْ يخرجكم مِنْ أرْضكمْ بِسحرِهِ

والتهاون فى مثل ذلك يجرُّ إلى الانسلال من الدين ، والعياذ بالله تعالى .

ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح القاضى الفاضل [من الخفيف] :

قمتُ ليلَ الصدُودِ إلا قليلاَ ثمَّ رتلتُ ذكركم ترْتيلاَ
ووصلتُ السهادَ أقبحَ وصلٍ وهَجَرْتُ الرقادَ هجراً جميلاَ
مَسمعٌ مَلَّ من سماعِ عَذُولٍ حينَ ألقى عليهِ قوْلاً ثقيلاَ
وَفؤادٍ قدْ كانَ بينَ ضلوعٍ أخذَتهُ الأحبابُ أخذاً وَبيلاَ
قُلْ لِرَاقى الجفون إنَّ لعينى فى بحار الدموع سبْحاً طويلاَ
ماس عُجباً كأنه ما رأى غُصْـــناً طليحاً ولا كَثيباً مهيلاَ
وَحمى عنْ محبهِ كأسَ رِيقٍ حينَ أمسى مزاجها زنجبيلاَ
بَانَ عنى فصحتُ فى أثر العيـــس ارْحمونى وأمهلونى قليلاَ
أنا عبدٌ للفاضل بن علىّ قَدْ تبتَّلْتُ بالثنا تبتيلاَ
لا تَسُمْهُ وَعداً بغير نَوَالٍ إنهُ كانَ وَعدُهُ مفعُولاَ
جلَّ عنْ سائِرِ الخلائق قدْراً فاخترعنا فى مدحه التنزيلاَ

نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط إغراقه ، فان مذهبه فى ذلك مشهور .

ومنه قول البهاء زُهير [من الخفيف]:

وسقانى من رِيقهِ البَارِدِ العذْ بِ كُؤوساً حوَتْ شرَاباً طهُورَا

بقوارير فضةٍ من ثنايا قدَّروها بلؤلؤ تقديرا
وغيوم مثل الجمان فما تنظر فيها شمساً ولا زمهريرا
نصب روض وشي النسيم عليه فانبرى سعيه به مشكورا
أيها الحاسد المفنّد إمّا إن تكن شاكراً وإمّا كفورا
كيف تجفو التي يطير بها الهمّ وإن كان شرّه مستطيرا

وهذا النوع محظور ، وقد تجاوز فيه بعض العلماء ، وتجنّبه أولى بالأدب .

ومن الاقتباس من الحديث قول الصاحب بن عباد [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له سحابا من الهجران مقبلةً إلينا
وقد سحّت عزاليها بهطلٍ حوالينا الصدود ولا علينا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي [من السريع] :

ومنكرٍ قتل شهيد الهوى ووجهه ينبىء عن حاله
اللون لون الدم من خده والريح ريح المسك من خاله

وقول أبي جعفر الأندلسي الغرناطي [من الرمل] :

لا تعادِ الناس في أوطانهم قلّما يرعى غريب الوطن
وإذا ما شئت عيشاً بينهم خالق الناس بخلقٍ حسن

وقول أبي الحسن الباخرزي صاحب دمية القصر [من البسيط] :

ياحادي العيس رفقاً بالقوارير وقف فليس بعارٍ وقفة العير
واحلب ما في عين طالما قطرت حمر الدموع على البيض المقاصير

اقتبسه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشة ، وكان يحدو بالإبل التي عليها نساء النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « يا أنجشة رويدك

بسوقك بالقوارير » شبه النساء بها لضعف عزائمهن ، وقلة دوامهن على العهد ، لأن القوارير يسرع إليها الانكسار ولا تقبل الجبر .

ومن الاقتباس فى صناعة الحديث قول ابن جابر [من الطويل] :

أرادتْ على دعوى المحبة شاهداً فقلتُ لها هذِى دُمُوعى فاسألى
فقالتْ لها جُرْحٌ بخدكَ بيِّنٌ فتلكَ شهودٌ عندنا لم تعدَّلِ
وإنَّ حديثَ الدمع عندِى مُرْسَلٌ وليسَ علىَ ما أرْسلوا منْ مُعوَّلِ
فياً عجباً منْ حسنها وَهوَ مالكٌ ومُرْسَلُ دَمعى عندَهُ غير مُعملِ

ومن الاقتباس فى علم الخلاف ، قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

عرَضُ الحبِّ دُونَ جوهرِ ذَاكَ الثغر منْ أعظمِ المحالِ لجُودِى
أجمعَ الناظرُونَ فِى ذَاكَ أنْ لا عرَضٌ دُونَ جوْهرٍ فى الوُجُودِ

وقوله أيضاً فى الاقتباس من الأصول [من الخفيف] :

جئتها طالبـاً لسالفِ وَعدِ فأجابَتْ لَقَدْ جهلتَ الطريقهْ
إنما مَوْعدِى مجاز ! فقلت : الأصل فى سائر الكلام الحقيقهْ

ومن الاقتباس فى الفقه قول المتنبى [من الطويل] :

بَليتُ بِلى الأطلال إنْ لمْ أقفْ بِهاَ
وُقوفَ شَحيح ضَاعَ فى التربِ خاتمُهْ
فَفِى تَغْرَمِ الأولى مِنَ اللحظِ مُهْجتى
بِثانيــــةٍ وَالمتلفُ الشىء غَارِمُهْ

وقول بعضهم أيضا [من الوافر] :

أقولُ لِشادِنٍ فى الحسن أضحَى يصيدُ بِلحظه قلبَ الكمىِّ

ملكتَ الحسْنَ أجْمعَ في نصابٍ فأدِّ زكاةَ منْظركَ البهيِّ (١)
فقَالَ أبُو حنيفةَ لِي إمامٌ يرَى أن لا زكاةَ على الصبيِّ
فإنْ تكُ مالكيَّ الرأي أوْ مَنْ يرَى رَأيَ الإمام الشافعيِّ
فلاَ تكُ طالباً مِنى زكاةً فإخْرَاجُ الزكاة على الوَصِىِّ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

طلبْتُ زكاةَ الحسْن منها فجاوَبتْ إليكَ فهذَا ليْسَ تُدْركهُ منِّى
علىَّ ديُونٌ للعيون فلاَ ترُمْ زكاةً فانَّ الدَّينَ يُسقطهَا عنىِّ

وقول القاضى عبد الوهاب المالكى [من السريع] :

يزْرَعُ وَرْداً ناضراً ناظرى فِي وَجنةٍ كالقمَرِ الطالعِ
فلم حرَمتمْ شفتى قطفَهُ والحكمُ أنَّ الزرع للزارعِ

وقوله أيضا [من الطويل] :

وَنائمةٍ قبلّتها فتنبهَتْ وقالَتْ تعالوْا فاطلبُوا اللصَّ بالحدِّ
فقلتُ لها إنِّى فدَيتكِ غاصبٌ وما حكمُوا فى غاصب بسوَى الرَّدِّ
خذيها وكُفِّى عَنْ أثيم ظُلاَمة وَإن أنتِ لم ترضَىْ فألف على عدِّ
فقالتْ قصاصٌ يشهدُ العقلُ أنه على كبدِ الجانى ألذُّ من الشهدِ
فباتتْ يمينى وهى هميانُ خصرها وَباتتْ يسارى وهى واسطةُ العقدِ
فقالتْ ألم أُخبَرْ بأنكَ زاهدٌ فقلْتُ بلى مازلتُ أزهد فى الزهدِ

وقول صدر الدين ابن الوكيل [من البسيط] :

---

(١) حفظى أن بين هذا البيت والذى بعده بيتا آخر ، وهو قوله :
وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهي

يا سيدى إنْ جرى مِنْ مَدْمعي وَدَمي
للعين والقلب مسفوحٌ ومسفوكُ
لا تخشَ مِنْ قَوَدٍ يُقتَصُّ منكَ بهِ
فالعينُ جاريةٌ والقلبُ مملوكُ

وقول الصاحب بن عباد [من الكامل]:

ومُهَفهفٍ يُغنى عن القمرِ قَمَرَ الفؤاد بفاترِ النظرِ
خالسته تفاحَ وَجنتهِ منْ غيرِ إبقاءٍ ولا حذرِ
فأخافنى قومٌ فقلتُ لهمْ لاقطعَ فى ثمرٍ ولاَ كثرِ

وقول أبى الفتح البكتمرى [من الكامل]:

ردُّوا الهدوَّ كما عهدْتُ إلى الحَشاَ والمقلتين إلى الكرَى ثم اهجرُوا
من بعدِ ملكى رُمْتُمُ أنْ تغدرُوا ماَ بعدَ فرْقة بيِّعَيْنَ تَخيُّرُ

ومن الاقتباس فى علم المنطق قول ابن العفيف [من المنسرح]:

للمنطقيِّين أشتكى أبداً عينَ رَقيبى فليتهُ هجعاَ
حاذَرَهاَ مَنْ أُحبهُ فأبىَ أن نختلى ساعةً وَنجتمعاَ
كيفَ غدَتْ دائماً وما اتصلَتْ مانعةَ الجمعِ والخلو معاَ

وقول ابن جابر الأندلسى [من المنسرح]:

مُقدماتُ الرَّقيبِ كيفَ غدَتْ عندَ لقاء الحبيبِ مُتصلهْ
تمنعنا الجمعَ والخلُوَّ معاً وَإنما ذَاكَ حكمُ مُنفصلهْ

وقوله أيضا [من الطويل]:

قياسُ غرامى صادقٌ معَ أنهُ تركَّبَ منْ تلكَ العيون السوالبِ
وقدْ حكموا أنَّ السوَالبَ كلما تركبَ منها لا يُرَى غيرُ كاذبِ

وقول نجم الدين الدارميني [من الكامل] :

لاَ تخطبَنَّ سِوى كريمة معشرٍ فالعرقُ دسَّاسٌ منَ الطرفينِ

أولستَ تنظرُ فى النتيجةِ أنها تبعُ الأخسِّ منَ المقدمتينِ

ومن الاقتباس فى علم النحو قول المتنبى [من الطويل] :

إذا كانَ ما تنويهِ فعلاً مُضَارِعاً مضىَ قبلَ أنْ تلقى عليهِ الجوازمُ

وقول نجم الدين القحفارى الحنفى [من السريع] :

أضمرْتُ فى القلبِ هوَىً شادِنٍ مشتغلٍ فى النحوِ لاَ يُنْصِفُ

وصفتُ ما أضمَرْتُ يوماً لهُ فقَالَ لى المضمرُ لاَ يُوصَفُ

وقول أبى إسحاق الأندلسى الاشبيلى [من الخفيف] :

ليتنى نلتُ منهُ وصلا وأجلتْ ليلةُ الوصلِ عنْ صباحِ المَنُونِ

وقرَأنا بابَ العناقِ مُضافاً وحذفنا الرَّقيبَ كالتنوينِ

وقول ابن مَمَّاتى [من السريع] :

وَأهيفٍ أحْدَثَ لى نَحْوُهُ تعجباً يُعربُ عنْ ظرْفهِ

علامةُ التأنيثِ فى لحظهِ وأحرُفُ العلةِ فى طرْفهِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالَتْ وقد حاولتُ نيلَ وصالها منْ غيرِ شىء لاَ تجوزُ المسألهْ

باللهِ قُلْ لى أيْنَ نحوكَ يافتىَ أرَأيتَ موصُولاً يجىء بلا صِلهْ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدَّتْ بغيرِ ضرُورةٍ وَلقبلُ مَرفتى بها مقصورَه

إنَّ الخليل و إنْ دَعته ضرُورة لمْ يرْضَ ذَكَ فكيفَ دُونَ ضرُورَه

وقول أبى جعفر الأندلسى [من الكامل] :

قد كان لى أُنسٌ بطيبِ حديثكم والآنَ صارَ حديثكم برسُولِ

ولقدْ مَدَدتَ منَ النوَى مقصورَهُ إنَّ الخليلَ يراهُ غيرَ جميل

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدّتْ وأنتَ خليلنا ولقبلِ قد قصُرَتْ برغم الكاشحِ

أتبعتَ فِى ذَا مَذهَباً لا يُرتضَى نقداً وليسَ الرّأيُ فيه بصالحِ

وقال محاسن الشواء [من المتقارب] :

أرَى الصفعَ وَرّدَ منهُ القذَالاَ وأوسعَ فِى أخدَعيه المجاَلاَ

وأسلاه عَنْ حب ذاتِ اللمَى وإنْ هِىَ راقَتْ وَفاقَتْ جماَلاَ

لئنْ كانَ قدْ حالَ ما بينهُ وبينَ الحبيبة صفعٌ توَالَى

فقد يحدثُ الظرْفُ بينَ المضاف وَبينَ المضاف إليه انفصالاَ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرجز] :

وأغيدٍ يسألنى ما المبتدَا والخبرُ

مَثّلهما لى مُسْرعاً فقلتُ : أنتَ القمرُ

وقول ابن أبى الأصبع [من الطويل] :

أيا قمراً من حُسْنِ وجنته لنا وظل عِذَارَيْهِ الضُّحَى والأصائلُ

جعَلْتُكَ بالتمييز نَصْباً لناظرى فهلاَّ رفعْتَ الهجرَ والهجرُ فاعلُ

ومن الاقتباس فى علم العروض قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إن صدَّ عنى فانى لا أعاتِبهُ فما التنافرُ فى الغزْلان تنقيصُ

شوقى مَدِيدٌ وحبى كاملٌ أبداً لأجل ذلك قلبى فيه موْقُوصُ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

سَبَبٌ خَفيفٌ خَصْرُها ووراءها مِنْ رِدْفهَا سببٌ ثقيلٌ ظاهرُ

لم يجمعِ النوْعانِ فى تركيبها إلا لأن الحسنَ فيها وافرُ

ومن الاقتباس فى علم الحساب قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

قُسِمَ القلب فى الغرام بلحظ يَضْرِبُ القلبَ حين يُرسل نَبْهَهْ
هـنه فى هَوَاه يا قومِ حالى ضاعَ قلبى ما بين ضَرْب وقِسْمَهْ

ومن الاقتباس فى علم الخط قول بعضهم [من الوافر] :

بوَجه معذِّبى آياتُ حُسْنٍ فقلْ ما شئتَ فيه ولا تُحَاشِى
فنسْخَةُ وَجهِهِ قُرِئت فصَحَّتْ وها خط الكمال على الحواشى

وهذا القدر كاف فى الاقتباس ، إن شاء الله تعالى .

* * *

٢١١ — على أنّى سأنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِى أضَاعُونِى وَأىّ فَتًى أضَاعُوا

شاهد التضمين

البيت للحريرىّ ، من قصيدة من الوافر ، أوّلها :

لَحَاكَ الله هل مِثْلِى يُبَاعُ لكيْما تَشْبَعَ الكَرِشُ الجِيَاعُ
وهَلْ فى شِرْعة الانصاف أنّى أكَلَّفُ خُطَّةً لا تُسْتَطاع
وأن أبْلَى برَوْعٍ بعد رَوْعٍ ومثلى حين يُبْلَى لا يُرَاعُ
أمّا جرَّبتنى فخَبَرْتَ منى نَصَائح لم يُمَازجْهَا خِدَاع
وكم أرْصدْتَنى شَرَكاً لصَيْدٍ فَعُدْت وفى حَبَائلىَ السِّبَاع
ونُطْتَ بىَ المصاعِبَ فاستقادت مُطَاوعةً وكان بها امتناعُ
وأى كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكنْ لى فيه باعُ
وما أبْدَت لىَ الأيامُ جُرْما فيكشف عن مُصَارمتى القناعُ
ولم تَعْثُر بحمد الله منى على عيبٍ يكتمُ أو يُذَاعُ
فأنّى ساغ عندَكَ نَبْذُ عهدى كما نُبِذَت برايتها الصَّنَاعُ
ولِمْ سمحَتْ قرونُكَ بامتهانى وأن أشْرَى كما يشرَى المتاعُ

وهلا صُنْتَ عِرْضِى عنه صَوْنى حديثك حين جَدَّ بنا الوداعُ
وقلتَ لمن يساومُ فىَّ : هذا سكاب فلا يُعارُ ولا يُباعُ(١)
فما أنا دون ذاكَ الطِّرْفِ لكن طِباعُكَ فوقها تلكَ الطِّباعُ

و بعده البيت

والشاهد فيه : التضمين ، وهو أن يُضَمِّن الشاعر شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، و إن كان مشهوراً فلا حاجة إلى التنبيه ، فالمصراع الثانى من البيت للعَرْجى من أبيات قالها فى حَبْسِهِ ، وهى [من الوافر] :

أضاعونِى وأىَّ فتىً أضاعوا ليوم كَرِيهَةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وصَبْرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنَايا وقد شَرَعَتْ أسنَّتُها بنَحْرِى
أجَرَّرُ فى المجامع كل يومٍ فيا للهِ مظلمتى وصبرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتى فى آل عمرو

والكريهة : من أسماء الحرب ، وسداد الثغر هو بكسر السين فقط .

وقد ضمنه النميرى الغرناطى فقال [من الوافر] :

له شَفَةٌ أضاعوا النَّشْرَ منها بلثم حين سَدَّتْ ثَغْرَ بَدْرِى
فما أشهىَ لقلبى ما أضاعوا ليوْم كريهة وسداد ثغر

ومن لطيف ما يذكر هنا أن رجلا قدم ابنه إلى القاضى ليحجر عليه ،

---

(١) يشير بهذا إلى قول شاعر أراد أحد الأمراء أن يأخذ فرسا له اسمها سكاب :

أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها ومنعكها بشىء يستطاع

وابن أبى الأصبع سمى هذا النوع إيداعاً، وفرق بينه و بين التضمين فقال الابن : كيف تحجر على وأنا أحفظ القرآن ؟ فقال الأب : أصلحك الله ! إن كان يحفظ آية من كتاب الله فلا تحجر عليه، فقال له القاضى : اقرأ، فقال [من الوافر] :

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال الأب: أصلحك الله ! إن قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه، فحجر عليهما معا.

وقد تقدمت ترجمة كل من الحريرى والعرجى فى هذا الفن الثالث ولله الحمد.

* * *

من شواهد التضمين

٢١٢- إذا الوَهمُ أبدَى لى لَماها وثَغرَها تَذَكَّرتُ ما بينَ العُذَيبِ وبَارِقِ
وَيُذكِرُنى مِن قَدّها ومَدامِعى مَجَرَّ عَوالِينا وَمَجْرَى السَّوابِقِ

البيتان لابن أبى الأصبع، من الطويل

والعذيب : ماء من مياه العرب، و بارق : من ديارتها

والشاهد فيهما : التضمين ، فان المصراعين الأخيرين منهما مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة ، و يذكر وقعته ببنى عقيل، فنقلهما ابن أبى الأصبع من الحماسة إلى الغَزَل،

والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

أعِزْ مقلتى إن كنت خير مُوافِقِ دُموعاً لتبكى فَقَدْ حِبِّ مفَارِقِ
فقد نَضَبَتْ يومَ الوداع مَدَامعى وشابت لتشتيت الفراق مفَارِقِى

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله [من الطويل] :

إذا ما سقانى ريقَهُ وَهوَ باسمٌ تذكرت ما بين العذيب و بارق

والاستعانة والعنوان بأن التضمين يقع فى النظم والنثر ، ولا يكون إلا بالنثر ، ويكون من المحاسن والعيوب ، لكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع فى النظم بالنظم ، وأما الايداع والاستعانة — وإن وقعا معا فى النظم والنثر — فلا يكونان إلا بالنظم ، دون النثر ، وأما العنوان فانه يقع فى النظم والنثر ، ولا يقع بالنثر ، ولا يكون إلا من المحاسن دون العيوب ، فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمى إيداعا لا تضمينا .

وحيث ذكرنا الاستعانة والعنوان فلا بأس بذكر شيء من شواهدهما ، تتميما للفائدة ، ثم نرجع إلى ما نحن بصدده

الاستعانة وأمثلتها

فالاستعانة : أن يستعين الشاعر ببيت لغيره فى شعره ، بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به ، بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته ، وخصوصاً أبيات التوطئة ، وكذلك الناثر ، إلا أن يكون البيت لنفسه ، فيسمى تشهيراً

فمن أمثلة الاستعانة فى الشعر قول الحارثى [من الطويل] :

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبَادِرٌ ... وقد شَرِقَتْ بالماء منها المَحَاجِرُ
وقد أبصرَتْ نَعْمَانَ من بَعدِ أُنسِهَا ... بنا وهى منا مُوحشات دَوَاثِرُ
(كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامِرُ)
فقلت لها والقلب منى كأنما ... يُقَلِّبُه بين الجوانحِ طائرُ
(بلى ، نحنُ كنَّا أهلَهَا فأبادنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ)

فاستعان ببيتى خرقة بنت تبع [1] .

وقول ابن أبى الأصبع يهجو يهوديا طبيبا [من الطويل] :

رأيتُ أبا الخير اليهوديَّ ماسكاً ... بقارُورة كالوَرْسِ رَاق حليبُهَا
وقد رشَّ منها فوق صفْحَةِ خدِّه ... وقال لقد أحيا فؤادى طِيبُهَا
فقلت له : ما هذه ؟ قال : بَوْلَةٌ ... لأسْوَدَ يشفى الداء منى قَضِيبُهَا

---

(١) المشهور ان البيتين لمضاض بن عمرو الجرهمى

قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هوَى كل نفسٍ أين حل حبيبها

قال ابن أبى الأصبع : ولا يضر تصحيف الحرف وتحريفه من الكلام المتقدم ليدخل فى معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة، كما فعلت ببيت من الحماسة حين قلت [من الطويل] :

إذا ما خليلٌ صدّ عنك ملالةً وأصبحَ من بعد الوفا وهوَ غادرُ

فلا تحتفلْ واستغنِ بالله إنه على أن ترَى عنه غنيًّا لقادرُ

وهبْه كشىء لم يكن أو كنازح به الدارُ أو منْ غيّبتْهُ المقابرُ

فإن هذا البيت كان نسيبا وكان أوله « فهبها » فحرفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل فى معناى .

قلت : تقدم ذكر هذا البيت فى شواهد التقسيم ، وأنه لعمر بن أبى ربيعة المخزومى .

العنوان وأمثلته

وأما العنوان فهو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك ، ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة أو قصص سالفة كقول أبى نواس [من البسيط] :

يا هاشمُ بنَ خديجٍ ليسَ فخركمُ بقتلِ صهرِ رسولِ الله بالسَّدَدِ

أدرجتم فى إهاب العير جثتَهُ لبئس ما قدّمت أيديكمُ لِغَدِ

إنْ تقتلوا ابنَ أبى بكرٍ فقد قتلتْ حُجْراً بدارة مَلْحوب بنو أسدِ

وقد أصابَ شراحيلا أبو حَنَشٍ يَوْم الكُلاَبَ فما دافعتمُ بيَدِ

ويومَ قلتم لعَمْرٍو وهو يقتلكم قَتْلَ الكلاب لقد أبرحتَ بالولد

ويَوْم كِنْدِيّة قالت لجارَتِها والدمع ينهلّ من مَثْنَى ومن وَحَدِ

ألهى امرأَ القَيْسِ تشبيبٌ بغانيةٍ عن ثأرِهِ وصفاتُ النؤى والوَتِدِ

فاشتملت هذه الأبيات على عدة عنوانات ، منها قصة قتل محمد بن أبى بكر

الصديق رضى الله عنهما ! وقتل حجر أبى أمرىء القيس [١] وقتل عمرو بن هند كندة فى ضمن هجاء من أراد هجاءه ومعيرة المهجو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم .

ومثل ذلك قول أبى تمام لأحمد بن أبى دؤاد [من الوافر] :

تَذَبَّبْتُ ، إن قولا كان زوراً أتى النعمان قَبْلَكَ فى زيادِ

فأرَّث بين حى بنى جلاح لَظَى حَرْب وحى بنى مصادِ

وغادرَ فى صُدُور الدهرِ قتلى بنى بدر على ذات الأصادِ

فأتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان ، وما جرى فى ذلك من السعى للحروب التى انطوت عليها قطعة من أيام العرب .

وهذا القدر كاف فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول :

عود إلى التضمين

ثم التضمين تارة يكون ببيت فما فوقه ، أو بمصراع فما دونه ، فمن إنشادات ابن المعتز فيه [من السريع] :

عَوَّذَ لما بتُّ ضيفاً لهُ أقراصَهُ منى بياسينِ

وعَوَّذَ الماء بسُمْرِ القنا وبالأفاعى والثعابين

فبت والأرض فراشى وقد غنت قفا نبك مَصَارينى

والأحسن فى هذا النوع صرفه عن معناه الأول ، فمن ذلك قول أبى الحسن حازم فى تضمين قصيدة امرىء القيس وقد صرف معانيها إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

لعينيك قُلْ إن زرْتَ أفضل مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

---

(١) فى المطبوعتين « وقتل حجر بن امرىء القيس » وارجع إلى شرح الشاهد الأول من شواهد هذا الكتاب

وفى طيبة فانزل ولا تغش منزلا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

ومن أبدع ماله فيها :

نبى هدى قد قال للكفر نوره (ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى)
تلا سوراً ما قولها بمعارض (إذا هى نصته ولا بمعطل)
لقد نزلت فى الأرض حلة هديه (نزول اليمانى ذى العباب المخول)
أتت مغرباً من مشرق وتعرضت (تعرض أثناء الوشاح المفصل)
ففازت بلاد الشرق من زينة بها (بشق وشق عندنا لم يحول)

وقد تلاعب الشعراء بتضمين هذه القصيدة ، فمن ذلك قول أبى منصور العبدونى :

أكتاب ديوان الرسائل مالكم تحملتم بل مسّتم بالتحمل
وأرزاقكم لا تستبين رسومها (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
إذا ماشكا الافلاس والضر بعضكم (تقولون لا تهلك أسى وتجمل)
خلقتم على باب الأمير كأنكم (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومما كتب به الصلاح الصفدى إلى ابن نباتة :

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى (كجلمود صخر حطه السيل من عل)
وترمى على طول المدى متجنبا (بسهميك فى أعشار قلب مقتل)
فأمسى بليل طال جنح ظلامه (على بأنواع الهموم ليبتلى)
وأغدو كأن القلب من وقدة الجوى (إذا جاش فيه حميه غلى مرجل)
تطير شظاياه بصدرى كأنها (بأرجائه القصوى أنابيش عنصل)
وسالت دموعى من همومى ولوعتى (على النحر حتى بل دمعى محملى)
ترفق ولا تجزع على فائت الوفا (فما عند رسم دارس من معول)

فى أبيات . . . .

فأجابه ابن نباتة متهكما فى المطلع بقوله :

فطمت ولائى ثم أقبلتَ عائباً (أفاطِمُ مَهْلاً بعض هذا التدلُّلِ)

برُوحىَ ألفاظ تعرض عَتْبُها (تعرُّضَ أثناء الوشاح المفصَّلِ)

فأحييْتَ ودًّا كان كالرسم عافيا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

تُعَفِّى رياحُ العذلِ منك رُقومَه (لما نسجتْها من جَنُوب وشمأل)

نَعَمْ قوضتْ منك المودّة وانقضتْ (فيا عَجَباً منْ رَحْلِهَا المتحمَّل)

أمَوْلاىَ لا تسلُكْ من الظلم والجفا (بنا بَطْنَ خَبْتٍ ذى قِفَافٍ عقنقل)

ولا تنس منى صُحْبَةً تصدع الدجى (بصبح وما الاصباح منك بأمثل)

وهى طويلة ، يقول فى آخرها :

فدونك عَتْبِي اللّفظُ ليس بفاحشٍ (إذا هى نَصَّتْهُ ولا بمعطلِ)

وعاداتُ حب هن أشهر فيك من (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومن التضمين الغريب ما اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى مداعبة رجل من أصحابه كان كبير الأنف ، وهو [من الطويل] :

تأنف عن وَصْفِ الغزال تَغزُّلى بلحية أنف ذى عِقَاصٍ ومُرْسَلِ [(١)]

من البق فيها جُمْلة قد تعرضت (تعرض أثناء الوشاح المفصل)

فيا قبحَ شعر فوق أنفٍ معرّقَفٍ (أثيث كقِنْوِ النخلةِ المتعثكل)

وقالوا اختبِيء فى شعره فكأنه (كبير أناسٍ فى بجادٍ مزمّلٍ)

ترى القمل والصئبان فى عَرَصاتها (وقيعانها كأنه حبُّ فلفل)

إلى أن قال :

---

(١) آخر هذا البيت من قول امريء القيس ، وهو الشاهد الأول :

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى ومرسل

وكم قلت إذ أرخى ذوائبَ أنفهِ (على بأنواع الهموم ليبتلى)
(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل)
كأن الفُسَا إن قيسَ مَعْ ريح أنفه (نسيم الصبا جاءت بَرَيَّا القرنفل)
ترى شعراتِ الأنف سدتْ خدودهُ (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
وقد دَرَست بالأنف آثارُ وجهه (فهل عند رسم دارسٍ من معول)
كأنّي بمولانا علىَ وَصف أنفهِ (توَلى بأعجاز وناء بكلكل)
وَجرّد شَعْرَ الأنفِ منا وجاءنا (بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلَ)
(مكرّ مفرّ مقبل مُدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علَ)

ومن ظريف التضمين قول أبى الحسين الجزار ، مضمنا قصيدة امرىء(١) القيس المذكور(٢) :

قفانبكَ من ذكرى قميص وسروالِ وَدُرّاعةٍ لى قدْ عفاَ رَسْمهاَ البالى
وَما أنَا مَنْ يبكى لأسماءَ إنْ نأت ولكننى أبكى عَلىَ فقدِ أسمالى
لوَ ان امرَأ القيس بن حُجْرٍ رَأى الذى أكابدُه مِنْ فرط همّ وَبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزةٍ ولا بات إلا وهوَ عن حبها سالى
ولى من هوى سكنى القياس عن هوى بتوضح فالمقراة أعظم أشغال
ولاسيما والبرد وافى بَريدُهُ وحالى على ما اعتدت من عسرة حالى

---

(١) ضمن هذه القصيدة ألفاظا من معلقة امرىء القيس التى أولها :
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وألفاظا أخرى من لامية امرىء القيس التى أولها :
ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
بل الأكثر من هذه القصيدة .

(٢) فى أصول هذا الكتاب « قصيدة امرىء القيس المذكورة » ولما كانت حقيقة الأمر ما ذكرنا أصلحناه بحذف التاء

ترى هل يرانى الناس فى فَرَجيَّةٍ أجرُّ بها تيهاً على الأرض أذيالى
ويُمسِى عَدُوِّى غير خال من الأسى إذا بات عن أمثالها بيتُه خالى
ولو أننى أَسعَى لتفصيل جبةٍ كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ بجوخةٍ وقد يُدْركُ المجد المؤثل أمثالى

ومنها :

وكم ليلةٍ أستغفرُ الله بتُّها بخد وريق بين وَرْدٍ وجريالِ
تَبَطَّنت فيها بَدْرَ تم مُشَنَّف ولَمْ أتبَطَّن كاعباً ذات خلخال

11

وما أحسن قول ابن نباتة [من الوافر] :

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا وباتوا عا كفين على الملاح
(ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ)

وقوله [من الطويل] :

تَصَدَّى إلى إيرى فقلت له اتَّئِدْ وحقكَ لو عايَنْتَهُ وهو ثائرُ
(رأيت الذى لا كلُّهُ أنت قادرٌ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابرُ)

وما أحسن قول الناصر البارزى فى هذا المعنى [من الوافر] :

أقول وقد أبى عن أخذ إيرى وسالَتْ مِنْ محاجرِهِ دُمُوعُ
(إذا لم تستَطعْ شيئاً فدَعْهُ وجاوزه إلى ما تستطيعُ)

وقول الاسعردى سامحه الله تعالى [من السريع] :

قال وقد قَصَّرْتُ فى نَيْكه سُدَّ فَضَا مَجْرَىَ الواسعِ
فقلت يا مولاى عذْراً فقد (اتَّسَعَ الخرقُ على الراقِعِ)

ذكرت بهذا التضمين ما حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال له بعض أصحابه فى هر بته التى قتل فيها يامولانا أين ذلك التدبير، وتلك

السياسات ؟ فأنشد [من السريع] :

الثَّوْبُ إن أسرع فيه البلى أعيا على ذى الحيلةِ الصانِعِ
كنا نُدَاريها وقد مزقَتْ (واتسعَ الخرق على الراقعِ)

وقد أبدع ابن نباتة بقوله [من الكامل] :

لم أَنْسَ مَوْقفنا بكاظِمة والعَيْشُ مثْلُ الدّار مُسْوَدُّ
والدمعُ ينْشِدُ فى مسايله (هل بالطُّلولِ لسائلٍ ردُّ)

وما أحسن قول بعض المغاربة [من الوافر] :

وفرع كان يوعدنى بأسر وكان القلبُ ليس له قَرارُ
فنَادى وجْهُهُ لاخوفَ فاسكن (كلامُ الليل يمْحُوهُ النهَارُ)

ومن ظريف التضمين ما حكى أن الْحَيْصَ بَيْصَ الشاعر قتل جرو كلب وهو سكران ، فأخذ أبو القاسم القطان الشاعر كلبة وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير ، فأخذت القصة من عنقها وأُدخلت على الوزير ، فاذا فيها مكتوب [من البسيط] :

ياأهل بغداد إن الحَيْصَ بَيْصَ أتى بخَزْية أورَثتْهُ العار فى البلدِ
أبدَى شَجَاعته بالليل مجترئاً على جُرَىّ ضعيفِ البَطْشِ والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احْتَسَبَتْ دَمَ الأبيلق عند الواحدِ الصمَدِ
(أقولُ للنفس تأساء وتعزيةً إحدَى يَدَىَّ أصابتنى ولم ترِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فَقْدِ صاحبه هذا أخى حين أدعوهُ وذا ولدى)

البيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها ، فقالتهما تسلية لنفسها .

وما أحسن قول إبراهيم بن العباس الصولى [من البسيط] :

أولى البرية طرّاً أن تواسيهُ عند السرور الذى وَاساك فى الحزَن
(إن الكرام إذا ما أيسَرُوا ذكَرُوا من كان يألَفُهُمْ فى المنزل الخَشِنِ)

البيت الأخير لأبى تمام ، وقد أحسن تضمينه الصاحب بن عباد بقوله [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظلَّ يعركنى عَرْكَ الأديم ومَنْ يَعْدُو على الزمَنِ
وصاحباً كنتُ مغبُوطاً بصُحْبَتِهِ دهراً فغادرنى فَرْداً بلا سَكنِ
هبَّتْ له ريحُ إقبالٍ فطارَ بها إلى السرور وألجأنى إلى الحزَنِ
نأى بجانبه عنى وصيَّرنى مع الأسى ودواعى الشوق فى قرَنِ
وباع صَفْوَ ودادٍ كنتُ أقصُرُهُ عليه مجتهداً فى السر والعلَنِ
وكان غالى به حيناً فأرْخَصَهُ يا من رأى صَفْوَ وُدٍّ بيعَ بالغَبَنِ
كأنه كان مَطْوِيّاً على إحنٍ ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى
(إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

وذكرت بهذه الأبيات واقعة الوزير المهلبى مع رفيقه ، وكانت حاله قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة، وكان يقاسي منها قَذَى عينيه وشَجَا صدره، فبينا هو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الأدب ، إذ لقى من سفره نصباً ، واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موْتٌ يباعُ فأشتريهِ فهذا العيش ما لاخيرَ فيه (١)

---

(١) ورد فى المطبوعتين «ألا موتا» والمحفوظ هو ما أثبتناه بالرفع ، مع أن للنصب وجها فى العربية وعليه ورد قول الشاعر :

ألا رجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

إذا أبْصَرْتُ قبراً من بعيد ... وددتُ لوَ انني فيما يليهِ
ألا رَحمَ المهيمِنُ رُوحَ عَبْدٍ ... تَصَدَّق بالوفاةِ على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكن قَرَمه ، وتحفظ الأبيات ، وتفارقا ، وضربَ الدهر ضرباته فترقَّتْ حالُ المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة حتى قال [من مجزوء الكامل] :

رق الزمانُ لفاقتى ... ورثى لطول تَحرُّقى
وأنالنى ما أشتهى ... وأقالنى ما أتقى
فلأغفِرَنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السُّبَّقِ
حتى جنايتَهُ لما ... فعلَ المشيبُ بمفرقى

وحصل الرفيق تحت كلكل الدهر ، وثقل عليه بَرْكُه ، وهاضه عَرْكه ، فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قُلْ للوَزير فَدَتْهُ نفسى ... مقالةَ مُذْكِرٍ ما قد نسيهِ
أتذكُرُ إذ تَقُولُ لضَنْكِ عيشٍ ... (ألا مَوْتٌ يباع فأشتريهِ)

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للاحسان إليه ورعاية حق الصحبة فيه ، والجرى على حكم من قال [من البسيط] :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فأمر له فى عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع فى رقعته « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » . ثم دعا به ، وخلع عليه ، وقلده عملا يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير ذلك ما حكى أن الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره إلى القاهرة تاجر كان يحسن إليه وهو فى رقه ، فلما باعه تنقلت به الأحوال إلى

ما صار إليه، وافتقر التاجر فيما بعد، فحضر إليه إلى مصر، وكتب إليه رقعة فيها [من البسيط] :

كنا جميعَيْنِ فى كد نكابدُهُ والقلب والطرف منا فى أذًى وقذَى

والآنَ أقبلَتِ الدنيا عليك بما تهْوَى فلا تنْسَنِي (إن الكرام إذا)

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

قد قلت لما أطلعَتْ وجناته حول الشقيق الغض روضةَ آسِ

أعِذَارَهُ السارى العجول ترَفُّقاً (مافى وقوفك ساعة من باس)(١)

وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسي فقال [من الكامل] :

ومُوَرَّدُ الوجنات دبَّ عِذَارُه فكأنه خط على قرطاس

لما رأيت عذاره مستعجلاً قد رام يخفى الوردَ منهُ بآس

ناديتهُ قف كى أودع وردَهُ (مافى وقوفك ساعة من باس)(١)

ولأبى بكر الخوارزمى فى ابن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أضحِى من عطَايَاكَ شاعراً لقد صِرْتُ أمسى من عطاياك مفْحَمَا

أبيتُ إذا أجريتُ ذكْرَاكَ مُنْشِداً (وأن تعتب الأيام فيها فرُبما)

ومالى من الأصوات مقترحٌ سوَى (أعالج وجداً فى الضمير مُكتما)

وله فى شمس المعالى قابوس [من الطويل] :

شموس لهن الخدر والبيتُ مغْرِب فطالعُهَا بالبين والهجر غارب

ولكنما شمس المعالى خلافها مشَارِقهُ ليْسَتْ لهن مغَارِبُ

---

(١) عجزه صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى تمام، وهو :

ما فى وقوفك ساعة من باس نقضى ذمام الأربع الأدراس

فما لقبوهُ الشمس إلا وقد رووْا (فانك شمس والملوك كواكب)

ومن ظريف التضمين قول القاضى أبى عمر القابسى وقد أهديت إليه جارية فوجدها ابنة سرية له ، كان قد تسرى بها ، فردها ، وكتب إلى مهديها [من الكامل] :

يامهدىَ الرشأ الذى ألحاظُهُ تركتْ فؤادى نُصْبَ تلك الأسهُمِ
ريحانَةٌ كل المنى فى شمها لولا المهيمنُ واجتناب المحرَمِ
ماعَنْ قِلىً صُرِفَتْ إليك وإنما صيدُ الغزَالةِ لم يُبَحْ للمُحْرِمِ
إن الغـزَالةَ قدْ عرفنـاَ قَبلها سرَّ المهاة وليتنا لم نعـــلمِ
يا وَيحَ عنترَةَ الذى قدْ شفَّهُ ماَ شفنى فشـداَ وَلمْ يَتـكلمِ
(يا شاة ما قنصٍ لمنْ حلتْ لهُ حَرُمَتْ علىَّ وَليتها لم تحرُمِ)

فضمن بيت عنـترة ، والعرب تطلق الشاة على البقرة الوحشية ، فـكنى بها عن المرأة تشبيهاً لها بها ، ويقال : إن التى عناها كانت زوجة أبيه ، فلذلك حرمت عليه

ومن بديع التضمين ، قول ابى فراس الحمدانىّ يتغزل فى غـلام من الفرس [من الخفيف] :

قاَتِلِى شاَدِنٌ رَخيمُ الدلاَلِ كِسرَوِىّ الأعمامِ والأخوَالِ
كيف أرْجُومن يرَى الثأرَعندِى فَرَجاً مِنْ تعطفٍ أوْ وصاَلِ
ما درَتْ أسرَتى بذِى قار أنّى بعضُ مَنْ جَندَلُوا مِنَ الأبطالِ (١)

---

(١) ذو قار : يوم كان بين العرب والفرس انتصر فيه العرب انتصارا باهرا . يقول : إن قومى العرب هم الذين قتلونى ، لأن هذا الغـلام الفارسى تسلط على قلبى حتى ذهب به ، فأنا قتيل هـذا الغلام الذى أراد أن يأخذ بثأر قومه منى

أيها الملزمي جرائر قومي بعد ما قد مضت عليها الليالي

(لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صالي)

والمعنى الذى أراد : أن بنى شيبان ، وهم من ربيعة قوم أبى فراس ، كانوا قد هزموا الفرس ، يوم ذى قار ، وهو يوم مشهور ، فنزع أبو فراس فى هذه الأبيات منزعاً ظريفاً ، وذهب مذهباً غريباً . ذكر فيه أن هذا الغلام على تأخر زمانه وزمان أبى فراس عن الذين شهدوا تلك الهزيمة ، ذهب إلى الأخذ بثأر قومه من أبى فراس ، وإن لم يكن أبو فراس من جناة تلك الحرب . وأما البيت المضمن فهو من شعر الحارث بن عباد البكرى [1] يقوله فى حرب البسوس بعد أن كان اعتزل الحرب ، فلم يدخل فيها ، إلى أن قتل ابنه بجير ، فلما بلغه قتله ظن أن مهلهلا يقنع به فى دم أخيه كليب ، وقال : نعم القتيل قتيلاً أصلح الله به بين ابنى وائل ، يريد بكراً وتغلب ، وعزم أن لا يطلب بثأره ، إلى أن بلغه أن مهلهلا ، قال له حين قتل : بؤ بشسع نعل كليب ، يريد أنه لا يفى دمه بشىء من دم كليب ، فعند ذلك حمى الحارث وغضب وعزم على الدخول فى الحرب ، وقال فى ذلك [من الخفيف] :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

إلى أن قال :

لم أكن من جناتها علم الله وإنى بحرها اليوم صالى

وقد ضمنه شمس الدين التلمسانى، وأجاد، بقوله [من الخفيف] :

وعيون أمرضن جسمي وأضرمـن بقلبي لواعج البلبال

وخدود مثل الرياض زواه ما لأيام حسنها من زوال

---

(١) فى الأصول «الحارث بن عبادة» بزيادة التاء ، وهو تحريف

جلاَ مسواكُ ثغرك خيرَ دُرٍّ فجلَّ مذاكَ واكتسبَ المزايا
وأنشـــدَ صحبهُ تيهاً وفخراً (أنا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايا)

وقال شمس الدين الحلبي فيه [من الوافر] :

جلاَ ثغراً وأطلعَ لى ثنايا يسوقُ بها المحبّ إلى المنايا
فأنشدَ ثغرهُ يبغى افتخاراً (أنا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايا)

وضمنه الأرّجانىّ ، فقال [من الوافر] :

تغنَّمْ صُحبتى ياصاحِ إنى نزعتُ عن الصبا إلاّ بقايا
وخالِفْ مَنْ تنسَّكَ من رجال لقوكَ بأكبُدِ الابل الأبايا
ولاتسلكْ سوى طرقى فانى (أناابْنُ جلاَوطلاَّعُ الثناياَ)

وظريف قول المولى الفاضل على بن مليك فى تضمينه [من الوافر] :

ومُذْ تاهَ الدليلُ وقدْ ضللناَ بليلٍ ليسَ يهْدَى سالكوهُ
فأشرقَ وجهُ مَنْ أهوى ونادَى أنا ابنُ جلاَ ألا لاَ تُنكروهُ
ووَجهُ الصبحِ وَافاَنَا سريعاً وقالَ وَقدْ حكاهُ أنا أخوهُ
فقلتُ لصاحبى أنعمْ صباَحاً . لعمركَ قدْ تعارَفتِ الوُجوهُ

ومن محاسن السراج الوراق فى التضمين قوله [من الطويل] :

توَارى منَ الواشى بليلٍ ذَوائبٍ لهُ منْ جبينٍ وَاضحٍ تحتهُ فجرُ
فدَلَّ عليهِ شَعرُهُ بظلاَمِهِ (وَفى الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدْرُ)

نقله ابن الصائغ إلى المداعبة وزاده تورية بقوله [من الطويل] :

تطلَّبت جحرا فى الظلام فلم أجد ومن يك مثلى حيَّةً دأبه الجحر
فنادانى البدر الأديب إلى هنا (وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر)

ومن تضامين مجير الدين بن تميم البديعة قوله [من الكامل] :

عاينتُ فى الحَمّامِ أسْوَدَ وَاثِباً من فَوْق أبْيضَ كالهلالِ المُسفِرِ
(فكأنما هُوَ زَوْرَقٌ من فِضةٍ قدْ أثقلتهُ حمُولة من عَنبرِ)

وقوله فى الفانوس [من الطويل]

يقول لِىَ الفانُوسُ حِينَ أتَوْا بهِ وَفى قَلْبِهِ نارٌ من الوَجدِ تُسْعَرُ
(خُذُوا بِيدِى ثمَّ اكشفُوا الثوْبَ تَنظرُوا
ضَنَى جَسَدِى لكنَّنى أتَسَتَّرُ)

وقوله أيضاً [من الوافر] :

أزَهْرَ اللوْزِ أنتَ لكلّ زَهرٍ منَ الأزْهارِ يأتينا إمامُ
(لقدْ حَسُنَتْ بِكَ الأيامُ حتى كأنكَ فى فَمِ الدهرِ ابتسامُ)

وقوله أيضا [من الكامل] :

لَوْ كنتَ إذْ أبصرْتَهاَ فَوّارةً للشمس فى أمْوَاجها لألاءُ
لرَأيتَ أعجبَ ما يُرَى من بِركَةٍ (سالَ النضارُ بها وقامَ الماءُ)

وقوله أيضا [من الكامل] :

لَوْ كنتَ فى الحمامِ والحِنَّا علىَ أعطافِهِ وَبجِسْمِهِ لألاءُ
لرَأيتَ مَا يسبيكَ منهُ بقامةٍ (سالَ النضار بها وقامَ الماءُ)

وقوله، وهو من تضامينه البديعة [من الكامل] :

أفدِى الذى أهْوَى بِفيهِ شارِباً من بِركةٍ رَاقتْ فطابتْ مشرَعاَ
أبدَتْ لِعينى وجههُ وخيالَه (فأرَتنى القمرَين فى وقتٍ معَا)

وقوله وأجاد [من الطويل] :

وشبّابة قدْ كنتُ أهوَى سماعهاَ وقدْ صرْتُ منها بعد ماتبتُ أنفرُ
وَهَا أناَ قَدْ فَارَقتهاَ غيرَ نادِمٍ (وكم مثلها فارَقتها وَهْىَ تصفِرُ)

وقوله [من الطويل] :

وناطقةٍ بالرّوح عنْ أمرِ ربها تعبر عما عندها وتترجمُ
سكتنا وقالتْ للقلوب فأطربتْ (فنحن سكوتٌ والهوى يتكلمُ)

ومن تضامين الشهاب محمود البديعة قوله [من البسيط]:

مَنْ حاتمٌ عدِّ عنهُ واطّرحْ فبهِ في الجود لا بسواهُ يُضربُ المثلُ
لوْ مثّلَ الجودُ سرحاً قال حاتمهمْ (لاَ ناقةٌ لِيَ في هذا ولاَ جملُ)

وما أحسن قول ابن العفيف التلمساني [من السريع]:

قالوا غداً تندمُ عنْ لثمهِ في خدّه إذْ يغلبُ السكرُ
فقالَ لي مبسمهُ دعهمُ (اليومَ خمرٌ وغداً أمرُ)

وما أحسن قول العز الموصلي [من الكامل]:

لحديث نبْتِ العارضين حلاوةٌ وطلاوةٌ هامتْ بها العشاقُ
فإذا نهاني المردُ قلت تمهلوا (فإليكمُ هذا الحديثُ يُساقُ)

وقول ابن نباتة [من الطويل]:

ومُذْ كَلّمتْ قلبي سيوفُ لحاظها شكوت إليها قصتي وهي تبسمُ
فلم أرَ بدْراً ضاحكاً قبلَ وجهها ولم ترَ قبـــلي ميتاً يتـكلمُ

وقول ابن تميم [من البسيط]:

إنْ تاه ثغرُ الأقاحي إذ نشبهه بثغر حبكَ واستولى به الطرَبُ
فقلْ له عندَ ما يحكيهِ مبتسماً
(لقدْ حكيتَ ولـكنْ فاتكَ الشَّنَبُ)

وهـذا المصراع الأخـير لابن الخيمي ، من قصيدة طنانة ، مطلعها :
[من البسيط]:

يا مطلباً ليسَ لي في غيرهِ أرَبُ إليكَ آلَ التقصّي وانتهى الطلبُ

وَما طَمحْتُ لِمرْأى أوْ لمستمعٍ إلا لمعنىً إلى عَلياكَ ينْتسبُ
وما أرَانىَ أهلاً أنْ تواصلنى حسبى علوّاً بأنى فيكَ مُكتئب
لكنْ ينازع شوْقى تارةً أدبى وأطلب الوصل لما يضعفُ الأدب
ولست أبرَح فى الحالين ذَا قَلَقٍ نامٍ وشوقٍ له فى أضْلعى لَهَبُ
ومَدْمع كلما كفكفْتُ أدْمعه صَوْناً لذكركَ يعصينى وَينسكبُ

إلى أن قال :

والهفَ نَفْسِىَ لو يجدِى تَلهُّفُهَا غوثاً وواحَرَباً لو ينفعُ الحرَبُ
يمضى الزمان وأشْوَاقى مُضَاعَفَةٌ ياللرجال ولا وصل ولا سَبَبُ
يا بارقاً بأعالى الرَّقمتــين بدَا (لقدحكَيْتَ ولكِنْ فاتكَ الشَّنبُ)

وهى قصيدة بليغة بارعة متناسقة فى الحسن والعذوبة ، وكان لما فرغ منها كتبها فى ورقة ، وأومأ بيده ليضعها فى جيبه ، فسقطت ، فمر ابن إسرائيل على أثره ، فرآها فأخذها وقرأها فأعجبته وادعاها لنفسه ، وبلغ ابن الخيمى ذلك فالتهبت ناره ، وامتنع قراره ، وجَدَّ فى استرجاع ابن إسرائيل عن ادعائها ، وهو مُصِرٌّ على ذلك ، فتراضيا على تحكيم ابن الفارض ، والتسليم إليه من غير معارض فلما عرضا عليه أمرهما أمر كل واحد منهما أن ينظم فى وزنها ، فذهبا ثم أتياه فأنشده ابن الخيمى أبياتاً منها [من البسيط] :

مَنْ مُنْصفى من لطيف منهم غَنِجٍ لَدْنِ القوام لاسْرَائيل يَنْتَسبُ
مُبَدِّل القول ظلماً لا يفِى بِمَا عيدا لرجال ومنهُ الذنب والغضب
فى لَثْغَةِ الراء منْه صدقُ نسبتهِ والمنُّ فيه بزور الوَعدِ والكذبُ
فَمنْ عجائبه حدِّثْ ولا حرَجٌ ماينتهى فى المليح المنطِق العَجَبُ

وأنشده ابن إسرائيل أبياتاً منها [من البسيط] .

يا بارقاً ببراقِ الحزنِ لاحَ لنــا ... أأنتَ أم أرسلَتْ أقمارَها النقبُ
ويانَسيماً سَرَى والمسك يَصْحَبُه ... أجُزْتَ حيث مَشَيْنَ الخرُدُ العربُ
أقسَمْتُ بالمقسمات الزهر تحجبُهَا ... زهرُ العوَالى والخطِّيَّةُ القُضبُ
لـكدت تشبه برقاً من ثغورِهِمُ ... يا درَّ دَمعىَ لولا الظَّلْمُ والشَّنَبُ

فنظر ابن الفارض إلى ابن إسرائيل نظر الازدراء ، وقد كاد يرمى قصيدته بالعراء ، وقال له :

* لقد حكيْتَ ولـكن فاتك الشَّنَبُ *

فقضى له عليه ، وتركه نادماً يعض يديه .

وقد ضمنه بعضهم أيضاً بقوله [من البسيط] :

ويا غزالاً حـكى معنى جَمَالهم ... (لقدحكيت ولـكن فاتك الشنب)

وألم به أبو الثناء محمود الحلبي فقال [من البسيط] :

يا بارق الثغر لولاحَتْ ثغورُهُمُ ... وشِمْتَ بارقها ما فاتَكَ الشنبُ

وما أحسن قوله بعده :

ويا حياً جادَهُمْ إن لم تكن كلِفاً ... ما بالُ عينَيْكَ منها الماء ينسكبُ
ويا قضيبَ النَّقا لو لم تجد خبراً ... عند الصبا منهم ماهزك الطرب

والصلاح الصفدى بقوله [من البسيط] :

يا بَرْقُ لاتبتسم من ثغره عجباً ... قدفاتَ معناكَ منهُ الظَّلْمُ والشنب

وابن فضل الله بقوله [من البسيط]:

يابَرْق وَاْحكِ وَميضاً من ثغورهم ... وما عليك إذا ما فاتك الشنب

رجعنا إلى التضمين .

عود إلى التضمين

ومنه قول إبراهيم الاشبيلى المهتدى [من الطويل] :

تأمّلْ لظى شَوْقى وموسى يَشُبُّهُ (تجدْ خيرَ نارٍ عندها خير مُوقِدِ)

ولطيف قول ابن عبد ربه [من الكامل] :

إنَّ الغوانى إنْ رَأَيْنَكَ طاوياً بُرْدَ الشبابِ طَوَيْنَ عنكَ وصالاَ

(وإذا دعوْنك عمهنَّ فانهُ نسبٌ يزيدك عندهنَّ خبالاَ)(١)

وقول بعضهم [من الكامل] :

كانَتْ بَلَهْنِيَةُ الشبيبة سكرةً فصحوْتُ واستبدلتُ سيرةَ مُجْمِلِ

وقعدتُ أنتظر الفناء كراكب (عَرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقد ضمنه بعضهم مجوناً ، فقال [من الكامل] :

قالوا وقد بصروا بأيرى نائماً عند الدبيب إليه رِخْوَ المفصلِ

ماذا عراه فقلت سارى ليلةٍ (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

ولابن نباتة فيه [من الكامل] :

يا ربَّ ليلٍ بتُّ فيه منعَّماً برشيقةٍ تَعْيَا بردْفٍ مثقلِ

أيرى بجانب كسها فى حجرها (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

لقدْ قال لى إذْ رُحْتُ مِنْ خمر ريقه أحثُّ كؤوساً من ألذ مُقَبَّلِ

بِلثمِ شفاهى بعد تقبيل مبسمى (تنقلْ فلَذَّاتُ الهوى فى التنقلِ)

وهذا المصراع الأخير لأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى من أبيات ، وهى [من الطويل] :

تَنَقّلْ فلذَّاتُ الهوى فى التنقلِ وَرِدْ كل صافٍ لاتقفْ عند منْهَلِ

وإنْ سار من تهوى فسرْ عن جنابه ولا تسكُبَنْ دمعاً علىَ مُتَرَحّلِ

---

(١) نسب فى كتب العروض إلى الأخطل ، ولم أجده فى ديوانه المطبوع

ولا تعتبرْ قولَ امرىء القيْس إنه ضليلٌ ومَن ذَا يقتدى بالمُضَلَّلِ
فَفِى الأرْضِ أحبابٌ وفيها مَنازِل
(فلا تبْكِ من ذكرى حَبِيبٍ ومنزلِ)

ومن ظريف التضمين قول البدرى المنبجى [من الطويل] :

ولما خلوْنا والمسرة بيننا وقد عزَّ شُربُ الراح فيناعلى الشُّرْبِ
تعوضَ كل بالحشيش عن الطلا (ومن لم يجد ماء تيممَ بالترب)

وقول السراج الوراق يهجو بخيلا [من البسيط] :

وباخل يَشنأ الأضيافَ حلَّ به ضيف من الصقْع نزَّال على القمَمِ
سألته ما الذى تشكو فأنشدنى (ضيف ألم برأسى غيرَ محتشمِ)

وقول الصلاح الصفدى [من الرجز] :

قل للرَّقيب يسترح من رَصَدِى ما أصبح المعْشُوقُ عندى مشتهى
وارتَدَّ قلبى عَنْ سيوف لحظه (وكل شىء بلَغَ الحدَّ انتهى)

وقول ابن نباتة [من الطويل] :

ألا فاسقنى مِنْ خَمْرة لَذَّ طعْمها بفيكَ ولاتبخَلْ وقُلْ لى هى الخمْرُ
وحطَّ لثامًا حجَّبَ اللثم عن فمى (فلاخير فى اللذات من دونها ستر)

وقد أخذ الصلاح الصفدى هذا التضمين من ابن نباتة وإن كان فى معنى آخر ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنت فى لذَّاتِ ثغرك هائما ليالِىَ لمْ يُمْنَعْ على عاشق ثَغْرُ
فأما وسترٌ دُونها من شواربٍ (فلاخير فى اللذات من دونها ستر)

وما أحلى قول الصلاح الصفدى مضمناً ومكتفياً [من المقتضب] :

رشفت ريقك حلواً فلم يكن لىَ صبرُ

وَسَوْفَ أَحظَى بِوَصْلٍ (وَأَوَّلُ الغَيثِ قَطْرُ)

ومن الغايات هنا ما كتب به شيخ شيوخ حماة إلى السيف الآمدى ، وهو [من البسيط] :

لئنْ تقدَّمَ قومٌ عَصرَ سيدنا فكَمْ تقدَّمَ خيرَ المرسلينَ نبي
وَإنْ يكنْ عِلمُهُ فَرْعاً لعلمِهِمُ (فإنَّ فى الخمرمعنىً ليسَ فى العنبِ)
وَإنْ أتتْ قبلَهُ كُتبٌ مؤلفة (فالسيف أصدق أنباء من الكتبِ)

وقول البدر بن الصاحب [من البسيط] :

للهِ يومُ الوَفاَ وَالناسُ قَدْ جمعُوا كالرَّوض تطفُو على نَهْرٍ أزَاهِرُهُ
وَللوَفَاءِ عَمُودٌ مِنْ أصابعِهِ مخلَّقٌ تَملأُ الدُّنيا بَشَائِرُهُ

وقول البرهان القيراطى [من الكامل] :

قلْ فى اخضرارِ عِذَارِهِ وقوَامِهِ خلعَ الرَّبيعُ عَلىَ غصُون الْبَانِ
وانشُرْ مِنَ الأعزَال فى أرْدَافِهِ حُللاً فوَاضلها عَلىَ الكُثبَانِ

وقوله فى بادهنج [من الطويل] :

بِروحِيَ أفْدِى بَادَهَنْجاً مُوكلاً
باطْفَاءِ ما نلقاهُ مِنْ حُرَقِ الجوَى (١)
إذَا فُتِحَتْ فِى الحرِّ مِنهُ طَرَائقٌ
(أتَانِى هوَاهَا قبلَ أنْ أعْرِفَ الهوَى)

---

(١) البادهنج : معرب بادكير ، أو بادخون ، وهو المنفذ الذى يجيء منه الريح ، ويسميه الأدباء « راووق النسيم » وقال أبو الحسن الأنصارى :

ونفحة بادهنج أسكرتنا وجدت لروحها برد النعيم
صفا جرى الهوى فيه رقيقا فسميناه راووق النسيم

وقوله فيه أيضا [من الطويل] :

أيَا بادَهَنْجاً صحَّ فيهِ لنا الهوَى ... صِفاتُكَ ما وَفَّى بِهِنَّ خطابُ

وما شئتُ إلا أنْ أدُلَّ عوَاذِلي ... عَلىَ أن رأيي فِي هوَاكَ صوَابُ

وقال ابن أبي حجلة فيه ، وأجاد [من الوافر] :

هَجَا الشعراء جَهْلاً بادَهَنْجي ... لأنَّ نسيمَهُ أبداً عليلُ

فقال البادَهنج وقدْ هَجَوْهُ ... إذا صحَّ الهوَى دَعهُمْ يقُولُوا

وما أحسن قول القيراطي فى موسوس [من الكامل] :

ومُوَسْوسٍ عندَ الطهارة لم يزَلْ ... أبداً عَلىَ الماءِ الكثيرِ مُوَاظبَا

يَستصغرُ البحرَ الكبيرَ لذقنهِ ... وَيظُنُّ دِجلةَ ليسَ تكفى شارِبَا

وَقول ابن أبي حجلة غاية هنا [من البسيط] :

قلْ للهلال وَسُحبُ الجوّ تسترُهُ ... حكيتَ طلعَةَ مَنْ أهْواه بالبلَجِ

لكَ البشارَةُ فاخلعْ ماعليكَ فقدْ ... ذكرت ثم على مافِيكَ منْ عِوجَ

وقول العَلاء بن أيبك الدمشقى [من الوافر] :

أقول وقد ظَمئْتُ ووجهُ حِبي ... لهُ عرَقٌ على وَرْد الخدُودِ

أرَى ماءً وَبي ظمأ شديدٌ ... ولكنْ لا سبيلَ إلى الورُودِ

وما أحسن قول البدر الزغارى [من الطويل] :

وَبي سَامرِيّ مَرَّ بي فى عِمامَةٍ ... قد اكتسبَتْ مِنْ وَجنتيهِ احمرَارها

مُورّدَةٍ دَارتْ بِوَجهٍ كأنما ... تناوَلهَا مِنْ خَدّهِ فأدَارَها

وما أبدع قول ابن أبي حجلة [من الكامل] :

ومتى امتطيْتَ منَ الكئوس كميتهَا ... أمْسَيْتَ تمسِي فِي المسرّةِ رَاكبًا

ومتى طرَقْتَ عشِيَّ أنس ديرِهَا ... لمْ تلقَ إلا رَاغِباً أوْ رَاهبًا

وقوله فى الفانوس غاية هنا [من الكامل] :

أنا فى الدجا ألقى الهوى وبمهجتى حُرَقٌ يذوبُ لها الفؤادُ جميعهُ
فكأننى والليل صبٌّ مغرم كتمَ الهوى فوشتْ عليه دموعهُ

وقوله أيضا فيه [من الكامل] :

يحكى سنا الفانوس حين بدا لنا برقًا تألقَ موهنًا لمعانهُ
فالنار ما اشتملتْ عليه ضلوعهُ والماء ما سحَّتْ به أجفانهُ

وقوله أيضا ، وهو بديع [من الكامل] :

ياصاحبى خضرَ الشرابُ ومنيتى وحظيتُ بعدَ الهجرِ بالايناسِ
وكسا العذارُ الخدَّ حسناً فاسقنى واجعلْ حديثك كلهُ فى الكاسِ

وظريف قول محيي الدين بن قرناص الحموى [من الكامل] :

أفديه أغيدَ زارنى تحتَ الدُّجا وعليه منْ فرعيه ليلٌ ساجى
والفَرْقُ بين الشعر فوق جبينهِ عُريانُ يمشى فى الدُّجا بسراجِ

ومن غاياته هنا قوله فى كاحل يسمى بالشمس [من الطويل] :

دَعُوا الشمسَ منْ كحْلِ العيون فكفهُ
يسوقُ إلى الطَّرْف الصحيح الدَّواهيَا
فكمْ أذهبتْ منْ ناظرٍ بسوادهِ
وخلّتْ بياضًا خلفهَا وماَقيَا

وما أملح قول ابن الوردى [من المتقارب] :

لوجنة صيَّادكم نسْخةٌ خريريَّةٌ ملحة فى الملح
تقول لنبْتِ العذار اجتهد ومُدَّ الشباكَ وصِدْ من سنح

ومثله لابن أبى حجلة ، ونقله إلى معنى آخر [من المتقارب] :

غدا طيرُ أفراخنا سانحًا يحومُ على عذب ورد القدحْ
فقلنا لدرّ الحبَاب اجتهدْ ومدَّ الشباكَ وصِدْ منْ سنَحْ

وقد تضمن هذا الكتاب من فنّ التضمين ما هو ضامن لكل أديب الاستغناء به ، إن شاء الله تعالى .

ترجمة ابن أبي الاصبع

وابن أبي الأصبع : هو زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن عبد الله بن أبي الأصبع ، العدوانى ، المصرى ، الشاعر المشهور ، الامام فى الأدب ، صاحب التصانيف الحسنة فيه ، منها « تحرير التحبير » فى البديع وكتاب « بديع القرآن » وكتاب « الجواهر السوانح ، فى سرائر القرائح » وغير ذلك ، وله شعر رائق ، منه [من الطويل]

ولما اعتنقنا ردّ دمعى لنحرها ودِيعتها فهىَ اللآلى التى تُرَى
بكتْ ورنتْ نحوى فجرّد لحظها مِنَ الجفنِ سيفاً بالدموع مُجوْهَرَا

ومنه من قصيدة ، يمدح بها الملك الأشرف موسى [من الطويل] :

فضحتَ الحيا والبحرَ جُوداً فقدْ بكىَ الـــحيا منْ حياءٍ منكَ وَالتطَمَ البحرُ

ومنها :

عيُون معانيها صحاحٌ وأعينُ الــملاحِ مراضٌ فى لواحظها كسرُ
هِىَ السحرُ فاعجبْ لامرىءٍ جاءَ يبتغى عوَاطفَ مِنْ مُوسَى وَصَنعتهُ السحرُ

ومنه [من الخفيف] :

انتخبْ للقريض لفظاً رَقيقاً كنسيم الرياض فى الأسحَارِ
فاذَا اللفظُ رَقّ شفّ عَنِ المَعْـــنى فأبْدَاهُ مِثلَ ضَوءِ النهارِ
مثلَ ما شفَّتِ الزجاجة جسماً فاختفىَ لوْنها بلوْنِ العُقَارِ

ومنه فى ذمّ قيم حمام [من البسيط] :

وَقيم كلمتْ جسمى أنَامِلهُ بغيرِ ألْسنةٍ تَكليمَ خرصَانِ

إنْ أمسكَ اليدَ مِنىً كادَ يكسرُهَا
أو سرَّح الشعرَ منْ فَوْدَىَّ أدْمَانى
فليسَ يُمْسكُ إمسا كاً بِمعرفةٍ وَلاَ يُسَرِّحُ تَسْرِيحاً بإِحْسَانِ

ومنه فى وصف فرس أدهم محجل [من الطويل]:

وَأدْهمَ جارَى الشَّمْسَ فِى مِثلِ لَوْنِهِ
منَ المغربِ الأقصَى إلىَ جَانِبِ الشَّرْقِ
فَوَافىَ إلَيــــهِ قبلَهَا مُتَمَهِّلاً فأعطَاهُ منْ أنْوَارِهِ قَصَبَ السَّبْقِ

ومنه [من الطويل]:

رَأيتُ بِفيــهِ إذْ تَبَسَّمَ أدْمُعاً
فقلتُ رَثَىَ لِى إذْ بَكَىَ فَمُهُ حزْنَا
أجَادَ لَهُ فى النظمِ شاَعِرُ ثغرِهِ
وَلـكنهُ مِنْ مُقلتِى سَرَقَ المَعْــنَى

ومحاسنه كثيرة ، وعاش نيفاً وستين سنة ، وكانت وفاته بمصر ، فى الثالث والعشرين من شــوال ، سنة أربع وخمسين وستمائة ، وحضر السراج الوراق مع عفيف الدين التلمسانى بن عدلان وأبى الحسين الجزار قبر الزكىّ المــذكور ، وكانا قد كتماه أن ذلك اليــوم مأتمه ، وكتماه قصيدتين فى رثائه ، فقــال السراج الورّاق [من الكامل]:

ماذَا أقُولُ وقد أتانا رَاثيــاً ملكُ النحاة وَسيِّدُ الشعراءِ
رَثيَاكَ بِالدُّرِّ النظيمِ فهــذِهِ لِلدَّال قافيــة وَتلكَ لِرَاءِ
وتوخَّيَا نثرَ العقيقِ مَدَامِعاً إذ كنتَ لم تنصفْ بنظمِ رثَاءِ
يامَنْ طَوَى بفضائلٍ وفوَاضلٍ ذِكرين للطائى بعدَ الطائى

غادَرْتني وَأنَا الحبيبُ مَودَّةً صبًّا قدِ استعذَبتُ مَاءَ بكائي
فَسقَاكَ فضلُ اللهِ فيضَ عطَائهِ فَلَقَدْ أقمتَ قِيامَةَ الشعَرَاءِ

* * *

شاهد العقد

٢١٣ — مَا بَالُ مَنْ أوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

البيت لأبي العتاهية ، من قصيدة من السريع ، أولها :

وَا عجباً للناس لوْ فَكرُوا وحَاسَبُوا أنفسهمْ أبْصرُوا
وَعبَرُوا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهُم معبرُ
الخير مما ليس يخفى هو الـمعروف والشرّ هو المنكرُ
والموعد الموت وما بعده الـحشر فذاك الموعد الأكبرُ
لا فخر إلا فخر أهل التقى غدا إذا ضمَّهُمُ محشرُ
ليعلمنّ الناسُ أن التقى والبرَّ كانا خيرَ ما يُدْخَرُ
عجبتُ للانسان في فَخْره وهو غداً في قبره يقبرُ

وبعده البيت ، وبعده :

أصبحَ لا يملك تقديمَ ما يرجو ولا تأخير ما يَحْذَرُ
وأصبحَ الأمرُ إلى غيره في كل ما يقضى وما يقدرُ

والشاهد فيه : العقد ، وهو : أن ينظم الشاعر نثراً ، قرآناً كان أو حديثاً أو مثلا ، أو غير ذلك ، لا على طريق الاقتباس .

فهذا البيت هو عَقْدُ قول عليّ كرّم الله وجهه : « وما لابن آدم والفخر ؟ وإنما أوله نطفة وآخره جيفة » .

ويروى أن مطرّف بن عبد الله الشِّخّير نظر إلى يزيد بن المهلّب ، وهو

يمشى فى حلة يسحبها ، فقال له : ما هذه المِشْيَة التى يُبغضها الله تعالى ورسوله ؟! فقال يزيد : أما تعرفنى ؟! قال: بلى ، أولك نطفة مَذِرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك حامل العذرة .

وقد نظمَ هذا المعنى الشيخ أبو محمد الخوارزمىّ ، فقال [من المنسرح] :

عَجبتُ منْ مُعْجَبٍ بصورَتهِ   وكانَ منْ قبْلُ نطفةً مَذِرَهْ
وفى غدٍ بعدَ حُسْن صورته   يصيرُ فى الأرض جيفةً قَذِرَهْ
وهو على عُجبهِ ونَخْوَتهِ   ما بينَ ثوْبيهِ يحملُ الْعَذِرَهْ

ومثله قول الفقيه منصور المصرىّ [من المتقارب] :

تتيهُ وجسْمكَ من نطفةٍ   وأنتَ وعاء لما تعلَمُ

وقول المؤمن الأدفوى [من الطويل] :

هل النفسُ إلا نطفة من مشيمة   نمت بدَمِ الأحشاء شرَّ نماءِ
وهل هو إلا ظرف بولٍ وغائط   ولوْ أنهُ يُطْلَى بكل طلاءِ
كنيفٌ ولكنْ سدّدت جدراته   بظل قميص واستتار رداءِ

وقول الآخر [من الوافر] :

أرَى أولاد آدم أبطرَتْهُمْ   حظوظُهُمُ مِنَ الدنيا الدنيّهْ
فَلِمْ بطِرُوا وأوّلهم مَنىّ   إذا افتخرُوا وآخرهم منيّهْ

وقول الفقيه منصور المصرى [من مجزوء الرمل] :

قلتُ للمعجب لما   قالَ : مثلى لا يُراجعْ
يا قريبَ العهدِ بالمخـــرج لم لاَ تتواضَعْ ؟

ومثله قول ذى النون المصرى رضى الله عنه [من الخفيف] :

أيها الشامخ الذى لا يُرَامُ   نحن من طينةٍ عليك السلامُ
إنما هذه الحياة مَتَاعٌ   ومَعَ الموتِ تَسْتَوِى الأقْدَامُ

ومن أمثلة العقد من القرآن قول أبى نُوَاس [من الطويل] :

بروحى غَزَالٌ كان للناس قِبْلَةً   وقد زُرْتُ فى بعض الليالى مُصَلّاهُ
ويقرأ فى المحرابِ والناس خَلْفَهُ   ولا تَقْتُلوا النفسَ التى حَرَّمَ اللّهُ
فقلتُ تأمل ما تَقُول فإنها   فعالك يامَنْ تقتلُ الناسَ عَيْنَاهُ

وقول الآخر [من الوافر] :

أَنِلْنِى بالذى استقرضت خَطاً   وأشهد مَعْشَراً قد شاهَدُوهُ
فإن الله خــلاق الــبرَايا   عَنَتْ لِجَلَالِ هَيْبَتِهِ الوجوهُ
يقولُ إذا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ   إلى أجلٍ مسمى فاكتبُوهُ

وقول أبى نصر سهل بن المرزبان [من السريع] :

لاتَجْزَعَنْ من كل خَطْبٍ عَرَى   ولا تُرِ الأعداء ما يُشْمِتُ
أما سمِعْتَ الله فى قوله   إذا لقيتمْ فئةً فاثْبُتُوا

وقول أبى محمد العبدلكانى [من السريع] :

لا تكرهن خَلْقاً على مَذْهَبٍ   لَسْتَ من الارشاد فى شئٍ
ألم تَرَ الرحمنَ سُبْحَانَهُ   المخرِجَ للميتِ منَ الحىّ
يقول لا إكراهَ فى الدين قَدْ   تبينَ الرشدُ من الغىّ

وقول المطوعى [من الوافر] :

غَدَا منذ التحَى ليلاً بهيا   وكان كأنه البَدْرُ المنيرُ
فقَدْ كتب السوادُ بعارضيه   لمن يَقْرا وجاءكم النّذِيرُ

وقوله [من المتقارب] :

تكبرَ لما رأى نَفْسَهُ ... على صُورَة الشمس قد صُوِّرَت
سَيَنْدَمُ ألفاً على كِبْرِهِ ... إذا الشمس فى خده كُوِّرَتْ

وقول ابن الصابونى الاشبيلى [من مخلع البسيط] :

رأيتُ فى خده عِذَاراً ... خلعْتُ فى حبه عِذَارى
قد كتب الحسن فيه سَطْراً ... ويُولِجُ الليلَ فى النهارِ

وقول ابن يعمور [من مخلع البسيط] :

خَطْبٌ أتى مسرعاً فآذى ... أصبح جِسْمى به جُذَاذَا
خَصَّصَ قلبي وعَمَّ غيرى ... ياليْتَنى مت قبل هذَا

وقول أبى الحسين الجزار [من السريع] :

أصبحت جزَّاراً وفى البيت لا ... أعْرِفُ ما رائحَةُ اللحمِ
جهِلْتُهُ فقراً فكُنْتُ الذى ... أضلهُ اللهُ على عِلمِ

ولمؤلفه فى غرض عرض [من السريع] :

أرى الضحايا قُسِّمَتْ فى الوَرى ... وضاع فيما بَيْنَهُم قِسْمى
وكلٌّ من يَعْلَمُ حالى فقَدْ ... أضله الله على علمِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من السريع] :

يا صاحب المال ألم تَسْتَمِعْ ... لقوله ما عِنْدَكم يَنْفَدُ
فاعمل به خيراً فوالله ما ... يبقى ولا أنْتَ لهُ تخلدُ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

إذا شئت رزقاً بلا حِسبَةٍ ... فلذْ بالتقى واتَّبِعْ سُبْلَهُ
وتصديقُ ذلك فى قولهِ ... ومَنْ يتق الله يجعَلْ لهُ

وقول أبى جعفر الأندلسى [من المتقارب] :

إذا ظَلَمَ المرء فامهـل له فبالقُرْب يُقْطَعُ منه الوتينُ
فقد قال ربك وهو القوى وأملى لهم إن كَيْدِى مَتينُ

ومن العقد فى الحديث قول الأمام الشافعي رحمه الله تعالى ورضى عنه [من الخفيف] :

عُمْدَةُ الخير عندنا كلماتٌ أربعٌ قالهن خير البريهْ
إتَّقِ المشبهات وازهَدْ ودَعْ ما لَيْسَ يَعنيكَ واعمـلنَّ بنيهْ

فهو عقد قول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلال بين ، والحـرام بين ، و بينهما أمور مشتبهات » وقوله « ازهد فى الدنيا يحبك الله » وقوله « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقوله « إنما الأعمال بالنيات » .

ومنه قول بعضهم ، وهو عبد المحسن بن محمد الصورى [من الخفيف] :

وأخ مَسَّهُ نزولى بقَرْحٍ مثل ما مسنى من الجوع قَرْحُ
قيلَ لى إنه جَوَاد كريمٌ والفتى يعتريه بخـلٌ وشحُّ
بِتُّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ـرُ وفى حكمه على الحرِّ قُبْحُ
قال لى إذ نزلت وهو من الخمـ ـرة سكرانُ طافحٌ ليس يَصْحُو
لِمَ تغربْتَ ؟ قلتُ : قال رسولُ الله والقولُ منه نصحٌ ونُجْحُ
«سافروا تغنموا» فقال : وقد قا ل تمام الحديث «صوموا تصحوا»
قلت : فالصَّوْمُ لا يصحُّ بليلٍ قال : إن الوِصَالَ فيه يَصِحُّ

وقول ابن خلـكان [من السريع] :

أنظُرْ إلى عارضِهِ فَوْقَهُ لحاظُهُ تُرْسِل منها الحتوفْ
تشاهدِ الجنة فى وجهـهِ لـكنها تحت ظلال السُّيُوفْ

وقول ابن نباتة المصرى [من المتقارب] :

أقولُ لمنْ يتشكّى الخطوبَ ويحذَرُ من مُوبقاتِ الصُّروفْ
عليكَ بأبوابِ سيفِ العلا ملاذِ الفقير وأمنِ المخوفْ
تجِدْ ظله جنّةً والجنانُ بلا شكّ تحت ظلال السيوف

وقول الحلى [من المديد] :

مُتْ شهيداً فى غزالٍ ألوفِ لينِ الأعطافِ غيرِ عطوفِ
خدُّهُ دون ظُبا مقلتيهِ جنة تحت ظلال السيوفِ

وقول ابن جابر [من الرمل] :

عمل إن لم يوافق نيةً فهو غرسٌ لا يرى منه ثمر
إنما الأعمال بالنيات قد نصه عن سيد الخلق عمر

وقول أبى جعفر [من المنسرح] :

من سلِم المسلمون كلهمُ وأمنوا من لسانه ويدهْ
فذلك المسلم الحقيقُ بذا جاء حديثٌ لا شكَّ فى سنَدِهْ

وقول ابن عبد القدوس [من البسيط] :

إذا وتَرْتَ أمرأً فاحذَرْ عواقبهُ من يزرَعِ الشوكَ لم يحصُدْ به عنبا

فهو عقد قول عيسى عليه السلام « تعملون السيئة وترجون أن تجازوا بما يجازى به أهل الحسنات ، أجَلْ لا يجتنى من الشوك العنب »

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وقال علىٌّ فى التعازى لأشعثٍ وخافَ عليه بعضَ تلك المآثمِ
أتصبرُ للبلوى عزاءً وحِسْبَةً فتؤجرَ أم تسلو سلُوَّ البهائمِ

فهو عقد قول على رضى الله عنه فى كلام عزَّى به الأشعث بن قيس فى ولده وهو « إن صبرت صبر الأحرار ، وإلا سلوت سلو البهائم » .

وَمن عقد الحكم قول أبي العتاهية [من الوافر] :

كفى حزَناً بدفنك ثم أنى نفضتُ تراب قبركَ عن يديّا
وكانَتْ فى حياتكَ لى عِظَاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

وهذان البيتان من جملة أبيات قالها فى مرثية على بن ثابت الأنصارى ، أولها :

ألا مَنْ لى بأنسِكَ يا أخيَّا ومَنْ لى أن أبثَّكَ ماالديَّا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دهرك بعد نَشْرٍ كذاكَ خُطُوبه نشراً وطيَّا
فلو سَمَحَتْ بردِّكَ لى الليالى شكوت إليك ما اجترمَتْ إليا
بكَيْتُكَ يا علىُّ بدرِّ عينى فلم يُغْنِ البكاء عليك شيَّا

و بعده البيتان ، والأخير منهما عقد قول أرسطاطاليس يندب الاسكندر وقد أتى به ميتاً فى تابوت « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » .

وقول أبى العتاهية أيضاً فى المرثى أولا [من الخفيف] :

ياعلىُّ بنَ ثابتٍ بانَ منى صاحبٌ جلَّ فَقْدُهُ يوم بنتَا
قد لعَمرى جلَبْتَ لى غصَصَ المو ت وحرَّكتنى لها وسكَنْتَا(١)

فهو عقد قول مؤدب الاسكندر ، فانه لما مات بكى مَنْ حضره فقال مؤدبه : « حركتنا بسكونك » .

وقول بعضهم [من السريع] :

أصلِى وفَرْعى فارقَانِى معاً واجتُثَّ من حَبْلِهمَا حَبْلى

(١) حفظى فى صدر هذا البيت

* قد لعمرى حكيت لى غصص الموت *

فما بقاء الغُصْنِ فى ساقِهِ بعد ذهابِ الفَرْعِ والأَصْلِ

فهو عقد قول حكيم « لقد مات أبوك وهو أصلك ، وابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ؟ ! » .

ومثله قول عبد الله بن عبد الأعلى النحوى [من الطويل] :

صَحِبْتُكَ قبلَ الروح إذ أنا نُطْفَةٌ مُصَانٌ فلا يَبْدُو لخلق مَصُونُهَا

فماذا بَقَاءُ الفَرْعِ من بَعْدِ أصلهِ ستَلْقَى الذى لاقى الأُصُولَ غُصُونُهَا

وللمتنبى فى عقد الحكم ساعد شديد ، فلنذكر من محاسنه طرفا صالحا من ذلك ، فمنه قوله [من الكامل] :

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبت فى مُرَادها الأجسامُ

عقد قول أرسطاطاليس « إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلاف النفس دون بلوغها » وقوله [من الطويل] :

بذا قَضَتِ الأيام ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

عقد قول أرسطا طاليس « الزمان ينشىء ويلاشى ، ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين » وقوله [من البسيط] :

والهَجْرُ أقتَلُ لى مما أحاذِرُهُ أنا الغريق فما خوفى من البَلَلِ

عقد قول أرسطاطاليس « من علم أن الفناء مستولٍ على كونه هانت عليه المصائب » وقوله [من الطويل] :

وما الحسْنُ فى وجهِ الفتى شرفاً لهُ إذا لم يكن فى لَفْظِهِ والخلائقِ

عقد قول أرسطاطاليس وقد نظر يوماً إلى غلام حسن فاستنطقه فلم يجد عنده علماً ، فقال : « نعم البيت لو كان فيه ساكن » وقوله [من الخفيف] :

من يَهُنْ يَسْهُلِ الهوَانُ به ما لجُرْحٍ بميْتٍ إيلامُ

عقد قول أرسطاطاليس « النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام » وقوله [من الخفيف] :

وإذا لم يكن مِنَ الموتِ بُدٌّ فمِنَ العجز أن تموتَ جبانَا

عقد قول أرسطاطاليس « خوف وقوع المكروه قبل تناهى المدة خَوَرٌ فى الطبيعة » وقوله [من الوافر] :

ولم أر فى عُيُوب الناس شيئاً كنقص القادرينَ على التمام

عقد قول أرسطاطاليس « أعجز العجزة مَنْ قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل » وقوله [من الطويل] :

ومن ينفقِ الساعات فى جمع ماله مخافةَ فَقْرٍ فالذى فعلَ الفقْرُ

عقد قول أرسطاطاليس « من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم » وفى هذا القدر كفاية .

* * *

شاهد الحل

٢١٤ — إذا ساء فِعلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِن تَوَهُّم

هو للمتنبى ، من قصيدة من الطويل ، قالها فى كافور الاخشيدى ، وكان قد دخل عليه يوماً فلما نظر إليه وإلى قلته فى نفسه ، وخسة أصله ، ونقص عقله ، ولؤم كفه ، وقبح فعله — ثار الدم فى وجهه حتى ظهر ذلك فيه ، وبادر وخرج ، فأحس كافور بذلك ، فبعث إليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله ، وقال له : يا أبا الطيب ، مالى أراك متغير اللون ؟ فقال : أصاب فرسى جرح خفته عليه ، وماله خلف إن تلف ، فعاد إلى كافور فأخبره ، فحمل إليه مهراً أدهم ، فقال هذه القصيدة ، وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، وأولها :

فِرَاقٌ ومن فارَقْتُ غيرُ مذمَّمٍ وأمٌّ ومن يمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
وما منزلُ اللذاتِ عندى بمنزلٍ إذا لم أُبَجَّلْ عندَهُ وأُكرَّمِ
سجيةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةً منَ الضيم مَرْمياً بها كلُّ مخرمِ
رَحلتُ فكم باكٍ بأجفان شادنٍ علىَّ وكم باكٍ بأجفان ضيغمِ
وماربة القرط المليح مكانه بأجزعَ منْ ربِّ الحسامِ المصممِ
فلو كانَ ما بى مِن حبيب مقنع عَذرْتُ ولكن من حبيب معمّمِ
رَمى واتقى رَميِى ومن دُونِ ما اتقى هوًى كاسرٌ كَفِى وقوسى وأسهمى

وبعده البيت ، وبعده :

وعادَى مُحبيهِ بقولِ عُدَاته وأصبحَ فى ليلٍ منَ الشك مُظلمِ

إلى أن يقول فيها :

وماَ كلُّ هاوٍ للجميل بفاعل ولاَ كلَّ فعَّال لهُ بمتممِ
فِدَى لأبى المسك الكرامُ فإنها سوَابقُ خيل يهتدينَ بأدْهمِ
أغرَّ بمجدٍ قدْ شخصنَ وَرَاءهُ إلى خُلُقٍ رَحْبٍ وخَلْقٍ مُطهمِ
إذا مَنعتْ منكَ السياسةُ نفسهَا فقفْ وَقفةً قُدَّامهُ تتعلمِ
يضيق على منْ راءه العذر أن يرى ضعيف المساعى أو قليل التكرّمِ
ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت وكان قليلا من يقول لها اقدمى
شديد ثبات الطرف والنقع واصل إلى لهَوَاتِ الفارس المتلثمِ
أبا المسكِ أرجو منك نصراً على العدا وآمل عزا يخضب البيض بالدم
وَيوماً يغيظ الحاسدينَ وَحالة أقيمُ الشقا فيها مَقامَ التنعمِ
ولم أرْجُ إلا أهلَ ذاكَ ومَنْ يُرِدْ مَوَاطرَ مِنْ غيرِ السحائب يظلمِ

قال أبو الفتح بن جنى : أومأ إلىَّ أبو الطيب وقت قراءة هذا البيت عليه أنه قد ظلم فى قصده كافوراً .

فلولم يكنْ فى مصر ماسرْتُ نحوَهَا بقلبِ المشُوقِ المستهام المتيم
ولا نبحتْ خيلى كلابُ قبائلٍ كأنّ بها فى الليل حَمْلاتِ ديلمِ
ولا اتبعت آثارنا عينُ قائفٍ فلم ترَ إلا حافراً فوقَ منسمِ
وسمنا بها البيداءَ حينَ تَغَمّرتْ من النيل واستذرت بظل المقطَّم
وأبلج يَعْصِى باختصاصى مُشيرَهُ عصيْتُ بقَصْدِيه مُشيرى ولُومى
فساقَ إلىّ العرْفَ غير مكدّر وسُقتُ إليه الشكرَ غير مجمجمِ
قد اخترتكَ الأملاكَ فاختر لهم بنا حديثاً فقد حكمتُ رأيك فاحكمِ
فأحسنُ وجهٍ فى الورى وجهُ محسنٍ وأيْمنُ كفٍ فيهم كفُ منعمِ
وأشرفهم مَنْ كان أشرف همةً وأكثرَ إقداما على كل مُعْظَمِ
لمنْ تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرورَ محبّ أوْ مساءة مجرمِ

ثم لما خرج من عنده بعد إنشاده القصيدة بكمالها ، قال يهجوه [من السريع] :

أنوكُ من عبدٍ ومن عرسِهِ منْ حكم العبدَ على نفسهِ
وإنما يظهرُ تحكيمهُ ليحكم الافساد فى حسهِ
مامَنْ يرَى أنك فى وعدهِ كمن يرَى أنكَ فى حَبْسهِ
العبدُ لا تفضل أخلاقهُ عَنْ فرْجِهِ المنتنِ أو ضرْسِهِ
لا ينجز الميعادَ فى يومهِ وَلا يفِى ما قالَ فى أمسهِ
وَإنما تحتال فى جَذْبهِ كأنكَ الملاحُ فى قلسهِ
فلا ترجّ الخيرَ عندَ امرىءٍ مرّتْ يدُ النخاس فى رَأسهِ
وإن عرَاكَ الشكّ فى نفسهِ بحالةٍ فانظر إلى جنسهِ
فقلما يَلؤمُ فى ثوْبهِ إلا الذى يلؤمُ فى غرْسهِ

مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ (١)

ومعنى البيت : إذا قبح فعل الانسان قبحت ظنونه ، فيسىء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الردىء فيهم

والشاهد فيه : الحلّ ، وهو نثر النظم ، وقد استشهد به على ماحله بعضُ المغاربة بقوله « فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده »

وذكرت بقوله « حنظلت نخلاته » قول الشريف أبى الحسن الموسوىّ ، من قصيدة يفتخر فيها ، وهو [من الطويل] :

بنو هاشم عينٌ ونحنُ سَوَادها على رغْم من يأبى وأنتم قَذَاتها

وأعجبُ ما يأتى به الدهر أنكم طلبتم عُلَى ما فيكُمُ أدوَاتها

وأمّلتمُ أنْ تدركوها طوالعاً دَعُوها ستسعى للمعالى سعُاتها

غرستُ غروساً كنت أرجو لقاحها وآمُلُ يوْماً أن تطيبَ جنَاتها

فإن أثمرت لى نلت ما كنتُ آملاً ولا ذنب لى إنْ حنظَلَتْ نخلاتها

وروى عن إبراهيم بن العباس الصولىّ أنه قال : ما اتكلت قط فى مكاتباتى إلا على ما يجلبه خاطرى ، أو يجيش به صدرى ، إلا قولى : « فأبدلوه آجالا من آمال » فانى حللت فيه قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذِى رَهجٍ كأنهُ أجلٌ يسعى إلى أمل

وقولى : « قد صار ما يحرزهم يبرزهم ، وما يعقلهم يعقلهم » فانى حللت فيه قول أبى تمام [من الطويل] :

فإنْ بَاشَرَ الأصْحَارَ فالبيضُ وَالقنَا

قرَاهُ وأحــــوَاضُ المنَايَاَ مَنَاهِلُهْ

(١) القنس — بكسر القاف ، وقد تفتح — الأصل .

وَإِنْ يَبْنِ حِيطَاناً عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
أُولَئِـــــكَ عُقَّالاتُهُ لا مَعَاقِلُهْ

قال ابن أبي الأصبع : ومن ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز (يَعملونَ لهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) فان ذلك حلّ قول امرىء القيس [من مجزوء الرمل] :

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ وَجِفَانٍ كالجَوَابِى

على أن بعض الرواة قد ذكر أن بعض الزنادقة وضعه وتكلم على الآية الكريمة ، وأن إمرأ القيس لم يصح أنه تلفظ به

قلت : وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رُوَاته ، فلم أجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروى ، والله تعالى أعلم .

* * *

شاهد التلميح

٢١٥ — فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِى الرَّكْبِ يُوشَعُ

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها أبا سعيد محمد ابن يوسف الثغرى ، أولها :

أَمَا إِنَّهُ لَوْلَا الخليط المودِّعُ ورَبعٌ عفا منه مصيف ومَرْبَعُ
لرُدَّتْ على أعقَابِهَا أَرْيَحيَّةٌ منَ الشوقِ وَادِيهَا منَ الدمعِ مُتْرَعُ
لحقنَا بأخرَاهُمْ وقدْ حَوَّمَ الهوَى قلوباً عهدنَا طيرَهَا وهىَ وُقَّعُ(١)
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشمسَ والليلُ رَاغِمٌ
بِشَمسٍ بَدَتْ منْ جانبِ الخدرِ تطلُعُ
نَضَا ضَوْؤهَا صِبْغَ الدُّجنةِ وانْطَوَى
لبهجتهاَ ثوبُ السماءِ المجـــزَّعُ

(١) فى أصول الكتاب « وقد خذم الهوى » وأثبتنا ما فى الديوان .

و بعده البيت، و بعده :

وعهدِى بهاتُحْيِى الهَوَى وتُميتُهُ وتَشْعبُ أعْشار القلوب وتصدَعُ
وَأُقرعُ بالعتبى حُمَيًّا عِتَابِهَا وقدْ تستَقيدُ الراح حين تشعشعُ
وتَقفُو لىَ الجدْوَى بجَدْوَى وَإِنما يرُوقُكَ بَيْتُ الشعر حين يُصَرَّعُ

والشاهد فيه : التلميح ، وهو : أن يشير الشاعر فى فحوى الكلام إلى قصة أو شعر ، أو مثل سائر ، فههنا أشار إلى قصة يوشع بن نون ، فتى موسى — عليهما السلام ! — واستيقافه الشمس ، فانه روى أنه قاتلَ الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت ، فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فردَّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وخرّج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غزا نبىٌّ من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أنْ يبنى بها ولم يبن بها ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفهُ ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادتها ، قال : فغزا القرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علىّ ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه » .

وقد تطرّف الرصافىُّ البلنسى بتلميحه بهذه القصة ، فقال يخاطب بعض من اسمه موسى بأبيات ، أولها [من الكامل] :

مامثلُ موضعك ابنَ رِزْقٍ مَوْضِعُ زَهْرٌ يَرِفُّ وَجَدْوَلٌ يتدَفَّعُ

يقول فيها :

وَعَشِيَّةٍ لَبِسَتْ رِداءَ شُحُوبِهَا والجوُّ بالغيم الرَّقيق مُقنعُ

بلغَتْ بنا أمَدَ السرُور تألقاً والليـــلُ نحو فراقنا يتطلّعُ
فابْلِلْ بها رَمقَ الغبُوقِ فقد أتى من دُون قرص الشمس مايتوقعُ
سقطتْ ولم يملك نديمكَ رَدّها فوددْتُ ياموسَى لوَ أنكَ يُوشَعُ

وقد قال ابن مرج الكحل فيها ينحو هذا المنحى، وأشار إلى قصة الوصافى هذه [من الكامل] :

حفَلَ المسَاء وَللنسيم تضوُّعُ والأنسُ ينظمُ شملنا وَيُجمعُ
والزهرُ يضحَكُ عن بكاء غمامَةٍ ربعتْ بشيم سيوفِ برقٍ تلمعُ
فانعمْ أبا عمرانَ وآله برَوْضةٍ حَسُنَ المصيفُ بهَا وطابَ المرْبعُ
ياشادِنَ البَانِ الذى دُونَ النقا
حيثُ التقى وَادِي النقَا وَالأجرَعُ
الشمسُ يغربُ نورُهَا ولرُبمـا كَسفت ونورُكَ كل حين يطلعُ
أفلَتْ فنابَ سنَاكَ عنْ إشراقِهَا وجلاَ مِنَ الظلماء ما يتوقعُ
فأمنتُ يا موسى الغرُوبَ ولَم أقُلْ
(فوَدِدْتَ يا مُوسَى لوَ أنكَ يُوشَعُ)

وقد لمح بهذه القصة أيضا أبو العلاء المعرى حيث قال [من الوافر] :

فلوْ صح التناسخ كنتَ موسَى وكانَ أبوكَ إسحاقَ الذبيحاَ
ويوشعُ رَدَّ يوحاً بعضَ يومٍ وأنتَ متى سفرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا

ويوح ويوحى — بياءين مثناتين من أسفل — من أسماء الشمس .

وقال كثير من اللغويين : إنهما بالباء الموحدة ، وكذا رواه أبو على البغدادى، والصحيح الأول .

ويروى أن المعرّى اعترض عليه فى هذه اللفظة ببغداد فى حلقة ابن المحسن

فاحتج عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب ، فقال : هذه نسخ مُحْدَثَة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا مافى دار العلم من النسخ القديمة فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال .

وقد لمح ابن قلاقس إلى هذه القصة أيضا بقوله [من الطويل] :

ومنتصر فى منع مقلوب عقربٍ   بما تحته من لسع مقلوب برْقُعِ
أبَتْ شمسهُ إلا الغروبَ وقد سَما   بها كَلَفِى منْ كل عضو بيوشعِ

وابن مطروح ، بقوله [من الطويل] :

وماَ أنسَ لاَ أنسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ
دُجى فأضاءَ الأفقُ مِنْ كلّ موْضعِ
فحدَّثتُ نفسى أنهاَ الشمْسُ أشرَقَتْ
وَأنِّى قَدْ أوتيتُ آيــةَ يوُشعِ

والملك الناصر داود بقوله ، يرثى الامام المنتصر بالله ، ويمدح المعتصم ، من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أقامَ مَنارَ الدين بعدَ اعوجاَجهِ   وشيَّدَ واهى الدينِ بعدَ التضعضعِ
بإقدَامِ منصورٍ وعزمَـةِ قادرٍ   وَسـيرَةِ مهدِىّ وَإخباتِ طيِّعِ
به رجعَتْ شمسُ المكارِم والعلا   كما رَجعتْ شمسُ النهار ليُوشَعِ

ونصر بن أحمد الخبزأرزى ، بقوله من قصيدة [من البسيط] :

وَلّى فأقبلتِ الأردافُ لاَعبةً   كما تلاعبتِ الأمواجُ فى اللججِ
ثم انثنى بانعطافٍ منهُ ملتفتاً   كما ثنَى نفساً خوف الرقيب شَجِى
كأنَّ يوشعَ رَدَّ الشمْسَ ثانيةً   عنــدَ التفاتتِهِ نحوى بمنعرجِ

وابن اللبانة ، بقوله [من الطويل] :

بكَتْ عندَ توديعى فما علم الركبُ   أذاكَ سقيطُ الطلّ أم لؤلؤ رطبُ
أتابعها سرْبٌ وَإنى لمخطىءٌ   نجُومُ الدياجى لا يقال لها سربُ
لئنْ وقفَتْ شمْسُ النهار ليوشع   لقد وقفَتْ شمْسُ الهوَى لى والشُّهْبُ

وقد لمح إليها حازم فى مقصورته ، فقال [من الرجز] :

وكم رأتْ عينى نقيض ما رأتْ من اطلاع نورها تحتَ الدُجى
فيالَهَا مِنْ آيةٍ مبصرةٍ أبصرها طرفُ الرقيب فامترَى
وَاعتوَرَتهُ شبهة فَضلَّ عنْ تحقيق ما أبصرهُ وَما اهتدَى
وظنَّ أنَّ الشمْسَ قد عادَتْ لهُ فانجابَ جنحُ الليل عنها وانجلَى
والشمسُ ما رُدّتْ لغير يوشع لما غزا وَلِعلىّ إذْ غفَا

فلمح إلى قصة يوشع بن نون عليه السلام ، ثم زاد قصة رجوع الشمس لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وخبر ذلك مارواه الطحاوى عن أسماء بنت عُمَيْس من طريقين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ، ورأسه فى حجر علىّ ، رضى الله عنه ! فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصليت ياعلىّ؟ » قال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها طلعت بعد ماغربت ، ووقعت على الجبال والأرض .

ومن ظريف ما يحكى هنا ما روى أن المظفر المَرْوَزِىّ الواعظ جلس يوما ما بالتاجية ببغداد بعد العصر ، وأورد حديث رد الشمس لعلى رضى الله عنه ، وأخذ فى ذكر فضائله ، فنشأت سحابة غطت الشمس وظن أنها غابت ، فأومأ إليها وارتجل [من الكامل] :

لا تغرُبى يا شمس حتى ينتهى مَدْحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك إن أردتِ ثناءهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجلهِ
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات ، فلايدرى ذلك اليوم ما رمى عليه من الأموال والثياب .

ومن التلميح بالقرآن قول ابن المعتز [من الخفيف] :

أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا أننى مقيم وقلبى راحل فيهم أمام الجمال

مثل صاع العزيز فى أرحل القو م ولا يعلمون ما فى الرحال

ما أعز المعشوق ما أهون العا شق ما أقتل الهوى للرجال

أشار إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل أخيه، و إخوته لم يشعروا بذلك .

وقول أبى نصر محمد الأصفهانى فى ذم مملوك [من الطويل]:

بليت بمملوك إذا ما بعثته لأمر أعيرت رجله مشية النمل

بليد كأن الله خالقنا عنى به المثل المضروب فى سورة النحل

يشير إلى قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ـ الآيات) .

ومنه ما ذكره أبو بكر بن الأبار فى تحفة القادم أن أبا بكر الشبلى جلس يوماً على نهر شبل بالجسر، فتعرضه بعض الجوارى للجواز، فلما أبصرته رجعت بوجهها وسترت ما قد ظهر له من محاسنها، فقال أبو بكر المذكور [من الكامل]:

وعقيلة لاحت بشاطىء نهرها كالشمس طالعة لدى آفاقها

فكأنها بلقيس وافت صرحها لو أنها كشفت لنا عن ساقها

حورية قمرية بدوية ليس الجفا والصد من أخلاقها

قال التيجانى فى كتابه تحفة العروس : و يمكن تغيير البيتين الأولين بأن يقال [من الكامل]:

وعقيلة لاحت بشاطى نهرها كالشمس تتلو فى المشارق صبحها

لو أنها كشفت لنا عن ساقها　　لحسبتها بلقيس وافت صَرْحَهَا

يشير إلى قوله تعالى فى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام (قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ـ الآية)

ومن التلميح بالقرآن والشعر قول النفيس القراطيسى [من البسيط] :

يُسَرُّ بالعيدِ أقوامٌ لهم سَعَةٌ　　من الثراء وأما المقترُون فلاَ

هل سرنى وثيابى فيه قومُ سبَا　　أو رَاقنى وعلى رأسى به ابن جَلاَ

يشير إلى قوله تعالى عن قوم سبأ (ومزقناهم كل ممزق) وإلى قول الرياحى [من الوافر] :

أنا ابنُ جلاَ وطلاع الثنَايا　　متى أضع العمامة تعرِفونى

ومن التلميح بالحديث على جهة التورية قول بعضهم [من المقتضب] :

يا بَدْرُ أهلكَ جارُوا　　وعلموكَ التجرِّى

وقبَّحُوا لك وَصلى　　وحَسَّنُوا لك هَجْرِى

فليفْعَلُوا ما يشاءوا　　فإنهمْ أهلُ بدر

يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأله قتل حاطب « لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »

ومنه قول السراج الوراق [من الطويل] :

ومن فَرْط فقرى واحتياجِى بعدكم　　وبذل مُحَيّا بالحياء مُستَّرِ

أكلتُ حِمَاراً طال ما قد ركبتهُ　　كأنى لم أسمع بأخبار خَيْبَرِ

يشير إلى تحريم لحوم الحمر الأهلية فى غزوة خيبر .

• • •

من شواهد التلميح

٢١٦- لَعَمْرٌو مع الرَّمْضَاء والنار تَلْتَظى أرَقُّ وأحفى منك فى ساعةِ الكَرْبِ

البيت لأبى تمام، من قصيدة من الطويل.

والرمضاء: الأرض الشديدة الحر، وأحفى: من حَفِيَ بفلان، إذا بالغ فى إكرامه، وأظهر السرور والفرح، وأكثر السؤال عن حاله

والشاهد فيه: التلميح إلى البيت المشهور، وهو [من البسيط]:

المستَجيرُ بعَمْرٍو عند كُرْبَتِهِ كالمستجير من الرَّمْضَاء بالنارِ

وهو من البسيط، ولا أعرف قائله.

وعمرو: هو ابن الحارث، ولهذا البيت قصة، وهى أن البَسُوس بنت سعد خالة جَسَّاس بن مرة كان لها جار من جَرْم، يقال له: سعد بن شمس، وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب، وكان كليب بن وائل قد حمى أرضاً من أرض العالية فى مستقبل الربيع، فلم يكن يرعاها أحد إلا جسّاس لمصاهرة بينهما، لأن جليلة بنت مرة أخت جسَّاس كانت تحت كليب، فخرجت ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب مع إبل جساس، فأبصرها كليب، فأنكرها، فرماها بسهم فأصاب ضَرْعها، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب لبناً ودما، فلما نظر إليها صاح: واذُلّاه وذل جاراه، فخرجت جارته البسوس، فلما رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت: واذُلّاه، وقالت [من الطويل]:

لَعَمْرِىَ لو أصبَحْتُ فى دار مُنْقِذٍ لما ضِيمَ سَعْدٌ وهو جارٌ لأبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غُرْبَةٍ متى يعد فيها الذئب يَعْدُ على شاتى

فياسعد لاتُغْرَرْ بنفسك وارتَحِلْ فانك فى قَوْمٍ عن الجار أمواتِ

فسمعها جساس فقال: اسكتى أيتها المرأة فليقتَلَنَّ جمل عظيم هو أعظم من ناقة جارك، ولم يزل جساس يتوقع غِرَّةَ كليب حتى خرج كليب لا يخاف شيئاً

فتباعد عن الحى ، وتبعه جساس ومعه عمرو بن الحارث ، فأدرك جساس كليبا فطعنه بالرمح فدق صابه فأنفذه ، ثم أدركه عمرو بن الحارث ، فقال : ياعمرو أغثنى بشربة ماء ، فقال: تجاوزتَ شُبَيْثاً والأحصَّ ، يعنى موضع الماء ، وأجهز عليه ، فقيل * المستجير بعمرو — البيت * ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، حتى قتل أكثر بكر ، وكانت الغلبة لتغلب عليهم ، قال ابن إسحاق: كان بين هذه ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم ستون سنة .

ومن محاسن التلميح هنا قول ابن حجاج الشاعر [من المنسرح]:

ولى شفيعٌ إليك شرَّفنى إيجابه لى وزادَ فى قدْرى
نبَّهْتُ منه لحاجتى عمْراً ولم أعوِّلْ فيه على عَمْرو

يريد بالشطر الأول قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظَتْكَ حروب العِدَى فنبِّهْ لها عمراً ثمَّ نم

و بالثانى البيت المار .

ومن لطيف ما يذكر هنا أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز بن دلف ابن أبى دلف هرب إلى عمرو بن الليث ، وهو يومئذ بخراسان ، فغم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، وهو سحيم بن سعد شاعر عجلى ، فأنشده [من البسيط] :

ياابن الذين سبى كسرى بجمعهم فجللوا وَجْهَه قاراً بذى قار
دَوَّخْ خراسان بالجرد العتاق و بالبيض الرقاق بأيدى كلَّ مِسْعَار
يامَنْ تيَمَّمَ عمرا يَسْتَجيرُ به أمَا سمعْتَ ببيت فيه سيَّار
(المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار)

فسر أحمد بذلك وسُرِّىَ عنه ، وأمر لأبى نجدة بجائزة .

وذكرت بهذا البيت ما حكى أن بعضهم كان إذا فرغ من صلاته وضع خده على الأرض وقال :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار .

وأنشد المبرد لأبي كريمة البصرى يقول لعمرو الجاحظ [من البسيط] :

لم يظلم الله عمراً حين صيّرَهُ من كل شيء سوى آدابه عارِ

بَتّتْ حبال وصالى كفُّهُ قُطِعَتْ لما استعنت به فى بعضِ أوطارى

فكنت فى طلبى من عنده فرجاً كالمستجير من الرمضاء بالنار

إنى أعيذك والمعتاذ محترس مِنْ شؤْم عمرو بعز الخالق البارى

فان فعلْتَ فحظ قد ظفِرْتُ به وإن أبيتَ فقد أعلنت أسرارى

وما أحسن قول السراج الوراق مشيراً إلى ذلك [من البسيط] :

مالى أرى عُمَراً أنِّى استجَرْتُ به قد صار عَمْراً بواوٍ فيه وانصرَفا

ونامَ عن حاجةٍ نبهتُه غلطاً لها فألفيْتُ منه السهد والأسفا

والمستجيرُ بعمرو قد سمعتَ به فما أزيدك تعريفاً بما عُرِفا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

أقمْتَ المطامعَ من نومها ونمت فمن ذا بهذا حكم

وحاشاك تسْمَعُ فى مثلها فنبه لها عُمَرًا ثم نَمْ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

لا عدِمتَكَ حاجةٌ حمّلْتَ عنى كلَّها

قد نامَ عنها عُمَرٌ وأنت يقْظانُ لها

ومن لطيف مجونه فى تضمين هذا المعنى قوله [من المتقارب] :

نشطت لسُرَيْنَى فانثنى متاعى من بَعْدِ ما قَدْ عزَمْ
فقلت: تنامُ ولى مقْلَةٌ مُسَهَّدَةٌ ؟ مَنْ بهذا حكم ؟
فقال: أما قال بَشَّارُكم فنبه لها عمراً ثم نم

ومنه قول الصفى الحلى فى رجل اسمه أحمد كان برمى بأبنة وهو يدعى حب غلام اسمه عمر [من المتقارب] :

توالت على أحمد أبْنَةٌ فأقْبَلَ يشكو إلىَّ الألمْ
فقلتُ له إنها فِتْنَةٌ فنبه لها عُمَراً ثم نَمْ

وقد عكس هذا المعنى بقوله [من السريع] :

أنا الذى خالَفْتُ كلَّ الورى فى خبرٍ أثْبَتَهُ الوَقتُ
لما أتانى عُمَرٌ زائراً أنمْتُهُ ثم تَنَبَّهْتُ

وظريف هنا قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل] :

بينى و بين الحظ داجيةٌ عمياء لا نجْمٌ ولا شَجَرُ
لا يُهْتَدَى فيها ولو طَلَعَتْ فى أفقها أخلاقُكَ الغرَرُ
وأرى وحاشاكَ الكرامَ وما لى عِنْدَهم ظل ولا ثمَرُ
لو أننى نَبَّهْتُ فى وطَرٍ عمراً لماتَ من الكَرَى عمَرُ

ومن التلميح قول بشار [من البسيط] :

اليوم خمرٌ ويبدو فى غد خبرٌ والدهر ما بين إنعام وإيآس

يشير إلى قصة امرى القيس ، وقد بلغه أن أباه قتل ، وكان يشرب فقال : اليوم خمر ، وغداً أمر .

ومن مجون التلميح قول ابن حجاج [من الطويل] :

غضبَت صباح وقد رأتنى قابضاً أيرى فقلت لها مقالة فاجر

بالله إلا ما لطَمْتِ جبينهُ حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد به قول ابن نباتة السعدى فى وصف فرس أغر محجل [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقْتصّ منهُ فخاض فى أحشائه

وما أحسن قول بعض شعراء المغرب فى التلميح [من الوافر] :

وعندى من لوَاحِظِهَا حديث يُخبِّرُ أن ريقتَهَا مُدَامُ

وفى أعطَافها النَّشْوَى دليل وما ذقنَا ولا زعَمَ الهمَامُ

يشير إلى قول النابغة [من الكامل] :

زعَمَ الهمام بأن فاها باردٌ عَذْبٌ مقبَّلُهُ شهىُّ المورْدِ

زعمَ الهمام ولم أذقهُ أنهُ عذب إذا ما ذقتهُ قلت ازدد

وقد مر فى السرقات الشعرية طرف مما قيل فى هذا المعنى .

ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع المنصور ، فقد روى أنه وعده بجائزة ثم نسى ، فحجّا معا ، ثم مرا فى المدينة ببيت عاتكة ، فقال الهذلى : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص [من الكامل] :

يا بَيْتَ عاتكة الذى أتعزَّلُ حذَرَ العدى وبهِ الفؤاد موكلُ(١)

فأنكر عليه المنصور ابتداءه من غير سؤال ، ثم أمرّ القصيدة على باله ليعلم ما أراد ، فاذا فيها :

وأراكَ تفْعَلُ ماتقولُ وبعضهم مَذِقُ اللسانِ يَقولُ مالا يَفعَلُ

فعلم أنه أشار إلى هذا البيت بتلميحه الغريب ، فتذكر ما وعده به ، فأنجزه له

ومثله ما حكى أن أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبي وشرَح ديوانه وسماه

(١) وقع فى المطبوعتين « يابيت عاتكة التى أتقرل » محرفا عما أثبتناه

« معجز أحمد » فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى ، فجرى ذكر المتنبى فهضم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لولم يكن له من الشعر إلا قوله [من الكامل] :

* لكِ يا منازل فى القلوب منازلُ *

لكفاه ، فغضب المرتضى وأمر بسحْبِهِ و إخراجه[1] ، وقال للحاضرين : أتدرون ماعنى هذابذكر هذا البيت ؟ قالوا : لا ، قال: عنى به قول المتنبى [من الكامل] :

وإذا أتتكَ مَذمتى من ناقِص فهىَ الشَّهادةُ لى بأنى فاضلُ

ومن التلميح بهذا البيت بعينه ماحكاه صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ فى كتابه المسمى بقلائد العقيان فقال فيه « رَمدعين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يتشرّع ، ولا يأخذ فى غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل لا يتطهر من جَنَابه ، ولا يظهِرُ مخائل إنابه » فبلغ ابنَ الصائغ انتقاصُه له ، فمر يوما على الفتح وهو جالس فى جماعة ، فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح ، وقال له : شهادة يافتح ، ومضى ، فلم يَدْر أحدٌ ما قال إلا الفتح ، فتغير لونه ، فقيل : ماقال لك ؟ فقال : إنى وصفته بما تعلمون فى كتابى ، فما بلغت بذلك عُشْرَ ما بلغ هو منى بهذه الكلمة ، إنه يشير بها إلى قول المتنبى [من الكامل] :

وإذا أتتْكَ مذمتى من ناقص فهىَ الشهادة لى بأنى فاضلُ

ومن هذا القبيل قصّة السَّرى الرفاء مع سيف الدولة بن حمدان بسببَ المتنبى أيضاً ، فانهما كانا من مُدّاحه ، فجرى ذكر المتنبى يوماً فى مجلس سيف الدولة ، فبالغ فى الثناء عليه ، فقال السرى : أشتهى أن الأمير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ، و يتحقق بذلك أنه أرْكَبَه فى غير سَرْجه ، فقال له سيف الدولة : عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها [من الطويل] :

---

[1] فى المطبوعتين « وأمر بسجنه و إخراجه » وليس بشىء ، ومن أينَ للمرتضى أن يأمر بالسجن ؟ !

لِعينَيْكِ ما يَلْقَى الفؤادُ وما لقى ... وللحُبِّ مالم يبق منى ومابقى

قال السرى : فكتبت القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته ، لكن رأيته يقول فيها :

إذا شاء أن يَلهو بلِحيْةِ أحْمَق ... أراهُ غُبَارى ثم قال لهُ الحق

فعلمت أن سيف الدولة إنما أشار إلى هذا البيت ، فأحجمت عن معارضته

ومن بديع التلميح قول الرئيس أبى العباس بن أبى طالب رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

وكم ليلةٍ نلتُ فيها المُنَى ... وبات لى الحبُ فيها نجيّا

إذا ضلّ لَحْظِىَ فى جُنحها ... هدَتْ وجنَتَاه الصِّرَاط السويَّا

أراع فأسأل عن صبْحها ... فيرجع لى جُنْحها ثم هَنيَّا

إلى أن بَدَالىَ سِرْحانُها ... يُحاول للجَدْى فيها رقيًّا

فيا لك من ليلةٍ مثِّها ... أنادمُ بدرَ دُجاها البهيَّا

حكت ليلة السفح فى حُسنها ... فأصبَحْتُ أحكى الشريف الرضيَّا

يشير إلى قول الشريف الرضى رحمه الله تعالى فى قصيدته البديعة المشهورة وهو [من البسيط] :

ياليلة السَّفح هلاّ عُدْتِ ثانيةً ... سقى زمانكِ هطّال من الدِّيم

وأمستِ الريح كالغيْرَى تجاذِبنا ... على الكثيبِ فضُول الرَّيط واللمَم

يَشِى بِنَا الطيبُ أحياناً وآونة ... يُضيئنا البرقُ مجتازاً على إضَم (١)

وباتَ بارقُ ذاكَ الثَّغر يوضحُ لى ... مَواقع اللثم فى داج من الظُّلم

وبيننا عفّة بايعتها بيدِى ... على الوفاء لها والرَّعىِ للذمم

وبلّلَ الطّلّ بُرْدَيْنا وقد نَسمتْ ... رويحة الفجر بين الضال والسَّلم

(١) فى المطبوعتين « يشوبنا الطيب » وأثبتنا ما فى الديوان .

وأَكتمُ الصبحَ عنها وهى غافلة ... حتى ترنمَ عصفورٌ على عَلَمِ
فقُمْتُ أَنفضُ برداً ما تعلّقَهُ ... غيرُ العفافِ وراء الغَيْبِ والكرَم
وأَلمَسَتْنِى وقد جدَّ الوَدَاعُ بنا ... كفًّا يشيرُ بقضْبَانٍ منَ العنم
وأَلثمتنى ثغراً ماعدلْتُ به ... أَرْىَ الجنى ببنات الوَابل الرذم
ثم انثنينا وقد رَابَتْ ظواهرُنا ... وفى بواطننا بُعْدٌ عن التهم

ومن لطائف التلميح قول أبى فراس من أبيات [من الطويل]:

وقال أُصَيْحَابِى الفِرارُ أو الردى ... فقلتُ هما أمران أحلاهما مُرُّ
ولكننى أمضى لمالا يَعيبنى ... وحسْبُكَ من أمرين خيرهما الأسْرُ
ولا خير فى دفع الردى بمذلة ... كما ردهـا يوماً بِسَوْأَتِهِ عمرو

يريد عمرو بن العاص لما ضربه على رضى الله عنه يوم صفين ، فاتقاه بسوأته كاشفاً عنها ، فأعرض وقال : عورة المرء حمى ، وقد وقع ذلك لبشر بن أرطاة أيضا مع على رضى الله عنه كما وقع لعمرو ، وكان مع معاوية بصفين أيضا ، فأمره أن يلقى عليا ، وقال له : سمعتك تتمنى لقاءه ، فلو ظفرك الله به حصلت على دنيا وأخرى ، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه ، فقصده فى الحرب ، والتقيا ، فصرعه على ، فكشف عن سوأته ، فتركه ، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى ، وكان عدواً لعمرو وبشر [من الطويل]:

أفى كل يوم فارسٌ ليس ينتهى ... وعورَته وَسْطَ العَجاجة بادِيَهْ
يكف بها عنهُ علىٌّ سنانه ... ويضحكُ منهُ فى الخلاء مُعَاوِيَهْ
بدَتْ أمس من عمرو فقَنَّعَ رأسه ... وعَوْرَة بشر مثلها حذو حاذيَهْ
فقولا لعمرو ثم بشر: ألا انظرا ... سبيلكما لاتلقيا الليث ثانيَهْ
ولا تحمدَا إلا الحيَا وخُصَاكما ... هُمَا كانتا والله للنفس واقيَهْ
فلوْلا هُمَا لم تنجيَا من سنانِهِ ... وتلك بما فيها عن العَوْد ناهيَهْ

متى تَلْقَيا الخيلَ المشيحةَ صُبْحَةً ... وفيها عليٌّ فاتركا الخيلَ ناحيهْ

وكونا بعيداً حيثُ لاتدركُ القنا ... نحورَ كما إن التجارب كافيهْ

ومن التلميح البديع قول أبى فراس أيضاً [من الطويل] :

وقد علمت أمى بأن مَنِيَّتى ... بحد سِنَانٍ أو بحدّ قضيبِ

كما علمت من قَبْلِ أن يغرق ابنُهَا ... بمَهْلَكِهِ فى الماء أمُّ شبيبِ

يشير إلى ما رأته أم شبيب الخارجى فى منامها وهى حامل به من أن ناراً خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ، ثم وقعت فى ماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها غير مرة لم تصدق ، حتى قيل لها : إنه قد غرق ، فصدّقت ، وأقامت المَنَاحة عليه .

14

ومن بديع التلميح ما حكى أن عبدالرحمن بن الحكم قدم على معاوية رضى الله عنه الشام ، وكان قد عزل أخاه مروان عن المدينة وولى سعيد بن العاص ، فوجّهه أخوه وقال له : القه أمامى ، فعاتِبْه لى واستصلحه ، فلما قدم دخل عليه وهو يُعشى الناس ، فأنشأ يقول [من الوافر] :

أَتَتْكَ العيسُ تنفخ فى براها ... تكشف عن مَنَاكِبها القُطُوعُ

بأبْيَضَ من أمية مضرحىٍّ ... كأن جَبِينَهُ سيف صنيعُ

فقال له معاوية: أزائراً جئت أم مفاخرا أم مكاثرا ؟ فقال : أىّ ذلك شئت، فقال : ما أشاء من ذلك شيئا ، وأراد معاوية رضى الله عنه أن يقطعه عن كلامه الذى عَنّ له ، فقال: على أى الظهر آتيتنا ؟ قال : على فرس ، قال : ما صفته ؟ قال : أجش هزيم ، يعرض بقول النجاشى له [من الطويل] :

ونَجّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالة ... أجشُّ هزيمٌ والرماح دَوَانى

إذا خِلْتَ أطرافَ الرماح تنَاله ... مَرَتْه به الساقانِ والقَدَمانِ

فغضب معاوية رضى الله عنه ، وقال : أما إنه لا يركبه صاحبه فى الظلم إلى

الريب ، ولاهو ممن يتسوّر على جاراته ، ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك فى امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ماحملك على عزل ابن عمك ؟ ألخيانة أوجبت سخطا أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحته ، قال : فلا بأس بذلك ، وخرج من عنده فلقى أخاه مَرْوَان ، فأخبره بما جرى بينه و بين معاوية فاستشاط غيظاً ، وقال لعبد الرحمن : قبحك الله ! ما أضعفك ! عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر منك أحجمت عنه ، ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية رضى الله عنه فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك ، قال : لاها الله مازرتك لذلك ، ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بنى عبد شمس لآل أبى العاص بِصِهْر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يابنى حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أَثَرَةً وسوء صنيعة وقُبح قطيعة ، فرُوَيْدًا رويداً قد بلغ بنو الحكم و بنو بنيه نيفا وعشرين ، و إنما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم أمْرُوَان يكون منهم حينئذ ، ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوءى بالمرصاد ، فقال له معاوية رضى الله عنه : عزلتك لثلاث لو لم تكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك : إحداها أنى أمرتك على عبد الله بن عامر و بينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زَوْجها عمرو بن عثمان رضى الله عنهما فلم تُعْدِها ، فقال له مروان : أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقفه ، وأما كراهتى أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه ، وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنه ليأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان رضى الله عنهما فا أكشف لها

ثوبا ، يعرض بأن رملة إنما تستعدى عليه طلباً للنكاح ، فقال له معاوية رضى الله عنه : يا ابن الوَزَغ لست هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنى لأبو عشَرَة وأخو عشرة وعم عشرة ، وقد كاد ولدى أن يكملوا العدة ، يعنى أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منى ، فانخزل معاوية رضى الله عنه ، ثم قال مروان [من الوافر] :

فانْ أكُ فى شِرَارِكم قليلاً فانى فى خيارِكُمُ كثيرُ
بُغَاثُ الطير أكثرهَا فراخاً وأمُّ الصقرِ مقلاةٌ نَزُورُ (١)

فما فرغ من كلامه حتى استخزى معاوية فى يده ، وخضع ، وقال : لك العتبى وأنا رَادُّك إلى عملك ، فوثب مروان وقال : كلا وعيشك لا رأيتنى عائداً إليه أبداً ، وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت قط لك سقطة مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادْنُ منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له : إن الحكم ابن أبى العاص كان أحد من قدم مع أختى أمِّ حبيبة لما زفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدُّ النظر إليه فلما خرج من عنده قيل له : يارسول الله ، لقد أحْدَدْتَ النظر إلى الحكم ، فقال : ابن المخزومية ، ذاك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدى ، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف : لا يسمعن هذا منك أحد ، فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يَقْضِ الله عز وعلا أمراً يكن ، فقال له معاوية رضى الله عنه : فاكتمها علىَّ يا أبا بحر إذا فقد لعمرى صدقت ونصحت .

ومن ظريف التلميح أن حمزة بن بيض الحنفى الشاعر قدم على بلال بن أبى بُردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفى ،

(١) فى المطبوعتين « بغاث الطير أكثرهم » وليس بشىء .

فدخل الحاجب فأخبره به ، فقال : اخرج فقل له : حمزة بن بيض بن من ؟ فقال له: ادخل فقل له: الذى جئت إليه بنيار الحمام وأنت أمْرَدُ تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك الطائر ، فشتمه الحاجب ، فقال له: ما أنت وذاك ؟ بعثك برسالة فأخبره بالجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغضَبٌ فلما رآه بلال ضحك وقال : ما قال لك قبحه الله ؟ فقال : ما كنت أخبر الأمير بما قال ، فقال: يا هذا أنت رسول فأد الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل، فأكرمه وسمع مديحه وأحسن صلته ، وأراد بلال بقوله بيض ابن مَنْ قول القائل [من البسيط]:

أنتَ ابنُ بيضٍ لَعَمْرِى لست أنكره فقدْ صدقتَ ولكن مَنْ أبو بيضِ

وعلى ذكره فقد ذكرت له واقعة مع أحد بنى مروان ، وكان يعبث به كثيراً فوجه إليه رسوله ليلة وقال : ائتنى به على أى حالة وجدته ، فهجم الرسول عليه فوجده داخلا إلى الخلاء ، فقال: أجب الأمير، فقال : ويحك ! أكلت كثيراً ، وشربت نبيذاً حلوا وقد أخذنى بطنى ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، فأخذه وأتى به إليه ، فوجده قاعداً فى طارمة وعنده جارية عجيبة يتحظاها وهى تسجر البخور ، فجلس يحادثه وهو يعالج ماهو فيه من ذات بطنه ، فعرضت له ريح فسيَّبها ظناً أن البخور يسترها ، قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحها المنتن ذلك الند، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىّ عهد الله والمشى والهَدْى إن كنت فعلتها وما فعلها إلا الجارية ، فغضب وخجلت الجارية وما قدرت على الكلام ، ثم جاءتنى أخرى فسرحتها ، وسطع والله ريحها ، فقال : ماهذا ويلك أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق إن كنت فعلتها ، وهذه اليمين تلزمنى إن كنت فعلتها ، ماهو إلا عمل هذه الجارية ، فقال : ويلكِ ! ماقصتكِ ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئاً ، فأطرقت ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها مالم يكن فى الحساب ، فغضب عند ذلك حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال : ياحمزة

خذ بيد هذه الزانية فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغصت على ليلتى ، فأخذت بيدها ، وخرجت ، فلقينى خادم فقال لى : ماتريدأن تصنع ؟ فقلت: أمضى بها، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنك بُغضاً لا تنتفع به بعده ، وهذه ثلثمائةدينار فخذها ودع الجارية ، فقلت : والله لانقصتك عن خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلا ماقلت لك، قال : فأخذتها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى فلقينى الخادم وقال : هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لايضرك ولعله ينفعك ، فقلت : وماهو ؟ قال : تدعى أن تلك الفسوات الثلاث منك ، فقلت : هاتها ، ودخلت ، فلما وقفت بين يديه قلت : لى الأمان أيها الأمير ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة وما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : علىّ وعلىّ إن كان فسَاهُنَّ غيرى ، فضحك حتى سقط على قفاه ، قال : فلم ويلك ما أخبرتنى ؟ فقلت : أردت خصالا ، منها أن قمت وقضيت حاجتى ، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أنى كافأتك على أذاك بمثله حيث منعنى رسولك من دفع أذاى ، قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر ، فسر به ، وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك وتركك أخذ الجارية

ومن جيد التلميح قول أبى تمام الطائى [من الطويل] :

لئن فَخَرَت يوماً تميمٌ بقوسها   وزَادَتْ على ما وَطَّدَت من مَنَاقِب[1]

فأنتم بذى قار أمالَتْ سيوفُكُمْ   عروش الذين استرْهَنُوا قوس حاجِبِ

يشير إلى قصة حاجب بن زُرارة حين أتى كسرى فى جَدْب أصابهم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا فى ناحية من بلاده حتى يحيوا فقال : إنكم معاشِرَ العرب ذوو غَدْر وحرص ، فان أذنت لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، فقال حاجب : إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا ، قال : ومن لى بأن تفى ؟ فقال: أرهنك قوسى، فضحك مَنْ حوله، فقال كسرى: ما كان ليسلمها

(١) فى المطبوعتين « بجارا على ما وطدت » وأثبتنا ما فى الديوان

أبداً ، فقبلها منه وأذن لهم، ثم أحيى الناس بدعوته صلى الله عليه وسلم ، وقدمات حاجب ، فارتحل ابنه عطارد رضى الله عنه إلى كسرى يطلب قوس أبيه ، فردها وكساه حلة ، فلما رجع أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها ، فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم .

ويشير فيه أيضاً إلى وقعة ذى قار المشهورة ، وكانت بين الفرس والعرب ، وكانت بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولما بلغه خبرها قال : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم و بى نصروا .

وعن ابن عباس قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، و بى نصروا » .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثلت له الواقعة وهو بالمدينة فرفع يديه ودعا لبنى شيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس .

ويروى أنه قال « إيهاً بنى ربيعة » فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم ، وقال قائلهم : يارسول الله وَعْدَكَ ، فاذا دعوا بذلك نصروا .

وقد لمح إلى ذلك المطرانى بقوله [من المنسرح] :

تَزْهو علينا بقَوْس حاجبها زَهْوَ تميم بقوس حاجبها

وقد لمح إلى ذلك الصفدى فقال مُوَرِّيا فى مليح قلندرى حلق حاجبيه [من الطويل] :

بَدَا لِىَ فى حَلْقِ الحواجِبِ فِتْنَةٌ فقُلْتُ بعقْلٍ ذاهلٍ فيه ذاهِبِ
حَبيبى بحقِّ الله قل لىَ ماالَّذى دَعاكَ إلى هذا ، فقال مُجَاوِبى:
وَعدْتُ بوَصْلِ العاشقينَ تَعطفاً فلَمْ يَثقوا واسترهَنوا قَوْسَ حاجبى

ومن لطيفِ التلميح قول الحسن بن القوطية [من الطويل] :

رأى صاحبي عَمْراً فـكَلَّفَ وصفَهُ وحملنى من ذاكَ ما لَيْسَ فى الطَّوْقِ
فقلت: له عمرٌو كعمرٍو، فقَالَ لى: صَدَقْتَ ولـكن شَبَّ عمرو عن الطوْقِ

يشير إلى قصة عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش، وكانت الجن قد استهوته صغيراً . ثم قدم وقد التحى، فى خبر طويل، فأدخلته أمه رقاشٍ إلى الحمام، وألبسته ثياب الملك، ووضعت فى عنقه طوقاً من ذهب كان له، وأزارته خاله، فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال « شبَّ عمرٌو عن الطوق» فذهب مثلا .

و إلى ذلك لمح السراج الوراق بقوله من أبيات [من البسيط] :

بطوق سمورةٍ كادت محاسنهُ تـكونُ للوُرْق فى أفنانهن ّ سَمَرْ
إن شب عمرو عن الطوق الذى زعموا فقل وقد شب فى الطوق الوزير عُمَرْ

وأشار إلى ذلك بقوله أيضاً [من مجزوء الرمل] :

مثل ما قد شب عمْرٌو هـكذا شابَ عُمَرْ

ومن غريب التلميح ما حكى أن رجلا قعد على جسر بغـداد ، فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة إلى الجانب الغربى ، فاستقبلها شابٌّ فقال لها : رحم الله على بن الجَهم ! فقالت له : رحم الله أبا العلاء المعرى ! وما وَقَفَا بل سارا مشرقاً ومغربا ، قال : فتبعت المرأة وقلت لها : لئن لم تخبرينى بما أرا بابن الجهم وما أردت بأبى العلاءِ فضحتك، فقالت: أراد به قوله [من الطويل] :

عُيون المَها بينَ الرصافةِ والجِسرِ جَلبْنَ الهوى من حيثُ أدْرى ولا أدْرى

وأردت أنا بأبى العلاء قوله [من الطويل] :

فيا دارَها بالخَيفِ إنَّ مَزارَها قريبٌ ولـكن دون ذلك أهوالُ

ومن التلميح أيضاً قوله [من الوافر] :

شقيت بكم وكنت لـكم جليساً فَلَسْتُ جليسَ قَعْقَاعِ بن شورِ

أراد به قول الآخر [من الوافر] :

وكنتُ جليسَ قعقاعِ بنِ شورٍ ولا يشقى لقعقاعٍ جليسُ

ومن ظريف التلميح قول ابن قلاقس [من مجزوء الخفيف] :

عسكرٌ مِنْ جَمالِه بَطلٌ ليسَ يُدفَعُ
قامَ عن قوسِ حاجبَيْـــه بعينَيْه يَنْزِعُ
أسهمٌ كيفَ ماانحرفْـــنَ إلى القَلْبِ تَذْبَعُ
هكذا كنتُ عن أبي حيَّةٍ قبلُ أسمعُ

يشير إلى ما حدث به أبو حية النميري عن نفسه قال : عَنَّ لى ظبي يوماً فرميته فراغ من سهمي فعارضه السهم ثم راغ فعارضه ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الحارات .

وأبو حية هذا اسمه الهيثم بن الربيع شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان أهوج جباناً بخيلا كذابا معروفاً بذلك أجمع ، وقيل : إنه كان يُصْرَع .

ومن أخباره أنه كان له سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق ، قال ابن قتيبة : فحدثنى جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف فى وسط الدار وهو يقول : أيها المغتر بنا ، والمجترئ علينا ، بئس والله مااخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لاتخاف نَبْوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إننى والله إن أدع قيساً عليك لا تقم لها ، تيس وما قيس تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا . سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلباً ، وكفانى حرباً .

وقال مسلمة بن عياش لأبى حية: أتدرى ما يقول الناس ؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنى أشعر منك ، قال: إنا لله ، ذهب والله الناس .

وحدث عبد الله بن مسلم قال: كان أبو حية النميرى من أكذب الناس، فحدث يوما أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله ، فيأخذ منها ما شاء ، فقيل له : يا أبا حية ، أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا نصنع بك ؟ قال : أبعدها الله إذا .

وقال يوما: رميت والله ظبية فلما بعد سهمى عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لى فعدَوت خلف السهم حتى قبضت على قُذَذِه قبل أن يدركها .

وقد لمح الصلاح الصفدى إلى قصة أبى حية أيضا فقال [من السريع] :

وشادنٍ إنْ هبَّ عَرْفُ الصَّبا شَمِمْتُ منهُ عَرْفه طَيَّهْ
أميل عنهُ خوفَ عشقى لهُ وجفنه يتبعنى غيه
كأننى قدامه ظبيةٌ وطرفهُ سهم أبى حيهْ

وقد تبع الصلاحَ الصفدى فى ذلك ابنُ نباتة على عادته المشهورة حيث قال [من الخفيف] :

وبديع الجمال لم يَرَ طَرْفى مثل أعطافهِ ولا طَرْفُ غيرى
كلما حدتُ عن هوَاهُ أتَانى سهم ألحاظهِ كسَهْم النميرى

ومما عد من هذا النوع ، وهو بالتعريض أشبه ، قول محمد بن مغيث وقد أتى عبد المجيد بن المهذب زائراً فحجبه ، وهو [من الخفيف] :

زُرْتُ عبد المجيد زَوْرَةَ مُشْتَا قٍ إليه فصدٌ عنى صُدُودَا
فكأنى أتيتهُ أنزعُ العمَّـ ـةَ عن رأسهِ وأخصى سَعِيدَا

وكان برأس المذكور قروح وله عبد يؤثره

وهذا يشبه تعريض ولادة بنت المستكفى فى قولها [من السريع] :

إنَّ ابن زَيْدونَ على فضله ‏ ‏ يَغتابُنى ظلماً ولا ذَنْبَ لى

يلحَظُنى شَزْراً إذا جئتُه ‏ ‏ كأنَّنى جئتُ لأخصِى عَلِى

ومثله قول أبى الحسن بن نفادة [من المقتضب] :

إن ابن زَيْذَبَ رامٍ ‏ ‏ له مَرَامٍ بعيدَهْ

يَريشُنى بسهامٍ ‏ ‏ تجىء غيرَ سديدَهْ

والله إن لم يَدَعْنى ‏ ‏ لأخصينَّ عبيدَهْ

وما أحسن قول أبى نواس [من الوافر] :

فأعرَضَ هيثمٌ لما رآنى ‏ ‏ كأنى قد هجوتُ الأدعياء

فعرَّض بكونه دعياً ، ثم تهكم به ، فقال :

فقد آليتُ لا أهجُو دَعِيًّا ‏ ‏ ولو بَلَغَتْ مُرُوءتُهُ السماء

ومن ظريف التلميح ما روى أن شريك بن عبد الله النميرىّ ساير يزيد ابن عمرو بن هبيرة الفزارى يوماً ، فبرَزَتْ بغلة شريك ، فقال يزيد : غض من لجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير ! فقال له يزيد : ما ذهبتُ حيث أردت .

ويزيد أشار إلى قول جرير [من الوافر] :

فغضَّ الطرفَ إنكَ من نُميرٍ ‏ ‏ فلا كعباً بلغْتَ ولا كلابَا

فعرَّض له شريك بقول ابن دارة [من البسيط] :

لا تأمننّ فزَاريًّا نزلتَ به ‏ ‏ على قلوصكَ واكتبها بأسيارِ

وكان بنو فزَارة يُرْمَونَ باتيان الابل .

ومثله ما حكى أن تميمياً نزل بفزارى ، فقال له : قلوصكَ يا أخا تميم لا تنفر القطا ، فقال : إنها مكتوبة .

أشار الفزارىّ إلى قول الطرماح [من الطويل] :

تميمٌ بِطرُقِ اللؤم أهدَى مِنَ القَطا

ولوْ سلَكتْ سُبْلَ المكارم ضَلّتِ

وأشار التميمى إلى بيت ابن دارة المار .

و بيت الطرماح هذا يقول بعده :

ولوْ أنّ بُرْغوثاً على ظهرِ قملةٍ ... يكرّ عَلى صَفَّىْ تميم لولّتِ

وقد أخذ ابن لنكك صدر البيت الأول ، فقال [من الطويل] :

تعستمْ جميعاً مِنْ وجوهٍ لبلدةٍ ... تكَنفكمْ لؤمٌ وجَهْلٌ فأفرَطَا

أرَاكمْ تعيبونَ اللئامَ و إننى ... أرَاكم بطرقِ اللؤمِ أهدى منَ القطَا

ومثله ما حكى أن تميما قال لشريك النميرى : مافى الجوارح أحبُّ إلى من البازى ، فقال النميرىّ : خاصة إذا كان يصيدُ القطا

أشار التميمى إلى قول جرير [من الوافر] :

أنَا البازِى المطلّ على نميرٍ ... أُتيحَ من السماء له انصبابَا

وأشار النميرى إلى بيت الطرماح المارّ قبله .

ومن ذلك ما روى أن رجلا من بنى مُحارب دخل على عبد الله بن يزيد الهلالىّ ، فقال عبدالله: ماذا لقينا البارحة من شيوخ بنى محارب، ما تركونا ننام، فقال المحاربى : أصلحك الله ! أضلوا البارحة برقعاً فكانوا فى طلبه .

أراد الهلالى قول الأخطل [من الطويل] :

تَرِيشُ بِلاَ شىء شيوخ مُحاربٍ ... وما خِلتُهَا كانتْ تَرِيشُ ولاتبرِى

ضَفادعُ في ظلماء ليل تجاوَبتْ   فدلَّ عليها صوتُها حيةَ البَحرِ

وأراد المحاربي قول الآخر [من الطويل]:

لكل هلالى من اللؤم بُرْقعٌ   ولابن هلال بُرْقُعٌ وجِلالُ

ومنه ما ذكره صاحب البيان، قال: دخل عبد الحميد بن سعيد بن مسلم الباهلى ومعه ابنه الأفوه، وكان مبغضاً، فتخطى الناس حتى بلغ إلى عمر بن فرج الرخجى، فلما قرب منه قال له: من هذا؟ فقال: ابنى، أصلحكَ الله! وهل يخفى القمر، فقال: إن كان كذلك فرفع عنه حاشية الازار.

أراد قول بشار بن برد [من الوافر]:

إذا أعيتك نسبةُ باهليّ   فرَفِع عنه حاشية الازارِ

على أستاهِ سادَتهمْ كتابٌ   مَوَالى عامرٍ وَسْماً بِنَارِ

ومن ظريف التلميح: ما حكى أن الحَيْصَ بَيْصَ حضر ليلةً عند الوزير فى شهر رمضان على السماط، فأخذ أبو القاسم بن القطان قطاة مشوية، وقدمها إلى الحيصَ بَيصَ، فقال الحيص بيص للوزير: يا مولانا هذا الرجل يؤذينى، فقال الوزير: وكيف ذاك؟ قال: لأنه يشير إلى قول الشاعر:

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهْدَى مِنَ القطَا

وَلَوْ سَلَكَتْ سُبْلَ المكارِمِ ضَلّتِ

وكان الحيص بيص تميمياً، وقد سبق له ذكر فى شواهد الهزل الذى يراد به الجد، وكان ابنه يلقب هَرْجَ مَرْجَ، وابنته: دَخْلَ خَرْجَ.

ومما يستظرف لأبى القاسم المذكور، وهو مما نحن فيه: أنه لما ولى الزينبي الوزارة دخل عليه والمجلس حافل بالرؤساء والأعيان، فوقف بين يديه ودعا له، وأظهر الفرح والسرور، ورقصَ، فقال الوزير لبعض من يفضى إليه

بسرّه : قبح الله هـذا الشيخ ! فانه يشير برقصه إلى قولهم : ارقص للقرد في دولته .

وقد نظم أبو القاسم المذكور هذا المعنى ، وكتبه إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الخفيف] :

يا كمال الدين الذى هُوَ شَخص مشخّصُ
والرئيسُ الذى بـهِ ذنبُ دَهرى يمحّصُ
كلما قلتُ قدْ تبغـــدَدَ قومى تحمصُوا
وغواشٍ على الرؤو سِ عليها المقرنصْ
والرّواشـــينُ وَالمناَ ظر والخيلُ تقمصُ
وأنا القردُ كل يَو مٍ لـكلب أبصبصُ
كلّ منْ صفقَ الزما نُ لهُ قمتُ أرقصُ
محنٌ لاَ يفيدُ ذَا النـــون منهاَ التبرصصُ
فمتىَ أسمعُ النـــدَا ء وقدْ جاءَ مخلصُ

وفى معناه قول ابن عتبة الاشبيلى ، وكان قد فارق الأندلس وهى مضطربة بدولة ابن هُودٍ ، وقدم مصر ، فلما سئل عن حاله أنشد [من مخلع البسيط] :

أصبحت فى مصر مستضاماً أرقصُ فى دولة القرودِ
واضيعةَ العمرِ فى أخيرٍ من النصارى أو اليهودِ
بالجدّ رزقُ اللئام فيهمْ لا بِذوَات ولا جدُود
لاتبصرُ الدهرمن يُراعى معنى قصيد ولا قصُودِ
أودّ من لؤمهم رُجُوعاً للغرب فى دولة ابن هُودِ

وعلى ذِكر الرقص للقرود فبديع قول أبى الحسن الأهوازى [من مخلع البسيط]:

قلتُ لمَنْ لامَ لا تلمنى كل امرىء عالم بشانه
لا ذَنب فيما فعلتُ إنى رقصتُ للقرد فى زمانه
من كرم النفس أن ترَاها تحتملُ الذلّ فى أوانه

ومنه قول على بن بسام [من مخلع البسيط]:

لاَ بدَّ يانفسُ من سجود فى زمن القرْد للقرودِ

وقوله أيضاً [من الوافر]:

سَجدنا للقرودِ رَجاء دُنيا حَوَتْهَا دوننا أيدى القرودِ
فما آلت أناملنا بشىء علمناه سوَى ذل السُّجُودِ

وكان أبو القاسم بن القطان صاحب نوادر، منها أنه دخل يوما على الوزير ابن هُبيْرَةَ وعنده نقيب الأشراف، وكان ينسب إلى البخل، وكان فى شهر رمضان والحر شديد، فقال له: أين كنت؟ قال: فى مطبخ سيدى النقيب، فقال الوزير: ويلك فى شهر رمضان فى المطبخ، قال: وحياة مولانا كسرت فيه الحر، فتبسم الوزير، وضحك الحاضرون، وخجل النقيب

وهجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبى بقصيدة كافية أولها [من مجزوء الخفيف]:

يا أخى، الشّرْطُ أملَكُ استُ للثلب أَمْرُكْ

وهى تزيد على مائة بيت، فسير إليه أحد الغلمان، فأحضره، وصفعه، وحبسه فكتب إلى مجد الدين استادار الخليفة [من الوافر]:

إليك أظلُّ مَجْدَ الدين أشكو بلاءً حلّ لستُ له مطيقا
وقوماً بلغُوا عنى مُحـالاً إلى قاضى القُضاة النّدب سيقا

فأحضرَنى بباب الحكم شخصٌ غَليظٌ جرَّنى كما وزيقا
وأخفقَ نعلُه بالصفْعِ رأسى إلى أن أوجسَ القلبُ الخفوقا
على الخَصْم الأداء وقد صُفِعْنَا إلى أن ما تَهدَّينَا الطريقا
فيا مولاى هب ذا الافك حقاً أنُحْبَسُ بعد ما استَوْفَى الحقوقا

فشفع فيه فأطلقه من الحبس ، فقال [من السريع] :

عند الذى طرق بى أنه قد غضَّ من قَدْرى وآذانى
والحبس ما غيَّرَ لى خاطراً والصفع مالين آذانى

ويضارع هذا ما حكى أنه كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير ، وكان قد بلغ سناء الملك أنه قد هجاه ، فأدبه بالصفع وشتمه، فكتب إليه ابن المنجم الشاعر [من البسيط] :

قل للسعيد أدام الله دولته صديقنا ابن وزيرٍ كيف تظلمه
صفعته إذ غدا يهجوك منتقماً منه ، ومن بعد هذا ظَلْتَ تشتمه
هجو بهجو ، وهذ الصفع فيه رِباً والشرع ما يقتضيه بل يُحَرِّمه
فان تقل ما لهجو عنده أثر فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وما أظرف قول القائل [من الطويل] :

حباها باكرام وقام مبادراً إلى وتد البيقار علق خفها
وكان إذا مارَابَهُ سوء فعلها يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقد كان أبو الفرج بن السوادى الشاعر الواسطى مدح قاضى القضاة الزينبى لما قدم من واسط ، فتأخرت عنه جائزته فاجتمع بابن القطان وشرح له حاله ، فكتب إلى صديق لقاضى القضاة [من المديد] :

يا أبا الفضل الهجاء إذا ضاق صَدْرٌ منه يتسع

وقوافى الشعر واثبةٌ ولها الشيطان متبع
فاحذرُوا كافات منحدر مالكم فى صفعه طمعُ

فاتصلت الأبيات بالزينبى ، فأجاز ابن السوادى وأرضاه .

ومن نوادر ابن القطان أنه قصد دار بعض الأكابر فى بعض الأيام ، فلم يؤذن له ، فعز عليه ، فأخرجوا من الدار طعاماً لكلاب الصيد ، وهو يبصره ، فقال : مولانا يعمل بقول الناس « لعن الله شجرة لا تظل أهلها » .

ومن ظريف التلميح ما حكاه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل إلى الجامع الأزهر يوماً ، فوجد أبا الحسين الجزار جالسا وإلى جانبه مليح ، ففرق بينهما وَصلى ركعتين ، فلما فرغ قال لأبى الحسين: ما أردت إلا قول ابن سناء الملك . وقال أبو الحسين : وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق

أراد ابن النحاس بقول ابن سناء الملك [من مجزوء الرمل] :

أنَا فى مقعد صدقٍ بين قوّاد وعلق

وأراد الجزار بقول السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ رَاض الأبىّ فقاده سلس القياد
لما توسـط بيننا جرت الأمور على السداد

ومحاسن ما أتينا به من التلميح تغتفر الاطالة . والله تعالى أعلم .

***

شاهد حسن الابتداء

٢١٧ — قِفاَ نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقط اللوَى بينَ الدَّخُولِ فحَوْملِ

البيت من الطويل ، وهو مطلع قصيدة امرىء القيس السابقة فى شواهد المقدمة

والسقط : حيث انقطع معظم الرمل ودق ، واللوى : ما التوى من الرمل أو مُسْتَرَقُّه ، والدَّخول وحَوْمل : موضعان .

والشاهد فيه: حسن الابتداء ، ويسمى براعة المطلع ، وبراعة الاستهلال ، فبيت امرىء القيس هذا أبدع فيه، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ، عذب اللفظ، سهل السبك ، وانتقد عليه عدم المناسبة فى الشطر الثانى .

وأحسن منه فى التناسب ــ وإن كان مطلع امرىء القيس أكثر معان ــ قول النابغة [من الطويل] :

كِليني لهمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ وليلٍ أقاسيهِ بطىءِ الكواكِبِ

فإن قسميه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وما سمع أشد مباينة من قسمى بيت جميل فى قوله [من الطويل] :

ألاَ أيها النُّوّام وَيْحكُمُ هُبُّوا أسائلكم هل يَقْتُلُ الرجلَ الحبُّ

وهذا البيت هو الذى قال فيه الرشيد إما للمفضل الضبى أو غيره: هل تعرف بيتاً نصفه بدوى فى شملة وباقيه مخنث فى بِذْلَةٍ ، فأنشده البيت ، فاستحسن فكره.

* * *

شاهد حسن الابتداء

٢١٨ ــ قَصْرٌ عَلَيْهِ تحيةٌ وسلاَم خَلَعَتْ عليه جمالها الأيامُ

البيت لأشجع السلمى ، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد ، والرواية « نثرت» بدل « خلعت » ، وبعده :

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتّقَى للمُلْكِ فيه سلامَةٌ وسلامُ

قصرٌ سُقُوفُ المزن دون سقوفِهِ فيه لأعلام الهدَى أعلامُ

نَشَرت عليه الأرض كسوتَها التى … نسجَ الربيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ
أدنتكَ من ظل النبى وَصِيَّةٌ … وقرابة وشجَتْ بها الأرحامُ
بَرَقتْ سماؤكَ فى العَدُوِّ فأمطَرَتْ … هاماً لها ظلُّ السيوف غمامُ
وإذا سُيُوفكَ صافحَتْ هامَ العدا … طارَت لهن عن الرؤوس الهامُ
يُثْنى على أيامك الاسلامُ … والشاهِدَانِ الحلُّ والاحْرَامُ
وعلى عدوِّكَ يا ابنَ عمِّ محمد … رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ
فاذا تَنَبه رُعْتَهُ وإذا غفَا … سلَّتْ عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

حدث عبد الله بن العباس الربيعى أن أول من أدخل أشجع إلى الرشيد الفضلُ بن الربيع ، فانه مدحه ، فوصفه للرشيد ، وقال : هو أشعر شعراء هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة ، فأمر باحضاره وإيصاله مع الشعراء ، فلما وصل إليه أنشده هذه القصيدة ، فاستحسنها ، وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدح الفضل ابن الربيع وشكر له إيصاله إلى الخليفة ، فقال فيه قصيدته التى أولها [من الكامل] :

غَلبَ الرقادُ على جفُونِ المسعِدِ … وغرقْتُ فى سهَر وليلٍ سَرْمَدِ
قد جدَّ بى سهرٌ فلم أرْقُدْ له … والنوْمُ يلعبُ فى جفون الرقَّدِ
ولطالما سَهِرَتْ بحبى أعينٌ … أهدى السهاد لها ولما أسْهَدِ

ويقول فيها :

أأقيم مُحتَملا لضَيْمِ حوادثٍ … مَعَ هِمَّةٍ موْصولة بالفرْقدِ
وأرَى مخَايلَ ليس يَخلف نوءها … للفضل إن رَعدت وإن لم ترعَدِ
للفضل أموال أطاف بها الندى … حتى جَهَدْن وجودُه لم يجهَدِ
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالذى … أوليتنى فى عَوْدِ أمركَ والبَدِ

أوصلتني ورفدتني وكلاهما شرف فقأت به عيون الحسد
وكفيتني منن الرجال بنائل أغنى يدى عن أن تمد إلى يد

والشاهد فى البيت : حسن الابتداء .

وقد ضمنه الصلاح الصفدى فى مرثية فقال [من الكامل] :

صلى وراءك كل من عاصرته علماً بأنك فى البيان إمام
وكأن قبرك للعيون إذا بدا (قصر عليه تحية وسلام)

ومن محاسن الابتداءِ قول أبى نواس [من الطويل] :

خليلى هذا موقف من متيم فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقول البحترى [من الطويل] :

يودى لو يهوى العذول ويعشق ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

وقول أبى تمام [من الكامل] :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتقضت الأوطار

وقول المتنبى [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقوله [من الطويل] :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا فلم أدر أى الظاعنين أشيع

وقول ابن المعتز مع تناسب القسمين [من الخفيف] :

أخذت من شبابى الأيام وتولى الصبا عليه السلام

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

ياساهرَ البرق أيْقِظْ راقِدَ السَّمُرِ　　لعلَّ بالجِزْعِ أعواناً على السَّهَرِ

وقول ابن هانى ، مع بديع الاستعارة [من الكامل] :

بَسَم الصَّباحُ لأعين النُّدَماءِ　　وانْشقَّ جَيْبُ غُلالة الظَّلْماءِ

وقول الشريف أبى جعفر البياضى مشيرا إلى الرفق بالابل عند السُّرى [من الكامل] :

رفقاً بهنَّ فما خُلقْنَ حديدَا　　أوما تَراها أعظُماً وجُلودَا

وقول ابن قاضى ميلة [من الطويل] :

يذيل الهوى دَمْعِي وقلْبي المعنَّفُ　　وتجني جفُونى الوجْدَ وهو المكَلَّفُ

وقول التهامى [من الخفيف] :

حازَكِ البينُ حين أصْبحْتِ بَدْرًا　　إنَّ للبدر فى التَّنقُّل عذْرَا

وما أرشق قوله بعده :

فارْحلى إن أرَدت أو فأقيمى　　أعْظَمَ الله للهوَى فىَّ أجْرَا

لا تقولى لقاؤنا بعدَ عشْرٍ　　لستُ ممن يعيشُ بعدك عشْرَا

وقول علىّ الشطرنجىّ الحلبىّ من قصيدة نظامية [من الكامل] :

أمّا عُلاكَ فدونهاَ الجوزاء　　قَدْراً فماذا يَنْظِمُ الشعراء

وما أبدع ما قال بعده:

يرْتَدُّ عنك الفكرُ وهوَ مُهَنَّدٌ　　ويضيق فيك القولُ وهو فضاء

شرفٌ أناف على السِّماك وهمةٌ　　ضاقَتْ بمسرح عزمها الدهناء

وفضائلٌ جاءتْ أخيرَ زمانها　　فحثت على ما سَطَّرَ القدماء

وقول سعيد بن على من نظامية [من الطويل] :

أبى الضيمَ قلبٌ بين جنبَىَّ قُلَّبُ　　وعزمٌ من الشهبِ الثواقب أثقَبُ

وبديع قوله بعده :

وكلفنى خَوْضَ الدجى طلبُ العلا　　ولولا المعالى ما طِبَانىَ مركبُ

فما لى وللاّحى يُطيل ملامتى كأنى لغير المجد أسعى وأدأبُ

وقول ابن العواذلى من نظامية [من البسيط] :

لو كان للدَّهْرِ حِسٌ أو له كَلِمُ أثنى عليكَ بما يُثنى به الخَدَمُ

***

شاهد قبح الابتداء

٢١٩ — * مَوْعِدُ أحبابك بالفرقةِ غَدْ *

قائله ابن مقاتل الضرير، أحد شعراء الجبال، فى مطلع قصيدة من الرجز أنشدها للداعى إلى الحق العلوى الثائر بطبرستان، فقال له : بل موعد أحبابك ولك المثل السوء .

والشاهد فيه : قبح الابتداء

وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مِهْرَجان وأنشده [من المديد] :

لا تَقُلْ بُشْرى ولكن بُشْرَيان غُرّة الداعى ويَوْمُ المِهْرَجان

فتطير منه الداعى، وقال : أعمى يبتدىء بهذا يوم المهرجان، وأمر ببطحه وضربه خمسين عصاً، وقال : إصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه

ومن الابتداآت القبيحة قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان [من الوافر] :

* أتَصْحُو أم فؤادك غير صاح *

فانه لما أنشده قال له عبد الملك : بل فؤادك ياابن الفاعلة

ومثله قول ذى الرمة لما دخل على عبد الملك وأنشده قصيدته التى أوّلها [من البسيط] :

* ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكبُ *

وكانت عين عبد الملك تَدْمع دائما، فتوهم أنه خاطبه وعرض به، فقال له :

ما سؤالك عن هذا ياابن الفاعلة ؟! ومقته وأمر باخراجه .

ومثله قول أبى النجم حين دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته فى وصف الشمس [من الرجز] :

صَفْراء قد كادَتْ ولما تفعلِ كأنها فى الأفق عينُ الأحْوَلِ

فأمر بوجء عنقه وإخراجه من الرصافة

ومن قبيح الابتداء قول البحترى ، وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها [من الطويل] :

* لك الوَيلُ من لعلٍ تقاصَرَ آخِرُهْ *

فقال له : بل لك الويل والحَرَبُ .

ومنه ما حكى أن أبا نواس مدح الفضل بن يحيي البرمكى بقصيدة أولها [من الطويل] :

أرَبْعَ البِلَى إن الخشوعَ لبادِ عليك ، وإنى لم أخُنْكَ ودادِى

فتطير الفضل من هذا الابتداء ، فلما انتهى إلى قوله فيها :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدتُمُ بنى بَرْمكٍ من رائحين وغادِ

استحكم تطيره ، فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة .

ومنه قصة إسحاق بن إبراهيم الموصلى مع المعتصم ، فانه دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ، فشرع فى إنشاد قصيدة أولها [من الكامل] :

يادار غَيَّرَكِ البِلَى ومَحَاكِ ياليْتَ شعرِى ما الَّذى أبْلاكِ

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر على الفَوْر ، وهذا مع يقظة إسحاق وشهرته بحسن المحاضرة ، وطول خدمته للخلفاء ، ولكن قد يَخبو الزِّناد ، ويكبو الجواد ، مع أنه قيل : أحسنُ ابتداء ابتدأ به مولد قول إسحاق الموصلىّ [من الخفيف] :

هل إلى أن تَنَامَ عَيْنِي سبيلُ إنَّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ

ولقد عيب على أبى الطيب المتنبي خطابه لممدوحه حيث قال [من الطويل]:

كفى بك داء أن ترَى الموت شافيَا وَحسْبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

ومما يتعجب منه فى هذا الباب قول مهيار [من الطويل] :

وإنك مذْخورٌ لإحياء دولةٍ إذا هى ماتت كان فى يدك النَّشْرُ

كيف تفاءل لممدوحه بنشر يده ، وكذلك قوله يتغزل [من الكامل] :

فى صَدْرها حَجَر وتحت صدارها ماء يشف وبانَةٌ تتعطَّفُ

فقوله « فى صدرها حجر » أبشع لفظ ، لما فيه من إيهام الدعاء .

وكذلك ابن قلاقس فى قوله [من الكامل] :

بطلاقة أبدَتْ بصفحةِ وجههِ وضَحَ الصباحُ لمن له عينانِ

حيث جعل الوضحَ بوجهه

ولا يخفى ما فى كثير مما ذكر من المشاحة والتعنت .

ومنه ما قاله الناصر بن العزيز للحاجرى حين أنشده [من الطويل] :

وما اخضرَّ ذاكَ الخدُّ نبتًا وإنما لكثرة ما شُقّتْ عليهِ المَرَائِرُ

عسى هذا الخدُّ كان مسلخاً

وهذا أمر يطول استقصاؤه ، وفيما أوردناه مقنع ، إن شاء الله تعالى .

***

٢٢٠ — بُشْرَاكَ قدْ أنجزَ الاقبالُ ما وعَدَا

شاهد براعة الاستهلال

هو من البسيط ، وقائله أبو محمد الخازن ، من قصيدة يهنىء بها الصاحب ابن عباد بسِبْطه الشريف أبى الحسن عباد بن على الحسنى(١) ، وتمام المطلع :

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر (٣ - ٢٣٦ بتحقيقنا)

* وكوكبُ المجدِ فى أفقِ العلاَ صَعدَا *

وبعده :

وَقدْ تفرَّعَ فى رَوض الوزارَةِ عَنْ
دَوْحِ الرسالة غُصنٌ مُورِقٌ رَشَدَا

لِلهِ آيَة شمس للعلاَ ولدَتْ ... نجماً وغابَة عزٍ أطلَعتْ أسدَا

وعنصُر منْ رسول الله واشجة ... كريم عنصر إسماعيل فاتحدَا

وَبضعة من أمير المؤمنين زكَتْ ... أصلاً وفرعاً وصحت لحمة وسُدَى

ومثل هذى السعادات القويةِ لاَ ... يحُوزُها غيرُهُ دَامت لهُ أبدَا

يادَهرَه حقَّ أن تزهى بمولدِهِ ... فمثلُهُ منذ كانَ الدهر ما وُلدَا

تعجبوا من هلال العيدِ يطلعُ فى ... شعبانَ ، أمرٌ عَجيبٌ قطُّ ماعُهِدَا

فَمَنْ موَال يوالى الحمدَ مُبتهلا ... ومخلصٌ يستديمُ الشكر مجتهدَا

وكادت الغادة الهيفاء مِنْ طَرَبٍ ... تعطى مُبشرَها الأهياف والغيَدَا

فلاَ رَعىَ الله نفساً لا تسرُّ به ... ولا وقاها وغشاهَا رداء رَدَى

وذى ضغائن طارَتْ رُوحهُ شفقاً ... منهُ وطاحَتْ شظايا نفسِه قِدَدَا

علماً بأنّ الحسام الصاحبىَّ غدَا ... مُجرَّداً والشهابَ الفاطمىّ بَدَا

وأنه انسدّ شعبٌ كانَ منصدِعاً ... بهِ وأمرعَ شعبٌ كانَ مختضدَا

وأرفعُ المجدِ أعناناً وأمنعهُ ... مجدٌ يناسب فيهِ الوالدُ الولدَا

فليهنِءِ الصاحبَ المولودُ ولتردِ السـ ... ـعود تجلو عليه الفارسَ النجُدَا

لم يتخذ وَلداً إلا مبالغَة ... فى صدق توحيدِ مَنْ لم يتخذ وَلدَا

ما أشرف معنى هذا البيت ، وأبدعه وأبرعه ! ومنها :

وَخذْ إليكَ عَرُوساً بنتَ ليلتها ... منْ خادِمٍ مخلص وُدّاً ومعتقدَا

أهديتها عفوَ طبعي وانتحيتُ لها ... سحراً وإن كنتُ لم أنفث لها عُقَدا
وَازنتُ ما قلته شكراً لربكَ إذْ ... جاء المبشرُ بَيْنَاً سارَ واطرَدا
(الحمدُ لله شكراً دائماً أبداً ... إذ صارَ سِبطُ رسول الله لي ولدَا)

وكان الصاحب بن عباد قد قال هذا البيت حين جاءته البشارة ، وقال أيضا [من مجزوء الرمل] :

أحمدُ الله لبشرَى ... أقبلتْ عندَ العشيْ
إذ حباني الله سِبطًا ... هوَ سِبطٌ للنبيْ
مرحباً ثُمَّتَ أهلاً ... بغلام هاشميْ
نبويّ علويّ ... حسَنيّ صاحبيْ

وَكان ابن عباد إذا تذكر عبادا هذا يقول [من البسيط] :

يا ربّ لا تُخْلِنِي من صنعكَ الحسَنِ ... يا رب حُطْنِيَ في عباد الحسَني

ولما فطم عباد قال فيه ابن عباد [من الطويل] :

فُطمْتَ أيا عباد يا ابْنَ الفواطمِ ... فقالَ لكَ السادات من آل هاشم
لئنْ فَطموهُ عن رضاعِ لِبَانهِ ... لما فَطَمُوهُ عَنْ رضَاعِ المكارم

وفيه يقول عبد الصمد بن بابك ، من قصيدة [من الوافر] :

كساك الصوم أعمار الليالي ... وأعقبكَ الغنيمةَ في المآبِ
ولاَ زَالتْ سعُودُكَ في خلودِ ... تُباري بالمدَى يومَ الحسابِ
أتاكَ العز يسحَبُ بردتيه ... على مَيْثاء حالية التراب
ببدرٍ من بني الزهراء سَارٍ ... تعرى عنه جلبابَ السحاب

تفرّع فى النبوة ثم ألـقى بِضَبْعَيْهِ إلى خير الصِّحاب

تلاَقتْ لابن عباد فروع الـــنبوّة والوزارة فى نصــاب

فلاَ تَغْرُرْ برَقدَته الليالى ولاَ تسمدْ لهُ الهمم النوَابى

فَمَنْ خَضعت له الأسد الضوَارى ترَفّعَ عن مغاورَة الذئاب

ولما أملك عباد هذا بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة ، قال إسماعيل الشاشى قصيدة ، أولها [من البسيط] :

المجدُ ما حرست أولاهُ أخراهُ والفخرُ ما التفّ أقصاه بأدناهُ

والسعىُ أجلبهُ للحمد أصعبهُ والذكرُ أعلاه فى الأسماع أغلاهُ

والفرْعُ أذهبهُ فى الجوّ أنضَرُهُ والأصل أرسخهُ فى الأرض أنقاهُ

اليومَ أنجزَتِ الآمالُ ماوعدَتْ وأدركَ المجدَ أقصى ما تمنّاهُ

يقول فيها :

اليومَ أسفرَ وجهُ المُلْكِ مُبتسماً وأقبلتْ بـبَريدِ السعد بشراهُ

يقول فيها أيضا :

قدْ زُفّ مَنْ جدُّه كافى الـكفاةِ إلى

مَنْ خَالُهُ ملكُ الدقيا شهنشاهُ

والشاهد فى البيت : براعــة الاستهلال ، وهو : أن يكون فى الابتــداء إشارة إلى ماسيق الكلام لأجله .

فمن ذلك ، وهو مما يشعر بالتهنئة بزوال المرض ، قول أبى الطيب المتنبى [من البسيط] :

المجدُ عُوفىَ إذ عُوفيتَ والـكرَمُ

وزَالَ منكَ إلى أعدائكَ السّقَمُ

وقول لسان الدين الخطيب ، المشعر بالتهنئة ، والنصر على الأعداء ، [من الكامل] :

الحقّ يعلو والأباطلُ تسفلُ والله عن أحكامهِ لا يُسْألْ

وقول مهيار الديلمى المشعر بالاعتذار [من الطويل] :

أما وهَوَاهَا عِذرَةً وتنَصُّلاَ لقدْ نقـل الواشى إليها وأمحلاَ

سعَى جهدهُ لكنْ تجاوز حدّهُ وكَثَّرَ فارتابَتْ ولوْ شاء قللاَ

وقول الباخرزى المشعر بالتهنئة [من الكامل] :

وفَتِ السعودُ بوعدها المضْمونِ وترَادَفت بِالطائرِ الميمونِ

وعَلاَ لواءُ المسلمين وشافَهُوا تحقيقَ آمالٍ لهم وظنُونِ

وقول أبى نصر أحمد بن إبراهيم الكاتب فى التهنئة ببناء دار [من المنسرح] :

أهلا بدار أبان بانيها دلائلَ المجد فى مَغانيها

دارٌ حكَتْ صدْرَ ربِّها سَعَةً تُسافر العينُ فى نواحيها

وقول محمد بن أبى العباس المسكانى فى التهنئة بالوزارة [من الوافر] :

يبشرنى علوّك بالوزارهْ وذاك الملك أولى بالبشارهْ

وقول أبى محمد المطرانى ، المشعر بذم المشيب وَمدح الشباب [من المتقارب] :

ألمّ المشيبُ برأسى نذيرًا ووَلّى الشباب بعهدى نضيرَا

وأصبحَ ضوْءُ صباح المشيب لغرْبان ليل شبابى مَطيرَا

كذَاكَ إذَا لَاح نور البكورِ لسود الطيور هَجرْنَ الوكُورَا

ترجمة أبى محمد الخازن

وأبو محمد الخازن : هو عبد الله بن أحمد الخازن ، قال فيه صاحب اليتيمة[١] :
هو من حسنات إصبهان وأعيان أهلها فى الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها فى الشعر

---

(١) اقرأ ترجمته فى يتيمة الدهر (٣ ـ ٣٢١ بتحقيقنا)

ومن خواص الصاحب ، ومشاهير صنائعه ، وذوى السبق فى قديم خدمته [١] .

وكان فى اقتبال شبابه وريعان عمره يتولى خزانة كتبه ، وينخرط فى سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضىء بشعاع سعادته ، فتصرف من الخدمة فيما قَصَّرَ أثره فيه ، عن الحد الذى يحمده الصاحب ويرتضيه ، كالعادات فى هفوات الشبيبة ، وسقطات الحداثة ، فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضبا أو هاربا ، وترامت به بلدان العراق ، والشام ، والحجاز فى بضع سنين ، ثم أفضت حاله فى معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى مايقصه ويحكيه فى كتاب كتبه إلى صديقه أبى بكر الخوارزمى ، وذكر فيه عُجَرَه وبُجَرَه ، وقد ذكرته تنبيها على بلاغتـه وبراعته ، واختصارا للطريق إلى معرفة قصته .

وهذه نسخته — كتابى ، أطال الله بقاء الأستاذ ، سيدى ومولاى ! من الحضرة التى نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراراً ، ونسير عن فنائها إذا أبطرتنا النعمة ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة . ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن فى هذا ؛ ولـكن الشأن فى عشر سنين فاتت بين علم ينسى ، وغم لا يحصى . وإنفاق بلا ارتفاق وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عنى بريش طائر ، وبُعد عن الوطن على غير بلوغ الوطر ، ورجعت — يشهد الله — صفرَ اليدين من البيض والصفر ، أتلو «والعصر إنَّ الإنسان لفى خُسْر» وأنا بين الرجاء فى أن أقال العثار ، والخوف من أن يقال : زأر الليثُ فلا قرار ، ولـكننى قد كنت قدمت تطهير نفسى ، فلججت حتى حججت ، وعدت بغبار الاحرام ، وبركة الشهر الحرام .

وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس — أدام الله تمكينه — خبرى إلى الحضرة ، حرس الله بهاها وسناها ، والناسُ ينظرون هل أقبل ، فيتلقونى بأكرم الرتب ، أم أسخط ، فيتحامونى كالبعير الأجرب ،

(١) فى اليتيمة «وذوى السابقة فى مداخلته وخدمته»

وَوَرَدَ توقيعُ مولانا الصاحب كافى الكفاة ـ أطالَ الله مدته ، وكبت أعداءه ، وحَسَدته!ـ بعالى خطه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا الأستاذ ـ أدَام الله عِزّه !ـ أن الكرم صاحبِيّ لا برمكيّ ، وعبَادى لا حاتمى، وأنا نتجرم ، ثم نتندم ونميل على جانب الادلال ، ثم لا نروى إلا من الماء الزلال ، والتوقيع« ذكر مولاى ، أدام الله عزه عَوْدَ أبى محمد عبدالله الخازنـ أيده الله !ـ للفناء الذى فيه دَرَج ، والوكرِ الذى منه خَرَج ، وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى إيابه ، لم يكن بأقل منه عند اغترابه (١)، فان أحبَّ أن يقيم مُدَيْدَة ، يقضى فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآئب ، فليكن فى ظلّ من مولانا ظليل ، ورأى منه جميل، وَبرمن دِيوانا جزيل ، وإن حفزه الشوق فمَرحباً بمن قرَبته التربية لدينا ، فأفسدته العزة(٢) علينا ، وردَّته التجربة إلينا ، وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعينه على كل قبـل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى ، لا جرم أنى أخذت مالا ، وأغنيت عيالا ، وقلت : ليس إلا الجمازة ، والمفازة ، وصبحت جرجان[مُسْىَ] عاشرة أهدى من القَطَا الـكُدْرى،كأنى دعَيْمِيص الرمل، أستاف أخلافَ الطرق ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عنى حلماً ، ولا أقدّر ما جنيت يعقب حلما ، وكأنى ما خطوت إلا فى التماس قربة ، ولا أخطأت إلا لتأثيل حرمة ، وكأنى لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فىَّ بقول الله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » ، وقد ورد فى التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب فى المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر. وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا إلى دورنا بفضلات الخير ، وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم ، وراجع الطبع شيء كان يُدْعى الشعر ، كذلك آدم عليه السلام : أُسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج منها بما كان من جُرْمه ، وهو عائد إليها بعفو الله وطَوْله ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

---

(١) فى اليتيمة «وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه » (٢) فى اليتيمه « الغرة » .

قال الثعالبي : فهذا الكلام كما تراه يجمع بين السهولة والحلاوة ، وحسن التصرف في لطائف الصنعة ، ويملك رق الاتقان ، والابداع والاحسان ، ويعبر عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة .

وأما شعره فجار مجرى عُقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وهو من نظراء الخوارزمي والرستمي ، وما أصدق قوله [من البسيط] :

لا يحسن الشعْرُ ما لم يسترق له ... حُرُّ الكلام وتستخدم له الفِكَرُ

انظرْ تَجد صور الأشعار واحدةً ... وَإنما لمعانٍ تُعْشَقُ الصورُ

والمعدمون من الابداع قد كثروا ... وهم قليلون إن عُدُّوا وَإن حصرُوا

قومٌ لوانهمُ ارتاضوا لماقرَضُوا ... أوأنهم شعروا بالنقص ماشعرُوا

قال : وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً من شعره ، كقوله في وصف الغبار وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه [من الخفيف] :

إنَّ هذا الغبارَ ألبسَ عِطْفَيَّ ... سواداً ، ودينيَ التوحيدُ

وكسا عارضيَّ ثوب مشيبٍ ... ورداء الشباب غضٌّ جديدُ

وقوله ، أوهو لأبيه أحمد[1] [من الكامل] :

منْ يستقمْ يحرمْ مناه ومن يزغْ ... يختص بالاسعاف والتمكين

انظر إلى الألف استقام ففاته ... نقطٌ وفاز به اعوجاجُ النون

وعكس هذا المعنى أبو طالب يحيي بن زياد ، فقال [من الكامل] :

إن كنتَ تَسْعَى للزيادة فاسْتَقِمْ ... تَنَلِ المراد ولو سَمَوْتَ إلى السما

ألفُ الكتابة وَهْوَ بَعْضُ حُروفها ... لما استقام على الجميع تَقَدَّمَا

---

(١) نسبه ابن خلكان لأبيه أحمد في ترجمته (انظر الترجمة رقم ٦١ في وفيات الأعيان ١/١٣١ بتحقيقنا)

رجع إلى شعر الخازن

وله أيضاً فى الغزل [من الكامل] :

حُثَّ المطىَّ فهذه نَجْدُ بَلَغَ المَدَى وتزايد الوَجْدُ

ياحبذا نجد وساكنها لو كان ينفع « حبذا نجد »

وبِمُنْحَنَى الوادى لنا رشأ قد ضل حيث الضال والرَنْدُ

هند ترى بسيوف مقلتها مالاَ تَرى بسيوفها الهندُ

وله أيضاً من قصيدة يعتذر فيها إلى الصاحب [من الوافر] :

لنار الهم فى قلبى لهيبُ فعَفوا أيها الملك المهيبُ

فقد جاز العقابُ عقابَ ذنبي وضج الشعر واستعدى النسيب

وفاضت عبرةً مهجُ القوافى وغصصها التذلل والنحيب

وقد فصمت عراها واعتراها لسخطك بعد نَضْرتها شحوب

وقالت مالعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لاتَصُوبُ

ومن يك شوط همته بعيداً فمثنى عطفه سهل قريب

تجاوزَتِ العقوبةُ منتهاها فهَبْ ذنبي لعفوك ياوَهُوبُ

وأحسِنْ إننى أحسنت ظنى وأرجو أنَّ ظَنِّى لايخيب

أترضى أن أكون لَقًى مقيما على خَسْفٍ أذوب ولاتذوب

أبيت ومقلتى أبقُ كَرَاها وفى ألحاظها صَابٌ صَبيب

وقيذًا لايلائمنى طعامى ولاينساغ لى الماء الشروب

صببت على سوطا من عذاب يذل لبأسه الدهر الغلوب

وأرهقنى نكيرك لى صَعُودا من الأشجان ليس له صَبُوب

وماعونى على بَلْوَاى إلا رجائى فيك والدمع السكوب

فان تعطف على رجل غريب ... فانى ذلك الرجلُ الغريبُ
عليك أنيخ آمالى فَرَحْبٌ ... بها ، وإليك من ذنبى أتوب
وأخطو مايريب إذا دَهَتْنِى ... غوامضه إلى مالا يريب
فأية طَرْبة للعفو إن الـ ... ـكريم ـ وأنت معناه ـ طروب
فانى نَشْءُ دارك والمغذَّى ... بسَيْبك والصنيعةُ والرَّبيبُ
وأُبْتُ إليك من عفوٍ مدِلا ... بما يقضى علاك لمن يؤب
ولذت ببابك المعمور علما ... بأن ذراك لى مَرْعَى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب ... إليها يلجأ الرجل الأديب
وسُقْتُ بناتِ آمالى إليها ... وقد حفيت وأنضاها الدءوب
فبوَّئتنى اختصاصك حيث تُجْنَى ... ثمار العز والعيشُ الرطيب
ولكن كادنى خب حقود ... لعقرب كيده نحوى دبيب
ومالجموح ألفته جنيب ... ولاالشَمال فرقته جَنُوبُ
ولايشفيه منى لو رآنى ... وقد أخذت بحلقومى شَعُوبُ
بلوت الناس من ناء ودان ... وخالطنى القبائلُ والشُّعُوبُ
فكل عند مغمزه ركيك ... وكل عند مشربه مَشُوبُ
تُجَدِّلِى بالرضا واقبل متابى ... وعذرى ، إننى أسِفٌ كئيب

وله من قصيدة صاحبية طويلة [من الكامل] :

مازلت أعتسفُ المَهامه والفَلا ... وأواصل الإغوار بالإنجاد
حتى نأيت عن الخَواضِر ملقيا ... رَحْلِى بواد فى تخوم بوادى[1]
فاذا بسعدى وهى بدر طالع ... من فوق غصن فى نَقًى مُنْهَاد[2]
وطرقتها وعداؤها رقباؤها ... فى صورة المرتاب لاالمرتاد

(١) فى المطبوعتين « حتى نأيت عن الخواطر » وأثبتنا ما فى اليتيمة وهو الذى يتسق مع عجز البيت (٢) هكذا فى اليتيمة وفى المطبوعتين « نقى مهاد »

فحللت منها حيث كان وشاحها ... درعى وساعدها الوثير وسادى
وخمارها حصنى وساحر طرفها ... سيفى وفاحمها الأثيث نجادى
وعقاصها الموصول زهرة روضتى ... ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصبا عبق الحواشى مونق ... يزهى بناعم غصنه المياد
والروض أحوى والحمائم هتف ... والظل ألمى والقيان شوادى

ومحاسنه كثيرة، وفيما أوردناه كفاية

* * *

من شواهد براعة الأستهلال

٢٢١ — هى الدُّنْيا تقولُ بملء فِيهَا ... حَذَارِ حَذَارِ منْ بَطشى وفَتكى

البيت لأبى الفرج الساوى، من قصيدة من الوافر، يرثى بها فخر الدولة ابن بُوَيْه

وكان من خبر وفاته — كما حكاه العُتْبى — أنه لما فرغ من القلعة التى استحدثها على جبل طبرك نزل بها مرتاحا، فاشتهى طرائح من لحم البقر، فنُحِرت بين يديه واحدة، وطفق أصحابه يَطْهُون له من أطايبها، وهو ينال منها، وأتبعها بعناقيد كرْم، ودارت عليه الكؤوس ملأى ولاء، فلم يلبث أن لوى عليه جوفه، واتصل على الألم صوته، إلى أن جثَم عليه موته، فرثاه الساوى بهذه القصيدة، وبعد البيت :

ولا يغرركم حُسْنُ ابتسامى ... فقولى مُضْحك والفعلُ مُبكى
بفخر الدولة اعتبرُوا فانى ... أخذْتُ الملك منه بسيف ملكى
وقد كان استطال على البَرَايَا ... ونظَّمَ جمعهم فى سِلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما ... لقال لها عتُوًّا أفٍّ منك
ولو زُهْرُ النجوم أتت رضاه ... تأبَّى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ماقرَع البرايا ... أسير القبر فى ضيق وضَنْك

أقدر أنه لو عاد يوماً إلى الدنيا تسربل ثوب نُسك

دعي يا نفس فكرك في ملوك مضوا بك في انقراض ويك فابكي

فلا يغني هلاك الليث شيئاً عن الظبي السليب قميص نسك

هي الدنيا أشبهها بشهد يسم ، وجيفة طُليت بمسك

هي الدنيا كمثل الطفل ، بينا يقهقه إذ بكى من بعد ضحك

ألا ياقومنا انتبهوا فانا نحاسب في القيامة دون شك

والشاهد فيه : براعة الاستهلال أيضاً ، فانه يشعر بابتدائه بأنه في الرثاء

ومن ذلك قول التهامي في مرثية ولده ، وهي من غرر القصائد [من الكامل] :

حُكمُ المنية في البرية جاري ماهذه الدنيا بدار قرار

طُبعت على كدر وأنت تريدُها صفواً من الأقذاء والأكدار

بينا يرى الانسان فيها مخبراً حتى يرى خبراً من الأخبار

ومكلِّفُ الأيام ضدَّ طباعها متطلبٌ في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فانما تبني الرجاء على شفير هار

العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما أعماركم سفر من الأسفار

وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا أن تسترد فانهن عوارى

ومنها :

ليس الزمان وإن حرصت مُسالما خُلُقُ الزمان عداوةُ الأحرار

وَلدُ المعزى بعضُه ، فاذا مضى بعضُ الفتى فالكلُّ في الآثار

أبكيه ثم أقول معتذراً له وفقت حين تركت ألأم دار

جاورت أعدائى وجاور ربَّهُ ‏ شتان بين جواره وجوارى
أشكو بعادك لى وأنت بموضع ‏ لولا الردى لسمعتَ فيه سِرارى
والشرق نحو الغرب أقرب شُقَّةً ‏ من بُعْدِ تلك الخمسة الأشبار

ومنها :

وطرِى من الدنيا الشبابُ وروقه ‏ فاذا انقضى فقدانقضت أوطارى
قصرت مسافته وماحسناته ‏ عندى ولا آلاؤه بقصار
نزداد همًّا كلما ازددنا غِنًى ‏ فالفقر كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوق الزاد خلف ضائع ‏ فى حادث أو وارث أو عار
إنى لأرحم حاسِدِىَّ لحرّما ‏ ضمنت صدورهُمُ من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم ‏ فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى،قدرمتُ كَتْمَ فضائلى ‏ فكأنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت ‏ أعناقُها تعلو على الأستار
ومن الرجال مجاهل ومعالم ‏ ومن النجوم غوامض ودرارى
والناس مشتبهون فى إيرادهم ‏ وتفاوت الأقوام فى الإصدار

وهى طويلة ، وإنما أثبت منها ماأثبت ليكون غرة لهذا الكتاب ، وتذكرة لأولى الألباب

ومن القصائد المشعرة بالرثاء قولُ الشريف الموسوى يرثى أبامنصورالشيرازى الكاتب [من المنسرح] :

أى دُمُوعٍ عليكَ لم تَصِبِ ‏ وأى قلب عليك لم يجبِ
مالى وما للزمان يَسْلُبُنى ‏ فى كل يوم غرائب السلب
أمافتى ناضرُ الصبا كأخى ‏ عندىَ أو زائدُ المدَى كأبى

وإنني للشقاء أحْسَبُني ألعب بالدهر وهو يلعب بى

وقول ابن نُبَاتة يهنىء الملك الأفضل صاحب حماةَ ويعزيه بوالده الملك المؤيد وهى من غرر القصائد [من الطويل] :

هَنَاء مَحاذاك العزاء المقدَّما فما عَبَسَ المحزونُ حتى تَبَسَّما

ثُغُورُ ابتسام فى ثُغُورُ مدامع شبيهان لا يمتاز ذو السَّبق منهما

ترد مجارى الدمع والبشرُ واضحٌ كوابلِ غيثٍ فى ضحى الشمس قد همى

والفاتح لهذا الباب أبونُوَاس ، وقيل : أبوالشيص، حيث قال يهنىء الأمين بالخلافة ويعزيه بالرشيد [من المنسرح] :

جرَتْ جوارٍ بالسَّعْدِ والنحس فالناسُ فى وحشةٍ وفى أُنس

والعينُ تبكى والسِّنُّ ضاحكةٌ فنحنُ فى مأتم وفى عُرُس

يضحكها القائم الأمين ويبكيها وفاة الرشيد بالأمس

بدران بدرٌ أضحى ببغداد فى الخلد وبدرٌ بطوس فى الرَّمس

ومنه قول صالح بن عبد الله القدوس [من المديد] :

رب مغْرُوسٍ بلذّته فقدتهُ كفُّ مغترسه

وكذاك الدهر مأتمه أقربُ الأشياء منْ عُرُسِهْ

وقول يعقوب بن الربيع [من الكامل] :

أتتِ البشارةُ والنعيُّ معاً ياقربَ مأتمها من العُرْس

ولأبى دُلامة يعزِّى بالمنصور ويهنىء بالمهدى [من الكامل] :

عيناى واحدة ترى مسرورة بأميرها جذلاً وأخرى تذرف

تبكى وتضحك تارة ويسوءها ما أنكرت ويسرها ماتعرف

فيسوءها موت الخليفة محرماً ويسرها أن قام هذا الأرأف

ماإن رأيتُ كما رأيتُ ولاأرى شـعراً أرجِّلُهُ وآخر ينتف
هلك الخليفة يا لأمَّة أحمدٍ وأتاكم منْ بعده من يخلفُ
أهدى لهذا الله فضل خلافة ولذاك جنات النعيم تزخرف

ولمروان بن أبي الجنوب يرثي المعتصم ويهنىء الواثق [من الوافر] :

أبو إسحاق مات ضُحى فَمُنَّا وأمسينا بهارون حُبِينَا
لئن جاء الخميس بما كرهنا فقد جاء الخميس بما هَوِينَا

و بديع قول ابن قلاقس [من الكامل] :

خلف السعيد به الشهيد فأدمعٌ مُنْهَلَّةٌ في أوُجهٍ تتهلل
ملكان هذا راحلٌ وثناؤه باق ، وذا باق ثَنَاه يَرْحَلُ

ولنذكر هنا من مطالع المتأخرين مايُزْرِى بمطالع البدور ، ويبهر نظمه محاسن الدر المنثور

فمن ذلك قول القاضي الفاضل [من الكامل] :

زار الصباحُ فكيف حالُكَ يادجى قم فاستذم بفرعه أو فالنَّجَا

وقوله أيضاً يخاطب العاذل [من البسيط] :

أخرِج حدِيثكَ من سمعي فمادخلاَ لاتَرْمِ بالقول سهْماً رُبَّمَا قتــلا

وما ألطف ماقال بعده :

ولايخفَّ على قلبي حديثُك لى لا والذى خلقَ الانسان والجبلا

وقوله [من المتقارب] :

سمِعتُك والقلبُ لم يَسْمَعِ فكم ذا تَقُولُ وكم لا يعى
يقول وما عندَه أننى بغير فؤَاد ولا أضلع
أما معَ هذا الفتى قلبُهُ فقلتُ نعم يافَتىً مامَعِي

وقول ابن النبيه [من البسيط] :

يا ساكِني السَّفح كم عَيْنٍ بكُم سفحت نزحتم فَهْيَ بعدَ البُعْدِ قد نزحت

وقوله [من الطويل] :

رنا وانثنى كالسيفِ والصَّعْدَة السَّمْرَا فما أكثرالقتلى وما أرخصَ الأسْرَى

وقول ابن قلاقس [من البسيط] :

كم مُقلة لشَّقيق الغضّ رمدَاءِ إنسانها سابحٌ فى دمع أندَاءِ

وقوله [من الطويل] :

قِفَا فالأسى منى زفيرا وأدمعا أكانا لهُمْ إلا مصيفاً ومربعَا

وقول الظهير البارزى [من الطويل] :

يذكّرنى وجدى الحَمَامُ إذا غَنّى لأنا كلانا فى الهَوَى نعشَقُ الغُصْنَا

وقول ابن العفيف [من الوافر] :

أعزَّ الله أنصار العيون وخلّدَ ملكَ هاتيك الجفون

وما أظرف ماقال بعده :

وضَاعفَ بالفتور لها اقتِدَاراً وجَدَّدَ نعمة الحُسن المصُون

وصانَ حجابَ هاتيكَ الثنايا و إن ثنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجون

وأسبَغَ ظل ذاكَ الشعر يوماً على قدٍّ به هَيَفُ الغصون

وخَلَّد دولة الأعطافِ فينا و إن جارتْ على القلب الطعين

وقوله أيضاً [من الوفر] :

أدام الله أيام الوصال وخلد عُمرَ هاتيك الليالى

وأسبغَ ظل أعطاف التدانى وزادقدُودهَاحسنَا اعتدَال

ولازالت ثمارُ الوَصل فيها تزيدُ لطافةً فى كل حال

ولا بَرِحَتْ لنا فيها عيُونٌ   تغازل مُقلتى خَشْفِ الغزال

وقول شيخ شيوخ حماةَ [من الطويل] :

حُرُوف غرامى كلّها حرفُ إغراء   على أن سقمى بعضُ أفعال أسماء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

أهلاً بطيفكم وسَهْلاً   لو كنْتُ للإغفاء أهلاَ

لكنّهُ وافى وقد   حلَفَ السُّهادُ علىَّ أن لا

وقوله [من مخلع البسيط] :

ويلاه من نَوْمىَ المشَرَّدْ   وآه من شملىَ المُبَدَّدْ[1]

وقول ابن عنين [من الكامل] :

ماذا على طيفِ الأحبةِ لوسَرَى   وعليهمُ لوسامحُونى بالكرى

وقول ابن نباتة المصرى [من البسيط] :

فى الريق سكر وفى الأصداغ تجعيدُ   هذِى المدام وهاتيكَ العنَاقيدُ

وقوله [من الوافر] :

بدَا ورنَتْ لوَاحظهُ دلالا   فما أبهى الغزَالةَ والغزَالا

وقوله أيضاً [من البسيط] :

سلبْتَ عقلى بأحداقٍ وأقداحِ   ياساجىَ الطّرفِ أو يا ساقىَ الرّاح

وما ألطف ما قال بعده [من البسيط] :

سَكْرَانُ من مُقلةَ الساقى وقهوتِهِ   فاترُكْ مَلاَمكَ فى السُّكرين ياصاح

وقوله [من البسيط] :

إنسان عينى بِتَعجيل السُّهادِ ملى   عَمْرِى لقد خُلقَ الإنسانُ من عجل

وقوله [من الخفيف] :

---

(١) سيأتى هذا المطلع مع جملة أبيات من القصيدة فى (ص ٢٥٩)

قَمَ برنو بمقلة كحلاء علّمتني الجنونَ بالسوداء

وقوله [من البسيط] :

بأىّ ذنب ـ وقاكَ الله !ـ قد قتلت نفس عن الحب ماحادت وماغفلت

وقوله [من البسيط] :

لامُ العذار أطالت فيك تسهيدى كأنها لغرامى حرفُ توكيد

وقول الصفى الحلى [من الطويل] :

قفى ودّعينا قبل وشْكِ التفرّق فما أنا مَن يحيا إلى حين نلتقى

وقول الوداعى [من المنسرح] :

بدر إذا ما بَدَا مُحيّاه أقول ربى وربُّكَ الله

وقول ابن نباتة معارضاً له [من المنسرح] :

له إذا غازَلتكَ عيناه سَهمُ لحاظٍ أجارك الله

وقول الحاجرى [من الكامل] :

لك أن تشوقنى إلى الأوطان وعلى أن أبكى بدمع قانى

وقول ابن النقيب [من الكامل] :

قلّدتُ يومَ البين جيدَ مودّعى دُرَراً نظمتُ عقودَها من أدمُعى

ولنحبس لسان القلم عن بث أسرار هذه المطالع ، وعنانَ البيان عن الركض مع فرسان هذه المعالم

• • •

شاهد حسن التخلص ٢٢٢ — يقول فى قومس قومى وقد أخذَتْ مِنّا السُرَى وخُطَا المَهرِيّةِ القُودِ

أمَطْلَعَ الشمس تَبْغى أن تؤُمَّ بِنَا فقُلتُ كلاّ ولكن مطلعَ الجودِ

البيتان من البسيط ، وقائلهما أبو تمام ، فى عبدالله بن طاهر ، ولهما خبر يذكر

حدث محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني علي الفضل قال: لما شخص أبو تمام إلى عبدالله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلد، وقد كان عبدالله وجد عليه وأبطأ بجائزته لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسها بيده ترفعاً عنها، فأغضبه، وقال: يحتقر فعلي، ويترفع علي، فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام [من البسيط]:

لم يَبْقَ للضيف لا رسمٌ ولا طللُ ولا قشيبٌ فَتَستَكسي ولا سَمَل
عدلٌ منَ الدمعِ أن يبكي المصيف كما يُبكَى الشبابُ ويبكى اللهوُ والغزل
يمنى الزمان انقضَى معروفُها وغدَت يُسرَاه وَهْيَ لنا من بعدِهِ بَدَل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبدالله بن طاهر، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبدالله ابن طاهر وعاتبه على ماعتب عليه من أجله، وضمن له مايحبه، ثم دخل إلى عبد الله بن طاهر فقال: أيها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له من النباهة في قدره والاحسان في شعره والشائع من ذكره ماله لكان الخوف من شره والتوقي من ذمه يجب به على مثلك رعايته ومراقبته، فكيف له بنزوعه إليك عن الوطن، وفراقه للسكن، عاقداً بك أمله، معملا إليك ركابه، متعباً فيك فكره وجسمه، وفي ذلك مايلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً، ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ماسمع إلا قوله «وأنشد البيتين» المستشهد بهما، فقال له عبدالله: لقد نبَّهْتَ فأحسنت، وشفعت فلطفت، وعاتبت فأوجعت، ولك ولأبي تمام العُتبى، ادعُهْ ياغلام، فدعا به، فنادمه يومه، وأمر له بألفي دينار، وما يحمله من الظهر، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه، وأمر بينرقته إلى آخر عمره

وقد أخذ أبو تمام البيتين بلفظهما من مسلم بن الوليد حيث يقول [من البسيط]:

يقول صحبي وقد جدُّوا على عجل والخيل تستن بالركبان في اللجم

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقد أخذ ذلك بعدهما أبو إسحاق الغزى فقال [من الوافر] :

تقول إذا حثثناها فظلّت تناجينا بألسنة الكلال

إلى أفق الهلال مسير ركبى فقلنا بل إلى أفق النوال

وقومس — بضم القاف وآخرها سين مهملة — صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل ، والمهرية — بفتح الميم — الابل المنسوبة إلى مَهْرة بن حيدان ، والقود : الطوال الظهور والأعناق ، واحدها أقود

والشاهد فيهما : حسن التخلص ، وهو الخروج مما ابتدىء به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود ، مع رعاية الملاءمة بينهما ، وهو قليل فى كلام المتقدمين

وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

إن البخيل مَلوم حيث كان ولـــكنّ الجَوادعلى عِلاَّتِهِ هَرِمُ

ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم لها تِرَةً من جذبها بالعصائب

سَرَوْا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنسُوا ناراً يقولون ليتها وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نار غالب

وقول أبى نواس يمدح الخصيب صاحب مصر [من الطويل] :

تقول التى من بيتها خف محملى يعز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى مُتطلَّبٌ بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى فى إثْرِهن عَبيرُ

دعينى أُكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

إذا لم تطأْ أرض الخصيب ركابنا فأى فتى بعد الخصيب نزور

فتى يشترى حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث بصير (١)

وقوله [من الكامل] :

وإذا جلست إلى المدام وشربها ... فاجعل حديثك كله فى الكاس
وإذا انتزعت عن الغواية فليكن ... لله ذاك النزع لا للناس
وإذا أردت مديح قوم لم تمن ... فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أجدك هل تدرين كم رب ليلة ... كأن دُجاها من قُرونك تُنْشَرُ
لهوتُ بها حتى تجلَّتْ بغرة ... كغُرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول أبى تمام من قصيدة [من الكامل] :

فالأرض معروف السماء قرى لها ... وبنو الرجاء لهم بنو عباس

وقوله [من الكامل] :

لا والذى هو عالم أن النوى ... صبر وأن أبا الحسين كريم

وقد عيب عليه هذا التخلص كما عيب على المتنبي قوله [من الوافر] :

غدا بك كلُّ خلوٍ مستهاما ... وأصبح كل مستور خليعَا
أحبك أو يقولوا جرَّ نملٌ ... ثبيرًا وابن إبراهيم ريعَا

وما أحسن قول البحترى [من الطويل] :

رياض تردت بالنبات مجُودَةَ ... بكل جديد الماء عذب الموارد
إذا راوحتها مزْنَةٌ بكرت لها ... شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت ... عليها بتلك البارقات الرواعد

---

(١) الذى فى ديوانه وفى الموازنة ، وهو المحفوظ :

* ولكن يسير الجود حيث يسير *

ووقع فى وفيات الأعيان (١ ــ ١٢٠ بتحقيقنا) كما هنا

وقول المتنبي يمدح أحمد بن عمران من قصيدة [من الكامل] :

ومَطَالِبٍ فيها الهلاكُ أتيتها ثبْتَ الجنان كأنني لم آتها
ومَقَانبٍ بمقانب غادرتها أقواتَ وحشٍ كنّ من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدى بنى عمران فى جبَهَاتِهَا

وقوله يمدح ابن عامر ، ويعرض بذكر أبيه بعد وفاته ، من قصيدة [من الطويل] :

ويوم وصلناه بليل كأنما على أفقه من برقه حُلَلٌ حُمْرُ
وليلٍ وصلناه بيوم كأنما على متنه من دَجْنِهِ حلل خضر
وغيث ظننا تحته أن عامراً علاَ لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله يمدح سيف الدولة [من الطويل] :

خليليّ مالى لا أرى غير شاعر فَلِمْ منهم الدعوى وَمنى القصائد[1]
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكنّ سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبى العلاء من قصيدة [من الوافر] :

ولو أن المطى لها عقول وحقك لم نَشُدَّ لها عِقَالاَ
مواصلة بها رحلى كأنى من الدنيا أريد بها انفصالا
سألن فقلن مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهنّ فالا

وقول النامى [من الطويل] :

وليل له نجم كليلٌ عن السُّرَى تحيَّر لا يَهْدى لقصد ولا يُهْدَى
كأنّىَ وَابن الغمد والطرف أنجم على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه وَرْساً علّ بالعنبر الوردى
وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهى مقطوعة العقد
فقلت أخيل التغلبى مغيرة أم الفجر يرمى الليل سداً على سد

(١) يروى « فكم منهم الدعوى »

ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله من قصيدة [من الوافر] :

ألا ياماء دجلة لست تدرى بأنى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكراً عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا بِمَ استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لأنك كل يوم تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شىء يضيق عن احتمالك فيه صدرى

ومن مخالصه على طريقته المشهورة فى السخف والمجون قوله [من الوافر] :

وقد بادلتها فمبالها لى بمشورة استها ولها قذالى
كما لابن العميد جميع مدحى ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص البديعة قول مهيار الديلمى يمدح سيف الدولة بن مزيد [من البسيط] :

تسعى السقاة علينا بين منتظر بلوغ كأس ووثاب فمستلب
كأنما قولنا للبابلىّ أدرْ سُلَافَةً قولُنا للمزيدى هَبِ

وقوله يمدح فخر الملك [من الوافر] :

أرى كبدى وقد بردت قليلا أمات الهمّ أم عاش السرور
أم الأيام خافتنى لأنى بفخر الملك منها أستجير

وقوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها [من الكامل] :

لو كان يرفق ظاعن بمشيع ردّوا فؤادى يوم كاظمة معى
إن شاء بعدهم الحيا فَلْيَنْسكِبْ أو شاء ظل غمامة فَلْيُقْلِعِ

يقول فيها :

فَمَقِيل جسمي في ظلال ربوعهم كاف، وشربي من فواضل أدمعي
لزمت جفوني في الديار فأخصبت فتنيت أن أرِدَ المياه وأرتعي
فكأن دمعي مدّ من أيدي بني عبد الرحيم ومـاؤها المتنبع
وكأن ليلي من تفاوت طوله أسيافهم موصـولة بالأذرع

وقول الأرجاني يمدح وليّ الدين الـكاتب من قصيدة [من الخفيف] :

تركتني معانيـا لمعـانٍ وأعادت أعاديا أصـدقائي
كدرت مشربي وقد كان عين الـ شمس والماء دونه في الصفاء
بعد عهدي بعيشتي وهي خضرا تتثنى كالبـانة الغنـاء
وأموري كأنها ألفـاتٌ خطهن الوليُّ في الاستواء

وقوله يمدح سديد الدولة الأنباري مترسل الخلافة من قصيدة [من البسيط]:

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل ولا فؤادي على ما سُمْتِ صبّارُ
إلا لأنك مِنّي اليومَ نازلةٌ بالقلب حيث سديد الدولة الجار

وقوله يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائي من قصيـدة مطلعها [من الطويل] :

إذا لم يخن صب ففِيمَ عتابُ وإن لم يكن ذنب فمَّ يُتابُ
أجل مالنا إلا هواكم جناية فهل عندكم غيرَ الصدود عقابُ

يقول في مخلصها :

فلا تكـثرن شكوى الزمان فإنما لـكل مـلم جيئة وذهاب
وقد كان ليل الفضل في الدهر داجيا إلى أن بدا للناظرين شهاب

وقول أبي نصر محمد الأصفهاني [من الـكامل] :

بتنا نظن الليل ما اكتسب الدجى حتى نماه صباحه بظلام

ودنا الثريا للمغيب كأنها ... بدرُ اللآلى نُضِّدَتْ لنِظام
والصبح قد صَدَعَ الظلامَ كراية ... بيضاء فى سود من الأعلام
أو رأى مولانا الوزير إذا احتبى ... يمحو ظلامَ الشك فى الأحكام

وقال بعده مع الزيادة فى الغلوّ :

ودّ الهلال لو أنه لجواده ... نعل وحافره أوان تمام
تا لله لو أصفى هواه مشرك ... لأقيم عند الله خير مقام

أستغفر الله من ذلك ! ! :

ومن المخالص البديعة الفائقة قول أبى القاسم بن هانى الأندلسى فى قصيدته البديعة التى منها [من الطويل]

بعيشك نبه كأسه وجفونه ... فقد نبه الابريق من بعد ماأغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها ... وقدقام جيشُ الليل للصبح واصطفَّا
وولَّتْ نجومٌ للثريا كأنها ... خواتيم تبدو فى بنان يدٍ تَخفَى
ومرّ على آثارها دبرانها ... كصاحب ردء كمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملية ... بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل ... بوَجْرَةَ قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سُهَيلا فى مَطَالع أفقه ... مفَارقُ إلفٍ لم يجد بعده إلفا
كأن سُهَاها عاشق بين عُوَّدٍ ... فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن المزيع الآبنوسى وَهْنَةً ... سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميلة ... صريعُ مدام بات يشربها صرفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا ... على كتديه ضامنان له الحتفا
كأن معلى قطبها فارس له ... لوا آن مركوزان قد كَرِهَ الزّحفا

كأن قُدَامَى النسرِ والنسرُ واقعٌ ... ضعفن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دَوَّمَ طائراً ... أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن رقيب الصبح أجدلُ مرقب ... يفتش تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر ... من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرّة جعفر ... رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومثلها فى الحسن والوزن والقافية قول الخفاجى [من الطويل] :

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خَشْفَا ... فانا لمحنا فى مراتعها ظِلْفَا
وقولا لخوط البان فاتمسك الصبا ... علينا فانا قد عرفنا بها عَرْفا
سرت من هضاب الشأم وهى مريضة ... فما ظهرت إلا وقد كاد أن يخفى
عليلة أنفاس نداوى بها الجوى ... وضعفا ولكنا نرجى بها ضعفاً
وهاتفة فى البان تملى غرامها ... علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة ... وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجو قلوب العاشقين حنينها ... وما فهموا مما تغنَّتْ به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى ... لما لبست طوقا ولا خَضَبَتْ كفا
أجارتَنَا أذكَرْتِ من كان ناسياً ... وأضرمْتِ نارا للصبابة لا تُطْفَى
وفى جانب الماء الذى تردينَهُ ... مواعيدُ ما يُنْكرن ليًّا ولا خُلْفًا
ومهزوزة للبان فيها شمائل ... جعلن له فى كل قافية وصفا
لبتنا عليها بالثنية ليلة ... من السود لم يطو الصباح لها سجفا
لعمرى إن طالت علينا فاننا ... بكم الثريا قد قطعنا لها كَفًّا
رمينا بها فى الغرب وهى رميمة ... ولم نبق للجوزاء عِقْدًا ولا شَنْفًا
كأن الدجى لما تولَّتْ نجومه ... مدبِّرُ حربٍ قد هزمنا له صفا

كأن عليه المجرة روضة مفتحة الأنوار أو نثرة زغفا

كأنا وقد ألقى إلينا هلاله سلبناه جاما أو قصمنا له وقفا

كأن السها إنسان عين غريقة من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا

كأن سهيلا فارس عاين الوغى ففرّ ولم يشهد طرادا ولا زحفا

كأن سنا المريخ شعلة قابس تخطفها عجلان يقذفها قذفا

كأن أفول النسر طرف تعلقت به سِنَةٌ ماهبَّ منها ولا أغفى

كأن نصير الملك سلَّ حسامه على الليل فانصاعت كواكبه كسفا

ولحازم صاحب المقصورة قصيدة طائية حذا فيها هذا الحذو، وهى بديعة فأحببت أن أعز ز هاتين القصيدتين بها، ومطلعها [من الطويل] :

أمن بارق أوْرَى بجنح الدجى سِقْطَا تذكرت مَنْ حلَّ الأبارق فالسقطا

يقول فيها بعد أبيات :

وكم ليلة قاسيتها نابغيَّةٍ إلى أن بدت شِيباً ذوائبها شُمْطَا

و بت أظن الشهب مثلى لها هوى وأغبطها فى طول ألفتها غبطا

على أنها مثلى عزيزة مطلب ومن ذا الذى ماشاء من دهره يُعْطَى

كأن الثريا كاعب أزمعَتْ نوى وأمت بأقصى الغرب منزلة شحطا

كأن نجوم الهقعة الزهر هَوْدَجٌ لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا

كأن رشاء الدلو رشوة خاطب لها جعل الأشراط فى مهرها شرطا

كأن السُّهَا قد دقَّ من فرط شوقه إليها كما قد دقَّقَ الكاتب النقطا

كأن سهيلا إذ تناءت وأنجدت غدا يائسا منها فأتهم وانحطا

كأن خفوق البرق قلبُ متيمٍ تعدى عليه الدهر فى البين واشتطا

كأن كلا النسرين قد ريع إذ رأى هلال الدجى يهوى له مخلبا ملطا

كأن الذى ضم القوادم منهما هوى واقعا للأرض أوقص أوقطا
كأن أخاه رام فوتا أمامه فلم يَعْدُ أن مَدَّ الجناحين وارتطّا

ومثلها فى الحسن قول على بن محمد الكوفى من قصيدة [من الطويل] :

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا إذا كان جانيه علىّ طبيبى
ولى عائدات شُقْتُهن فجُنَّ فى لباسِ سوادٍ فى الظلام قشيبِ
نجوم أراعى طولَ ليلىَ برجها وهن لبعد السير ذات لغوب
خوافق فى جنح الظلام كأنها فؤاد مُعَنَّاة بطول وجيب
ترى حوتَها فى الشرق ذات سباحة وعقربها فى الغرب ذات دبيب
إذا ماهوى الإكليل منها حسبته تهَدّل غصن فى الرياض رطيب
كأن التى حول المجرة أوردت لتكرع فى ماء هناك صبيبَ
كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى شجاعة مقدام بجبن هَيُوبِ
كأن اخضرار الفجر صَرْحٌ ممرّد وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بثقوب
كان سواد الليل فى ضوء صبحه سواد شباب فى بياض مشيب
كأن نذير الشمس يحكى ببشره علىّ بن داود أخى ونسيبى
ولولا اتقائى عَتْبَهُ قلت سيدى ولكن يراها من أجلّ ذنوبى
نسيب إخاء وهو غير مناسب قريب صفاء وهو غير قريب

ومن المخالص البديعة قول القاضى الفاضل ، من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها [من الطويل] :

ترى لحنينى أو حنين الحمائم جرَتْ فحكت دمعى دموعُ الغمائم

وما أحلى قوله بعده :

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا فكل أراها دارساتِ المعالم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا ... و إن كان يَهْفُو بالغصون النواعم
تأخَّرْتُ فى حمل السلام عليكم ... لديها لما قد حملت من سمائم
فلا تسمعوا إلا حديثاً لناظرى ... يعاد بألفاظ الدموع السواجم
فإن فؤادى بعدكم قد فطمته ... عن الشعر إلا مدحة لابن فاطم

ومنها قول شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية نبوية مطلعها [من مخلع البسيط]:

وَيْلاهُ من نومىَ المشرد ... وآه من شملِىَ المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الألفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة إلى أن قال:

أكسبنى نشوةً بطَرْفٍ ... سكرتُ من خمره فعربد
غصن تقاحلَ عقدُ صبرى ... بلين خصرٍ يكاد يُعْقَدْ
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف من قصيدة مطلعها [من الوافر]:

لنا من رَبَّةِ الخالين جَارَهْ ... تُوَاصِلُ تارةً وتَصُدُّ تارَهْ
تُعَاملنى بما يحلى سُلُوِّى ... ولكن ليس فى جَوْفى مَرَارَهْ

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازل إلى أن قال:

وقالوا قد خسرت الروح فيها ... فقلت الربح فى تلك الخساره
بأيسر نظرة أسرت فؤادى ... كما نشأ اللهيب من الشراره
ويفتك طرفها فيقول قلبى ... أشَنَّ ترى صلاحُ الدين غاره

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الأمجد [من الرمل]:

ظبية حكم ظُبَا مقلتها ... عزة الظبى وذل الأسد
كنت فى ذاك الهوى مجتهدا ... وهى كانت زلة المجتهد
كملت حسناً فلولا بخلها ... خلتها بعض خلال الأمجد

ومنها قول ابن قلاقس من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محموداً عين الأمراء بالديار المصرية [من البسيط]:

ماذا على العيس لو عادت بربتها بقدر ما نتقاضاها المواعيدا
ردّ الركاب لأمرٍ عنّ فى خلدى وسمّه فى بديع الحسن ترديدا
وقف أبثك مالان الحديد له فان صدقت فقل لى كنت داودا
حلت عرى النوم من أجفان ساهرة ردالهوى هدبها بالحسن معقودا
تفجرت وعصا الجوزاء تضربها فأذكرتنيَ موسى والجلاميدا
يا ثعلب الهجر يا سِرْحان أوله كُلِ الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر درر هذا النظم إلى أن قال :

مالى وما للقوافى لا أسيِّرها إلا وأقعد محروماً ومحسودا
أسكرتهم بكؤوس النظم مترعة ولم أنل منهم إلا العرابيدا
سمعت بالجود مفقوداً ونائله يقول لى قد وجدت الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرت عيناى بعد أبى المنصور محمودا

وقوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى [من الوافر] :

سقى مصرا وساكنها بوبل صليل البرق صخاب الرعود
موارد من له ظمأ شديد ولكن لاسبيل إلى الورود
هل الرأى السديد البعد عنها نعم إن كان للشيخ السديد

وقول القاضى سعيد بن سناء الملك يمدح القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى [من الكامل] :

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه أرأيتم من ضن حتى بالضنا
ياعاذلين جهلتم قدر الهوى فعذلتم فيه ولكنى أنا

إنى رأيت الشمس ثم رأيتها ماذا علىّ إذا هويت الأحسنا
وسألت من أى المعادن ثغرها فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه فعلمت حقاً أن هذا من هنا

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم عيسى مطلعها [من الطويل] :

تقنعت لكن بالحبيب المعمم وفارقت لكن كل عيش مذمم
و باتت يدى فى طاعة الحب والهوى وشاحاً لخصر أو سواراً لمعصم
سعدت ببدر خَدُّه بُرْجُ عقرب فكذب عندى قول كل منجّم
وأقسم ما وجه الصباح إذا بدا بأوضح منه حجة عند لوّمى
ولا سيما لما مررت بمنزل كفضلة صبر فى فؤاد متيم
وما بان لى إلا بعود أراكة تعلق فى أطرافه ضوء مبسم
وقفت بها أعتاض عن لثم مبسم شهى لقلبى لثم آثار منسم
ولم ير طرفى قط شملا مبدداً بقابله إلاّ بدمع منظّم
ولم يسل قلبى أوفمى عن غزالة وعن غزل إلا مديح المعظم

وقول البهاء زهير من قصيدة يمدح بها الأمير ناصر الدين الملطى مطلعها [من الطويل]:

لها خَفَرٌ يوم اللقاء خفيرُها فما بالها ضنت بما لا يضيرها
أعادتها أن لا يعاد مريضها وسيرتها أن لا يفك أسيرها

يقول فيها :

وها أناذا كالطيف فيها صبابةً لعلى إذا نامت بليل أزورها
من الغيدِ لم توقد مع الليل نارها ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق منى حشاشة مُرَوَّعة لم يبق إلا يسيرها

وإن الذى أبقته منها يدُ الهوى فداء بشيرٍ يوم وافى نصيرها

وقوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز من قصيدة مطلعها [من الكامل] :

عرف الحبيبُ مكانه فتدللا وقنعت منه بزورة فتعللا

وافى الرسول ولم أجد فى وجهه بشراً كما قد كنت أعهد أولا

ولم يزل هائماً فى طريقته الغرامية إلى أن قال :

آها لقلب ما خلا من لوعة أبدا يحن إلى زمان قد خَلاَ

ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى لو لم تبادره الدموع لأشعلا

ولقد كتمت حديثه وحفظته فوجدت دمعى قد رواه مسلسلا

أهوى التذلل فى الغرام وإنما يأبى صلاح الدين أن أتذللا

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه وأردت قبل الفرض أن أتنفلا

وقول ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها [من البسيط] :

باكر صَبُوحك أهنى العيش باكرُهُ فقد ترنم فوق الأيك طائرُه

والليل تجرى الدرارى فى مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

يقول فيها :

واجسر على فُرَصِ اللذات محتقرا عظيم ذنبك إن الله غافره

فليسْ يخذل فى يوم الحساب فتى والناصر ابن رسول الله ناصره

ومن مخالصة الموسوية من قصيدة مطلعها [من السريع] :

يا نار أشواقىَ لا تخمدى لعل ضيف الطيف أن يهتدى

إلى أن قال :

غازلنا من نرجس ذابل وافتر عن نَوْرٍ أقاح نَدِى

وقام يَلْوى صُدْغه قائلا لا تغترر بى فكذا موعدى
فقلت بالله أمات الوفا فقال موسى لم يمت خذ يدى

وقوله فيه [من البسيط] :

ياطالب الرزق قد سدت مذاهبه قل يا أبا الفتح ياموسى وقد فتحت

وقوله فيه [من الكامل]

بتنا وقد لف العناق جسومنا فى بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل راياته رنك الأمير الأشرف[1]

وقوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

يذود شَبَا القنا عن وجنتيها كمنع الشوك للورد الجنى
إذا مارمتُ أقطفه بعينى يقول حذار من مرعى وَبِىٍّ
لسان السيف من أدنى وُشَاتى ومن رقباى طرف السمهرىِّ
كأنَّ بجفنها فى كل قلب فعال المشرفى الأشرفى

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر مطلعها [من البسيط] :

روح يمينك مما أنت معتقل أمضى الأسنة ما فولاذه الكَحَلُ
يامن يرينا المنايا واسمها نَظَر من السيوف المواضى واسمها مُقَلُ
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها حرس من دونها قُضُبٌ من دونها أسَلُ
ومعشر لم تزل فى الحرب بيضهم حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى أعطافهم طربا كأن ذكْرَ المنايا بينهم غَزَلُ
من كل ذى طُرَّةٍ سوداء يلبسها وشَيْبُهَا من غبار الحرب متصل

(١) كذا

ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدُّوَلُ

وقول أبي الحسين الجزار يمدح موسى بن يغمور من قصيدة [من الطويل]:

وهيفاء تحكى الظبي جيداً ومقلةً رَنَتْ وانثنت فارتَعْتُ بالبِيض والسُّمر
جسرتُ على لثم الشقيقِ بخدها ورشف رُضَابٍ لم أزل منه في سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها لأني بموسى قد أَمِنْتُ من السحر
فتىً إن سطا فرعونُ فقرٍ وجدتَهُ يغرقُه من جود كفيه في بحر
له باليد البيضاء أعظم آية إذا اسودت الأيام من نُوَبِ الدهر

وقوله يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة [من الطويل]:

وكم ليلة قد بتها مُعْسِراً ولي بِزُخرف آمالي كنوز من اليسر
أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى إذا جاء نصر الله تبت يدا الفقر

وقول شيخ الاسلام ابن دقيق العيد وهو غاية هنا، وهو [من السريع]:

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرفُ الغمض ولا نستريح
واختلف الأصحاب ماذا الذي يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل في تعريسهمْ ساعة وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وهو مأخوذ من قول ذي الرمة [من الطويل]:

ونشوان من طول النعاس كأنه بحبلين من مشطونة يترجح
إذا مات فوق الرحل أحييت روحه بذكرك والعيس المراسيل جُنَّحُ

وقد أجاب ابن نباتة عن أبيات شيخ الاسلام بقوله [من السريع]:

في ذمةِ الله وفي حفظهِ مسراك والعَوْدُ بعزم نجيح
لو جاز أنْ تسلك أجفاننا إذن فرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعدِ معتلة وأنت لا تسلكُ إلا الصحيح

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

صدقوا قد نظروا الورد مسيج ... هل رأوه فى عذار من بنفسج

عشق الناس ولا مثل الذى ... هِمْتُ وجداً فيه فانظر وتفرّج

من رأى بدراً وغصنا ونقًا ... قد تجلى وتثنى وترجرج

وجهه نسخة حسنٍ حررت ... ولها من عارض سطر مخرج

ذو وشاح مثل قلبى قلق ... وإزار مثل صدرى منه محرج

وأصمّ فتحتْ أسماعه ... بقواف كم بها يُفتَحُ مُرْتَج

قال : شعر لك ، أم درّ ؟ على ... أنه أبهى من الدرّ وأبهج

قلت : تاج الدين فيه وصفه ... قال : هذا ملك الشعر المتوّج

وقول ابن نباتة ، يمدح قاضى القضاة ، تاج الدين السبكى ، من قصيدة [من البسيط] :

قد أسرج الحسن خدّيه فدونك ذا ... سراج خد على الأكباد وَهّاج

وألجم العذل فاركب فى محبته ... طِرْفَ الهوى بعدَ إلجام وَإسراج

وقسم الشعر فاجعلْ فى محاسنهِ ... شَذرَ القلائد واهدِ الدرّ للتاج

وقول القيراطى ، يمدح سيف الدين الكريمى من قصيدة [من الوافر] :

فموعدهُ وناظرهُ وجسمى ... سقيمٌ فى سقيم فى سقيم

كَرِيمٍ مال َبخلاً عن ودادى ... فَمِلْتُ لنحو مخدوم كريم

وقول ابن حجة(١) فى ممدوحه صدقة [من المنسرح] :

طرقت باب الحبيب والرقبا ... عليه من خيفة اللقا حنقه

قالوا فما تبتغى فقلت لهم ... حتى تخلصت أبتغى صدقه

وقول الفاضل على بن مليك من قصيدة نبوية [من الخفيف] :

---

(١) فى نسخة « ابن حجلة »

حاولتْ زورتى فنمَّ عليها قُرْطها فى الدجى ومسك الْغُلاَلَهْ
ثم لما أن سَلَّمَتْ أذكرتنى مدح من سلمت عليه الغزاله

وقد آن أن تتخلص من سرد هذه المخالص البديعة إلى غيرها ، فالشرح قد طال ، وربما يحدث منه الملال .

* * *

شاهد الاقتصاب

٢٢٣ — لوْ رأى الله أنَّ فى الشيب خيراً جاوَرَتهُ الأبرَارُ فى الخلدِ شيبَا
كل يوْمٍ تُبدِى صروفُ الليالى خلقاً من أبى سعيد رَغيبَا[1]

البيتان لأبى تمام ، من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أولها :

من سجَايا الطلول أن لا تجيبا فصوابٌ منْ مُقلتى أن تَصُوبَا
اسألنها واجعل بكاك جوابا تجدم الشوْق سائلا ومجيبَا
قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبَا
أكثر الأرض زائراً ومزورا وصعوداً مِنَ الهوَى وصبوبَا
وَكِعاباً كأنما ألبستها غَفَلاَتُ الشبَابِ برداً قشيبَا
بينَ البين فقدها قلما تعرف فقداً للشمس حتى تغيبَا
لعبَ الشيب بالمفارق بل جدّ فأبكى تماضراً ولعوبَا
خضبت خدَّها إلى لؤلؤ العقد دَما أن رأت شَوَاتى خضيبَا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبَا
يا نسيم الثُّغَام ذنبكَ أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبَا

(١) المحفوظ * خلقا من أبى سعيد غريباً *

ولئن عِبْنَ ما رَأينَ لقد أنكرن مستنكراً وعبْنَ معيبَا
أو تصدَّ عن قلى فكفى بالشيب بينى وبينهنَّ حسيبَا

و بعده البيتان ، والرواية فى الديوان «فضلا» بدل «خيراً» ، والقصيدة طويلة.

والشيب — بكسر الشين المعجمة — جمع شائب[1] ، والرغيب : الواسع.

والشاهد فيه : الاقتضاب ، ويسمى : الاقتطاع، والارتجال ، وهو : أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى مالا يلائمه ، وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، مثل : لبيد، وحسان ، والشعراء الاسلاميون قد يتبعونهم فى ذلك ويجرون على مذهبهم ، كأبى تمام هنا ، والبحترى بقوله من غير ارتباط بما قبله [من الطويل] :

وَرَدْنا إلى الفتح بن خاقان إنه أعمُّ ندًى منكمْ وأيْسرُ مطلبا

وهو كثير فى شعره ، حتى إنَّ السلمانى الشاعر عرّض به فى قوله [من مجزوء الكامل] :

يغتابنى فاذا التفتُّ أبان عن محض صحيح
وَثْبًا كوثب البحترى من النسيب إلى المديح

وكأبى نواس ، وهو الغالب على شعره ، كقوله يمدح الأمين بن الرشيد [من المديد] :

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السَّكَنِ
سنة العشاق واحدة فاذا أحببتَ فاستكن
ظن بى من قد كلفت به فهو يجفونى علىَ الظنن
قاَمَ لاَ يعنيه ماَ لقيتِ عين ممنوع من الوسن

(١) صوابه جمع أشيب كبيض من جمع أبيض

رَشأٌ لولاَ مـلاحتهُ خَلَتِ الدنيا من الفِتَنِ
ما بدا إلا استرَق له حسنُهُ عبداً بلا ثمن
فاسقنى كأساً على عذَلٍ كرهَتْ مسموعَه أذنى
من كميت اللون صافية خير ما سلسلت فى بدنى
ما استقرت فى فؤاد فتى فَدَرَى ما لوعة الحزن
مزجت من صوب غادية حلبته الريح من مزن
تضحك الدنيا إلى ملك قامَ بالآثار وَالسنن

فهو كما تراه انتقل من الغزل إلى المديح من غير تخلص .

* * *

شاهد حسن المقطع

٢٢٤ — وَإنى جَديرٌ إذْ بلغتك بالمنى وأنتَ لما أملتُ منكَ جديرُ
فانْ تُولِنِى منكَ الجميلَ فأهله وَإلا فانى عاذرٌ وشـكُورُ

البيتان لأبى نواس ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها الخصيب صاحب مصر ، أولها :

أجَارَةَ بَيتينا أبوكِ غَيُور ومَيْسُورُ مايُرْجَى لدَيكِ عسير
فان كنت لاخلمَا ولاأنت زوجة فلا بَرِحَتْ دونى عليك ستور
وجاورت قوما لاتجاور بينهم ولا وصلَ إلا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربَةَ لازبٍ ولا كل سلطان على قدير
وإنى لطرف العين بالعين زاجر فقد كدت لايخفى على ضمير

وهى طويلة ، وتقدم ذكر شىء منها فى حسن التخلص ، وقد عارضها أحمد

ابن دَرَّاج القَسْطَلِيُّ بقصيدة طنانة ، منها (١) [من الطويل] :

ألم تعلمى أن الثواء هو التَّوَى وأن بُيُوت العاجزين قُبُورُ
تخوفنى طولَ السفار وإنه لتقبيل كف العامرى سفير
دعينى أرد ماء المفاوز آجنا إلى حيث ماء المكرمات نَمِير
فان خطيراتِ المهالك ضُمَّن لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا بصبرىَ منها أنة وزفير
تناشدنى عهد المودة والهوى وفى المهد مبغوم النداء صغير
عَيِىٌّ بمرجوع الخطاب ولحظه بموقع أهواء النفوس خبيرُ
فكل مفَداة الترائب مرضع وكل مُحَيَّاة المحاسن ظِـئرُ
عصيت شفيع النفس فيه فقادنى رَواحٌ لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بى وهَفَتْ بها جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت منى غيوراً فاننى على عزمتى من شجوها لغيور
ولو شاهدتنى والهواجر تلتظى على ورقراق السراب يمور
أسلط حَرَّ الهاجرات إذا سطا على حُرِّ وجهى والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهى لواقح واستوطىء الرمضاء وهى تفور
وللموت فى عين الجبان تلون وللذعر فى سمع الجرىء صفير
لبان لها أنى من الضيم جازع وأنى على مض الخطوب صبور
ولو أبصرت بى والسرى جل عزمتى وجرسى لجنان الفلات سمير
وأعتسف الموماة فى غسق الدجى وللأسد فى غيل الغياض زئير

(١) ذكر الكثير منها القاضى ابن خلكان فى وفيات الأعيان فانظره (١ /١٢٠ بتحقيقنا)

وقد حومت زهر النجوم كأنها كواعب فى خضر الحدائق حُورُ
ودارت نجومُ القُطْب حتى كأنها كؤوس مَهاً والىْ بهن مُديرُ
وقد خَيَّلَتْ طرق المجرة أنها على مفرق الليل البهيم قتير
وثاقب عزمى والظلام مروع وقد غض أجفان النجوم فتور
لقد أيقنتْ أن المنى طوع همتى وأنى بعَطْفِ العامرى جدير

قال ابن فضل الله : ومَنْ وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبى نواس عرف فضل قائلها على من تقدم ، وشهد له بأنه سبَق وإن تأخر ، وجزم بأن الرجال معادن ، وأن لكل زمان محاسن ، ولم يشك أن الخواطر موارد لاتنزح ، وأن الأفكار مصابيح لاتطفى ، وأن الأفهام مَرَاءٍ (١) لاتتناهى صورها، وأن العقول سحائب لاينفد مطرها ، وعلم أن المعانى غير متناهية ، والفضائل غير متوارية ؛ وإن أم الليالى لوَلودُ ، وإن الفضل فى كل حين لمشهود ، وإن هذا الشاعر فى قصيدته هذه التى عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ، ولا عارضة تذكر ، وإنه لحقيق أن ينشد [من الطويل]

وإنى وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

يروى أن أبا نواس لما قدم على الخصيب صادف فى مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه ، فلما فرغوا قال الخصيب : ألا تنشدنا ياأبا على ، فقال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تَلْقَفُ مايأفكون ، فأنشده هذه القصيدة ، فاهتزَّ لها وأمر له بجائزة سنية

وفى كتاب آداب الغرباء أن أبا نُوَاس كان عائداً من الشام إلى بغداد ، قال : فانى على ظهر فرسى إذ ترنمت بهذه الأبيات * تقول التى من بيتها خف محملى * الأبيات المارة فى حسن التخلص ، قال: فسمعت ورائى شَهْقَة ، فالتفت ، فاذا شيخ

(١) الصواب أن يقول « مرايا » مثل وخطايا .

عليه أطمار رثة يقود فرساً أعجف ، وهو منتجد سيفه ، فقال لى : أعد ياأبانواس هذه الأبيات ، فأعدتها، فقال : لمن هذه ؟ قلت : لى ، امتدحت بها الخصيب أمير مصر ، قال : ما أرفدك ؟ قلت : إنه ملأ فيَّ جوهراً بعته بمائة ألف درهم ، قال : أتعرفه ؟ قلت : نعم ، قال : أنا والله الخصيب ، فلما عرفته نزلت عن دابتى وقبلت يده ورجله ، فقال : لاتفعل ، ثم سألته عن حاله وسبب تغير أمره ، فقال لى : قولك الدائرات تدور ، قال : فدفعت إليه جميع ما كان معى من مركوب ونفقة وثياب ، وسألته قبول ذلك ، فأبى وقال : والله لاأخذت من يد أرفدتها ، ثم ركب دابته وتركنى ومضى

وحدث معاوية بن صالح الطبرانى قال : ماج الناس فى مصر بسبب السعر ، فبلغ الخصيبَ وهو يشرب مع أبى نواس ، فقال : دعنى أيها الأمير أسكنهم ، فقال : ذلك إليك ، فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع فصعد على المنبر ، واعتمد على عضادتيه ، وحول وجهه للناس ، وعليه ثياب مشهرات ، فقال [من الطويل]:

منحتكمُ ياأهل مصر نصيحتى ألا فخذُوا من ناصح بنصيب
ولاتَثبُوا وثب السّفاه فتركبُوا على ظهر عارى الظهر غير ركوب
فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

قال : فتفرق الناس ولم يجتمعوا بعده

وحدث مطيعٌ خادمُ البرامكة قال : كنت واقفاً على رأس الرشيد إذ دخل أبو نواس ، فقال : أنشدنى قولك فى الخصيب :

فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده ، فقال الرشيد : ألاقلت « فباقى عصا موسى بكف خصيب » فقال أبونواس : هذا أحسن والله ، ولكنه لم يقع لى

وحكى إسماعيل بن أسباط قال: لما قال أبو نواس * منحتكم يا أهل مصر نصيحتى * رأى الخصيبُ فى المنام قائلا يقول: يا خصيب، مافوق هذا المدح مدحٌ، قال: فما جزاؤه؟ قال: نبحة كاب، قال: وما نبحة كلب؟ قال: ألف، قال: من أى الحجرين؟ قال: من الصفر، فلما أصبح صبح أبا نواس بألف دينار، فقال أبو نواس [من الكامل]:

أنت الخصيبُ وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

وقال ابن قتيبة: لما قال أبو نواس *فان يك باق إفك فرعون فيكم* و بلغ الرشيد فقال: يا ابن اللخناء، أنت المستخف بنبي الله موسى عليه السلام، وقال لابراهيم بن نهيك: لا يأوين أبو نواس عسكرى من ليلته، فقال له: ياسيدى، فأجل ثمود، فضحك وقال: أجله ثلاثا، فبعث الأمين إلى إبراهيم فقال: والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك، فأقام عند إبراهيم حتى مات الرشيد، وأخرجه محمد الأمين سنة تسع وتسعين ومائة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة

قال أبو عبدالله حمزة: قد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لأن الأمين تولى الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة فى جمادى الآخرة

والجدير: الخليق بالشىء

والشاهد فيهما: الانتهاء، ويسمى حسن المقطع، وحسن الخاتمة، وهو أن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة، لأنه آخر ما يعيه السامع ويرتسم فى النفس

ومثل البيت الأول قول بعضهم [من الطويل]:

وإنى خليق من نداك بمثلها وأنتَ بما أملتُ منكَ خليقُ

وقول الآخر [من الرمل]:

فجديرٌ أنا بالشكر كما أنتَ بالطَّول وبالحسنى جديرُ

وقول ابن شداد [من الخفيف]:

فجدير بالشكر أنت ، فشكرى لك ، والحمد دائماً والثناء

* * *

٢٢٥ — بَقيتَ بَقَاء الدَّهْرِ يا كهف أهله وهَذَا دُعَاء للبرية شَامِلُ

شاهد حسن الانتهاء

البيت من الطويل ، ونسب لأبى العلاء المعرى ، ونَسَبه ابن فضل الله لأبى الطيب المتنبي ، ولم أره فى ديوان واحد منهما

والشاهد فيه : حسن الانتهاء

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة [من الطويل] :

فان يكُ ذنبٌ عَنَّ أوتَكُ هفوة على خطإٍ منى فعُذْرى على عَمْدِ

وقول أبى الطيب فى ختام قصيدة [من الوافر] :

فلاحطَّت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فِراقا

18

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

ولا تزال لك الأيام ممتعة بالآل والحال والعلياء والعُمُر

وقول الأرجانى [من الطويل] :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحاً فانكَ فى هــذا الزمان فَريدُ

عُلاَكَ سِوَار والممالك مِعْصَم وجودك طَوْقٌ والبرية جِيدُ

وقول إبراهيم الغزى [من الطويل] :

بقيت بقاء الدهر ماذرَّ شارق وغار جديد المكرمات وأنجدا

وقول الخوارزمى [من الوافر]

بقيت لنا تجود مَدَى الليــالى فانك مابقيت لنا بقينا

وقول الرستمى [من الطويل] :

بقيت مدى الدنيا وملكُكَ راسخٌ وظلُّكَ ممــدود وبابكَ عامرُ

يود سَنَاكَ البدرُ والبدرُ زاهرٌ ويقفو نداكَ البحرُ والبحرُ زاخر
وهنئت أياما أتتك سعودُها كما تتوالَى فى العقود الجواهر

وقول ابن النبيه [من السريع] :

دمتم بنى أيوب فى نعمة تجوز فى التخليد حَدَّ الزَّمانْ
والله لا زلتم ملوكَ الوَرَى شَرْقاً وغرْباً وعلىَّ الضَّمانْ

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل] :

فلا زلت فى مُلكٍ جديد مؤيد تدينُ لكَ الدُّنيا وتصفُو لكَ الأخرى
ولا زال للأيام طَوْلٌ على الورى وما الطول إلا أن تطيل لك العمرا

وقول ابن سناء الملك [من البسيط] :

بقيت حتى يقول الناس قاطبة هذا أبو الياس أو هذا أبو الخضر

وقول ابن نباتة [من الخفيف] :

فابق عالى المقام دانى العطايا قاهرَ البأس ظاهرَ الأنْباء
يتمنَّى عدوُّكَ العيشَ حتى أتمنى له امتداد البقاء

وقول مؤلفه مترجياً حسن الختام لمن سطر باسمه بديع هذا النظام [من السريع] :

لازال مَنْ سُطِّرَ ذا باسمه يبقى بقاء الفَلَكِ الدائر
ومن يناويه يعش بائساً يسحبُ ذيلَ الخاسىء الخاسر

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وكان الفراغ من تأليفه ، وتوشيته وتفويفه ، بالقاهرة المعزية ، عام واحد وتسعمائة ، ومن زَبْرِهِ وتحريره يوم الأربعاء المبارك الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته ، عام أربعة وثلاثين وتسعمائة ، وذلك على يد مؤلفه الفقير الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ستره الله عيوبه ، وغفر ذنوبه ، ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والرحمة ! وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ! !

قال أبو رجاء محمد محيي الدين عبد الحميد :

قد تم ـ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ـ كتاب « معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد إمام الهدى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

فهارس كتـــاب

معاهد التنصيص ، على شرح شواهد التلخيص

١ — فهرست بالموضوعات البلاغية

التي وردت الشواهد لإيضاحها

أولا — في الجزء الأول

ثانيا — فى الجزء الثانى

ثالثا — فى الجزء الثالث

رابعا — في الجزء الرابع

ءت فهرس الموضوعات البلاغية التى جىء بالشواهد لبيانها ، وشرحت هذه الشواهد فى كتاب «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» والحمد لله أولا وآخرا

٢ ـ فهرس الشواهد

المشروحة فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »
مرتبة على حروف الهجاء بحسب قوافيها

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٦٠	١/٣٢٣	ولافضل فيها للشجاعة والندى	وصبر العدى لولا لقاء شعوب
٦٥	١/٣٥٥	كأن عيون الوحش حول خبائنا	وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
٦٦	١/٣٥٨	ولست بمستبق أخا لا تلمه	على شعث أى الرجال المهذب

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٧٧	٢/٢٨	كأن مثار النقع حول رءوسنا	وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
٨٥	٢/٩٥	تشابه دمعى إذ جري ومدامتى	فمن مثل مافى الكأس عينى تسكب
		فوالله ماأدرى أبالخمر أسبلت	جفونى أم من عبرتى كنت أشرب
٩١	٢/٩٠	صدفت عنه ولم تصدف مواهبه	عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب
		كالغيث إن جئته وافاك ريقه	وإن ترحلت عنه لج فى الطلب
١٠١	٢/١٣١	وصاعقة من نصله تنكفى بها	على أرؤس الأقران خمس سحائب
١٢٢	٢/٢٦٠	إذا نزل السماء بأرض قوم	رعيناه وإن كانوا غضابا
١٢٣	٢/٢٦٩	فسقى الغضا والساكنيه وإن هم	شبوه بين جوانح وقلوب

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٤١	٣/٤٦	أسكر بالأمس إن عزمت على ال	شرب غداً ، إن ذا من العجب
١٤٢	٣/٤٨	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
		لئن كنت قد بلغت عنى وشاية	لمبلغك الواشى أغش وأكذب
		ولكننى كنت امرأ لى جانب	من الأرض فيه مستراد ومذهب
		كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم	فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا
١٤٤	٣/٥٣	مابه قتل أعاديه ولكن	يتقى إخلاف ماترجو الذئاب
١٤٨	٣/٨٨	أحلامكم لسقام الجهل شافية	كما دماؤكم تشفى من الكلب
١٤٩	٣/١٠٧	ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم	بهن فلول من قراع الكتائب
١٥٢	٣/١٣٤	أقلب فيه أجفانى كأنى	أعد بها على الدهر الذنوبا
١٥٤	٣/١٥٦	إذا ما تميمي أتاك مفاخرا	فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب
١٦٠	٣/٢٠١	إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم	بعتيبة بن الحارث بن شهاب
١٦٣	٣/٢١٠	إذا ملك لم يكن ذاهبه	فدعه فدولته ذاهبه
١٦٤	٣/٢٢٥	يعدون من أيد عواص عواصم	[تصول بأسياف قواض قواضب]

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٧٣	٢٧٨/٣	ضرائب أبدعتهـا في السماح	فلسنا نرى لك فيهـا ضريبا
١٧٩	٢٩١/٣	تدبير معتصم ، بالله منتقم	لله مرتقب ، فى الله مرتغب
١٩٣	٥٨/٤	وإذا تألق فى الندى كلامه الـ	مصقول خلت لسانه من عضبه
١٩٨	٧٦/٤	ومن فى كفه منهم قناة	كمن فى كفه منهم خضاب
١٩٩	٧٨/٤	سلبوا وأشرقت الدماء عليهم	محمرة ، فكأنهم لم يسلبوا
٢٠١	٨٠/٤	إذا غضبت عليك بنو تميم	رأيت الناس كلهم غضابا
٢١٦	٢٠١/٤	لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى	أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب
٢٢٣	٢٦٦/٤	ورأى الله أن فى الشيب خيرا	جاورته الأبرار فى الخلد شيبا
		كل يوم تبدى صروف الليالى	خلقا من أبى سعيد رغيبا

حرف التاء المثناة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٨١	٥١/٢	كما أبرقت قوما عطاشا غمامة	فلما رأوها أقشعت وتجلت
٨٣	٥٦/٢	ولازوردية تزهو بزرقتها	وسط الرياض على حمر اليواقيت
		كأنها وضعاف القضب تحملها	أوائل النار فى أطراف كبريت

حرف الجيم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٢	١٤/١	وفاحما ومرسـنا مسرجا	[وكفلا وعثـا إذا ترجرجا]
١١٣	١٧٣/٢	إن السماحة والمروءة والندى	فى قبة ضربت على ابن الحشرج
١٨٥	٢٦/٤	من راقب الناس لم يظفر بحاجته	وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

حرف الحاء المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١١	٧٢/١	جاء شـقيق عارضا رمحـه	إن بنى عمك فيهم رماح
٣٦	٢٠٢/١	ليبك يزيد ضارع لخصومة	[ومختبط مما تطيح الطوائح]
٧٩	٣٤/٢	وكأن البرق مصحف قار	فانطباقا مرة وانفتـاحا
٨٤	٥٧/٢	وبدا الصباح كأن غرته	وجه الخليفة حين يمتدح

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٠	٨٨/٢	كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد	أو برد أو أقاح
١٠٣	١٣٤/٢	[أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا]	وسالت بأعناق المطى الأباطح
١٠٤	١٤٧/٢	[جمع الحق لنا فى إمام]	قتل البخل وأحيا السماحا
١٥٦	١٦٤/٣	ألمع برق سرى أم ضوء مصباح	أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى
١٦٥	٢٣٠/٣	إن البكاء هو الشفا	ء من الجوى بين الجوانح
١٧٢	٢٧٧/٣	أملتهم ثم تأملتهم	فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

حرف الدال المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٦	٢٥/١	كريم متى أمدحه أمدحه والورى	معى ، وإذا مالمته لمته وحدى
٨	٥١/١	سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا	وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
٩	٥٨/١	[وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة]	سبوح لها منها عليها شواهد
٢٣	١٣٥/١	والذى حارت البرية فيه	حيوان مستحدث من جماد
٢٩	١٧٠/١	تطاول ليلك بالإثمد	[ونام الخلى ولم ترقد]
٥٥	٢٨٧/١	[إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها]	خرجت مع البازى على سواد
٥٦	٣٠٤/١	فقلت عسى أن تبصرينى كأنما	بنى حوالى الأسود الحوارد
٥٨	٣٠٨/١	والعيش خير فى ظلا	ل النوك ممن عاش كدا
٧٠	٣٧٧/١	يصد عن الدنيا إذا عن سؤدد	[ولو برزت فى زى عذراء ناهد]
٧٣	٤/٢	وكأن محمر الشقيـــق إذا تصوب أو تصعد	
		أعلام ياقوت نشر	ن على رماح من زبرجد
١٠٥	١٤٨/٢	تقريهم لهذميات [نقد بها	ماكان خاط عليهم كل زراد]
١٢٥	٢٨٣/٢	إن الشباب والفراغ والجده	مفسدة للمرء أي مفسده
١٢٧	٣٠٦/٢	ولا يقيم على ضيم يراد به	إلا الأذلان عير الحي والوتد
		هذا على الخسف مربوط برمته	وذا يشج فلا يرثى له أحد
١٣١	٨/٣	ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا	كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا
١٥١	١٣٢/٣	نهبت من الأعمار مالو حويته	لهنئت الدنيا بأنك خالد

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٥٩	٣/١٨٠	قلت ثقلت إذ أتيت مرارا	قال ثقلت كاهلي بالأيادى
١٧٨	٣/٢٨٩	تجلى بهرشدى، وأثرت بهيدى	وفاض بهثمدى، وأورى بهزندى

٢٠٠	٤/٧٨	يبس النجيع عليه وهو مجرد	من غمده فكأنما هو مغمد
٢٠٢	٤/٨٠	وليس لله بمستنكر	أن يجمع العالم فى واحد
٢١٩	٤/٢٢٩	.. ..	موعد أحبابك بالفرقة غد
٢٢٠	٤/٢٣١	بشراك قد أنجز الإقبال ماوعدا	[وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا]
٢٢٢	٤/٢٤٨	يقول فى قومس قومى وقد أخذت أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا	منا السرى وخطا المهرية القود فقلت كلا ولكن مطلع الجود

حرف الراء المهملة

٥	١/٣٤	وقبر حرب بمكان قفر	وليس قرب قبر حرب قبر
١٤	١/٧٨	يزيدك وجهه حسنا	إذا مازدته نظرا
٣٩	١/٢٠٨	له همم لامنتهى لكبارها	وهمته الصغرى أجل من الدهر
٤٠	١/٢١٥	ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها	شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر [1]
٤٣	١/٢٥٤	ولم يبق منى الشوق غير تفكر	فلوشئت أن أبكى بكيت تفكرا
٤٨	١/٢٧١	وقال رائدهم أرسوا نزاولها	[وكل حتف امرىء يجرى بمقدار]
٥٠	١/٢٧٩	أقسم بالله أبو حفص عمر	[مامسها من نقب ولادبر]
٦٤	١/٣٤٦	وإن صخرا لتأتم الهداة به	كأنه علم فى رأسه نار
٦٩	١/٣٧٧	واعلم فعلم المرء ينفعه	أن سوف يأتي كل ماقدرا
٧١	١/٣٧٩	ولست بميال إلى جانب الغنى	إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

٧٦	٢/١٧	وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى	كعنقود ملاحية حين نورا
٨٦	٢/٧٨	ياصاحبي تقصيا نظريكما تريا نهارا مشمسا قد شابه	تريا وجوه الأرض كيف تصور زهر الربى فكأنما هو مقمر

---

(١) وانظره أيضا فى (٢٨٤١١)

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٩	١٢٩/٢	لا تعجبوا من بلى غلالته	قد زر أزراره على القمر
١٠٢	١٣٢/٢	وإذا احتبى قربوسه بعنانه	[علك الشكيم إلى انصراف الزائر]
١١٤	١٧٨/٢	تردى ثياب الموت حمراً فما أتى	لها الليل إلا وهي من سندس خضر
١١٧	٢٢٧/٢	كالقسى المعطفات بل الأسـ	ـهم مبرية بل الأوتار
١٢٠	٢٥٥/٢	إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى	أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر
١٢٨	٤/٣	فوجهك كالنار في ضوئها	وقلبي كالنار في حرها
١٥٨	١٦٧/٣	بالله يا ظبيات القاع قلن لنا	ليلاي منكن أم ليلى من البشر
١٦٦	٢٥٠/٣	تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
١٧٥	٢٨٥/٣	لو اختصرتم من الإحسان زرتكم	والعذب يهجر للإفراط في الخصر
١٧٦	٢٨٨/٣	فدع الوعيد فما وعيدك ضائري	أطنين أجنحة الذباب يضير
١٧٧	٢٨٩/٣	وقد كانت البيض القواضب في الوغى	بواتر فهي الآن من بعده بتر
١٨٢	٢٩٩/٣	يا خاطب الدنيا الدنيـة إنها	شرك الردى وقرارة الأقذار
١٨٦	٢٦/٤	من راقب الناس مات غما	وفاز باللذة الجسور
١٩٧	٧٦/٤	فلم يمنعك من أرب لحاهم	سواء ذو العمامة والخمار
٢٠٥	٩٥/٤	وترى الطير على آثارنا	رأى عين ثقة أن ستمار
٢٠٨	١١٠/٤	قال لي إن رقيبي	سيء الخلق فداره
		قلت دعني وجهك الجنـة	حفت بالمكاره
٢١٣	١٨٢/٤	مابال من أوله نطفة	وجيفة آخره يفخر
٢٢٤	٢٦٨/٤	وإني جدير إذ بلغتك بالمنى	وأنت لما أملت منك جدير
		فإن تولني منك الجميل فأهله	وإلا فإني عاذر وشكور

حرف السين المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٨	١١٣/٢	قامت تظللني من الشمس	نفس أعز علي من نفسي
		قامت تظللني ومن عجب	شمس تظللني من الشمس

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	

حرف الصاد المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١١٩	٢٥٢/٢	قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه	قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

حرف العين المهملة

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٠	٥٩/١	حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى	فأنت بمرأى من سعاد ومسمع
١٣	٧٧/١	ميز عنـــه قنزعا عن قنزع	جذب الليالى أبطئي أو أسرعى
١٦	١٠٠/١	إن الذين ترونهم إخوانكم	يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا
١٩	١١٩/١	أولئـك آبائى فجئنى بمثلهم	إذ جمعتنا ياجرير المجامع
٢٢	١٢٨/١	الألمعى الذى يظن بك الظن	كأن قد رأي وقد سمعـــا
٢٥	١٤٧/١	قد أصبحت أم الخيـار تدعى	على ذنبـــا كلــه لم أصنع
٣٢	١٧٩/١	(فلما أن جرى سمن عليها)	كما طينت بالفدن السياعا
٤١	٢٢٢/١	شجو حساده وغيظ عـــداه	أن يرى مبصر ويسمـع واع
٤٢	٢٤٦/١	ولو شئت أن أبكى دما لبكيته	عليه ولـكن ساحة الصبر أوسع
٦٢	٣٣٠/١	فإنك كالليل الذى هو مدركى	وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٧٥	١٠/٢	وكأن النجوم بين دجاها	سنن لاح بينهن ابتـــداع
١٠٩	١٦٣/٢	وإذا المنيـة أنشبت أظفارها	ألفيت كل تميمـة لا تنفع
١١٨	٢٣٦/٢	إذا لم تستطع شيئا فدعــه	وجاوزه إلى ما تستطـيع

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٢٩	٥/٣	حتى أقام علي أرباض خرشنة للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا	تشقى به الروم والصلبان والبيع والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
١٣٠	٦/٣	قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم سجية تلك فيهم غير محـدثة	أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا إن الخلائق فاعلم شرها البدع
١٤٧	٦٩/٣	كأن السحاب الغر غيبن تحتها	حبيبا فما ترقى لهن مدامع
١٦٥	٢٤٢/٣	سريع إلى ابن العم يلطم وجهه	وليس إلى داعى الندى بسريع

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
		حرف العين المهملة	
١٩١	٤/٥٦	هو الصنع إن يعجل فخير وإن يرث	فللريث فى بعض المواضع أنفع
١٩٥	٤/٥٩	ولم يك أكثر الفتيان مالا	ولكن كان أرحبهم ذراعا
١٩٦	٤/٥٩	وليس بأوسعهم فى الغنى	ولكن معروفه أوسع
٢٠٩	٤/١٣٧	لئن أخطأت فى مدحيـ	ـك ما أخطأت فى منعى
		لقد أنزلت حاجاتى	بواد غير ذى زرع
٢١١	٤/١٥٢	على أنى سأنشد عند بيعى	أضاعونى وأى فتى أضاعوا
٢١٥	٤/١٩٤	فوالله ما أدرى أأحلام نائم	ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع
		حرف الفاء	
٣٤	١/١٨٩	نحن بما عندنا وأنت بما	عندك راض ، والرأى مختلف
٥٣	١/٢٨٢	زعمتم أن إخوتكم قريش	لهم إلف وليس لكم إلاف
١٢٤	٢/٢٧٣	كيف أسلو وأنت حقف وغصن	وغزال لحظا وقدا وردفا
١٥٥	٣/١٥٩	أيا شجر الخابور مالك مورقا	كأنك لم تجزع على ابن طريف
		حرف القاف	
٢٠	١/١٢٠	هواى مع الركب اليمانين مصعد	جنيب ، وجثمانى بمكة موثق
٢٦	١/١٤٧	كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه	وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
		هذا الذى ترك الأوهام حائرة	وصير العالم النحرير زنديقا
٣٨	١/٢٠٧	لا يألف الدرهم المضروب صرتنا	لكن يمر عليها وهو منطلق
١١٠	٢/١٧٠	ولئن نطقت بشكر برك مفصحا	فلسان حالى بالشكاية أنطق

رقم الشواهد	ص	بيت الشاهد	
٧٣	٣٨٢/١	وننكر إن شئنا على الناس قولهم	ولا ينكرون القول حين نقول

رقم الشواهد	ص	بيت الشاهد	
٧٤	٧/٢	(أيقتلنى والمشرفى مضاجعى)	ومسنونة زرق كأنياب أغوال
٧٨	٣٢/٢	... ...	والشمس كالمرآة فى كف الأشل
٨٠	٤٨/٢	يقعى جلوس البدوى المصطلى	(بأربع مجدولة لم تجدل)
٨٢	٥٣/٢	فإن تفق الأنام وأنت منهم	فان المسك بعض دم الغزال
٨٧	٨٠/٢	كأن قلوب الطير رطبا ويابسا	لدى وكرها العناب والحشف البالى
٨٩	٨٨/٢	صدغ الحبيب وحالى	كلاهما كالليالى
٩٢	٩١/٢	وثغره فى صفاء	وأدمعى كاللآلىء
٩٥	٩٤/٢	عزماته مثل النجوم ثواقبا	لو لم يكن للثاقبات أفول
١٠٦	١٤٩/٢	غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا	(غلقت لضحكته رقاب المال)
١٠٨	١٦١/٢	هى الشمس مسكنها فى السماء	فعز الفؤاد عزاء جميلا
		فلن تستطيع إليها الصعود	ولن تستطيع إليك النزولا
١١١	١٧١/٢	صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله	وعرى أفراس الصبا ورواحله
١١٦	٢٠٧/٢	ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا	وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

رقم الشواهد	ص	بيت الشاهد	
١٣٢	١٣/٣	وشوهاء تعدو بى إلى صارخ الوغى	بمستلئم مثل الفنيق المرحل
١٣٤	١٤/٣	ياخير من يركب المطى ولا	يشرب كأسا بكف من بخلا
١٣٥	١٤/٣	لا خيل عندك تهديها ولا مال	(فليسعد النطق إن لم يسعد الحال)
١٣٦	١٦/٣	فعادى عداء بين ثور ونعجة	دراكا ، ولم ينضح بماء فيغسل
١٣٧	٢٥/٣	ونكرم جارنا ما دام فينا	ونتبعه الكرامة حيث مالا
١٥٠	١١١/٣	هو البدر إلا أنه البحر زاخرا	سوى أنه الضرغام لكنه الوبل
١٦٨	٢٥٨/٣	وإن لم يكن إلا معرج ساعة	قليلا فإنى نافع لى قليلها
١٧٠	٢٦٦/٣	وإذا البلابل أفصحت بلغاتها	فانف البلابل باحتساء بلابل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨٠	٢٩٣/٣	مهاالوحش إلاأن هاتا أو أنس	قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
١٨٤	٤/٤	إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته	على طرف الهجران إن كان يعقل
		ويركب حد السيف من أن تضيمه	إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
١٨٧	٤٦/٤	هيهات أن يأتي الزمان بمثله	إن الزمان بمثله لبخيل
١٨٨	٤٦/٤	أعدى الزمان سخاؤه فسخا به	ولقد يكون به الزمان بخيلا
١٨٩	٥٠/٤	لو حار مرتاد المنية لم يجد	إلا الفراق على النفوس دليلا
١٩٠	٥٠/٤	لولا مفارقة الأحباب ماوجدت	لها المنايا إلى أرواحنا سبلا
٢٠٦	٩٥/٤	وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى	بعقبان طير فى الدماء نواهل
		أقامت مع الرايات حتى كأنها	من الجيش إلا أنها لم تقاتل
٢٠٧	١٠٩/٤	إن كنت أزمعت على هجرنا	من غير ما جرم فصبر جميل
		وإن تبدلت بنا غيرنا	فحسبنا الله ونعم الوكيل
٢١٧	٢٢٤/٤	قفانبك من ذكري حبيب ومنزل	بسقط اللوي بين الدخول فحومل
٢٢٥	٢٧٣/٤	بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله	وهذا دعاء للبرية شامل

حرف الميم

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨	١٠٧/١	هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه	من نسل شيبان بين الضال والسلم
٣٧	٢٠٤/١	أو كلما وردت عكاظ قبيلة	بعثوا إلى عريفهم يتوسم
٤٤	٢٥٥/١	وكم ذدت عنى من تحامل حادث	وسورة أيام حززن إلى العظم
٤٧	٢٧٠/١	لا والذى هو عالم أن النوي	صبر ، وأن أبا الحسين كريم
٤٩	٢٧٨/١	أقول له ارحل لاتقيمن عندنا	وإلا فكن فى السر والجهر مسلما
٥١	٢٧٩/١	وتظن سلمى أننى أبغى بها	بدلاء أراها فى الضلال تهيم
٥٧	٣٠٥/١	والله يبقيك لنا سالما	برداك تبجيل وتعظيم
٦١	٣٢٥/١	وأعلم علم اليوم والأمس قبله	(ولكننى عن علم مافى غد عم)
٦٧	٣٦٢/١	فسقى ديارك غير مفسدها	صوب الربيع وديمة تهمى
٨٨	٨١/٢	النشر مسك والوجوه دنا	نير وأطراف الأكف عنم

(١) وانظره أيضا فى (١٥١/٢)

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٦٣	٢٢١/٣	وكلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنـــــا أما الذى ضر مدير الـ جام لو جاملنـــــا	
١٦٩	٢٦٥/٣	دعانى من ملامكما دعانى	فداعى الشوق قبلكما دعانى
١٧١	٢٧١/٣	مشغوف بآيات المثـانى	ومفتون برنات المثـانى
١٧٤	٢٨٤/٣	إذا المرء لم يخزن عليه لسـانه	فليس على شىء سواه بخزان
١٩٤	٥٨/٤	كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت	على رماحهم فى الطعن خرصانا
٢١٠	١٣٩/٤	قد كان ما خفت أن يكـونا	إنا إلى الله راجـعونا

حرف الهاء

١٦١	٢٠٦/٣	ما مات من كرم الزمان فانه	يحيا لدى يحيى بن عبد الله

حرف الياء المثناة التحتية

١٢	٧٣/١	أشاب الصغير وأفنى الكبير	كر الغـداة ومر العشى

حرف الألف اللينة

١١٥	١٨٤/٢	لا تعجبى ياسلم من رجل	ضحك المشيب برأسه فبكى

تمت فهرست الشواهد المشروحة
فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »
والحمد لله رب العالمين ، أولا وآخرا

٣ — فهرست بأسماء الشعراء أصحاب الشواهد المشروحة فى « معاهد التنصيص » سواء أكانت لهم تراجم مفصلة أم لم تكن ، وقد رتبت هذه الفهرس على حروف الهجاء باعتبار أوائل الأسماء غير منظور فيها إلى حرف التعريف ، ولا إلى صدر الكنية ، وطولنا بذكر مباحث التراجم المفصلة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

وقد تم ما وفقنا الله تعالى إلى صنعه من أنواع الفهارس التى قصدنا بها تقريب البحث فى كتاب « معاهد التنصيص » على من أراده وقد ألجأتنا عجلة الناشر إلى الاقتصار على هذه الأنواع ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته وسلامه على رسوله وآله وصحبه

مكتبة

الدكتور مروان العطية

